

# السُّنَنُ النَّبَوِيَّةُ

فِي كِتَابَاتِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ  
مُنَاقَشَتَهَا وَالرَّدَّ عَلَيْهَا

الجزء الأول

عَمَادُ السُّنَنِ الشَّرِيفِي

دارُ اليَقِينِ مِصْرَ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣م - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠١ / ١٤١٨٥

الترقيم الدولي

977-336-052-0

دار اليقين للنشر والتوزيع

الإدارة: المنصورة - ش.عبد السلام عارف

الكونون اخراج لسوق أبحاث

بجولة مقارن الشريف - ت: ٢٥٥٢٤١

المكتبة: مساكن الشناوي - سور مسجد التوحيد

تلفون: ٢١١٠٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## باسم الرحمن الرحيم

قال الله ﷻ :

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١)

وقال رسول الله ﷺ

«يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَكِنًا عَلَيَّ أُرِيكْتِهِ ، يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَخْلَلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» (٢)

(١) الآية ٦٥ من سورة النساء .

(٢) انظر تخرجه ص ٢٢٨ .

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف إلى قسم الحديث النبوي بكلية أصول الدين بالقاهرة ، جامعة الأزهر الشريف .

وقد نوقشت يوم الخميس الموافق ٢٩ / ١٢ / ١٤١٩ هـ - ١٥ / ٤ / ١٩٩٩ م وأجيزت بتقدير ممتاز .

وقد تكونت لجنة المناقشة من :

- ١ - فضيلة الأستاذ الدكتور / إسماعيل عبد الخالق الدفتار  
أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة (مشرفاً)
- ٢ - فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد المهدي عبد القادر  
أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة (مناقشاً)
- ٣ - فضيلة الأستاذ الدكتور / محروس حسين عبد الجواد  
أستاذ الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية - بنين (مناقشاً)

## إهداء

- إلى والديَّ : اللذين رباني على مائدة القرآن ، وأرشداني لدروب الخير ، وهباني للأزهر والعلم ، وأدبا ، وعِلما ، وصبرا ، واحتسبا ، ودفعاني للبحث دفعا ، وأنفقا كل مرتخص وغال أسأل الله عز وجل ، أن يبارك فيهما ، ويرزقني برَّهما ، وأن يمدَّ في عمرهما ، ويحسن خاتمهما ، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما يوم القيامة .
- إلى مشايخي وأساتذتي بكلية أصول الدين بالقاهرة ، وأخص منهم بالذكر السادة الأساتذة أصحاب الفضيلة ، الدكتور الشيخ إسماعيل عبد الخالق الدفتار ، والدكتور الشيخ عبد المهدي عبد القادر ، والدكتور الشيخ طه الدسوقي حبيشي ، أسأل الله عز وجل أن يبارك في مشايخي وأساتذتي جميعا ، وأن ينفع بهم الإسلام والمسلمين .
- إلى زوجي: «أم صلاح الدين» التي لم تدخر جهدا في مساعدتي، فواصلت مع الليل بالنهار ؛ لأجل إخراج هذا الكتاب فبارك الله عز وجل فيها ، وفي ولدي صلاح الدين .
- إلى إخوتي: الذين وفروا لي سبُل الراحة لأتفرغ لطلب العلم؛ فبارك الله عز وجل فيهم .
- إلى كل من نصحتني فأحسن النصيحة، وكان عونًا لي على إخراج هذا الكتاب .
- إلى كل هؤلاء أهدي باكورة أبحاثي - وهي هذا الكتاب .

## تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .  
وبعد،

فإن القرآن الكريم والسنة النبوية أساس الإسلام وينبوعه ، ولقد حظيا باهتمام الأمة الإسلامية اهتماماً منقطع النظير ، فحدا من كل ناحية، وبذلت الجهود في تقريبهما من كل زاوية.

ومن باب العناية بالقرآن والسنة دفع شبهات أعداء الإسلام عنهما ، فإن أعداء الإسلام يحاربون الإسلام من كثير من النواحي، وكان نصيب القرآن والسنة كبير، فهم يحاولون إثارة شبهات، ويحاولون انتقاد القرآن والسنة ، ونصيب السنة من افتراءاتهم أكبر، فهم على طول التاريخ يحاولون اختلاق الأباطيل على السنة النبوية وعلماء الإسلام لهم بالمرصاد، يفتنون افتراءاتهم ، ويبينون كذبهم وزورهم.

وفي أيامنا هذه طغى الكفر، وأثار أهله وأذنابهم الكثير من الشبهات التي هي في حقيقة الأمر افتراءات وأكاذيب ، جاعوا بأكاذيب سابقهم ونسجوا على منوالها ويحرفون النص ليعطي غير معناه، ويسترون النص ليفيد غير المراد منه، وإذا وجدوا حديثاً صحيحاً لا يوافق أهواءهم ادعوا أنه لا يوافق العقل، يريدون عقلهم الذي ييغض الحق والإسلام .

وإذا وجدوا حديثاً ضعيفاً أو موضوعاً يوافق مرادهم ادعوا صحته وثبوته .  
إن طائفة من أهل الكفر وأتباعهم راحوا يثيرون الافتراءات والأباطيل ضد السنة النبوية، يظنون أنهم بذلك يبعدونها من حياة المسلمين، وجهل هؤلاء أن الإسلام بمصدره القرآن والسنة يحفظه الله، ويوفق له من أهل العلم من يزود عنه، ويبين الحق والصواب، ويبطل الباطل مهما كثر وزاد .

والحمد لله هيا الله تبارك تعالی للسنة النبوية في أيامنا هذه عدداً من أهل العلم يبينون الحق ويبطلون الباطل ، تحدثوا وكتبوا، وحاضروا وخطبوا، وسيظلون على هذا

النهج إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن هؤلاء المدافعين عن السنة النبوية الأخ الباحث / عماد الشريبي ، ففي كتابه السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام استعراض أقوال أعداء السنة النبوية ، وعزا كل قول لصاحبه ، وذكر مصدر كل قول، وكر على كل قول بما أبان كذبهم وافتراءهم .  
لقد استعرض - وفقه الله - شبههم ، ورد عليها بالدليل القاطع والبرهان الساطع، وهو من أهل الحديث النبوي الشريف، وهذا مكنه من إيراد الدليل من كتب السنة المطهرة، يعزو الحديث لمصدره ، ويبين صحته وثبوته، وله دراية باللغة ، وحس بأدبها، وهذا مكنه بفضل الله من إبراز الحق في الموضوع الذي يدرسه .

وأیضا للأخ عماد نفس طويل في تتبع ما قيل عن السنة النبوية من أعدائها، ودراية بتناقل افتراءاتهم ، مما مكنه من إبراز تاريخ الشبهة ثم دحضها .  
وأسأل الله أن يتقبل من الأخ عماد عمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .  
والحمد لله رب العالمين .

١٧ / ٥ / ١٤٢٢ هـ

٧ / ٨ / ٢٠٠١ م

أ. د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي

أستاذ الحديث بجامعة الأزهر

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، شرع لنا ديناً قويمًا، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وهو اللطيف الخبير، الحمد لله رب العالمين الذى هدانا وعلمنا، ومنَّ علينا، وتفضل ببلوغ المراد من خدمة سنة سيد المشرِّعين، التى فسرت الكتاب الكريم، وبينته للناس، وحيأً بوحي، ونوراً بنور، فاكتمل بهما الدين القويم، والصراط المستقيم.

اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، أنت رب العالمين، سبحانه لا نخصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، ليكون أميناً على وحيه، مبيناً لكتابه، خاتماً لأنبيائه ورسله، ولتقوم به الحجة على هذه الأمة إلى يوم الدين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله، وصحبه البررة الأوفياء، أئمة الدين، وصفوة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين.

ورضى الله عنم تبع سنتهم، وسلك طريقتهم، واقتفى أثرهم، ونصرهم إلى يوم الدين.

### ثم أما بعد

فإن الله ﷻ بعث سيدنا محمداً ﷺ على فترة من الرسل، ليكون هداية للبشر جميعاً، وليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل عليه وحيين عظيمين :

أولهما : كتاب الله ﷻ الذى وصفه بقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١﴾ وقال تعالى :

(١) الأيتان ٤١، ٤٢ من سورة فصلت.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١).

تانيهما : السنة الغراء، والتي هى البيان لكتاب الله ﷻ، وهذا البيان أسنده رب العزة إلى نبيه ﷺ، فقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

ووصف رب العزة هذا البيان بأنه منزل من عنده ﷻ فقال : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (٤).

ووصف ﷻ هذا البيان بأنه وحى يوحى فقال ﷻ : ﴿وَمَا يَنْطُسُقُ عَنْ الْهَوَىٰ﴾ (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٥).

وبهذا البيان، كانت علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة، علاقة متلازمة لا ينفصل أحدهما عن الآخر؛ فالسنة المطهرة كالروح للبدن، والنور للعين، بل إن الضرورة إليها أكثر من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها. وبالقرآن والسنة معاً قام بناء الإسلام، وتأسست دولة الإسلام، واستمدت منهجها من المصدرين معاً.

وقد كانت أمة الإسلام حتى وفاة النبي ﷺ، وصدر من عصر صحابته أمة، على منهج واحد فى التسليم لنصوص الوحيين الكتاب والسنة، وعدم التقدم بين يديهما، ولم يعارضوا نصاً ولم يحرفوه، ولم يقبلوا قول كائن من كان، إذا خالف كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ.

على هذا المنهج سار الصحابة الكرام، ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان، إلى أن بدأت الأقوال الشاذة، والاتجاهات المنحرفة تظهر فى ساحة الإسلام، فظهر الكلام فى القدر، والوعد والوعيد، والطعن فى الصحابة، والكلام فى صفات الله ﷻ وغير

(١) الآية ٥٢ من سورة الشورى.

(٢) الآية ٤٤ من سورة النحل.

(٣) الآية ٦٤ من سورة النحل.

(٤) الآيتان ١٨، ١٩ من سورة القيامة.

(٥) الآيتان ٣، ٤ من سورة النجم.

ذلك .

فتبنى ذلك أقوام ونصروا تلك الأقوال وعضدوها، فتكونت من ذلك فرق ونحل، واحتدم بينهم الخلاف، واشتد النزاع، وبدأت الفرقة، فلهجات كل فرقة إلى القرآن الكريم لتنصر أفكارها وتعصد أقوالها، فأعجزهم القرآن أن يجدوا فيه ما يدعم ذلك الباطل؛ فسلطوا عليه معاول التأويل، ثم انتقلوا إلى السنة ليجدوا فيها ما يتمنون، فلم يفلحوا، فوضعت هنالك أحاديث، وطعن في أخرى، وحُرِّفَ كثير منها، وتجاسرت العقول على نصوص الوحي، فواجهتها بالرد والتكذيب والتحريف والتبديل .

وكان لآراء تلك الفرق في الصحابة، ونظرتهم إلى الحديث والمحدثين، ورميهم بإيهاهم بحمل الكذب، ورواية المتناقض، وذمهم ومبالغتهم في انتقاصهم، أكبر الأثر فيما أثير حول السنة النبوية من شبهات وقد مهدت تلك الفرق وعلى رأسها المعتزلة السبيل، وفتحوا الباب على مصراعيه، فولج منه كثير من أعداء هذا الدين من اليهود والنصارى .

وإذا كانت في القرن الثاني الهجري هبت أعاصير عاتية تهدف إلى الإطاحة بالسنة، وإبعاد المسلمين عنها، وتشكيكهم في طرق نقلها ورواتها ...، فقد كانت في القرن الثاني أيضاً العلامات البارزة في طريق رعاية السنة النبوية الكريمة وتوثيقها ... وقبض الله ﷻ أئمة كباراً في هذا القرن، وقفوا في وجه هذه الأعاصير يردون كيدها، حتى ارتدت سهام العابثين إلى نحورهم، وأصبحت ذكراهم في كتب الرجال تهيج مشاعر الغضب نحوهم، والسخط عليهم من كل غيور على دينه، جزاء إثمهم وافترائهم على نبينا ﷺ، وما أقدموا عليه من تشويه سنته المطهرة .

وما أشبه الليلة بالبارحة كما يقولون!، فقد نبئت نابتة في عصرنا الحديث تشكك في السنة، في هجمة شرسة غاشمة، لم نسمع بمثلها من قبل، هجمة تكاثفت لها كل قوى الشر والبغى من الشيوعيين الملاحدة، والصليبيين، والصهاينة، ودعاة اللادينية من العلمانيين، والبهايين، والقاديانيين، وغيرهم ممن يجمعهم معسكر العداء للإسلام وأهله، وزعمت هذه النابتة أن السنة حرفت وبدلت ... وأن أسس توثيقها كانت واهية وشكلية، ولم تنهض بعبء الحفاظ عليها .

ومن المؤسف حقاً أن يكون من بين أبناء الإسلام من يزعم بصريح اللفظ : لا حجة في السنة، إنما الحجة في القرآن وحده دون سواه، وقد وجدنا بعضاً من هؤلاء في لاهور بباكستان، وسمت نفسها جماعة القرآن، وهي أعدى أعدائه، إذ تتهجم على تفسيره. وهي لا تعرف من العربية حرفاً واحداً، وتعتمد على تراجم شائثة. وتعتبر ما فيها هو الحجة من غير احتياج لسنة رسول الله ﷺ.

وإن هؤلاء إن استقام لهم طريقهم لأدى ذلك إلى أن يصاب القرآن بما أصيبت به الكتب السابقة، إذ اعترأها التغيير والتبديل بسبب التراجم، وضاع الأصل.

وقد وجدنا مثل هذا الفريق في مصر، وبعضهم يتبوأ مراكز علمية عالية، ويتستر وراء بعض الألقاب كمستشار، أو دكتور، أو مفكر إسلامي ... إلخ، وقد قمت بصحبة بعضهم، للاطلاع على أحوالهم وأساليبهم في الكيد للسنة المطهرة، ورأيت كيف يخططون وينسقون مع بعضهم البعض، ورأيت كيف يستمدون المعونة ممن يكيلون لديننا ولأمتنا الإسلامية ليل نهار. من أعداء الإسلام الظاهرين، فالتقوا جميعاً على هجوم شرس غاشم على السنة المطهرة.

ومن الواضح أن المؤامرات العدائية للإسلام تلبس في كل عصر لبوسها، فهي حين يكون المسلمون أقوياء تأخذ طريق التهديم الفكري والخلقي، والاجتماعي، وحين يكونون ضعفاء تتخذ طريق الحرب والتجمع، وتستهدف الإبادة والإفناء، فإذا عجزت طريق الحرب عن تحقيق أهدافها، انقلبت إلى طريق فكري خداع، تستهوى عقول الغافلين أو المغفلين، فينبئ للإسلام في داخل أسواره نابتة تنحرف شيئاً فشيئاً عن عقيدة الإسلام السمحة، المشرقة، حتى تنتهي إلى عقائد، وأفكار تخالف المبادئ الأساسية للإسلام، وتحقق الأهداف الرئيسية التي يسعى إليها أعداؤه، من حيث أنهم لا علاقة لهم بهذا التخريب والتهديم.

والذي يمكن أن أقرره هنا ... أن علل الأمة وأدواؤها، لا تأتيها من الخارج بمقدار ما تأتيها من الداخل، ومن نفسها قبل غيرها.

ولله در من قال : ما أخشى على المسلمين إلا من المسلمين، ما أخشى من الأجانب كما أخشى من المسلمين، وهو كلام أصاب كبد الحقيقة<sup>(١)</sup>.

(١) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ لشكيب أرسلان ص ٦٧ .

فالخطر الأكبر من هذا الهجوم الشرس على السنة المطهرة في عصرنا يأتي ممن ينتسبون إلى الإسلام، ممن هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، وهذا ما دفعني إلى اختيار موضوع هذا الكتاب «السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام في الكتابات العربية».

وقد هدفت من كتابته إلى عدة أهداف منها :

أولاً : كثرة الأعاصير التي تهب في وجه السنة النبوية من جميع أنحاء الدنيا، مستهدفة نحو أثرها، وقلع جذورها، حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لحياة رسول الله ﷺ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته .

فأحييت أن تكون لي مشاركة في صد تلك الأعاصير، وإيقاف زحفها مع من بذلوا جهوداً في الدفاع عن السنة لحماية حصنها من التهديم والتخريب، راجياً بذلك المثوبة من الله تعالى .

ثانياً : بيان أن السنة حجة لا نزاع فيها بين المسلمين، وأنها ضرورة دينية، ومن أنكر حجيتها بشروطها المعروفة في الأصول كفر، وخرج عن دائرة الإسلام .  
ثالثاً : أن يكون هذا البحث هادياً لمن تأثر من أبناء الإسلام بشبهات أعداء السنة، وأساليبهم في الكيد لها، مما يوجب على من عرف الحق أن يأخذ بأيديهم إلى بر الأمان .

رابعاً : إرادة الإسهام في كشف القناع عن أساليب، وحقيقة أعداء السنة، من أهل الأهواء والبدع قديماً، من الخوارج، والشيعة، والمعتزلة، ومن أحيا فكرهم في العصر الحديث من المستشرقين، وأذياهم من دعاة اللادينية من العلمانيين، والبهائيين، والقاديانيين ... فلا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية، ولا يستبين الحق أو الرشد من لم يتبين الباطل أو الغي . كذلك لا ينافع عن الإسلام من لم يعرف أعداءه ومحاربيه، ومن لم يدرس خططهم، وأساليبهم، ولا يقدر على الحرب من لم يتعرف أرض المعركة . وإنها معركة ليست أقل من المعارك الحربية التي خاضها المسلمون، ولا يزالون في بعض الأماكن .

إن الأخيرة قد استهدفت بالدرجة الأولى الأرض والثراب أما هذه - وهنا مكنم خطورتها- فإنها تستهدف القلب والفكر والوجدان وهي - لعمرى - أعز على الله ،

وأعز علينا من الأرض والتراب؟ ولا يخالجننا ذرة من شك أن الشراك التي نصبت شرها وكيدها من شبهات ساقطة، وطعون واهية، غير مستندة إلى دليل، ولا قائمة على برهان، وإنما هي مجرد قولٍ قاله، وافتراءً افتراه، أناس سادرون في غيهم، للتشكيك في حجية السنة، والتنفير من التمسك بها، والاهتداء بهديها، ليتسنى لهم القضاء عليها أولاً، ثم يخلصوا منها للقضاء على القرآن ثانياً، وبذلك يتحقق لهم من هدم الدين ما ينشدون، وقد أخبرنا الله ﷻ بذلك إذ يقول تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (١) ولكن وإن سَعَوْا ما أمكنهم، فلن يصلوا إلى هدفهم المنشود، وغايتهم المطلوبة، بل سيظلون يتخبطون تخبطاً عشوائياً في متاهات مظلمة كثيرة الالتواء صعبة المخرج، إلى أن يموتوا غيظاً وكمداً وحقدًا؛ لأن الله ﷻ تكفل بحفظ دينه من كل من يريد به سوء، وحفظ أهله من كل من يريد به بشر، كما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣).

وما شأن شرادم البغي - قديماً وحديثاً - ومحاولاتهم النيل من السنة المطهرة إلا كشأن من قال عنه الأعشى بن قيس :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها \*\*\* فلم يضرها وأوهى قرنة الوعل  
وهم يبغيهم وقالتهم الكاذبة، إنما يظلمون أنفسهم ودينهم، قال تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٣).

### خطة البحث :

نظراً لتعدد جوانب الموضوع وتشعبها، وكثرة الشُّبه وتداخلها، فقد تنوعت مصادره، مما حتم على مطالعة العديد من الكتب في أنواع العلوم المختلفة، وتجميع المادة العلمية من مظانها، يستوى في ذلك كتب الهجوم على السنة المطهرة، أو كتب الدفاع عنها، مما أدى إلى استنفاد جهد، ووقت ليس بالقليل . ولكن أحمد الله ﷻ

(١) جزء من الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

(٢) الآيات ٣٢، ٣٣ من سورة التوبة .

(٣) جزء من الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

الذى أعاننى على ذلك .

وقد قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة :

أما المقدمة فقد ضمنتها : سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطة البحث ومنهج البحث فيه .

أما التمهيد ففيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: كلمة فى الاصطلاح . معرفة الفوارق بين المعانى اللغوية والمعانى الاصطلاحية .

المبحث الثانى : التعريف بالسنة فى مصطلح علمائها . وتحت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف « بالسنة » و « الحديث » فى اللغة .

المطلب الثانى : التعريف « بالسنة » و « الحديث » فى الاصطلاح .

المطلب الثالث : شبهة حول التسمية والرد عليها .

المبحث الثالث : الحديث النبوى بالسند المتصل من خصائص الأمة الإسلامية .

المبحث الرابع : الحديث النبوى تاريخ الإسلام .

المبحث الخامس : دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم .

أما الأبواب فهى :

الباب الأول : التعريف بأعداء السنة النبوية، وفيه تمهيد وأربعة فصول :

التمهيد : وفيه التعريف بأعداء لغةً وشرعاً .

الفصل الأول : أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع قديماً (الخوارج، والشيعة، والمعتزلة)

الفصل الثانى : أعداء السنة النبوية من المستشرقين .

الفصل الثالث : أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع حديثاً (العلمانية، والبهائية، والقاديانية) .

الفصل الرابع : أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً فى الكيد للسنة النبوية المطهرة .

الباب الثانى : وسائل أعداء السنة قديماً وحديثاً فى الكيد للسنة النبوية المطهرة ويشتمل على ستة فصول :

الفصل الأول : شبهات حول حجية السنة النبوية .

الفصل الثانى : وسيلتهم فى التشكيك فى حجة خير الآحاد .  
 الفصل الثالث : وسيلتهم فى الطعن فى رواية السنة المطهرة .  
 الفصل الرابع : وسيلتهم فى الطعن فى الإسناد وعلوم الحديث .  
 الفصل الخامس : وسيلتهم فى الطعن والتشكيك فى كتب السنة المطهرة .  
 الفصل السادس : وسيلتهم فى الاعتماد على مصادر غير معتبرة فى التأريخ للسنة ورواتها .

الباب الثالث : نماذج من الأحاديث الصحيحة المطعون فيها والجواب عنها . ويشتمل على تمهيد وعشرة فصول :  
 التمهيد ويتضمن بيان :

أ- طبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها .

ب- طبيعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها .

الفصل الأول : حديث «إنما الأعمال بالنيات» .

الفصل الثانى : حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» .

الفصل الثالث : أحاديث «رؤية الله ﷻ» و«حاجة آدم موسى عليهما السلام» و«الشفاعة» .

الفصل الرابع : أحاديث «ظهور المهدي» و«خروج الدجال» و«نزول المسيح عليه السلام» .

الفصل الخامس : حديث عذاب القبر ونعيمه .

الفصل السادس : أحاديث «خلوة النبي ﷺ بامرأة من الأنصار»، و«نوم النبي ﷺ عند أم سليم، وأم حرام»، وحديث «سحر النبي ﷺ» .

الفصل السابع : حديث رضاعة الكبير ، شبهات الطاعنين فيه والرد عليها .

الفصل الثامن : حديث وقوع الذباب فى الإناء .

الفصل التاسع : ثمرات ونتائج الحديث الصحيح .

الفصل العاشر : مضار رد الأحاديث النبوية الصحيحة .

الخاتمة : وفيها نتائج هذه الدراسة، ومقترحات، وتوصيات، والفهارس العلمية للبحث .

هذا ولم أتعرض لتحرير مبحث أو مطلب إلا بعد أن رجعت إلى ما أمكنتني الإطلاع عليه : من الكتب المؤلفة فيه كبيرها وصغيرها : فقد يوجد في الصغير، مالا يوجد في الكبير، ويستوى في ذلك كتب المهجوم على السنة أو الدفاع عنها .

ولم أكتب شيئاً إلا بعد أن اعتقد صحته، واطمئن إليه، غير متأثر برأى أحد - ممن كتب فيه - كائناً من كان، معاصراً أو غير معاصر، ولم أتردد في مخالفته متى تبين لي أنه قد اخطأ، مع بيان وجهة نظري في ذلك، ومع احترامى له، واعترافي بفضلته، وتقديرى لعلمه، واعتقادي أنه «صاحب آيات، وسباق غايات» .

وقد يؤخذ علىّ : أنى قد أطلت في بعض المباحث، أو كررت بعض العبارات، أو أظهرت في محل إضمار، أو غير ذلك. ولكنى قصدت بهذا كله : توفية البحث حقه، وإتمام الفائدة، وزيادة الإيضاح، وعدم وقوع الناظر في اللبس .

وإذا كانت الدراسة الموضوعية الصادقة هي تلك التي تعتمد على النصوص والوثائق فقد التزمت في هذا الكتاب - إلى حد كبير - بإيرادها كشواهد ودلائل على ما عاجلته من فكر ومبادئ...

#### منهجى فى البحث :

١- كل ما عرضته فى الكتاب من شبه ومطاعن أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً، المتضمنة الطعن فى السنة النبوية المطهرة، فإنى قرنت ذلك بالرد الحاسم الذى يبين بطلان وزيف تلك الشبه والمطاعن معتمداً فى ذلك على نقول من كتب أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً، فعاجلت الفكرة بالفكرة ووضحت قول الإمام بقول إمام آخر، فإن كان من جهد فى هذا الكتاب فإنما هو ثمرة الوقوف على أكساف العلماء، ونتاج المربين الذين ربونا صغاراً، وحملونا كباراً، والمنة لله وحده، وهو ولى الجزاء وشكر الله للعلماء بذلهم .

٢- بينت مواضع الآيات التى وردت فى الكتاب بذكر اسم السورة ورقم الآية فى الهامش، مع وضع الآية بين قوسين .

٣- عزوت الأحاديث التى أوردتها فى الكتاب إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة المعتمدة، فإن كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، بذكر اسم الكتاب، واسم الباب، وذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث مع البيان

غالباً لدرجة الحديث من خلال أقوال أهل العلم بالحديث، إن كان الحديث من غير الصحيحين، واقتصرت على التخريج من كتب السنن الأربعة إذا كان الحديث في غير الصحيحين، وفيما عدا ذلك اقتصر على ما يفيد ثبوت الحديث أو رده.

- ٤- اعتمدت في التخريج من الصحيحين على طبعتي البخارى (بشرح فتح البارى) لابن حجر، والمنهاج شرح مسلم للنووى، لصحة متون الأحاديث في الشرحين، ولصحة عرضهما على أصول الصحيحين، وتسهيلاً للقارئ لكثرة تداول تلك الشروح، وإتماماً للفائدة بالاطلاع على فقه الحديث المخرج.
- ٥- التزمت عند النقل من أى مرجع، أو الاستفادة منه الإشارة إلى رقم جزئه وصفحته بالإضافة إلى ذكر طبعات المراجع فى فهرست.
- ٦- عند النقل من فتح البارى، أو المنهاج شرح مسلم للنووى أذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث الوارد فيه الكلام المنقول، تيسيراً للوصول إلى الكلام المنقول، نظراً لاختلاف رقم الصفحات تبعاً للطبعات المتعددة.
- ٧- اكتفيت فى تراجم الأعلام من الصحابة بذكر مصادر تراجمهم بذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الترجمة، ولم أترجم لهم لعدالتهم جميعاً، ولم أخالف فى ذلك إلا فى القليل عندما تقتضى الترجمة الدفاع ضد شبهة.
- ٨- ترجمت لكثير من الأعلام الذين جرى نقل شيء من كلامهم، مع ذكر مصادر تراجمهم، بذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الترجمة.
- ٩- شرحت المفردات الغريبة التى وردت فى بعض الأحاديث مستعيناً فى ذلك بكتب غريب الحديث، ومعاجم اللغة، وشروح الحديث.

ثم ختمت الكتاب بفهارس سبعة هى:

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث والآثار.
- ٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٤- فهرس الأشعار.
- ٥- فهرس القبائل والبلدان والفرق.

٦- فهرس المصادر والمراجع .

٧- فهرس الموضوعات التي اشتمل عليها الكتاب .

هذا وإنى -يعلم الله- ما فرطت ولا توانيت ولا كان منى ميل إلى كسل أو ركون إلى راحة، فإن فاتنى شئ فى أثناء الكتابة، أو لم أذكر أمراً كان ينبغى ذكره، أو طراً على سهو أو نسيان، فهذا لأن عمل الإنسان لا يخلوا من نقص مهما كانت عنايته . وعذرى فى ذلك أن الكمال المطلق لله ﷻ .

فما كان فى الكتاب من صواب، فهو من الله ﷻ وبتوقيقه، وما كان من خطأ فمن نفسى، ومن الشيطان، والله برىء منه ورسوله، والله وحده الكمال والعزة والجلال .

وفى الختام : أحمد الله - سبحانه وتعالى - على عونه وتوقيفه لإتمام هذا الكتاب حيث سهل لى صعبه، وذلّل أمامى عقباته، وإنى لأرى لزماً على أن أسجل هنا وافر شكرى، وعظيم تقديرى، وصادق دعواتى لفضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور إسماعيل عبد الخالق الدفتار ، الذى أحاطنى بنصائحه، وتوجيهاته السديدة، وإرشاداته العديدة، حتى خرج هذا الكتاب إلى حيز الوجود، فاسأل الله ﷻ أن يبارك فى دينه، وبدنه، وأهله، وولده، وأن يجزيه عنى وعن الإسلام خير الجزاء .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أقدم شكرى أيضاً : لكل من أفادنى من مشايخى وزملائى بكتاب، أو إرشاد، أو أى نوع من المساعدة ...

اللهم تقبل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم . اللهم اجعلنى جنداً من جنود كتابك، جنداً من جنود سنة نبيك ﷺ، اللهم لا تعذب لسانا يخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشى إلى خدمتك، ولا يداً تكتب حديث رسولك، فبعزتك لا تدخلنى النار، فقد علم أهلها أنى كنت أذب عن دينك . اللهم آمين،

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا ومولانا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الراجى عفو ربه الغفور

عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني



# مَهْيَدٌ

وفيه خمسة مباحث :

- ١- المبحث الأول : كلمة فى الاصطلاح. معرفة الفوارق بين المعانى اللغوية والمعانى الاصطلاحية .
- ٢- المبحث الثانى : التعريف بالسنة فى مصطلح علمائها .
- ٣- المبحث الثالث : الحديث النبوى بالسند المتصل من خصائص الأمة الإسلامية
- ٤- المبحث الرابع : الحديث النبوى تاريخ الإسلام .
- ٥- المبحث الخامس : دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم .



## المبحث الأول كلمة فى الاصطلاح

### معرفة الفوارق بين المعانى اللغوية والمعانى الاصطلاحية

معرفة الفوارق بين المعانى فى اللغة وبينها فى الاصطلاح مبحث فى غاية الأهمية، لا سيما وقد ظهر الخلط بين هذه المعانى عند أعداء الإسلام والسنة المطهرة فى هجومهم على السنة، فهم لا يكادون يهتمون بمعرفة تلك الفروق، إما عن جهل يجرمهم إلى أسوأ الأحكام وأنعس النتائج بإنكار حجية السنة المطهرة، وإما عن علم متعمد لا يهتمون ولا يبينون الفوارق بين المعانى فى اللغة وبينها فى الاصطلاح بقصد تضليل القارئ وتشكيكه فى حجية السنة المطهرة ومصدريتها التشريعية<sup>(١)</sup>.

يقول أبو هلال العسكري<sup>(٢)</sup> فى كتابه (الفروق فى اللغة) :

"الفرق بين الاسم العرفى والاسم الشرعى : أن الاسم الشرعى ما نقل عن أصله فى اللغة فسمى به فعل أو حكم حدث فى الشرع نحو الصلاة والزكاة والصوم والكفر والإيمان والإسلام وما يقرب من ذلك، وكانت هذه أسماء تجرى قبل الشرع على أشياء، ثم جرت فى الشرع على أشياء أخرى، وكثر استعمالها حتى صارت حقيقة فيها، وصار استعمالها على الأصل مجازاً، ألا ترى أن استعمال (الصلاة) اليوم فى الدعاء مجاز، وكان هو الأصل. والاسم العرفى ما نقل عن بابه بعرف الاستعمال نحو قولنا (دابة) وذلك أنه قد صار فى العرف اسماً لبعض ما يدب وكان فى الأصل اسماً لجميعه.

وعند الفقهاء أنه إذا ورد عن الله ﷻ خطاب قد وقع فى اللغة لشيء واستعمل فى العرف لغيره، ووضع فى الشرع لآخر، فالواجب حمله على ما وضع فى الشرع؛ لأن ما وضع له فى اللغة قد انتقل عنه، وهو الأصل فيما استعمل فيه بالعرف أولى بذلك

(١) ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير نصر ص ٢٥ بتصرف، وانظر السنة فى مواجهة أعدائها للدكتور طه حبيشى ص ٢٣ وما بعدها.

(٢) أبو هلال العسكري : هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، لغوى، مفسر، شاعر، أديب. من مصنفاته لحن الخاصة، والتخليص فى اللغة، والفروق، والمحاسن فى تفسير القرآن، توفى بعد سنة ٣٩٥هـ. له ترجمة فى : طبقات المفسرين للسيوطى، ص ٣٣ رقم ٢٩، وطبقات المفسرين للدوادى ١/ ١٣٨ رقم ١٣١، ومعجم الأدباء للسيوطى ٣/ ١٣٥، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ٣/ ٢٤٠.

وإن كان الخطاب في العرف لشيء وفي اللغة بخلافه وجب حمله على العرف، لأنه أولى، كما أن اللفظ الشرعي يحمله على ما عدل عنه، وإذا حصل الكلام مستعملاً في الشريعة أولى على ما ذكر قبل، وجميع أسماء الشرع تحتاج إلى بيان نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾<sup>(١)</sup> إذ قد عرف بدليل أنه أريد بها غير ما وضعت له في اللغة، وذلك على ضربين أحدهما يراد به ما لم يوضع له البتة نحو الصلاة والزكاة، والثاني يراد به ما وضع له في اللغة لكنه قد جعل اسماً في الشرع لما يقع منه على وجه مخصوص، أو يبلغ حداً مخصوصاً فصار كأنه مستعمل في غير ما وضع له وذلك نحو الصيام والوضوء وما شاكله<sup>(٢)</sup>.

فالللمصطلح إذن معنيان، معنى لغوي، ومعنى شرعي، أي دلالة لغوية ودلالة اصطلاحية، وقد يكون المعنى الاصطلاحي بعيداً عن المعنى اللغوي، بل قد تكون الكلمة لها أكثر من معنى في اللغة وأكثر من معنى في الاصطلاح ككلمة "السنة" مثلاً. فهي فضلاً عن معانيها اللغوية المتعددة، والتي سيأتي ذكرها، لها أكثر من معنى اصطلاحى عند المحدثين، والفقهاء، والأصوليين كما سيأتي.

فالذي لا يعرف هذه الفوارق الاصطلاحية لا شك واقع في الخطأ، وسوف يضل ضلالاً مبيناً، وهذه الفوارق استغلها أعداء الإسلام والسنة المطهرة استغلالاً بشعاً ينبئ عن حقدهم الدفين على الإسلام وأهله، فنراهم في هجومهم على السنة المطهرة يركزون على بعض معانيها اللغوية أو الاصطلاحية مهملين عن جهل تارة، وعن علم تارة أخرى باقي معانيها الاصطلاحية بغية الوصول إلى هدفهم وغايتهم من التشكيك في حجيتها وعدم العمل بها ومن ذلك تركيزهم على معنى السنة في اصطلاح الفقهاء وهي ما ليس بواجب مما يمدح فاعلها ولا يذم تاركها<sup>(٣)</sup>. وهذا التعميم في تعريف السنة محض الضلال<sup>(٤)</sup>، إذ فيه صرف هذه الكلمة عن معناها الاصطلاحى عند رجال الأصول وعلى أنها مصدر تشريعى مستقل ملازم للقرآن الكريم في الاحتجاج، وأن

(١) جزء من الآية ٤٣ من سورة البقرة.

(٢) الفروق في اللغة ص ٥٦.

(٣) البحر المحيط للزركشى ١/ ٢٨٤، وإرشاد الفحول للشوكاني ١/ ١٥٥، وأصول الفقه للشيخ محمد الخضرى ص ٥٤، وأصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص ١١١.

(٤) انظر تعميم محمود أبو ريه لذلك في أضواء على السنة ص ٣٨.

الأحكام التكليفية الخمسة تدور فيها، كما تدور في القرآن الكريم بالتمام<sup>(١)</sup>.

ومن المعاني اللغوية التي يركز عليها أعداء الإسلام في تعريفهم بالسنة معناها الوارد بمعنى الطريقة والسيرة، حسنة كانت أو سيئة، ويعبرون عن ذلك المعنى بالعادة والعرف كما قال المستشرق «جولد تسيهر»<sup>(٢)</sup> : "السنة هي جماع العادات والتقاليد الوراثية في المجتمع العربي الجاهلي؛ فنقلت إلى الإسلام، فأصابها تعديل جوهرى عند انتقالها، ثم أنشأ المسلمون من المأثور من المذاهب والأقوال والأفعال والعادات لأقدم جيل من أجيال المسلمين سنة جديدة"<sup>(٣)</sup>. وتابعه على ذلك سائر من جاء بعده من المستشرقين<sup>(٤)</sup>.

وردد هذا الكلام الدكتور على حسن عبد القادر<sup>(٥)</sup> في كتابه «نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامى» فقال : "وكان معنى السنة موجوداً في الأوساط العربية قديماً، ويراد به الطريق الصحيح في الحياة للفرد وللجماعة، ولم يخترع المسلمون هذا المعنى، بل كان معروفاً في الجاهلية، وكان يسمى عندهم سنة هذه التقاليد العربية وما وافق عادة الأسلاف. وقد بقى هذا المعنى في الإسلام في المدارس القديمة في الحجاز، وفي العراق أيضاً، بهذا المعنى العام يعنى العمل القائم، والأمر المجتمع عليه في الأوساط الإسلامية والمثل الأعلى للسلوك الصحيح من غير أن يختص ذلك بسنة النبي ﷺ وأخيراً حدد هذا المعنى، وجعلت السنة مقصورة على سنة الرسول ﷺ ويرجع هذا التحديد

(١) ضوابط الرواية عند المحققين ص ٢٥، ٢٦ بتصرف.

(٢) جولد تسيهر : مستشرق مجرى يهودى، رحل إلى سورية وفلسطين ومصر، ولازم بعض علماء الأزهر . له تصانيف باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية . ترجم بعضها إلى العربية، قال الدكتور السباعي : "عرف بعداته للإسلام وبخطورة كتاباته عنه، ومن محررى دائرة المعارف الإسلامية" كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه : تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى و"العقيدة والشرعية فى الإسلام" و"فضائح الباطنية" وغير ذلك مات سنة ١٩٢١م له ترجمة فى: الأعلام للزركلى ١/ ٢٨٤، والاستشراق للدكتور/ للسباعي ص ٣١-٣٢، وأراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره للدكتور عمر إبراهيم ١/ ١٦١ - ١٦٢ .

(٣) العقيدة والشرعية فى الإسلام ص ٤٩، ٢٥١ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٣٠، وانظر دراسات فى الحديث للدكتور الأعظمى ١ / ٥-١١، ومنهجية جمع السنة وجمع الأنجيل للدكتور عزية على طه ص ٦٢، ١٢٢، ١٢٣ .

(٥) على حسن عبد القادر : أستاذ تاريخ التشريع الإسلامى، حاصل على العالمية فى الفلسفة من ألمانيا، وبحاز من كلية أصول الدين فى قسم التاريخ، وعميد كلية الشريعة بالأزهر الشريف سابقاً، من مؤلفاته : نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى .

إلى أواخر القرن الثاني الهجرى، بسبب طريقة الإمام الشافعى التى خالف بها الاصطلاح القديم<sup>(١)</sup>.

وأقول : نعم، لفظ السنة ومعناها كان معروفاً فى لغة العرب قبل الإسلام ولم يخترع المسلمون هذه الكلمة ولا معناها، ولكن ليس الأمر كما زعم المستشرقون والدكتور على حسن عبد القادر من أن معنى السنة فى صدر الإسلام العادة والعرف<sup>(٢)</sup> الجاهلى، أو أنها الطريق الصحيح فقط، وإنما تشمل الطريق الصحيح وغير الصحيح على رأى جمهور علماء اللغة، ويؤيدهم فى الإطلاق القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والأشعار الجاهلية على ما سيأتى.

كما أن استعمال القرآن الكريم والسنة المطهرة لكلمة السنة بالمعنى اللغوى لا يعنى ذلك أن هذا المعنى اللغوى (الطريقة) أو (السيرة) أو (العادة) هو المراد شرعاً بالسنة، فهذه الكلمة انتقلت من معناها اللغوى إلى المعنى الاصطلاحى (سنة رسول الله ﷺ الشاملة لأقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية ...) وهى بهذا المعنى مصدر تشريعى ملازم للقرآن الكريم لا ينقك أحدهما عن الآخر.

وهذا المعنى الاصطلاحى لكلمة السنة كان محدداً ومعلومًا فى صدر الإسلام والنبى ﷺ بين ظهرائى أصحابه<sup>(٣)</sup> وليس الأمر كما زعم الدكتور حسن تابعاً للمستشرقين أن هذا المعنى الاصطلاحى للسنة تحدد فى أواخر القرن الثانى الهجرى....

ومن المعانى اللغوية التى يركز عليها أعداء الإسلام فى تعريفهم بالسنة معناها الوارد بمعنى الطريقة، ثم يعرفون السنة النبوية؛ بأنها الطريقة العملية أو السنة العملية، أما أقواله وتقريراته وصفاته ﷺ فليست من السنة، وإطلاق لفظ حديث أو سنة على ذلك

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص ١٢٢، ١٢٣ .

(٢) يصح تعريف السنة بالعادة والعرف، ولكن المراد بالعادة فى هذه الحالة عادة الرسول ﷺ أى ما عمله أو آفقه أو رآه فلم ينكره، وهى فى هذه الحالة من الدين . كما تطلق أيضاً على السيرة العملية لحياة الصحابة ﷺ، ولا تعنى العادة والعرف السائد فى الجاهلية كما يوهمه كلام جولد تسيهر ومن قال بقوله انظر: حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٤٩-٥١، والمداخل إلى السنة النبوية لأستاذنا الفاضل الدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ٢٦، ٢٥ .

(٣) سنن الأحدث التى تشهد بذلك انظر : ص ٤٣، ٤٤، ٤٥ .

إنما هو في نظرهم اصطلاح مستحدث من المحدثين ولا تعرفه اللغة ولا يستعمل في أدبها، هكذا زعم محمود أبو ريه<sup>(١)</sup> في كتابه (أضواء على السنة المحمدية)<sup>(٢)</sup> تبعاً للدكتور توفيق صدقي<sup>(٣)</sup>.

وفي ذلك أيضاً يقول الدكتور المهندس محمد شحرور<sup>(٤)</sup> في كتابه (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، "إن ما اصطلاح على تسميته بالسنة النبوية إنما هو حياة النبي ﷺ كنبي وكائن إنساني عاش حياته في الواقع، بل في الصميم منه، وليس في عالم الوهم".

وفي موضع آخر يقول: "من هنا يأتي التعريف الخطأ برأينا للسنة النبوية بأنها كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول ومن فعل أو أمر أو نهى أو إقرار. علماً بأن هذا التعريف للسنة ليس تعريف النبي ﷺ نفسه، وبالتالي فهو قابل للنقاش والأخذ والرد وهذا التعريف كان سبباً في تحييط الإسلام، علماً بأن النبي ﷺ وصحابته لم يعرفوا السنة بهذا الشكل، وتصرفات عمر بن الخطاب تؤكد ذلك"<sup>(٥)</sup>.

ويقول نيازي عز الدين<sup>(٦)</sup>: "رجال الدين في القرن الثالث الهجري عرفوا السنة وأضافوا إليها أموراً هي من اجتهادهم، فقد قالوا في تعريفها: "هي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة "كحشته في غار حراء" أم بعدها. وهذا التعريف الموسع الذي أتى في عصر

(١) محمود أبو ريه: كاتب مصري كان منتسباً إلى الأزهر في صدر شبابه، فلما انتقل إلى مرحلة الثانوية الأزهرية أعياه أن ينجح فيها، أكثر من مرة، فعمل مصححاً للأخطاء المطبعية بجريدة في بلده، ثم موظفاً في دائرة البلدية حتى أحيل إلى التقاعد. من مصنفاته التي طعن فيها في السنة والصحابة، أضواء على السنة، وقصة الحديث المحمدى، شيخ المضيرة (أبو هريرة) انظر: السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ٤٦٦ .

(٢) أضواء على السنة ص ٣٩ .

(٣) الدكتور توفيق صدقي: هو الدكتور محمد توفيق صدقي طبيب بمصلحة النجوى بالقاهرة، كتب مقالات في مجلة المنار بعنوان "الإسلام هو القرآن وحده" مات سنة ١٩٢٠م، ترجم له الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار المجلد ٨٣/٢١ وما بعدها، وانظر: مجلة المنار المجلد ١١/ ٧٧٤ .

(٤) محمد شحرور: كاتب سوري معاصر، حاصل على الدكتوراه في الهندسة من الجامعة القومية الإيرلندية في دبلن. من مؤلفاته: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، والإسلام والإيمان منظومة القيم، والدولة والمجتمع.

(٥) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٥٤٦-٥٤٨ .

(٦) نيازي عز الدين: كاتب سوري معاصر، هاجر إلى أمريكا. من مؤلفاته: إنذار من السماء، ودين السلطان، الذي زعم فيه أن السنة المطهرة وضعها أئمة المسلمين من الفقهاء والمحدثين لتثبيت ملك السلطان ومعاوية ﷺ وصار على دربه علماء المسلمين إلى يومنا هذا.

متأخر عن عصر الرسول ﷺ وصحابته قد جر البلاء على الإسلام. وفي موضع آخر يقول: "وإن أغلب الذين أدخلوا أحاديث الرسول ﷺ وأفعاله وتصرفاته الخاصة في الدين فعلوها وهم يعلمون أنهم يفعلون الممنوع، ويقعون في المعصية، لكن الهوى والشيطان كانا أقوى من الإيمان في تلك الفترة، ففعل الشيطان ما يريد" (١).

ومن المعاني اللغوية التي يركزون عليها في تشكيكهم في السنة المطهرة معناها الوارد في القرآن الكريم. بمعنى أمر الله ﷻ ونهيه وسائر أحكامه وطريقته، ويقولون: لا سنة سوى سنة الله ﷻ الواردة في كتابه العزيز، وأنه مستحيل أن يكون لرسول الله سنة، ويكون لله ﷻ سنة، فيشرك الرسول نفسه مع الله ﷻ.

وفي ذلك يقول محمد نجيب (٢) في كتابه (الصلاة): القرآن وما فيه من آيات هو سنة الله التي سنّها وفرضها نظاماً للوجود، واتبعها الله نفسه؛ فهي سنة الله... وليس من المعقول أن يكون للرسول سنة ويكون لله سنة، فيشرك الرسول نفسه مع الله ويكون لكلاهما سنة خاصة وهو أمر مستحيل أن يحصل من مؤمن ومن رسول على الأخص، فما كان لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يترك حكم الله وسنته، ويطلب من الناس أن تتبع ما يسنه هو من أحكام، وليس ذلك إن حصل إلا استكباراً في الأرض، وتعال على الله. يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٣) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٤). وهذا يؤكد وجوب الرجوع لكتاب الله وحده جماع سنة الله (٥).

أ.هـ.

(١) إنذار من السماء ص ٤٠، ١١١.

(٢) محمد نجيب كاتب معاصر. من مؤلفاته (الصلاة) أنكر فيه السنة المطهرة، وزعم أن تفاصيل الصلاة واردة في القرآن الكريم، والكتاب صادر عن ندوة أنصار القرآن، نشر دائرة المعارف العلمية الإسلامية.

(٣) الآية ٢٩ من سورة آل عمران.

(٤) الأيتان ٤٢، ٤٣ من سورة فاطر.

(٥) الصلاة ص ٢٧٦، ٢٧٧.

وفى ذلك أيضاً يقول أحمد صبحى منصور<sup>(١)</sup> فى كتابه (حد الردة) معرفاً بالسنة الحقيقية قائلاً: "سنة الله تعالى هى سنة رسوله عليه السلام ...، الله تعالى ينزل الشرع وحياً، والرسول يبلغه وينفذه، ويكون النبى أول الناس طاعة واتباعاً لأوامر الله تعالى. والله تعالى أمر النبى بأن يقول ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾<sup>(٢)</sup>. والإيمان بالرسول معناه الإيمان بكل ما نزل عليه من القرآن والإيمان بأنه اتبع ذلك الوحي وطبقه، وكان أول الناس إيماناً به وتنفيذاً له<sup>(٣)</sup>."

ويقول قاسم أحمد<sup>(٤)</sup> فى كتابه (إعادة تقييم الحديث): "إنه بالنظر إلى استخدام كلمتى السنة والحديث فى القرآن والذي يعطينا معلومات شيقة، نجد أن كلمة "سنة" تشير فى القرآن إلى النظام أو الناموس الآلى وإلى مثال الأمم السابقة التى لقيت مصيرها. فلم يشير القرآن إلى أن السنة هى سلوك النبى، وهذان الاستخدامان تشير إليهما الآيتان التاليتان :

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٥)</sup> ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

فكلمة "حديث" استخدمت فى القرآن بمعنى "الأخبار" و"القصص" و"الرسالة" و"الشئ" وقد ذكرت ستاً وثلاثين مرة فى مواضع لغوية مختلفة، ولا يشير أى منها إلى ما يعرف بالحديث النبوى. فعلى العكس وردت فى عشرة مواضع من الآيات البينات تشير إلى القرآن وتستبعد بشدة أى حديث إلى جانب القرآن منها هذه الآيات ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾<sup>(٧)</sup> ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ

(١) أحمد صبحى منصور فخرج فى الأزهر وحصل على العالمية فى التاريخ من الجامعة وتبرأ من السنة فترأت منه الجامعة، سافر إلى أمريكا وعمل مع المتنبى رشاد خليفة، يحاضر بالجامعة الأمريكية بمصر، ومدير رواق بن خلدون بالمقطم. من مصنفاته: الأنبياء فى القرآن، والمسلم العاصى، وعذاب القبر والنعبان الأقرع، ولماذا القرآن، باسم مستعار وهو عبد الله الخليفة. انظر قصته هو ورشاد خليفة فى كتابى مسيلم فى مسجد توسان، والدفاع عن السنة الجزء الأول من سلسلة "الإسلام واستمرار للمؤامرة كلاهما لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى.

(٢) جزء من الآية ٩ من سورة الأحقاف.

(٣) حد الردة ص ٤٠.

(٤) قاسم أحمد كاتب ماليزى معاصر، ورئيس الحزب الاشتراكى الماليزى - سابقاً - من مؤلفاته: إعادة تقييم الحديث، أنكر فيه حجية السنة المطهرة.

(٥) الآية ٢٣ من سورة الفتح.

(٦) الآية ٣٨ من سورة الأنفال.

(٧) جزء من الآية ٢٣ من سورة الزمر.

لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ»<sup>(١)</sup>.

هذا والذي زعمه أعداء السنة المطهرة في تعريفهم بالسنة النبوية من أنها الطريقة العملية أو السنة العملية، أو هي سنة الله ﷻ.

وأن تعريف السنة النبوية بأنها «كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة...» اصطلاح مستحدث من المحدثين ولم يعرفه النبي ﷺ ولا أصحابه ﷺ بل كان هذا التعريف سبباً في تحنيط الإسلام.

هذا الزعم الكاذب إنما يدل على ما سبق وأن ذكرته من أن هؤلاء الأعداء يخلطون بين المعاني في اللغة وبينها في الاصطلاح، ولا يهتمون بمعرفتها ولا ببيانها إما عن جهل، وإما عن علم بقصد خداع القارئ وتضليله وتشكيكه في حجية السنة وفي علمائها الذين قيدهم رب العزة لحفظها من التغيير والتبديل تماماً بتمام، كما قيض لكتابه العزيز من يحفظه من العلماء الأفاضل.

لذا كان لزاماً علينا بيان الفوارق بين معاني (السنة والحديث) في اللغة وبينها في الاصطلاح، حيث سيتضح جلياً صدق ما ذكرته من خلطهم وعدم اهتمامهم بتلك الفوارق عن جهل تارة، وعن علم تارة أخرى، كما سيتضح أن السنة النبوية بتعريفها المعلوم عند المحدثين والأصوليين والفقهاء، كان مقصوداً من النبي ﷺ ومعلوماً للصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وأن هذا التعريف للسنة المطهرة كان سبباً في عزة الإسلام وأهله، وليس سبباً في تحنيطه كما يزعم أعداء الإسلام.

كما سيتضح أيضاً أن مصطلح السنة ومصطلح الحديث كانا مترادفين زمن النبوة المباركة وزمن الصحابة ﷺ فمن بعدهم من التابعين وتابعيهم ﷺ وعلى ذلك علماء الشرع الحنيف، خلافاً لأعداء الإسلام الزاعمين: أن مصطلح السنة غير مصطلح الحديث، وأنهما يجب أن يكونا متميزين عن بعضهما فإلى بيان ذلك.

(١٩) الآية ٦ من سورة لقمان، وانظر: إعادة تقييم الحديث ص ٧٧، ٧٨، واستشهاد بهذه الآية على أن لفظ الحديث هو القرآن استشهاد باطل ف (هو الحديث) هنا الأقاصيص والأساطير، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤٤١.

## المبحث الثانى

### التعريف بالسنة فى مصطلح علمائها

وتحتة ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف "بالسنة" و"الحديث" فى اللغة.

المطلب الثانى : التعريف "بالسنة" و"الحديث" فى الاصطلاح.

المطلب الثالث : شبهة حول التسمية والرد عليها.



## المطلب الأول

### التعريف بالسنة والحديث في اللغة

تطلق السنة في اللغة على عدة معان منها :

١- ما يدل على الصقالة والملامسة، ومن ذلك إطلاقها على الوجه أو دائرته، أو صورته، وبهذا المعنى وردت في أشعار العرب قال الأعشى (١) :

كربماً شمائله من بنى \*\*\* معاوية الأكرمين السنن  
حيث أراد بقوله "الأكرمين السنن" الأكرمين الوجوه .  
وقال ذو الرمة (٢) :

تريك سنة وجه غير مقرفة \*\*\* ملساء ليس لها خال ولا ندب  
حيث أراد بقوله "تريك سنة وجه" تريك دائرة وجهها .  
وقال ثعلب (٣) :

بيضاء في المرأة سنتها \*\*\* في البيت تحت مواضع اللمس  
حيث أراد بقوله : "في المرأة سنتها" في المرأة صورتها (٤) .

٢- كذلك ترد السنة بمعنى : السيرة المستمرة، والطريقة المستقيمة، سواء حسنة كانت أم سيئة (٥)، وأصلها اللغوي مأخوذ من قولك : سننت الماء إذا واليت صبه،

(١) الأعشى : هو ميمون بن قيس بن جندل، ينتهي نسبه إلى بكر بن وائل من ربيعة، لقب بالأعشى لسوء بصره، وكنى بأبي البصر تفاؤلاً بالشفاء، أو لنفاذ بصره، وسمى "صناجة العرب" لأنه كان يتغنى بشعره، وتوفي سنة ٥٧هـ . له ترجمة في : الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٢٥٧ رقم ٢١، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٣ / ٣٥٦، وأدباء العرب لبطرس البستاني ١ / ٢١٢ .

(٢) ذو الرمة : ذو الرمة أو الرمة، أبو الحارث غيلان بن بهيس بن مسعود بن عدى، له ديوان شعر مطبوع في مجلد ضخيم، وتوفي سنة ١١٧هـ . له ترجمة في : الأعلام للزركلي ٥ / ٣١٩، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ١١ - ١٧ رقم ٥٢٣، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٥٢٤ رقم ٩٤ .

(٣) ثعلب : هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني بالولاء، إمام الكوفة في النحو واللغة، من كتبه الفصح "له ترجمة في الأعلام للزركلي ١ / ٢٥٢، وبغية الوعاة للسيوطي ١ / ٣٩٦ - ٣٩٨ رقم ٧٨٧ .

(٤) لسان العرب لابن منظور ١٣ / ٢٢٤، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ٤ / ٢٣٣، والمعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وآخرون ١ / ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٥) ختار الصحاح للرازي ص ٣١٧، ولسان العرب ١٣ / ٢٢٥، والقاموس المحيط ٤ / ٢٣٩، والمعجم الوسيط ١ / ٤٥٦ .

وفى لسان العرب : سن عليه الماء : صبه، وقيل : أرسله إرسالاً ليناً ... وسن الماء على وجهه، أى : صبه عليه صباً سهلاً.

قال الجَوْهَرِيُّ<sup>(١)</sup> : سننت الماء على وجهي : أى أرسلته إرسالاً من غير تفريق ... والسنن : الصب فى سهولة ... وفى حديث عمرو بن العاص<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه عند موته : فسنوا على التراب سناً<sup>(٣)</sup> أى ضعوه وضعاً سهلاً<sup>(٤)</sup> فشبهت العرب الطريقة المتبعة، والسيرة المستمرة بالشئ المصبوب، لتوالى أجزائه على نهج واحد، ومن هذا المعنى قول خالد بن عتبة الهذلى :

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها \*\*\* فأول راضٍ سنة من يسيرها<sup>(٥)</sup>

وبهذا الإطلاق اللغوى جاءت كلمة السنة فى القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾<sup>(٦)</sup> وقال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ...﴾ الآية<sup>(٧)</sup>.

كما جاءت أيضاً فى السنة النبوية بهذا المعنى، قال ﷺ "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها وزر من عمل بها إلى يوم القيامة"<sup>(٨)</sup> وقال ﷺ "لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر

(١) الجَوْهَرِيُّ : هو إسماعيل بن حماد التركى الجوهري، يكنى : أبى نصر الفراءى، كان إماماً فى اللغة والأدب، وهو صاحب الصحاح فى اللغة، توفى سنة ٣٩٣هـ له ترجمة فى : مرآة الجنان : ٢ / ٤٤٦، ولسان الميزان لابن حجر ١ / ٦١٤ رقم ١٢٧٣، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ / ١٤١، والوافى بالوفيات ٩ / ١١١ رقم ٤٠٢٨، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ١ / ١٩٤ .

(٢) عمرو بن العاص : صحابى حليل له ترجمة فى : الإصابة ٢ / ٣ رقم ٥٨٩٧، والاستيعاب ٣ / ١١٨٤ رقم ١٩٣١، واسد الغابة ٤ / ٢٣٢ - ٢٣٥ رقم ٣٩٧١، وتاريخ الصحابة ص ١٧٣ رقم ٨٨٤، ومشاهير علماء الأمصار ص ٧١ رقم ٣٧٦ .

(٣) أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ١ / ٤١٤ رقم ١٢١، وأحمد فى مسند ٤ / ١٩٩ .

(٤) لسان العرب ١٣ / ٢٢٧، والقاموس المحيط ٤ / ٢٣٩، والمعجم الوسيط ١ / ٤٥٥، ٤٥٦ .

(٥) لسان العرب لابن منظور ١٣ / ٢٢٥ .

(٦) الآية ٢٧ من سورة الإسراء .

(٧) الآية ٥٥ من سورة الكهف .

(٨) أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر ٤ / ١١٠، ١١١ رقم ١٠١٧، وأخرجه فى كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ٨ / ٤٧٩ رقم ١٠١٧ من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

وذراعاً بذراع" (١).

وهكذا فإن العرب تطلق على كل من ابتدأ أمراً عمل به قوم من بعده، بأنه هو الذى سنه، ومن هذا المعنى قول نصيب :

كأننى سنتت الحب أول عاشق \*\*\* من الناس إذا أحببت من بينهم وحدى  
وخصها بعض أهل اللغة بالطريقة المستقيمة الحسنة دون غيرها، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة (٢).

والحق هو ما عليه جمهور أهل اللغة ويؤيدهم فى الإطلاق الآيات والأحاديث السابق ذكرها وقول خالد الهذلي المتقدم (٣).

والعلاقة بين المعنيين (اللغوى والاصطلاحى) ظاهرة؛ لأن سنة المصطفى ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير أو ... إلخ. طريقة متبعة عند المؤمنين ليس لهم خيرة فى أمره ﷺ كما قال رب العزة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٤).

قال الدكتور همام عبد الرحيم سعيد : "وسنة النبى ﷺ تحمل هذه المعانى اللغوية، لما فيها من جريان الأحكام واطرادها، وصقل الحياة الإنسانية بها، فيكون وجه المجتمع السائر على هديها ناضراً بخيرها وبركتها، ويستفاد من المعانى اللغوية أن السنة فيها معنى التكرار والاعتیاد، وفيها معنى التقويم، وإمرار الشئ على الشئ من أجل إحداده وصقله (٥).

٣- كما ترد "السنة" بمعنى العناية بالشئ ورعايته، يقال : سن الإبل إذا أحسن رعايتها، والعناية بها (٦)، والفعل الذى داوم عليه النبى ﷺ سمي سنة بمعنى : أنه ﷺ

(١) متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ: البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبى ﷺ، لتبعن سنن من كان قبلكم ١٣ / ٣١٢ رقم ٧٣٢٠، ومسلم (بشرح النوى) كتاب العلم، باب إتباع سنن اليهود والنصارى ٨ / ٤٧٢ رقم ٢٦٦٩ .

(٢) إرشاد الفحول للشوكاني ١ / ١٥٥، ولسان العرب لابن منظور ١٣ / ٢٢٥، والمعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وآخرون ١ / ٤٥٥ .

(٣) حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٤٦ .

(٤) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب، وانظر : الحديث النبوى للدكتور محمد الصباغ ص ١٣٩ .

(٥) الفكر المنهجي عند المحدثين ص ٢٧ .

(٦) لسان العرب ١٣ / ٢٢٥، والقاموس المحيط ٤ / ٢٣٣ .

أحسن رعايته وإدامته<sup>(١)</sup>.

٤- كما ترد "السنة" بمعنى البيان، يقال : سن الأمر، أى بينه، وفي الحديث "إنى لأنسى أو أنسى لأسن"<sup>(٢)</sup> أى إنما أدفع إلى النسيان لأسوق الناس بالهداية إلى طريق مستقيم، وأبين لهم ما يحتاجون أن يفعلوا إذا عرض لهم النسيان<sup>(٣)</sup>.

٥- وتستعمل "السنة" أيضاً بمعنى دين الله تعالى الذى هو أمره ونهيه وسائر أحكامه<sup>(٤)</sup>.

٦- وقال الطبرى<sup>(٥)</sup>: "السنة" هى المثال المتبع، والأمام المؤتم به، ومنه قول لبيد بن ربيعة<sup>(٦)</sup>:

من معشر سنت لهم آباؤهم \*\*\* ولكل قوم سنة وإمامها<sup>(٧)</sup>

٧- ونقل القرطبي<sup>(٨)</sup>، عن المفضل<sup>(٩)</sup> أن "السنة" الأمة، وأنشد :

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٣ / ٥٤٠ .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ كتاب السهو، باب العمل فى السهو ١٠٠ / رقم ٢، قال ابن عبد البر لا أعلم هذا الحديث روى عن النبى ﷺ مسنداً ولا مقطوعاً، من غير هذا الوجه، وهو أحد الأحاديث الأربعة التى فى الموطأ، التى لا توجد فى غيره مسنده ولا مرسله . ومعناه صحيح فى الأصول .

(٣) لسان العرب ١٣ / ٢٢٥، والقاموس المحيط ٤ / ٢٣٣، والمعجم الوسيط ١ / ٤٥٥ .

(٤) القاموس المحيط ٤ / ٢٣٩، والمعجم الوسيط ١ / ٤٥٦ .

(٥) الطبرى : هو محمد بن جرير بن زيد، الطبرى، أبو محمد، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ الشهير، كان من الأئمة المجتهدين، ولم يقلد أحداً، وكان إماماً فى فنون كثيرة منها : التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ وغير ذلك، توفى سنة ٢٣١٠ هـ . له ترجمة فى : تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٢ / ١٦٢، رقم ٥٨٩، ووفيات الأعيان ٤ / ١٩١، ١٩٢، رقم ٥٧٠، وطبقات المفسرين للدودى ٢ / ١١٠-١١٨، رقم ٤٦٨، وطبقات المفسرين للسيوطى، ص ٨٢، رقم ٩٣، وشذرات الذهب لابن العماد ٢ / ٢٦٠، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ١ / ٢٢٢، رقم ٢٣ .

(٦) لبيد : هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، كان أبوه يعرف بريعة المقترين لجوده وسخائه، فنشأ لبيد كريماً مثله، توفى سنة ٤١ هـ . له ترجمة فى : الأعلام للزركلى ٦ / ١٠٤، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٢٧٤ - ٢٨٥، رقم ٢٥، ومرآة الجنان للياقعى ١ / ١١٩، وأدباء العرب لبطرس البستاني ١ / ١٤٤ - ١٥١ .

(٧) جامع البيان فى تأويل آى القرآن ٤ / ١٠٠ .

(٨) القرطبي : هو محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى المالكي أبو عبد الله القرطبي، كان مفسراً، ورعاً، زاهداً، متقناً متبحراً، من مصنفاته "الجامع لأحكام القرآن" و"شرح الأسماء الحسنى" توفى سنة ٦٧١ هـ . له ترجمة فى : طبقات المفسرين للدودى ٢ / ٦٩-٧٠، رقم ٤٣٤، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٧٩، رقم ٨٨، وشذرات الذهب ٥ / ٢٣٥، والديباج المذهب لابن فرحون ٤٠٦ رقم ٥٤٩، وشجرة النور الزكية محمد مخلوف ص ١٩٧ رقم ٦٦٦ .

(٩) المفضل : هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب، لغوى، عالم بالأدب، من مؤلفاته الفاخر فيما تلحن به العامة و"جواهر القبائل" توفى سنة ٢٩٠ . له ترجمة فى : تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١٣ / ١٢٤، رقم ٧١٠٩، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ٢٠٥، ٢٠٦، رقم ٥٧٩، فى ترجمة ابنه محمد بن الفضل، وبغية الوعاة للسيوطى ٢ / ٢٩٦، رقم ٢٠١٣ .

ما عاين الناس من فضل كفضلهم \*\*\* ولا رأوا مثلهم فى سالف السنن<sup>(١)</sup>

٨- ونقل الشوكانى<sup>(٢)</sup>، عن الكسانى<sup>(٣)</sup> أن "السنة" الدوام<sup>(٤)</sup>.

خلاصة القول كما يقول الدكتور محمد مصطفى الأعظمى :

إن السنة معناها فى اللغة "الطريقة" و"العادة" و"السيرة" سواء كانت سيئة أو حسنة، وقد استعملها الإسلام (القرآن والنبى ﷺ) فى معناها اللغوى كما رأينا فى الآيات والأحاديث السابقة، ثم خصصها الإسلام بطريقة النبى ﷺ وطريقة أصحابه ﷺ، كما سيأتى فى تعريف السنة اصطلاحاً، وليس معنى هذا أن معناها اللغوى قد بطل أو انعدم بلبقى استعمالها ولكن فى نطاق ضيق<sup>(٥)</sup>.

التعريف بالحديث لغة :

"الحديث" فى اللغة : الجديد ضد القديم ومادة الكلمة "حدث" تدور حول معنى واحد وهو كون الشئ بعد أن لم يكن، والحديث كلام يحدث منه الشئ بعد الشئ، بعد أن لم يكن<sup>(٦)</sup>.

وإنما سميت الكلمات والعبارات حديثاً؛ لأن الكلمات إنما تتركب من الحروف المتعاقبة المتواليّة، وكل واحد من تلك الحروف يحدث عقب صاحبه، أو لأن سماعها يحدث فى القلوب من المعانى والعلوم الشئ الكثير قال تعالى ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٢١٦ .

(٢) الشوكانى : هو محمد بن على بن محمد الشوكانى، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، من مؤلفاته "فتح القدير" فى التفسير "وإرشاد الفحول" فى أصول الفقه . توفى سنة ١٢٥٠هـ . له ترجمة فى : البدر الطالع للشوكانى ٢ / ٢١٤ - ٢٢٥ رقم ٤٨٢، والفتح المبين لعبد الله المراغى ٣ / ١٤٤ - ١٤٥، وأصول الفقه تاريخه ورجاله للدكتور شعبان إسماعيل، ص ٥٣٠ - ٥٣٢، والرسالة المستطرفة للكسانى ص ١٥٢، والأعلام للزركلى ٧/ ١٩٠، ومعجم المؤلفين لكحالة ١١/ ٥٣٣ .

(٣) إرشاد الفحول ١ / ١٥٥ .

(٤) الكسانى : هو على بن حمزة الكوفى المعروف بالكسانى، أخذ القراءات عن حمزة الزيات، وقرأ النحو على معاذ اطراء كثيراً، ثم الخليل بن أحمد بالبصرة . توفى سنة ١٨٩هـ . له ترجمة فى : وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ / ٢٩٥ - ٢٩٧ رقم ٢٣٣، وبغية الوعاة للسيوطى ٢ / ١٦٢ - ١٦٤ رقم ١٧٠١، وطبقات المفسرين للدردى ١ / ٤٠٤ - ٤٠٩ رقم ٣٤٩، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٥٣٥، وطبقات القراء للذهبي ١ / ١٠٠، واللباب فى تهذيب الأنساب ٣ / ٩٧، والفهرست لابن النديم ص ١٠٣ .

(٥) دراسات فى الحديث النبوى ١ / ٥، ١١ بتصرف .

(٦) القاموس المحيط ١ / ١٦٣ .

(٧) الآية ٣٤ من سورة الطور .

ويجمع الحديث على أحاديث على خلاف القياس، ويرى الفراء أن واحد الأحاديث أحذوثة، ثم جعلوه جمعاً للحديث وقال ابن برب: ليس الأمر كما زعم الفراء، لأن الأحذوثة بمعنى الأعجوبة، يقال: قد صار فلان أحذوثة، أما أحاديث النبي ﷺ فلا يكون واحداً إلا حديثاً<sup>(١)</sup>.

ويرى الزمخشري<sup>(٢)</sup>: إن الأحاديث اسم جمع<sup>(٣)</sup>، وخالفه أبو حيان في البحر<sup>(٤)</sup>: فقال ليس كل الأحاديث باسم جمع، بل هو جمع تكسير للحديث على غير قياس كأباطيل، واسم الجمع لم يأت على هذا الوزن<sup>(٥)</sup>، فالراجح أنها جمعت على غير قياس... والجمع القياسي للفظ حديث أحدثه كرهيف وأرغفة، أو حدث كقضب وقضب<sup>(٦)</sup>.

قال فضيلة الأستاذ الدكتور مروان محمد شاهين: أما عن الحديث في اللغة فله معان ثلاثة:

**الأول:** الحديث بمعنى الجديد الذي هو ضد القديم، تقول: لبست ثوباً حديثاً أى جديداً، وقرأت كتاباً حديثاً بمعنى الجديد، وركبت سيارة حديثة تعني سيارة جديدة.

**الثاني:** الحديث بمعنى الخبر والنبا مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾<sup>(٧)</sup>

(١) تاج العروس للزبيدي ١/ ٦١٣.

(٢) الزمخشري: هو أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، نحوي، لغوي، معترض، مفسر، يلقب بجار الله لمجاورته بمكة زماناً، من مصنفاته: الكشف عن حقائق التنزيل، والفايق في غريب الحديث، مات سنة ٥٣٨هـ. له ترجمة في: وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ١٦٨-١٧٤ رقم ٧١١، وبغية الوعاة للسيوطي ٢/ ٢٧٩ رقم ١٩٧٧، وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي اليماني، ص ٣٤٥ رقم ٢١٠، وطبقات المفسرين للسيوطي، ص ٤٨ رقم ١٤٧، وطبقات المفسرين للدودي ٢/ ٣١٤ رقم ٦٢٥.

(٣) الكشف للزمخشري ٢/ ٢٤٣.

(٤) أبو حيان: هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، أثير الدين أبو حيان، الغرناطي، من كبار العلماء بالعربية، والتفسير، والحديث، من مؤلفاته البحر المحيط في التفسير، والتذكرة في العربية، وعقد اللآل في القراءات، مات سنة ٧٤٥هـ. له ترجمة في ذيل تذكرة الحفاظ ص ٢٣، وطبقات الشافعية لابن السبكي ٦/ ٣١، وطبقات المفسرين للدودي ٢/ ٢٨٧ - ٢٩١ رقم ٦٠٨، وشذرات الذهب ٦/ ١٤٥، والأعلام ٧/ ١٥٣، والرسالة المستطرفة ص ١٠١.

(٥) البحر المحيط لأبي حيان ٥/ ٢٨١ عند تفسير أول سورة يوسف.

(٦) بحث في علوم الحديث لفضيلة الأستاذ الدكتور عزت عطيه ص ١٠.

(٧) الآية ١٥ من سورة النازعات.

ومثل قوله ﷺ : «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»<sup>(١)</sup> وقد ورد هذا المعنى أيضاً في قول ربنا ﷺ «وَإِذْ أَسْرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا»<sup>(٢)</sup>.

الثالث : الحديث بمعنى الكلام مثل قول الله تعالى «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا»<sup>(٣)</sup> أى نزل أحسن الكلام، ومثل قوله سبحانه «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا»<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ»<sup>(٥)</sup> أى إن لم يؤمنوا بالقرآن الكريم فبأى كلام بعده يؤمنون<sup>(٦)</sup>.

وبهذا الإطلاق اللغوى جاءت كلمة "الحديث" فى السنة المطهرة مراداً بها كلام رب العزة، وكلام رسول الله ﷺ فمثال ما جاء فى السنة مراداً بها كلام الله ﷻ ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله<sup>(٧)</sup> قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صباحكم ومساكم، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة...<sup>(٨)</sup>.

ومثال ما جاء فى السنة مراداً بها كلام النبى ﷺ ما أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه عن زيد بن ثابت<sup>(٩)</sup> قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، قرب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه، ورب

(١) الآية الأولى من سورة الغاشية.

(٢) جزء من الآية ٣ من سورة التحريم.

(٣) جزء من الآية ٢٣ من سورة الزمر.

(٤) جزء من الآية ٨٧ من سورة النساء.

(٥) الآية ٥٠ من سورة المرسلات.

(٦) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير ص ١١ .

(٧) جابر بن عبد الله : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة ٢ / ٤٥ رقم ١٠٢٢، والاستيعاب ١ / ٢١٩ رقم ٢٩٠، وأسد الغابة ١ / ٤٩٢ رقم ٦٤٧، وتاريخ الصحابة ص ٥٨ رقم ١٨٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٧ رقم ٢٥، وتذكرة الحفاظ ١ / ٤٣ رقم ٢١، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٩ رقم ٢١ .

(٨) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٣ / ٤١٨ رقم ٨٦٧ .

(٩) زيد بن ثابت : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة ١ / ٥٦١ رقم ٢٨٨٧، والاستيعاب ٣ / ١٣٦ رقم ٨٤٥، وأسد الغابة ٢ / ٣٤٦ رقم ١٨٢٤، وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٠ رقم ١٥، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٧ رقم ١٥، وتاريخ الصحابة ص ١٠٥ رقم ٤٦٩، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٦ رقم ٢٢ .

حامل فقه ليس بفقيه" (١) وعن المغيرة بن شعبة (٢) قال : قال رسول الله ﷺ "مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ؛ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ" (٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم، باب فضل نشر العلم ٣/ ٣٢٢ رقم ٣٦٦٠ واللفظ له، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ٥/ ٣٣ رقم ٢٦٥٦، وقال أبو عيسى : وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم، وأبي الدرداء وأنس ثم قال : حديث زيد بن ثابت حديث حسن، وأخرجه ابن ماجة في سننه المقدمة، باب من بلغ علماً، ١/ ٨٤ رقم ٢٣٠ .

(٢) المغيرة بن شعبة : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة ٣/ ٤٥٢ رقم ٨١٧٤، والاستيعاب ٤/ ١٤٤٥ رقم ٢٤٨٣، واسد الغابة ٥/ ٢٣٨ رقم ٥٧١، وتاريخ الصحابة ص ٢٣٠ رقم ١٢٣٧، ومشاهير علماء الأمصار رقم ٢٦٩، وتجويد أسماء الصحابة ٢/ ٩١ .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ٩٥ .

## المطلب الثانى

### التعريف بالسنة والحديث فى الاصطلاح

بادئ ذى بدء وقبل بيان معنى "السنة" و"الحديث" فى اصطلاح العلماء نقول : إذا كان هناك بعض الفروق الدقيقة بين الاستعمالين لغة كما سبق، واصطلاحاً كما سيأتى تفصيلاً، إلا أنهما مترادفان متساويان فى استعمالهم؛ فهم جميعاً لم يطلقوا استعمالهما اللغوى .

يقول الدكتور صبحى الصالح : "ولئن أطلقت السنة فى كثير من المواطن على غير ما أطلق الحديث؛ فإن الشعور بتساويهما فى الدلالة أو تقاربهما على - الأقل - كان دائماً يساور نقاد الحديث، فهل السنة العملية إلا الطريقة النبوية التى كان الرسول - صلوات الله عليه - يؤيدها بأقواله الحكيمة وأحاديثه الرشيدة الموجهة؟ وهل موضوع الحديث يغير موضوع السنة؟ ألا يدوران كلاهما حول محور واحد؟ ألا ينتهيان أخيراً إلى النبى الكريم فى أقواله المؤيدة لأعماله، وفى أعماله المؤيدة لأقواله؟

حين جالت هذه الأسئلة فى أذهان النقاد لم يجدوا بأساً فى أن يصرحوا بحقيقة لا ترد إذا تناسينا موردى التسميتين كان الحديث والسنة شيئاً واحداً، فليقل أكثر المحدثين أنهما مترادفان<sup>(١)</sup>.

وإذن فمعنى السنة والحديث عند علماء الشرع واحد من حيث إطلاق أحدهما مكان الآخر، ففى كل منهما إضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة إلى النبى ﷺ إلا أن أهل كل اختصاص قد نظروا إلى السنة من الزاوية التى تعنيهم - من حيث تخصصهم وموضوع علمهم.

١- فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الإمام الهادى، والرائد الناصح، الذى أخبر الله ﷻ أنه أسوة لنا وقلوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل، وأخبار وأقوال وأفعال سواء أثبت المنقول حكماً شرعياً أم لا<sup>(٢)</sup>.

(١) علوم الحديث ومصطلحه بتصرف يسير ص ٩، ١٠ .

(٢) أصول الحديث، علومه، ومصطلحه، للدكتور محمد عجاج الخطيب ص ١٨ .

فعرفوها بأنها كل ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو إقرار (تقرير) أو صفة خلقية أو صفة خلقية حتى الحركات والسكنات فى اليقظة والنام قبل البعثة أو بعدها. فلذلك من الأثر ماله فى إثبات النبوة وإعطاء الأسوة وتعميق الإيمان، وتوكيد العلاقة والمحبة والتوقير بيننا وبينه ﷺ، والالتزام بسنته المطهرة<sup>(١)</sup>.

**أما علماء الأصول :** فإنهم يعنون بالبحث فى مصادر الشريعة، وأخذ الأدلة الشرعية من النصوص، واستنباط الأحكام منها - ومن هنا كان اهتمامهم بالسنة من حيث كونها المصدر الثانى للتشريع بعد كتاب الله تعالى فعرفوها بأنها كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو ترك، أو كتابة، أو إشارة مفهمه أو هم مصحوب بالقرائن، أو غير ذلك مما يثبت الأحكام ويقررهما، مما لم ينطق به الكتاب العزيز<sup>(٢)</sup>.

**أما الفقهاء** فيطلقون كلمة "سنة" ويعنون بها ما يقل عن درجة الوجوب والإلزام، فالواجب والفرض عندهم ما يثاب فاعله، ويعاقب تاركه، أما السنة عندهم - فهى ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها مما فعله الرسول ﷺ وواظب عليه؛ لأنها فى اصطلاحهم - أقل إلزاماً من الفرض، ونظرة الفقهاء إلى السنة خاضعة لتخصصهم، وللموضوع علمهم الذى هو البحث عن حكم الشرع على أفعال العباد من حيث الوجوب والتحريم والاستحباب والكراهة والإباحة ومن هنا خضع تعريفهم للسنة إلى تخصصهم الذى يعملون فيه<sup>(٣)</sup>.

### السنة وعمل الصحابة :

يقول فى ذلك الدكتور محمد عجاج الخطيب، إلى جانب المعنى السابق الذى يدل عليه لفظ السنة، فقد يطلق العلماء (محدثين وأصوليين وفقهاء) لفظ السنة أحياناً على ما عمل به أصحاب رسول الله ﷺ سواء أكان ذلك فى القرآن الكريم أم فى المأثور

(١) شذرات من علوم السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور الأحمدي أبو النور ١/ ٤٤، وعلوم الحديث لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص ١٦ .

(٢) انظر : الإحكام فى أصول الأحكام للأمدى ١/ ١٢٧، والتقرير والتحرير لابن أمير الحاج ٢/ ٢٢٣، وغاية الوصول شرح لب الأصول زكريا الأنصارى ص ٩١، ومناهج العقول للبدخشى ٢/ ٢٦٩، وإرشاد الفحول للشوكاني ١/ ١٥٥، وأصول الفقه للمصطفى ص ٢٥٠، ٢٥١ .

(٣) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص ١٣ .

عن النبي ﷺ أم لا، لكنه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم، أو اجتهداً مجتمعاً عليه منهم .

ومن أبرز ما ثبت في السنة بهذا المعنى حد الخمر، حيث كان تعزير شارب الخمر في عهده ﷺ غير معين فكانوا يضربونه تارة أربعين جلده، وتارة يبلغون ثمانين جلدة، فلما كان عهد عمر<sup>(١)</sup> ﷺ استشار الناس؛ فقال عبد الرحمن بن عوف<sup>(٢)</sup> ﷺ أخف الحدود ثمانون، وقال علي<sup>(٣)</sup> ﷺ نرى أن نجلده ثمانين؛ فإنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري، فجلد عمر ﷺ في الخمر ثمانين<sup>(٤)</sup>.

وثبت في ذلك أيضاً تضمين الصناع . وقضى الخلفاء ﷺ بذلك، قال علي ﷺ لا يصلح الناس إلا ذاك؛ لأن الناس بحاجة إلى الاستصناع، وعدم تضمين الصناع يورث الإهمال في العمل وعدم المسئولية، مما يؤدي إلى ضياع أموال الناس<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك أيضاً، جَمْعُ المصاحف في عهد أبي بكر برأى عمر -رضي الله عنهما-<sup>(٦)</sup>، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة وتدوين الدواوين، وما أشبه ذلك مما اقتضاه النظر المصلحي الذي أقره الصحابة -رضوان الله عليهم- أجمعين<sup>(٧)</sup>.

ومما يدل على إطلاق السنة بهذا المعنى قوله ﷺ فيما رواه عنه العرياض بن سارية<sup>(٨)</sup> ﷺ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا

(١) عمر بن الخطاب : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة ٣ / ٥١٨، رقم ٥٧٥٢، والاستيعاب ٣ / ١١٤٤، رقم ١٨٧٨، واسد الغابة ٤ / ١٣٧، رقم ٣٨٣٠، وتذكرة الحفاظ ١ / ٥، رقم ٢، وطبقات الحفاظ ص ١٣، رقم ٢، وتاريخ الصحابة ص ٢٣، رقم ٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٠، رقم ٣، وتجريد أسماء الصحابة ١ / ٣٩٧ .  
(٢) عبد الرحمن بن عوف : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة ٢ / ٤٥٦، رقم ٥١٩٥، والاستيعاب ٢ / ٨٤٤، رقم ١٤٥٥، واسد الغابة ٣ / ٤٧٥، رقم ٣٣٧٠، وتاريخ الصحابة ص ٢٥، رقم ٩، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٤، رقم ١٢ .

(٣) علي بن أبي طالب : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة ٢ / ٥٠٧، رقم ٥٧٠٤، والاستيعاب ٣ / ١٠٨٩، رقم ١٨٥٥، واسد الغابة ٤ / ٨٧، رقم ٣٧٨٩، وتاريخ الصحابة ص ٢٤، رقم ٤، ومشاهير علماء الأمصار ص ١١، رقم ٥، وتذكرة الحفاظ ١ / ١٠، رقم ٤، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٤، رقم ٤ .

(٤) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الأشربة، باب الحد في الخمر ٢ / ٦٤٢، رقم ٢ .  
(٥) الاعتصام للشاطبي ٢ / ١١٩، وانظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ٨١-٩٦ .  
(٦) انظر : الحديث في صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٨ / ٦٢٧، رقم ٤٩٨٦ .

(٧) الموافقات للشاطبي ٤ / ٦٠٥، وانظر : المدخل إلى السنة النبوية ص ٣٢، ٣٣ .  
(٨) العرياض بن سارية : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة ٢ / ٤٧٣، رقم ٥٥٠١، والاستيعاب ٣ / ١٢٣٨، رقم ٢٠٢٦، واسد الغابة ٤ / ١٩، رقم ٣٦٣٠، وتاريخ الصحابة ١٩٩، رقم ١٠٦٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٥، رقم ٣٣١ .

موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلّت منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال : "أوصيكم بتقوى الله ﷻ والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حيشياً، فإنه من يعش منكم بعدى فسيروا اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" (١) وقوله ﷺ فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو (٢) -رضى الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ "إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا : ومن هي يا رسول الله قال : ما أنا عليه وأصحابي" (٣).

واستدل على ذلك أيضاً بأن السلف كانوا يقولون : سنة العمرين أى أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما-، ومما أخرجه ابن عبد البر بسنده عن مالك بن أنس (٤) قال عمر بن عبد العزيز (٥) : سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله ﷻ واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، من عمل بها؛ فهو

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في لزوم السنة ٤ / ٢٠٠ رقم ٤٦٠٧، والترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتتاب البدع ٥ / ٤٣-٤٤ رقم ٢٦٧٦، وابن ماجة في المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١ / ١٥-١٧ رقم ٤٢-٤٣ وغيرهم.

(٢) عبد الله بن عمرو : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة ٢ / ٣٥١ رقم ٤٨٦٥، والاستيعاب ٣ / ٢٥٦ رقم ١٦٣٦، واسد الغابة ٣ / ٣٤٥ رقم ٣٠٩٢، وتجرید أسماء الصحابة ١ / ٣٢٦، وتاريخ الصحابة رقم ٧٢١، ومشاهير علماء الأمصار ص ٧١ رقم ٣٧٧، وتذكرة الحفاظ ١ / ٤١ رقم ١٩، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٨ رقم ١٩.

(٣) أخرجه الترمذى كتاب الإيمان، باب ما جاء فى افتراق هذه الأمة ٢٦ / ٢٦٤١، وقال أبو عيسى : هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، وانظر : أصول الحديث علومه ومصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب بتصرف يسير ص ٢١، ٢٢.

(٤) مالك بن أنس: هو الإمام مالك بن أنس، أحد أعلام الإسلام، إمام دار الهجرة، وصاحب الموطأ، توفي سنة ١٧٩هـ. له ترجمة فى: تذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٧ رقم ١٩٩، وطبقات المفسرين للدوادى ٢ / ٢٩٤ رقم ٦١٣، والديباج المذهب ص ٥٦، وشذرات الذهب ١ / ٢٨٩، والثقات للعللى ص ٤١٧ رقم ١٥٢١، ومرورج الذهب ٣ / ٣٥٠، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٦٩ رقم ١١١٠.

(٥) عمر بن عبد العزيز : هو عمر بن العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولى إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالبوزير، وولى الخلافة بعده، فعد من الخلفاء الراشدين مدة خلافته ستان ونصف، توفي سنة ١٠١هـ. له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ١ / ١٨٨ رقم ١٠٤، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٣ رقم ١٠١، وتقريب التهذيب ١ / ٧٢٢ رقم ٤٩٥٦، والكاشف ٢ / ٦٥ رقم ٤٠٨٩، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٠٩ رقم ١٤١١.

مهتد، ومن استنصر بها؛ فهو منصور، ومن خالفها؛ اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصله جهنم وساءت مصيراً<sup>(١)</sup>.

وإذا كان عمل الصحابة رضي الله عنهم يطلق عليه لفظ السنة - فلا يعنى هذا أن السنة معناها في صدر الإسلام "العادات والتقاليد الوراثية في المجتمع العربي الجاهلي، ثم نقلت إلى الإسلام" كما زعم جولدتسيهر وغيره، لأن تلك الادعاءات كما قال الدكتور الأعظمي تخالف مخالفه جذرية ما دلت عليه النصوص القطعية والتي تفسر بعضها بعضاً. لما رواه أحمد في مسنده عن سالم<sup>(٢)</sup> قال "كان عبد الله بن عمر<sup>(٣)</sup> يفتي بالذي أنزل الله تعالى من الرخصة بالتمتع، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : فيقول ناس لابن عمر : كيف تخالف أباك؟ وقد نهى عن ذلك، فيقول لهم عبد الله صلى الله عليه وسلم ألا تتقون الله إن كان عمر نهى عن ذلك فيبتغي فيه الخير، يلمس به ثمام العمرة، فلم تحرمون ذلك؟ وقد أحله الله وعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبعوا سنته أم سنة عمر<sup>(٤)</sup>."

فدل ذلك على أن لفظ "السنة" في صدر الإسلام كان معلوماً بأنها سنة النبي صلى الله عليه وسلم وليس ما كان معروفاً مألوفاً في الجاهلية، إذ لو كان الفرق الشائع، أو تقاليد المجتمع الجاهلية هما "السنة" فكيف نفسر قول ابن عمر هذا؟<sup>(٥)</sup>.

هذا وإن كانت السنة تطلق على ما عمل به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سبق،

(١) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه، باب القول في أنه يجب إتباع ما سنه السلف من الإجماع والخلاف وأنه لا يجوز الخروج عنه ١/ ٤٣٥ رقم ٤٥٥، والآخري في الشريعة ص ٤٨، ٦٥، ٣٠٦، وابن عبد البر في جامع بيان العلم، باب الحظ على لزوم السنة والاعتصار عليها ٢/ ١٨٧ .

(٢) سالم : هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عمر أو أبو عبد الله، المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبناً عابداً فاضلاً، يشبه أبيه في الهدى والسمت. روى عن أبيه وأبي هريرة، وعنه الزهري، وصالح بن كيسان. مات سنة ١٠٦ هـ. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٣٣٥ رقم ٢١٨٢، والكاشف ١/ ٤٢٢ رقم ١٧٧٣، والجرح والتعديل ٣/ ١٦٨، وتاريخ الثقات للعجلي ص ١٧٤ رقم ٤٩٩، ومشاهير علماء الأمصار ص ٨٥ رقم ٤٣٨ .

(٣) عبد الله بن عمر : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة ٢/ ٣٤٧ رقم ٤٨٥٢، والاستيعاب ٣/ ٣٤٠ رقم ١٦٣٠، واسد الغابة ٣/ ٣٣٦ رقم ٣٠٨٢ وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٧ رقم ١٧، وتاريخ الصحابة ١٤٩ رقم ٧١٩، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٣ رقم ٥٥، ونجريد أسماء الصحابة ١/ ٣٢٥ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٩٥ .

(٥) دراسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي ١/ ٥-١١ بتصرف، وانظر : السنة في مواجهة أعدائها ص ٣٦ وما بعدها.

فهي أيضاً تطلق ويراد بها الجانب العملي الذي نقل لنا عن رسول الله ﷺ أما الحديث: فهو الأخبار التي نقلت لنا عنه ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته ... إلخ. وفي ضوء ذلك نستطيع أن نفهم قول العلماء في وصف أحدهم مثلاً (إمام في الحديث) أو (إمام في السنة) أو قولهم عنه إنه (إمام فيهما معاً)، أى أنه عالم في الحديث، وعالم بالسنة يطبقها على نفسه، ويلتزم بها في سلوكه.

والسنة بهذا المعنى الأخير تباين البدعة التي ليست من الدين والتي اعتبرها الرسول ﷺ ضلالة؛ لأنها ليست من شرع الله في شيء، وكل ضلالة في النار. وفي ضوء ذلك أيضاً نستطيع أن نفهم قول الرسول ﷺ "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (١) ... ووفقاً لهذا المعنى نستطيع أن نفهم أيضاً قول عبد الرحمن ابن مهدي (٢) -وهو واحد من أفذاذ علم الحديث ورجاله، ومن كبار العلماء بالسنة - حينما سئل عن مالك بن أنس، والأوزاعي (٣)، وسفيان بن عيينة (٤) فقال: الأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث، وسفيان إمام في الحديث وليس بإمام في السنة، ومالك إمام فيهما معاً.

(١) الحديث متفق عليه من حديث عائشة رضی الله عنها، أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصلح، باب إذا اصطلموا على جدر ٥ / ٣٥٥ رقم ٢٦٩٧. ومسلم (بشرح النووي) كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٦ / ٢٥٦، ٢٥٧ رقم ١٧١٨.

(٢) عبد الرحمن بن مهدي: هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان البصري، الثقة، الأمين، العالم بالحديث وأسماء الرجال، كان الشافعي يرجع إليه في الحديث، وقال عنه: لا أعرف له نظيراً في الدنيا. مات سنة ١٩٨ هـ. له ترجمة في: تقريب التهذيب ١ / ٥٩٢ رقم ٤٠٣٢، والكاشف ١ / ٦٤٥ رقم ٣٣٢٣، والجرح والتعديل ٥ / ٢٨٨ رقم ١٣٨٢، والثقات للعجلي، ص ٢٩٩ رقم ٩٨٥، وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٢٩ رقم ٣١٣، وطبقات الحفاظ للسيوطي، ص ١٤٤ رقم ٣٠١، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ١ / ١٤١ رقم ٣٥.

(٣) الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد، أبو عمرو الأوزاعي، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، وهو صاحب مدرسة في الفقه، وكان مذهبه منتشراً في الشام انتشاراً واسعاً، وظل لمذهبه أنصار في المغرب والأندلس حتى القرنين الثالث والرابع للهجرة، ثم توارى أمام مذهب الشافعي ومذهب مالك. مات سنة ١٥٨ هـ له ترجمة في: تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٨ رقم ١٧٧، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٨٥ رقم ١٦٨، والثقات للعجلي ص ٢٩٦ رقم ٩٧٠، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢١١ رقم ١٤٢٥، والثقات لابن حبان ٧ / ٦٢، ووفيات الأعيان ٣ / ١٢٧ رقم ٣٦١، وتهذيب التهذيب ٦ / ٢٣٨ رقم ٤٨٤.

(٤) سفيان بن عيينة: هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد، الكوفي ثم المكي، أحد أئمة الإسلام الأعلام، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بآخره، وربما دلّس، ولكن عن الثقات. مات سنة ١٩٨ هـ. وله ترجمة في: تذكرة الحفاظ ١ / ٢٦٢ رقم ٢٤٩، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ١١٩ رقم ٢٣٨، وطبقات المفسرين للدودوي ١ / ١٩٦ رقم ١٨٧، والثقات للعجلي ص ١٩٤ رقم ٥٧٧، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٧٩ رقم ١١٨١.

وإجابة عبد الرحمن بن مهدي واضحة الدلالة على أن السنة - في مثل هذا الاستعمال - إنما يراد بها الجانب العملي في الإسلام، أما الحديث فهو الاشتغال بما نقل لنا عن رسول الله ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته ... إلخ.

ومن هنا يقولون أيضاً : فلان صاحب سنة وفلان صاحب بدعة، أما الأول، فلأنه يتبع هدى النبي ﷺ ، "وأما الثاني؛ فلأنه يحاول أن يلحق بالدين ما ليس منه"<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور صبحي الصالح : وأغرب من هذا كله أن أحد المفهومين يدعم بالآخر كأنهما متغايران من كل وجه، حتى صح أن يذكر ابن النديم كتاباً بعنوان السنن بشواهد الحديث"<sup>(٢)</sup>.

وهناك تفريق آخر بين الحديث والسنة وهو ما ذكره العلامة الكتاني من أن الموقوف لا يسمى سنة، ولكنه يسمى حديثاً"<sup>(٣)</sup>.

ويعقب الدكتور محمد الصباغ : على التفريق بين السنة والحديث في قول الأمام عبد الرحمن بن مهدي فيقول : ولكن هذا التفريق لم يعيش طويلاً فيما بعد، وأضحت الكلمتان مترادفتين، ولا نذكر هذا التفريق إلا من أجل فهم مثل العبارة الواردة عن ابن مهدي والتي ذكرناها آنفاً"<sup>(٤)</sup>.

هذا ومرادى بالسنة هنا : ما أراده المحدثون وذهب إليه جمهورهم وهي : أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية وسيره ومغازيه قبل البعثة مثل تحنثه في غار حراء"<sup>(٥)</sup>، ومثل حسن سيرته، لأن الحال يستفاد منها ما كان عليه من كريم الأخلاق ومحاسن الأفعال؛ كقول أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- له ﷺ كلا والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق"<sup>(٦)</sup>.

(١) الزرقاني على الموطأ ٣/ ١ .

(٢) علوم الحديث ومصطلحه ص ٦ .

(٣) الرسالة المستطرفة ص ٣٢ .

(٤) الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه ص ١٤٦ .

(٥) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب بدء الوحي، باب رقم ٣،

٣٠/ ١ رقم ٣، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/ ٤٧٤ رقم

١٦٠ .

(٦) راجع تخريجه في نفس الحديث السابق .

ومثل أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وأنه عرف بالصدق والأمانة وما إلى ذلك من صفات الخير، وحسن الخلق، فمثل ذلك ينتفع به في إثبات نبوته ﷺ كثيراً كما حصل من هرقل في حديثه المشهور<sup>(١)</sup>.

وهذا ما جعل العلماء يعتبرون كل ما يتصل به ﷺ قبل البعثة جزءاً من السنة؛ فالسنة عندهم تشمل كل ما يتصل بالرسول ﷺ قبل وبعد البعثة، ويدخل في التعريف ما كان عليه عمل الصحابة. وهذا أجمع تعريف لها<sup>(٢)</sup>. والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي عندهم<sup>(٣)</sup> أ. هـ.

ومن هنا يظهر فساد قول جولدتسيهر : في كتابه (دراسات محمدية) يجب أن يكون مصطلح "الحديث"، ومصطلح "السنة" متميزين عن بعضهما<sup>(٤)</sup>، فهما ليسا بمعنى واحد، وإنما السنة دليل الحديث<sup>(٥)</sup>.

وجولدتسيهر بزعمه هذا لم يفرق بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية للفظتين: الحديث والسنة لذلك تراه يخلط في الموضوع بعدم التزامه باصطلاحات علماء الشرع، مما جعله يظن أن الخلاف في معاني لفظ (حديث) و(سنة) هو نوع من الاضطراب في التفكير عند المسلمين، وهذه الاصطلاحات قد استوفيناها قبل قليل، فظهر أنه لم يعتبر اصطلاحات القوم، بل لم يقترب منها أدنى الاقتراب.

وقوله (إنما السنة دليل الحديث) هذه الدعوى جره إليها تفريقه بين الحديث والسنة، وكان الأشبه بالعكس، فالحديث دليل السنة، فهما بمعنى واحد في اصطلاح الأصوليين.

ومن هنا جاء قولهم : سنة ثابتة عن الرسول، وسنة غير ثابتة عنه.

(١) متفق عليه من حديث أبي سفيان بن حرب (البخاري (شرح فتح الباري) كتاب، بدء الوحي باب رقم ٦، ٤٢/ ١، رقم ٧، ومسلم (شرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ، إلى هرقل يدعوه للإسلام ٦/ ٣٤٦، رقم ١٧٧٣.

(٢) انظر : جامع العلوم والحكم ٢ / ١٢٠، والمدخل إلى السنة النبوية ص ٣٣، ٣٤.

(٣) الحديث والمحدثون للدكتور أبو زهو ص ١٠، وانظر : تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص ٢٨، ٢٩.

(٤) نقلاً عن ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير نصر ص ٣١٤.

(٥) العقيدة والشريعة في الإسلام جولدتسيهر ص ٤٩، ومن فرق بينهما أيضاً الأستاذ محمد رشيد رضا، انظر : مجلة المنار المجلد ١٠ / ٨٥٢، ٨٥٣.

فالأولى : لأنه ثبت عن الرسول الكريم أنه قال ذلك الشيء أو فعله أو أقره، وطريقة  
ثبوت ذلك عن الرسول هو وجود الحديث الشريف الذي يتضمن ذلك  
ويشهد عليه.

الثانية : لأنه لم نجد حديثاً عن النبي قولاً أو فعلاً أو تقريراً يؤكدها، فهي بذلك  
سنة غير ملزمة وكذلك إذا قيل : السنة كذا، ومن السنة كذا، وهكذا  
السنة كلها دليل شرعي ملزم؛ لأن ذلك ثابت عن النبي ( بوجه من  
الوجه<sup>(١)</sup> أ.هـ .

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

---

(١) ضوابط الرواية عند المحدثين، ص ٣١٤ - ٣٢٢ بتصرف.

## المطلب الثالث

### شبهة حول التسمية والرد عليها

من نافلة القول أن نقرر : أن كلمتي "السنة" و"الحديث" عربيتين، حيث أنكر هذه البديهة من أعداء الإسلام جولد تسيهر حين زعم تارةً بأن كلمة "السنة" مأخوذة من العبرية (مشناة) فقال : "حتى في الإسلام، أخذت هذه الفكرة مكاناً أيضاً، أعنى اتخاذ قانون مقدس وراء القرآن مكتوباً أو مسموعاً كما هو الحال عند اليهود"<sup>(١)</sup>.

وقال تارةً ثانية : أنها مصطلح وثني في أصله وإنما تبناه واقتبسه الإسلام . وتابعه على ذلك من جلده شاخت ومارغوليوث، كما نقله عنهم الدكتور محمد الأعظمي في كتابه (دراسات في الحديث النبوي)<sup>(٢)</sup>.

وتابع المستشرقين على ذلك قاسم أحمد حيث قال : "وما ينبغي أن يفتن إليه المسلمون هو التشابه الكبير جداً بين هذا الرأي ورأى اليهود القديم عن الوحي المكتوب والشفوي. فالتلمود اليهودي الذي يشمل المشناة والجמارة وهما يشبهان الحديث والسنة الإسلامية. وهما عبارة عن مجموعة تعاليم شفوية لحاخامات وكبار علماء اليهود أساسها تفسيرهم وشرحهم لكتابهم المقدس على مدى طويل على لسان العالم اليهودي يهوذا جولدن"<sup>(٣)</sup>.

كما زعم المستشرق الفريد غيوم في كتابه (الحديث في الإسلام): أن كلمة "حديث" مستقاة من الكلمة العبرية عند اليهود "هداش" والتي تعني الجديد أو تعنى الأخبار أو القصص<sup>(٤)</sup>. ومرد هذه الشبهة يهدف إلى نفى أن تكون الكلمتين عربيتين .

وقد رد هذه الشبهة الباطلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشرعية) ونفى أن تكون كلمة السنة مأخوذة من العبرية<sup>(٥)</sup>.

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٤٩ .

(٢) دراسات في الحديث النبوي ١ / ٦٥٥ .

(٣) إعادة تقييم الحديث ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٤) نقلاً عن منهجية جمع السنة للدكتورة عزية على طه ص ٦٢ .

(٥) الإسلام عقيدة وشرعية ص ٤٩٢ ، ٤٩٣ .

كما رد الدكتور محمد الأعظمى فى كتابه (دراسات فى الحديث النبوى) الزعم الباطل لجولدتسيهر؛ أنها مصطلح وثنى فى أصله، وإنما تبناه واقتبسه الإسلام<sup>(١)</sup>.

وذكر هذه الشبهة وردھا الدكتور رعوف شلبى فى كتابه (السنة النبوية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين) فقال : بحكم طبيعة الحياة فإن الخير لا يسلم من الشر، وإن العدل لا يسلم من الجور، ولقد قيض الشيطان عناصر تفتري على الإسلام وعلى مصادره، فقد زعم بعض الباحثين أن التعبير بكلمة سنة أخذه المسلمون من الكلمة العبرية (مشناة) التى تطلق فى الاصطلاح اليهودى على مجموعة الروايات الإسرائيلية التى تعتبر فى نظرهم مرجعاً أساسياً فى التعرف على أحكام التوراة، كما تعتبر شرحاً وتفسيراً لها، ثم عربها المسلمون إلى كلمة (سنة) ويدعى اليهود أن المسلمين أطلقوها - بعد التعريب - علماً على مجموعة الروايات النبوية فى مقابل استعمالهم لكلمة "مشناة" علماً على مجموعة الروايات الإسرائيلية .

والجواب : يقول فضيلة الأستاذ الدكتور رعوف شلبى اعتراض اليهود ومن تابعهم على كلمة "سنة" و"حديث" ملخص فى نقطتين :

- ١- أن المسلمين عربوها من كلمة "مشناة" و"هداش" .
  - ٢- أن المسلمين أطلقوها علماً على مجموعة الروايات النبوية فى مقابل ما صنعه اليهود من إطلاقهم كلمة "مشناة" على مجموعة الروايات الإسرائيلية التى تشرح لهم التوراة، ونعتبر المصدر الأساسى فى التعرف على الأحكام .
- ورداً على النقطة الأولى : فإن العقل الباحث الأمين لا يتقبل ادعاء اليهود ومن صار على دربهم، أن العرب الأوائل المسلمين قد عربوا "مشناة" إلى "سنة" أو عربوا "هداش" إلى "حديث" .

أولاً : لعدم المشابهة فى الحروف والبنية .

ثانياً : لأن الكلمتين ورد استعمالهما فى الشعر الجاهلى قبل الإسلام، كما استعمالهما ربنا ﷺ فى كتابة العزيز، واستعملهما نبينا ﷺ فى حديثه الشريف، على نحو ما ذكرناه سالفاً فى تعريف السنة والحديث لغة. وذلك مما لا يترك مجالاً لفرضية

(١) دراسات فى الحديث النبوى ١/ ٥- ١١ .

بحث تعريب كلمة سنة من مشناة أو حديث من هداش .

وإذا فالكلمتين لم يعربهما المسلمون من كلمتي مشناة وهداش، وإنما أخذوهما من صميم لغتهم، وصريح كتابهم الكريم، وصريح حديث نبهم ﷺ<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور الأعظمي : ولذا فإن ما قاله جولدتسيهر بأن السنة مصطلح وثني استخدمه الإسلام، ادعاء لا يستند إلى دليل، ومعارض للأدلة الملموسة، ثم إن استعمال الجاهليين أو الوثنيين من العرب لكلمة "ما" في مفهومها اللغوي لا يلبسها ثوباً معيناً، ولا يحيلها إلى مصطلح وثني وخصوصاً إذا لاحظنا استعمالاتهم المختلفة لهذه الكلمة، وإلا أصبحت اللغة العربية بكاملها مصطلحاً وثنياً وهذا لا يقول به عاقل<sup>(٢)</sup>.

ونفس هذا الكلام يقال رداً على ما زعمه الفريد غيوم من أن كلمة "حديث" مشتقة من الكلمة العبرية "هداش".

ورداً على النقطة الثانية : يقول ابن قيم الجوزية<sup>(٣)</sup> في إغاثة اللفهان : إن كلمة مشناة إنما تعني الكتاب الذي ألفه علماء اليهود في زمن دولة البابليين والفرس، ودولة اليونان والروم، وهو الكتاب الأصغر، ومبلغ حجمه نحو ثمانمائة ورقة .

أما التلمود : فهو الكتاب الأكبر الذي ألفه علماء اليهود مع مشناة، ومبلغ حجمه نحو نصف حمل بغل لكبره، ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه في عصر واحد، وإنما ألفوه جيلاً بعد جيل، فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف، وأنه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه، وأن في الزيادات المتأخرة ما يناقض أوائل هذا التأليف، علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك ومنعوا من الزيادة فيه، أدى إلى الخلل الذي لا يمكن سده، قطعوا الزيادة فيه، ومنعوا منها، وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه، وإضافة شيء آخر إليه، وحرموا من أن يضاف إليه شيء آخر فوقف على ذلك المقدار<sup>(٤)</sup>.

(١) السنة النبوية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهليين ص ٣٢ وما بعدها بتصرف .

(٢) دراسات في الحديث النبوي ١ / ٧ .

(٣) ابن قيم الجوزية : هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، الفقيه الحنبلي الأصولي المحدث النحوي الأديب الواعظ الخطيب، له مصنفات عديدة أشهرها : أعلام الموقعين عن رب العالمين، وزاد المعاد في هدى خير العباد، وغير ذلك، مات سنة ٧٥١ هـ . له ترجمة في: البداية والنهاية لابن كثير ١٤ / ٢٣٤، والدرر الكامنة لابن حجر ٣ / ٤٠٠-٤٠٣ رقم ١٠٦٧، وشنرات الذهب ٦ / ١٦٨، وطبقات المفسرين للدوادري ٢ / ٩٣ - ٩٧، رقم ٤٥٦، والوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٠ .

(٤) إغاثة اللفهان ٢ / ٣٢٤، ٣٢٣ .

وإذا فالمشنة والتلمود من تأليف فقهاء اليهود إرضاءً لأهوائهم، وقد نسبوها إلى التوراة وإلى سيدنا موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - وليس الأمر كذلك في الحديث النبوي والسنة المطهرة؛ فهي مرويات نبوية موحى بها من قبل رب العزة، ولا مدخل لأحد من علماء الإسلام في شيء منها إلا بحفظها ورعايتها وتنفيذها، وصاحب السنة المطهرة ﷺ هو الذى أطلق وسمى كل ما ورد عنه من قول أو فعل أو تقرير أو... إلخ. بأنه من حديثه الشريف وسنته المطهرة. فهو القائل ﷺ: "قد ينس الشيطان بأن يعبد بأرضكم، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس، إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ" (١).

وبهذا كله يتضح لنا أن الكلمتين "سنة" و"حديث" :

١- عربيتان أصيلتان .

٢- وأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد استعملاهما .

٣- وأن الرسول ﷺ هو الذى سمي الحديث والسنة ووضعهما علماً على كل ما ورد عنه من قول أو فعل أو تقرير... إلخ، كما سبق وأن ذكرت .

وبذلك ينمحي من الإمكان فرض أن المسلمين عربوا كلمة "سنة" من كلمة "مشنة" أو "مهداش"، أو فرض أنها مصطلح وثني، وأنه فرق كبير بين ثريا المحجة البيضاء في الإسلام، وبين ثرى المحرفين الذين لعنوا على لسان أنبيائهم داود وعيسى بن مريم جزاءً عما كانوا يصنعون (٢) أ.هـ.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب العلم، باب خطبته ﷺ فى حجة الوداع ١/ ١٧١، ١٧٢ رقم ٣١٨ من حديث ابن عباس -رضى الله عنهما- وقال فى إسناده عكرمة واحتج به البخارى، وابن أبى أويس واحتج به مسلم، وسائر روايته متفق عليهم، ثم قال وله شاهد من حديث أبى هريرة ؓ، وأخرجه فى الموضع السابق، ووافقه الذهبى وقال وله أصل فى الصحيح أ.هـ.

(٢) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلین للدكتور رعوف شلبى ص ٣٢: ٣٦ بتصرف.

## المبحث الثالث

### الحديث النبوي بالسند المتصل

### من خصائص الأمة الإسلامية

قال الدكتور سعد المرصفي الحديث النبوي بالسند المتصل : "خص الله به الأمة الإسلامية دون ما سواها، فلسنا نعرف على مدى التاريخ أمة من أمم الرسل -عليهم صلوات الله وتسليماته - سعدت بمثل هذه المجموعة الناطقة، وبهذا السجل الخالد لنبيها بالسند المتصل، بل بالعكس من ذلك نرى الأمم كلها فقيرة لا تملك مصدراً من مصادر الحديث عن الأنبياء حيث انقطعت الصلة بينها وبين أنبيائها علمياً وتاريخياً، وفقدت الحلقة التاريخية التي تصلها بعصر هؤلاء الرسل -عليهم صلوات الله وتسليماته- وتوقفها على شئون حياتهم، وما يكتنفها من ظروف وملابسات حتى صار كثير من المفكرين يشكون في وجودهم، ونحن على معارضتنا لهذا التطرف، نؤمن بأن هناك حلقات مفقودة لا يمكن البحث عنها، والاهتداء إليها .

أما خاتم الرسل والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليه - فهو الرسول الذي نعرف عنه كل دقيق وجليل، ونعرف عنه من دقائق الأخلاق والعادات والميول والرغبات، والقول والعمل ما لا نعرفه عن غيره بالسند المتصل، بل إن ما عرفناه عن الأنبياء جاء من طريق الوحي الذي أنزله الله عليه في كتابه، وبينه لنا ﷺ في حديثه الشريف .

**فالحديث المتصل :** هو السجل الخالد الذي حفظ لنا هذه الحياة المباركة، وهو من خصائص هذه الأمة دون ما سواها . وهو الذي يعرف المسلم بنبيه وحبيبه ويسعده بصحبته، وكأته حضر مجلسه، واستمع لحديثه، وقضى معه مدة من الزمان؛ ليسمع كلامه، ويشاهد فعله، ويشاهد سيرته، ثم إنه ميزان عادل لحركة هذه الأمة، زاهر بالحياة النابضة، والقوة المؤثرة التي تبعث على الخير والفلاح والرشد والصلاح .

ومن رحمة الله تعالى أن كانت أمة الإسلام أمة تملك قوة الذاكرة، وعظمة الصدق وتحمل الرواية، وقد فاقت في ذلك كل الأمم، وقد وعى الصحابة الكرام - رضى الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين - كل ما سمعوه وكل ما شاهدوه، وحرصوا أشد الحرص

وأبلغه على حفظه ونشره، حرصاً لم يعرف عن أمة نبي من الأنبياء، وجاء التابعون وتابعوهم فحملوا الأمانة، وبلغوا حديث الرسول الحبيب، وتتابع المسلمون جيلاً بعد جيل برواية العدل الضابط عن مثله يحفظون ويبلغون<sup>(١)</sup> أ.هـ.

وصدق القائل: "إن الحديث علم رفيع القدر، عظيم الفخر، شريف الذكر لا يعتنى به إلا كل حبر، ولا يحرمه إلا كل غمر، ولا تفنى محاسنه على مر الدهر، لم يزل في القديم والحديث يسمو عزةً وجلالاً، إذ به يعرف المراد من كلام رب العالمين، ويظهر المقصود من حبله المتصل الثمين، ومنه يدري شمائل من سما ذاتاً ووصفاً واسماً، ويقف على أسرار بلاغة من شرف الخلاق عرباً وعجماً"<sup>(٢)</sup>.

يقول الدكتور محمد علي الصابوني: "وسيطل الحديث النبوي بالسند المتصل من الخصائص التي اختص الله ﷺ بها هذه الأمة الإسلامية، ذلك الكنز الثمين، والتراث النبوي العظيم، الذي تركه لنا سيد المرسلين ﷺ، فحفظته الأمة غصاً طرياً على مدى العصور والأزمان وها نحن اليوم وقد مضى القرن الرابع عشر، ودخلنا في القرن الخامس عشر من هجرة سيد المرسلين ﷺ نقرأ حديث نبينا ﷺ ونسمعه ونحفظه، كما نطق به رسول الله ﷺ ويخطب به ويذاع على العالم، نقيماً صحيحاً وكأن رسول الله ﷺ حيٌّ بين أظهرنا نتحدث به هذه الساعة، ولم يكن مثل هذا لأمة من أمم الأرض، أمة حفظت ورعت كلام نبينا كما رعت وحفظته هذه الأمة الإسلامية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، ليبقى دين الله ﷻ خالداً دائماً مدى الأزمان"<sup>(٣)</sup>.

(١) السنة بين أنصارها وخصومها مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم ٧٤٨ ج ١ / ١٩، ١٨ بتصرف.

(٢) نقلاً عن السنة النبوية للدكتور أحمد كريمة ص ١٨.

(٣) السنة النبوية المطهرة قسم من الوحي الألهي المنزل ص ٨٣ بتصرف يسير.

## المبحث الرابع الحديث النبوي تاريخ الإسلام

لا يخفى أن القرآن الحكيم إنما نزل لهداية البشر إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، ولهذا بين لهم طريق العمل وسبل النجاح، وأعلن أن الأمة التي تعمل بهذا القانون تكون لها الخلافة في الأرض وتنال من السعادة والسيادة ما لا يزيد عليه، وتكون خير أمة أخرجت للناس. وكل من لم يعمل بهذا القانون يكون ذليلاً مهاناً في الأرض، وشقياً في الدنيا والآخرة .

فإذا سألنا أحدًا : هل وجدت أمة في زمن من الأزمان عملت بهذا القانون؟ وهل نالت به ما وعدت؟ ومتى كانت هذه الأمة، وكيف كانت طريقة عملها بهذا القانون، وأين التاريخ الصحيح لأعمالها؟ نقول له : نعم وجدت أمة عظيمة عملت بهذا الكتاب الحكيم، واتخذته قانوناً أساسياً لها مدة كبيرة، فصدقها الله وعده، وأنعم عليها بالخلافة والسيادة في الأرض، وامتد سلطانها إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكانت أمة لا نظير لها في تاريخ العالم. وتاريخ أعمالهم المجيدة، وطريقة تنفيذهم لأحكام القرآن وكيفية عملهم بها، كل ذلك ثابت محفوظ بصورة عديمة المثال، فإنه لا يوجد تاريخ لأمة من الأمم يبين عملها وتمسكها في كل شعونها بقانونها مثل تاريخ هذه الأمة .

هذه الأمة هي : الرسول ﷺ وأصحابه، والتابعون لهم بإحسان، وهذا التاريخ هو الحديث. فبالحديث يعلم كيف عمل الرسول وأصحابه بالقرآن وبه يعرف أن القرآن، قانون قد عمل به ونجحت أصوله الإدارية، والسياسية، والمدنية، والأخلاقية... إلخ. وليس هو مجموعة نظريات محتاجة للإثبات بالتجربة والتطبيق. وأما إذا عملنا برأى المنكرين للحديث فيضيع تاريخ الإسلام الذهبي، ولا يقدر أحد أن يثبت أن القرآن قد عملت به أمة من الأمم ونجحت في تأسيس حكومة مدنية مطبقة لتعليماته. فهل يرضى المسلمون بهذا؟ لا والله، لا المسلمون يرضون بهذا، ولا العلم، ولا التاريخ يرضيان به ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (١).

(١) الآية ٧٨ من سورة النساء. وانظر : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد سليمان الندوي ص ١٢، ١٣، وقارن بالإسلام على مفترق الطرق للعلامة محمد أسد ص ٩٣ .

## المبحث الخامس دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم

قال الدكتور محمد الصباغ : إن دراسة الحديث أمر ضرورى لطالب العلم سواء أكان متخصصاً فى الشريعة أم فى العربية أم فى التاريخ أم فى غير ذلك من العلوم أما ضرورته للتخصص فى الشريعة فواضحة .

### الحديث واللغة العربية :

وأما بالنسبة لطالب العربية فنستطيع أن نجعل الدواعى لدراسته فيما يأتى :  
أولاً : لأن تأثير الحديث النبوى على ثقافتنا العربية يفوق كل تصور، فلقد صبغت طريقته كل فنون ثقافتنا ومعارفنا، وإنك تجد طريقة السند عمت كل أنواع الكتب فى مكتبتنا من أدبية وتاريخية وغيرهما إذ تعتمد السند فى إيراد أخبارها مثل كتاب "الأغاني" لأبى فرج الأصفهاني، و "الأمالي" لأبى على القتالي، و "تاريخ الرسل والملوك" لابن جرير الطبرى، بل إن كثيراً من العلوم ما كان ليوجد لولا الحديث؛ فطبقات الرجال، وكتب التواريخ، وكتب التراجم والسيرة، كل هذا ثمره من ثمرات الحديث النبوى .

يقول الدكتور شوقي ضيف : "فالحديث هو الذى فتح باب الكتابة التاريخية، وهياً لظهور كتب الطبقات فى كل فن، وهذا غير ما نشأ عنه من علوم الحديث وغير مشاركته فى علوم التفسير والفقه، مما بعث على نهضة علمية رائعة". وقال الدكتور أحمد أمين : "كان جمع الحديث أساساً لكل العلوم الدينية تفرع عنه التفسير والفقه وتاريخ السيرة وتاريخ الفتوح والطبقات ... إلخ<sup>(١)</sup> .

ثانياً : لأن الحديث النبوى من بليغ ما أثر فى لغتنا، ومن أرفع النصوص الأدبية بياناً وإشراقاً بعد القرآن الكريم، والدراسة المفيدة للجدية للغة العربية هى الدراسة التى تجعل الطالب يتخرج بالنصوص الجميلة وتصله بها، حتى يتأثر بأساليبها وطريقاتها فى القول....

(١) ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين ٣ / ٣٦٢ .

ثالثاً : لأن علوم العربية وآدابها إنما كانت من أجل خدمة القرآن والحديث، بل إننا نستطيع أن نقول : إن كل ما فى ثقافتنا من تنوع وتعدد وتلون فى العلوم والفنون والمعارف؛ إنما كان لخدمة القرآن والسنة وفى ذلك يقول الإمام عبد القادر البغدادي<sup>(١)</sup> : اعلم أنه لا خصلة من الخصال التى تعد فى المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم، وأنواع الاجتهادات، إلا ولأهل السنة فى ميدانها القدر المسمى، والسهم الأوفر<sup>(٢)</sup>.

رابعاً : لأن هناك التزاماً وثيقاً بين العربية والعلوم الإسلامية، وكل دارس للعربية لا يعد واقفاً على أسرارها ما لم يشارك فى العلوم الإسلامية الأخرى.

خامساً : لأن الحديث النبوى من الأصول التى يستشهد بها على قواعد اللغة<sup>(٣)</sup>.

سادساً : لأن قواعد علم المصطلح التى وضعها أجدادنا المسلمون تعلم المنهجية فى الحكم على الأخبار دون أن يكون تأثر بأى اعتبار آخر غير تطبيق تلك القواعد.

قلت : وهو علم تفتخر به هذه الأمة على البشرية جمعاء فهو من خصوصيتها، وسيأتى تفصيل ذلك فى مبحث (أهمية الإسناد فى الدين، واختصاص الأمة الإسلامية عن سائر الأمم)<sup>(٤)</sup>.

## الحديث والتاريخ :

وأما طالب التاريخ فيكفينا للدلالة على أهمية دراسة الحديث بالنسبة له أن نورد قول الدكتور أسد رستم أستاذ التاريخ فى الجامعة اللبنانية<sup>(٥)</sup>، قال : وأول من نظم

(١) عبد القادر البغدادي : هو عبد القادر بن طاهر بن محمد التميمي، الأستاذ أبو منصور البغدادي، الفقيه الشافعي الأصول النحوي المتكلم، صاحب المؤلفات الكثيرة النافعة، منها "تفسير القرآن" و"فضائح المعتزلة" و"التحصيل فى أصول الفقه" و"الفرق بين الفرق" توفى سنة ٤٢٩هـ له ترجمة فى إنباه الرواة للقفطى ٢/ ١٨٥، وبغية الوعاة ٢/ ١٠٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٧٢، وهداية العارفين ٥/ ٦٠٦، وطبقات الشافعية لابن السكيت ٥/ ١٣٦، وطبقات المفسرين للبغدادى ١/ ٣٣٢ رقم ٢٩٤، وفوات الوفيات لابن شاكر ١/ ٦١٣، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٤٤، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ١/ ٣٩٣ رقم ١٧.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٣٢١ .

(٣) سيأتى تفصيل ذلك فى الجواب عن شبهة رواية الحديث بالمعنى ص ٣٨٦-٣٩٥ .

(٤) انظر : ج ٢ ص ١٤٨ .

(٥) وقال الدكتور السباعي فى كتابه السنة ومكانتها ص ١٠٨ هو أستاذ التاريخ فى الجامعة الأمريكية فى بيروت سابقاً وهو مسيحي تفرغ أخيراً لأخبار الكنيسة الأرثوذكسية.

نقد الروايات التاريخية، ووضع القواعد لذلك علماء الدين الإسلامى، فإنهم اضطروا اضطراباً إلى الاعتناء بأقوال النبى ﷺ وأفعاله لفهم القرآن وتوزيع العدل فقالوا : إن هو إلا وحى يوحى، ما تلى منه فهو القرآن، وما لم يتل فهو السنة . فأنبروا لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها فأتحمقوا علم التاريخ بقواعد لا تزال فى أسسها وجوهرها محترمة فى الأوساط العلمية حتى يومنا هذا .

يقول الدكتور محمد الصباغ : "وقد وضع الأستاذ المذكور كتاباً بعنوان (مصطلح التاريخ) وقد اعتمد فيه على القواعد التى قررها علماء مصطلح الحديث .

ووصف كتابه بأنه بحث فى نقد الأصول، وتحرى الحقائق التاريخية وإيضاحها وعرضها وفيما يقابل ذلك من علم الحديث يقول : "ويمكاننا أن نصارح زملاءنا فى الغرب فنؤكد لهم بأن ما يفاخرون به من هذا القبيل نشأ وترعرع فى بلادنا، ونحن أحق الناس بتعليمه والعمل بأسسه وقواعده<sup>(١)</sup>".

يقول الدكتور السباعى : "وقد اعترف المؤلف فى كتابه بأن قواعد مصطلح الحديث أصح طريقة علمية حديثة لتصحيح الأخبار والروايات، وقد قال فى الباب السادس (العدالة والضبط) بعد أن ذكر وجوب التحقيق من عدالة الراوى، والأمانة فى خبره : "ومما يذكر مع فريد الإعجاب والتقدير ما توصل إليه علماء الحديث منذ مئات السنين فى هذا الباب . وإليك بعض ما جاء فى مصنفاتهم نوره بحروفه وحذافيره تنوياً بتدقيقهم العلمى، واعترافاً بفضلهم على التاريخ ... ثم أخذ فى نقل نصوص عن الأئمة مالك ومسلم والغزالي والقاضى عياض وأبى عمرو بن الصلاح<sup>(٢)</sup> .

وتأتى أهمية الحديث النبوى فى غير ذلك من العلوم بأنه مصدر لكل معرفة فقد بين النبى ﷺ من خلال حديثه الشريف جميع أحكام الحياة والموت كما قال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - "وقد توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه فى السماء إلا ذكر للأمة منه علماً، وعلمهم كل شئ حتى آداب التخلّى، وآداب الجماع، والنوم، والقيام، والقعود، والأكل والشرب، والركوب والنزول، والسفر والإقامة، والصمت والكلام، والعزلة والخلطة، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وجميع أحكام الحياة والموت، ووصف لهم العرش والكرسى والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة

(١) انظر : الحديث النبوى للدكتور محمد الصباغ ص ١٦ : ١٨ بتصرف .

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى للدكتور السباعى ص ١٠٨ بتصرف يسير .

وما فيه حتى كأنه رأى عين، وعرفهم معبودهم وإلههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله ونعوت جلاله، وعرفهم الأنبياء وأممهم وما جرى لهم وما جرى عليهم معهم حتى كأنهم كانوا بينهم، وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقتها وجليلها ما لم يعرفه نبي لأمته قبله، وعرفهم ﷺ من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يعرف به نبي غيره، وكذلك عرفهم ﷺ من أدلة التوحيد والنبوة والمعاد والرد على جميع فرق أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده، اللهم إلا إلى من يبلغه إياه ويبينه ويوضح منه ما خفى عليه، وكذلك عرفهم ﷺ من مكاييد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته لم يقدروا على عدو أبداً، وكذلك عرفهم ﷺ من مكاييد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها وما يتحرزون به من كيد ومكره وما يدفعون به شره ما لا مزيد عليه وكذلك عرفهم ﷺ من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها وكمائناتها ما لا حاجة لهم معه إلى سواه؛ وكذلك عرفهم ﷺ من أمور معاشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة.

وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته، ولم يوجههم الله ﷻ إلى أحد سواه<sup>(١)</sup>. فكيف يظن بعد كل ذلك أن يكون للإسلام وللمسلمين دين وعلم وحضارة بدون السنة النبوية المطهرة؟

ومن هنا كان التشكيك في الأحاديث النبوية تشكيكاً في الإسلام، وفي جميع العلوم والمعارف كما قال الدكتور محمد أبو زهو - رحمه الله تعالى - (ولو أننا ذهبنا نستمتع إلى من في قلوبهم مرض، من دعاة الإلحاد، وخصوم الإسلام، وصرنا إلى ما صاروا إليه من الشبهات، المؤسسة على شفا جرف هار، لنهبت ثقتنا بجميع العلوم، ذلك؛ لأن علمائها لم يبدلوا فيها، من الدرس والتمحيص، والدقة والتحري، عشر معشار ما بذله علماء الحديث، في حفظ السنة ورعايتها، وتمييز صحيحها من ضعيفها، ومعرفة أحوال رواتها على اختلاف طبقاتهم وأزمנתهم وأمكنتهم، فإذا انهار حصن السنة الحصين، بعد تلك العناية البالغة، التي يشهد بها التاريخ والواقع، لم يبق هناك علم نرجع إليه أو نثق به، وكفى بذلك حمقاً وجهلاً)<sup>(٢)</sup>.

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين ٤ / ٣٧٥، ٣٧٦.

(٢) الحديث والمحدثون ص ٢١٠، ٢١١. انظر: السنة في مواجهة أعدائها للدكتور طه حبيشي مبحث (إنكار السنة اعتداء على المناهج العلمية) ص ١٦١.

## الباب الأول

### التحريف بأعداء السنة النبوية

وفيه تمهيد وأربعة فصول :

الفصل الأول : أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع قديماً (الخوارج،  
والشيعة، والمعتزلة) .

الفصل الثاني : أعداء السنة النبوية من المستشرقين .

الفصل الثالث : أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع حديثاً (العلمانية،  
والبهائية، والقاديانية) .

الفصل الرابع : أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية  
المطهرة .



## تَمْهِيدٌ

وفيه التعريف بأعداء : لغة وشرعاً .

### التعريف بأعداء لغة :

أعداء جمع عدو وهو جمع لا نظير له، وفي القرآن الكريم قال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ...﴾ (١) وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٢) .

وفي السنة المطهرة قال ﷺ "... يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ﷻ بي، ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله ﷻ بي، ألم آتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم" قالوا : بلى يا رسول الله .... (٣) .

والأعداء جمع الجمع، وقال الراغب : أصل العدو التجاوز ومنافاة الالتئام، فتارة يعتبر بالمشى، فيقال له : العدو، وتارة بالقلب فيقال له : العداوة، وعدا عليه من باب سما عدوا وعدوا كفلس وفلوس وبهما قرأ قوله تعالى : ﴿فَيَسْجُودَا لِلَّهِ عَدُوًّا بَغِيضٍ عِلْمٌ﴾ (٤) وقرأ الحسن عدواً مثل سمو .

وقال سيبويه (٥) : عدو وصف، ولكنه ضارع الإسم، وقد يشنى ويجمع ويؤنث، وهو ضد الولي، ويقال : عدو بين العداوة والمعاداة، والأنثى عدوة يقال : هذه عدوة الله قال الفراء (٦) : وإنما ادخلوا فيها الهاء تشبيهاً بصديقة؛ لأن الشيء قد يبنى على

(١) جزء من الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ١٩ من سورة فصلت .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٠٤/ ٣ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) جزء من الآية ١٠٨ من سورة الأنعام .

(٥) سيبويه : هو أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب بسيبويه، إمام النحاة، من أحسن مؤلفاته كتابه المسمى "الكتاب"، مات سنة ١٨٠هـ له ترجمة في : إشارة التعيين لليماني ص ٢٤٢ رقم ١٤٨، والبداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٦٧، والأعلام ٥/ ٢٥٢، وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٩، وشذرات الذهب ١/ ٢٥٢، وطبقات النحويين واللغويين، ص ٦٦ .

(٦) الفراء : هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي المعروف بالفراء، كان من أعلم الكوفيين في اللغة والنحو والأدب، من مؤلفاته "معاني القرآن" و"المصادر في القرآن" و"غريب الحديث" توفي سنة ٢٠٧هـ . له ترجمة في : تهذيب التهذيب ١١/ ٢١٢ رقم ٣٥٣، ومروءة الجنان للياقني ٢/ ٣٨، ووفيات الأعيان ٦/ ١٧٦ رقم ٧٩٨، وطبقات المفسرين للنادوي ٢/ ٣٦٧ رقم ٦٨١ .

ضده وقالوا في جمع (عدوة) عدايا ولم يسمع إلا في الشعر، وتعداى القوم عادى بعضهم بعضاً .

والعداوة اسم عام من العدو ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ...﴾ (١) .

### التعريف بالأعداء شرعاً :

تحدث رب العزة في كتابه الكريم عن أعدائه وأعداء هذا الدين وهذه الأمة من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وأهل الملل الباطلة من المشركين، والكافرين، والمنافقين، وأصحاب الأهواء الزائفة قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ ... الآية﴾ (٢) .

وأكد المصطفى ﷺ تلك العداوة في سنته المطهرة، وحذر الأمة من أعدائها فقلل ﷺ عن عداوة أهل الكتاب ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (٣) .

وعن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال "لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيباً فقال : إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال : نفركم ما أفركم الله ﷻ، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدى عليه من الليل ففدعت يده ورجلاه، وليس هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا" (٤) .

وقال تعالى عن عداوة أهل الملل الباطلة من المشركين ﴿بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٥) .

وقال ﷺ في حق الكافرين ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٦) وفي حق

(١) جزء من الآية ٦٤ من سورة المائدة، وانظر : لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٧١٢، وتاج العروس للزبيدي ١٠ / ٢٣٥، ومختار الصحاح للرازي ص ٤١٨ .

(٢) الآية الأولى من سورة الممتحنة .

(٣) جزء من الآية ١٢٠ من سورة البقرة .

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الشروط، باب إذا اشترط في المزارعة (إذا شئت أخرجتك) ٥ / ٣٨٥ رقم ٢٧٣٠ .

(٥) الآية الأولى من سورة التوبة .

(٦) جزء من الآية ١٠١ من سورة النساء .

المنافقين ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال فيهم ﷺ: "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان"<sup>(٢)</sup>  
وقال ﷺ في حق أصحاب الأهواء الزائفة: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ  
عِلْمٍ﴾<sup>(٣)</sup> وقال أبو قلابة<sup>(٤)</sup> - رحمه الله - : "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم،  
فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون"<sup>(٥)</sup>.

---

(١) جزء من الآية ١٤٢ من سورة النساء.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٤٤٢٢ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) جزء من الآية ١١٩ من سورة الأنعام.

(٤) أبو قلابة : هو عبد الله بن زيد، من عبادة التابعين وزهادهم، ممن هرب من البصرة مخافة أن يولى القضاء، ثقة فاضل، كثير الإرسال، مات بالشام سنة ١٠٤هـ وقيل بعدها. له ترجمة في: تقريب التهذيب ١/ ٤٩٤ رقم ٢٣٤٤، والكاشف ١/ ٥٥٤ رقم ٢٧٣٤، والثقات لابن حبان ٥/ ٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ١١٤ رقم ٦٤٩، والثقات للمعجل ص ٢٥٧ رقم ٨١٣.

(٥) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب احتساب أهل الأهواء والبدع والخصومة ١/ ١٢٠ رقم ٣٩١.



## الفصل الأول

### أعداء السنة من أهل الأهواء والبدع قديماً

وفيه تمهيد وخمسة مباحث :

تمهيد : وفيه بيان المراد بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع .

المبحث الأول : أهمية دراسة الفرق في التأريخ للسنة .

المبحث الثاني : التعريف بالخوارج وموقفهم من السنة المطهرة .

المبحث الثالث : التعريف بالشيعة وموقفهم من السنة المطهرة .

المبحث الرابع : التعريف بالمعتزلة وموقفهم من السنة المطهرة .

المبحث الخامس : من الفرق إلى السنة النبوية الجامعة .



## تمهيد

وفيه بيان المراد بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع :

انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقد بلغ رسالة ربه ﷺ كاملة، وما من خير إلا دل الأمة عليه، وما من شر إلا وحذرهم منه، كما قال ﷺ : "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم" ... الحديث (١) .

كان رأس الخير الذي دل عليه ووصى به الاعتصام بكتاب الله ﷻ وسنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، كما جاء في الحديث : "إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبداً؛ كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ" (٢) .

وفى الحديث أيضاً قال رسول الله ﷺ : "أوصيكم بتقوى الله ﷻ والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً؛ فإنه من يعش منكم بعدى فسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ" ... الحديث (٣) .

وكان من الشر الذي حذر منه الأمة أهواء أهل البدع - كما جاء في الحديث عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة (٤) : "يا عائشة (٥) إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء" (٥) هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء، ليس لهم توبة أنا منهم برئ، وهم مني برآء (٦) .

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإمامة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول ٦ / ٤٧٣ رقم ١٨٤٤ من حديث عبد الله بن عمرو ؓ .

(٢) سبق تفريجه ص ٥٣ .

(٣) سبق تفريجه ص ٤٤ .

(٤) عائشة (رضي الله عنها) لها ترجمة في : الإصابة ٨ / ١٦ رقم ١١٤٦١، والاستيعاب ٤ / ١٨٨١ رقم ٣٤٧٦، وأسد الغابة ٧ / ١٨٦ رقم ٧٠٩٣، وتاريخ الصحابة ص ٢٠١ رقم ١٠٧٢، وتذكرة الحفاظ ١ / ٢٧ رقم ١٣ .

(٥) الآية ١٥٩ من سورة الأنعام .

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥ / ٤٤٩، ٤٥٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤ / ١٣٨، والطبراني في الصغير ١ / ٣٠٣، من حديث أبي هريرة، وقال الميثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٢٢، ٢٣، إسناده الطبراني في الصغير جيد، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتأخرة كتاب السنة وذم البدع، باب في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ ١ / ١٤٤، رقم ٢٠٩، وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ١٩٦ .

وفى الحديث عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(١)</sup> قالت : قال رسول الله ﷺ : " فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"<sup>(٢)</sup> وعن أبى أمامة الباهلى<sup>(٣)</sup> عن النبى ﷺ فى قوله ﷻ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾<sup>(٤)</sup> قال هم الخوارج، وفى قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾<sup>(٥)</sup> قال : هم الخوارج<sup>(٦)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير<sup>(٧)</sup> : وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفاً من كلام الصحابى ومعناه صحيح، فإن أول بدعة وقعت فى الإسلام؛ فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين كان النبى ﷺ يقسم قسماً، فكانهم رأوا فى عقولهم الفاسدة، أنه لم يتق الله ولم يعدل فى القسم، ففاجتوه بهذه المقالة فقال قائلهم وهو ذو الخويصرة - بقر الله خاصرته - اتق الله يا محمد، فعن أبى سعيد الخدرى<sup>(٨)</sup> قال :

(١) الآية ٧ من سورة آل عمران .

(٢) أخرجه البخارى (شرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات ٨ / ٥٧ رقم ٤٥٤٧، وأخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب العلم باب النهى عن إتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه ٨ / ٤٦٩ رقم ٢٦٦٥ .

(٣) أبو أمامة الباهلى هو : صدى بن عجلان بن وهب، صحابى جليل . له ترجمة فى : الإصابة ٢ / ١٨٢ رقم ٤٠٧٩، والاستيعاب ٢ / ١٢٣٧ رقم ١٢٤٢، وأسد الغابة ٣ / ١٥ رقم ٢٤٩٧، وتاريخ الصحابة ص ١٣٧ رقم ٢٦٧٥، ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٥ رقم ٣٢٧، وتجريد أسماء الصحابة ١ / ٢٦٤ .

(٤) جزء من الآية ٧ من سورة آل عمران .

(٥) الآية ١٠٦ من سورة آل عمران .

(٦) أخرجه أحمد فى مسنده ٥ / ٢٦٢ .

(٧) ابن كثير : هو إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء، القرشى البصرى الدمشقى الشافعى، كان عالماً حافظاً فقيهاً، ومفسراً نقاداً، ومؤرخاً كبيراً، من مصنفاته : تفسير القرآن العظيم، والبدية والنهاية مات سنة ٧٧٤هـ . له ترجمة فى : الدرر الكامنة لابن حجر ١ / ٣٧٣ رقم ٩٤٤، وطبقات المفسرين للدودى ١ / ١١١ رقم ١٠٣، وشنرات الذهب لابن العماد ٦ / ٢٣١، والبدر الطالع للشوكانى ١ / ١٥٣ رقم ٩٥ . وذيل تذكرة الحفاظ ص ٥٧، ٣٦١، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٣٣ رقم ١١٥٩ .

(٨) أبو سعيد الخدرى : هو سعد بن مالك صحابى جليل . له ترجمة فى : الإصابة ٢ / ٥٣، رقم ٣٢٠، والاستيعاب ٢ / ١٦٧١، رقم ٩٥٨، وأسد الغابة ٢ / ٤٥١ رقم ٢٠٣٦، وتاريخ الصحابة ص ١١٣ رقم ٥١٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٧ رقم ٢٦، وتجريد أسماء الصحابة ٢ / ١٧٢، وتذكرة الحفاظ ١ / ٤٤ رقم ٢٢ .

بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أثناه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم. فقال : يا رسول الله اعدل فقال : "ويلك ومن يعدل إذ لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل" فقال عمر : وفي رواية خالد<sup>(١)</sup> : يا رسول الله ائذن لي فيه، فأضرب عنقه . فقال "دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، ويقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... الحديث"<sup>(٢)</sup> ثم كان ظهورهم أيام علي عليه السلام وقتلهم بالنهروان، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة متشعبة، ثم انبثقت القدريّة، ثم المعتزلة، ثم الجهميّة، وغير ذلك من البدع التي أخرج عنها الصادق المصدوق عليه السلام في قوله "... وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا : وما هم يا رسول الله؟ قال : "من كان على ما أنا عليه وأصحابي"<sup>(٣)</sup> .

وعن عمر بن الخطاب عليه السلام قال : "أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلنت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا : لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فأيّاكم وإياهم"<sup>(٤)</sup> .

ومرادى هنا بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع تلك الفرق التي أخرج عنها المعصوم عليه السلام وتغالّت في بدعتها من الخوارج، والشيعة، والمعتزلة، الذين لقيت السنة المطهرة من أهوائهم وعنتهم عناءً كبيراً، وكان لأرائهم الجاحقة في الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - أثر كبير في اختلاف الآراء، والأحكام في الفقه الإسلامي، وفيما أثير حول السنة من شبه<sup>(٥)</sup> .

(١) خالد : هو خالد بن الوليد صحابي جليل . له ترجمة في : الإصابة ١ / ٤١٣ رقم ٢٢٠٦ ، والاستيعاب ٢ / ٦٠٣ رقم ٦٢١ ، واسد الغابة ٢ / ١٤٠ رقم ١٣٩٩ ، وتاريخ الصحابة ٨٥ رقم ٣٤٩ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٩ رقم ١٥٧ .

(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ج٦ ص ٧١٤ رقم ٣٦١٠ ، وأخرجه مسلم (بشرح التووي) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٤ / ١٧١ ، ١٧٢ رقم ١٠٦٤ .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص ٤٤ ، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٣٤٦ بتصرف .

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢ / ١٣٥ ، والخطيب في الفقيه والمتفقه ١ / ٤٥٤ رقم ٤٧٩ .

(٥) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور السباعي ص ١٣٣ بتصرف ، وانظر : الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين للدكتور أحمد محرم ١ / ١٨٩ .

## المبحث الأول

### أهمية دراسة الفرق فى التأريخ للسنة المطهرة

سبق وأن ذكرنا أن السنة المطهرة لقيت من عنت أهواء تلك الفرق عناءً كبيراً، وكان لها الأثر الكبير فيما أثير حول السنة من شبهات، ومن هنا كان لابد لكل من يؤرخ للسنة أو يتحدث عن الشبهات التى يظن بها أعداء الإسلام فى حجيتها أو مكانتها فى التشريع الإسلامى، أن يتعرض للتأريخ لهذه الفرق، فهى فضلاً عن موقفها من السنة المطهرة ومن صحابة رسول الله ﷺ كان لها الأثر الكبير فى تفريق الأمة الإسلامية إلى أحزاب وشيع. من هذا المنطلق تأتى أهمية دراسة تلك الفرق لما يأتى :

**أولاً :** لأن هذه الفرق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسى تلك الفرق ولا بزمَنهم، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق فى وقتنا الحاضر، فإننا إذا نظرنا إلى بعض تلك الفرق الماضية كالخوارج (القرآنيون) نجد أن لها امتداد يسرى فى حاضر الأمة سريان الوباء، وكذلك المعتزلة لا زالت أفكارهم حية قوية يتشدد بها بعض المغرضين من الذين استهوتهم الحضارة الغربية والشرقية، فراحوا يمجّدون العقل ويحكمونه فى نصوص الشرع قرآناً وسنة، فما وافق عقولهم قبلوه وإلا ردوه، أو تأولوه تأويلاً يضر بعقيدة المسلم، ويصفون من يعتمد على ما وراء ذلك بالتأخر والانزواء.

إنهم يريدون الخروج عن النهج الإسلامى، ولكنهم لم يجرؤوا صراحة على ذلك، فوجدوا أن التستر وراء تلك الآراء التى قال بها من ينتسب إلى الإسلام خير وسيلة لتحقيق ذلك، فذهبوا إلى تمجيد تلك الأفكار لتحقيق أهدافهم البعيدة.

فتأتى أهمية دراسة تلك الفرق لبيان ما فيها من أفكار وآراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام، وكيف يعمل على إحيائها وترويجها فى العصر الحاضر من سار على دربهم أو تأثر بهم، ذلك أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم فى وضوح تام، فلكل قوم وارث، وصدق رب العزة ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾<sup>(١)</sup> وصدق نبينا ﷺ "لتبعن سنن من كان قبلكم شرباً

(١) جزء من الآية ١١٨ من سورة البقرة.

بشبر، وذراعاً بذراع، حتى ولو سلكوا جحر ضب، لسلكتموه، قلنا : يا رسول الله! اليهود والنصارى قال فمن؟" (١) .

ويأتى الهدف من وراء ذلك بكشف القناع عن تلك الحركات والأفكار الهدامة التى يقول بها فى العصر الحاضر أولئك الخارجون عن الخط السوى والصراط المستقيم، لتعرية دورهم الخطير فى الطعن والتشكيك فى الإسلام قرآن وسنة، وإشاعة الفرقة والاختلاف فى صفوف المسلمين، بتعريف الناس بأمرهم وبحقيقة فكرهم للتحذير منهم .

ثانياً : إن دراسة تلك الفرق يكشف لنا جذور البلاء الذى شتت قوى المسلمين وفرقهم شيعاً، وجعل بأسهم بينهم شديداً، كما يكشف لنا جذور شبهات أعداء السنة فى العصر الحاضر .

ثالثاً : إن الفرق التى ظهرت قديماً ما من فرقة منها إلا وقد قامت مبادئها على بعض المنكرات، وهى تدعى أنها هى المحقة وما عداها على الضلال، فألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروقهم وخروجهم وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة فى أثواب براقة لترويج بدعهم والدعوة لها. فتأتى دراسة تلك الفرق لبيان أضرارها على العقيدة الإسلامية ووحدة الأمة ورداً على من يزعمون أن الخوارج كانوا من الصحابة، وأن المعتزلة - وهم كانوا من الصحابة والتابعين - رفضوا السنة فى العقائد كما رفضها الخلفاء الراشدون والخوارج، بل يزعمون زيادة على ما سبق أنهم هم الذين نقلوا القرآن، ونقلوا شعائر الدين قبل إقرار مذهب السلف فى ديار المسلمين ... (٢) .

رابعاً : إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق، فيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد، وأن تدعوا إلى كل ما تريد من بدع وخرافات دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد كما هو الواقع، فإن كثيراً من طلاب العلم - فضلاً عن عوام المسلمين - يجهلون أفكار فرق يموج بها العالم، وهى تعمل ليلاً ونهاراً لنشر باطلهم، ولعل هذه

(١) سبق تخريجه ص ٣٤ .

(٢) كشف الشبهات عن الشيخ الغزالي للدكتور أحمد حجازى السقا ص ٦٣، ٧٧، ٩٤ .

الغفلة من المسلمين عن التوجه لكشف هذه الفرق المارقة، لعله من تخطيط أولئك المارقين الذين يحلوا لهم حجب الأنظار عنهم، وعن مخططاتهم الإجرامية، ولا أدل على ذلك من تلك الأفكار وبعض العبارات التي يرددها كثير من المسلمين في كثير من المجتمعات الإسلامية دون أن يعرفوا أن مصدرها إما من الخوارج مثل قولهم لا حجة في شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن، أما السنة فلا حجة فيها، ومثل استحلال دماء المسلمين لأقل شبهة، وتكفير الشخص، بل المجتمعات الإسلامية بأدنى ذنب، أو من المعتزلة مثل تمجيد العقل، وتحكيمه في نصوص الشرع قرآناً وسنة، فما وافقه قبل وإلا فإفرد، أو من الشيعة مثل تكفير الصحابة أو بعضهم واتهامهم، بالكذب والخوض في فتنة عثمان وعلي ومعاوية - رضوان الله على الجميع - أو من البهائية مثل تقديس العدد تسعة عشر، إلى غير ذلك .

ومن المعلوم أن ذلك إنما يعود إلى الجهل بأفكار وأهداف هذه الفرق التي أضلت كثيراً من شباب هذه الأمة في كثير من المجتمعات الإسلامية قديماً وحديثاً، من هنا تأتي أهمية دراسة الفرق وكشف القناع عن أهوائها وبدعها ليكون ذلك الكشف نوراً يضيء لشباب الأمة طريقه وسط هذا الظلام الفكري المفتعل من قبل ذبول تلك الفرق التي تعمل في الظلام لنشر أفكارها، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام<sup>(١)</sup> .

(١) فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها للدكتور غالب عواجي ١/ ٢٢-٢٦، وانظر : المرافقات للشايطي فصل (تعريف الفرق الزائفة) ٤/ ٥٣٩ وما بعدها، وفصل (ضلال هذه الفرق لا يخرجها عن الملة) ٤/ ٥٥٠ وما بعدها، والاعتصام باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال ١/ ١٧٨ وما بعدها، وحكم هذه الفرق ٢/ ٤٦٢ وما بعدها.

## المبحث الثاني التعريف بالخوارج وموقفهم من السنة المطهرة

### التعريف بالخوارج لغة واصطلاحاً

١- في اللغة : الخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجى اسم مشتق من الخروج وقد أطلق علماء اللغة لكلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام على - كرم الله وجهه- أو لخروجهم على الناس<sup>(١)</sup>.

٢- وفي الاصطلاح : الخوارج هم الذين أنكروا على عليّ التحكيم، وتبرؤوا منه، ومن عثمان وذريته وقتلوه، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة منهم<sup>(٢)</sup> وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين<sup>(٣)</sup> وكل من شاركهم في آرائهم في أي زمن يسمى خارجياً<sup>(٤)</sup>.

وترجع بداية نشأة الخوارج كفرقة ذات اتجاه سياسى وفكر خاص حين خرجوا على الإمام على - كرم الله وجهه- بعد أن رضى بالتحكيم في موقعة صفين، والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة<sup>(٥)</sup>.

### الخوارج وهل كان فيهم أحد من الصحابة أو أصحابهم؟

لم يكن في الخوارج أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا من فقهاء أصحاب الصحابة من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ولو كان فيهم أحد من فقهاء الصحابة أو من أصحابهم ما اجتزعوا على الفتنة والخروج على خليفة المسلمين واتهامه بالكفر وقتله، وإنما هم قوم من الأعراب الجفاة الغلاظ وكان يقال لهم : القراء لشدة

(١) القاموس المحيط ١/١٨٣، ١٨٤، وتاج العروس ٢/ ٣٠، وانظر : فتح الباري ١٢ / ٢٩٦ أرقام ٦٩٣٠ - ٦٩٣٢ .

(٢) هدى السارى لابن حجر ص ٤٨٣ .

(٣) فتح الباري ١٢ / ٢٩٦ أرقام ٦٩٣٠ - ٦٩٣٢ .

(٤) الملل والنحل ١ / ١١٤، والفصل في الملل والنحل ٤ / ١٥٧، ومقالات الإسلاميين ١ / ٢٠٧ .

(٥) الفصل في الملل والنحل ٤ / ١٥٧، والملل والنحل ١ / ٢١، والبداية والنهاية لابن كثير ٧ / ١٨٩، وانظر : فرق معاصرة للدكتور غالب عواجى ١ / ٧٠، ٧١ .

اجتهادهم فى التلاوة والعبادة، إلا أنهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم ويتنطعون فى الزهد والخشوع وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء القوم تنبأ بهم المصطفى ﷺ وحذر الأمة منهم، وحرص على قتلهم، وذلك عندما تجرأ من هو من جنسهم أو نسلهم ذو الخويصرة على النبى ﷺ وهو يقسم قسماً قائلاً بتقطع وغلظة "يا محمد اعدل، يا محمد اتق الله" فيقول له النبى ﷺ: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل" ويستأذن عمر بن الخطاب، وفى رواية يستأذن خالد بن الوليد النبى ﷺ أن يقتله فيقول النبى ﷺ: دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال أظنه قال: لن أدركنهم لأقتلن قتل ثمود<sup>(٢)</sup>.

وهم كما كان مبدؤهم بسبب الدنيا كما فى الحديث السابق، كذلك كان حالهم مع خليفة المسلمين سيدنا عثمان ؓ خرجوا عليه وقتلوه طلباً للدنيا، وحقداً وحسداً له، وحملهم على ذلك قلة دين وضعف يقين، وبذلك خاطبهم الإمام على - كرم الله وجهه - .

فروى الطبرى: أن علياً ذكر إنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ ثم الذى يليه، ثم الذى يليه. وقال: على مسمع من قتله عثمان: "ثم حدث هذا الحدث الذى جره على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من أفاء الله عليه على الفضيلة وأرادوا رد الأشياء على أدبارها ثم ذكر أنه راحل غداً إلى البصرة، ليجتمع بأهـ المؤمنين وأخويه طلحة والزبير وقال: "ألا ولا يرتحل غداً أحد أعان على عثمان ؓ بشئ فى شئ من أمور الناس، وليغن السفهاء عنى أنفسهم"<sup>(٣)</sup>.

ويدل على أنهم لم يكن فيهم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا من فقهاء أصحابه من التابعين ؓ، أجمعين، ما رواه ابن عبد البر بسنده عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>

(١) فتح البارى ١٢/ ٢٩٦-٢٩٣٠ أرقام ٦٩٣٢-٦٩٣٠ .

(٢) سبق تفريجه ص ٧١ .

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك لابن جرير ٥/ ١٩٤ .

(٤) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، صحابى جليل. له ترجمة فى: الإصابة ١/ ٣٢٢ رقم ٤٧٩٩، والاستيعاب ٣/ ٩٣٣ رقم ١٦٠٦، واسد الغابة ٣/ ٢٩١ رقم ٣٠٣٧، وتاريخ الصحابة ص ١٤٨ رقم ٧١٧، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٥ رقم ١٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٠ رقم ١٨، ونجريد أسماء الصحابة ١/ ٣٢٠ .

-رضى الله عنهما- قال : لما اجتمعت الحرورية يخرجون على على قال : جعل يأتيه الرجل فيقول : يا أمير المؤمنين القوم خارجون عليك قال : دعوهم حتى يخرجوا، فلما كان ذات يوم قلت يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة فلا تفتنى حتى أتى القوم. قال : فدخل عليهم وهم قائلون فإذا هم مسهمة وجوههم من السهر وقد أثر السجود في جباههم كأن أيديهم ثفن الإبل عليهم قمص مرحضة فقالوا ما جاء بك يا ابن عباس وما هذه الخلة عليك قال قلت ما تعيبون منى فلقد رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من ثياب اليمانية قال ثم قرأت هذه الآية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (١).

فقالوا ما جاء بك؟ فقال : جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد. ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله جئت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم ... إلخ" (٢).

ويقول الدكتور أبو زهو - رحمه الله تعالى - والذي يظهر أن الخوارج في مبدئهم كانوا قوماً من الأعراب الجفاة الغلاظ الذين قال الله تعالى في شأنهم ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٣).

فليس فيهم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الذين استضاءوا بنور النبوة، وفهموا القرآن على وجهه الصحيح فلا عجب أن يغتر الخوارج بظواهر القرآن، ولو كلفوا أنفسهم النظر فيه وحده لاهتدوا إلى آيات تأمر بالتحكيم فالله تعالى يقول في سورة النساء ﴿فَابْتَغُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٤) فالتحكيم أمر مشروع والحكماء إنما يحكمون حسب ما أمر القرآن العزيز ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (٥)، وإنما لم يرض على بالتحكيم أولاً؛ لأنه كان يرى الحق معه، وأن طلب التحكيم، إنما

(١) جزء من الآية ٣٢ من سورة الأعراف.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ / ١٠٣، ١٠٤.

(٣) الآية ٩٧ من سورة التوبة.

(٤) جزء من الآية ٣٥ من سورة النساء.

(٥) جزء من الآية ٥٩ من سورة النساء.

هو خدعة من معاوية وعمرو بن العاص، يريدان بها توهين جيش على وتخدير أعصابهم، لما رأياه من تفوقهم في الموقعة فرفعوا المصاحف على أسنة الرماح طالبين تحكيم كتاب الله. ولو أن أصحاب على أطاعوه في عدم قبول التحكيم لتغير وجه التاريخ ولوقع معاوية وأهل الشام في براثن الأسد ولكن أراد الله ما قد كان، ولا راد لقضائه<sup>(١)</sup>.

**قال العلامة ابن حزم<sup>(٢)</sup> في كتابه الفصل في الملل والنحل :** "إنما حكم على ﷺ أبا موسى وعمراً ليكون كل منهما مدلياً بحجة من قدمه، وليكونا متخاصمين عن الطائفتين، ثم حاكمين لمن أوجب القرآن الحكم له، وإذا من المحال الممتنع الذي لا يمكن أن يفهم لفظ العسكرين، أو أن يتكلم جميع أهل العسكر بحجتهم، فصح يقيناً لا عيد عنه صواب على ﷺ في التحكيم والرجوع إلى ما أوجبه القرآن وهذا لا يجوز غيره، ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعراباً، قرعوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود ولا من أصحاب عمر، ولا أصحاب على، ولا أصحاب عائشة، ولا أصحاب أبي موسى، ولا أصحاب معاذ بن جبل، ولا أصحاب أبي السرداء، ولا أصحاب سلمان، ولا أصحاب زيد وابن عباس وابن عمر، ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها، فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم"<sup>(٣)</sup>.

وفى كل ما سبق رد على ما زعمه كذباً الدكتور أحمد حجازي السقا<sup>(٤)</sup> أن الخوارج كانوا من الصحابة والتابعين ورفضوا السنة كما رفضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وأنهم هم الذين نقلوا القرآن ونقلوا شعائر الدين قبل إقرار مذهب

(١) الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص ٨٤، ٨٥ .

(٢) ابن حزم : هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، روى ابنه أبو رافع أن مصنفات والده بلغت الأربعمائة، من أشهرها : الإحكام في أصول الأحكام، والفصل في الملل والنحل، مات سنة ٤٥٦هـ . وله ترجمة في : لسان الميزان لابن حجر ٤ / ٧٢٤ رقم ٥٧٨٢، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢ / ٩١، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣ / ٣٢٥ رقم ٤٤٨، وشذرات الذهب ٣ / ١٣، وتذكرة الحفاظ ٣ / ١١٤٦ رقم ١٠١٦، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٣٥ رقم ٩٨١ .

(٣) الفصل في الملل والنحل ٤ / ١٠٦ .

(٤) هو : أحمد حجازي السقا، كاتب معاصر، حصل على العالمية في الدعوة من جامعة الأزهر، ورفض الأزهر تعيينه بالجامعة، من مؤلفاته التي شكك فيها في مكانة السنة النبوية، كتابه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي، وحقيقة السنة النبوية .

السلف في ديار المسلمين ... وأنهم جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ كجماعة معاوية بن أبي سفيان ؓ، وجماعة على بن أبي طالب ؓ وهؤلاء الجماعات الثلاث بعد قتل عثمان بن عفان ؓ سب بعضهم بعضاً وقتل بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>.

### مصادر الخوارج في العقائد والأحكام :

خاض الخوارج - كغيرهم من الفرق - في مسائل اعتقادية وفقهية إلا أنهم بصفة خاصة لم تصل إلينا أكثر آرائهم من كتبهم، وإنما وصلت إلينا من كتب أهل السنة وغيرهم من علماء الفرق الآخرين<sup>(٢)</sup>.

فنقل عنهم باستثناء الإباضية منهم<sup>(٣)</sup> أنهم ينكرون حجية الإجماع والسنن الشرعية، وقد زعمت هذه الطائفة أنه لا حجة في شيء من شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن<sup>(٤)</sup>.

وقد أطلق أتباع هؤلاء، وأتباع بعض غلاة الرافضة في الأزمنة المتأخرة على أنفسهم اسم "القرآنيون"<sup>(٥)</sup>، وحجتهم الحديث الموضوع "ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فإني لم أقله"<sup>(٦)</sup>.

### وهم في تعاملهم مع كتاب الله بين موقفين :

فتارة يكونون نصيين يجمدون على المعنى الظاهر من النص دون بحث عن معناه الذي يهدف إليه وهذا رأى أحمد أمين<sup>(٧)</sup>، وأبو زهرة<sup>(٨)</sup>.

وتارة ثانية يؤولون النصوص تأويلاً يوافق أهواءهم، وقد غلطوا حين ظنوا أن تأويلهم هو ما تهدف إليه النصوص، وعلى هذا الرأى ابن عباس، وشيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٩)</sup>، وابن قيم الجوزية<sup>(١٠)</sup>.

(١) دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ٦٣، ٧٧، ٩٤ .

(٢) فرق معاصرة للدكتور غالب عواجي ١/ ١٠٦ .

(٣) دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ١/ ٢٣ .

(٤) أصول الدين للبغدادى ص ١٩، وانظر : الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٤، ١١٥، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للإمام محمد الملقى ص ٥٢، والعقيدة والشرعة لجولد تسيهر ص ١٩٣ .

(٥) انظر : السنة بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الموجود ص ٩٣ .

(٦) سيأتي تفريجه وبيان وضعه في شبهة عرض البسنة على القرآن ص ٢٢٤-٢٢٧ .

(٧) ضحى الإسلام ٣/ ٣٣٤ .

(٨) تاريخ المذاهب الإسلامية ٦٦ .

(٩) النبوات ص ٨٩ .

(١٠) شرح القصيدة التوتونية ١/ ٣٢١ وانظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواجي ١/ ١٠٧ .

وكان لموقفهم هذا من القرآن الكريم، وجهلهم بالحديث، وعدم تحملهم له عن غيرهم، لأنهم كفرة في نظرهم سبباً في أن عقائدهم وأحكامهم الفقهية جاءت مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، بل منه ما جاء مخالفاً لنصوص القرآن الكريم.

فمنهم من يرى أن التيمم جائز، ولو على رأس يثر، ومنهم من يرى أن الواجب من الصلاة إنما هو ركعة واحدة بالغداة وأخرى بالعشي، ومنهم من يرى الحج في جميع شهور السنة، ومنهم من يبيح دم الأطفال والنساء ممن لا ينتمي إلى عسكرهم<sup>(١)</sup>، ومنهم من جوز نكاح بنت الابن وبنت الأخ والأخت، ومنهم من أنكر أن تكون سورة يوسف من القرآن، وأن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن عند الله ولو اعتقد الكفر بقلبه، وعظم البلاء بهم وتوسعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رجم المحسن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادراً، وإن لم يكن قادراً فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكفوا عن أموال أهل الذمة، وعن التعرض لهم مطلقاً، وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب، فمنهم من يفعل ذلك مطلقاً بغير دعوة منهم، ومنهم من يدعوا أولاً ثم يفتك<sup>(٢)</sup>، وغير ذلك الكثير والكثير.

يقول فضيلة الدكتور أبو زهو - رحمه الله - : وهذا مما يدل على جهل عميق حتى بالقرآن الكريم، وأكثر ذلك أناهم كما قلنا من أنهم لا يعتدون برواية جمهور المسلمين، وكيف يأخذون دينهم عن قوم هم كفار في نظرهم، وإنما يعتمدون ما رواه لهم أئمتهم، وهم كما قلنا خلوا من العلم بسنة رسول الله ﷺ، بل خلوا من فهم أحكام القرآن على وجهها الصحيح.

ثم لا يغيب عن البال أن هذا الحكم لا يسرى على جميع أفراد الخوارج، بل قد وجد منهم فيما بعد أفراد وأئمة تفقهوا في الدين، ورووا الحديث، واعتمدتهم كما قال ابن الصلاح في مقدمته بعض أئمة الحديث كالبخاري فقد احتج بعمران بن

(١) انظر : فتح الباري ١٢ / ٢٩٦، ٢٩٧ أرقام ٦٩٣٠-٦٩٣٢، وانظر : الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٨٨، والمثل والنحل للشهرستاني ١ / ١١٣ - ١١٩، ومقالات الإسلاميين ١ / ١٧٣ .

(٢) انظر : فتح الباري ١٢ / ٢٩٧، ٢٩٨ أرقام ٦٩٣٠ - ٦٩٣٢، وانظر : أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح للدكتور أبو لبابة حسين ص ١٦٢-١٧٢ .

حطان<sup>(١)</sup>، وهو من الخوارج لا سيما إذا علمت أن الخوارج يحكمون بكفر من يكذب؛ لأن مرتكب الكبيرة كافر في نظرهم، والكذب من الكبائر أ.هـ<sup>(٢)</sup>.

قلت : احتجاج الإمام البخارى فى صحيحه بعمران بن حطان رغم أنه مبتدع من الخوارج؛ فقد كان رأس القعدية من الصفرية، وفقههم، وشاعرهم، وخطيبهم مع كونه داعية إلى مذهبه فقد مدح (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ احتجاج البخارى به وبغوره من المبتدعين محمول على :

- ١- أنه خرج لهم ما حمل عنهم قبل ابتداعهم.
- ٢- أو أنهم يكونون ممن تابوا ورجعوا عن بدعتهم فى آخر حياتهم.
- ٣- أو يكونون تبرؤوا مما نسب إليهم.

وعلى القول الأول حمل ما أخرجه الإمام البخارى عن عمران بن حطان قال ابن حجر -رحمه الله- : "وقد أخرج له البخارى على قاعدته فى تخريج أحاديث المبتدع إذا كان صادق اللهجة متديناً وقيل : إن يحيى بن أبى كثير<sup>(٣)</sup>، حمله عنه قبل أن يبتدع"<sup>(٤)</sup> وليس لعمران بن حطان فى البخارى سوى حديثين أحدهما متابعة<sup>(٥)</sup> والآخر أصل<sup>(٦)</sup>.

(١) عمران بن حطان : هو عمران بن حطان بكر الحاء وتشديد الطاء المهملتين السدوسى، سمع عائشة وابن عمر وابن عباس، روى عنه يحيى بن أبى كثير، وكان رأساً فى الخوارج. وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه ووثقه العجلي، وقال قتادة: كان لا يهتم فى الحديث، وقال أبو داود: ليس فى أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج ثم ذكر عمران بن حطان، وأما حسان الأعرج، وذكره ابن حبان فى الثقات، مات سنة ١٨٤هـ له ترجمة فى : تقريب التهذيب ١/ ٧٥١ رقم ٥١٦٨، والكاشف ٢/ ٩٢ رقم ٤٢٦٢، ورجال صحيح البخارى للكلاى ٢/ ٥٧٤ رقم ٩٠٤، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/ ٣٨٩ رقم ١٤٨٤، والثقات للعجلي ص ٣٧٣ رقم ١٣٠١، والثقات لابن حبان ٥/ ٢٢٢، وانظر : حاشية ابن العجمى على الكاشف ٢/ ٩٢، ٩٣، والبيان والتوضيح لمن أخرج له فى الصحيح ومس بضر من التحريج للعراقي ص ١٨٩ رقم ٢٩١ .

(٢) الحديث والمحدثون ص ٨٦، وانظر : الملل والنحل ١/ ١١٥، ١١٦ .

(٣) يحيى بن أبى كثير : هو يحيى بن أبى كثير من موالى بنى طخ من أهل البصرة عالم أهل اليمامة فى عصره، ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل مات سنة ١٣٢هـ وقيل قبل ذلك. له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٢/ ٣١٣ رقم ٧٦٦٠، والثقات لابن حبان ٧/ ٥٩١، والتاريخ الكبير للبخارى ٤/ ٢ رقم ٣٠١، وصفوة الصفوة ٤/ ٧٥٠ رقم ٦٥٧، والكاشف ٢/ ٣٧٣ رقم ٦٢٣٥، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٢٤ رقم ١٠٣٧ .

(٤) فتح البارى ١٠/ ٣٠٢ رقم ٥٨٣٥ .

(٥) انظر: صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه ١٠/ ٢٩٦ رقم ٥٨٣٥ .

(٦) انظر : المصدر السابق نفس الكتاب، باب نقض الصور ١٠/ ٣٩٨ رقم ٥٩٥٢ .

وعلى الأقوال السابقة يحمل أيضاً ما أخرج به الإمام مسلم في صحيحه عن  
المبتدعين .

### عقيدة الخوارج في الصحابة عليهم السلام وأثر ذلك على السنة المطهرة :

للخوارج في الصحابة عليهم السلام رأى يخالف رأى الجمهور من المسلمين؛ فهم على  
اختلاف فرقهم يعدلون الصحابة جميعاً قبل الفتنة، ثم يكفرون عثمان، وعلى،  
وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضى بالتحكيم، وصبو الحكمين أو أحدهما<sup>(١)</sup>،  
وبذلك ردوا أحاديث جمهور الصحابة بعد الفتنة، لرضاهم بالتحكيم، واتباعهم أئمة  
الجور على زعمهم، فلم يكونوا أهلاً لثقتهم .

أما جمهور المسلمين فقد حكموا بعدالة الصحابة جميعاً، سواء منهم من كان قبل  
الفتنة أو بعدها، وسواء منهم من انغمس فيها أو جانبها، ويقبلون رواية العدول الثقات  
عنهم، وكان من آثار هذا الاختلاف في النظر إلى الصحابة أن هوجمت السنة التي  
جمعها الجمهور وحققها أئمتهم ونقادهم، منذ عصر الصحابة حتى عصر الجمع  
والتدوين، من قبل الخوارج وهم وإن لم ينغمسوا في رذيلة الكذب على رسول الله  
ﷺ كما فعل غيرهم، نظراً لأنه عندهم كبيرة ومرتكبها كافر<sup>(٢)</sup>، ونظراً لبداوتهم  
وحفاء طبعهم وغلظتهم كانوا غير مستعدين لقبول أفراد من الأمم الأخرى؛ كالفرس،  
واليهود، والنصارى، وغيرهم ممن يريدون هدم الإسلام واندسوا في الشيعة، ووضعوا  
كثيراً من الأحاديث، فضلاً على أنهم كانوا صرحاء لا يعرفون التقية التي يؤمن بها  
الشيعة<sup>(٣)</sup> .

إلا أن موقفهم من الصحابة جعلهم يردون الأحاديث التي خرجت بعد الفتنة، أو  
اشترك رواتها بالفتنة، فضلاً عن جهلهم بأحكام القرآن على وجهها الصحيح؛ جعلهم  
يخالفون جمهور المسلمين في عقائدهم وأحكامهم الفقهية كما سبق .

يقول فضيلة الدكتور السباعي - رحمه الله - : وإنه لبلاء عظيم أن نسقط عدالة

(١) الفرق بين الفرق للبيهقي ص ٨٥، وانظر : مقالات الإسلاميين : ١ / ٢٠٤، والملل والنحل ١ / ١١٥،  
والخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية للدكتور محمد عمارة ص ١٣٩ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع ص ١٣١، ١٣٢ .

(٣) الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص ٨٧ .

جمهور الصحابة الذين اشتركوا في النزاع مع على أو معاوية، أو نسقط أحاديثهم ونحكم بكفرهم أو فسقهم، وهم في هذا الرأي لا يقلون عن الشيعة خطراً وفساد رأي، وسوء نتيجة، وإذا كان مدار الاعتماد على الرواية هو صدق الصحابي وأمانته، فيما نقل - وقد كان ذلك موفوراً عندهم - وكان الكذب أبعد شئ عن طبيعتهم ودينهم وتربيتهم، فما دخل ذلك بأرائهم السياسية وأخطائهم؟ ... ووصفهم بأوصاف لا تليق بعامية الناس، فكيف بأصحاب رسول الله ﷺ الذين كان لهم في خدمة الإسلام قدم صدق، لولاها لكنا نتيه في الظلمات ولا نعرف كيف نهتدى سبيلاً<sup>(١)</sup>.

### هل كان الخوارج يكذبون في الحديث؟

تحت هذا العنوان نفى الدكتور السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع) : أن يكون الخوارج كذبوا على رسول الله ﷺ لأنهم يكفرون مرتكب الكبيرة على ما هو المشهور عنهم، أو مرتكبي الذنوب مطلقاً كما حكاها الكعبي<sup>(٢)</sup> فما كانوا يستحلون الكذب ولا الفسق ولا التقية ونفى أن يكون هناك دليلاً محسوساً يدل على أنهم ممن وضعوا الحديث .

وقال معقلاً على ما روى عن ابن لهيعة عن شيخ لهم أنه قال : إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإننا كنا إذا هويتنا أمراً صيرناه حديثاً<sup>(٣)</sup> .

وقول عبد الرحمن بن مهدي : إن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث "إذا أتاكم عن حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ... الحديث"<sup>(٤)</sup> .

يقول الدكتور السباعي : هكذا قال الكاتبون في هذا الموضوع من القدامى والمحدثين، ولكني لم أعثر على حديث وضعه خارجي، وبمحت كثير في كتب الموضوعات، فلم أعثر على خارجي عُدَّ من الكذابين والوضاعين .

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور السباعي ص ١٣٣ بتصرف، وانظر : أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح للدكتور أبو ليابة حسين ص ١٦١-١٦٢ .  
(٢) الفرق بين الفرق للبيهقي ص ٧٩، ٨٥، ٨٨، ٩٢ .  
(٣) مقدمة الموضوعات لابن الجوزي ص ٣٨، ٣٩، والآل المصنوعة للسيوطي ٢/ ٤٨٦، والمدخل للحاكم ص ٩ .  
(٤) الحديث سيأتي تخريجه وبيان وضعه في شبهة عرض السنة على القرآن الكريم ص ٢٢٤-٢٢٧ .

أما النص السابق الذى يذكره عن شيخ للخوارج، فهو مجهول ولا ندرى من هو؟ وقد سبق مثل هذا التصريح برواية حماد بن سلمة عن شيخ رافضى، فلماذا لا تكون نسبته إلى شيخ خارجى خطأ؟ خصوصاً ولم نعتز لهم على حديث واحد موضوع.

أما قول عبد الرحمن بن مهدي عن حديث (إذا أتاكم ... إلخ) أنه وضعته الزنادقة والخوارج، فلا أدري مدى صحته عن ابن مهدي، فقد ذكره عنه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم) بلا سند<sup>(١)</sup> فضلاً على أنه لم يذكر لنا عن ابن مهدي من هو واضعه؟ على أن المنقول عن غير ابن مهدي لفظ الزنادقة فقط، قال شمس الحق العظيم آبادي: فأما ما رواه بعضهم أنه قال: "إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله... الحديث"؛ فإنه حديث لا أصل له<sup>(٢)</sup> وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين<sup>(٣)</sup> أنه قال "هذا حديث وضعته الزنادقة" ونقل الفتني عن الخطابي<sup>(٤)</sup> أنه قال أيضاً "وضعته الزنادقة"<sup>(٥)</sup>، وليس في هذين النصين ذكر للخوارج بحال.

وقد ورد عنهم ما ينفي تهمة الكذب عنهم.

يقول المبرّد<sup>(٦)</sup>: "والخوارج فى جميع أصنافها تيراً من الكاذب ومن ذوى المعصية

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ١٩١ .

(٢) عون المعبود شرح سنن أبو داود ٤ / ٣٢٩ .

(٣) يحيى بن معين: هو يحيى بن معين بن عون المرى بالولاء البغدادي، أبو زكريا، الحافظ المشهور، كان إماماً عالماً ربانياً حافظاً متقناً خبيراً بصحيح الحديث وسقيمه، مات سنة ٢٣٣هـ. له ترجمة فى: تقريب التهذيب ٢ / ٣١٦ رقم ٧٦٧٩، والكاشف ٢ / ٣٧٦ رقم ٦٢٥٠، وتذكرة الحفاظ ٢ / ٤٢٩ رقم ٤٣٧، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٨٨ رقم ٤١٦، والثقات للعجلي ص ٤٧٥ رقم ١٨٢٦، والجرح والتعديل ٩ / ١٩٢، والإرشاد للخليلي ص ١٨٦، ١٨٧، ووفيات الأعيان ٦ / ١٣٩ رقم ٧٩١ .

(٤) الخطابي: هو محمد ويقال أحمد بن إبراهيم بن خطاب البستي - نسبة إلى بستان مدينة من بلاد كابل - أبو سليمان، كان أحد أوعية العلم فى زمانه حافظاً فقيهاً، له من التصنيفات النافعة الجامعة: معالم السنن وغريب الحديث، وإصلاح غلط الحديث وغيرها، مات سنة ٣٨٨هـ. له ترجمة فى: مرآة الجنان للياقنى ٢ / ٤٣٥، وبغية الوعاة للسيوطى ١ / ٥٣٦ رقم ١١٤٣، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ / ١٢٧، ١٢٨، وتذكرة الحفاظ ٣ / ١٠١٨ رقم ٩٥٠، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٠٤ رقم ٩١٥، واللباب فى تهذيب الأنساب ١ / ١٥١ .

(٥) تذكرة الموضوعات ص ٢٨ .

(٦) المبرّد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس، أديب، نحوى، لغوى، كان كثير الحفظ، غزير العلم، وثقة الخطيب وجماعة، من مصنفاته المختضب، والكامل فى الأدب، وغيرها مات سنة ٢٨٥هـ. له ترجمة فى: لسان الميزان ٦ / ٦٢٩ رقم ٨٢٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٧٦ رقم ٢٩٩، وطبقات المفسرين للراوى ٢ / ٢٦٩ رقم ٥٩٧، وشذرات الذهب ٢ / ١٩٠، وإنباه الرواة للقفطى ١ / ٤٠، ٤٨ .

الظاهرة<sup>(١)</sup> وقال أبو داود<sup>(٢)</sup> : "ليس فى أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج"<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن تيمية<sup>(٤)</sup> : للرافضة فى الرد عليهم "ونحن نعلم أن الخوارج شر منكم ومع هذا فما نقدر أن نرميهم بالكذب لأننا جربناهم فوجدناهم يتحرون الصدق لهم وعليهم"<sup>(٥)</sup> وقال : ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفها بالكذب فى الشيعة أكثر فى جميع الطوائف، والخوارج مع مروقتهم من الدين فهم من أصدق الناس حتى قيل : إن حديثهم من أصح الحديث"<sup>(٦)</sup> وقال أيضاً "ليس فى أهل الأهواء أصدق ولا أعدل من الخوارج"<sup>(٧)</sup>.

**قلت :** وأنا مع الدكتور السباعي فيما ذهب إليه ورجحه من نفى تهمة كذب الخوارج فى الحديث، وليس معنى ذلك براءتهم، ولكن معناه أنى لا اتهمهم بالكذب فى الحديث؛ لأنه لا دليل على كذبهم، والأخبار الواردة فى اتهامهم بالوضع ضعيفة تحتل التأويل كما سبق، والأخبار التى تدل على صدقهم ونفى الكذب عنهم صريحة وواضحة.

(١) الكامل فى الأدب ٢ / ١٠٦ .

(٢) أبو داود : هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي الإمام العالم صاحب كتاب السنن، والمراسيل، والقدر، وغير ذلك، وهو أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماء وحفظاً ونسكاً وورعاً. مات سنة ٢٧٥ هـ له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٩١ رقم ٦١٥، تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٩ رقم ٢٩٨، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩ / ٥٥ رقم ٤٦٣٨، ووفيات الأعيان ٢ / ١٣٨ رقم ٢٥٨، والعبر فى خبر من غير ١ / ٣٩٦ رقم ٢٧٥، وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٢٠٧ رقم ١٩٥، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة ص ٢٧٩ رقم ٣٤٤، والبداية والنهاية ١١ / ٥٨ .

(٣) الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادي ص ١٣٠ .

(٤) ابن تيمية : هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، الحارثي الدمشقي، الملقب بتقى الدين، المكنى بأبي العباس، الإمام المحقق الحافظ المجتهد المحدث المفسر الأصولي الأديب النحوي القدوة الزاهد شيخ الإسلام، أما تصانيفه فإنها تبلغ ثلاثمائة مجلد، منها : رفع الملام عن الأئمة الأعلام، والصارم المسلول على منتقص الرسول، ومنهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدريّة، وغير ذلك. مات سنة ٧٢٧ هـ. له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٩٦ رقم ١١٧٥، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٢٠ رقم ١١٤٢، وشذرات الذهب ٦ / ٨٠، والبدور الطالع للشوكاني ١ / ٦٣ رقم ٤٠، والدرر الكامنة لابن حجر ١ / ١٤٤ رقم ٤٠٩، وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٤٦ رقم ٤٢، والبداية والنهاية ١٤ / ١٣٥ .

(٥) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٢ .

(٧) منهاج السنة ٣ / ٣١، وانظر : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى للدكتور السباعي ص ٨١، ٨٢، ٨٣، بتصرف، وأصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح للدكتور أبو لبابة حسين ص ١٥٨-١٦١ .

وكل ما يقال بحق، أنهم جهلة بالسنة ولا يحتجون بها؛ لأنها من طريق صحابة رسول الله ﷺ وهم كفار في نظرهم، فضلاً عن عدم استعدادهم لقبول آراء غيرهم؛ نظراً لبداوتهم وجفاء طبعهم وغلظتهم وجهلهم بفقہ الكتاب والسنة؛ ولذا نجد أنهم يعملون على محاربة المسلمين وإراقة دمائهم وانتهاك حرمتهم فهم أحقاء بأن يسموا بالخوارج البغاة لخروجهم على السنة وأهلها ومعاداتهم لها<sup>(١)</sup>.

---

(١) شرح القصيدة التوتية للدكتور محمد خليل هراس ص ٣٢٢ .

## المبحث الثاني التعريف بالشريعة وموقفهم من السنة النبوية

تمهيد :

الشيعية كفرقة ذات أفكار وآراء غلب عليهم هذا الاسم، ويشيع فيهم الكذب على رسول الله ﷺ وعلى أئمتهم، وذلك باعتراف علمائهم، وهذا من أشد الخطر على الإسلام والمسلمين، وذلك بسبب :

١- استعمالهم التقية المرافقة للكذب .

٢- تظاهروا بنصرة آل البيت، حيث انخدع بهم كثير من العوام بل وخواص المسلمين .

٣- بغضهم وتكفيرهم ولعنهم صحابة رسول الله ﷺ، إلا نفر يسير، وبغضهم وتكفيرهم لأهل السنة بسبب تعاليم خاطئة وضعها بعض كبرائهم قديماً، وسار عليها بعض كبرائهم حديثاً نتج عنها نفور الشيعة، وعدم الوصول بعد محاولات كثيرة من جانب أهل السنة إلى التقارب .

وقد قام التشيع في ظاهر الأمر على أساس الاعتقاد؛ بأن علياً ﷺ وذريته هم أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ وأن علياً أحق بها من سائر الصحابة بوصية من النبي ﷺ كما زعموا في رواياتهم التي اخترعوها وملأوا بها كتبهم قديماً وحديثاً<sup>(١)</sup>.

والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آباءه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم .

فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقال الرافضة السبئية : إن النار محرمة على الشيعة إلا قليلاً، كما قال اليهود لن تمسنا إلا أياماً معدودات<sup>(٢)</sup>. والنصرانية

(١) فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواحي ١/ ١٢٨ بتصرف .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق ٢١٥، والملل والنحل ١/ ١٨٦، ومنهاج السنة ١/ ٧، وانظر : مختصر التحفة الإثنا عشرية للعلامة السيد محمود الأكوسي ص ٣١٧، ٣١٨ .

ظهرت في فرق الحلولية وهي فرق أكثرها يرجع إلى غلاة الروافض فقال بعضهم: إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه، وقالوا: إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي<sup>(١)</sup>.

وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة، والفلاسفة، والمجوس من قبل الإسلام، وقال بها الراوندية من الروافض الحلولية<sup>(٢)</sup>.

وتستر بعض الفرس بالتشيع، وحابوا الدولة الأموية، والعباسية، وقاموا بثورات عديدة، سجلها علماء الفرق والتاريخ، وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعي لاستقلالهم وهيمتهم<sup>(٣)</sup>، وتاريخ الشيعة في القديم والحديث شاهد صدق على أن الحركات المارقة والهدامة إنما خرجت من تحت عباءتهم بعد أن رضعت لبنهم وهلدت بين ذراعيهم<sup>(٤)</sup>.

التعريف بالشيعة لغة: هم الاتباع والانصار، قال صاحب القاموس: شيعة الرجل أتباعه وأنصاره ويقع على الواحد والاثني والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه أشياع وشيع كعنب<sup>(٥)</sup>.

وقال صاحب تاج العروس: الشيعة كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وكل من عاون إنساناً وتخرب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة<sup>(٦)</sup>. ووردت كلمة شيعة ومشتقاتها في القرآن الكريم مراداً بها معانيها اللغوية الموضوع لها على المعاني التالية:

١- بمعنى الفرقة أو الأمة أو الجماعة من الناس: قال تعالى ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾<sup>(٧)</sup>. أى من كل فرقة وجماعة وأمة<sup>(٨)</sup>.

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٢٨ - ٢٣٠، والملل والنحل ١/ ١٨٦.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٤٢، والملل والنحل ١/ ١٨٦.

(٣) فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين ص ٢٧٦، ٢٧٧ بتصرف.

(٤) الدفاع عن السنة، الجزء الأول من سلسلة الإسلام واستمرار المؤامرة للأستاذ الدكتور طه حبيشي ص ٣١.

(٥) القاموس المحيط ٣/ ٤٦.

(٦) تاج العروس ٥/ ٤٠٥.

(٧) الآية ٦٩ من سورة مريم.

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٣١.

٢- بمعنى الفرقة قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (١) أى فرقاً (٢) .

٣- وجاءت لفظة أشياع بمعنى أمثال ونظائر قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٣) أى أشباهكم فى الكفر من الأمم الماضية (٤) .

٤- بمعنى المتابع والموالى والمناصر قال تعالى : ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (٥) وفى الحديث من قول حكيم بن أفلح (٦) إني قد نهيتها - أى السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن تقول فى هاتين الشيعتين شيئاً (٧) أى شيعة الإمام على - كرم الله وجهه - وشيعة الإمام معاوية - رضى الله عن الجميع - ففى ذلك ما يشهد لعموم اسم الشيعة .

التعريف بالشيعة اصطلاحاً : اختلفت وجهات نظر العلماء فى التعريف بحقيقة الشيعة وأرجح تلك الأقوال هى : أنهم الذين يزعمون أنهم أتباع على بن أبى طالب عليه السلام وأنصاره، ويعتقدون أنه أفضل من الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم أجمعين - وأنه وأهل بيته أحق بالخلافة، وإن خرجت منهم فبظلم يكون من غيرهم (٨) .

(١) جزء من الآية ١٥٩ من سورة الأنعام .

(٢) تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار ٨ / ٢١٤ .

(٣) الآية ٥١ من سورة القمر .

(٤) جامع البيان فى تأويل آى القرآن لابن جرير ٢٧ / ١١٢ .

(٥) الآية ١٥ من سورة القصص، وانظر : فتح القدير للشوكاني ٤/١٦٤، وفتح معاصرة للدكتور غالب عواجى ١ / ١٣١، ١٣٢، وانظر : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية الإثنا عشرية للدكتور عمر الفرمائى ص ١٢ .

(٦) حكيم بن أفلح : هو حكيم بن أفلح المدني روى عن أبى مسعود، وعائشة وعنه والد عبد الحميد ابن جعفر . مقبول له ترجمة فى : تقريب التهذيب ١ / ٢٣٤ رقم ١٤٧١، والكاشف ١ / ٣٤٦ رقم ١١٩٥، تهذيب التهذيب ٢ / ٤٤٤ رقم ٧٧١، وميزان الاعتدال ١ / ٥٨٣، رقم ١٢١٤ .

(٧) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض ٣ / ٢٧٩، ٢٨٠ رقم ٧٤٦ .

(٨) انظر : الملل والنحل ١ / ١٤٦، وفتح معاصرة ١ / ١٣٢، ١٣٣، والشيعة الإثنا عشرية ومنهجهم فى التفسير للدكتور محمد العسال ص ١٩ - ٢٣، وانظر : بقية التعريفات فى المصادر السابقة .

## موقف الشيعة من الصحابة والأمة الإسلامية:

### أولاً : موقف الشيعة من الصحابة :

يقول الدكتور محمد العسال : يعتقد الشيعة أن الصحابة كلهم كانوا كفرة منافقين مخادعين لله ورسوله - ونعوذ بالله من ذلك - لا يستثنون إلا خمسة أو سبعة أو بضعة عشر، على خلاف بينهم في هذا، والمجمع على استثنائهم هم : سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، والمقداد، وجابر بن عبد الله الأنصاري . ويرى بعض الشيعة أن الصحابة : إنما كفروا وارتدوا عن الإسلام بعد موت النبي ﷺ لا في حياته، وإنما قال ذلك أصحاب هذا الرأي لما وجدوا صريح القرآن بمدحهم ويشي عليهم، فظنوا أن القول بكفرهم بعد وفاة الرسول ﷺ يتفادون به التعارض مع القرآن بخلاف القول بكفرهم والقرآن ينزل والوحي متواصل، هكذا يزعمون .

كما زعموا أن كفر الصحابة إنما هو بسبب إنكارهم النص على ولاية عليٍّ ﷺ التي هي أساس الدين عند الشيعة، وقد تواطأ الصحابة على جحده وإنكاره إلا الخمسة الذين مر ذكرهم، أما كبار الصحابة مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير وبقية العشرة، وعائشة، وحفصة وغيرهم؛ فإنهم كانوا متظاهرين بالإسلام في حياة الرسول ﷺ مع إبطانهم الكفر، خاصة فيما يتعلق بولاية عليٍّ ﷺ، حقداً عليه حيث كانوا يطمعون في هذه الولاية بعد وفاة الرسول ﷺ .

بل هؤلاء الصفوة من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ هم في عقيدة الشيعة رؤساء الكفر والنفاق فهم أصله ومعدنه وفرعه وثمرته، ونعوذ بالله من ذلك .

وهذه عقيدة لا ينفك عنها شيعي واحد من الإثنى عشرية، وإن تظاهر أحدهم بإنكار ذلك فأعلم أنه يقولها (تقية) لأنها عقيدة لا تقبل المساومة عندهم، إذ لو صحح الشيعي إمامة أبي بكر وعمر وعثمان لوجب عليه أن يعترف ببطلان الولاية والإمامة لعلي وبنيه، وهذا كفر بإجماع الإثنى عشرية .

وللشيعة في تكفيرهم للصحابة شبهات سيأتي ذكرها والرد عليها في باب وسائل أعداء السنة في الكيد لها .

هذا وقد امتلأت كتب الشيعة تفسيراً وحديثاً - على كثرتها وبتلانيها بهذه العقيدة

الفاصلة، وسودوا هذه الكتب بما تضيق منه الصدور من عقيدتهم هذه<sup>(١)</sup>.

وتأكيداً لكل ما سبق سأكتفى بذكر نموذج أو أكثر من كتبهم تفسيراً وحديثاً، فالقمرى فى تفسيره<sup>(٢)</sup> يقول فيه الدكتور محمد العسال هذا المفسر يحمل كل كلمة كفر أو نفاق أو فسق أو ضلال أو شرك أو ظلم أو عصيان وخداع، وكل ما يشتق من ذلك أو يماثله على كبار الصحابة، وخاصة على أبى بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير، وقد ضرب على ذلك أمثلة منها فى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾<sup>(٣)</sup> قال القمى : الحرث الدين، والنسل الناس، ونزلت فى الثانى - يعنى عمر - وقيل فى معاوية<sup>(٤)</sup>. وعند قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾<sup>(٥)</sup> قال : هم الذين غضبوا آل محمد حقهم، وعند قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ﴾<sup>(٦)</sup> قال : هم الظالمون آل محمد حقهم، والذين اتبعوا من غضبهم<sup>(٧)</sup>.

وفى أصح الكتب عندهم بعد كتاب الله ﷻ وهو الكافى الذى يعد عندهم كالبحارى عند أهل السنة، أخرج الكلينى بسنده عن أبى جعفر عليه السلام قال : كان الناس أهل ردة بعد موت النبى ﷺ إلا ثلاثة، فقلت ومن الثلاثة فقال : المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسى، رحمة الله وبركاته عليهم<sup>(٨)</sup>.

وأخرج أيضاً عن أبى بصير عن أحدهما عليه السلام قال : إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفاً<sup>(٩)</sup>.

(١) الشيعة الإثنى عشرية ومنهجهم فى التفسير ص ٤٦١ بتصرف، وانظر : أصل الشيعة وأصولها محمد الحسين ال كاشف ص ٦٨ - ٧٤ .

(٢) انظر فى : منزلة الكتاب وصاحبه عند الشيعة، ومظاهر الغلو والضلال فى الكتاب، ما كتبه الدكتور على السالوس فى كتاب مع الشيعة الإثنا عشرية فى الأصول والفروع ٢ / ١٧٣-١٩٧ .

(٣) الآية ٢٠٥ من سورة البقرة .

(٤) تفسير القمى ص ٦١ .

(٥) جزء من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٦) جزء من الآية ٢٥٧ من سورة البقرة .

(٧) تفسير القمى ص ٧٥، وانظر : الشيعة الإثنا عشرية ومنهجهم فى التفسير للدكتور محمد العسال ص ٤٦٢، ٤٦٣، ومع الشيعة الإثنا عشرية فى الأصول والفروع للدكتور على السالوس ٢ / ١٧٣ - ١٩٧ .

(٨) الكافى كتاب الروضة ٨ / ١٦٨، ٣٤١ .

(٩) الكافى كتاب الإيمان والكفر، باب صنوف أهل الكفر وذكر القدرية والخوارج ٢ / ٤٠٠ رقم ٤

وأخرج أيضاً عن أبي بكر الحضرمي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أهل الشام شر أم أهل الروم؟ فقال : إن الروم كفروا ولم يعاندوا، وإن أهل الشام كفروا وعاندوا<sup>(١)</sup>. إلى غير ذلك الكثير والكثير من إفكهم الذي امتلأت به كتبهم تفسيراً وحديثاً، والتي كانت منفذاً للمستشرقين وأتباعهم نفذوا منه إلى الطعن في دين الإسلام ومصدره الأول القرآن الكريم .

### ثانياً : موقف الشيعة من الأمة الإسلامية :

يقول الدكتور محمد العسال : يعتقد الشيعة الإثنا عشرية أن أمة محمد هي الأمة الملعونة، ولو كانت من سائر فرق الشيعة سواهم، فكل من لم يوال الإثنى عشر إماماً ويؤمن بولايتهم ويتبرأ من الصحابة؛ فهو ملعون هالك، أما من يعتقد لإيمان الصحابة ويصحح خلافة أبي بكر وعمر وعثمان فهو ناصبي عندهم والناصري شر من اليهود والنصارى وعبد الأوثان كما يزعمون من هنا فحملتهم على أهل السنة - النواصب - في نظرهم لا تكاد تهدأ؛ لأنهم أكثر فرق الأمة عرفاناً بالجميل للصحابة، وعلى رأسهم آل بيت رسول الله ﷺ.

ويقول الدكتور محمد العسال بعد أن ذكر نماذج من تفسيرهم الباطل تؤكد تلك العقيدة الفاسدة قال : وغالب ظني أن هذه العقيدة قد استفادها الروافض من زنادقة الباطنية الخارجين عن الإسلام بإجماع الفرق والذين يسمون أمة محمد ﷺ بالأمة الملعونة المنكوسة، حيث يحكي لنا الإمام عبد القادر البغدادي عنهم في نص رسالة عثر عليها من زعيمهم عبيد الله بن الحسين القيرواني إلى داعيته سليمان بن الحسن بن سعيد الجناني جاء فيها : إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع... ثم قال له ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾<sup>(٢)</sup> لما لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة... إلخ<sup>(٣)</sup>.

فهذه زندقة -نعوذ بالله منها-، وعقيدة الإثنى عشرية في الأمة إما متأثرة بتلك

(١) الموضوع السابق ٢ / ٤١٠ رقم ٥، وانظر : أصول الرواية عند الشيعة الأمامية الإثنا عشرية للدكتور عمر الفرمأوى ص ١٩٢ .

(٢) جزء من الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

(٣) الفرق بين الفرق للإمام البغدادي ص ٢٦٢ .

الزندقة وإما أنها مدخل إليها، لا محل سوى ذلك<sup>(١)</sup>.

وصدق الإمام ابن تيمية (أصل مذهب الشيعة الرافضة من أحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياتهم على أمير المؤمنين عليه السلام)<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

**أثر موقف الشيعة الرافضة من الصحابة على الإسلام (قرآناً وسنة) :**  
**أولاً : أثر موقف الشيعة من الصحابة على القرآن الكريم :**

كان من آثار تكفير الشيعة للصحابة إلا من استثنوهم أن هوجم القرآن الكريم والسنة النبوية، فهاجموا القرآن الكريم، وصرحوا وبكل وضوح أن في القرآن الكريم نقصاً وتحريفاً متعمداً من الصحابة عند جمعه لإخفاء ما ورد صريحاً في ولاية الأئمة من آل البيت، أو لإخفاء الآيات التي فيها ذم المهاجرين والأنصار ومثالب قريش، وزعموا أن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا على فقط، كما يعتقدون أن مصحفاً مفقوداً سيصل إلى أيديهم يوماً ما، يسمى "مصحف فاطمة" فيه أضعاف ما في المصحف العثماني الموجود بين أيدي المسلمين، وأنه يختلف عن هذا المصحف اختلافاً كبيراً، وقد ألف أحد طواغيتهم واسمه حسين بن محمد تقي الطبرسي كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)<sup>(٣)</sup> وفيه أكثر من ألفي رواية عن طواغيتهم المعصومين، والتي تؤكد التحريف في القرآن من كل نوع، وعندما طبع الكتاب وقامت حوله ضجة ألف الطبرسي كتاباً آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) دافع فيه عن ما أودعه في كتابه السابق (فصل الخطاب) وقد كتب هذا الدفاع قبل موته بسنتين.

(١) الشيعة الإثنا عشرية ومنهجهم في التفسير للدكتور محمد العسال ص ٥١٠ .

(٢) منهاج السنة ١ / ٣، وانظر : أدلة على استمرار بعض غلاة الشيعة الجعفرية على موقفهم هذا من الأمة الإسلامية فيما كتبه أحد زعمائهم في العصر الحديث في كتابه تحرير الوسيلة للخميني ١ / ١١٨، ١٣٦، وانظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها للدكتور غالب عواجي ١ / ٢٦٤، ٢٦٦، والسنة المفترى عليها للمستشار سالم الهنساوي ص ١٣٠، ١٣١، والفتنة الخمينية حقيقة الثورة الإيرانية للشيخ محمد عبد القادر ص ٨، ٩، ٢٥، ٢٦، ٣٣، وانظر : خلاصة موقف الشيعة من حكام المسلمين قديماً وحديثاً، في الخطوط العريضة للأستاذ محب الدين الخطيب، فصل الشيعة والحكومات الإسلامية ص ٤٣ - ٦٤، والشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جبار الله ص ٩٧، وانظر خطبهم على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً في الخطوط العريضة فصل (الشيعة والتاريخ) ص ٧٣ - ٧٧، و فرق معاصرة ١ / ٢٦٢ .

(٣) انظر : في مكانة هذا الكتاب وصاحبه عن الشيعة فيما كتبه الدكتور على السالوس في كتابه مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع ٢ / ١٤٩ - ١٥١ .

ومهما تظاهر الشيعة بالبراءة من كتاب النورى الطيرسى عملاً بعقيدة التقية، فإن الكتاب ينطوى كما سبق على آلاف النصوص عن طواغيتهم فى كتبهم المعتبرة يثبت بها أنهم جازمون بالتحريف ومؤمنون به، ولكن لا يحبون أن تثور الضجة حول عقيدتهم هذه فى القرآن<sup>(١)</sup> ويتظاهرون تقية ويفتون بأنه لا يأتى من قرأ القرآن كما يتعلمه الناس فى المصحف العثمانى، ثم الخاصة من الشيعة سيعلم بعضهم بعضاً ما يخالف ذلك مما يزعمون أنه موجود أو كان موجوداً عند أئمتهم من أهل البيت، ويدل على ذلك ما أخرجه الكلينى فى كتابه الكافى بسنده عن على بن موسى الرضا المتوفى سنة ٢٠٦ هـ عندما سأل، إنا نسمع الآيات فى القرآن ليس هى عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال : لا، اقرءوا كما تعلمتم، فسيحيثكم من يعلمكم<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على أن الشيعة يكادون يجمعون على ما أورده الطيرسى فى كتابه (فصل الخطاب) أنهم كافوه على هذا المجهود فى إثبات أن القرآن محرف بأن دفنوه فى أقدس البقاع عندهم فى بناء المشهد العلوى فى النجف.

وفى عصرنا الحاضر ردد الخمينى هذا الإفك فى كتابه (كشف الأسرار) قائلاً : لقد كان سهلاً عليهم - الصحابة الكرام - أن يخرجوا هذه الآيات من القرآن، ويتناولوا الكتاب السماوى بالتحريف، ويسدلوا الستار على القرآن، ويغيبوه عن أعين العالمين ثم يقول : "إن تهمة التحريف التى يوجهها المسلمون إلى اليهود والنصارى، إنما تثبت على الصحابة<sup>(٣)</sup>. وهم حتى عندما يعتبرون المصحف العثمانى مصدراً من مصادر العقائد والأحكام، فهم يختلفون فى فهم معانية عن سائر الفرق وخصوصاً أهل السنة - ويرجعون فهم القرآن إلى الأئمة من آل البيت<sup>(٤)</sup>، وكلها تأويلات باطلة

(١) انظر : تناقض معتدلى الجعفرية الذين تصلوا لحركة الغلاة منهم فى دعواهم تحريف القرآن الكريم فى كتابى الدكتور على أحمد السالوس مع الشيعة الإثنى عشرية فى الأصول والفروع فصل (القرآن والتحريف) ٢/ ٥٥ - ١٥٩، وأثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله ص ١٣٨-٢٧١، وانظر : الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوى ص ١٣٠ - ١٣٦، وانظر : ما كتبه الأستاذ محمد مال الله فى هامش الخطوط العريضة ص ٢٩ وما بعدها، وانظر : رجال الشيعة فى الميزان عبد الرحمن الزرعى ص ١٥٥ .

(٢) الكافى ١/ ٢٨٩، وانظر : الخطوط العريضة للأستاذ محب الدين الخطيب ص ٣٥ .

(٣) صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم للعلامة أبو الحسن الندوى ص ٨٤ : ٨٨، وانظر : الخطوط العريضة للأستاذ محب الدين الخطيب ص ١٠ : ١٥، ومختصر التحفة الإثنا عشرية للعلامة السيد محمود الألوسى ص ٣٠، ٥٠، ٨٢، وفرق معاصرة تنسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواجى ١/ ٢٣٠، ٢٣٩ .

(٤) الشيعة الإثنا عشرية ومنهجهم فى التفسير للدكتور محمد العسال ص ٨٩، وانظر : مختصر التحفة الإثنا عشرية ص ٤٧ .

حاشا الأئمة أن يقولوا منها حرفاً واحداً.

ثانياً : أثر موقف الشيعة من الصحابة على السنة النبوية :

وكما كان من آثار تكفير الشيعة للصحابة أن هاجموا القرآن الكريم، وادعوا تحريفه وتبديله، كان من آثار ذلك أيضاً أن هوجمت السنة التي جمعها الجمهور وحققها أئمتهم ونقادهم، منذ عصر الصحابة حتى عصر الجمع والتدوين، من قبل الشيعة التي وصمت أحاديث الجمهور من أهل السنة بالكذب والوضع، وخاصة ما كان منها في فضائل الصحابة الذين يكفروهم الشيعة ويلعنونهم .

ولم يقبلوا من أحاديث أهل السنة إلا ما وافق أحاديثهم التي يروونها عن أئمتهم المعصومين في نظرهم، والتي إن لم يزيدوا فيها كذباً تأولوها بما يشهد لعقائدهم وأحكامهم الباطلة، أما ما عدا ذلك من السنة فلا يعتبرون به إلا إذا جاء من طريق آل البيت والتي لا يمكن إثبات صحتها لعدم اهتمامهم بصحة السند .

فالعدالة عندهم لا عبرة بها ما دام الراوى إمامياً يوالى الأئمة ولو لم يكن متهماً، بل ولو كان مطعوناً في دينه . وإذا تتبع تراجم أعلام الشيعة الرافضة في زمن أئمتهم رأيتهم بين كذابين، وملاحدة، وشعوبيين، وفاسدى العقيدة، ومذمومين من أئمتهم، وكل ما يخطر ببالك من نقائص، ولذا تراهم يصححون أحاديث من دعا عليه المعصوم بقوله أخزاه الله وقاتله الله، أو لعنه أو حكم بفساد عقيدته أو أظهر البراءة منه، وحكموا أيضاً بصحة روايات المشبهة والمجسمة، ومن جوز البداء عليه تعالى<sup>(١)</sup>، مع أن هذه الأمور كلها مكفرة، ورواية الكافر غير مقبولة، فضلاً عن صحتها، فإذا كان هذا هو حال من يصححون حديثه وهو أقوى الأقسام عندهم، فما بالناس بحال الحسن والموثق والضعيف عندهم!<sup>(٢)</sup>.

إذ لا عبرة عندهم بالعدالة وإنما العبرة بمن معهم؟ ومن عليهم؟ فمن كان معهم

(١) البداء: هو أن الله عز وجل يبطله غير الذى كان أراده، فيرجع عن إرادته إلى الذى بدا له من بعد؛ تعالى الله عما يقولون، انظر: مختصر التحفة الإثنى عشرية للعلامة السيد محمود الألوسى ص ٢١، و فرق معاصرة للدكتور غالب عواجي ١ / ٢٥٤، والشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوى ص ١٤٦-١٥١، والنسخ والبداء فى الكتاب والسنة لمحمد حسين العاملى ص ٢٨ وما بعدها .

(٢) مختصر التحفة الإثنى عشرية للعلامة السيد محمود الألوسى ص ٢١، وانظر : أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله للدكتور على أحمد السالوس ص ٢٧٤، ٢٧٥، وأصول الحديث للدكتور عبد الهادى الفضلى ص ١٠٦ .

معتقداً بعقيدتهم كان مؤمناً تقياً، وإلا كان كافراً منافقاً إذا تبرأ منهم ومن عقيدتهم.

كما أنهم لا يشترطون اتصال السند في الحديث من الإمام إلى الرسول؛ لأن الإمام في حد ذاته كلامه في قوة كلام الرسول وقديسته، ووجوب العمل به؛ لأنه معصوم ويوحى إليه، ومن تلك الأحاديث التي يصححونها ولا عدالة لروايتها ولا اتصال لسندها حديث "غدير خم" (١) الذي يكاد يكون عمدة المذاهب الشيعية كلها ودعامتها الأولى، والأساس الذي أقاموا عليه نظريتهم إلى الصحابة من تكفيرهم وسبهم ولعنهم ليل نهار، وتابعهم على ذلك دعاة اللادينية (٢).

(١) وخلاصة هذا الحديث : أن النبي ﷺ في رجوعه من حجة الوداع جمع الصحابة في مكان يقال له "غدير خم" مكان بين مكة والمدينة، وأخذ بيد علي عليه السلام ووقف به على الصحابة جميعاً وهم يشهدون وقال : "هذا وصي وأخي والخليفة من بعدي فاسمعوا له واطيعوا" والحديث بهذه الرواية التي انفرد بها الرافضة مكثوب وأصل الحديث كما في صحيح مسلم من رواية زيد ابن أرقم عليه السلام قال : "قام رسول الله ﷺ يوماً فبينا خطيباً بماء يدعى خمًا - بين مكة والمدينة - فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر. ثم قال : "أما بعد. ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله. واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال : "وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. ... الحديث" أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ١٩٠/٨ رقم ٢٤٠٨. هذا هو أصل الحديث كما في صحيح السنة، والحديث برواية الرافضة يشهد على نفسه بالبطالان فالحديث يصرح بالخلافة للإمام علي - كرم الله وجهه - على مشهد من الصحابة جميعاً، ومثل هذا تنافر الدواعي على نقله ويشتهر، في حين أن هذا النص بالخلافة للإمام علي لم يبلغه أحد بإسناد صحيح. قال الإمام بن تيمية في فصل (الطرق التي يعرف بها كذب المنقول) ما انفرد به، ويتضمن أمراً تنافر الدواعي على نقله قال : "ومن هذا الباب نقل النص على خلافة علي، فإننا نعلم أنه كذب من طرق كثيرة، فإن هذا النص لم يبلغه أحد بإسناد صحيح فضلاً عن أن يكون متواتراً كما تزعم الرافضة، ولا نقل أن أحداً ذكره على جهة الخفاء، مع تنازع الناس في الخلافة وتشاورهم فيها يوم السقيفة، وحين موت عمر وحين جعل الأمر شورى بينهم في ستة، ثم لما قتل عثمان واختلف الناس على علي، فمن المعلوم أن مثل هذا النص لو كان كما تقوله الرافضة من أنه نص على علي بن أبي طالب نصاً جلياً قاطعاً للعذر وعلمه المسلمون، لكان من المعلوم بالضرورة في مثل هذه المواطن التي تنافر الهمم على ذكره فيها غاية التوفر، فانتفاء ما يعلم أنه لازم يقتضي انتفاء ما يعلم أنه ملزوم" أوه من منهاج السنة لابن تيمية ٤/١١٨، وانظر : للاستزادة في الرد على استدلال الرافضة بروايات الحديث فيما كتبه الدكتور علي السالوس في كتابيه مع الشيعة الإثنى عشرية في الأصول والفروع ١/٩٦-١٦٢، وأثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله ص ٧٨-١٣٦، وانظر : مختصر التحفة الإثنى عشرية لألوسي ص ١٢٣، ١٧٦، ٢٠٨، ٢١٩، والعواصم من القواصم لابن العربي ص ١٨٣، والمؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة بحث الدكتور علي السالوس حديث الثقلين وفقهه ٢/٧٠١ - ٧٢٥ والشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوي ص ٨-٥٠، ونظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة للدكتور مصطفى حلمي ص ٣٣-٢٢٣.

(٢) انظر : جمع البيان في تفسير القرآن للفضل بن الحسن الطبرسي ٦/١٥٢، والميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي ٦/٤٢، وأصل الشيعة وأصولها محمد الحسين آل كاشف ص ٤٨، ومصباح الهداية في إثبات الولاية على الموسوي ص ١٩٠ وما بعدها التبيان في تفسير القرآن محمد بن الحسن الطوسي ٣/٥٨٧، والمراجعات عبد الحسين شرف الدين ص ٥١، والغدير في الكتاب والسنة والأدب عبد الحسين الأميني ١/٢١١، ٢٢٣، ٢٢٥، وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين الحسن بن المظفر الحلبي ص ٢٥٤، ٢٩٣، ٤٧١ -

هذا الحديث هو عند أهل السنة حديث مكذوب لا أساس له باللفظ الذي يروونه عن طواغيتهم، الذين وضعوه ليبرروا به هجومهم وتجنّيهم على صفوة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين - رضى الله عنهم أجمعين - .

وبالنظر في كتب الحديث النبوى عندهم؛ كالكافى، والاستبصار، والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه<sup>(١)</sup> وغيرها، نجد رواياتها ليست كلها متصلة من أصحابها إلى أئمتهم الذين وجدوا فى عصر النبى ﷺ فالأحاديث المدونة بها قد خلا أكثرها من الإسناد فنجد الروايات تذكر عن عدة من أصحابنا، أو عن الإمام جعفر، ثم تعد هذه الأقوال أحاديث عن النبى ﷺ مع وجود الفارق الزمنى الكبير بين أصحاب هذه الروايات وبين النبى ﷺ وهو فارق زمنى يصل إلى عدة قرون<sup>(٢)</sup>.

وكان لهجومهم وتجنّيهم على الصحابة الأثر الكبير فيما أثير حول السنة من شبهات، ولم لا ومروياتهم ﷺ لا تزن عندهم مقدار جناح بعوضة .

يقول الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : والشيعه لا يعتبرون من السنة إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت عن جدهم يعنى ما رواه الصادق، عن أبيه الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن الحسين السبط، عن أبيه أمير المؤمنين، عن رسول الله ﷺ، أما ما يرويه مثل : أبى هريرة، وسمرة بن جندب، ومروان بن الحكم، وعمر بن الخطاب، وعمر بن العاص، ونظائريهم، فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة، وأمرهم أشهر من أن يذكر<sup>(٣)</sup> أ هـ .

= وما بعدها، ومعالم المدرستين لمرتضى العسكري المجلد ١ / ٤٩٣، الشيعة فى عقائدهم وأحكامهم لأمر محمد القزوينى ص ٧١، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين ص ٣٤٧، ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية فى الإسلام لأحمد حسين يعقوب ص ٢٤٧ - ٢٥٦، ولماذا أنا شيعى محمد حسين الفقيه ص ٣٦، لقد شيعنى الحسين أديس الحسينى ص ٣٥٨ - ٣٦٧، الإنصاح فى إمامة على بن أبى طالب لمحمد بن النعمان العسكري ص ١٥ - ١٨، والسنة ودورها فى الفقه الجديد لجمال البنا ص ٢٥، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص ٩٧، والسلطة فى الإسلام لعبد الجواد ياسين ص ٢٥٨ وغيرهم .

(١) انظر : فى مكانة هذه الكتب وأصحابها، وما فيها من غلو كتابى الدكتور على السالوس (مع الشيعة الاثنى عشرية) ٣ / ١٣٥ - ٢٤٠، وأثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله ص ٢٩٠ - ٣٦١

(٢) السنة المقررة عليها للمستشار البهنساوى ص ١٣٦، بتصرف، وانظر : أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله ص ٢٧٦ - ٢٨٢ .

(٣) أصل الشيعة وأصولها ص ٧٩، ٨٠، وانظر : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، للدكتور عمر الفرماوى ص ٨٧ .

## أساليب الشيعة في العبث بالسنة المطهرة :

تعد الشيعة الرافضة من أكثر الفرق كذباً على رسول الله ﷺ بل وعلى آل البيت أيضاً.

وفي ذلك يقول الإمام ابن تيمية : [ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفها بالكذب في الشيعة أكثر منه في جميع الطوائف] (١).

وسئل الإمام مالك عن الرافضة فقال : "لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون" (٢) ويقول شريك بن عبد الله القاضي - وقد كان معروفاً بالتشيع مع الاعتدال فيه - (٣) : "أحمل عن كل من لقيت إلا الرافضة؛ فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً" (٤).

وقال حماد بن سلمة (٥) : حدثني شيخ لهم - يعنى الرافضة - قال : "كنا إذا اجتمعنا فاستحسننا شيئاً جعلناه حديثاً" (٦).

وقال الإمام الشافعي (٧) : "ما رأيت في أهل الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة" (٨).

(١) المنتقى في منهاج الاعتدال ص ٢٢ .

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ١ / ١٣ .

(٣) قال فيه الحفاظ ابن حجر : صدوق، يخطئ كثيراً، تغير حفظه منذ ولى القضاء بالكوفة، وكان عادلاً فاضلاً عابداً، شديداً على أهل البدع. مات سنة ١٧٧هـ أو ١٧٨هـ. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٤١٧ رقم ٢٧٩٥، والكاشف ١ / ٤٨٥ رقم ٢٢٧٦، والثقات للعجلي ص ٢١٧، رقم ٦٦٤، والثقات لابن حبان ٦ / ٤٤٤، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٠١ رقم ١٣٥٣، والثقات لابن شاهين ص ١٦٩ رقم ٥٢٨ .

(٤) منهاج السنة لابن تيمية ١ / ١٣ .

(٥) حماد بن سلمة : هو حماد بن سلمة بن دينار المصري، أبو سلمة، ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بآخره، مات سنة ١٦٧هـ، له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٢٣٨ رقم ١٠٥٤، وتذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٢ رقم ١٩٧، والكاشف ١ / ٣٤٩، رقم ١٢٢٠، والثقات للعجلي ص ١٣١ رقم ٣٣٠، والثقات لابن حبان ٦ / ٢١٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٨٨ رقم ١٢٤٣، وشذرات الذهب ١ / ٢٦٢ .

(٦) منهاج السنة لابن تيمية ١ / ١٣ .

(٧) الإمام الشافعي: هو أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن شافع القرشي المطلبى، الإمام الجليل، صاحب المذهب المعروف، من أشهر مصنفاته "الأم" و"الرسالة" و"أحكام القرآن" مات سنة ٢٠٤هـ له ترجمة في : طبقات الشافعية لابن السبكي ٢ / ٧١ رقم ١٤، وشذرات الذهب ٢ / ٩، ووفيات الأعيان ٤ / ١٦٣ رقم ٥٥٨، وطبقات الفقهاء للشافعيين لابن كثير ٣ / ٩٣ .

(٨) منهاج السنة لابن تيمية ١ / ١٤ .

ولقد أخذ هؤلاء المنتشيعون أعداء الإسلام يصنعون الأحاديث في أغراض شتى حسب أهوائهم ونحلهم، فمن ذلك أحاديث وضعوها في فضائل الإمام علي - كرم الله وجهه - وآله الكرام كحديث "من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه - وإلى نوح في تقواه وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته فليتنظر إلى علي" (١) و"أنا ميزان العلم وعلى كفتاه، والحسن والحسين خيوطه، وفاطمة علاقته، والأئمة منا عموده توزن فيه أعمال المحبين لنا والمبغضين لنا" (٢) إلى غير ذلك من روايات مكذوبة تثبت النبوة لعلي طوراً، والخلافة والوصية بها طوراً آخر على حسب عقائد الوضاعين وآرائهم (٣).

وكما وضعوا الأحاديث في فضل علي وآل البيت، وضعوا الأحاديث في ذم الصحابة؛ وخاصة الشيخين وكبار الصحابة، حتى قال ابن أبي الحديد (٤) وهو شيعي معتزلي: "فأما الأمور المستبشعة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة، وأنه ضربها بالسوط، فصار في عضدها كالدملج، وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار، فصاحت: يا ابتاه وجعل في عنق عليّ حبلاً يقاد به، وفاطمة خلفه تصرخ، وابناه الحسن والحسين يكيان... ثم أخذ ابن أبي الحديد في ذكر الكثير من المثالب، ثم قال: فكل ذلك لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبت به أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله (٥) وكذلك وضعوا الأحاديث في ذم معاوية رضي الله عنه إذا رأيت معاوية على منبر فاقتلوه" (٦) وفي ذم معاوية وعمر بن العاص - رضي الله عنهما - "اللهم أركسهما في الفتنة ركساً ودعهما في النار دعا (٧)"

(١) انظر: اللآلئ المصنوعة للسيوطي ١/ ٣٢٥، وتنزيه الشريعة لابن عراق ١/ ٣٨٥، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكانى ص ٣٦٧.

(٢) انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٩٧، رقم ١٨٩، وتنزيه الشريعة ١/ ٣٩٧.

(٣) الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص ٩٣.

(٤) ابن أبي الحديد هو: عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، أبو حامد، الأديب، الفقيه الأصولي، الشيعي الغالي، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي، لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشاكلة في التشيع والأدب، من مؤلفاته شرح نهج البلاغة "والفلك الدائر على المثل السائر" وغير ذلك. مات سنة ٦٥٥ هـ. له ترجمة في: البداية والنهاية ١٣/ ٢١٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٤٨، والنجوم الزاهرة ٨/ ١٩، وذيل طبقات الفقهاء الشافعيين للعبادي ص ٧٦، والأعلام ٣/ ٢٨٩.

(٥) شرح نهج البلاغة ١/ ١٣٥.

(٦) انظر: اللآلئ المصنوعة ١/ ٣٨٨، وتنزيه الشريعة ٢/ ٨، والفوائد المجموعة ص ٤٠٧.

(٧) انظر: الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ٢٨، واللآلئ المصنوعة ١/ ٣٩٠، وتنزيه الشريعة ٢/ ١٦، والفوائد المجموعة ص ٤٠٧.

وهكذا أسرف غلاة الشيعة الرافضة في وضع الأحاديث بما يتفق مع أهوائهم، والتي بلغت من الكثرة حداً مزعجاً. حتى قال الخليلي<sup>(١)</sup> في الإرشاد: "وضعت الرافضة في فضائل علي وأهل بيته نحو ثلاثمائة ألف حديث"<sup>(٢)</sup> ومع ما في قوله من المبالغة فإنه دليل على كثرة ما وضعوا من الأحاديث.

ويكاد المسلم يقف مذهولاً من هذه الجرأة البالغة على رسول الله ﷺ لولا أن يعلم أن هؤلاء الرافضة أكثرهم من الفرس الذين تستروا بالتشيع لينقضوا عرى الإسلام، أو ممن أسلموا ولم يستطيعوا أن يتخلوا عن كل آثار ديانتهم القديمة، فانتقلوا إلى الإسلام بعقلية وثنية لا يهتمها أن تكذب على صاحب الرسالة ﷺ لتؤيد حباً ثاوياً في أعماق أفئدتها، وهكذا يصنع الجهال والأطفال حين يحبون وحين يكرهون.

وقد ضارعهم الجهلة من أهل السنة، فقابلوا -مع الأسف- الكذب بكذب مثله وإن كان أقل منه دائرة وأضيق نطاقاً<sup>(٣)</sup> ومن ذلك حديث "ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على ورقة منها لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين"<sup>(٤)</sup>.

كذلك قابلهم المتعصبون لمعاوية والأمويين، فوضعوا أحاديث مثل قولهم "الأمناء ثلاثة، أنا وجبريل ومعاوية"<sup>(٥)</sup> و"لا افتقد في الجنة إلا معاوية فيأتي آنفاً بعد وقت طويل، فأقول: من أين يا معاوية، فيقول من عند ربي يتاجيني وأناجيهِ، فيقول: هذا بمائيل من عرضك في الدنيا"<sup>(٦)</sup>.

وكذلك فعل المؤيدون للعباسيين فوضعوا إزاء حديث وصاية علي المكنوب وصاية

---

(١) الخليلي: هو أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني، ثقة حافظ عارف بكثير من علل الحديث ورجاله، عالي الإسناد، كبير القدر مصنف كتاب "الإرشاد في معرفة المحدثين" مات سنة ٤٤٦ هـ. له ترجمة في: طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٣٠ رقم ٩٧٣، والعبر ٢/ ٢١١ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١١٢٣ رقم ١٠٠٨.

(٢) الإرشاد في معرفة المحدثين ص ١٢.

(٣) السنة ومكائنها في التشريع ص ٨١، ٨٠ بتصرف.

(٤) انظر: اللائح المصنوعة ١/ ٢٩٢، وتنزيه الشريعة ١/ ٣٥٠، والفوائد المجموعة ص ٣٤٢.

(٥) انظر: تنزيه الشريعة ٢/ ٤، والفوائد المجموعة ص ٤٠٤.

(٦) انظر: الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ٢٣، واللائح المصنوعة ١/ ٣٨٧، وتنزيه الشريعة ٢/ ٧، والفوائد المجموعة ص ٤٠٦.

العباس ونسبوا إلى النبي قوله : "العباس وصبي ووارثي"<sup>(١)</sup> إلى غير ذلك من الأكاذيب والتي طفحت بها كتب الموضوعات .

ولولا رجال صدقوا في الإخلاص لله ﷻ، ونصبوا أنفسهم للدفاع عن دينهم، وتفرغوا للذب عن سنة رسول الله وأفنوا أعمارهم في التمييز بين الحديث الثابت وبين الحديث المكذوب، وهم أئمة السنة وأعلام الهدى - لولا هؤلاء لاختلط الأمر على العلماء والدهماء، ولستقطت الثقة بالأحاديث<sup>(٢)</sup> نتيجة حركة الوضع التي كثرت في أهل البدع والأهواء والجهلة من أهل السنة، إلا أنه تبدوا خطورة الكذب على رسول الله ﷺ من أهل البدع بسبب أهدافهم الخبيثة للنيل من الإسلام وتشويه صورته بما يضعونه من خرافات .

فالجهلة من أهل السنة؛ وإن قابلوا مع الأسف كذب الشيعة بكذب مثله، إلا أنهم لم يحاولوا العبث والكيد للسنة المطهرة كما فعل الشيعة، وهذا لا ينفي عن الوضعيين من الفريقين إثم الكذب على رسول الله ﷺ.

وعن مكاييد الشيعة للسنة ومحاولاتهم العبث بها يقول العلامة الألوسي<sup>(٣)</sup> :

١- إن جماعة من علمائهم اشتغلوا بعلم الحديث أولاً، وسمعوا الأحاديث من ثقات المحدثين من أهل السنة فضلاً عن العوام. ولكن الله سبحانه وتعالى قد تفضل على أهل السنة، فأقام لهم من يميز بين الطيب والخبيث، وصحيح الحديث وموضوعه، حتى أنهم لم يخف عليهم وضع كلمة واحدة من الحديث الطويل .

٢- ومن مكاييدهم أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعترين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته؛ كالسدي فهما رجلان؛ أحدهما السدي الكبير، والثاني السدي الصغير،

(١) انظر : الموضوعات ٣١/٢، والآلئ المصنوعة ١/٣٩٣، وتنزيه الشريعة ٢/ ١٠، والفوائد المجموعة ص ٤٠٢ .

(٢) الباحث الحديث للأستاذ محمد شاکر ص ٧٢ .

(٣) الألوسي: هو محمود شكرى بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني أبو المعالي، عالم بالأدب والدين، والتاريخ، ومن الدعوة إلى الإصلاح، من مصنفاته، روح المعاني، ومختصر التحفة الإثنى عشرية، مات ببغداد سنة ١٣٤٢هـ. له ترجمة في الأعلام للزركلي ٧/ ١٧٢، ١٧٣ .

فالكبير من ثقات أهل السنة<sup>(١)</sup>، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال<sup>(٢)</sup>.

٣- ومن مكايدهم أنهم ينسبون بعض الكتب لكبار علماء السنة مشتملة على مطاعن في الصحابة، وبطلان مذهب أهل السنة، وذلك مثل كتاب (سر العالمين) فقد نسبوه إلى الإمام الغزالي<sup>(٣)</sup> - رحمه الله تعالى - وشحنوه بالهذيان، وذكروا في خطبته على لسان ذلك الإمام وصيته بكمات هذا السر وحفظ هذه الأمانة وما ذكر في هذا الكتاب فهو عقيدتي، وما ذكر في غيره؛ فهو للمداهنة، فقد يلتبس ذلك على بعض القاصرين ... نسأل الله ﷻ العصمة من الزلل.

٤- ومن مكايدهم أنهم يذكرون أحد علماء المعتزلة، أو الزيدية أو نحو ذلك، ويقولون: إنه من متعصبى أهل السنة، ثم ينقلون عنه ما يدل على بطلان مذهب أهل السنة، وتأييد مذهب الإمامية الإثنى عشرية ترويحاً لضلالهم؛ كالزخشرى صاحب الكشاف الذى كان معتزلياً تفضيلاً، والأخطب الخوارزمي؛ فإنه زيدى غال، وابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة الذى هو من غلاة الشيعة على حد قول، ومن المعتزلة على قول آخر، وهشام الكلبي، وكذلك المسعودى صاحب مروج الذهب، وأبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني وغيرهم، وقصدوا بذلك إلزام أهل السنة بما لهم من الأقوال، مع أن حالهم لا تحفى حتى على الأطفال<sup>(٤)</sup>.

(١) السدى الكبير : هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى، نسبة إلى سدة مسجد الكوفة كان يبيع بها المقانق، صدوق بهم، ورمى بالشييع مات سنة ١٢٧هـ. له ترجمة فى : تقريب التهذيب ١ / ٩٧ رقم ٤٦٤، والكاشف ١ / ٢٤٧ رقم ٣٩١، والثقات للعجلي ص ٦٦ رقم ٩٤، والجرح والتعديل ٢ / ١٨٤ رقم ٦٢٥ .

(٢) السدى الصغير : هو محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل الكوفى، متهم بالكذب، له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٢ / ١٣١ رقم ٦٣٠٣، والمجروحين لابن حبان ٢ / ٢٨٦، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ٣٥٨، والضعفاء والمتركون للنسائى ص ٢١٩ رقم ٥٦٥، والجرح والتعديل ٨ / ٨٦ رقم ٣٦٤، والضعفاء لأبى زرعة الرازى ٢ / ٦٥٧ رقم ٣٠٦ .

(٣) الغزالي : هو محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، الملقب بحجة الإسلام، كان بارعاً فى الفقه، وأصول الدين، وأصول الفقه، والمنطق والفلسفة، من أشهر مصنفاته : المستصفى فى أصول الفقه، وإحياء علوم الدين، مات سنة ٥٠٥هـ. له ترجمة فى : وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ٢١٦ رقم ٥٨٨، وطبقات الشافعية لابن السبكي ٦ / ٣٨٩ رقم ٦٩٤، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٦٩، وشذرات الذهب ٤ / ١٠ .

(٤) مختصر التحفة الإثنى عشرية للعلامة الألوسى ص ٣٣، ٣٢، بتصرف، وانظر : منهاج السنة لابن تيمية ٣ / ٢٤٦ .

## المبحث الرابع

### التعريف بالمعتزلة وموقفهم من السنة النبوية

#### تمهيد :

**المعتزلة :** اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة ١٠٥ و سنة ١١٠ هـ بزعامه رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال، ونشأت هذه الفرقة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر، وقد أصبحت المعتزلة فرقة كبيرة تفرعت عن الجهمية في معظم الآراء، ثم انتشرت في أكثر بلدان المسلمين انتشاراً واسعاً، وعن كثرتهم وانتشارهم يقول الشيخ جمال الدين القاسمي "هذه الفرقة من أعظم الفرق رجالاً وأكثرها تابعاً، فإن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة، وكذلك شيعة الأقطار الهندية، والشامية، والبلاد الفارسية، ومثلهم الزيدية في اليمن . فإنهم على مذهب المعتزلة في الأصول كما قاله العلامة المقبلي في "العلم الشامخ" وهؤلاء يعدون في المسلمين بالملايين، بهذا يعلم أن الجهمية المعتزلة ليسوا في قلة فضلاً عن أن يظن أنهم انقرضوا وأن لا فائدة من المناظرة معهم، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها<sup>(١)</sup>.

**والمعتزلة :** قوم من المتكلمين فتنهم؛ الفلسفة اليونانية، والمنطق اليوناني، وما نقل من الفلسفة الهندية، والأدب الفارسي، وقد كانوا كلهم أو جمهورهم ممن ينتمون إلى أصل فارسي فأولوا القرآن الكريم لينسجم مع الفلسفة اليونانية، وكذبوا الأحاديث التي لا تتفق مع هذه العقلية اليونانية الوثنية، واعتبروا فلاسفة اليونان أنبياء العقل الذي لا خطأ معه<sup>(٢)</sup>، المحقق الكبير محمد محيي الدين عبد الحميد : وكان أول من استعان بالفلسفة اليونانية، واستقوا منها في تأييد نزعاتهم، فأقوال كثيرة من أقوال النظام وأبي الهذيل والجاحظ وغيرهم بعضها نقل بحث من أقوال فلاسفة اليونان، وبعضها يستقى من نبعه ويعترف من معينه بشئ من التحوير والتعديل<sup>(٣)</sup> . فكثيراً ما تطالعنا في كتب

(١) تاريخ الجهمية ص ٥٦، وانظر : فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواحي ٢/٨٢١، والخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية للدكتور محمد عمارة ص ٢٧٣ .

(٢) السنة ومكاتها في التشريع ص ٧، وانظر : الفرق بين الفرق ص ١٢٧، والملل والنحل ١/٣٢، وموقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها للدكتور أبو لبابة حسين ص ٤٢-٤٦ .

(٣) مقالات الإسلاميين مقدمة المحقق ١/٢٣، وانظر : فجر الإسلام ص ٤٧٤، وضحي الإسلام ٩٥/٣، ٩٦ .

الفرق أثناء الحديث عن أحد المعتزلة أو تحليل مبدأ من مبادئهم عبارات تثبت تأثرهم بهذه المصادر الأجنبية مثل : "قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة"<sup>(١)</sup> ومثل : "اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة"<sup>(٢)</sup> و"هذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة"<sup>(٣)</sup> ومثل : "قد أخذ العلاف عن أرسطو طاليس"<sup>(٤)</sup>.

والمعتزلة حين حاولت في أول الأمر أن تواجه المتكلمين في الديانات السالفة للإسلام والمذاهب المنحرفة، استطاعت أن تحقق نتائج طيبة، ولكنها حين استقلت بنفسها وخرجت عن حدودها لتقيم لنفسها منهجاً عقلانياً خالصاً يستعلى على مفهوم الإسلام الجامع؛ فإنها قد انحرفت انحرفاً شديداً واخطأت خطأ بالغاً، وكان نتيجة طبيعية لتأثرها بشتى الاتجاهات الموجودة في عصرها، ثم أثرت هي الأخرى بعد ذلك في تلك الاتجاهات الفكرية قديماً<sup>(٥)</sup>، وتأثر بها حديثاً كثير من خصوم الإسلام، وأعداء السنة، حيث وجدوا في مذهبهم الفكرى عشاً يفرخون فيه بمفاسدهم وآرائهم، ويطلقون من قنواته دسهم على الإسلام والسنة النبوية المطهرة أ.هـ<sup>(٦)</sup>.

وترجع بداية نشأة المعتزلة كفرقة ذات اتجاه سياسى ومنهج فكرى، إلى ما وقع بين الحسن البصرى<sup>(٧)</sup>، وواصل بن عطاء من خلاف فى حكم مرتكب الكبيرة، حين سئل الحسن البصرى عن ذلك، فبادر واصل بن عطاء إلى الجواب قبل أن يجيب الحسن

(١) الملل والنحل ١/ ٥٣، ٥٤ .

(٢) الملل والنحل ١/ ٥٠ .

(٣) مقالات الإسلاميين ٢/ ٢٧٧ .

(٤) مقالات الإسلاميين ٢/ ٢٧٨، وانظر : تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٣٠، ١٣١ .

(٥) انظر: تفصيل تأثر المعتزلة بغيرها من الفرق، وتأثيرها فى غيرها سواء بما تأثرت به أو غيرها فى: مقالات الإسلاميين ١/ ١٨٧، ورسائل العدل والتوحيد للدكتور محمد عمارة ١/ ٧٩، وضحى الإسلام ٣/ ٢٠٧ و فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام ٢/ ٨٦٥، والشيعية الإثنا عشرية ومنهجهم فى التفسير ص ٥٦٢، والمعتزلة واتجاههم العقلى وأثره فى تطور الفكر الإسلامى الحديث ص ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، والاتجاه الاعتزالى فى الفكر الإسلامى الحديث للدكتور أحمد محمد عبد العال .

(٦) انظر : المؤامرة على الإسلام للأستاذ أنور الجندي ص ٢١، وموقف المعتزلة من السنة للدكتور أبو لباية ص ١٦٩-١٧٢، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٣١ .

(٧) الحسن البصرى : هو الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت كان عالماً رفيعاً ثقة حجة ولد لستين يقيناً من خلافة عمر . ومات سنة ١١٠ هـ له ترجمة فى: زفيات الأعيان ٢/ ٦٩ رقم ١٥٦، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣ رقم ٤٨٨، وطبقات المفسرين للذوايد ١/ ١٥٠ رقم ١٤٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٧١ رقم ٦٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ١١٣ رقم ٦٤٢ .

البصري، ومن هنا تطور الأمر إلى اعتزال واصل ومن معه حلقة الحسن البصري، فسموا معتزلة، وإلى هذا ذهب أكثر العلماء<sup>(١)</sup>.

وقد ضعف هذا الرأي الدكتور أحمد أمين، وأياً كانت بداية نشأتهم، فالذى يعيننا ويهمننا هنا فى هذا المقام هو أصول مذهبهم الفكرى، وأثرها على السنة المطهرة.

وإذا كانت المعتزلة قد تفرقت إلى فرق كثيرة تصل إلى اثنتين وعشرين فرقة واختلفوا فى المبادئ والتعاليم إلى حد تكفير كل فرقة الأخرى، إلا أنه يجمعهم إطار عام، وهو الاعتقاد بالأصول الخمسة :

١- التوحيد على طريقة الجهمية.

٢- العدل على طريقة القدرية.

٣، ٤، ٥ - الوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على طريقة الخوارج<sup>(٢)</sup>.

ولقد حددها على هذا النحو الخياط<sup>(٣)</sup>، صاحب الانتصار عندما قال : "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت فى الإنسان هذه الخصال الخمس؛ فهو معتزلى<sup>(٤)</sup>".

يقول الدكتور محمد عمارة : "وإذا كان هذا التحديد لهذه الأصول الخمسة قد شاع الشيوع الأكبر، وانتشر الانتشار الأعم لدى أهل العدل، والتوحيد، كما شاع عنهم لدى كتاب المقالات، فإننا نجد الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسى (ت - ٢٤٦هـ) وهو معاصر لأبى الهذيل العلاف يحدد هذه الأصول بأنها :

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٤٠، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٦، و فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ٢/ ٨٢٢، والخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية للدكتور محمد عمارة ص ١٧٩-١٩٨

(٢) انظر : الفرق بين الفرق ص ١١٢ - ١١٥، و فرق معاصرة ٢/ ٨٢٢ .

(٣) الخياط: هو أبو الحسين، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، شيخ المعتزلة البغدادية من نظراء الجبائي، وله مكانة عند المعتزلة. من آثاره: الانتصار، والرد على من أثبت خير الواحد. له ترجمة فى : تاريخ بغداد ١١/ ٨٧ رقم ٥٧٧٠، ولسان الميزان ٤/ ٣٤٢ رقم ٥١٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٢٠ رقم ١٢١، واللباب فى تهذيب الأنساب ١/ ٤٧٥، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٨٥ .

(٤) الانتصار ص ١٨٨، ١٨٩ .

١- التوحيد، ٢- والعدل، ٣- والوعد والوعيد، ٤- والمنزلة بين المنزلتين، ٥- والقرآن الكريم والسنة المطابقة له، ٦- وأصل سادس يمكن أن نسميه العدالة الاجتماعية، والمالية، والاقتصادية.

بينما نجد هذه الأصول عند مفكر آخر هو أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت ٨٤٠هـ) على النحو المشهور عند المعتزلة، وبدلاً من أصل الوعد والوعيد أصل آخر وهو :  
تولى الصحابة والاختلاف في عثمان رضي الله عنه بعد الأحداث والبراءة من معاوية وعمر بن العاص -رضي الله عنهما-.

يقول الدكتور عمارة : "ومعنى هذا أن خلاف أهل العدل والتوحيد - ولا نقول المعتزلة - حول هذه الأصول، هو أمر غير مستبعد تماماً، وإن عدتها الأغلبية الساحقة من مفكريهم خمسة، على النحو الذي قدمناه في أول هذا الحديث، وإذا فليس خلافهم فقط في فروع هذه الأصول، كما يقول البعض، بل وأحياناً في بعض هذه الأصول<sup>(١)</sup>.

### ومعنى هذه الأصول إجمالاً :

١- التوحيد : وهم يقصدون به البحث حول صفات الله تعالى، وما يجب له، وما يجوز، وما يستحيل، وفي هذا الأصل نفوا أن يكون لله تعالى صفات أزلية من علم، وقدرة، وحياة، وسمع، وبصر، بل، الله عالم، وقادر، وحى، وسميع، وبصير بذاته، وليست هناك صفات زائدة مع ذاته، وتناولوا الآيات التي تثبت هذه الصفات، والتي يفهم منها أن له صفات كصفات المخلوقين، ورفضوا الأحاديث التي تثبت هذه الصفات أيضاً، وحجته في إنكار صفات الله ﷻ أن إثباتها يستلزم تعدد القدماء وهو شرك على حد زعمهم. ولأن إثبات الصفات يوحى بجعل كل صفة إلهاً، والمخرج من ذلك هو نفى الصفات وإرجاعها إلى ذات البارى تعالى، فيقال عالم بذاته، قادر بذاته إلخ، وبذلك يتحقق التوحيد في نظرهم، والمعتزلة في نفهم الصفات وتعطيها وتؤويل ما لا يتوافق مع مذهبهم من نصوص الكتاب والسنة وافقوا بذلك الجهمية (المعتزلة) ... فهم الذين أحيوا آرائهم، ونفخوا في رمادها، وصيروها جهرأ من

(١) رسائل العدل والتوحيد ١/ ٧٦، ٧٧، وانظر : الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية كلاهما للدكتور محمد عمارة ص ١٨٦، ١٨٧، ١٩٦.

جديد، ومن هنا استحق المعتزلة أن يطلق عليهم جهمية أو معطلة<sup>(١)</sup>، وبناء على هذا الأصل أطلق المعتزلة على من عاداهم وخصوصاً أهل السنة أسماء جائرة مثل المشبهة، والحشوية.

وسموا أنفسهم أهل التوحيد، والمنزهون لله، حيث نفوا الصفات عنه<sup>(٢)</sup>. وسيأتي الرد عليهم في الباب الثالث.

٢- العدل : وهم يقصدون به البحث في أفعال الله ﷻ التي يصفونها كلها بالحسن، ونفى القبح عنها، بما فيه نفى أعمال العباد القبيحة، وتحت ستار العدل؛ نفوا القدر، وأسندوا أفعال العباد إلى قدرتهم وأنهم الخالقون لها مع أنهم يؤمنون بأن الله تعالى عالم بكل ما يعمل به العباد، وأنه تعالى هو الذي أعطاهم القدرة على الفعل أو الترك<sup>(٣)</sup>.

والمعتزلة لنفيهم القدر يلقبون؛ بالقدرية لموافقتهم للقدرية في إنكار القدر، وهم يسمون أيضاً؛ بالثنوية، والمجوسية؛ لقولهم إن الخير من الله، والشر من العبد، فوافقوا بذلك الثنوية، والمجوسية الذين يقررون وجود إلهين أحدهما للخير، والآخر للشر، وهم لا يرضون بهذه الأسماء السابقة من القدرية، والثنوية، والمجوسية، ويرضون باسم أهل العدل لنفيهم القدر، ولأن أهل السنة يثبتون القدر لله ﷻ ويؤمنون به خيره وشره، حلوه ومره، فهم يطلقون عليهم القدرية الجبرية<sup>(٤)</sup>.

وبناء على هذا الأصل (العدل) الذي يعنى نفى القدر؛ تأولوا الآيات التي تفيد إثبات القدر لله ﷻ كقوله تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾<sup>(٥)</sup>. وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾<sup>(٦)</sup>. وقوله تعالى : ﴿إِنَّا

(١) فرق معاصرة ٨٢٣/٢، ٨٢٤، ٨٢٢، وانظر: فتح الباري ١٣/ ٣٥٧، وانظر: شرح الأصول ص ١٩٧، وفضل الاعتزال ص ١٤٠-١٤١، وآداب المعتزلة ص ١٣٦، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٣٥، والملل والنحل ١/ ٤٠، وموقف المعتزلة من السنة ومواطن اشتراكهم عنها للدكتور أبو لبابة ص ٣٣

(٢) فرق معاصرة ٢/ ٨٢٥.

(٣) فرق معاصرة ٢/ ٨٣٤، وانظر: شرح الأصول ص ٣٠١، والملل والنحل ١/ ٤١، والفصل في الملل والنحل لابن حزم ٣/ ١٦٤، والمعنى في أبواب التوحيد والعدل ٣/ ٨.

(٤) فرق معاصرة ٢/ ٨٢٤، ٨٢٥، وانظر: موقف المعتزلة من السنة للدكتور أبو لبابة ص ٣١.

(٥) جزء من الآية ٨ من سورة الرعد.

(٦) الآية ٢١ من سورة الحجر.

## كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ<sup>(١)</sup>.

ووقفوا من أحاديث القدر موقف الإنكار؛ فردوا الأحاديث الصحيحة التي تثبت القدر، وسيأتي تفصيل ذلك، والرد عليه في الباب الثالث.

٣- الوعد والوعيد : وهم يقصدون به أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب فيجب على الله - تعالى الله عن ذلك - أن ينفذ وعده ووعيده؛ بأن يعطى العبد أجر ما كلفه به من طاعات استحقاقاً منه على الله مقابل وعد الله له إذا التزم العبد بجميع التكاليف التي اختارها الله وكلف بها عباده، وكذلك يجب على الله أن ينفذ وعيده فيمن عصاه، ويلزم على هذا الأصل أن الله ﷻ لا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد؛ لأن ذلك يكون بخلف الوعد والكذب، والله ﷻ لا يجوز عليه الخلف والكذب، وبمقتضى هذا الأصل فإن أصحاب الكبائر من عصاه المؤمنين إذا ماتوا من غير توبه؛ فإنهم يستحقون بمقتضى الوعد من الله النار خالدين فيها إلا أن عقابهم يكون أخف من عقاب الكفار<sup>(٢)</sup>.

وبناء على هذا الأصل تأولوا الآيات التي تفيد بأن الله ﷻ يعفو عمن يشاء ويعذب من يشاء؛ كقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

واستدلوا بالآيات الواردة في نفي الشفاعة عن غير المؤمنين الفائزين؛ كقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وكذا قوله تعالى : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>(٦)</sup> إلى غير ذلك من الآيات الواردة بهذا المعنى.

(١) الآية ٤٩ من سورة القمر.

(٢) شرح الأصول ص ١٣٤، وانظر : الملل والنحل ١/ ٤٢، والمعتزلة زهدى حار الله ص ٥١، ٥٢، وفضل الاعتزال ص ١٥٤.

(٣) الآية ٤٨ من سورة النساء.

(٤) الآية ٥٣ من سورة الزمر.

(٥) الآية ٤٨ من سورة البقرة.

(٦) جزء من الآية ١٨ من سورة غافر.

وبناءً على هذا الأصل أيضاً ردوا الأحاديث الواردة في شفاعة عصاة المؤمنين من أهل الكبائر، والأحاديث التي تفيد أنهم تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم، وإن شاء غفر لهم. وسيأتي تفصيل ذلك والرد عليه في الباب الثالث.

٤- المنزلة بين المنزلتين : وهم يقصدون بها أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر؛ فهو ليس بمؤمن ولا كافر، لكنه في منزلة بينهما فاسق، والفاسق يستحق النار والمعتزلة بقولهم بهذا الأصل وافقوا الخوارج؛ لأن الخوارج لما رأوا لأهل الذنوب الخلود في النار سموهم كفرة، وحاربوهم، والمعتزلة رأت لهم الخلود في النار، ولم تحسر على تسميتهم كفرة ولا جسرت على قتال أهل فرقة منهم، فضلاً عن قتال جمهور مخالفينهم، ولهذا قيل للمعتزلة : إنهم مخانيث الخوارج<sup>(١)</sup>.

ويعد هذا الأصل الرابع هو نقطة البدء في تاريخ المعتزلة كما سبق في نشأتهم. وكان لهذا الأصل أثره السيئ في موقف المعتزلة من صحابة رسول الله ﷺ، وخصوصاً أصحاب الجمل، وصفين من الفريقين؛ على، ومعاوية - رضى الله عن الجميع - كما سيأتى.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : هذا الأصل توافق فيه أهل السنة والمعتزلة، واتفقوا على أنه من الواجبات على الكفاية، وهو ما قرره المولى ﷺ في كتابه العزيز ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. إلا أنه وقع خلاف بين أهل السنة والمعتزلة فيما يلي :  
أ- حملهم الناس على المعروف والمنكر في مذهبهم وإلزامهم به، ويبدو هذا واضحاً في محنة خلق القرآن.

ب- طريقة تغيير المنكر؛ ساروا فيها عكس الحديث الوارد عن النبي ﷺ، في بيان موقف المسلم من المنكر إذا رآه وهو قوله ﷺ : "من رأى منكم منكراً؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع؛ فليسله، فإن لم يستطع؛ فليغيبه"، وذلك أضعف الإيمان<sup>(٣)</sup> بينما تغيير

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٦، وانظر : الملل والنحل ١ / ٤٢، وشرح الأصول ص ١٣٧، ٦٩٧، وفضل الاعتزال ١٧، ٦٤.

(٢) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران، وانظر : شرح الأصول ص ١٤١، ٧٤٤.

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ... إلخ ١ / ٢٩٦، ٢٩٧ رقم ٤٩ من حديث أبى سعيد الخدرى ؓ.

المنكر عندهم يبدأ بالحسنى، ثم باللسان، ثم باليد، ثم بالسيف على عكس ما يرشد إليه الحديث، ويذهب إليه أهل الحق.

ج- حمل السلاح فى وجوه المخالفين لهم سواء كانوا من الكفار أو من أصحاب المعاصى من أهل القبلة.

د- أوجبوا الخروج على السلطان الجائر، وهم فى كل ذلك متأثرون بتقطع الخوارج<sup>(١)</sup>. وخلاصة هذا الأصل عندهم أنهم قالوا : "علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا"<sup>(٢)</sup>.

ومن فوارق الأصول عند المعتزلة ما ذهب إليه الإمام القاسم الرسى : "أن القرآن الكريم فصل محكم، وصراط مستقيم، ولا خلاف فيه ولا اختلاف، وأن سنة رسول الله ﷺ ما كان لها ذكر فى القرآن ومعنى"<sup>(٣)</sup>.

وفى هذا الأصل الخامس بيان لموقفهم السيئ من سنة المعصوم ﷺ ، فهم لا يأخذون إلا بالسنة الموافقة للقرآن فقط، ولا يأخذون بالسنة المستقلة، وهذا الموقف له أثره السيئ حيث اتخذوه منهجاً خاصاً بهم حكموا من خلاله على سنة النبى ﷺ ، وهو عرض الحديث على القرآن الكريم، فما خالفه ولو مخالفة ظاهرة يمكن الجمع بينهما ردوه حتى ولو كان فى أعلى درجات الصحة.

ومن فوارق الأصول عند المعتزلة أيضاً ما ذهب إليه أحمد بن يحيى المرتضى؛ تولى الصحابة، والاختلاف فى سيدنا عثمان ؓ بعد الأحداث، والبراءة من معاوية وعمرو بن العاص - رضى الله عنهما-.

فاتفق المعتزلة على صحة خلافة أبى بكر، حتى من قال منهم بأفضلية على على أبى بكر - رضى الله عنهما - حيث أنهم رأوا علياً بايع أبى بكر غير مكره، فلا بد أن تكون بيعته صحيحة، فإذا وصلنا إلى سيدنا عثمان ؓ، نرى الخياط المعتزلى يقول : إن واصل بن عطاء وقف فى عثمان وفى خاذليه وقتليه وترك البراءة من واحد منهم؛ لأنه

(١) فرق معاصرة ٢/ ٨٤٩ - ٨٥١، وانظر : الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية ص ٢٥٦، ٢٦١، والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها للأستاذ عواد عبد الله ص ٢٧٣، ٢٧٦ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٢٨٦ .

(٣) رسائل العدل والتوحيد ١/ ٧٦، وانظر : رسائل الجاحظ ١/ ٢٨٧، وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ١٨١، ١٨٢ .

أشكل عليه الأمر بين حالته المحمودة قبل أحداث السنين الست الأواخر وبعدها، فتعارضت عنده الأدلة، فترك أمره لله<sup>(١)</sup> ومثل ذلك قول أبو الهذيل العلاف<sup>(٢)</sup> قال : لا ندري أقتل عثمان ظالماً أو مظلوماً<sup>(٣)</sup> .

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الحروب التي كانت مع علي ومعاوية -رضي الله عنهما، رأينا أن واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وجعفر بن مبشر، يؤيدون وجهة نظر علي بن أبي طالب ويتبرأون من معاوية وعمرو بن العاص ومن كان في شقهما<sup>(٤)</sup> .

بل إن البلخي<sup>(٥)</sup> وهو أحد شيوخ المعتزلة رمى عمرو بن العاص ومعاوية - رضي الله عنهما - بالإلحاد<sup>(٦)</sup> ونعوذ بالله ﷻ من الخذلان .

وهكذا كان المعتزلة في أصولهم مخالفين لأهل السنة في مفهوم الإسلام الجامع، وكان لهذه الأصول الأثر السيئ على الإسلام "قرآناً وسنة" وعلى المسلمين .

### موقف المعتزلة من السنة المطهرة :

لما كان المعتزلة لا يؤمنون إلا بما يتفق مع عقولهم وأصولهم الخمسة، وكان هناك من الأحاديث النبوية ما يهدم مذهبهم ويناقض أدلتهم، كان موقفهم من السنة غاية في الخطورة، ولا نكاد نكون مبالغين إذا قلنا : بأنهم كادوا يهدمون المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، فهم تناقضوا في موقفهم من السنة ونشأ التناقض بتشبههم بالعقل إلى ما يشبه تقديسه وتأليهه، ورفض ما يتعارض معه أو تأويله بما لا يخالف رأيهم، ولذلك وقعوا في كثير من الهنات والتناقضات دفعتهم إليها نزعتهم العقلية .

(١) الانتصار ص ١٥١ .

(٢) أبو الهذيل العلاف : هو محمد بن الهذيل بن عبيد الله البصري العلاف، من أئمة المعتزلة، له مقالات في الاعتزال، وانفرد بآراء مات سنة ٢٣٥هـ وقيل غير ذلك. له ترجمة في : طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٤٤، وتاريخ بغداد ٣/٣٦٦ رقم ١٤٨٢، ولسان الميزان ٥/٥٩٧ رقم ٨٢٢٢، ووفيات الأعيان ٤/٢٦٥ رقم ٦٠٦، وشذرات الذهب ٢/٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٢ رقم ١٧٣ .

(٣) مقالات الإسلاميين ٢/١٤٥ .

(٤) الانتصار للخياط ص ١٥٢ .

(٥) البلخي : هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، نسبة إلى ما تريد محله بسمرقند، من أئمة الكلام. مات سنة ٣٣٣هـ. له ترجمة في : الفوائد البهية في تراجم الخنفية للكنوي ص ٣٣٥، ومفتاح السعادة لأحمد بن مصطفى ٢/٢١ .

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١٣٧، وانظر : ضحى الإسلام ١٧٧/٣-١٨٠ .

## موقفهم من الخبر المتواتر :

درج المعتزلة على مخالفة إجماع الأمة على إفادة المتواتر القطع . فذهب بعضهم إلى إنكار حجية المتواتر وإفادته العلم، وتجويز وقوعه كذباً، وحكى الإمام أبو منصور البغدادي ذلك عن "النظامية"، وهم فرقة من المعتزلة فقال في الفضيحة السادسة عشرة من فضائح النِّظام<sup>(١)</sup> : قوله بأن الخبر المتواتر مع خروج ناقله عند سماع الخبر عن الحصر، ومع اختلاف همم الناقلين واختلاف دواعيها يجوز أن يقع كذباً، هذا مع قوله بأن من أخبار الآحاد ما يوجب العلم الضروري . وقد كفره أصحابنا مع موافقيه في الاعتزال في هذا المذهب الذي صار إليه<sup>(٢)</sup> .

ثم قال في الفضيحة السابعة عشرة من فضائحه : "تجويزه إجماع الأمة في كل عصر، وفي جميع الأعصار على الخطأ من جهة الرأي والاستدلال، ويلزمه على هذا الأصل أن لا يقف بشئ مما اجتمعت الأمة عليه، لجواز خطئهم فيه عنده، وإذا كانت أحكام الشريعة منها ما أخذته المسلمون عن خبر متواتر، ومنها ما أخذوه عن أخبار الآحاد، ومنها ما أجمعوا عليه وأخذوه عن اجتهاد وقياس، وكان النظام دافعاً لحجة التواتر، ولحجة الإجماع، وقد أبطل القياس وخبر الواحد إذا لم يوجد العلم الضروري، فكأنه أراد إبطال أحكام فروع الشريعة لأبطاله طرقها أ.هـ<sup>(٣)</sup> .

والمعتزلة : هم أول الفرق التي اشترطت في قبول الأخبار العدد كما في الشهادة، وما أرادوا بذلك الشرط إلا تعطيل الأخبار والأحكام الواردة فيها .

وفي ذلك يقول الإمام الحازمي<sup>(٤)</sup> : "ولا أعلم أحداً من فرق الإسلام القائلين

(١) النِّظام : هو إبراهيم بن سار بن هاني البصري، أبو إسحاق النظام، شيخ المعتزلة، تبحر في علوم الفلسفة، وانفرد بآراء تابعته فرقة من المعتزلة سميت النظامية . اتهم بالزندقة، وكفره جماعة، مات سنة بضع وعشرين ومائتين . وله كتب في الفلسفة والاعتزال . له ترجمة في : طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٤٩، تاريخ بغداد ٦/ ٩٧ رقم ٣١٣١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤١ رقم ١٧٢، لسان الميزان ١/ ٩٦ رقم ١٧٦، ومروج الذهب ٦/ ٣٧١ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٣٧، وانظر : الانتصار للخياط ص ٢٣٠، وآراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً للدكتور علي بن سعد بن صالح ص ٣٤٧ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٣٧، ١٣٨، وانظر : الانتصار للخياط ص ٢٣٢، والملل والنحل ١/ ٥٠، وتأويل مختلف الحديث ص ٢٨ .

(٤) الحازمي : هو أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم، كان من الأئمة الحفاظ، العالمين بفقهاء الحديث ومعانيه ورجاله، ثقة نبيلة حجة زاهدا ورعا عابدا، أدركه أجله شباباً، من مصنفاته، الناسخ والمنسوخ، وعجالة المبتدئ في الأنساب، وشروط الأئمة الخمسة، مات سنة ٥٨٤ هـ . له ترجمة في : طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٨٤ رقم ١٠٧١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٦٣ رقم ١١٠٦، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ١٩٢، وشفرات الذهب ٤/ ٢٨٢، والبداية والنهاية ١٢/ ٣٣٢، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٦/ ١٠٩ .

بقبول خير الواحد اعتبر العدد سوى متأخرى المعتزلة؛ فلإنهم قاسوا الرواية على الشهادة، واعتبروا فى الرواية ما اعتبروا فى الشهادة، وما مغزى هؤلاء إلا تعطيل الأحكام كما قال أبو حاتم ابن حبان<sup>(١)</sup>.

وها هم رؤساء المعتزلة يصرحون باشتراط العدد ويتناقضون فى نسبته.

فيحكى الإمام أبو منصور البغدادى عن الهذيلية وهم فرقة من المعتزلة فقال فى الفضيحة السادسة من فضائح أبى الهذيل قوله : إن الحجّة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفيما سواها، لا تثبت بأقل من عشرين نفساً فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر، ولم يوجب بأخبار الكفرة والفسقه حجة وإن بلغوا عدد التواتر الذين لا يمكن تواطؤهم على الكذب إذا لم يكن فيهم واحد من أهل الجنة، وزعم أن خير ما دون الأربعة لا يوجب حكماً، ومن فوق الأربعة إلى العشرين قد يصح وقوع العلم بخبرهم، وقد لا يقع العلم بخبرهم، وخبر العشرين إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة يجب وقوع العلم منه لا محالة، واستدل على أن العشرين حجة بقول الله تعالى : ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال : لم يبح لهم قتالهم إلا وهم عليهم حجة، وهذا يوجب عليه أن يكون خير الواحد حجة موجبة للعلم؛ لأن الواحد فى ذلك الوقت كان له قتال العشرة من المشركين، فيكون جواز قتاله لهم دليلاً على كونه حجة عليهم.

قال الإمام عبد القادر البغدادى : ما أراد أبو الهذيل باعتبار عشرين فى الحجّة من جهة الخير إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة إلا تعطيل الأخبار الواردة فى الأحكام الشرعية عن فوائدها لأنه أراد بقوله : "ينبغى أن يكون فيهم واحد من أهل الجنة، واحداً يكون على بدعته فى الاعتزال والقدر وفى فناء مقدورات الله ﷻ لأن من لم يقل بذلك لا يكون عنده مؤمناً ولا من أهل الجنة، ولم يقل قبل أبى الهذيل أحد ببدعة أبى الهذيل حتى تكون روايته فى جملة العشرين على شرطه<sup>(٣)</sup>.

(١) شروط الأئمة الخمسة ص ٤٧، وأبو حاتم بن حبان : هو محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم البستي التميمي، كان من أوعية العلم فى الفقه، والحديث، واللغة، والوعظ، وفنون العلم، وولى قضاء سمرقند، من مصنفاته، المسند الصحيح، والتاريخ، والضعفاء، مات سنة ٣٥٤هـ له ترجمة فى: تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٢٠ رقم ٨٧٩، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٧٥ رقم ٨٤٧، والبداية والنهاية ١١ / ٢٩٥، والرسالة المستطرفة ص ٢٠، وشذرات الذهب ٣ / ١٦، والوافي بالوفيات ٢ / ٣١٧.

(٢) جزء من الآية ٦٥ من سورة الأنفال.

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٢٤، ١٢٥، وانظر : الملل والنحل ١ / ٤٧.

ونقل الإمام الآمدي في الإحكام : اتفاق الجمهور من الفقهاء، والمتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة على أن العلم الحاصل عن خير التواتر ضروري، وقال الكعبي<sup>(١)</sup> وأبو الحسين البصري<sup>(٢)</sup> من المعتزلة، والدقاق<sup>(٣)</sup> من أصحاب الشافعي؛ أنه نظري<sup>(٤)</sup>. ثم اختلف هؤلاء في أقل عدد يحصل معه العلم<sup>(٥)</sup>.

ويحكي الإمام ابن حزم مثل ما حكاه الحافظ الحازمي : من أن المعتزلة : هم أول من اشتراطوا العدد في قبول الأخبار، فخالقوا بذلك جميع أهل الإسلام فقال : "إن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خير الواحد الثقة على النبي ﷺ يجرى على ذلك كل فرقة في علمها كأهل السنة، والخوارج، والشيعة، والقدرية حتى حدث متكلموا المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالقوا الإجماع بذلك، ولقد كان عمرو بن عبيد يتدين بما يروى عن أبي الحسين البصري من المعتزلة ويفتي به، هذا أمر لا يجهله من له أقل علم<sup>(٦)</sup>."

وإذا كان الحازمي حكى في شروط الأئمة الخمسة عن بعض متأخري المعتزلة اشتراط العدد في الرواية كما في الشهادة، وحكى ذلك أيضاً عن بعض أصحاب الحديث كما حكاه السيوطي<sup>(٧)</sup>.

فقد أجاب شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله عن حكاية ذلك الشرط عن بعض أصحاب

---

(١) الكعبي : هو عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، البلخي، رأس طائفة من المعتزلة تسمى الكعبية، وله تصنيف في الطعن على المحدثين، يدل على كثرة اطلاعه وتعبه. مات سنة ٣١٩ هـ له ترجمة في : لسان الميزان ٣ / ٧١٦ رقم ٤٠٥٤، وشننرات الذهب ٢ / ٢٨١ ووفيات الأعيان ٢ / ٢٤٨ رقم ٣٣٠، والبداية والنهاية ١١ / ٢٨٤، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٢٥، ٤٩ .

(٢) أبو الحسين : هو محمد بن علي بن الطيب البصري، أبو الحسين، أحد أئمة المعتزلة، قال الخطيب البغدادي : له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته، من آثاره : "المعتمد في أصول الفقه، وتصفح الأدلة، وليس بأهل للرواية، مات سنة ٤٣٦ هـ. له ترجمة في : طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ١١٨، والكمال في التاريخ ٩ / ٢٧، ووفيات الأعيان ٤ / ٢٧١ رقم ٦٠٩، وميزان الاعتدال ٣ / ٦٥٤ رقم ٧٩٧٢، والبداية والنهاية ١٢ / ٥٣ .

(٣) الدقاق : هو محمد بن محمد بن جعفر الدقاق الشافعي، الفقيه الأصولي، القاضي كان عالماً فاضلاً، له كتاب في أصول الفقه، مات سنة ٣٩٢ هـ. له ترجمة في: تاريخ بغداد ٣ / ٢٢٩ رقم ١٢٩٤، والنجوم الزاهرة ٤ / ٢٠٦، والوافي بالوفيات ١ / ١١٦ .

(٤) الإحكام للآمدي ٢ / ٢٧، وانظر : المسودة في أصول الفقه آل تيمية ص ٢٣٤ .

(٥) الإحكام للآمدي ٢ / ٣٩، والمسودة في أصول الفقه ص ٢٣٦، والبرهان ١ / ٢١٧ .

(٦) الإحكام لابن حزم ١ / ١١٠، وانظر : الاعتصام للشاطبي ١ / ١٨٧ .

(٧) تدريب الراوي ١ / ٧٠ .

الحديث بقوله :

"وقد فهم بعضهم ذلك من خلال كلام الحاكم<sup>(١)</sup> في معرفة علوم الحديث، وفي المدخل إلى الأكليل عند كلامه في شرط البخاري ومسلم، وبذلك جزم ابن الأثير<sup>(٢)</sup> في مقدمة جامع الأصول وغيره، ولا حجة لهم فيما فهموه، ومنقوض بما في الصحيحين من الغرائب الصحيحة التي تفرد بها بعض الرواة"<sup>(٣)</sup>.

يقول الحافظ ابن حجر : وقد وهم بعضهم حيث نسب إلى الحاكم أنه ادعى أن شرط الشيخين رواية الاثنتين، ولكنه غلط على الحاكم<sup>(٤)</sup>.

### موقفهم من خبر الآحاد :

وتناقض المعتزلة في حجية خبر الآحاد، فحكى الآمدي<sup>(٥)</sup> عن أبي الحسين البصري جواز التعبد بخبر الواحد عقلاً<sup>(٦)</sup>، وحكى الإمام الجويني<sup>(٧)</sup> عن قوم من المعتزلة،

---

(١) الحاكم : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري يعرف بابن البيع، كان إمام عصره في الحديث العارف به حق معرفته، صالحاً ثقة، يميل إلى التشيع، صاحب المستدرک علی الصحيحین، وتاريخ نيسابور، ومعرفة علوم الحديث، ومناقب الشافعي وغير ذلك، مات سنة ٤٠٥ هـ. له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٣٩ رقم ٩٦٢، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤١٠ رقم ٩٢٧، وشذرات الذهب ٣ / ١٧٥، وطبقات الشافعية لابن السبكي ٤ / ١٥٥ رقم ٣٢٨، وتاريخ بغداد ٥ / ٤٧٣ رقم ٣٠٢٤، والبداية والنهاية ١١ / ٣٥٥، والرسالة المستطرفة ص ٢١، وميزان الاعتدال ٣ / ٦٠٨ رقم ٧٨٠٤، ووفيات الأعيان ٤ / ٢٨٠ رقم ٦١٥.

(٢) ابن الأثير : هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجوزي، كان إماماً علامة بالسير وأيام الناس، حافظاً، لغوياً، من مصنفاته : اسد الغابة في معرفة الصحابة، واللباب في تهذيب الأنساب، مات سنة ٦٣٠ هـ. له ترجمة في تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٩٩ رقم ١١٢٤، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٩٥ رقم ١٠٩٠، والبداية والنهاية ١٣ / ١٣٩، وشذرات الذهب ٥ / ١٣٧، ووفيات الأعيان ٣ / ٣٤٨ رقم ٤٦٠، والعبر ٥ / ١٢٠.

(٣) تدريب الراوي ١ / ٧١، وانظر : ص ١٢٤-١٢٧.

(٤) فتح الباري ١٣ / ٢٤٦ أرقام ٧٢٥٠ - ٧٢٥٧، وانظر : سؤالات مسعود بن علي السجزي للحاكم ص ٢٠٩ رقم ٢٦٧.

(٥) الآمدي : هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، المكنى بأبي الحسن، الملقب بسيف الدين، كان فقيهاً أصولياً منطقياً حسن الأخلاق فصيح اللسان بارع البيان. من مصنفاته : الإحكام في أصول الأحكام، ودقائق الحقائق في الحكمة، مات سنة ٦٣١ هـ. له ترجمة في : وفيات الأعيان ٣ / ٢٩٣ رقم ٤٣٢، وطبقات الشافعية لابن السبكي ٨ / ٣٠٦ رقم ١٢٠٧، والبداية والنهاية ١٣ / ١٤٠، وشذرات الذهب ٥ / ١٤٤.

(٦) الإحكام للآمدي ٢ / ٦٨، ٧٥، وانظر : المعتمد في أصول الفقه ٢ / ١٠٦.

(٧) الجويني : هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، المكنى بأبي المعالي، الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي رحمه الله من مؤلفاته : البرهان في أصول الفقه، والإرشاد في علم الكلام. مات سنة ٤٧٨ هـ. له ترجمة في : سير أعلام النبلاء ١١ / ١٣٧ رقم ٤٣١٣، وشذرات الذهب ٣ / ٣٦٠، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢ / ٤٦٦-٤٧٠ رقم ٨.

والرافضة قالوا : [لا يجوز العمل به شرعاً] <sup>(١)</sup> . ونقل الأستاذ أبو منصور البغدادي عن الخياط المعتزلي، أنه مع ضلالتة في القدر، وفي المعلومات؛ منكر الحجة في أخبار الآحاد، قال الأستاذ أبو منصور، وما أراد بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة، فإن أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار من أخبار الآحاد <sup>(٢)</sup> .

### تناقض المعتزلة في العدد المطلوب لقبول خبر الآحاد :

ومن قبل خبر الآحاد من المعتزلة تناقض في العدد المطلوب لقبوله، وذهب إلى عدم الاحتجاج به في الأعمال إلا بشروط :

فأما تناقضهم في العدد المطلوب لقبوله . فحكى عن أبي علي الجبائي "أنه لا يقبل الخبر إلا إذا رواه أربعة" <sup>(٣)</sup> . وحكى عنه أيضاً قوله : "لا يقبل في الشرعيات أقل من اثنين" <sup>(٤)</sup> ، ونقل عنه أيضاً قوله : "يعتبر عدد يزيد عن شهود الزنا" <sup>(٥)</sup> .

واشترط رجلين عن رجلين "إسماعيل بن إبراهيم بن عليه" <sup>(٦)</sup> وهو من الفقهاء المحدثين، إلا إنه مهجور القول عند الأئمة لميله إلى الاعتزال، وقد كان الإمام الشافعي يرد عليه ويحذر منه .

ونقل الأستاذ أبو منصور البغدادي : "أن بعضهم اشترط في قبول الخبر : أن يرويه ثلاثة عن ثلاثة إلى انتهاء، واشترط بعضهم أربعة عن أربعة إلى انتهاء، وبعضهم خمسة عن خمسة إلى انتهاء، وبعضهم سبعة عن سبعة" <sup>(٧)</sup> .

(١) البرهان في أصول الفقه ١ / ٢٢٨، ٢٣١، وانظر : المسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص ٢٣٨، والمعتمد في أصول الفقه ٢ / ١٠٦ وما بعدها . وفضل الاعتزال ص ١٩٥ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٦٨ ، وانظر : الملل والنحل ١ / ٦٦ .

(٣) انظر : تدريب الراوي ١ / ٧٢ .

(٤) البرهان للمجيب ١ / ٢٣١ .

(٥) المسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص ٢٣٦، ٢٣٨ .

(٦) ابن عُليّة : هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم، أبو بشر البصري، المعروف بابن عُليّة، ثقة حافظ في غير بدعته . مات سنة ١٩٣ هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٩٠ رقم ٤١٧، والكاشف ١ / ٢٤٣ رقم ٣٥٠، والثقات لابن حبان ٦/٤٤، وشهابير علماء الأمصار ص ١٩٢ رقم ١٢٧٧، ولسان الميزان ١ / ٥٠ رقم ٦٥، والمغني في الضعفاء ١ / ١٠ رقم ٣٩ .

(٦) تدريب الراوي ١ / ٧٥، وانظر : آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويمًا للدكتور علي بن سعد بن ٣٣٣ .

أما من ذهب إلى عدم الاحتجاج به في الأعمال إلا بشروط؛ فاشترط :

١- ألا يخالف ظاهر القرآن الكريم، وهو أحد أصولهم كما سبق، فإذا ورد الحديث مخالفاً لظاهر القرآن الكريم؛ كان دليلاً على عدم صحته حتى مع إمكان الجمع بين هذا التعارض الظاهري، وهذا الشرط أصل من أصول أهل الزيغ والابتداع من الخوارج والجهمية والجبرية والمعتزلة كما حكاه عنهم الأئمة : ابن قيم الجوزية<sup>(١)</sup>، والشاطبي<sup>(٢)</sup>، وابن قتيبة<sup>(٣)</sup> وغيرهم .

٢- كما اشترط بعضهم ألا يخالف خبر الآحاد العقل: قال أبو الحسين: لم يقبل ظاهر الخبر في مخالفة مقتضى العقل، لأننا قد علمنا بالعقل على الإطلاق أن الله ﷻ لا يكلف إلا ما يطاق وأن ذلك قبيح، فلو قبلنا الخبر في خلافه، لم يخل، إما أن نعتقد صدق النبي ﷺ في ذلك فيجتمع لنا صدق النقيضين، أو لا نصدق فنعادل عن مدلول المعجز وذلك محال<sup>(٤)</sup>.

٣- كما ذهب فريق الاعتزال إلى أن خبر الآحاد لا يقبل فيما طريقه الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد إنما يبنى على اليقين لا الظن، وخبر الآحاد إنما يفيد الظن<sup>(٥)</sup>، وأما اليقين فإنما يؤخذ من حجج العقول؛ كما قال الجاحظ<sup>(٦)</sup> : وما الحكم القاطع إلا للذهن، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل<sup>(٧)</sup>.

وقال : والاستنباط هو الذي يفضى بصاحبه إلى برد اليقين، وعز الثقة، والقضية الصحيحة، والحكم المحمود<sup>(٨)</sup>.

(١) أعلام الموقعين ٢ / ٢٧٥، ٢٧٦ .

(٢) انظر : الاعتصام باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال ١ / ١٩٩ .

(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٨٤ وما بعدها، وانظر : الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية ص ٢١٠-٢١٢ .

(٤) المعتمد في أصول الفقه ٢ / ٥٤٩، وانظر : شرح الأصول الخمسة ص ٥٦٥ .

(٥) انظر : المعتمد في أصول الفقه ٢ / ١٠٢، وشرح الأصول ص ٧٦٩ .

(٦) الجاحظ : هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناسي، مولاهم، أبو عثمان، المشهور بالجاحظ، البصري، المعتزلي، كان متبحراً في الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، ليس بثقة ولا مأمون، وكان من أئمة البدع، من مؤلفاته الحيوان، والبيان والتبيين، وجموع رسائل وغيرها. مات سنة ٢٥٥ هـ. له ترجمة في : تاريخ بغداد ١٢ / ٢١٢ رقم ٦٦٦٩، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٧٠ رقم ٥٠٦، وميزان الاعتدال ٣ / ٢٤٧ رقم ٦٣٣٣، والضعفاء والمتركون لابن الجوزي ٢ / ٢٢٣ رقم ٢٥٤٥، والبداية والنهاية ١١ / ١٩، ولسان الميزان ٥ / ٢٨٦ رقم ٦٣٠٠ .

(٧) رسالة التزييع والتلويز، ضمن رسائل الجاحظ ٣ / ٥٨ .

(٨) كتاب المعلمين، ضمن رسائل الجاحظ ٣ / ٥٨ .

وقال القاضي عبد الجبار<sup>(١)</sup> : وإن كان - أى خير الآحاد - مما طريقه الاعتقادات ينظر، فإن كان موافقاً لحجج العقول قبل واعتقد بموجبه، لا لمكانة بل للحجة العقلية، وإن لم يكن موافقاً لها، فإن الواجب أن يرد ويحكم بأن النبي ﷺ لم يقله، وإن قاله فإنما قاله على طريق الحكاية عن غيره، هذا إذا لم يحتمل التأويل إلا بتعسف، فأما إذا احتمله فالواجب أن يتأول<sup>(٢)</sup>.

بل زعموا أن من أخبار الآحاد ما يعلم أنه بروايته ارتكب عظيماً، مما روى في باب التشبيه والجبر وغيرها من ضروب الخطأ، ولولا الدلالة على وجوب العمل به على بعض الوجوه لم يكن فى نقله فائدة<sup>(٣)</sup>. وسيأتى الجواب عن هذه الشروط فى الرد على شبه منكرى حجية خبر الآحاد.

### موقف المعتزلة من الصحابة وأثر ذلك على السنة النبوية :

موقف المعتزلة من الصحابة ﷺ، لا يقل سوءً وخطراً من موقف الشيعة من الصحابة وأول ما يطالعا من موقفهم من الصحابة أحد أصولهم الواردة على لسان أحمد بن يحيى بن المرتضى، وهو تولى الصحابة، والاختلاف فى عثمان بعد الأحداث، والبراءة من معاوية وعمرو بن العاص. وهذا الأصل كما سبق هو أحد الفوارق فى الأصول عندهم فهم وإن صححوا خلافة أبى بكر الصديق ﷺ حتى من قال منهم بأفضلية على بن أبى طالب إلا أننا نجد النظام يتناول عليه، وعلى كثير من أعلام الصحابة كالفاروق عمر، وعثمان، وعلى، وابن مسعود، وأبى هريرة وغيرهم. فلا ندري ماذا يعنون بتولى الصحابة قبل اختلافهم فى سيدنا عثمان ﷺ.

حتى إذا كانت فتنة سيدنا عثمان ﷺ رأيناهم يشكون فى عدالته، فيعلنون التوقف فيه وفى خاذلية وقاتليه وترك البراءة من واحد منهم، لأنهم أشكل عليهم الأمر فى

(١) القاضي عبد الجبار : هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الحمذاني، أبو الحسين، قاضي، أصولي، كان شيخ المعتزلة فى عصره، يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون ذلك على غيره، من مصنفاته: تنزيه القرآن عن المطاعن، وشرح الأصول الخمسة، والمغنى فى أبواب التوحيد والعدل. وغير ذلك. مات سنة ٤١٥ هـ. له ترجمة فى : تاريخ بغداد ١١ / ١١٣ رقم ٥٨٠٦، وميزان الاعتدال ٢ / ٥٣٣ رقم ٤٧٣٧، وطبقات الشافعية لابن السبكي ٥ / ٩٧ رقم ٤٤٣، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٧، ٤٣، وطبقات المفسرين للدردى ١ / ٢٦٢ رقم ٢٤٨، ولسان الميزان ٤ / ٢١١ رقم ٤٩٣٩.

(٢) شرح الأصول ص ٧٧٠، وانظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ١٨٢، والمعتمد فى أصول الفقه ٢ / ٥٤٩.

(٣) الانتصار ص ١٥٢، ١٥٣.

حاله ﷺ قبل الفتنة وبعدها، فتركوا أمره الله ﷻ.

وهذا التوقف والشك في عدالة أمير المؤمنين، حكاها كما سبق الخياط عن واصل بن عطاء، وقال الخياط : هذا قول لا تبرأ المعتزلة منه، ولا تعتذر من القول به<sup>(١)</sup>.

حتى إذا كانت فتنة علي بن أبي طالب ومعاوية - رضى الله عنهما - رأيانهم ما بين موقن بفسق إحدى الطائفتين لا بعينها، وما بين موقن بفسقهما معاً، وأعلنوا البراءة من معاوية، وعمر بن العاص ومن كان في شقهما<sup>(٢)</sup>، بل إن البلخي وهو أحد شيوخ المعتزلة تجرأ برميها - رضى الله عنهما - بالإلحاد، كما سبق<sup>(٣)</sup>.

حكى الإمام عبد القادر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) عن شيخ المعتزلة واصل ابن عطاء زعمه أن فرقة من الفرقين (أصحاب الجمل وصفين) فسقه لا بأعيانهم، وأنه لا يعرف الفسقة منهما، وأجازا أن يكون الفسقة من الفرقين علياً وأتباعه، كالحسن، والحسين، وابن عباس، وعمار بن ياسر، وأبي أيوب الأنصاري، وسائر من كان مع علي يوم الجمل، وأجازا كون الفسقة من الفرقين عائشة، وطلحة، والزبير، وسائر أصحاب الجمل، ثم قال في تحقيق في الفرقين لو شهد علي، وطلحة، أو علي، والزبير، أو رجل من أصحاب الجمل عندي على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما، لعلمي بأن أحدهما فاسق لا بعينه، كما لا أحكم بشهادة المتلاعنين لعلمي بأن أحدهما فاسق لا بعينه، ولو شهد رجلان من إحدى الفرقين أيهما كان قبلت شهادتهما.

يقول الإمام البغدادي : "ولقد سخنت عيون الرافضة القائلين بالاعتزال بشك شيخ المعتزلة في عدالة علي وأتباعه، ومقالة واصل في الجملة كما قلنا في بعض أشعارنا :  
مقالة ما وصلت بواصل \*\*\* بل قطع الله به أوصالها<sup>(٤)</sup>

(١) الانتصار ص ١٥٢، ١٥٣ .

(٢) ومن عجيب الأمر أن الخياط يعيب على المحدثين عدم أخذهم بأصل المعتزلة بالبراءة من معاوية، وعمر بن العاص ومن في شقهما، فيقول [ولقد أفرطوا في ذلك حتى تولوا من قامت الحجة بعدواته والبراءة منه] انظر : الانتصار ص ٢١٣ .

(٣) راجع : ص ١١١ .

(٤) الفرق بين الفرق ص ١١٧، وانظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٤٣، وميزان الاعتدال للذهبي ٤ / ٣٢٩ .

وإذا كان أصل بن عطاء أيقن بفسق إحدى الفرقتين لا بعينها، فقد أيقن بفسقهما معاً وصرح بذلك عمرو بن عبيد كما حكاه عنه البغدادى<sup>(١)</sup>.

وعن طعن المعتزلة فى الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - قال الإمام البغدادى فى الفضيحة الحادية والعشرون من فضائح النظام : "ثم إن النظام - مع ضلالاته التى حكيناها عنه - طعن فى اختيار الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم بالاجتهاد، فذكر الجاحظ عنه فى كتاب (المعارف) وفى كتابه المعروف بـ (الفتيا) أنه عاب أصحاب الحديث ورواياتهم أحاديث أبى هريرة رضي الله عنه، وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس، وطعن فى الفاروق عمر رضي الله عنه وزعم أنه شك يوم الحديبية فى دينه، وشك يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، وأنه كان فيمن نفر بالنبى صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، وأنه ضرب فاطمة، ومنع ميراث العترة، وأنكر تغريب نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة، وزعم أنه ابتدع صلاة التراويح، ونهى عن متعة الحج، وحرم نكاح الموالى للعرقيات... إلخ.

ثم إنه قال فى كتابه : [إن الذين حكموا بالرأى من الصحابة، إما أن يكونوا قد ظنوا أن ذلك جائز لهم، وجعلوا تحريم الحكم بالرأى فى الفتيا عليهم، وإما أنهم أرادوا أن يذكروا بالخلاف، وأن يكونوا رؤساء فى المذاهب، فاختاروا لذلك القول بالرأى، فنسبهم إلى إثارة الهوى على الدين، وما للصحابة رضي الله عنهم عند هذا الملحد الفرى ذنب غير أنهم كانوا موحدين لا يقولون بكفر القدريّة الذين ادعوا مع الله تعالى خالقين كثيرين]<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر الإمام البغدادى بعد ذلك: "أن نسبة النظام الصحابة إلى الجهل والنفاق يترتب عليه خلود أعلام الصحابة فى النار على رأى النظام، لأن الجاهل بأحكام الدين عنده كافر، والمتعمد للخلاف بلا حجة عنده منافق كافر أو فاسق فاجر، وكلاهما من أهل النار على الخلود"<sup>(٣)</sup>.

وهذا الذى ذكره الإمام البغدادى وافقه على أكثر ما فيه الإمام الشهرستانى<sup>(٤)</sup> فى

(١) الفرق بين الفرق ص ١١٨، وانظر : الملل والنحل للشهرستانى ١ / ٤٣ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٤٠-١٤٢، وانظر : ضحى الإسلام ٣ / ٨٦ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٤٣ .

(٤) الشهرستانى : هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستانى، الملقب بالأفضل، كان إماماً فى علم الكلام، وأديان الأمم، ومذاهب الفلاسفة، له معرفة بالأصول والأدب، من مصنفاته الملل والنحل، والإرشاد إلى عقائد العباد، وغير ذلك . مات سنة ٥٤٨ هـ . له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣١٣ فى ترجمة السبكي رقم ١٠٨٨، ووفيات الأعيان ٤ / ٢٧٣ رقم ٦١١، وطبقات الشافعية لابن السبكي ٦ / ١٢٨ رقم ٦٥٣، ولسان الميزان ٦ / ٣٠٤ رقم ٧٧٦، والوافى بالوفيات ٣ / ٢٧٨ رقم ١٣١٩، وشذرات الذهب ٤ / ١٤٩ .

كتابه (الملل والنحل) والإمام ابن قتيبة<sup>(١)</sup> في كتابه (تأويل مختلف الحديث) وقد أغنانا في الرد على النظام ومن ذهب مذهبه وعلى كل دعاويه واتهاماته الباطلة لصحابة سيدنا رسول الله ﷺ بما لا يدع مجالاً للشك في تهافت فكرهم وتفاهة رأيهم، وتحقيراً لشأنهم، الإمام ابن قتيبة<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يظهر واضحاً أن المعتزلة ما بين شاك في عدالة الصحابة، منذ عهد فتنة سيدنا عثمان رضي الله عنه وما بين موقن بفسق إحدى الطائفتين لا بعينها، وما بين موقن بفسقهما معاً، وما بين طاعن في أعلامهم، متهم لهم بالكذب والجهل والكفر والنفاق كالنظام. مع أن رؤسائهم وخاصة الذين طعنوا منهم في الصحابة - كانوا من الرقة في الدين بحيث يصف أحدهم وهو ثمامة بن أشرس - جمهور المسارعين إلى الصلاة بأنهم "حمير" : وكانوا من الشعوية والكره للعرب بحيث يقول ثمامة نفسه : "انظر إلى هذا العربي يعني محمد ﷺ ماذا فعل بالناس؟ فماذا نتظر من هذا الشعوبى الماجن أن يقول عن صحابة رسول الله ﷺ؟ وماذا نتظر أن يكون رأيه في السنة التي حققها أئمة الحديث ومحققوهم<sup>(٣)</sup>؟

ولا يقف قدح المعتزلة عند الصحابة فقط، بل يمتد إلى القدح في التابعين رضي الله عنهم وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم. وربما ردوا فتاويهم وقبحوها في أسماع العامة لينفروا الأمة عن إتباع السنة وأهلها<sup>(٤)</sup> وسيأتى تفصيل ذلك والجواب عنه في مبحث عدالة أهل السنة.

وبعد

فإن أصول المعتزلة على اختلافها كان لها أسوء الأثر على الإسلام ورواته حيث

(١) ابن قتيبة : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو عمرو، أبو محمد وقيل أبو عبد الله، كان ثقة ديناً فاضلاً، عالماً باللغة، والنحو، وغريب القرآن، ومعانيه، والشعر، والفقه، من مصنفاته : تأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث، والمعارف. وغير ذلك. مات سنة ٢٧٦هـ له ترجمة في : تاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠ رقم ٥٣٠٩، وميزان الاعتدال ٢ / ٥٠٣، رقم ٤٦٠١، والفهرست لابن النديم ص ١٢٣، والبداية والنهاية ١١ / ٤٨، وتذكرة الحفاظ ٢٣٣ / ٢، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٢، رقم ٣٢٨، وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٢٥١ رقم ٢٣٤

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٣٣ - ٤٤ .

(٣) السنة ومكانتها في التشريع ص ٦، وانظر : تأويل مختلف الحديث ص ٥٤ : ما قاله الأئمة عن فساد دين رؤوس المعتزلة في تأويل مختلف الحديث ص ٢٨، والفرق بين الفرق ص ١٤٣ .

(٤) الاعتصام ١ / ١٨٦ وما بعدها .

وقف المعتزلة بأصولهم من الوحي قرأناً وسنة، ومن الصحابة موقف التحدى، فإذا بدا خلاف فى ظاهر النصوص وبين أصولهم أو رأى لا يروونه أولوا النص بما يخرج عن معناه الحقيقى إلى ما يوافق رأيهم<sup>(١)</sup> .

وعن خطورة تأويلهم آيات القرآن الكريم بما يوافق أصولهم يقول الإمام الأشعرى: إن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة، وأهل القدر، مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل به الله سلطاناً، ولا يصح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين<sup>(٢)</sup> .

ويقول فضيلة الدكتور أبو شهبه - رحمه الله - : المعتزلة من أعظم الناس كلاماً وجدالاً، وقد صنفوا تفاسيرهم على أصول مذهبهم، مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم، شيخ إسماعيل بن عليه، الذى كان يناظر الشافعى، ومثل كتاب أبى على الجبائى، والتفسير الكبير للقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى والكشاف لأبى القاسم الزمخشرى . والمقصود : أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين فى رأيهم، ولا فى تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين : تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن ...، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً، ويدس السم فى كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى أنه يروج على خلق كثير من أهل السلف، كثير من تفاسيرهم الباطلة<sup>(٣)</sup> .

ولا يقف خطر أصولهم عند تأويلهم القرآن الكريم مما لم ينزل به الله سلطاناً، وإنما كان لهذه الأصول خطرهما الأعظم على السنة المطهرة، فما تعارض من الأحاديث الصحيحة مع هذه الأصول، إما يؤولونه تأويلاً يشبه الرد، وإما يصرحون بالرد بحجة

(١) انظر : موقف المعتزلة من السنة ومواطن اشراقهم عنها للدكتور أبو لبابة ص ٤٣، ٧٣، ٩٧، والخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية للدكتور محمد عمارة ص ٢١٢-٢١٥ .

(٢) الإبانة للأشعرى ص ١٤ .

(٣) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، ص ١١٤، ١١٥ .

أن الخير آحاد، والآحاد لا يحتج بها في العقائد<sup>(١)</sup>، وهم في كل ذلك يتناولون على رواة السنة ويطعنون فيهم سواء من صحابة رسول الله ﷺ أو من التابعين، فمن بعدهم من أئمة المسلمين.

وفي مواقف المعتزلة من الكتاب والسنة والصحابة، وجد أعداء الإسلام وأعداء السنة المطهرة، ثغرات يلجئون منها في الكيد لدين الله ﷻ - قرآنًا وسنة - بما وجدوه من ثروة طائلة من السخافات والمثالب، فصوروا الإسلام في صورة الخرافات، وطعنوا بدورهم في أئمة المسلمين وتاريخهم وحضارتهم المجيدة، وقد اغتر بهم الجهلة في عصرنا الحاضر ونسجوا على منوال أساتذتهم، ورموا علماء المسلمين في كل عصر بكل نقيصة وبهتان، والله يشهد إنهم لكاذبون<sup>(٢)</sup>.

فالمستشرقون، ودعاة التغريب، واللا دينية، وهم يهاجمون السنة اليوم، ويثيرون حولها الشبهات اهتموا بالاعتزال والمعتزلة، لأنهم وجلوا فيهم منهجاً له أثره في إفساد الفكر الإسلامي على العموم، وإبطال حجية السنة وتعطيلها على الخصوص، ويبدو هذا واضحاً في إحيائهم للفكر الاعتزالي والثناء عليه، ووصفهم للمعتزلة بأنهم أغارقة الإسلام الحقيقيون، أو وصفهم بالمعتزلة العظام، أو المفكرون الأحرار في الإسلام<sup>(٣)</sup>. يقول الدكتور أحمد أمين: وفي رأبي أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة، وعلى أنفسهم جنوا<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا ندرك خطورة تأثير بعض علماء المسلمين الأجلاء من رواد المدرسة العقلية الحديثة بالفكر الاعتزالي ومنهجه في تعامله مع النصوص قرآنًا<sup>(٥)</sup>، وسنة<sup>(٦)</sup>، واستغل

(١) سيأتي بالبرهان الواضح أن القضية مع المعتزلة في العقائد ليست قضية متواتر وآحاد، وإنما قضية أصولهم فهي الأصل، والقرآن والسنة الفرع، بدليل تأويلهم لآيات القرآن المتواترة في أحاديث العقائد لتعارضها مع أصولهم، ولو صدقوا في دعواهم بأن الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد، فلماذا يؤولون تأويلاً أشبه بالرد، الآيات المتواترة في العقائد؟ انظر: موقف المعتزلة من السنة ومواطن انحرافهم عنها للدكتور أبو لبابة حسين ص ٩٧، ٩٨.

(٢) انظر: الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص ٣٣٢ بتصرف، والسنة ومكانتها في التشريع ص ١٤٢، والضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين للدكتور أحمد محرم الشيخ ١/ ١٨٩-١٩٦.

(٣) انظر: العقيدة والشريعة لجولدتسيهر ص ١٠٠ - ١١٨، ١٢٠، وانظر: تراث الإسلام لجوزيف شاخت ص ٢٠٣، ٢١٨، ودراسات في حضارة الإسلام لماملتون جب ص ٢٦٨ - ٢٦٩، ٢٧٤، ودائرة المعارف الإسلامية ص ٥٧٦، ٥٨٠، ٥٨٤.

(٤) ضحى الإسلام ٣/ ٢٠٧.

(٥) انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي.

(٦) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية للأستاذ الأمين الصادق الأمين.

ذلك التأثير بعض أعداء الإسلام، وأعداء السنة المطهرة، في دعوتهم الباطلة، وصبغها صبغة شرعية وذلك بالاستشهاد بأقوال رواد تلك المدرسة، والزعم بأن منهجهم العقلي المعتزلي، هو المنهج الحق، وربما ادعوا بأنه منهج سلفنا الصالح<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر : أضواء على السنة محمود أبو رية ص ٣٧٧ وما بعدها، والأضواء القرآنية السيد صالح أبو بكر ١ / ١٦،  
٣٦، وتبصير الأمة بحقيقة السنة إسماعيل منصور ص ٦٥٦، ومجلة روزاليوسف العدد ٣٥٨٦ ص ٣٨ - ٤٠،  
والعدد ٣٥٥٩ ص ٤٨ - ٥٠، مقالات لأحمد صبحي منصور.

## المبحث الخامس من الفرق إلى السنة الجامعة

تحت هذا العنوان قال الأستاذ أنور الجندى : "منذ اليوم الأول لظهور حركة المؤامرة على الإسلام فى القرن الأول للهجرة قامت المواجهة الصادقة والمعارضة الصريحة على يد أهل السنة والجماعة كما قال محمد بن سيرين<sup>(١)</sup> - رحمه الله - : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"<sup>(٢)</sup>. ومنذ ذلك اليوم وكانت المواجهة بين أهل السنة وأهل البدع والأهواء، واستطاعت السنة كشف زيفهم ونقص شبهاتهم وبينت بالدليل أنها حركة معادية لها تلتبس فى محيط المجتمع الإسلامى خيوطاً لتدميرها كمقدمة لتدمير النظام الإسلامى نفسه، كما بينت السنة الصلة الوثيقة بين أهل البدع وأعداء الإسلام من اليهودية، والنصرانية، والمجوسية وغيرهم ممن تطلعوا إلى هدم الإسلام عن طريق فكره بعد أن عجزوا عن هدمه عن طريق دولته .

أولاً : أنكرت السنة التشبيه والتعطيل وكشفت عن أن المشبهة وثنية والمعتلين ملحدون وتعقبت فى نفس الوقت الملحدين والوثنيين وكشفت عنهم .

ثانياً : عارضت السنة إخضاع الإسلام للجدل العقلى ودعت إلى التماس المعين الأول والمنبع الأصيل "القرآن والسنة" .

ثالثاً : كشفت السنة عن فساد إلهيات أرسطو؛ لأن مقدماتها ونتائجها معارضة أشد المعارضة لمفهوم التوحيد الخالص، وأبانت أن العقائد مرجعها إلى الكتاب والسنة .

رابعاً : استوعبت السنة كل المطامح والآمال التى كانت الفرق المختلفة تنادى بها فجعلت محبة أهل البيت جزءاً من عقيدتها وجعلت العقلانية التى رفعت

(١) محمد بن سيرين : هو محمد بن سيرين الأنصارى، أبو بكر بن أبى عمرة البصرى، ثقة، ثبت، عابد، كبير القدر، مات سنة ١١٠هـ له ترجمة فى تقريب التهذيب ٢/ ٨٥ رقم ٥٩٦٦، والكاشف ٢/ ١٧٨ رقم ٤٨٩٨، والثقات للعجلي ص ٤٥٠ رقم ١٤٦٤، والثقات لابن حبان ٥/ ٣٤٨، والجرح والتعديل ٧/ ٢٨٠، ومشاهير علماء الأمصار ص ١١٣ رقم ٦٤٣ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) فى المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين ١/ ٨٤ .

لواعها المعتزلة شطر المعرفة، وجعلت الوجدانية التي حمل لواعها التصوف شطر المعرفة الأخرى وجعلت اختيار الحاكم على أساس الشورى وليس على أساس النسب أساساً من أسس مفهومها.

**خامساً :** قاومت السنة الاتجاه الزائف نحو القول بوحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد كما قاومت انحرافات الخوارج والشيعية والمعتزلة والمتكلمين والفلاسفة والصوفية فالتقت كل هذه القطاعات في مفهوم جامع.

**سادساً :** كشفت السنة عن أن الفكر الفلسفي لتلك الفرق لا يمكن أن يكون أساساً للفكر الإسلامي، ذلك أن هناك مجموعة من الحقائق الأولية لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الوحي والنبوة، وبينت أن الفلسفة ليست قرينة الوحي ولا مناظرة له فهي لا تزيد عن كونها استخداماً للعقل، وهي في أحسن صورها تعمل على أن تعصم الذهن من الخطأ في الاستنباط والبرهان.

**سابعاً :** أصبحت السنة هي البوتقة التي انصهرت فيها كل الثقافات فهي بمثابة النهر الكبير والمذاهب والفرق روافد، وخير ما في هذه الروافد انصهر في مفهوم جامع للأصالة الإسلامية وصب في النهر الكبير، وكان أبلغ ما وصلت إليه هذه الغاية هو قول الإمام الغزالي : إن أساليب القرآن أرجح في سلامة العقيدة والتزام صفاء الفطرة من جملة أساليب اليونان، والصوفية وفي بوتقة السنة أصبح العقل في خدمة الوحي يسير في ضوئه، وأباح فقهاء المسلمين قدراً كبيراً من التأويل والاختلاف في الفروع دون أن يتجاوزوا وجه الانحرافات الهدامة ... إلخ.

ووصل كثير من مفكرى الإسلام إلى نفس النتيجة التي وصل إليها الإمام الغزالي، حتى قال إمام الحرمين : "لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام"<sup>(١)</sup> وقال: "يا أصحابنا لا تشغلوا بالكلام فلو عرفت أنه يبلغ بى ما بلغ ما اشتغلت به"<sup>(٢)</sup> وأخرج الخطيب عن الوليد الكرايسى<sup>(٣)</sup> أنه لم حضرته الوفاة قال لبيه : تعلمون أحداً أعلم بالكلام منى؟ قالوا: لا قال : فتهموني؟ قالوا : لا قال : فإنى أوصيكم، أتقبلون؟

(١) صون المنطق للسيوطى ١٨٣٣، نقلاً عن أبى المظفر فى كتابه الانتصار.

(٢) انظر : طبقات الشافعية لابن السبكي ٣/ ٢٦٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٧٤ .

(٣) الكرايسى هو : الوليد بن أبان الكرايسى، بفتح أوله والراء، نسبة إلى بيع الثياب، انظر : اللباب فى تهذيب الأنساب ٣/ ٨٨، أحد أئمة الكلام، له ترجمة فى: تاريخ بغداد ١٣/ ٤٤٦ رقم ٧٣١٧، وميزان الاعتدال ١/ ٤١٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٨ رقم ١٧١٧ .

قالوا : نعم، قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإنني رأيت الحق معهم" (١).  
ثامناً : كشف رجال الأصالة الإسلامية (السنة) أن النزعة العقلية التي دافع عنها  
المعتزلة كادت تحقق العقيدة وأنها حولتها من يسرها وبساطتها إلى مذهب  
فلسفي معقد بعيد عن روح الإسلام، وكانت أخطاء المعتزلة : تحكيم العقل  
في الوحي، وإعلاء العقل على الوحي .

تاسعاً : استطاع مفهوم السنة، وهو مفهوم الأصالة الإسلامية الجامع أن يقضي على  
الغلو في كل تلك الفرق وبذلك تعين أن السنة ليست مذهباً معيناً بين  
المذاهب وليست طرفاً من الأطراف بل هي الحكم بين الأطراف فأهل السنة  
لامع هؤلاء ولامع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء  
فيما أصابوا فيه، فكل حق مع طائفة من الطوائف يوافقونهم فيه، وهم براء  
من باطلهم، فهم حكام بين الطوائف لا يعاملون بدعة ببدعة ولا يرمون باطلاً  
بباطل، ولا يحملهم شتآن قوم ألا يعدلوا فيهم، بل يقولون فيهم الحق  
ويحكمون في مغالاتهم بالعدل .

إن السنة المطهرة هي مدرسة الأصالة الإسلامية التي تجمع خير ما في الفرق وتحكم  
بينها وترتفع عن الخلاف حول الأفراد والأشخاص، وتقرر أن هذا الخلاف هو الذي  
أفسد المفاهيم الإسلامية أ.هـ (٢).

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص ١٠٨، ١٠٩ رقم ١٠٥، وانظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٤٤١، وسير أعلام النبلاء ١٠  
٥٤٨/

(٢) المواجهة على الإسلام للأستاذ أنور الجندی ص ٢٢٩ : ٢٣٤ بتصرف وتقديم وتأخير .



## الفصل الثاني

### أعداء السنة النبوية من المستشرقين

وتحت أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالاستشراق .

المبحث الثاني : منهج المستشرقين في دراسة الإسلام .

المبحث الثالث : المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية .

المبحث الرابع : موقفنا من الحركة الاستشراقية والمستشرقين .



## المبحث الأول

### التعريف بالاستشراق لغة واصطلاحاً

الاستشراق لغة : استشرق من الفعل "شرق" يقال : شرقت الشمس أى طلعت، واسم الموضع المشرق، والشرق : المشرق، والجمع إشراق . والتشريق الأخذ فى ناحية المشرق، يقال : شتان بين مشرق ومغرب، وشرقوا أى ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق، وكل ما طلع من المشرق فهو شرق<sup>(١)</sup>.

واستشرق : أى طلب دراسة ما يتعلق بالشرق، فالألف والسين والتاء فى أى فعل تدل على الطلب كاستغفر أى طلب المغفرة.

الاستشراق اصطلاحاً : هو علم الشرق أو علم العالم الشرقى وهو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقين شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم . وهذا معنى عام للاستشراق .

وهناك معنى خاص كان هدفهم الأساسى وهو : دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية لخدمة أغراض التبشير من جهة، وخدمة أغراض الاستعمار الغربى لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتخطيط الأمة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

وهذا المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق هو الذى يعنينا، وهو الذى ينصرف إليه الذهن فى عالمنا العربى الإسلامى عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضاً فى كتابات المستشرقين المعنيين<sup>(٣)</sup>.

والمستشرقون : هم الذين يقومون بهذه الدراسات من غير الشرقيين، ويقدمون الدراسات اللازمة للمبشرين، بغية تحقيق أهداف التبشير، وللدوائر الاستعمارية بغية

(١) القاموس المحيط ٣/٢٤١، ومختار الصحاح ص ٣٣٦ .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها للأستاذ عبد الرحمن الميداني ص ٥٠ بتصرف، وانظر : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى للأستاذ الدكتور محمود زقزوق ص ٢٤ .

(٣) الاستشراق للدكتور زقزوق ص ٢٥، ٢٤، وانظر : المستشرقون والتاريخ الإسلامى للدكتور على الخربوطلى ص ٢٦، ورؤية إسلامية للاستشراق للدكتور أحمد غراب ص ٧ .

### تحقيق أهداف الاستعمار.

ومع الدراسات الاستشرافية الموجهة لأغراض التبشير والاستعمار، قام بعض محبى العلم بدراسات استشرافية حيادية غير موجهة، وكان من بعض هؤلاء إنصاف للحقيقة وبعض هؤلاء المنصفين تأثر بالإسلام وبالحضارة الإسلامية فأسلم<sup>(١)</sup>.

هذا ومما لا شك فيه أن الاستشراق كان له أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام وأمته، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة وحتى يومنا هذا<sup>(٢)</sup>.

والاستشراق من تعريفه الخاص السابق، موقف عقائدى وفكرى معاد للإسلام يقفه الكافرون بهذا الدين بوجه عام، وبعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى بوجه خاص. وهذا الموقف - فى جوهره النابع من العداوة فى العقيدة - ليس بجديد وإنما هو امتداد لموقف أسلافهم الكافرين بالإسلام من المشركين وأهل الكتاب - منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم : وهو موقف الإنكار للرسالة، والتكذيب للرسول ﷺ، وإثارة الشبهات حول الإسلام وحول القرآن والرسول ﷺ وسنته المطهرة بوجه خاص، لتشكيك المسلمين فى دينهم، ومحاولة ردهم عنه .

وقد تختلف وسائل المشركين ووسائل أهل الكتاب، ولكنهم - في نهاية المطاف - يلتقون حول الهدف : وهو محاولة منع الخير - وهو الإسلام - عن المسلمين، ومحاولة ردهم عنه كما قال الله تعالى : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَآلِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٣). وقال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (٤).

(١) أجنحة المكر الثلاثة ص ٥٠، ٥١.

(٢) الاستشراق للدكتور زقزوق ص ٢٠ .

(٣) الآية ١٠٥ من سورة البقرة.

(٤) الآية ١٠٩ من سورة البقرة، وانظر: رؤية إسلامية للاستشراق للدكتور أحمد غراب ص ١١، ١٨١

## المبحث الثانى منهج المستشرقين فى دراسة الإسلام

قبل أن نتعرف على موقف المستشرقين من السنة النبوية المطهرة يجدر بنا أن نتعرف أولاً على منهجهم فى دراستهم الاستشراقية للإسلام، فبمعرفة هذا المنهج سنقف على أثره فى نظرتهم للإسلام، وللسنة النبوية المطهرة ونحن كثيراً ما نسمع المستشرقين يكثر من القول: إن التحقيق والموضوعية والتحرر منهجهم فى كل ما يبحثون لا فرق فى ذلك عندهم بين علو وصديق أو بين قريب وبعيد، ويكثر من القول أيضاً: أنهم يدرسون العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ... هكذا يدعون!

والحق أنهم بعيدون كل البعد عن البحث العلمى النزىه ولا يمتنون إليه بصلة، ويستوى فى هذا سائر المدارس الاستشراقية<sup>(١)</sup>.

ولا أدرى كيف يكون منهج الاستشراق اللاهوتى الوليد من عصبية وحقد النصارى للإسلام ولأمتنا الإسلامية - لا أدرى كيف يكون نزياً ومحايداً فى دراسته للإسلام...؟! وحتى بعد تطوره فى العصر الحديث إلى استشراق علمانى استعمارى لم يتخل عن العصبية الدينية، وإن لم تطغ هذه العصبية طغيانها قديماً فهو استشراق استعمارى طامع فى خيرات هذه الأمة حاقداً عليها ولا أمل له فى السيطرة على هذه الأمة إلا بإضعاف عقيدتها بدينها وتاريخها وحضارتها ولا يكون ذلك إلا بالاستشراق اللاهوتى التبشيرى، وكذلك حال الاستشراق اليهودى فى منهجه، كانت تحركه نزعتين :

إحدهما دينية : تحمل أشد العداوة والحقد للإسلام والمسلمين .

وثانيهما سياسية : تحمل فى داخلها حلم إعادة مملكة سيدنا داود عليه السلام فى فلسطين وحكم العالم أجمع .

---

(١) وهى المدرسة النصرانية، والمدرسة اليهودية، والمدرسة العلمانية، والمدرسة الإلحادية الشيوعية . انظر : آجنحة المكر الثلاثة وخوافيها للأستاذ عبد الرحمن الميدانى ص ١٢٤، ١٢٥، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى للدكتور زقروق ص ٤٨، ٤٩ .

والبحث العلمى التزيه لا صلة له إطلاقاً بما يكتبون عن الإسلام والمسلمين؛ لأنهم وهم يكتبون لا يتخلون أبداً عن أهوائهم وحقدهم الدفين ضد الإسلام ونبيه ﷺ، وأتمته التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، وحتى لو فرضنا أن هذا لا يكون فى نفوس بعضهم حين يكتبون عن الإسلام، فإنه مما لا شك فيه يكون فى نفوسهم الطمع فى خيرات هذه الأمة وهذا يحملهم أيضاً على التحامل على الإسلام، وصدق رب العزة فى بيان نزعتهم الدينية فى قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْنَعُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

وصدق رب العزة فى بيان نزعتهم الاستعمارية فى قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢).

والمستشرقون فى كتاباتهم عن الإسلام لن يتخلوا أبداً عن هاتين النزعتين الدينية والاستعمارية، لأن التحول عنهما، إنما يعنى التحول إلى الإسلام، وهذا التحول إلى الإسلام يعنى فى الوقت نفسه التحول عن الاستشراق وأهدافه الخبيثة، وهذا ما حدث بالفعل لبعض المستشرقين ممن أكرمهم رب العزة بالإسلام وهداهم إليه.

وصدق رب العزة فى بيان سبب عدم تخليهم عن نزعتهم الدينية سواء يهودية أو نصرانية فى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (٣).

فالسبب أنهم أبداً وإلى أن تقوم الساعة فى شك من هذا الدين ومن نبوة المصطفى ﷺ وهم دائماً فى موقف الحذر منه والترص به، ومهما حدث من أمور يظهرون من خلالها التودد والجمالة، إلا أن ذلك يخفى حقيقة فى قلوبهم لا يريدون إظهارها ففعلهم فى واد، وقلوبهم فى واد آخر.

وإذا كان هناك من رضا متوقع، فلن يكون إلا فى حين اتباع ملتهم، والسير

(١) الآية ١٠٩ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٠٥ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٥٥ من سورة الحج.

خلفهم، وعدم مخالفتهم فيما يفعلون أو يكتبون من خرافات وأساطير عن الإسلام أما دون ذلك فلا، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (٢).

فالولاء الوحيد في قلوب هؤلاء؛ إنما هو لدينهم ولمصلحتهم لا للإسلام ولا للمسلمين كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (٣). وإذا كان هؤلاء المستشرقون صادقين في ادعائهم الموضوعية والحيدة فيما يكتبون، فنحن نطلب منهم أن يلتزموا بأوليات بديهية تتطلبها المنهج العلمي السليم فعندما أرفض وجهة نظر معينة لابد أن أبين للقارئ أولاً وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها ثم لي بعد ذلك أن أوافقها أو أخالفها. وعلى هذا الأساس نقول عندما يكتب عن الإسلام: إن الكيان الإسلامي كله يقوم على أساس الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ الذي تلقى القرآن وحياً من عند الله. ويجب على العالم التزيه والمؤرخ المحاييد أن يقول ذلك لقراءه عندما يتعرض للحديث عن الإسلام حتى يستطيع القارئ أن يفهم سر قوة هذا الإيمان في تاريخ المسلمين (٤). ثم له بعد ذلك أن يخالف المسلمين في معتقداتهم وتصوراتهم أو يوافقهم؛ غير أن هذا المنهج المنطقي والطبيعي قلما يتبع مع الأسف، ويتبعون بدلاً منه منهجهم القائم على ما يلي:

١- تحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوروبية، فهم حكموا على الإسلام معتمدين على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الفهم القاصر والمحدود والمغلوط الذي يجهل حقيقة الإسلام (٥).

٢- تبسيط فكرة مسبقة ثم اللجوء إلى النصوص واصطيادها لإثبات تلك الفكرة واستبعاد ما يخالفها، وذلك منهج معكوس وليد الهوى.

(١) الآية ١٢٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٨٩ من سورة النساء.

(٣) جزء من الآية ٧٣ من سورة الأنفال.

(٤) نقد كتاب فييت (بجد الإسلام) للدكتور حسين مونس ملحق بكتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ص ٤٥٩ : ٤٦٣، وانظر : الاستشراق للدكتور زقزوق ص ٩٥ .

(٥) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ١٨٨، والاستشراق والمستشرقون للدكتور السباعي ص ٤٩، ومناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية لجماعة من العلماء ص ٣٦٤، والإسلام والمستشرقون لنبذة من العلماء ص ١٩١، والاستشراق والمستشرقون وجهة نظر للأستاذ عدنان محمد وزان ص ١٢٤ .

- ٣- اعتمادهم على الضعيف، والشاذ من الأخبار، وغض الطرف عما هو صحيح وثابت منها<sup>(١)</sup>.
- ٤- تحريف النصوص، ونقلها نقلاً مشوهاً، وعرضها عرضاً مبتوراً<sup>(٢)</sup>، وإساءة فهم ما لا يجدون سبيلاً لتحريفه<sup>(٣)</sup>.
- ٥- غربتهم عن العربية والإسلام منحتهم عدم الدقة والفكر المستوعب في البحث الموضوعي، حتى ولو اختص أحدهم بأمر واحد من أمور الإسلام طيلة حياته<sup>(٤)</sup>.
- ٦- تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ويصححون ما ينقله (الدميري)<sup>(٥)</sup> في كتاب "الحيوان" ويكذبون ما يرويه مالك<sup>(٦)</sup> في "الموطأ" كل ذلك انسياقاً مع الهوى، وانحرافاً عن الحق<sup>(٦)</sup>.
- ٧- إبراز الجوانب الضعيفة، والمعقدة، والمتضاربة، كالاخلاف بين الفرق، وإحياء الشبه، وكل ما يفرق، وإخفاء الجوانب الإيجابية والصحيحة وتجاهلها<sup>(٧)</sup>.
- ٨- الاستنتاجات الخاطئة والوهمية وليدة التعصب، وجعلها أحكاماً ثابتة يؤكدها أحدهم المرة تلو المرة، ويجتمعون عليها حتى تكاد تكون يقيناً عندهم<sup>(٨)</sup>.
- ٩- النظرة العقلية المادية البحتة التي تعجز عن التعامل مع الحقائق الروحية<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ١٨٨، والاستشراق والمستشرقون للدكتور السباعي ص ٤٣، والإسلام والمستشرقون لنخبة من العلماء ص ٢٥١ .

(٢) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٢٤٨ .

(٣) السنة ومكانتها في التشريع ص ١٨٨، والاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص ١٣٠ .

(٤) انظر : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين للأستاذ نذير حمدان ص ١٦ .

(٥) الدميري : هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء الشافعي من أهل دميرة بمصر، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، أديب، نحوي، من آثاره : "حياة الحيوان"، "الديباجة" في شرح سنن ابن ماجه و "النجم الوهاج" في شرح منهاج النووي . مات سنة ٨٠٨ هـ له ترجمة في : الضوء اللامع للسحاري ١٠ / ٥٩ - ٦٢، والبيدر الطالع للشوكاني ٢ / ٢٧٢، وشذرات الذهب ٧ / ٧٩ - ٨٠، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ١٢ / ٦٥، والأعلام للزركلي ٧ / ١١٨ .

(٦) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ١٨٨-١٨٩ .

(٧) الإسلام والمستشرقون لنخبة من العلماء ص ٢٤١ .

(٨) المصدر السابق ص ٢٤٧ .

(٩) انظر : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ص ١٦ .

١٠- تفسير سلوك المسلمين، أفراداً وجماعات بأنه مدفوع بأغراض شخصية، ونوازع نفسية دنيوية، وليس أثراً لدافع ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة<sup>(١)</sup>.

وهذا المنهج فى دراسة الإسلام ونبىه ﷺ ، وأمتة وتاريخهم المحيد سيدو واضحاً فى وسائلهم للكيد للسنة النبوية المطهرة .

ونتيجة لهذا المنهج نشروا صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، وزعموا كذباً أن هذه الصورة الفاضحة هى صورة الإسلام والمسلمين التى يعتقدونها ويعيشونها قديماً وحديثاً، واقتنع بها أبناء جلدتهم، وبعض من أبناء جلدتنا ممن يجهلون دينهم، أو يرغبون فى الشهرة، أو مخدوعين بما يدعيه أولئك الأعداء من المنهج العلمى المزعوم، مما جعلهم يصدقون كل ما يكتبه المستشرقون عن الإسلام، بل يعجبون به ويتعصبون له فى كثير من الأحيان .

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور السباعى<sup>(٢)</sup> : [ترى لو استعمل المسلمون معايير النقد العلمى التى يستعملها المستشرقون فى نقد القرآن والسنة وتاريخنا، فى نقد كتبهم المقدسة، وعلومهم الموروثة، ماذا يبقى لهذه الكتب المقدسة والعلوم التاريخية عندهم من قوة؟ وماذا يكون فيها من ثبوت؟ نعم سنخرج بنتيجة من الشك وسوء الظن أكبر بكثير مما يخرج به المستشرقون بالنسبة إلى مصادر ديننا وحضارتنا وعظمائنا فحضارتهم مهلهلة رثة الثياب، ورجال هذه الحضارة من علماء وسياسيين وأدباء يبدون فى صورة باهتة اللون لا أثر فيها لكرامة ولا خلق ولا ضمير .

نعم لو فعلنا ذلك كما يفعلون لرأوا كيف عاد هذا المنهج الذى زعموا أنهم يستخدمونه لمعرفة (الحقيقة) فى ديننا وتاريخنا، وبالأعلى عليهم، لعلهم يخرجون - بعدئذ - من استمرارهم فى التحريف والتضليل والهدم<sup>(٣)</sup> أ.هـ .  
ويقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمود زقزوق :

(١) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها للأستاذ عبد الرحمن الميدانى ص ١٤٧، ١٤٨ .

(٢) السباعى: هو مصطفى حسنى السباعى، من تاج بيت من بيوت العلم فى الشام، وتاج الأزهر حيث نال منه شهادة الدكتوراه فى علمى الفقه والحديث، من مؤلفاته السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، والاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، وغير ذلك ، مات سنة ١٩٦٤ هـ . انظر : أعلام القرن الرابع عشر للأستاذ أنور الجندى ١ / ٤٣٥ رقم ٤ من الباب الخامس .

(٣) السنة ومكانتها فى التشريع ص ٢٤ وما بعدها بتصرف .

١- إن الاستشراق - من بين شتى العلوم الأخرى - لم يطور كثيراً في أساليبه ومناهجه . وفى دراسته للإسلام لم يستطع أن يحرر نفسه تماماً من الخلفية الدينية للجلد اللاهوتى العقيم الذى انبثق منه الاستشراق أساساً .

٢- أن الاستشراق فى دراسته للديانات الوضعية مثل البوذية والهندوسية وغيرها غالباً ما تكون دراسات موضوعية بعيدة عن أى تحريج ولكن الإسلام وحده من بين كل الأديان هو الذى يتعرض للنقد والتحريج والمحاربة على الرغم من أنه دين يؤمن بالله ويحترم اليهودية والمسيحية ويؤمن بموسى، وعيسى، ويرفعهما، فوق النقد بوصفهما من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام . والمسلمون فقط من بين الشرقيين جميعاً هم الذين يصفون بشتى الأوصاف الدينية .

٣- إن الإسلام الذى يعرضه هؤلاء المستشرقون - المتحاملون على الإسلام - فى كتبهم هو إسلام من اختراعهم، وهو بالطبع ليس الإسلام الذى ندين به، كما أن محمداً الذى يصورونه فى مؤلفاتهم ليس هو محمد الذى نؤمن برسالته، وإنما هو شخص آخر من نسيج خيالهم<sup>(١)</sup> .

وهكذا يمكن القول بأن الاستشراق فى دراسته للإسلام، ليس علماً بأى مقياس علمى، وإنما هو عبارة عن أيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات<sup>(٢)</sup> .

ويقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى - : الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية فى البحث، وهى أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتحرر، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه<sup>(٣)</sup> .

وتقول الدكتورة عزة على طه شاهدة على منهج المستشرقين بعد أن تتلمذت على

---

(١) انظر : الفكر الإسلامى الحديث للدكتور محمد البهى ص ٤٧٣ ، والاستشراق للدكتور محمود زقزوق ص ١٣٨ - ١٤٣ بتصرف .

(٢) الاستشراق للدكتور زقزوق ص ١٤٤ ، وانظر : الإسلام فى تصورات الغرب للدكتور زقزوق ص ١٤ .

(٣) دفاع عن العقيدة والشريعة ص ٨ ، وقارن بالإسلام على مفترق الطرق للأستاذ محمد أسد ص ٥٣ ، وانظر : ص ٦١ كلامه عن استمرار الاستشراق فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين إلى الآن بالرغم من أن الشعور الدينى فيه ما هو إلا قضية من قضايا الماضى . وانظر : رؤية إسلامية للاستشراق للدكتور أحمد غراب، ص ٣٧ وما بعدها .

بعضهم فى الولايات المتحدة، أثناء حصولها على درجة الماجستير فى مقارنة الأديان، قالت: [وما كنت أتخيل بأن هؤلاء الناس الذين برعوا فى جميع أوجه الحياة بما فى ذلك إبداع كل العلوم والمعارف المعاصرة ...، لم أكن أتخيل أنهم بهذا القدر من التعصب الأعمى والتمسك بملة آبائهم وأجدادهم دون تدبر ولا وعى، ولا إدراك.

ليس هذا فحسب، بل إنهم اشتطوا فى العدوان على عقائد من خالفهم الرأى ولم يتورعوا عن الكذب والفساد والبهتان كى يبرروا معتقداتهم الباطلة ويسيئوا إلى العقائد الأخرى، وخاصة الدين الإسلامى الحنيف ورغم ما كنت ألاقه من عنت ومشقة فى الصبر على أذاهم باستماعى لطعنهم فى دين الله ﷻ، بجانب مضايقاتهم المتكررة لى باعتبارى مسلمة يجب أن ترتد عن دينها، أو حتى تحاول أن تهدم بعض أركانه باسم التطور، إلا أننى صيرت ... مكتفية بممارسة أضعف الإيمان فى تغيير هذا المنكر. وكان هدفى من الصمود أمام تحدياتهم وكثير بلواهم طيلة هذه المدة، الإحاطة بكل ما يمكن معرفته من عقائدهم الفاسدة ووسائلهم المنكرة فى نشرها بين الناس، من طرق تنصير وغيره، واستراتيجية تهجمهم على الديانات الأخرى وخاصة الإسلام (١).

وأخيراً أقول كما قال الدكتور مصطفى السباعى : "إذا كنا نشدد هذه الشدة فى حق جمهور المستشرقين المحرفين والمضللين أمثال "جولد تسيهر"، فإننا لا نغمط غيرهم من المنصفين حقهم ممن درسوا الإسلام بموضوعية ونزاهة علمية وأنصفوه وأنصفوا أهله وأدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام" (٢).

وإن كنت أرى أن هؤلاء أيضاً سواء من أنصف الإسلام منهم ظاهراً أو حتى ممن كانوا مسلمين لا يجوز الاغترار بإنصافهم هذا ولا الاعتماد فى فهم ديننا على ما يكتبون، فكثير منهم دس السم فى الدسم، وبعضهم أسلم ثم ارتد بعدما أدى الدور الذى كان مطلوباً منه. وهذا ما سنبينه إن شاء الله تعالى فى موقفنا من الحركة الاستشراقية والمستشرقين.

(١) منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عربة على طه ص ١٤، ١٥، وللإستزادة فى بيان حقيقة منهجهم. انظر : رؤية إسلامية للاستشراق للدكتور أحمد غراب ص ٧٩، والمستشرقون والثوات للدكتور عبد العظيم الديب ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع ص ٢٥، ٢٦ بتصرف يسير.

## المبحث الثالث

### المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية

أدرك المستشرقون أهمية السنة النبوية بالنسبة للإسلام عموماً والقرآن الكريم خصوصاً، وأنه بالتشكيك والنيل منها نيل من القرآن الكريم بل من الإسلام نفسه .

يقول المبشر الأمريكي (جب) : "إن الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء، وصار شبه صبرة طومسون، وطومسون هذا رجل أمريكي، جاء إلى لبنان فقدمت له صبرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقي منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء" (١) .

وأول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي كان المستشرق اليهودي "جولد تسيهر" الذي يعده المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي، كما وصفه بذلك "بفانوللر" وقال : وبالأحرى كان "جولد تسيهر" يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي في القرن الأول والثاني . فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول : عد طفولته، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام .

كما بارك جولد تسيهر موقف المعتزلة من السنة النبوية، ورأى أن وجهتهم في رد الأحاديث بالعقل هي الوجهة الصحيحة التي يجب أن تناصر وتؤيد ضد المتشددین الحرفين الجامدين على النصوص (٢) .

وعلى درب "جولد تسيهر" في موقفه من السنة صار المستشرقون ورددوا شبهاته واعتبروا أنفسهم مدنيين له فيما كتبه من شبهات حول السنة .

وفي هذا يقول عنه كاتب مادة (الحديث) في دائرة المعارف الإسلامية : "إن العلم مدین دیناً كبيراً لما كتبه (جولد تسيهر) في موضوع الحديث، وقد كان تأثير

(١) التبشير والاستعمار للدكتور مصطفى خالد والدكتور عمر فروخ ص ٩٨ .

(٢) انظر : العقيدة والشرعة في الإسلام ص ١٠٩ ، ١١٠ .

"جولدتسيهر" على مسار الدراسات الإسلامية الاستشراقية أعظم مما كان لأى من معاصريه من المستشرقين فقد حدد تحديداً حاسماً اتجاه وتطور البحث فى هذه الدراسات<sup>(١)</sup>.

ومن هنا كان الرد على هذا الداهية الخبيث رداً على عصابة المستشرقين إجمالاً فيما أناروه من شبهات وطعون حول السنة النبوية المطهرة، وسيأتى الجواب عن هذه الشبهات ومن قال بها من أبناء المسلمين المنخدعين بمنهجهم العلمى المزعوم فى الباب الثانى وسائل أعداء السنة قديماً وحديثاً فى الكيد للسنة الشريفة أ.هـ.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ص ٢٣١، وانظر : الاستشراق للدكتور عمود حمدى زفروق ص ١٢٢، ١٢٣ .

## المبحث الرابع موقفنا من الحركة الاستشراقية والمستشرقين

عرفنا مما سبق أن الاستشراق وليد من عصبية وحقد النصارى للإسلام ولأمتنا الإسلامية، وحتى بعد تطوره إلى العلمانية، لم يخرج عن هذه العصبية، وارتبط ارتباطاً وثيقاً أولاً بالتبشير اللاهوتي، ثم ثانياً بالاستعمار ولم ينفصل عنهما معاً، وتكاثرت تلك الجيوش الثلاثة من أجل محاربة الإسلام والمسلمين، وتحقيق مصالحهم وأطماعهم، وعرفنا أن منهج الاستشراق بعيد كل البعد عن المنهج العلمي النزيه في دراسته للإسلام والمسلمين.

وإذا كان للحركة الاستشراقية أثر كبير في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم العربي، وأثر أخطر في أجيال من أبناء جلدتنا ممن وقعوا في شباكهم؛ ففسدت عقائدهم وعملوا على إفساد عقائد المسلمين، من أجل هذا كان لابد وأن يكون للمسلمين موقف من هذه الحركة الاستشراقية، ومن أنصارها الذين تعصبوا لها وخذعوا بما زعمه أعداء الإسلام من التزامهم الموضوعية في الكتابة، وصدقوا ما كتبوه من أباطيل ضد الإسلام، واعتمدوا على مؤلفاتهم في كتاباتهم عن الإسلام في التفسير، أو الحديث، أو السيرة، أو التاريخ... إلخ. وراجت مؤلفات هؤلاء الأنصار بين شباب المسلمين مع ما فيها من دسائس، ودس للسم في العسل.

وهؤلاء ولمن يقرأون لهم نقول كما قال الأستاذ محمد سرور بن نايف: "لا يجوز أن يعتمد المسلمون في فهم دينهم على كتب المستشرقين مهما قيل في مدحهم والثناء عليهم، والإشادة بحيادهم<sup>(١)</sup>."

نعم، قد تلقى بعضهم منصفاً معتدلاً غير متحامل ولا متعصب، ولكنه شاذ لا يقاس عليه. وإن كانت معظم كتاباتهم المعتدلة تتركز في تاريخ العلوم التجريبية عند المسلمين، وأثر المسلمين في هذا المجال لا ينازع فيه إلا مكابر، وهم في هذا لم يأتوا بجديد غير إحقاق الحق، ومن هذا القبيل كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرق زغريد هونكه).

(١) دراسات في السيرة النبوية ص ١٧٥ .

أما العلوم الشرعية؛ فلا نكاد نجد لها منصفاً لخطورتها، وأهميتها في حياة الإنسان، ولأن العلوم الشرعية هذه مرتبطة برسالة الإسلام، الدعوة العالمية للتوحيد، وإقامة منهج الله ﷻ على الأرض، وهذا بلا ريب يهدد معاقل الشرك والوثنية أينما كانت، فلا عجب حينئذ أن ينتشر جنود إبليس للتصدي لهذه الدعوة، والنيل منها بكل وسائل التسفيه والتشكيك<sup>(١)</sup>.

### وكتب المستشرقين التي مدحوا من أجلها :

إما مصنفات مستقلة عبارة عن بحوث ودراسات، تتعلق بالحضارة الإسلامية، والفقه الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي، وتاريخ الحديث الشريف وغيرها. وهذه مصنفات طافحة بالدس والتشويه، وهي منحرفة كلياً عن منهج البحث السديد.

وإما مصنفات مبنية على مصنفات أخرى كفهارس القرآن الكريم، وفهارس كتب الحديث؛ فهي جهود محمودة، ولكنها غير إبداعية؛ لأنهم مسبقون إليها من أئمتنا المتقدمون - رضوان الله عليهم<sup>(٢)</sup> - وهذا لا يعنى انتقاص قيمة هذا العمل، فهو حقاً عمل رائع، ولكنه نال من الثناء أكثر مما يستحق، لأنه لو قام به جماعة من المسلمين في نفس الظروف التي أنجز فيها هذا العمل الكبير لأتوا بمثله أو أحسن منه، ولنا في الأعمال الفردية التي قام بها بعض علمائنا الأجلاء قديماً وحديثاً خير دليل على ذلك<sup>(٣)</sup>.

وأما عملهم في تحقيق كتب التراث؛ فهو أيضاً نال من المديح أكثر مما يستحق، فهم منذ بدأوا جريمتهم بسرقة المخطوطات الإسلامية من الشرق بدأ منذ عام ١٣١١م واستولوا على كل المخطوطات الموجودة في المساجد والزوايا، حتى جمع أحد الرهبان (زانسى) ستة آلاف مخطوط من الشرق نقلها إلى ميلانو، وتوالت بعثات الاستعمار والفاشيكان إلى العالم الإسلامي لجمع المخطوطات، كان هدفهم هو "حبس التراث

(١) ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير ص ٢٨٣، ٢٨٤ .

(٢) فصل ذلك الأستاذ أحمد محمد شاكر في كتابه تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، وفي مقدمة مفتاح كنوز السنة لفنسك .

(٣) انظر : في ذلك "طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدي، وكشف اللثام عن أسرار تخريج أحاديث خير الأنام لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الموجود . ففيهما بيان لجهود علماء المسلمين قديماً وحديثاً في صنع الفهارس والمعاجم، وانظر : ضوابط الرواية ص ٢٨٧، ٢٨٨ .

الإسلامي في مكبات الغرب واتخاذ سلاحاً ضد المسلمين، فهم يبرزون الكتب التي تثير الفتن والنزاع بكل صوره الفكرى والمذهبي والسياسي؛ ككتب الفرق، والخلاعة، والمجون، والتصوف الفلسفي، ويخفون كتب العلوم، فيأخذون نظرياتنا، وينسبونها إلى أنفسهم وعلمائهم، ويحرمون أصحابها منها<sup>(١)</sup>.

ومعظم الكتب التي حققها المستشرقون وأعادوا كتابتها كانت تستهدف إذاعة آراء معينة وتيارات مضللة تفقدنا الثقة بعقيدتنا وماضينا، وحضارتنا، وقادتنا، ولذلك فإنه لا يمكن القول بأن هذه الكتب قد طبعت، أو حققت لخدمة الأدب العربى، أو اللغة العربية، ومن هذه الكتب : ألف ليلة وليلة، والأغاني، وأخبار الحلاج، ورسائل إخوان الصفا ... إلخ<sup>(٢)</sup>.

يقول الدكتور عبد العظيم الديب : "إن عنايتهم بالتراث كانت وما زالت وستظل من باب (اعرف عدوك)، فهذه الكتب التراثية هى الخرائط، والصور لعقولنا، وعواطفنا، ومشاعرنا، واتجاهاتنا، واهتماماتنا، وحبنا، وبغضنا، وغضبنا، ورضانا. فهى المفاتيح التى عرفوا بها كيف يخططون لتدميرنا ثقافياً، واجتماعياً، وفكرياً، وعلمياً، بعدما حطمونا عسكرياً وسياسياً"<sup>(٣)</sup>.

وليس معنى هذا تسفيه كل جهودهم فى تحقيق كتب التراث، فالإنصاف يقتضى ألا نغبط الناس حقهم، على أن لا نقوم بتمجيدهم صباح مساء كما يفعل المستغربون من أبناء أمتنا ظناً منهم أنه عمل فى قمة التفوق والإبداع، غير مسبوقين فيه، على ألا يغيب عن ذهننا أنهم ما صنعوا فهارس القرآن الكريم، وفهارس كتب الحديث، وحققوا كتب التراث؛ إلا إطفاءً لنور الإسلام<sup>(٤)</sup> ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره

(١) وصدق الدكتور محمود قاسم : "لقد نقلنا المستشرقون إلى ارسطوا، على حين نقلوا أنفسهم وقومهم إلى مناهج المسلمين وعلموهم" نقلاً عن المؤامرة على الإسلام للأستاذ أنور الجندي ص ٢٠٩، وانظر : الغارة على التراث الإسلامى للأستاذ جمال سلطان ص ٥٤-٥٩، والمؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية الدعوة والدعاة بحث الأستاذ الدكتور طلعت أحمد محسن الاستشراق وواقعه وجهود المستشرقين ص ٥٩٥ - ٥٩٧ .

(٢) مقدمات العلوم والمناهج للأستاذ أنور الجندي ٥ / ١٥٤، وانظر : له أيضاً مسئولية الاستشراق ومموم دائرة المعارف الإسلامية بحث قدم للمؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية ص ٦٠١-٦٠٦، وراجع المستشرقون والتاريخ الإسلامى للدكتور على الخربوطلى ص ٦٠، ٥٩، والمستشرقون والتراث للدكتور عبد العظيم الديب ص ٢٣ - ٢٦ .

(٣) المستشرقون والتراث ص ٤٣، ٤٤ .

(٤) فالمستشرق فنسبك مؤلف مقتراح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث بالاشتراك، ورئيس دائرة المعارف الإسلامية . يعد عدواً للوداء للإسلام ونبيه ﷺ كما قال الدكتور مصطفى السباعي فى كتابه الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ص ٤٢ . وانظر : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار ص ٤٥٠، ورؤية إسلامية للاستشراق ص ٨٩ - ١٠٤ .

المشركون وصدق ربنا ﷺ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (١).

وحسبنا دليلاً على عدم الاعتماد في فهم ديننا على كتب المستشرقين؛ أنهم ليسوا من أهل العدالة والتي على رأس شروطها الإسلام. وقد قال رب العزة ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (٣) فإذا كان خير المسلم الفاسق مردود على صحة اعتقاده، فخير الكافر من المستشرقين أولى بالرد.

وحسبنا أيضاً دليلاً على عدم الاعتماد في فهم ديننا وتاريخنا على كتب المستشرقين، أن المعتدل منهم وإن كان ظاهره الإنصاف للإسلام والمسلمين في العلوم الشرعية؛ فقد دس السم في الدسم.

والدسم هنا هو باب التقدير والثناء والمدح، يدخل من هذا الباب وهو يكتب عن الإسلام ونبيه ﷺ حتى يخدع القارئ ويكسب ثقته، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير شبهات خفية متتالية في إطار هذا المديح الكاذب، كل ذلك دون منهج موضوعي يتحرر فيه من أهوائه ورواسبه الموروثة ويلتزم فيه النقد التقويعي ونزاهة البحث، وهذا أسلوب جديد حرص عليه المستشرقون في هجومهم على الإسلام بعدما تبين لهم فشل أو ضعف تأثير الهجوم على الإسلام ومصادره بعنف دون مواربة أو حيلة (٤) أ.هـ.

فالواجب يقتضى من المسلم أن يحذر السير وراء أقوال معسولة، وآراء مغرية، ومواقف خادعة، يمكن أن تخدع عقول البسطاء من المسلمين، وتؤثر على اقتناعهم بأن المستشرقين يمدحون الإسلام، أو يمدحون النبي ﷺ، ويشنون على صفاته، ويعدون شخصيته ﷺ في مقدمة المصلحين وعباقره العالم، فقد تظاهر بعضهم بالإسلام وتزيا بزى العلماء حين زار العالم الإسلامى كما فعل صنمهم الأكبر "جولد تسيهر" اليهودى المجرى، وسنوك هرجونيه المستشرق الهولندى، وتقدم آخرون ببحوث مجمعية

(١) الآية ٣٦ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ٧٣ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٦ من سورة الحجرات.

(٤) شبهات التفريب للأستاذ أنور الجندى ص ٩١، وانظر: الغارة على العالم الإسلامى ١. ل. شاتليه ص ٢٧.

لينخرطوا بين المجموعين، فتصبح آراؤهم موضع القبول والرضا، وأثبتت الدراسات أن ريع أعضاء الجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت من هؤلاء المستشرقين، والأزمة الفكرية التي اختلقها (مرجليوث)<sup>(١)</sup> في اصطناع الشعر الجاهلي، والفساد العقائدي الذي نشره (لري ماسينون) حول القرآن وعامية العربية في القاهرة، وما كتبه جولد تسيهر وشاخت وغيرهم عن السنة المطهرة لا تزال آثاره ماثلة للعيان.

فلا يفرح مسلم من ثناء مستشرق على الإسلام أو الرسول ﷺ، ويعد هذا كسباً للعلم والتاريخ، فإن هذا قد يكون مرحلة من مراحل التغريب في العقيدة والفكر، وأسلوباً من أساليب المكر والخديعة<sup>(٢)</sup>.

يقول الدكتور محمد حسين: "لذلك كان من الواجب على المسلمين أن يدركوا إدراكاً واضحاً أن البحوث الإسلامية التي يكتبها المستشرقون هي بحوث موجهة ضد الإسلام والمسلمين، فتمجيد الإسلام في كتب المستشرقين يقصد به خلق جو من الاطمئنان إلى نزاهة الفكر الغربي من ناحية، ومقابلة هذه المحاملة من جانب المستشرقين بمحاملة مثلها من جانب المسلمين للقيم الغربية، ويقصد بذلك أيضاً أن يقوم تفاهم بين الشرق والغرب، ودعوة الباحثين من المسلمين في مؤتمراتهم، وفي غيرها من الكتب والبحوث الإسلامية، بقصد المعاونة في تحقيق التقارب بين الثقافتين، ومزج إحداهما بالأخرى، وبالطبع مزج الفكر الفلسفي اليوناني الغربي بالفكر الإسلامي العربي، والنتيجة الطبيعية لهذا المزج الخروج بفكر منحرف بحافٍ لإسلامنا وحضارتنا تماماً كما حدث مع أصحاب الفرق من المعتزلة والمتكلمين وغيرهم ممن تأثروا بالفكر الفلسفي اليوناني والفارسي والهندي، وخرجوا بأصول ومناهج كان لها أثرها السيئ فيما أثر حول السنة من شبهات<sup>(٣)</sup>."

فكثير من المستشرقين المعتدلين لم تكن كتاباتهم إنصافاً للإسلام والمسلمين، وإنما

(١) مرجليوث: هو دافيد صمويل مرجليوث، إنجليزي يهودي، من كبار المستشرقين، متعصب ضد الإسلام، ومن عرري (دائرة المعارف الإسلامية)، كان عضواً بالجمع اللغوي المصري، والجمع العلمي في دمشق، عين أستاذ للعربية في جامعة أكسفورد. له كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن مخلصاً فيها للعلم. مات سنة ١٩٤٠م. من مؤلفاته: "التطورات المبكرة في الإسلام"، "محمد ومطلع الإسلام"، و"الجامعة الإسلامية" وغير ذلك. له ترجمة في: الأعلام ٢/ ٣٢٩، والمستشرقون ٢/ ٥١٨، والاستشراق ص ٣٦، وآراء المستشرقين حول القرآن ١/ ٨٨.

(٢) شبهات التغريب للأستاذ أنور الجندي ص ٩١ - ٩٣.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية ص ١٢١ - ١٢٤ بتصرف.

مرحلة جديدة من مراحل تغريب الأمة الإسلامية في عقيدتها وفكرها بأسلوب ماكر خبيث ينخدع به المفتونون بهم.

يقول الأستاذ محمد سرور بن نايف: "وأتحدى أن يكون هناك مستشرق منصف فيما يكتب عن الإسلام والمسلمين"<sup>(١)</sup>.

ويؤكد ذلك الأستاذ محمد أسد بقوله: "صورة مشوهة للإسلام وللأمور الإسلامية تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقوا أوربة"<sup>(٢)</sup>.

فلو أخذنا مثلاً "بروكلمان"<sup>(٣)</sup> في كتابيه (تاريخ الأدب العربي) و(تاريخ الشعوب الإسلامية) وهما من المراجع المهمة عند كثير من المتخصصين بعلم التاريخ؛ لأنهما في نظرهم من المراجع الهامة التي أدت ولا زالت تؤدي خدمات جليلة للباحثين في شتى مجالات العلوم العربية والإسلامية<sup>(٤)</sup>. لو قرأنا بإمعان هذين الكتائين والذين هما في نظر المتصيرين للمستشرقين من المراجع الهامة في التعريف بإسلامنا وتاريخنا، وصاحبه من المعتدلين، لرأينا أن صاحبه صليبي، حاقد على الإسلام والمسلمين، وقد تجاوز كل حد في شططه عن الحق وإعراضه عن الصواب، وبعده عن الموضوعية والتحرر، ولم يترك مركباً للفساد والتضليل إلا امتطاه، وذلك بترديده أقوال من سبقه من المستشرقين، ولكن بأسلوب ماكر دس فيه السم بالدمسم. في كل ما كتبه عن القرآن الكريم والسنة المطهرة والنبي ﷺ وصحابته الكرام.

فكارل بروكلمان وهو يتحدث عن نبوة محمد ﷺ، يردد أكاذيب وأباطيل سلفه من اليهود والنصارى فيقول: "وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد"<sup>(٥)</sup>، وعن الوحي يردد أكاذيب سلفه؛

(١) دراسات في السيرة النبوية ص ١٧٥.

(٢) الإسلام على مفترق الطرق للأستاذ محمد أسد ترجمة الدكتور عمر فروخ ص ٥٤.

(٣) بروكلمان: هو كارل بروكلمان، مستشرق ألماني، تعلم اللغة العربية وكان عالماً بتاريخ الأدب العربي. عضو المجمع العربي وكثير من الجامعات الأخرى بألمانيا. مات ١٩٥٦م. من آثاره: "تاريخ الأدب العربي" و"تاريخ الشعوب الإسلامية" وغيرها. له ترجمة في: الأعلام ٥/ ٢١١ - ٢١٢، والمستشرقون نجيب العقيقي ٢/ ٧٧٧ - ٧٨٣، والمستشرقون الألمان تراجمهم جمع صلاح الدين المنجد ص ١٥٣ - ١٦٢.

(٤) الإسلام في تصورات الغرب للأستاذ الدكتور حمدي زقروق ص ١١.

(٥) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٤.

بأنه وحى نفسى قائلاً : "لقد تحقق عنده - أى عند الرسول ﷺ - أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج فى أعماق نفسه هذا السؤال : إلى متى يمدهم الله فى ضلالهم، ما دام هو ﷺ قد تجلّى، آخر الأمر، للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت فى نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة<sup>(١)</sup> .

ولا ننسى المستشرق (موريس بوكاي) فى كتابه : "دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، فشهادته بصدق القرآن بقوله : "إن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث"<sup>(٢)</sup> وعلى الرغم من أن كلامه على القرآن الكريم لا يسلم من المآخذ، إلا أننا نراه فى موقفه من السنة المطهرة يردد أقوال من سبقه من المستشرقين مشككاً فى صحة نقلها وحجيتها، كقوله : "فقد كتبت أولى الأحاديث بعد عشرات من السنوات من موت محمد ﷺ مثلما كتبت الأناجيل بعد عشرات السنوات من انصراف المسيح، إذن فالأحاديث والأناجيل شهادات بأفعال مضت"<sup>(٣)</sup> . ثم وصفه لكلام النبي ﷺ؛ بأنه كلام بشر قد يخطئ ويصيب...<sup>(٤)</sup>، وأن هناك مبادئ للقرآن صريحة فى الأمر دائماً بالرجوع إلى العلم والعقل فى الحكم على الأحاديث<sup>(٥)</sup> .

إلى غير هؤلاء من المستشرقين الذين وصفوا بإنصاف الإسلام ونبيه ﷺ<sup>(٦)</sup>؛ لأنهم وصفوه ومجلدوه بالعبرية، وبأن دعوته حركة إنسانية إصلاحية، واتخذ بذلك بعض المسلمين غلافين عن السم الذى وراء هذا الدسم (الثناء والمدح)، وهو تجريد النبي ﷺ من النبوة، ومن مزية أن القرآن الكريم والسنة النبوية وحى من عند الله ﷻ وأن رسالته ﷺ ريانية صالحة لكل زمان ومكان إلى يوم الدين، وليست حركة إصلاحية

(١) المصدر السابق ص ٣٦، وانظر : أمثلة أخرى لعدم إنصافه فى : دراسات فى السيرة النبوية للأستاذ الدكتور محمد سرور بن نايف ص ١٢٧ - ١٢٧، ومقدمات العلوم والمناهج ١/ ٣٩٧، ٥/ ٢١٩ .

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ١٥، ١٦ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة ص ١٣، ١٥٦، ١٥٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٨، ٣٠٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٩ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٤ .

(٦) قام الدكتور أحمد غراب بدراسة لبعض المستشرقين الموصوفين بالموضوعية مثل فنسك - ريلاند - جوستاف لوبون - مونتجمري وات وغيرهم . وبين حقدهم على الإسلام والمسلمين . انظر : رؤية إسلامية للاستشراق ص ٧٩ - ١٣٩ .

إنسانية لم تعد صالحة في عصرنا هذا، كما يهدف أعداء الإسلام ومن اغتر بهم .  
يقول الأستاذ محمد سرور بن نايف - بعد أن تحدى أن يكون هناك مستشرق  
منصف فيما يكتب عن الإسلام والمسلمين - قال : " بل لا يجوز الاعتماد فيما نكتبه  
عن الإسلام على أقوال المستشرقين ولو كانوا مسلمين وذلك للأسباب التالية :

١- ثبت أن نقرأ منهم : أسلم خلال وجوده في بلدان العالم الإسلامي لغاية في  
نفوسهم، وارتدوا عن الإسلام عندما عادوا إلى أوطانهم وأدوا الدور الذي كان مطلوباً  
منهم .

٢- وبعضهم : كان متخصصاً بالعلوم الفلسفية، واطلع خلال بحثه على مؤلفات ابن  
عربي وغيره من غلاة الصوفية الذين يؤمنون بالحللول، ووحدة الوجود، أو اطلع  
على مؤلفات الشيعة والمعتزلة والمتكلمين وباقي الفرق المنتسبة إلى الإسلام، ثم  
راحوا يكتبون عن الإسلام من خلال تلك الفرق التي أشربوا حبيها ووصفوها  
بأنها صاحبة فكر عقلي ثوري تحررى - مع خروج غلاتها عن الإسلام .

٣- وآخرون منهم : مزجوا بين الإسلام وعادات وتقاليد الغربيين، وهذا المزيج المشوه  
أسموه إسلاماً، ومن سلم من هذه الانحرافات من المستشرقين<sup>(١)</sup> لا يستطيع الكتابة  
بعمق وشمولية عن العقائد الإسلامية أو غيرها من بقية العلوم والمعارف الإسلامية،  
وهذا ما اعترفت به إحدى المجلات التبشيرية الألمانية قائلة : " إنه رغماً من اطلاع  
المستشرقين الألمانين وطول باعهم في المؤلفات الإسلامية؛ فإن التعليم والعقائد  
التي تلقى في المساجد والمعاهد الإسلامية لم تزل خافية علينا"<sup>(٢)</sup> إن العلوم  
الإسلامية لها رجالها الذين حفظ الله ﷻ بهم دينه، وفي طليعتهم الصحابة -  
رضوان الله عليهم- والتابعون ومن بعدهم من الأئمة الجهابذة - رضوان الله  
عليهم أجمعين -<sup>(٣)</sup> .

(١) من هؤلاء المستشرقين : المفكر الفرنسي الكاثوليكي رينيه جينو الذي سمى نفسه عبد الواحد يحجي،  
والمستشرق ناصر الدين دينيه، وهنري الفاروق، ومحمد أسد الذي كان يسمى ليوبولد فايس، ومن أشهر الذين  
ارتدوا عن الإسلام قبلي الذي كان يسمى عبد الله . نقلاً عن دراسات في السيرة النبوية ص ١٧٥ هامش .  
وانظر : أجنحة المكر الثلاثة ص ١٣١، ١٣٢ . وأوروبا والإسلام للإمام الأكبر الدكتور عبد الحلیم محمود ص ٥١  
- ١١٣ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامي لـ ١ شاتليه ص ٨٩ .

(٣) دراسات في السيرة النبوية ص ١٧٥، ١٧٦ بتصرف .

٤- هذا بالإضافة إلى جهل معظمهم باللغة العربية ولأبعادها ومراميها، بل إن بعضهم كان لا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية من أمثال "سلفتر دى ساس"، و"أليس عرينان" و"جيراردمتر"<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور السباعي: "وفي جامعة أكسفورد وجدنا رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية فيها يهودياً يتكلم العربية ببطء وصعوبة، وكان أيضاً يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية، وهناك تعلم العربية، وتلك هي مؤهلاته التي بواته هذا القسم، ومن العجيب أني رأيت في منهاج دراساته التي يلقيها على طلاب الاستشراق: تفسير آيات من القرآن الكريم من الكشف للزخشرى "أى والله وهو لا يحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية" ودراسة أحاديث من البخارى ومسلم، وأبواب من الفقه في أمهات كتب الحنفية والحنابلة، وسألته عن مراجع هذه الدراسات؛ فأخبرني أنها من كتب المستشرقين أمثال: جولدتسيهر، ومرجليوث، وشاخنت، وحسبك بهؤلاء عنواناً على الدراسات المدخولة المدسوسة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين"<sup>(٢)</sup>.

يقول الأستاذ سرور: "ليكتب إخواننا المستشرقون المسلمون عن فساد الحضارة الأوربية، وعن انهيار وتفكك الأسرة الغربية، وليقدموا لنا دراسات وأبحاثاً عن عقائد وتصورات المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى، وعن الخرافات والأساطير التي اتخذوها ديناً، وليكشفوا فضائح المستشرقين، وفساد مناهجهم، وليزججوا أمهات الكتب الإسلامية إلى الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية وغيرها من اللغات التي يجيدونها، وليكونوا دعاة إلى الله ﷻ في أقوامهم، وليحرصوا على دراسة الإسلام وفهمه فهماً صحيحاً ليس فيه أى غلو أو انحراف، وليعيدوا النظر في جميع التصورات والمفاهيم المشوهة عن الإسلام التي سبق وأخذوها عن بنى قومهم. هذا ما ننصحهم به ورحم الله ﷻ امرءاً عرف قدر نفسه أ.هـ"<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان ما سبق بيان لموقف المسلمين من كتابات المستشرقين وعدم الاعتماد

(١) احنروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام للدكتور سعد الدين صالح ص ١١١ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع ص ١٤، وانظر: الاستشراق والمستشرقون للدكتور السباعي ص ٦٧.

(٣) دراسات في السيرة النبوية ص ١٧٥، ١٧٦ بتصرف.

عليها في فهم ديننا، ولا الاعتماد عليها فيما نكتبه عن الإسلام ومصادره من قرآن، وسنة، وسيرة، وتاريخ... إلخ. حتى لو كان هؤلاء المستشرقين مسلمين للأسباب السابقة. فإن هذا لا يعني أن نلقى تلك الكتابات بعيداً، ونقول: إنها كلام فارغ... صحيح أن فيه كذباً وتضليلاً: صحيح أنه صادر عن حقد عميق، ولكنه ليس كلاماً فارغاً، ولا يخدمنا في شيء أن نلقيه بعيداً، ثم نجر اللحاف وننام... لأن هذا "الكلام الفارغ" هو الحديد والنار اللذان يحاربنا بهما أعداؤنا في بلادهم وبلادنا. والحديد والنار لا يقابلان إلا بالحديد والنار، وفي ميدان العلم. الحديد والنار، هما العمل، والعمل الطويل نواجه به مكر أعدائنا فإذا كان أعداؤنا يعملون بتخطيط ومكر، فعلينا أن نخطط ونمكر لنفسد عليهم خططهم ومكرهم. وإذا كانوا يكتبون عن الإسلام والمسلمين "كلاماً فارغاً... فلنשמز نحن عن سواعدها ولنكتب نحن الشيء المليان أداءً للأمانة التي حملنا الله ﷻ إياها في أعناقنا بتبليغ رسالته إلى خلقه كافة. كما قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

أ.هـ.

(١) الآية ٢٨ من سورة صبا. وانظر: نقد كتاب فيت (بجد الإسلام) للدكتور حسين مؤنس ملحق بكتاب الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي ص ٤٧٠، وللاستفادة في بيان موقف المسلمين من الحركة الاستشراقية انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للدكتور محمود زقروق ص ١٤٧ وما بعدها، والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور البهي ص ٤٢١ وما بعدها.



## الفصل الثالث

### أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع حديثاً العلمانية، البهائية، القاديانية

وتحت مبحثان :

المبحث الأول: التعريف بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع حديثاً وبيان  
خطرهم

المبحث الثاني : موقف أهل الأهواء والبدع حديثاً من السنة النبوية .

وتحت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : العلمانيون وموقفهم من السنة النبوية .

المطلب الثاني : البهائيون وموقفهم من السنة النبوية .

المطلب الثالث : القاديانيون وموقفهم من السنة النبوية .



# المبحث الأول

## التعريف بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع حديثاً وبيان خطرهم

إن من أخطر ما يواجه المسلمين في عصرهم الحاضر انتشار المذاهب اللادينية بينهم من العلمانية<sup>(١)</sup>، والبهائية<sup>(٢)</sup>، والقاديانية<sup>(٣)</sup>، وغير ذلك من المذاهب

(١) العلمانية لغة: لم يوجد لها مكان في معاجم اللغة العربية! أما في بعض المعاجم الحديثة فقد جاء: أ- في المعجم العربي الحديث تأليف الدكتور خليل الجسر: "علماني: ما ليس كنيسياً ولا دينياً".  
ب- في المعجم الوسيط لمجمع اللغة في القاهرة: "العلماني: نسبة إلى العلم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي".  
- وعدم وجود الكلمة في المعجم القديم يدل على حداثةها، ويلاحظ بعض الباحثين أنها وردت أولاً في المعاجم اللبنانية المسيحية في وقت مبكر (١٨٧٠م) - وفي المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٠م. انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة للدكتور علي جريشة ص ٧٣. وجاء في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٦٧.

- العلمانية بالإنجليزية (SECULARISM) وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم (SCIENCE) والمذهب العلمي (SCIENTISM). وبعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً. وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان، فالعلمانية في نظر هؤلاء فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي. انظر: الموسوعة الميسرة ص ٣٧٠.

- يقول فضيلة الأستاذ الدكتور طه حيشي: "العلمانية في الشرق لا معنى لها إلا معاداة الإسلام، والترصص له في كل مرصد. والعمل على طعنه في كل مكان يتوهم أن فيه مقتله، ولذا فقد كتب الكتاتيون من المتحمسين للعلمانية" في مجالات عدة كلها تتعلق "بالإسلام"، وكلها يتصل بمحاربة الإسلام، ومناصبته العداوة. انظر: الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى ص ٢٢٣، وانظر: في الموسوعة الميسرة أفكار ومعتقدات العلمانية ص ٣٧٠. وانظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي للدكتور علي جريشة والدكتور محمد الزبيق ص ٥٩-٧٤، والعلمانية وموقفها من العقيدة والشرعية للدكتور عبد العظيم المطعني ص ٥٨-٦٢، والعلمانية وموقف الإسلام منها للدكتور عزت عبد المجيد مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم ١١٠٩، والعلمانية نشأتها وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة للدكتور سفر الحوالي.

(٢) البهائية نسبة إلى: (بهاء الله) لقب يدعى به ميرزا حسين علي وهو الزعيم الثاني للمذهب الذي تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية له كتاب سماه (الأقنوس) وقد توفي البهاء سنة ١٨٩٢م.

- وتسمى هذه الطائفة البابية نسبة إلى "الباب" وهو لقب ميرزا علي محمد رضا الشيرازي (١٢٣٥-١٢٦٥هـ) ١٨١٩ - ١٨٤٩م) الذي ابتدع هذه النحلة، وأعلن أنه الباب سنة ١٨٤٤م / ١٢٦٠هـ. انظر: البابية والبهائية في الميزان لجماعة فن نوايغ العلماء ص ١١، وجاء في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة البابية والبهائية حركة نشأت سنة ١٢٦٠هـ- ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية الموسوعة الميسرة ص ٦٣، وانظر: البهائية في خدمة الاستعمار ص ١١-٣٠.

- وجاء في فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف أن مذهب البهائية باطل: ليس من الإسلام في شيء... ومن يعتنقه من المسلمين يكون مرتداً خارجاً عن دين الإسلام، فإن هذا المذهب قد اشتهل على عقائد تخالف الإسلام، وبأبها كل الإساء، منها ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب، وادعاء الكفر لمن يخالفه وادعاء أن المذهب ناسخ لجميع الأديان، إلى غير ذلك. انظر: البابية والبهائية في الميزان ص ٩٣، ٩٤، وانظر: أفكار ومعتقدات البهائية في الموسوعة الميسرة ص ٦٣، ٦٤، وغرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها للدكتور غالب عواجي ١/ ٤٠٥ - ٤٧٩، والبهائية وسائل وغايات لفضيلة الأستاذ للدكتور طه حيشي ص ١٣-٥٩.

(٣) القاديانية: حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد-

الهدامة التي نشأت وترعرعت في أحضان أعداء الإسلام من اليهودية العالمية والصليبية الحاقدة المستعمرة، فتحت رعاية هؤلاء نشأت تلك المذاهب الفاسدة بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وإفساد عقيدتهم، وتفكيك وحدتهم، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية.

واستطاع أعداء الإسلام أن يستميلوا كتاباً وأساتذة جامعيين وغير جامعيين وأدباء وشعراء وصحفيين، يحملون أفكار ومعتقدات تلك المذاهب الهدامة، من أبناء الشعوب المسلمة، وينشرونها بأقلامهم وألسنتهم، ليكونوا أكثر تأثيراً في الأجيال الناشئة<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء على حد تعبير الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى - سفراء فوق العادة لليهود والنصارى، والفرق بينهم وبين السفراء الرسميين أن هؤلاء لهم تقاليد تفرض عليهم الصمت، وتصبغ حركاتهم بالأدب، أما أولئك المستشرقين السفراء؛ فوظيفتهم الأولى أن يثرثروا في الصحف وفي المجالس وأن يختلقوا كل يوم مشكلة موهومة ليسقطوا من بناء الإسلام لبنة، وليذهبوا بجزء من مهابته في النفوس، وبذلك يحققون الغاية الكبرى من الزحف المشترك الذي تكاثفت فيه الصهيونية والصليبية في العصر الحديث، إن هؤلاء النفر من حملة الأقلام الملوثة أخطر على مستقبلنا من الأعداء السافرين، فإن النفاق الذي برعوا فيه يخدع الأغرار بالأخذ عنهم، وقد يقولون كلمات من الحق تمهيداً لألف كلمة من الباطل تجيء عقبيها<sup>(٢)</sup> أ. هـ.

ويقول الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله تعالى - : ومن المؤسف أن يسير

المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية، انظر: الموسوعة الميسرة ص ٣٨٩، ويقول الدكتور غالب عواجي: القاديانية هي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة... وتسمى في الهند وباكستان بالقاديانية، وسموا أنفسهم في إفريقيا وغيرها من البلاد التي غزوها بالأحمدية تمويهاً على المسلمين أنهم ينتسبون إلى الرسول ﷺ، انظر: فرق معاصرة ٢/ ٤٨٧، وفي الحقيقة هم ينتسبون إلى ميرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩ - ١٩٠٨ م) أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، ومن مؤلفاته "إعجاز أحمدى"، "براهين أحمدية"، "تجليات الهية" وغير ذلك، انظر: الموسوعة الميسرة ص ٣٨٩، "والقاديانية ثورة على النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وثورة على الإسلام وموامرة دينية وسياسية كما يذكر النوى" القادياني والقاديانية ص ٥، وللإستزادة انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ٢/ ٤٨٧ - ٥٧٣، والفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار للدكتور محمد البهي ص ٣٨-٤٢، والقاديانية لفضيلة الشيخ الحضر حسين ص ٣٠-٨٧، والقاديانية ومبصرها في التاريخ لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص ٦-١٩٤.

(١) أجنحة المكر الثلاثة للأستاذ عبد الرحمن الميداني ص ١٣٤.

(٢) ظلام من الغرب في المقدمة.

وراء أعداء الإسلام فى الحاضر فمة ممن لا نشك فى صدق إسلامهم من العلماء والكتاب، ولكنهم منخدعون. مظهر التحقيق العلمى "الكاذب" الذى يلبسه هؤلاء الأعداء من المستشرقين والمؤرخين والغربيين عن حقيقة أهدافهم ومقاصدهم، فإذا هم - وهم مسلمون - يتتهون إلى الغاية التى يسعى إليها أولئك - وهم يهود أو مسيحيون أو استعماريون - من إشاعة الشك والريبة فى الإسلام وحملته، من حيث يدرون أو لا يدرون، فالتقى أعداء الإسلام وبعض أبنائه على صعيد واحد لا يشرف هؤلاء ولا أولئك، لا فى ميدان العلم، ولا فى سجل التاريخ.

ومن الملاحظ أن هؤلاء الذين ينخدعون من المسلمين بالمستشرقين والمؤرخين والكتابين من أعداء الإسلام الغربيين، لا يوقعهم فى الفخ الذى نصبه لهم هؤلاء ألا أحد أربعة أمور غالباً :

- ١- إما جهلهم بحقائق التراث الإسلامى، وعدم إطلاعهم عليه من ينابيعه الصافية.
- ٢- وإما انخداعهم بالأسلوب العلمى "المزعوم" الذى يدعيه أولئك الخصوم.
- ٣- وإما رغبتهم فى الشهرة والتظاهر بالتححر الفكرى من ربه التقليد كما يدعون.
- ٤- وإما وقوعهم تحت تأثير "أهواء" و"انحرافات" فكرية، لا يجدون مجالاً للتعبير عنها إلا بالتستز وراء أولئك المستشرقين والكتابين بتلقف آرائهم الفاسدة ومبادئ مذهبهم الباطلة وترديدها كالبلغغاء، متوهمين أن ذلك فيه عز للإسلام والمسلمين، فأضروا بأنفسهم وبغيرهم وشغبوا على دينهم، وأحدثوا بلبلة فكرية، حار فيها العوام وأنصاف المتعلمين<sup>(١)</sup>. ويضيف فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الموجود عبد اللطيف عاملاً خامساً وهو :

٥- جهلهم بالسنة النبوية وعلومها وإن كان بعضهم برز فى تخصصه ومجاله العلمى الدقيق، وهؤلاء هم أدعياء العلم بالسنة النبوية الذين قرؤوا فيها قراءات عابرة لا تنهض من كبوة أو تبعث من رقدة، فعرفوا منها القشر دون اللباب، وخيل إليهم أنهم أعلم الخلق فى هذا الباب، وليس بالضرورة أن يكون أدعياء العلم بالسنة

(١) السنة ومكانتها فى التشريع ص ٤٣، انظر : السنة النبوية الشريفة للدكتور أحمد كريمة، هدية مجلة الأزهر، عدد ربيع الأول لسنة ١٤١٨هـ ص ٢٦، ٢٧. وانظر : دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبة ص ٣٧٢، وقصة المجوم على السنة للدكتور على أحمد السالوس ص ٣٥-٣٧.

أتباعاً لواحد من هذه المذاهب الهدامة، أو لبعضها فى كل أصولها العقائدية؛ لأنهم قوم نشهد لهم بقوة الدين وتام الفضل، لكنهم - فيما نراه - قلّدوا غيرهم فى بعض أفكارهم المنحرفة من غير ترو، أو تعمق، وإن غالوا فى اعتزازهم بأرائهم، وسفّهوا عقول مخالفيهم، وحملوهم عليها بقوة اللهجة والأسلوب.

والمأمل فى أحوال هؤلاء القوم يجد أن بينهم وبين العلم المتعمق فى السنة وعلومها بوئاً شاسعاً، وليس بينهم وبينها من صلة إلا بمقدار قراءتهم لها فيما تمس الحاجة إليه منها.

فهم ما بين خطيب، وفقه، وأديب، وطبيب، وقانونى، ومتكلم، ومؤرخ، وغيرهم من الذين لم يتخصصوا فى السنة وعلومها، وإنما تخصصوا بغيرها من شتى الفنون، وقد يكون هناك الدعى على العلم والعلماء، ولم يتخصص فى شئ سوى الافتراء على الإسلام ونبىه ﷺ، وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

والدليل على استمالة أعداء الإسلام لبعض أبناء المسلمين لحمل أفكارهم وشبهاتهم حول السنة المطهرة ونشرها بين المسلمين ما قاله الأستاذ الصديق بشير نصر فى كتابه (ضوابط الرواية عند المحدثين): "والذى تبين لى أن المستشرقين قد بذروا بذور الشك فى الحديث الشريف، وتعهّدوها بالرعاية حتى عثروا على من يتولى أمرها من أبناء المسلمين المستغربين، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من المستشرقين فى المعارف الأخرى، والذى أكد لى هذا الظن وقوعى على كتاب بعنوان: "توثيق الأحاديث النبوية، مجادلات فى مصر الحديثة" لمؤلفه جانيبول. هذا الكتاب الذى اعتقد أنه وضع لتحسس مدى تأثير المستشرقين فى أبناء الإسلام، وكأنه وضع لمعرفة ما إذا كانت تلك البذور التى غرست قد أينعت وأثمرت أم لم تنبع ولم تثمر بعد.

وقد أكد هذا الكتاب لى حقيقة أن هؤلاء الناس يخططون لأمد بعيد، وكل كتاب يخرج منهم إنما هو وفق هذا المخطط المرسوم وإليك عرضاً سريعاً لهذا الكتاب.

### عرض كتاب (توثيق الأحاديث) لجانيبول :

يقع هذا الكتاب (وما زال الكلام للأستاذ صديق) فى تسعة فصول هى على التوالى:

(١) السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم ص ١٢٩ - ١٣١ بتصرف.

١- مسح لما صدر من كتب ومقالات فى توثيق الأحاديث .

٢- التوثيق فى نظر محمد عبده .

٣- النقاش حول التوثيق فى مجلة المنار .

٤- مناقشات أخرى فى التوثيق .

٥- مناقشة حول التدوين .

٦- مناقشة حول العدالة .

٧- مناقشة حول عدالة أبى هريرة .

٨- مناقشة حول الوضع فى الحديث .

٩- رواية الأحاديث .

والكتاب يعرض لكل ما كتبه المسلمون فى الحديث، سواء كان على شكل كتب، أو مقالات ابتداء من محمد عبده، ورشيد رضا فى مجلة المنار، وانتهاءً بأحمد أمين، وهيكىل، وأبى رية .

ثم يتحدث الكتاب عن الزوبعة التى أثارها كتاب (أضواء على السنة المحمدية) للشيخ أبى رية، والذى نشر سنة ١٩٥٨م، والردود التى تعرض لها من علماء المسلمين؛ كالذكور محمد أبو شهبة فى دفاع عن السنة، ومحمد السماحى فى أبو هريرة فى الميزان، ودفاع عن الحديث النبوى، وتفنيد شبهات خصومه لمجموعة من العلماء أمثال السباعى، وسليمان الندوى، ومحب الدين الخطيب، وعبد الرازق حمزة فى ظلمات أبى رية أمام أضواء السنة المحمدية، وعبد الرحمن اليمانى فى الأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، ومصطفى السباعى فى السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، ومحمد عجاج خطيب فى (أبو هريرة راوية الإسلام)، والسنة قبل التدوين، ومن يقرأ كتاب (جاينبول) هذا، يرى مبلغ تحامله فيه، فهو يسفه ويسخر من كتاب المسلمين الثقات، الذين ذبوا عن سنة نبيهم ﷺ، ويطرى ويمدح صنائع المستشرقين بالرغم من التفاوت العظيم بين كتابات أولئك الأفاذا أمثال أبى شهبة واليمانى والسباعى، وتلك الدمى المتحركة أمثال : أمين، وأبى رية فاستمع إليه وهو يقول فى أحمد أمين : "شكوكه فى توثيق الأحاديث

واضحة بينه، وضعت على أساس مناقشات العلماء الغربيين"، وينقل جاينبول كلام فيه بأنه: "الكاتب الفذ، وصاحب المحاولة الرائدة فى تقديم المنهج النقدى فى علم التاريخ الإسلامى والعربى". وعندما يأتى على ذكر "السباعى" يصف أسلوبه بأنه: خليط من السباب ويصفه بالسطحية.

وهذا الكلام بحاف للواقع بكثير، فأسلوب السباعى - رحمه الله تعالى - هادئ رصين، ولم يتبع فيه أسلوب السباب والشتيمة كما يدعى جاينبول مطلقاً، وهذا الكتاب بين أيدينا يشهد على نفسه، وتلك -والعاياذ بالله- عادة المستشرقين فى الطعن فى كل من تتبع أوهامهم وسقطاتهم، فهم لا يتورعون عن رميه بالتعصب والحمية تارة، وبالجهل والسطحية تارة أخرى، وإلا لو أنصف هؤلاء القوم لشهدوا بأن كتاب (السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى) للدكتور السباعى: هو كتاب القرن فى موضوعه، وجديته، فصاحبه لم يترك شاردة ولا واردة تتعلق بمبحثه إلا ذكرها، وما وقف على شبهة إلا هدمها، ولا وهم إلا بدده بأسلوب منهجى دقيق<sup>(١)</sup>.

وصفوة القول فى الكتاب وصاحبه ما قاله الأستاذ جمال البنا فى كتابه (السنة ودورها فى الفقه الجديد) قال: كتاب «السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى» للدكتور السباعى يستحق به أن يكون "شافعى العصر الحديث"<sup>(٢)</sup>.

ولكن أنى للمستشرقين أن يشهدوا بذلك؟ فهم لا يشهدون بذلك إلا لمن تربوا على أيديهم وتبنوا آراءهم وأفكارهم الهدامة أ.هـ.

(١) ضوابط الرواية عند المحدثين ٢٩٤ - ٢٩٨ بتصرف.

(٢) السنة ودورها فى الفقه الجديد ص ٧٤.

## المبحث الثاني موقف أهل الأهواء والبدع حديثاً من السنة النبوية

وتحت ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : العلمانيون وموقفهم من السنة النبوية .
- المطلب الثاني : البهائيون وموقفهم من السنة النبوية .
- المطلب الثالث : القاديانيون وموقفهم من السنة النبوية .

## المطلب الأول

### العلمانيون وموقفهم من السنة النبوية

يتلخص موقف دعاة العلمانية من السنة النبوية الشريفة، في موقف أساتذتهم من المستشرقين الذين حرصوا على إحياء شبهات أهل الفرق المبتدعة، والانطلاق من مناهجهم، للتشكيك في حجية السنة النبوية ومكانتها التشريعية جملة وتفصيلاً تارة، والتشكيك في حجية خير الآحاد، ووجوب العمل به تارة أخرى، ولهم في ذلك شبهات سيأتى ذكرها والرد عليها في الباب الثانى .

## المطلب الثانى

### البهائيون وموقفهم من السنة النبوية

تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن -رحمها الله تعالى- : خلاصة موقف البهائيين من القرآن والسنة :

١- التأويل البهائى لآيات القيامة واليوم الآخر بما جهل المسلمون المراد بالقيامة الكبرى: انتهاء الدورة المحمدية بالظهور البهائى . فهذا برهان صدق القرآن، حباً من الله تعالى .

٢- تعيين وقت الساعة وانتهاء أجل الأمة المحمدية، بالحساب اليهودى لفواتح السور، بعد أيجاد هوز .

٣- اتهام رواية الحديث ورواته، فليس صحيحاً منه إلا ما وافق الظهور الجديد للبهاء وأمكن تأويله به، وإلا فهو مختلق، وعلى شرطهم يصح الحديث فى العد اليهودى لخروف الفواتح، وما جاء عن المهدي ونزول عيسى - عليه السلام - آخر الزمان، مراداً بهما الباب الشيرازى والبهاء المازندراني<sup>(١)</sup>.

من ذلك قول : "المرزى حسين النورى بهاء الله : "والآن انظر إلى الناس كيف أنهم لا يدركون أبداً هذه الأحاديث المحكمة، ولكنهم يتمسكون بالأحاديث التى لا يعلم صحتها من سقمها ... ويتمسكون ببعض الأحاديث التى لم يفهموا معناها، وبذا أعرضوا عن ظهور الحق وجمال الله، واستقروا فى سقر"<sup>(٢)</sup>.

ويقول "أبو الفضائل الجرفادقانى" مرشد ومربى حسين المازندراني بهاء الله وشارح كتابه (الأيقان) : "ومع ذلك فليست كل الأحاديث باطلة، بل فيها ما هو الصحيح فيطابق الواقع - فى الظهور الجديد - فإن طبقت مدلولها كانت صحيحة لا محالة، وإلا فهي مختلقة .

ويقول أيضاً : "ولما كانت هذه العلامات كلها منطبقة على بهاء الله ، إذن المقصود

(١) المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية ٢ / ٥٤٦ .

(٢) الحجج البهية للجرفادقانى نقلاً عن المصدر السابق ٢ / ٥٤٣ .

بهذه الأحاديث هو بهاء الله . كنى عنه بعيسى بن مريم، وأضمر اسمه تعظيماً<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور غالب عواجي مبيناً خلاصة موقف البهائيين من السنة النبوية المطهرة : "وكما أولوا آيات القرآن الكريم، أولوا كذلك الأحاديث النبوية على طريقتهم الباطنية الملحدة التي زعموا أن الأحاديث كلها شأن القرآن تدل على نهاية الشريعة المحمدية - وظهور القيامة بمجيئ البهاء، والوقوف على ظاهر الأحاديث دون تأويلها بظهور البهاء - يعتبر كفراً بالرسول محمد ﷺ نفسه، ويعتبر خروجاً بالأمة إلى الشرك والضلال، كما زعم البهائي الحاقق الدكتور رشاد خليفة إمام مسجد توسان بولاية أريزونا الأمريكية<sup>(٢)</sup>.

وقال في كتابه "القرآن والحديث والإسلام" : "والسنة أمر مهمل، والتمسك بها خطأ يجب على الأمة أن تقيل نفسها منه، وأن تصحح مسارها بإلقاء السنة عن كواهلها".

ويقول أيضاً : "والنبي محظور عليه أن يبين من عنده كلمة من القرآن أو يفسرها"<sup>(٣)</sup> ويقول : "إن المؤمنين مأمورون من الله بأن لا يأخذوا في دينهم عن الرسول شيئاً غير القرآن، ولا أن يطيعوه في كلمة غير ما يبلغ من القرآن"<sup>(٤)</sup>.

وفي كتابه "قرآن أم حديث" ذهب إلى القول : "بأنه من المستحيل إتباع القرآن والحديث، إذ لا بد من عمل اختبار، فالؤمن بالقرآن منكر للحديث والسنة، والمؤمن بالحديث والسنة منكر للقرآن"<sup>(٥)</sup>.

وقال : "ثم كشف البحث الدائم من ذلك الوقت، عن حقيقة مذهلة : وهي أن الحديث والسنة بما لهما من مكانة مقدسة في الشعوب الإسلامية، لا علاقة لها بالنبي محمد وأن الالتزام بالحديث والسنة يمثل عصياناً صارخاً لله ورسوله، وهذا الاكتشاف

(١) التبيان والبرهان نقلاً عن المصدر السابق ٢ / ٥٤٥ .

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ١ / ٤٦٩، وانظر : قصة هذا الرجل في كتاب «مسيلم في مسجد توسان» لفضيلة الدكتور طه حبيشي .

(٣) انظر : القرآن والحديث والإسلام ص ١، ٢، ١٧، وقرآن أم حديث ص ١٦، وانظر : مسيلم في مسجد توسان ص ٥٦ .

(٤) القرآن والحديث والإسلام ص ١٧ وما بعدها .

(٥) قرآن أم حديث المقدمة، وانظر : ص ٢٢، والمسلم العاصي لأحمد صبحي منصور ص ٢٨، والسنة في مراجعة أعدائها ص ٤٥ .

يتناقض مع معتقدات الجماهير المسلمة في كل مكان. وبناءً على ذلك فإن شعبيتي، بل شعبية الإعجاز العددي القرآني أيضاً عرضة لتهديد حياتي وسمعتي، بما يتوقع يقيناً من إبلاغهم أن الحديث والسنة هي بدع شيطانية. ولما كان الإقرار بأن الحديث والسنة بدع شيطانية تؤيده النصوص والأدلة الثابتة، فإن جميع ذوى الفكر الحر سوف يقبلون الاكتشافات المبنونة في كتابي هذا. وبالنسبة هؤلاء فإن هذه النتائج تتضمن إحساساً جديداً بالخلاص التام، وباليقظة الكاملة، والوعي بأن الجماهير المسلمة سقطت في الفخ ضحية للمخططات الشيطانية" أ.هـ (١).

ويستدل المتنبئ الكذاب على أن السنة النبوية من عمل الشيطان بآيات من كتاب الله ﷻ وهي قد نزلت في شياطين الأنس مثله، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (٢).

ثم يستدل على أن رواة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين - مجرمون خونة - بقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣).

وإذا كان محظور على النبي ﷺ بيان ما أجمل في القرآن الكريم، وعدم طاعته ﷺ في كلمة غير القرآن، فالرجوع إلى السنة والعمل بها فيما فصلته مما أجمل في القرآن، أو خصصته مما عمم، أو بينته مما أشكل، واستقلت بتشريع دون سابق ذكر له في القرآن الكريم، الرجوع إلى السنة في كل ذلك والعمل بها، إنما هو في نظر الدجال رشاد خليفة دليل على زيف إسلام المسلمين على مر تاريخهم إذ يقول: "يعلما القرآن الكريم أن الحديث هو الاختيار الضروري للتمييز بين المسلم الحقيقي والمسلم المزيف، فالمسلم الحقيقي يصدق ربه ويعلم أن القرآن تام كامل مفصل، ولا يجوز الرجوع إلى غيره، أما المسلم المزيف فيصغى إلى الحديث ويرضاه..." (٤).

(١) القرآن والحديث والإسلام في المقدمة. وانظر: المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة ٢/ ٥٥٧، ٥٥٨.

(٢) الآية ١١٢ من سورة الأنعام، وانظر: قرآن أم حديث ص ٤٩.

(٣) الآية ٣١ من سورة الفرقان، وانظر: المصدر السابق ص ٢٢ - ٢٥، والقرآن والحديث والإسلام ص ١٣،

١٤، والمسلم العاصي ص ٦٥، وعذاب القبر والتعابن الأفرع ص ٥٤.

(٤) قرآن أم حديث ص ٢٢، وانظر: ص ٤٤ - ٤٨، والقرآن والحديث والإسلام ص ٢٠، ٢١، ٤٢ والسنة في

مواجهة أعدائها ص ٥٢.

وخلف رشاد خليفة في موقفه هذا من السنة المطهرة صديقه الدكتور أحمد صبحي منصور، الذي تخرج في الأزهر وحصل على العالمية في التاريخ من الجامعة، وتبرأ من السنة فتراث منه الجامعة، وخرج منها مدحوراً إلى أمريكا ليكون حوارى المتنبي رشاد خليفة<sup>(١)</sup>، وليكتب من مسجد توسان "الأزهر يكفر بالقرآن" قائلاً: المشكلة الأزلية للأزهر أنه مسجد سيئ الاستخدام (مسجد ضرار) يقوم على حماية التراث البشرى<sup>(٢)</sup>، الذى يناقش القرآن الكريم، ويتهم كتاب الله بأنه غامض يحتاج إلى توضيح، وأنه ناقص يحتاج إلى تفصيل واستدل على ذلك بآيات تبين أن القرآن كامل وتام ومفصل ولا حاجة له إلى بيان السنة وتفصيلها<sup>(٣)</sup>.

ثم علق رشاد خليفة على مقالته قائلاً: "إن الأزهر يرفض التأكيدات المتكررة للقرآن بأنه كامل وتام ومفصل تماماً. إن الأزهر يأخذ موقفاً رسمياً من أن القرآن ليس كاملاً ولا مفصل، ومن ثم فإن الأزهر يعزز تلك البدع الشيطانية مثل الحديث والسنة، إن أى مسلم يمتلك قدراً من التفكير والبداهة يستطيع أن يرى أن الأزهر لا يحترم إرادة الرب، ولكنه يحترم إرادة إبليس. أحمد صبحي منصور هو أول عالم أزهري يكتشف الحقيقة، ويقف في وجه السلطات في قلعة إبليس (الأزهر) وفي هذه السلسلة التاريخية من المقالات، أوضح منصور الطبيعة الحمادية للأزهر ودوره في قلب المسلمين المخلصين إلى محمد بن مؤلفين للوثنية"<sup>(٤)</sup> أ. هـ، ويشيرون بذلك إلى موقفهم من النبي ﷺ حيث يعتبرون الصلاة والسلام على النبي ﷺ شرك، وتقديره كفر ووثنية<sup>(٥)</sup>، وأنه لا عصمة للنبي ﷺ من الكبائر يقول أحمد صبحي: [إن الرسول معرض للوقوع في أعظم الذنوب وهو الشرك بالله... والرسول سيحاسبون ولو كانوا معصومين لكان حسابهم عبثاً وتعالى الله عن العبث]<sup>(٦)</sup> أ. هـ.

(١) راجع قصته في كتاب "مسيلة في مسجد توسان" لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى.

(٢) يقصد السنة النبوية فهي في نظره "عمل شيطاني ورواة السنة مجرمون بخونة" كما سبق حيث استدلل بما استدلل به مسيلة الكذاب رشاد خليفة.

(٣) سيأتي ذكر هذه الآيات والرد عليها في شبهة الإكتفاء بالقرآن وعدم الحاجة إلى السنة ص ١٨٨، ١٩٠.

(٤) مجلة منظور المسلم نقلاً عن مسيلة في مسجد توسان ص ٢٤٧-٢٤٩.

(٥) انظر: القرآن والحديث والإسلام رشاد خليفة ص ١٠، ١١، ١٢ والأنبياء في القرآن أحمد صبحي منصور ص ٣١ وما بعدها.

(٦) الأنبياء في القرآن ص ٤٠، ٤٥، وانظر: ص ٢٣، ٣١، ٣٢، ٣٥. والقرآن والحديث والإسلام ص ٨ وما بعدها وانظر: أيضاً ممن طعنوا في عصمة النبي ﷺ الدكتور نصر أبو زيد في كتابه نقد الخطاب الديني ص ١٢٦، والمستشار سعيد العشماوى في كتابه "الإسلام السياسي" ص ٨٦، "وأصول الشريعة" ص ١٤٣.

ومما هو جدير بالتنبيه : أن بعض دعاة اللادينية عندما يظهرون أمام المسلمين بتعظيم الإسلام ونبى الإسلام، وأن الإسلام حق، والرسول حق، يفعلون ذلك تقية ونفاقاً حتى يطمئن إليهم المسلمون، ثم يخلطون الحق بالباطل الدسم بالسم، بالتشكيك فى السنة النبوية وفى عقائد المسلمين، ويبدو هذا واضحاً فى مقالات أحمد صبحى منصور عندما يكتب تحت عنوان "القرآن هو الحل" و"القرآن لا يزال هو الحل" فى جرائدنا القومية وغيرها من الجرائد والمجلات اليسارية<sup>(١)</sup> أ.هـ.

---

(١) انظر : فرق معاصرة تتسبب إلى الإسلام للدكتور غالب عواحي فصل السبب فى انتشار تعاليم البهائية ١ / ٤٩٩ - ٤٧٣ .

## المطلب الثالث

### القاديانيون وموقفهم من السنة النبوية

وكانت الحركة الإصلاحية التقدمية التى ادعاها السيد أحمد خان<sup>(١)</sup>، المقدمة والتمهيد لنشأة القاديانية، تلك العقيدة التى تفرع منها فيما بعد ذلك المذهب الذى يعرف بالأحمدية<sup>(٢)</sup>، وفرقة أهل القرآن بالهند وباكستان<sup>(٣)</sup>.

والسيد أحمد خان قد وضع لبنة عامة للتشكيك فى السنة كلها فقال : "بعد وفاة الرسول ﷺ ظلت الروايات تتناقل على الألسنة إلى عهد التصنيف فى الكتب المعتمدة، غير أننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن الهيئة التى دونت بها كتب الأحاديث تلك، التى كان مبناها روايات الذاكرة ...، بينما البعد الزمنى كفى لمعجز الزائد بها وإضافة الجديد إليها"<sup>(٤)</sup>.

ويضيف قائلاً : "بأن ما دون فى هذه الكتب من الأحاديث إنما هى ألفاظ للرواة، ولا نعرف ما بين اللفظ الأصلى - الصادر من شفثيه ﷺ والمعبر به من وفاق أو خلاف، وليس من العجب أن يخطئ أحد الرواة فى فهم الحديث مما يكون سبباً فى ضياع المفهوم الصحيح"<sup>(٥)</sup>.

(١) هو السيد أحمد خان بن أحمد مير المتقى بن عمار الحسينى، ولد فى دهلى ١٧ أكتوبر عام ١٨١٧م، بدأ دراسته بالقرآن الكريم، ثم درس بعض كتب الفارسية والعربية، عمل فى المحاكم الإنجليزية - مساعد قاضى - مات عام ١٨٩٧م، انظر : فى ترجمته دائرة المعارف البريطانية ١/ ٣٦٩، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم حسين البهى ص ١٠٠ .

(٢) أغلب المستشرقين مولعون باستمرار بوصف الإسلام بأنه الدين المسمى، أو المذهب المسمى نسبة إلى محمد كما تنتسب المسيحية إلى المسيح، ولكن هناك سبباً آخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم، وهو إعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشرى من صنع محمد وليس من عند الله أما نسبة المسيحية إلى المسيح فلا تعطى لديهم هذا الانطباع لاعتقادهم أن المسيح ابن الله . انظر الإسلام فى تصورات الغرب لفضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق ص ٢١ هامش، ومنهجية جمع السنة وجمع الأنجيل للدكتورة عزيزة على طه ص ٢٤ .

(٣) انظر دراسات فى الحديث النبوى للدكتور محمد الأعظمى ٢٨ وما بعدها، وقرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم حسين ص ١٠٠ ما بعدها .

(٤) مقالات سير سيد جمع وترتيب محمد إسماعيل ١/ ٢٣ نقلاً عن القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم حسين البهى ص ١٠٤ وسيأتى الرد على هذا فى شبهة التأخر فى تبوين السنة ص ٣٤٦-٣٥٨ .

(٥) مقالات سير سيد ١/ ٤٩ وسيأتى الرد على هذا فى شبهة رواية الحديث بالمعنى ص ٣٧٥-٣٩٥ .

وبناء على موقفه هذا جعل الأحكام المستنبطة من السنة بوجه عام أحكاماً لا يجب على المسلمين اتباعها، "وأن ما استخرج العلماء من نصوصها الحالية إنما هي أحكام اجتهادية لا نصية فيها ولا حتمية، لاحتمال ألا يكون ذلك مقصود عليه الصلاة والسلام" (١).

ثم خطا خطوة أخرى إلى الأمام فعاتب المحدثين، محملاً إياهم عدم تمحيص متون السنة مثل السند، فقال : "وإننا لنشكر للمحدثين جهودهم المبذولة في هذا الشأن غير أن جل مساعيهم، بل كلها لم تتجاوز توثيق الرواة وعدمه، بينما أولئك الرواة كان قد مضى على وفاتهم زمن طويل، ثم أعقب ذلك دور التحقيق عنهم، بحيث يكون هو العملة في قبول الحديث ورده، فإن لم يكن هذا العمل مستحيلاً؛ فلا يخلو أن يكون أمراً في غاية الصعوبة" (٢).

ويقول في المعنى نفسه : "وإننا لا ندرى عن الأحاديث التي وثقت أو وجهت الجهود إليها من حيث المضمون والمحتوى أم لا؟ وأي السبل سلكت في ذلك" (٣).

وأخيراً حاول السيد أن يجهز على السنة بوضعه الشروط التي يتعذر توفرها في أغلب الأحاديث، يقول : فقال "والمعيار السليم لقبولها هو أن ينظر إلى إن المروى بمنظار القرآن فما وافقه أخذناه، وما لم يوافقه نبذناه ...، وإن نسب شيء من ذلك إلى الرسول ﷺ، فيجب فيه توفر شروط ثلاثة :

- ١- أن يكون الحديث المروى قول الرسول بالجزم واليقين .
- ٢- أن توجد شهادة تثبت أن الكلمات التي أتى بها الراوى هي الكلمات النبوية بعينها .

٣- ألا يكون للكلمات التي أتى بها الرواة معان سوى ما ذكره الشراح، فإن تخلف أحد هذه الشروط الثلاثة؛ لم يصح نسبة القول إلى الرسول ﷺ، أو أنه حديث من أحاديثه" (٤).

(١) مقالات سير سيد ١ / ٦٩ .

(٢) مقالات سير سيد ١ / ٢٣، وسيأتي الرد على هذا في الجواب عن دعوى نقص المحدثين في تقديمهم للمتن ص ٦٦٧-٦٧٢ .

(٣) مقالات سير سيد ١ / ٢٣ .

(٤) مقالات سير سيد ١ / ٤٠ .

وهذه الحركة الإصلاحية، أو المحدثين الإسلاميين<sup>(١)</sup> - الهنود - كان من المحبب إليهم تسمية أنفسهم المعتزلة المحدثين، كما حكى ذلك عنهم المستشرق جولد تسيهر في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامى"<sup>(٢)</sup>، ويرى جولد تسيهر أن تلك الحركة تستحق تنويعاً خاصاً لموقفها الجاد القوى<sup>(٣)</sup>، حيث يقفون موقفاً حراً بالكلية تجاه الحديث، على أنه مصدر الأسس التي يعد تخليدها عقبة في سبيل حرية النمو، ويرى جولد تسيهر أن الحديث في نظرهم (ونظرة أيضاً)، خرافة وأساطير كقصص ألف ليلة وليلة<sup>(٤)</sup>، ثم يحكى عنهم: أن الاعتماد على الحديث يجعل الإسلام مساوياً في قيمته للعب الأطفال... ولا مكسب في نظرهم للمرء من الروايات التي تشتمل عليها كتب الحديث بما في ذلك صحيحى البخارى ومسلم - رضى الله عنهما - إلا الظن، وأن ما اشتملت عليه كتب الرجال، والتاريخ من أخبار هى جديرة بالشك فى وقوعها، فيقول جولد تسيهر نقلاً عن سير سيد أحمد خان بهادر فى كتابه "تريئة الإسلام عن شين الأمة والغلام" "إذا أردنا أن ننظر إلى الأخبار التي تضمنتها تلك الكتب على أنها أسس للمسائل الدينية، فسيكون الإسلام - والعياذ بالله فى هذا - مساوياً فى قيمته للعب الأطفال، أو الخرافات ولا ريب أن المحدثين قد دفعهم القصد النبيل إلى جمع الأحاديث ونقلها، ولكن على الرغم من ذلك لا يكسب المرء من الروايات التي تشتمل عليها كتب الحديث - ولا يستثنى من ذلك البخارى ومسلم - إلا الظن. فكيف يكون الحال إذا فى كتب الرجال والتاريخ وما فيها من أخبار جديرة بالشك فى وقوعها، إذا نحن أردنا أن نستمع القوانين الدينية من مثل هذه المصادر..."<sup>(٥)</sup>.

ولأن الأمة أجمعت على حجية السنة، واعتبارها المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى، ولم يخالف فى ذلك إلا من لاحظ له فى الإسلام، فقد طعن هؤلاء المعتزلة

(١) الأستاذ أحمد أمين شبه سيد أحمد خان فى الهند، بالشيخ محمد عبده فى مصر من حيث إن كلا منهما كان مصلحاً دينياً، وهو فى هذا القول تابع للمستشرقين كما قال الدكتور البهى فى كتابه الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢٣، ٣٨، ١٤٥، وانظر: مذاهب التفسير الإسلامى لجولد تسيهر ص ٣٤٧ وما بعدها.

(٢) ص ٣٤٢.

(٣) مذاهب التفسير الإسلامى ص ٣٣٧، وانظر: نداء جماعة من المستشرقين على السيد أحمد خان وعلى حركته القرآنية. فى كتاب وجهة الإسلام نظره فى الحركات الحديثة فى العالم الإسلامى لجماعة من المستشرقين ترجمة الأستاذ محمد عبدالمادى أبو ريده ص ١١٩، ١٢٥، ١٣٣، ٢٢٣.

(٤) مذاهب التفسير الإسلامى ص ٣٤٤، وانظر: وجهة الإسلام ص ١٢٦ وما بعدها.

(٥) المصادر السابق ص ٣٤٤.

المحدثون فى حجية الإجماع، وادعى أحمد خان بهادر؛ أنه أول من يظهر معترضاً سبيل الإجماع<sup>(١)</sup>، وكذب فما هو إلا ذيل لسلفه ومن تبعه فى إنكاره حجية الإجماع<sup>(٢)</sup>.

يقول جولد تسيهر : "وكما أنحت هذه الدوائر بمعول الهدم على اعتماد صحة الحديث، فقد سلطت ذلك المعول على ركن أساسى آخر فى بناء مذهب أهل السنة، فهم لا يعترفون بالإجماع، وهو سند أهل السنة فى شرعية العادات والمؤسسات المتقدمة العهد، بحجية معتبرة فى جميع الأزمان، ويسمون الاعتراف الأعمى به تقليداً يأباه الثقافات من أهل السنة أنفسهم".

ثم يصرح جولد تسيهر بهدف الطعن فى الإجماع، وهو الطعن فى المجمع عليه، ومن حجية السنة واستقلالها بتشريع الأحكام فيقول : [وهم يطعنون بالوضع والاختلاق فى الأحاديث التى يعتمد عليها مذهب أهل السنة فى عدم تسرب الضلالة إلى إجماع الأمة]<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامى ص ٣٤٥ .

(٢) انظر : أدلة حجية الإجماع فى مبحث أدلة حجية السنة ص ٤٨٣، ٤٨٤ .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامى ص ٣٤٥، وانظر : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور عادم بخش . مبحث (القرآنيون وموقفهم من عصمة النبى ﷺ) ص ٣١٥، ومبحث (القرآنيون وموقفهم من ختم النبوة) ص ٣٢١ .



الإفصاح الرابع

أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً  
فى الكيد للسنة

## أهداف أعداء الإسلام في الكيد للسنة المطهرة

أجمعت أمة الإسلام قديماً وحديثاً على التمسك بسنة النبي ﷺ، والعض عليها بالتواجد، وضرورة تطبيقها، والسير على هديها في كل جوانب حياة المسلمين؛ لأنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي المتلازم للمصدر الأول وهو القرآن الكريم ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وبهذين المصدرين معاً - القرآن الكريم والسنة النبوية - قام بناء الإسلام، وتأسست دولة الإسلام، واستمدت منهجها من القرآن الكريم والسنة النبوية معاً، ولم يمار في هذه الحقيقة الساطعة إلا نفر ممن لا يعتد بخروجهم على إجماع الأمة من الخوارج والروافض قديماً ومن سار على دربهم حديثاً.

وقد بلغ من سمو السنة المطهرة؛ أنها جذبت أنظار أعداء الإسلام إليها قديماً وحديثاً، فراحوا يراقبونها وما جاءت به معترفين بشموليتها لكل أمور الحياة، وأنها مفتاح نهضة المسلمين وحضارتهم، وهي فوق كل هذا الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، والعمل بها حفظ لكيان الإسلام وتقدمه، وتركها هدم لدين الإسلام وتأخر المسلمين. فهذا هو ذا مشرك ينطق بشمول السنة لكل أمور الحياة، معترفاً على نفسه ومن على شاكلته؛ بأنهم يحرضون على معرفة تعاليم السنة.

فعن سلمان<sup>(١)</sup>؛ أنه قيل له: "قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة؟ قال: قال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم"<sup>(٢)</sup>.

وانظر إلى قول السائل: "لقد علمكم نبيكم كل شيء" تجدد أنها تدل على تتبع هؤلاء لأمر السنة، واعترافهم - مع أهلها - بشمولها لكل أمور الحياة<sup>(٣)</sup>.

ولا تخفى مكانة السنة النبوية "الحديث" في التشريع الإسلامي وأثرها في الفقه الإسلامي منذ عصر النبي ﷺ، والصحابة حتى عصور أئمة الاجتهاد، واستقرار

(١) سلمان: هو سلمان الفارسي، صحابي جليل. له ترجمة في: الإصابة ٢/ ٦٢ رقم ٣٣٦٩، والاستيعاب ٢/ ٦٣٤ رقم ١٠١٤، واسد الغابة ٢/ ٥١٠ رقم ٢١٥٠، وتاريخ الصحابة ص ١١٦ رقم ٥٣٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ٥٦ رقم ٢٧٤.

(٢) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الطهارة، باب الاستطابة ٢/ ١٥٤ رقم ٢٦٢٠.

(٣) السنة النبوية مكانتها. عوامل بقائها. تدوينها لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص ٦٦، ٦٧.

المذاهب الاجتهادية، مما جعل الفقه الإسلامى ثروة تشريعية لا مثيل لها فى الثروات التشريعية لدى الأمم جميعها فى الماضى والحاضر، ومن يطلع على القرآن والسنة يجد أن للسنة الأثر الأكبر فى اتساع دائرة التشريع الإسلامى وعظمته وخلوده مما لا ينكره كل عالم بالفقه ومذاهبه .

هذا التشريع العظيم الذى بهر أنظار علماء القانون والفقه فى جميع أنحاء العالم، هو ما حمل ويحمل أعداء الإسلام فى الماضى والحاضر على مهاجمة السنة، والتشكيك فى حجيتها، وصدق جامعها، ورواتها من أعلام الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين الثقات الأعلام .

وعلى هذا الهدف التقى أعداء الإسلام من زنادقة الفرس وغيرهم فى عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة، مع أعداء الإسلام اليوم من المستشرقين ومن لف لفهم فى الحضارة الغربية الحاضرة<sup>(١)</sup> .

هذا مع اعتراف المستشرقين، وعلى رأسهم صنمهم الأكبر "جولد تسهير" أننا لا نستطيع فهم الإسلام بدون القرآن والسنة، حيث لا يكفى القرآن وحده قائلاً : "إننا لا نفهم الإسلام بلا قرآن، لكن القرآن وحده بعيد عن أن يكفى لمواجهة العقلية الإسلامية التامة فى سيرها التاريخى"<sup>(٢)</sup> . فهذا المستشرق أدرك أن السنة تجعل الإسلام ديناً شاملاً كاملاً، وبالتالي فلا سبيل لهدم هذا الدين إلا بالتشكيك فى السنة، والإدعاء بأن أكثرها موضوع، وهو المنهج الذى تبناه جولد تسهير .

ومن هنا يظهر هدف أعداء الإسلام من وراء دعوتهم الخبيثة وهى الاكتفاء بالقرآن عن الحديث، فهدفهم هو هدم نصف الدين أو إن شئت فقل : "تقويض الدين كله؛ لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدى ذلك - ولا ريب - إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل: على الإسلام العفاء"<sup>(٣)</sup> . وهذا ما يدركه أعداء الإسلام ويهدفون إليه، وفى ذلك يقول المبشر الأمريكى "جب" : "الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على

(١) السنة ومكائنها فى التشريع للدكتور السباعى ص ٢ .

(٢) العقيدة والشرعية فى الإسلام للمؤلف ص ٤١، وقارن بالسنة المفترى عليها للمستشار البهنسارى ص ٣٢٧ .

(٣) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهية ص ١٥، ١٦ .

القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة، لم يبق من الإسلام شئ وصار أشبه بصبيرة طومسون. وطومسون هذا رجل أمريكي، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقي منها كل بذرها لم يبق في يده منها شئ" (١).

ويقول العلامة المجرى المسلم : محمد أسد "ليوبولد فايس" في تصوير مكانة السنة في الإسلام : "لقد كانت السنة مفتاحاً لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فلماذا لا تكون مفتاحاً لفهم انحلال الحاضر؟ إن العمل بسنة رسول الله هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وأن ترك السنة هو انحلال الإسلام. لقد كانت السنة هي الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما، أفيد هشك بعد أن يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟ ... إن التعبير الذي يتردد على مسامعنا اليوم كثيراً "لنرجع إلى القرآن الكريم، ولكن يجب ألا نجعل من أنفسنا مستعبدين للسنة" هذا التعبير يكشف بكل بساطة عن جهل بالإسلام، إن الذين يقولون هذا القول يشبهون رجلاً يريد أن يدخل قصرًا ولكنه لا يريد أن يستعمل المفتاح الأصلي الذي يستطيع به وحده أن يفتح الباب" (٢).

ويكشف محمد أسد السر في محاربة السنة : فيقول : "إن الهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لحياة رسول الله ﷺ والمسلمون الأوائل، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته" (٣).

ويقول : ولكي يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم وقصور بيتهم، فإنهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنة المطهرة؛ لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتأولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاؤون على أوجه من التفكير السطحي أى حسب ميول كل واحد منهم وطريقة تفكيره هو، ولكن تلك المنزلة الممتازة التي للإسلام على أنه نظام خلقي وعملي، ونظام شخصي واجتماعي تنتهي بهذه الطريقة إلى التهافت والاندثار، وإن الذين غرتهم المدينة الغربية لا يجدون مخرجاً من مأزقهم إلا برفض السنة على أنها غير واجبة الإتياع على المسلمين، ذلك لأنها

(١) التبشير والاستعمار للدكتور مصطفى خالد، وعمر فروخ ص ٩٨ .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ترجمة الدكتور عمر فروخ ص ٨٧، ٩١ .

(٣) الإسلام على مفترق الطرق ص ٨٨ - ٩٥، وانظر : من نفس الكتاب ص ١٠٨ (السنة النبوية تجعل المجتمع مستقراً متماسكاً).

قائمة على أحاديث لا يوثق بها، وبذلك يصح تحريف تعاليم القرآن الكريم لكي تظهر موافقته لروح المدينة الغربية أكثر سهولة. إن اطراح السنة اطراح لحقيقة الإسلام<sup>(١)</sup>.

فالطعن في السنة النبوية هدم للإسلام في عباداته، ونظمه، وأخلاقه، وذلك هدف رئيسي من أهداف أعداء الإسلام وهم يحاربون السنة المطهرة، ويشككون في حجيتها. فالإسلام هو عدوهم الحقيقي والمسلم فقط هو العدو اللدود لهم<sup>(٢)</sup>، وأعلنوا ذلك صراحة فقال "لورانس براون": "كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف، كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي، لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقائنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون، فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم، لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته المدهشة"<sup>(٣)</sup>.

ويبدو من تصريحات أعداء الإسلام من المستشرقين والمستعمرين أنهم يشنون الحرب على الإسلام لعوامل عديدة منها :

١- أنه العقبة القائمة في تبشيرهم بالنصرانية وفي ذلك يقول المستر "بلس": "إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقية، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا؛ لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً إلا من جهل السكان، ولا من وثنيهم، ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية"<sup>(٤)</sup>.

٢- أنه جدارٌ صلبٌ يهدر أطماعهم الاستعمارية في أمتنا الإسلامية، ومن هنا قالوا: إن ارتقاء الإسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم"<sup>(٥)</sup>.

وقال لورانس: "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي"<sup>(٦)</sup> ويقول "غلادستون" رئيس وزراء بريطانيا سابقاً: "ما دام هذا القرآن موجوداً في

(١) المصدر السابق ص ٩٧، ٩٨، ١١٠ بتصرف يسير.

(٢) انظر: الإسلام على مفترق الطرق ص ٦٤ استمرارية عداوة العرب للإسلام والمسلمين.

(٣) انظر: التبشير والاستعمار للدكتور مصطفى خالد وعمر فروح ص ١٤٨.

(٤) الغارة على العالم الإسلامي شاتليه ص ١٥.

(٥) المصدر السابق ص ٥٠.

(٦) التبشير والاستعمار ص ١٨٤.

أيدى المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان"<sup>(١)</sup>.

٣- إن الإسلام بحضارته المجيدة يهدد حضارتهم الزائفة، وفي ذلك يقول "أيوجين روستو" رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ : "يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصورة مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي. ويتابع قائلاً: "إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا، إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الوقف في الصف المعادى للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك؛ فإنها تتنكر للغتها، وفلسفتها، وثقافتها، ومؤسساتها". إن رستو يحدد أن هدف الاستعمار في محاربة الإسلام في أمتنا الإسلامية هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيام إسرائيل، هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمرار للحروب الصليبية"<sup>(٢)</sup>.

ويقول مستول آخر في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ : "ليست الشيوعية خطر على أوروبا فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية.

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ٤١ .

(٢) انظر : قادة الغرب يقولون للأستاذ عبد الودود يوسف ص ٢٣، ٢٤ .

فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعى فى نطاقه الواسع انطلقوا فى العالم يحملون تراثهم الحضارى الثمين، وانتشروا فى الأرض يزيلون منه قواعد الحضارة الغربية ويقذفون برسالتها إلى متاحف التاريخ. إن العالم الإسلامى عملاق مقيد، عملاق لم يكشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانحطاطه وتخلفه، فلنعت هذا العالم الإسلامى ما يشاء، ولنقوى فى نفسه الرغبة فى عدم الإنتاج الصناعى والفنى، حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم متخلفاً، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربى، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهى به الغرب، وتنتهى معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم<sup>(١)</sup>. وسلك أعداء الإسلام كل مسلك من أجل تحقيق أهدافهم فى محاربة الإسلام من :

١- تشكيك للمسلمين فى دينهم والادعاء كذباً؛ بأنه تركيب ملفق من اليهودية، والمسيحية، والوثنية العربية.

٢- وتشكيكهم فى كتاب ربهم ﷺ كما قال المبشر تاكلى : "يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح فى الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضى عليه تماماً، يجب أن نين للمسلمين أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً"<sup>(٢)</sup>، ويقول المبشر "وليم جيفورد بالكران" : "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يندرج فى طريق الحضارة الغربية بعيد عن محمد وكتابه"<sup>(٣)</sup>.

٣- تدمير أخلاق المسلمين والتي لو رجعوا إليها لسادوا العالم شرقاً وغرباً كما قال مرماديوك باكتول : "إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم فى العالم الآن بنفس السرعة التى نشروها سابقاً. بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوى لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم"<sup>(٤)</sup>.

(١) جندالله ص ٢٢، وانظر : قادة الغرب يقولون ص ٣٦ - ٣٨ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ٤٠ .

(٣) الغارة على العالم الإسلامى ص ٣٥ .

(٤) انظر قادة الغرب يقولون ص ٤٨ .

٤- تجزئة المسلمين أينما كانوا من الأرض، والقضاء على وحدتهم بتوسيع دائرة الخلاف بينهم بإحياء عقائد وآراء الفرق الهدامة، والتركيز على الشخصيات المنافقة والشعوبية فيها حتى يحال بين الأمة وبين الوحدة التي تصبح نعمة لهذا العالم الفارق في محور الظلمات يقول المبشر "لورانس براون" : "إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة. أما إذا بقوا متفرقين؛ فإنهم يظلون حيثنذ بلا وزن ولا تأثير. ويكمل حديثه : "يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليقوا بلا قوة ولا تأثير" (١).

والسنة النبوية المطهرة من الأسس القوية التي عليها وحدة المسلمين، وفي ذلك يقول الأستاذ (جمال البنا) : وهو يتحدث عن الأثر النفسي لإيمان الأمة بالسنة "بل لقد وصلت هذه "النفسية النمطية" من القوة درجة تحت فيها الفروق بين الأجناس واللغات، فشخصية المسلم العربي هي شخصية المسلم الهندي أو السوداني أو حتى الأوربي الذي استسلم للتيار ... فقد أوجدت السنة رباطاً و"كومولث" إسلامي أقوى من أي كومولث آخر ..."(٢).

٥- تشويه تاريخ الأمة الإسلامية الحالية والغابرة، بكل وسيلة من وسائل الكذب والافتراء، والتدليس بغية أن يكون هذا الجيل من أحفاد المسلمين أسيراً لثقافتهم اللادينية.

٦- خداع المسلمين بربط كل صورة من صور التقدم الحضاري بالتخلي عن الإسلام، وربط كل صورة من صور التخلف الحضاري بالاستمسك بالإسلام وبما ينادى به علماء المسلمين من عودة الأمة الإسلامية إلى كتاب ربها ﷺ وسنة نبيها ﷺ للنجاة مما هي فيه.

كما جاء في جريدة "النائمز" بتاريخ ١٤ / ٣ / ١٩٧٠م مقالاً غداة إقصاء سلطان عمان تقول فيها : "إن الأوضاع الاجتماعية والسياسية في عمان كانت بالغة السوء والتخلف؛ لأنها ظلت على ما كانت عليه زمن النبي محمد ﷺ (٣).

(١) جنور البلاء ص ٢٠٢، وانظر : قادة الغرب يقولون ص ٥١ .

(٢) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٢٠، وفي ذلك رد على قاسم أحمد، وأحمد حجازي، في زعمهما بأن العامل الأساسي في فرقة المسلمين واختلافهم هو تمسكهم المبالغ فيه بالحديث . انظر : إعادة تقييم الحديث ص ٦٠، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي للدكتور أحمد حجازي السقا ص ٣٩ .

(٣) موقف الإسلام من المجتمع الجاهلي للدكتور جعفر السقا ص ٤٨ .

وبعد

فإذا كانت المعركة بين الإسلام وخصومة لم تنقطع منذ أكثر من خمسة عشر قرناً  
إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإننا لا نشك في أن النصر حليف  
للحق دائماً وأبداً كما قال عز وجل ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ  
زَاهِقٌ﴾ (١).

---

(١) الآية ١٨ من سورة الأنبياء.



## الباب الثاني

### وسائل أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية المطهرة

ويشتمل على تمهيد وستة فصول :

- الفصل الأول : شبهات حول حجية السنة النبوية .
- الفصل الثاني : وسيلتهم في التشكيك في حجية خبر الآحاد .
- الفصل الثالث : وسيلتهم في التشكيك في رواية السنة المطهرة .
- الفصل الرابع : وسيلتهم في الطعن في الإسناد وعلوم الحديث .
- الفصل الخامس : وسيلتهم في الطعن والتشكيك في كتب السنة المطهرة .
- الفصل السادس : وسيلتهم في الاعتماد على مصادر غير معتبرة في التاريخ للسنة الشريفة ورواتها الثقات الأعلام (رضوان الله عليهم أجمعين) .



## تمهيد

من المعلوم عند علماء المسلمين جميعاً أن السنة المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله عز وجل قديماً وحديثاً، ولم يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام. أجمعت على ذلك أمة الإسلام.

ومعنى كون السنة هي المصدر الثاني للتشريع؛ أنها واجبة الاتباع والتنفيذ، وهي في ذلك مثل القرآن الكريم سواء بسواء، ولكن أعداء الإسلام ومعهم بعض من يتسبون زوراً وبهتاناً إليه ممن تظاهروا بالإسلام والمحافظة عليه، وتطهيره مما طرأ عليه من تغيير وتبديل لا يروقههم ذلك، ويحاولون التشكيك في حجية السنة النبوية، والنيل منها محاولين أن يصلوا في النهاية إلى الطعن في الشريعة الإسلامية التي ختم الله بها دينه الذي بعث به جميع أنبيائه ورسله قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢).

وشبهات أعداء الإسلام حول السنة من حيث هي لا تشكل خطراً عليها، لأنها قلعة راسخة لا تؤثر فيها الشبهات، وإن كانت قد ألحقت بعقول بعض المسلمين نوعاً من الأذى. ولكن الخطورة فيها أنها استغلت للتشكيك في الدين والطعن في رسالة النبي ﷺ، ولو أننا ضربنا صفحاً عن حكاية هذه الشبه، وبيان فسادها : لكان منا ذلك رأياً متيناً، ومذهباً صحيحاً. إذ الإعراض عن القول المطروح أخرى لإماتته وإحمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهاً للجهال عليه. غير أننا لما تخوفنا من شرور العواقب واغترار الجهلة بمحدثات الأمور، وإسراعهم إلى اعتقاد الشبهات التي يروجها أعداء الإسلام رأينا الكشف عن فساد هذه الشبه، وردّها بقدر ما يليق بها من الرد، فذلك نصح للأنام، وأحمد للعاقبة إن شاء الله تعالى (٣).

ولما كانت شبهات خصوم السنة وافتراءاتهم حول حجية السنة المطهرة، ووسائلهم

(١) جزء من الآية ١٩ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٨٥ من سورة آل عمران.

(٣) اقتباس (بتصرف يسير) من كلام الإمام مسلم في مقدمه صحيحه، باب بيان أن الإسناد من الدين ١/ ١٣٣.

فى الكيد لها كثيرة لا حصر لها ولا عد . وإذا كنا لن نستطيع أن نتبع كل ناعق ينطق فى دين الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ، وجب على كل مسلم أن يتنبه إلى حجر الزاوية الذى يرتكزون عليه فيحطمه ويسحقه، ويبحث عن القاعدة التى ينطلقون منها؛ فيخربها ويدمرها على من فيها .

وهذا ما سنحرص عليه بمشيئة الله تعالى فى حديثنا عن وسائلهم فى الكيد للسنة المطهرة، خصوصاً بعد أن وسع أعداء الإسلام دائرة هذه الشبهات وجعلوها موضع نظر فى بحوثهم ودراساتهم، فاغتر بها من اغتر من أبناء الإسلام .

وسوف نبسط تلك الشبهات التى اتخذوها قواعد ينطلقون منها للتشكيك فى السنة المطهرة فى ستة فصول، نحلل من خلالها تلك الشبهات الواهية . ونبين مواقع التدليس فيها، والالتباس بشأنها، فلا تبقى حجة للمتنتهين فى حجية السنة، ولا يبقى فى قلب مؤمن شبهة أو ريب والله المستعان وبه التوفيق .

# الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

## شبهات حول حجية السنة النبوية الشريفة

وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

١- المبحث الأول : شبهات بنيت على آيات من القرآن الكريم . ونذكرها في مطلبين :

١- المطلب الأول : شبهة الاكتفاء بالقرآن الكريم وعدم الحاجة إلى السنة النبوية والرد عليها .

٢- المطلب الثاني : شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله ﷻ بحفظها والرد عليها .

٢- المبحث الثاني : شبهات بنيت على أحاديث من السنة النبوية . وينقسم إلى تمهيد وثلاثة مطالب :

١- المطلب الأول : شبهة عرض السنة على القرآن الكريم والرد عليها .

٢- المطلب الثاني : شبهة عرض السنة على العقل والرد عليها .

٣- المطلب الثالث : وفيه الشبه الآتية :

١- شبهة النهي عن كتابة السنة النبوية والرد عليها .

٢- شبهة التأخر في تدوين السنة المطهرة والرد عليها .

٣- شبهة رواية الحديث بالمعنى والرد عليها .

٤- شبهة كثرة الوضعاء للحديث والرد عليها .

٣- المبحث الثالث : أدلة حجية السنة النبوية ، وتحتة خمسة مطالب :

١- المطلب الأول : العصمة .

٢- المطلب الثاني : القرآن الكريم .

٣- المطلب الثالث : السنة النبوية .

٤- المطلب الرابع : إجماع الأمة .

٥- المطلب الخامس : العقل والنظر .



## المبحث الأول شبهات بنيت على آيات من القرآن الكريم

### تمهيد :

إننا لو فتننا عن المحاريين لسنة النبي ﷺ، لو جدنا أنهم يتظاهرون بإحلال القرآن واحترامه، وأنه الحجة التي ليس وراءها حجة، فيقولون : علينا بالاكْتفاء بالقرآن الكريم فقط؛ فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المصدر الأول للإسلام، وهو الذي سلم من التغيير والتبديل ... إلى آخر ما يقولونه تظاهراً بحبهم للإسلام، ودفاعاً عنه، وغيره على ما في كتاب الله ﷻ من شريعة وأحكام، غير أنهم لا يريدون - مع ذلك - أن يضبطوا أنفسهم وعقولهم بهذا الذي أمر القرآن الكريم بضبط أنفسنا وعقولنا به، من اتباع سنة المصطفى ﷺ مصطنعين لأنفسهم ما يشاءون من آيات القرآن الكريم، يستدلون بها على الاكتفاء بالقرآن وحده، وعدم حجية السنة والحاجة إليها.

وما استدلوا به من آيات قرآنية بنوا عليها شبهتين جعلوهما قاعدتين ينطلقون منهما تشكيكاً في حجية السنة. نذكرهما في مطلبين :

١- المطلب الأول : شبهة الاكتفاء بالقرآن وعدم الحاجة إلى السنة النبوية والرد عليها.

٢- المطلب الثاني : شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها والرد عليها.

## المطلب الأول

### شبهة الاكتفاء بالقرآن الكريم وعدم الحاجة إلى السنة النبوية

واستدلوا على ذلك من القرآن الكريم بآيات عدة وهي :

١- قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، واستدل بهذه الآية الدكتور توفيق صدقي<sup>(٢)</sup>، ومحمود أبو ربه<sup>(٣)</sup>، ومحمد نجيب<sup>(٤)</sup>، وقاسم أحمد<sup>(٥)</sup>.

٢- وقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

٣- وقوله تعالى : ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾<sup>(٧)</sup>.

٤- وقوله تعالى : ﴿وَوَكَّمْتُ كَلِمَةً رَبُّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾<sup>(٨)</sup>.

واستدل بهذه الآيات الكرامات وما في معناها<sup>(٩)</sup> عدد من أعداء السنة المطهرة المنكرين لحجيتها قديماً وحديثاً، الزاعمين أن القرآن في غنى عن السنة؛ لأن فيه بيان وتفصيل كل شيء؛ فقديماً على سبيل المثال لا الحصر : الطائفة التي ناظر الإمام الشافعي واحداً من أتباعها واستدلوا بقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(١٠)</sup>.

(١) الآية ٣٨ من سورة الأنعام.

(٢) مجلة المنار المجلد ٩ / ٥١٦، ٩٠٧، وأيده جمال البنا في كتابه «السنة وحررها في الفقه الجديد» ص ٣٣.

(٣) أضواء على السنة المحمدية ٤٠٤.

(٤) الصلاة ص ٢٣.

(٥) إعادة تقسيم الحديث ٨٦.

(٦) جزء من الآية ٨٩ من سورة النحل.

(٧) جزء من الآية ١١٤ من سورة الأنعام.

(٨) جزء من الآية ١١٥ من سورة الأنعام.

(٩) كقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الآية ٥٢ من سورة

الأعراف، وقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الآية ٣ من سورة فصلت.

(١٠) الآية ٨٩ من سورة النحل، وانظر : الأم كتاب جماع العلم باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار

كلها ٧ / ٢٥٠.

وحديثاً : الدكتور توفيق صدقي<sup>(١)</sup>، وأبو رية<sup>(٢)</sup>، ومحمد نجيب<sup>(٣)</sup>، ومصطفى كمال المهدي<sup>(٤)</sup>، وأحمد صبحي منصور<sup>(٥)</sup>، وقاسم أحمد<sup>(٦)</sup>، وجمال البنا<sup>(٧)</sup>، ورشاد خليفة<sup>(٨)</sup>.

٥- وقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٩)</sup>، واستدل بهذه الآية أبو رية<sup>(١٠)</sup>، ومحمد نجيب<sup>(١١)</sup>.

٦- وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ أُذَبِّرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾<sup>(١٢)</sup>، واستدل بهذه الآية الدكتور أحمد صبحي منصور<sup>(١٣)</sup>، وإسماعيل منصور<sup>(١٤)</sup>.

(١) مجلة المنار المجلد ٩ / ٩٠٧ .

(٢) أضواء على السنة ص ٤٠٤ .

(٣) الصلاة ص ٢٢ .

(٤) مصطفى كمال المهدي : مستشار ليبي معاصر ينكر حجية السنة النبوية، من مؤلفاته : البيان بالقرآن من جزأين، وانظر : استشهاد بالآيات السابقة في كتابه البيان بالقرآن ١ / ٢٩، ١٠ .

(٥) الصلاة في القرآن ص ٣٢، ٦٠، ٦١، ولماذا القرآن ص ١٠ .

(٦) إعادة تقييم الحديث ٨٦ .

(٧) جمال البنا : هو جمال البنا ابن العالم المحدث الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا صاحب الفتح الرياني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، وشقيق الإمام الشهيد حسن البنا المرشد الأول، من مصنفاته التي طعن فيها في حجية السنة النبوية المطهرة، الأصول العظيمة، وكتاب السنة ودورها في الفقه الجديد، وانظر : استدلاله بالآيات السابقة في كتابه السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٣٣ .

(٨) رشاد خليفة : هو رشاد عبد الحليم محمد خليفة، حصل على بكالوريوس الزراعة من جامعة عين شمس، عمل خبيراً زراعياً بالولايات المتحدة الأمريكية، كان عميلاً للبهائية ويدعو إليها، وينكر حجية السنة النبوية، ادعى النبوة ومات مقتولاً داخل مسجد قريب من جامعة أريزونا حيث كان يقوم بتدريس أفكاره البهائية التي تشكك في الإسلام، وفي حجية السنة المطهرة، انظر : قصته في كتابي الدفاع عن السنة ص ٤٢ وما بعدها، ومسيلمة في مسجد توسان ص ١٦، ٧٠، كلاهما لأستاذنا الدكتور طه حيشي ص ١٦، ٧٠ . ورشاد خليفة صنعة الصليبية العالمية للدكتور خالد نعيم ص ١٦-٥٩، وانظر : استدلاله بالآيات السابقة في قرآن أم حديث ص ٦، والقرآن والحديث والإسلام ص ٣٢ .

(٩) جزء من الآية ٣ من سورة المائدة .

(١٠) أضواء على السنة ص ٤٠٤ .

(١١) الصلاة ص ٢٣ .

(١٢) الآية ١٩ من سورة الأنعام .

(١٣) مجلة منظور المسلم نقلاً عن مسيلمة في مسجد توسان ص ٢٤٩ .

(١٤) إسماعيل منصور : هو إسماعيل منصور جودة، تخرج من جامعة القاهرة، وحصل على العالمية في الطب البيطري من الجامعة، تبرأ من السنة وزعم أنها أكتوبة كبيرة وخطيرة، وداوية كبرى أريد بها التشويش على كلام الله تعالى . من مصنفاته : تبصير الأمة بحقيقة السنة، وشفاء الصدر بنفي عذاب القبر، وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين . وغير ذلك، انظر : استدلاله بالآيات السابقة في تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ١١ .

٧- وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١) واستدل بهذه الآية الدكتور إسماعيل منصور (٢).

٨- وقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣). واستدل بهذه الآية محمد نجيب (٤)، وإسماعيل منصور (٥).

هذه الآيات الكريمات وما فى معناها؛ استدلل بها دعاء الفتنة على عدم حجية السنة النبوية المطهرة، وشبهتهم فى هذه الآيات؛ أنها تبين أن القرآن تام قد حوى كل شيء، كما فى آية الأنعام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾، والله ﷻ ما فرط فى الكتاب من شيء، كما فى آية الأنعام ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فأتى بالعام ثم فصله تفصيلاً، كما فى آية الأنعام ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ وغيرها، وأتى بالمحمل ثم بينه للناس تبييناً تاماً، كما فى آية النحل ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ فهو لا يحتاج بعد هذا البيان إلى شيء آخر، وإلا لو احتاج إلى شيء آخر لكان القرآن غير صادق فيما قال، وهذا أمر مستحيل على الله ﷻ، ومستحيل على كلامه.

هذه هى ناصية الشبهة الأولى وجماعها، وهم يذكرون لها حشداً عظيماً من الآيات التى تؤيدها سواء كان الدليل فى موضوعه كما فى الآيات التى استشهدوا بها سابقاً، أو فى غير موضوعه كما فى باقى الآيات ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ﴿وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾.

فهؤلاء المدلسون ما عليهم إلا أن يفتحوا المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وينقلوا منه الآيات التى يشوشون بها على المسلمين، ويضعون أمام كل آية جملة تلازمها، ولا يهمهم بعد ذلك أبقيت وحدة الموضوع بين أيديهم أم لم تبق.

على أية حال فإن هذه هى الشبهة الأولى فى أصلها الأصيل وکلياتها التى لا تخرج

(١) الآية ١٧٠ من سورة الأعراف.

(٢) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ١٥.

(٣) الآية ٥١ من سورة العنكبوت.

(٤) الصلاة ص ٢٢.

(٥) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ١٠.

عنها مهما علا الضجيج أو ارتفع الصياح<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور السباعي - رحمه الله تعالى - تلخص حجة من يرد الأخبار كلها كما حكاه الشافعي في قولهم : إن القرآن جاء تبياناً لكل شيء، فإن جاءت الأخبار بأحكام جديدة لم ترد في القرآن؛ كان ذلك معارضة من ظني الثبوت وهي الأخبار، لقطعيه - وهو القرآن - والظني لا يقوى على معارضة القطعي، وإن جاءت مؤكدة لحكم القرآن؛ كان الاتباع للقرآن لا للسنة، وإن جاءت لبيان ما أجمله القرآن، كان ذلك تبيناً للقطعي الذي يكفر منكر حرف منه، بظني لا يكفر من أنكر ثبوته، وهذا غير جائز.

وربما يتبادر إلى الذهن أنهم على هذا يقبلون المتواتر من الأخبار؛ لأنها قطعية الثبوت، فكيف عمم الشافعي بقوله : "رد الأخبار كلها"؟ والذي يظهر أنهم لا يعتبرون المتواتر قطعياً أيضاً بل هو عندهم ظني؛ لأنه جاء من طرق آحادها ظنية، فاحتمال الكذب في رواته لا يزال قائماً ولو كانوا جمعاً عظيماً<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

#### والجواب عن هذه الشبهة :

إن أعداء السنة المطهرة فهموا أن المراد من الكتاب في قوله تعالى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup> القرآن، ولكن مجموع الآيات ابتداء ونهاية، يفيد أن المراد بالكتاب هنا هو اللوح المحفوظ الذي حوى كل شيء، واشتمل على جميع أحوال المخلوقات كبيرها وصغيرها، جليلها ودقيقها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، على التفصيل التام كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال : وعرضه على الماء"<sup>(٤)</sup>.

وهذا هو المناسب لذكر هذه الجملة عقب قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>. والمثلية في الآية ترشح هذا المعنى؛ لأن

(١) السنة في مواجهة أعدائها للأستاذ الدكتور طه حبيشى ص ٦٤، ٦٣ بتصرف.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع ص ١٥١.

(٣) جزء من الآية ٣٨ من سورة الأنعام.

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٨/ ٤٥٢؛ رقم ٢٦٥٣.

(٥) الآية ٣٨ من سورة الأنعام.

القرآن الكريم لم ينظم للطير حياة كما نظمها للبشر، وإنما الذي حوى كل شئ للطير والبشر، وتضمن ابتداءً ونهاية للجميع هو اللوح المحفوظ . يقول الحافظ ابن كثير : أى الجميع علمهم عند الله ﷻ، لا ينسى واحداً من جميعها، من رزقه وتديره سواء كان برياً أو بحرياً؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١). أى مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحرركاتها وسكناتها" (٢). والآية نظير قوله تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابَسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٣). وقوله تعالى : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٤).

وعلى هذا الأساس، ففهم أن المراد بالكتاب فى قوله تعالى : ﴿وَمَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ . هو القرآن غير دقيق، ويأباه السياق العام للآية وربطها بما قبلها، وبغيرها من الآيات التى فى معناها وسبق ذكرها .

ومن المعلوم بداهة أن الكلمة فى اللغة العربية يكون لها أكثر من معنى، ويتحدد المعنى المراد منها من خلال سياق الكلام الذى وردت فيه، وكلمة "الكتاب" تحيى فى القرآن بمعنى الفرض، والحكم، والقدر (٥). فبمعنى القدر قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ (٦).

يقول الحافظ ابن كثير : أى لا يموت أحد إلا بقدر الله ، وحتى يستوفى المدة التى ضربها الله له، ولهذا قال تعالى : ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ . وكقوله تعالى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ (٧). وكقوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

(١) الآية ٦ من سورة هود .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢ / ١٣١، ١٣٢، وانظر : فتح القدير للشوكاني ٣ / ٦١ .

(٣) الآية ٥٩ من سورة الأنعام .

(٤) جزء من الآية ٣ من سورة سبأ .

(٥) القاموس المحيط ١ / ١٢٠، ومختار الصحاح ص ٥٦٢ .

(٦) الآية ١٤٥ من سورة آل عمران .

(٧) جزء من الآية ١١ من سورة فاطر .

طِينَ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» (١).

ويعنى الفرض قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (٢) قال ابن عباس أى مفروضاً (٣)، والكتاب يأتى فى القرآن الكريم تارة مراداً به اللوح المحفوظ كما سبق وأن بينا، وتارة أخرى يأتى مراداً به القرآن الكريم كما فى قوله تعالى : ﴿الرَّكْعَاتُ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ﴾ (٤). إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

ومع هذا فنحن نسلم لكم أن المراد من الكتاب "القرآن"، ولكننا نقول لكم : إن هذا العموم غير تام، بل هو مخصص بقول الله تعالى : ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥). والذي يجعلنا نذهب إلى تخصيص هذا العام أمران :

١- لتتفق آيات القرآن ولا تتعارض فى ظاهرها؛ فإن القرآن ملئ بالآيات التى فوض الله نبيه ﷺ فى شرح أحكامها.

٢- إن كثيراً من الأمور الجزئية فى حياة المجتمع تحتاج إلى حكم، وليس فى القرآن إلا قواعده الكلية العامة. وعلى هذا فلا بأس أن يكون الكتاب فى الآية الكريمة هو القرآن الكريم (٦).

ونقول لكم : نعم لم يفرض ربنا ﷻ فى كتابه فى شئ من أمور الدين على سبيل الإجمال، ومن بين ما لم يفرض فى بيانه وتفصيله إجمالاً بيان حجية السنة وجوب اتباعها والرجوع والتحاكم إليها؛ فالقرآن جامع - دون تفريط - كل القواعد الكبرى للشرعية التى تنظم للناس شئون دينهم ودنياهم، والسنة النبوية هى المبينة لجزئياتها وتفصيلاتها وهى المنيرة للناس طريق الحياة، وتنسجم هذه الآية مع الآيات الأخرى التى تؤكد بالنص أهمية السنة تجاه ما فى الكتاب من القواعد التى تحتاج إلى تخصيص أو

(١) الآية ٢ الأنعام، وانظر : تفسير القرآن العظيم ١ / ٤١٠ .

(٢) الآية ١٠٣ من سورة النساء .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٥٥٠ .

(٤) الآية الأولى من سورة إبراهيم .

(٥) الآية ٦٤ من سورة النحل .

(٦) انظر : البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى ١ / ٤٤١ .

تقييد أو توضيح أو تبين ... إلخ<sup>(١)</sup>.

وهنا نأتى للرد على الآيات الأخرى التى استدلو بها على أن القرآن أنزل مفصلاً وتبيناً لكل شيء، فلا يحتاج بعد هذا البيان إلى السنة المطهرة. أما قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالمراد بالتفصيل والبيان هنا : تفصيل وبيان كل شيء من أحكام هذا الدين كقواعد كلية مجملة، أما تفاصيل تلك القواعد وما أشكل منها؛ فالبيان فيها راجع إلى السنة النبوية قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> فقاعدة وجوب اتباع الرسول ﷺ والتحاكم إلى سنته المطهرة من القواعد الكلية المجملة لهذا الدين، وفصلها ربنا ﷻ في كتابه العزيز كما فى الآية السابقة. وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾<sup>(٥)</sup> يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ عن ابن مسعود<sup>(٦)</sup> قال : قد بين لنا فى هذا القرآن كل علم وكل شيء ، وقال مجاهد<sup>(٧)</sup> : كل حلال وحرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خير ما سبق، وعلم ما سيأتى، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون فى أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم - وقال الأوزاعى : ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أى بالسنة<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٢٨٤، ٣٨٥، والسنة بين إثبات الفاهمين ورفض

الجاهلین للدكتور رعوف شلى ١٨-٢٤ .

(٢) جزء من الآية ١١٤ من سورة الأنعام.

(٣) جزء من الآية ٨٩ من سورة النحل.

(٤) الآية ٤٤ من سورة النحل.

(٥) الآية ٦٤ من سورة النحل.

(٦) ابن مسعود : هو عبد الله بن مسعود صحابى جليل. له ترجمة فى : الاستيعاب ٣ / ٩٨٧ رقم ١٦٥٩، واسد الغابة ٣ / ٣٨١ رقم ٣١٨٢، وتاريخ الصحابة ص ١٤٩ رقم ٧١٨، وتذكرة الحفاظ ١ / ١٣ رقم ٥، وطبقات الحفاظ ص ١٤ رقم ٦، وتحرير أسماء الصحابة ١ / ٣٣٤، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٦ رقم ٢١، والإصابة ٢ / ٣٦٠ رقم ٤٩٦٩ .

(٧) مجاهد : هو مجاهد بن جبر، بفتح الجيم، وسكون الموحدة، أبو الحجاج المحزومى مولاهم، المكى، ثقة، إمام فى التفسير، والعلم، مات سنة ١٠٤هـ وقيل قبل ذلك. له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٢ / ١٥٩ رقم ٦٥٠١، وتذكرة الحفاظ ١ / ٩٢ رقم ٨٣، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٢ رقم ٨١، والثقات للعجلي ص ٤٢٠ رقم ١٥٣٨، والثقات لابن حبان ٥ / ٤١٩، وطبقات المفسرين للدارى ٢ / ٣٠٥ رقم ٦١٧ .

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٥٨٢ .

ولا تعارض بين القولين - ابن مسعود والأوزاعي - فابن مسعود يقصد العلم الإجمالى الشامل، والأوزاعي يقصد تفصيل وبيان السنة لهذا العلم الإجمالى .

ومن هنا؛ فالقول بأن القرآن الكريم تبياناً لكل شئ قول صحيح فى ذاته بالمعنى الإجمالى السابق ولكن الفساد فيما بنوه عليه من الاستغناء عن السنة والاكتفاء بالقرآن ليؤولوه حسب أهوائهم . وإلا فرب العزة هو القائل فى نفس سورة النحل وقبل هذه الآية قال تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَنْعُثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَذَابٌ عَلَيْهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٨) لَيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) فذلك ثلاث آيات كريمات فى نفس سورة النحل وسابقة لآية ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ والثلاث آيات تسند صراحة مهمة البيان والتفصيل إلى النبى ﷺ صاحب السنة المطهرة، فهل يعقل بعد ذلك أن يسلب الله ﷻ هذه المهمة - البيان، التى هى من مهام الرسل جميعاً كما قال ﷻ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (٤) . وقال ﷻ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (٥) . ويوقع التناقض بآية ﴿الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ .

إن كل الرافضين لحجية السنة، لابد أن يلتزموا بهذه النتيجة التى تعود بالنقض على الإيمان بالكتاب، وعن أنزل الكتاب جل جلاله، سواء أقرؤا بلسانهم بهذا النقض أم لا، وتنبهوا إلى ذلك أم لا!!

ويجدر بنا أن نشير إلى نصوص لبعض العلماء تؤكد الذى قلناه فى معنى البيان

(١) الآيتان ٣٨، ٣٩ من سورة النحل .

(٢) الآية ٤٤ من سورة النحل .

(٣) الآية ٦٤ من سورة النحل .

(٤) الآية ٤ من سورة إبراهيم .

(٥) الآية ١٨٧ من سورة آل عمران .

الوارد فى الآية التى استشهدوا بها يقول الإمام الشاطبى<sup>(١)</sup>: "تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلى لا جزئى، وحيث جاء جزئياً فمأخذه على الكلية، إما بالاعتبار أو بمعنى الأصل، إلا ما خصه الدليل مثل خصائص النبى ﷺ. ويدل على هذا المعنى - بعد الاستقراء المعتبر - أنه محتاج إلى كثير من البيان، فإن السنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هى بيان للكتاب كما سيأتى شرحه إن شاء الله تعالى .

وقد قال الله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> وإذا كان الأمر كذلك فالقرآن على اختصاره جامع، ولا يكون جامعاً إلا والمجموع فيه أمور كليات لأن الشريعة تمت بتمام نزوله؛ لقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٣)</sup> وأنت تعلم أن الصلاة والزكاة والجهاد وأشبه ذلك لم يبين جميع أحكامها فى القرآن، إنما بينها السنة، وكذا تفاصيل الشريعة من الأنكحة والعقود والقصاص والحدود، وغير ذلك .

فعلى هذا لا ينبغى فى الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر فى شرحه وبيانه وهو السنة؛ لأنه إذا كان كلياتاً وفيه أمور كلية كما فى شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها فلا محيص عن النظر فى بيانه، وبعد ذلك ينظر فى تفسير السلف الصالح له إن أعوزته السنة، فإنهم أعرف به من غيرهم، وإلا فمطلق الفهم العربى لمن حصله يكفى فيما أعوز من ذلك، فبيان الرسول ﷺ بيان صحيح لا إشكال فى صحته؛ لأنه لذلك بعث، قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> ولا خلاف فى هذا البيان النبوى<sup>(٥)</sup> .

ويقول الدكتور إبراهيم محمد الخولى : "التبيين" هنا غير "التبليغ" الذى هو الوظيفة

(١) الإمام الشاطبى: هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطى الشهير بالشاطبى، العلامة المؤلف النظائر المفسر الأصولى اللغوى المحدث الورع الزاهد، له تأليف نفيسة منها : الموافقات فى أصول الفقه، والاعتصام فى الحوادث والبدع، توفى سنة ٧٩٠هـ. له ترجمة فى: شجرة النور الزكية محمد مخلوف ص ٢٣١ رقم ٨٢٨، والمجددون فى الإسلام عبد المتعال الصعبدى ص ٣٠٥، والفتح المبين عبد الله السمرغنى ٢/ ٢٠٤، وأصول الفقه تاريخه ورجاله للدكتور شعبان إسماعيل ص ٣٨٤ .

(٢) الآية ٤٤ من سورة النحل .

(٣) جزء من الآية ٣ من سورة المائدة .

(٤) الآية ٤٤ من سورة النحل .

(٥) الموافقات للشاطبى ٣/ ٢٧٤ - ٢٧٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٣٠ - ٣٣٨ بتصرف يسير .

الأولى للنبي ﷺ قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (١)، و"التبيين" و"التبليغ" وظيفتان موضوعهما واحد هو القرآن العظيم" عبر عنه فى آية "التبليغ" بهذا اللفظ : ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ وعبر عنه فى آية التبيين بلفظ مختلف : "ما نزل إليهم" وبينهما فروق لها دلالتها، مردها إلى الفروق بين الوظيفتين "فالتبليغ" تأدية النص؛ تأدية "ما أنزل" كما "أنزل" دون تغيير ما على الإطلاق، لا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير ...

و"التبيين" إيضاح، وتفسير، وكشف لمراد الله من خطابه لعباده، كى يتسنى لهم إدراكه، وتطبيقه، والعمل به على وجه صحيح .

و"التبليغ" مسئولية "المبلغ" وهو المؤمن عليها، وهذا سر التعبير : "وأُنزلنا إليك" حيث عدى الفعل "أنزل" بـ "إلى" إلى ضمير النبي ﷺ، المخاطب .

و"التبيين" : مهمة، فرضتها حاجة الناس لفهم ما خوطبوا به، وبلغوه، وإدراك دلالاته الصحيحة، ليطبقوه تطبيقاً صحيحاً .

ومن هنا كانت المخالفة فى العبارة ... "ونزل إليهم" ... حيث عدى الفعل "نزل" بـ (إلى) مضافاً إلى الضمير "هم" ... أى الناس، وعدى الفعل "تبيين" إلى الناس بـ اللام "أن كانت حاجتهم إلى "التبيين" هى السبب والحكمة من ورائه، وهى توحى بقوة أن رسول الله ﷺ، ليس بحاجة إلى ما احتاج إليه الناس من هذا التبيين، ولعمري إنه لكذلك...، فقد أوحى إليه بيانه وأهمه، فالتقى فى نفسه "البيان" و"المبين" معاً، وأصبح مؤهلاً لأن يقوم بالوظيفتين : وظيفة البلاغ، ووظيفة التبيين على سواء ...، واختلاف الناس فى فهم القرآن ما بين مصيب ومخطئ واختلافهم فى فهم درجات الإصابة، ودركات الخطأ ... برهان بين على حاجتهم إلى "تبيين" لكتاب ربهم، ينهض به إمام الموقعين عن رب العالمين (٢) .

ويقول الإمام الشافعى : "والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع : فجماع ما أبان الله ﷻ خلقه فى كتابه، مما تعبدكم به، لما مضى من حكمه جل ثناؤه من وجوه :

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة .

(٢) السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم محمد الخولى ص ٤، ٥، ١٣، ٤٧-٦٩ .

١- منها ما أبانه خلقه نصاً مثل إجمال فرائضه في أن عليهم صلاة، وزكاة، وحجاً، وصوماً، وأنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونص على الزنا، والخمر، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وبين لهم كيف فرض الوضوء، مع غير ذلك مما بين نصاً "إجمالياً".

٢- ومنها ما أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة، والزكاة ووقتها، إلى غير ذلك من فرائضه التي أنزلها في كتابه عز وجل.

٣- ومنها ما سن رسول الله ﷺ مما ليس الله فيه نص محكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله ﷺ، والانتهاى إلى حكمه فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل (١).

### تعليق :

مما سبق من قول الإمامين الشاطبي والشافعي يتأكد ما ذكرناه في أن المراد من معنى البيان والتفصيل الوارد في الآيات التي استشهد بها أعداء السنة المطهرة؛ بيان وتفصيل القرآن لكل شئ من أحكام هذا الدين كقواعد كلية مجملة، ومن بين تلك القواعد التي فصلها وبينها ربنا ﷻ؛ وجوب اتباع نبيه ﷺ، والتحاكم إلى سنته المطهرة (٢)، ففي تلك السنة المطهرة إيضاح هذه القواعد وتفصيلها، فجاءت السنة موافقة ومؤكدة للقرآن، ومخصصة لعامه، ومقيدة لمطلقه، ومفصلة لمجمله، وموضحة لمشكله، ومستقلة بتشريع أحكام دون سابق ذكر لها في كتاب الله ﷻ كما سيأتي مفصلاً في المبحث الثالث.

يقول الإمام الشاطبي : "القرآن فيه بيان كل شئ على ذلك الترتيب المتقدم؛ فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة ولا يعوزه منها شئ؛ فهو أساس التشريع، وإليه ترجع جميع أحكام الشريعة الإسلامية، والتي منها السنة النبوية، فهي حاصلة فيه في الجملة، والدليل على ذلك أمور :

١- منها : النصوص القرآنية، كقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا

(١) الرسالة للشافعي ص ٢٢، ٢٠ .

(٢) انظر : البحر المحيط للزركشي ١ / ٤٤١ .

(٣) الآية ٣ من سورة المائدة .

عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَّانًا لِكُلِّ شَيْءٍ<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٣)</sup> وأشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه هدى وشفاء لما فى الصدور، ولا يكون شفاء لجميع ما فى الصدور إلا وفيه تبيان كل شيء<sup>(٤)</sup>.

٢- ومنها : ما جاء فى الأحاديث والآثار المؤذنة بذلك كقوله ﷺ : "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله"<sup>(٥)</sup>، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لما حضر رسول الله ﷺ - وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب؛ فقال النبى ﷺ : "هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّونَ بَعْدَهُ"، فقال عمر : إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن . حسبنا كتاب الله<sup>(٦)</sup>، وأشبهه هذا مما روى مرفوعاً وموقوفاً بالاختصار على القرآن فقط.

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - الاختصار على الوصية بكتاب الله؛ لكونه أعظم وأهم؛ ولأن فيه تبيان كل شيء إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبى ﷺ به لقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٧)</sup>.

وكلام الحافظ ابن حجر السابق نقله مبتوراً الأستاذ جمال البنا فقال : "التمسك بالقرآن والعمل بمقتضاه إشارة إلى قوله ﷺ : "ترك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله". وترك جمال البنا، بيان أن العمل بالقرآن الكريم يقتضى العمل بالسنة المطهرة كما صرح ابن حجر<sup>(٨)</sup>.

وهذا ما فعله أيضاً الدكتور أحمد صبحى منصور فى كتابه "حد الردة" نقل كلام الحافظ بن حجر الذى نقلناه، وبتر منه لفظة النبى ﷺ فصارت العبارة : "فإذا اتبع

(١) الآية ٨٩ من سورة النحل .

(٢) الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

(٣) الآية ٩ من سورة الإسراء .

(٤) الموافقات ٣ / ٣٣٣، ٣٣٤ يتصرف يسير .

(٥) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب حجة النبى ﷺ ٤ / ٤٣١، ٤٣٢ رقم ١٢١٨ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ .

(٦) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء ٦ / ١٠٠ رقم ١٦٣٨ .

(٧) جزء من الآية ٧ من سورة الحشر، وانظر : فتح البارى ٥ / ٤٢٦، ٤٢٥ رقم ٢٧٤٠ حديث عبد الله بن أبى

أوفى ﷺ .

(٨) السنة ودورها فى الفقه الجديد ص ٢٤٦ .

الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به" (١) ٨٠ هـ ...

وفى هذا الجواب الأخير تعلم الجواب عن باقى الآيات التى استشهد بها أعداء السنة على الاكتفاء بالقرآن، وعدم حجية السنة، للاقتصار على ذكر القرآن فقط، والوصية به كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (٥) وقوله تعالى ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (٦). وأشبه هذه الآيات الكريمة التى ورد الاقتصار فيها على الوصية بكتاب الله ﷻ، وما ذلك إلا كما علمنا، أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه فى الشرائع والأحكام واتباعه، والعمل بما فيه عمل بالسنة النبوية المستمدة حجيتها ومصدريتها التشريعية منه. فهى من الوحي الغير متلو، والوحي ذكر، والذكر محفوظ بنص القرآن فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٧) وهذا ما أنكره أعداء السنة ... فىلى بيان شبهتهم والرد عليها.

---

(١) حد الردة ص ٨٩ .

(٢) جزء من الآية ٣ من سورة المائدة .

(٣) جزء من الآية ١١٥ من سورة الأنعام .

(٤) جزء من الآية ١٧٠ من سورة الأعراف .

(٥) جزء من الآية ٥١ من سورة العنكبوت .

(٦) جزء من الآية ١٩ من سورة الأنعام .

(٧) الآية ٩ من سورة الحجر .

## المطلب الثاني

### شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها والرد عليها

زعم أعداء السنة المطهرة أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن دون السنة، واحتجوا لذلك بقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقالوا : لو كانت السنة حجة وروحاً مثل القرآن؛ لتكفل الله عز وجل بحفظها؛ كما تكفل بحفظ القرآن الكريم.

وممن ذهب إلى ذلك؛ الدكتور توفيق صدقي<sup>(٢)</sup>، وإسماعيل منصور<sup>(٣)</sup>، وأيدهما جمال البنا<sup>(٤)</sup>، وذهب إلى ذلك أيضاً فرقة (أهل القرآن) بالهند وباكستان<sup>(٥)</sup>.

الجواب :

مما لا شك فيه أن منشأ هذه الشبهة في كلمة (الذكر) حيث اقتصر فهم المنكرين لحجية السنة المطهرة على أن المراد بكلمة الذكر في الآية هو "القرآن الكريم" وحده دون السنة، وأن الضمير في قوله تعالى "له" عائد على القرآن، وأن الآية فيها حصر بتقديم الجار والجرور وهذا الحصر يفيد عندهم قصر الحفظ على القرآن وحده دون ما عداه<sup>(٦)</sup>.

ونقول رداً على ذلك : إن رب العزة قد تكفل بحفظ ما صرح من حديث رسوله، ويدل على ذلك الكتاب الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، والعقل، والتاريخ<sup>(٧)</sup>.

أولاً : أما الدليل من كتاب الله ﷻ على تكفل الله بحفظ السنة كما تكفل بحفظ

(١) الآية ٩ من سورة الحجر .

(٢) مجلة المنار المجلد ٩ / ٩١١ - ٩١٣ .

(٣) تبصير الأمة بحقيقة السنة ٢٣ .

(٤) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٣٣ وما بعدها .

(٥) مقام الحديث ص ٦-١٨ نقلاً عن دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد الأعظمي ١ / ٣٢، وانظر القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم بخش ص ٩٩ .

(٦) السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رعوف شليبي ص ٢٥ .

(٧) خلافاً لما زعمه الدكتور إسماعيل منصور في تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٥٦ .

كتابه الكريم :

١- قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، يقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السيد ندا فى الآية الكريمة إخبار من الله تعالى : بأن السنة مبينة للقرآن، وقد تكفل الله بحفظه فى قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فيلزم من هذا أن يكون قد تكفل أيضاً بحفظ السنة؛ لأن حفظ المبين يستلزم حفظ البيان للترابط بينهما .

٢- وقال تعالى : ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ فَإِذَا قُرْآنُهُ قُرائَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، فإنه نص صريح يدل على أن الله قد تكفل بحفظ السنة على وجه الأصالة والاستقلال لا على طريق اللزوم والتتبع؛ لأنه تكفل فيه ببيان القرآن فى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، أى بيان القرآن، والبيان كما يكون للنبي ﷺ يكون لأمرته من بعده . وهو يكون للنبي ﷺ بالإيحاء به إليه ليبلغه للناس، وهو المراد فى الآية السابقة : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾<sup>(٥)</sup> فالسنة النبوية على هذا منزلة من عند الله ( (بوحى غير متلو) وفى هذا رد على ما زعمه الدكتور إسماعيل منصور؛ بأن البيان للذكر لم ينزل مع الذكر (القرآن) وإلا لكان النص على نحو : "وأنزلنا إليك الذكر وبيانه"<sup>(٦)</sup>، ويكون البيان للأمة من بعده ﷺ بحفظ السنة التى بلغهم النبي ﷺ إياها .

ولو شغب مشاغب بأن هذا الخطاب: "عَلَيْنَا بَيَانَهُ" متوجه إلى الله ﷻ فقط دون الأمة وإلا قال ﷻ: "عليكم بيانه" لما أمكنه هذا الشغب فى قوله ﷻ: ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ فمن الذى جمع القرآن الكريم؟! الله ﷻ بذاته المقدسة؟ أم قبض لذلك رجالاً من خلقه وعلى رأسهم من أنزل عليه ﷻ وصحابته الكرام فمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؟!!

(١) الآية ٤٤ من سورة النحل .

(٢) الآية ٩ من سورة الحجر .

(٣) الآيات ١٧-١٩ من سورة القيامة .

(٤) الآية ٤٤ من سورة النحل .

(٥) الآية ٦٤ من سورة النحل .

(٦) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٦٠ .

فإن أجاب بالأولى، استغنى بجهله هذا عن مناظرته، وإن أجاب الثانية؛ بطل قوله بأن بيان الكتاب متوجه إلى الله ﷻ في كتابه فقط وليس إلى نبيه ﷺ إلى الأمة من بعده. وفي ذلك رد على ما زعمه الدكتور إسماعيل منصور بأن حفظ الرجال للسنة يجعلهم يتساوون مع الله ﷻ في القدرة بحفظه كتابه ﷻ، فتستوى بذلك قدرة الله وقدره المخلوقين<sup>(١)</sup>.

يقول فضيلة الدكتور محمد السيد ندا: "فهذان دليلان على أن الله تكفل بحفظ السنة كما تكفل بحفظ القرآن، وتحقيقاً لهذا الوعد الكريم من الله ﷻ هيأ الأسباب لحفظها، والذود عن حياضها؛ فأثار في نفوس المسلمين عوامل المحافظة عليها، والدفاع عنها؛ فكانت موضع اهتمامهم ومحل تقديرهم ورعايتهم منذ أن أشرقت شمسها إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها<sup>(٢)</sup>".

٣- ويذكر الإمام ابن حزم دليلاً ثالثاً من كتاب الله على تكفله جل علاه بحفظ السنة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

يقول الإمام ابن حزم: "هذه الآية الكريمة جامعة لجميع الشرائع أولها عن آخرها، وذكرت أصولاً ثلاثة وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾. فهذا أصل وهو القرآن، ثم قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾. فهذا ثان وهو الخير عن رسول الله ﷺ، ثم قال تعالى: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. فهذا ثالث وهو الإجماع المنقول إلى رسول الله ﷺ حكمه، وصح لنا بنص القرآن، أن الأخبار هي أحد الأصلين المرجوع إليهما عند التنازع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. والبرهان على أن المراد بهذا الرد؛ إنما هو إلى القرآن، والخير عن رسول الله ﷺ؛ لأن الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا، وإلى كل من يخلق ويركب روحه في جسده إلى يوم القيامة من الجنة والناس؛ كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله ﷺ وكل من أتى بعده عليه

(١) المصدر السابق ص ٢٥٨، ٢٨٨، ٢٨٩.

(٢) المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة ٢/ ٥٣١، ٥٣٢ بتصرف.

(٣) الآية ٥٩ من سورة النساء.

السلام وقبلنا ولا فرق، وقد علمنا علم ضرورة أنه لا سبيل لنا إلى رسول الله ﷺ وحتى لو شغب مشاغب بأن هذا الخطاب إنما هو متوجه إلى من يمكنه لقاء رسول الله ﷺ، لما أمكنه هذا الشغب في الله ﷻ، إذ لا سبيل لأحد إلى مكانته تعالى؛ فبطل هذا الظن، وصح أن المراد بالرد المذكور في الآية التي نصصنا إنما هو إلى كلام الله تعالى، وهو القرآن وإلى كلام نبيه ﷺ المنقول على مرور الدهر إلينا جيلاً بعد جيل، وأيضاً فليس في الآية المذكورة ذكر للقاء ولا مشافهة أصلاً، ولا دليل عليه، وإنما فيه الأمر بالرد فقط، ومعلوم بالضرورة؛ أن هذا الرد إنما هو تحكيم أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ دون تكلف تأويل ولا مخالفة ظاهر.

والقرآن والخير الصحيح بعض من بعض وهما شئ واحد في أنهما من عند الله تعالى، وحكمها حكم واحد في باب وجوب الطاعة لهما للآية المذكورة وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١).

وكلام النبي ﷺ كله وحى لقوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٢). والوحى ذكر بإجماع الأمة كلها، والذكر محفوظ بالنص قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٣) فصح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحى من عند الله ﷻ؛ لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحى نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل. فالوحى كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه؛ فمضمون ألا يضيع منه، وألا يحرف منه شيء، أبداً تحريفاً لا يتأتى البيان ببطلانه، إذ لو جاز غير ذلك؛ لكان كلام الله تعالى كذباً وضمانه خائساً، وهذا لا يخطر ببال ذى مسكة عقل، فوجب أن الدين الذى أتانا به محمد ﷺ محفوظ بتولى الله تعالى حفظه، مبلغ كما هو إلى كل ما طلبه مما يأتى أبداً إلى انقضاء الدنيا قال تعالى : ﴿لَا نُنْذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (١) فإذا كان ذلك كذلك؛ فبالضرورة يتيقن أنه لا سبيل ألته إلى ضياع شئ قاله رسول الله ﷺ في الدين، ولا سبيل البتة إلى أن يختلط به باطل موضوع اختلاطاً لا يتميز عند أحد من

(١) الآيات ٢٠، ٢١ من سورة الأنفال.

(٢) الآيات ٣، ٤ من سورة النجم.

(٣) الآية ٩ من سورة الحجر.

الناس ييقين، إذ لو جاز ذلك؛ لكان الذكر غير محفوظ، ولكان قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١). كذباً ووعداً مخلفاً، وهذا لا يقوله مسلم فإن قال قائل: "إنما عنى تعالى بذلك القرآن وحده، فهو الذى ضمن تعالى حفظه دون سائر الوحي الذى ليس قرآنًا، قلنا له وبالله تعالى التوفيق: "هذه دعوى كاذبة مجردة من البرهان، وتخصيص للذكر بلا دليل، وما كان هكذا فهو باطل لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢) فصح أنه لا برهان له على دعواه، فليس بصادق فيها، والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو من سنة وحيًا يبين بها القرآن، وأيضاً فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (٣) فصح أنه عليه الصلاة والسلام مأمور ببيان القرآن للناس.

وفى القرآن يحمل كثير؛ كالصلاة، والزكاة، والحج، وغير ذلك مما لا نعلم ما ألزمنا الله تعالى فيه بلفظه، ولكن بين لنا رسول الله ﷺ، فإذا كان بيانه - عليه الصلاة والسلام - لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمون سلامته مما ليس منه؛ فقد بطل الانتفاع بنص القرآن، فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا فيه، لم ندر صحيح مراد الله تعالى منها، وما أخطأ فيه المخطئ أو تعمد فيه الكذب الكاذب، ومعاذ الله من هذا (٤).

٤- ويذكر الإمام ابن قيم الجوزية: دليلاً رابعاً من كتاب الله ﷻ على تكفله - جل جلاله - بحفظ السنة فى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (٦). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٧).

(١) الآية ١٩ من سورة الأنعام.

(١) الآية ٩ من سورة الحجر.

(٢) الآية ١١١ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٤٤ من سورة النحل.

(٤) الأحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٩٦، ١١٧، ١١٨ بتصرف يسير.

(٥) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٦) الآية ٨٥ من سورة آل عمران.

(٧) الآية ١٩ من سورة آل عمران.

يقول ابن قيم الجوزية : فنقول لمن جوز أن يكون ما أمر الله به نبيه من بيان شرائع الإسلام غير محفوظ، وأنه يجوز فيه، التبديل، وأن يختلط بالكذب الموضوع اختلاطاً لا يتميز أبداً، أخبرونا عن إكمال الله تعالى لنا ديننا، ورضاه الإسلام لنا ديناً، ومنعه من قبول كل دين سوى الإسلام. أكل ذلك باق علينا ولنا وإلى يوم القيامة؟ أم إنما كان ذلك للصحابة ﷺ فقط؟ أولاً للصحابة ولا لنا؟ ولابد من أحد هذه الوجوه.

فإن قالوا : لا للصحابة ولا لنا؛ كان قائل هذا القول كافراً لتكذيبه الله جهاراً، وهذا لا يقوله مسلم. وإن قالوا : بل كل ذلك لنا وعلينا وإلى يوم القيامة؛ صاروا إلى قولنا ضرورة، وصح أن شرائع الإسلام كلها كاملة والنعمة بذلك علينا تامة.

وهذا برهان ضرورى وقاطع على أن كل ما قاله رسول الله ﷺ فى الدين، وفى بيان ما يلزمنا محفوظ لا يختلط به ما ليس منه أبداً.

وإن قالوا : بل كان ذلك للصحابة فقط، قالوا : الباطل، وخصصوا خطاب الله بدعوى كاذبة، إذ خطابه تعالى بالآيات الكريمة التى ذكرها عموم لكل مسلم فى الأبد، ولزمهم مع هذه العظيمة أن دين الإسلام غير كامل عندنا، والله تعالى رضى لنا منه ما لم يحفظه علينا وألزمنا منه ما لا ندرى أين نجد، وافترض علينا اتباع ما كذبه الزنادقة. ووضعوه على لسان رسوله ﷺ، أو وهم فيه الواهمون مما لم يقله نبيهم ﷺ - وهذا ييقن ليس هو دين الإسلام، بل هو إبطال لدين الإسلام جهاراً، ولو كان هذا - ومعاذ الله أن يكون - لكان ديننا؛ كدين اليهود والنصارى الذين أخبر الله تعالى أنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا : هذا من عند الله، وما هو من عند الله .

ونحن قد أيقنا بأن الله تعالى هو الصادق فى قوله : ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختلفوا فيه من الحق ياذنهم﴾ (١) وأنه تعالى قد هدانا للحق، فصح يقيناً أن كل ما قاله رسول الله ﷺ، هدانا الله تعالى له، وأنه حق مقطوع به حفظه الله تعالى، وقد قال تعالى : ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ (٣). فلو جاز أن يكون ما نقله الثقات

(١) الآية ٢١٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤٣ من سورة فاطر.

(٣) الآية ٦٤ من سورة يونس.

الذين افترض الله علينا قبول نقلهم والعمل به والقول بأنه سنة الله وبيان نبيه يمكن في شيء منه التحويل أو التبديل؛ لكان إخبار الله تعالى بأنه لا يوجد لها تبديل ولا تحويل كذباً، وهذا لا يجيزه مسلم أصلاً؛ فصح يقيناً لا شك فيه أن كل سنة سنّها الله ﷻ لرسوله، وسنّها رسوله لأمته، لا يمكن في شيء منها تبديل ولا تحويل أبداً، وهذا يوجب أن نقل الثقات في الدين؛ يوجب العلم بأنه حق كما هو من عند الله ﷻ (١) أ.هـ.

ثانيًا : أما الدليل من السنة النبوية الصحيحة على تكفل الله ﷻ بحفظ سنة نبيه ﷺ قوله ﷺ "أوصيكم بقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدى فسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعصوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" (٢) وقوله ﷺ "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتي، ولن يترقا حتى يردا على الحوض" (٣).

ففي هذه الأحاديث وغيرها - مما سيأتى في المبحث الثالث بخير النبي ﷺ؛ أن له سنة مطهرة تركها لأمته، وحنهم على التمسك بها، والعض عليها بالنواجذ؛ ففي اتباعها الهداية، وفي تركها الغواية، فلو كانت سنته المطهرة غير محفوظة، أو يمكن أن يلحقها التحريف والتبديل؛ فلا يتميز صحيحها من سقيمها، ما طالب أمته بالتمسك بها من بعده، فيكون قوله مغالطاً للواقع، وهذا محال في حقه ﷺ فأمره بالتمسك بها، يدل على أنها ستكون محفوظة تأكيداً لقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤). فدل ذلك على إخبار بالغيب صادق في الواقع.

ثالثاً : الدليل العقلي على تكفل رب العزة بحفظ سنة نبيه ﷺ :

يقول الدكتور رعوف شلبي : "ليس بلازم في الاحتمالات العقلية أن يكون المراد من الذكر القرآن الكريم وحده، لأمرين :

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٥٤٣، ٥٤٤ .

(٢) سبق تخريجه ص ٤٤ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٠١، كما سبق أن ذكرت أن ما ورد في الصحيحين بالانقصار على الوصية بالكتاب محمول كما قال الحافظ ابن حجر "لكونه أعظم وأهم واتباع الناس لما فيه عمل بكل ما أمرهم به النبي ﷺ في سنته المطهرة .

(٤) الآية ٩ من سورة الحجر .

١- أنه لو كان المراد من الذكر القرآن الكريم وحده؛ لصرح المولى ﷺ به باللفظ، كما صرح به فى كثير من الموضوعات كما فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (١). وقوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ (٣).

٢- لو كان المراد بالذكر القرآن لعبر عنه بالضمير (إننا نحن نزلناه) إذ افتتاح السورة فيه نص وذكر للقرآن ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٤) والتعبير بالضمير فى نظر اللغة أجدد؛ لأن العلم فى المرتبة الثانية من الضمير، إذ هو أعرف المعارف، وهو عمل يتفق مع منزلة القرآن، وتعتمده الصناعة الإعرابية.

وإذن : فليس بالختم أمام فهم العقل أن يكون المراد من الذكر هو القرآن فقط دون غيره، بل إن تفسير الذكر بالقرآن فقط احتمال بعيد فى نظر العقل؛ لعدم وجود مرشح لهذا التفسير يقوى على مواجهة الأمرين السالفين اللذين يقويان بالمنزلة والعرف النحوى.

وإنه لأقرب من هذا التفسير أحد الاحتمالين :

**الأول :** أن يكون المراد من الذكر الرسالة والشرف الذى استحقه الرسول ﷺ واتصف به بنزول النبوة والقرآن عليه، ويقوى عندنا هذا الاحتمال أمام نظر العقل افتتاح سورة "الحجر" حيث صورت مقالات الكافرين المعتدين على النبوة بأوصاف مفترها ذكرها رب العزة فى كتابه حكاية على لسانهم ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩).

فالآيتان الأوليان تصوران اتهامات الكافرين الكاذبة، والآيتان التاليتان ترد على هذه

(١) الآية ٩ من سورة الإسراء.

(٢) الآيتان ٢١، ٢٢ من سورة البروج.

(٣) الآية ١٧ من سورة القمر.

(٤) الآيات الأولى من سورة الحجر، وانظر : شفاء الصدور فى تاريخ السنة ومناهج المحدثين للدكتور السيد محمد نوح ١ / ٨٠.

(٥) الآيات ٦ - ٩ من سورة الحجر.

الانتهاكات، وتعد بحفظ الرسالة والشرف الذى نزل على رسول الله ﷺ.

ويرشح لهذا الاحتمال قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (١) فعود الضمير فى الآية "إنه" على ما ذكر قبلاً فى قوله تعالى : ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ (٢) دليل على أن التصريح به مراد الشرف، لا سيما ومن قبل ذلك قال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣). فذكر القرآن بالنص أولاً، وذكره بالوحي ثانياً، ووصف ذلك بأنه ذكر للنبي ﷺ ولقومه، مما يقوى الاحتمال العقلى، أن المراد من الذكر فى سورة الحجر هو الرسالة والشرف.

الثانى : أن يكون المراد من الذكر الشريعة مطلقاً، ويرشح لهذا الاحتمال ما تناولته السورة بعد الآية التى معنا فى ذكر موقف الأمم السابقة مع رسلهم، يقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤).

والأنبياء يكلفون الأمم بالشرائع، والشريعة : كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، والذى يستعرض حالات الأمم مع الأنبياء يقف أن محاجة الكافرين مع الرسل، تدور كلها حول التكليف الذى مصدره ما ينزله الله بالوحي المعبر عنهما بالكتاب والسنة؛ فالسنة ليست من المسائل الخاصة بالنبي ﷺ، كما سنبينه فى المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

وتكون الآية التى معنا قد نبهت على أمر خطير : هو أنه إذا كان الأمر فى الأمم السالفة ينتهى إلى إلغاء الشريعة بعد معارك عنيفة بين الرسل وأممهم؛ فإن هذه الشريعة قرآناً وسنة سيحفظها رب العزة إلى قيام الساعة من كيد أعدائه وأعداء دينه كما وعد فى قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٥).

(١) الآية ٤٤ من سورة الزخرف.

(٢) الآية ٤٣ من سورة الزخرف.

(٣) الآية ٣١ من سورة الزخرف.

(٤) الآيات ١٠-١٣ من سورة الحجر.

(٥) الآية ٩ من سورة الحجر.

وعلى ذلك فإن الذكر فى الآية مراد به الشريعة، ويكون الضمير فى قوله "له" عائد على الشريعة بمصدرها الأساسين القرآن الكريم، والسنة المطهرة<sup>(١)</sup>.

قلت : ومما يرشح لهذا الاحتمال الثانى : تفسير الإمام الشاطبى للحفظ المضمون فى الآية الكريمة؛ بأنه حفظ أصول الشريعة وفروعها فيقول : "من العلم ما هو من صلب العلم، ومنه ما هو ملح العلم لا من صلبه، ومنه ما ليس من صلبه ولا ملح . فهذه ثلاثة أقسام :

**القسم الأول :** هو الأصل والمعتمد، والذي عليه مدار الطلب، وإليه تنتهى مقاصد الراسخين وذلك ما كان قطعاً أو راجعاً إلى أصل قطعى . والشريعة المباركة المحمدية منزلة على هذا الوجه، ولذلك كانت محفوظة فى أصولها وفروعها؛ كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ لأنها ترجع إلى حفظ المقاصد التى بها يكون صلاح الدارين : وهى الضروريات والحاجيات، والتحسينات وما هو مكمل لها ومتمم لأطرافها وهى أصول الشريعة، وقد قام البرهان القطعى على اعتبارها، وسائر الفروع مستندة إليها، فلا إشكال فى أنها علم أصل، راسخ الأساس، ثابت الأركان<sup>(٣)</sup>.

يقول الدكتور رعوف شلبى : "لكن بقى أن يقال : كيف يعود الضمير على القرآن والسنة معاً، ولم يذكر إلا القرآن وحده؟ ولكننا نجد فى القرآن الكريم نفسه استعمالاً للضمير استناداً على ما يفهم من السياق، و مدلولات الحديث، يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾<sup>(٤)</sup>، فتلك صفات الخور العين مع أنه لم يجر لهم ذكر فى قسم أصحاب اليمين فى سورة الواقعة، ولكن السياق العام للسورة وما ذكر فى الأقسام السابقة يجعل الذهن يدرك أن الضمير عائد على أمر مفهوم الفحوى والسياق والأسلوب .

كذلك يقوى هذه الشهادة فى استعمال القرآن الضمير على ما يستند على الأسلوب النحوى، قوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى

(١) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رعوف شلبى ص ٢٥-٢٩ بتصرف .

(٢) الآية ٩ من سورة الحجر .

(٣) الموافقات للشاطبى ١ / ٣٢٢، ٧٠، ٢ / ٣٦٨ - ٣٧١ .

(٤) الآيات ٣٥ - ٣٧ من سورة الواقعة .

تَوَارَتْ بِالْجَبَابِ<sup>(١)</sup>. ففي قوله : "توارت" ضمير فاعل يعود على الشمس مع أنه لم يجر لها ذكر في السورة بالنص، ولكن السياق العام يجعل الذهن يدرك أن الضمير عائد على الشمس . وما معنا في آية الحجر من هذا القبيل والكل استعمال قرآني تركيه اللغة، ويقويه الإعراب القرآني، فليس هناك وجه للاعتراض، وعليه يسلم تفسير الذكر بالشرعة قرآناً وسنة<sup>(٢)</sup>.

قلت : وفيما سبق رد على ما زعمه كذباً الدكتور إسماعيل منصور بأنه : "لو كانت السنة من الذكر الذي نزله الله تعالى؛ للزم بيان ذلك الحكم صراحة، ولما صح إبهامه حتى يأتي من باب التأويل "الفاسد" الذي لا يصح بأي حال! فضلاً عن أن الذكر قد ورد صراحة في القرآن الكريم، ليدل على أنه القرآن الكريم وحده دون منازع - كما في قوله تعالى : ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٤)</sup> وغير ذلك من الآيات التي استدلت بها على أن الذكر هو القرآن الكريم وحده<sup>(٥)</sup>.

ونسلم لكم أيها المعاندون لحجة السنة أن المراد بالذكر؛ هو القرآن الكريم وحده، وأن الضمير في قوله تعالى . "له" عائد على القرآن المراد منه الذكر، ولكن الحصر الذي تستدلون به على أن السنة النبوية لم تدخل في دائرة الحفظ لقصره على القرآن فقط، وترتبون على هذا الحصر عدم صحة الاحتجاج بالسنة، وأنها ليست مصدراً من مصادر التشريع.

هذا الحصر ليس حصراً حقيقياً؛ بل هو حصر إدعائي، والدليل على ذلك؛ أن رب العزة قد حفظ أشياء كثيرة مما عداها منها :

١ - حفظه جل جلاله للسموات والأرض أن تزولا كما قال ﷻ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) الآية ٣٢ من سورة ص .

(٢) السنة بين إثبات الفاعلين ورفض الجاهلين ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) الآية ٥٠ من سورة الأنبياء .

(٤) الآية ٥٨ من سورة آل عمران .

(٥) انظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٣ - ٢٥ ، ٢٥٦ وما بعدها .

(٦) الآية ٤١ من سورة فاطر .

٢- حفظه جل جلاله لنبيه ﷺ من القتل كما قال ﷺ: «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>. وإذا فسدت حقيقة القصر؛ فقد فسد المترتب عليها : وهو عدم الاعتراف بحجية السنة المطهرة<sup>(٢)</sup>.

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق<sup>(٣)</sup> : "والحصر الإضافي بالنسبة إلى شيء مخصوص، يحتاج إلى دليل وقرينة على هذا الشيء المخصوص، ولا دليل عليه سواء أكان سنة أم غيرها.

فتقديم الجار والمجرور ليس للحصر، وإنما هو لمناسبة رؤوس الآي. بل: لو كان في الآية حصر إضافي بالنسبة إلى شيء مخصوص: لما جاز أن يكون هذا الشيء هو السنة؛ لأن حفظ القرآن متوقف على حفظها، ومستلزم له بما أنها حصنه الحصين، ودرعه المتين، وحارسه الأمين، وشارحه المبين؛ تفصل مجمله، وتفسر مشكله، وتوضح مبهمه، وتقيد مطلقه، وتبسط مختصره، وتدفع عنه عبث العابثين، ولهو اللاهين، وتأويلهم إياه على حسب أهوائهم وأغراضهم، وما يمليه عليهم رؤساؤهم وشياطينهم. فحفظها من أسباب حفظه، وصيانتها صيانة له.

ولقد حفظها الله تعالى كما حفظ القرآن فلم يذهب منها - والله الحمد - شيء على الأمة؛ وإن لم يستوعبها كل فرد على حدة"<sup>(٤)</sup>.

**رابعاً : الدليل التاريخي على تكفله جل جلاله بحفظ السنة كما تكفل بحفظ القرآن الكريم :**

أنه لو تتبع أعداء الإسلام الحوادث والتاريخ، وتتبعوا السيرة النبوية العطرة؛ لظهر لهم بكل جلاء ووضوح وبما لا يدع مجالاً للشك؛ أن سنة المصطفى ﷺ نالت من العناية والاهتمام لدى المسلمين ما لم تنله سيرة أى عظيم من العظماء، ولا بطل من

(١) جزء من الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رعوف شلبى ص ٣١، ٣٠. بتصرف.

(٣) عبد الغنى : هو عبد الغنى محمد عبد الخالق، نشأ في أسرة علمية عرفت بالعلم والدين والفضل، ولها نصيب من النسب الشريف، تخرج من كلية الشريعة عام ١٩٣٥، وحصل على درجة العالمية (الدكتوراه) في أصول الفقه سنة ١٩٤٠م، وقد تخرج على يديه أجيال من العلماء الأجلاء. من مؤلفاته : حجية السنة، مات سنة ١٩٨٣ . انظر : ترجمته في كتابه حجية السنة ص ٥-١٨ بقلم الدكتور طه العلوانى .

(٤) حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص ٣٩٠، ٣٩١ .

الأبطال، ولا رئيس من الرؤساء، ولا ملك من الملوك. ذلك أن رسول الله ﷺ في واقع الأمر ليس إنساناً عادياً، ولا رسولاً عادياً، ولا قائداً يشبه في أخلاقه وصفاته الإنسانية أحداً، "فهو أفق وحده لا يدانيه أفق" ولذلك كان هو الأسوة، وهو النبراس المضيء.

أدرك هذه الحقيقة أصحابه وتابعوهم، والمسلمون من بعدهم فعكفوا على نقل، وتدوين وحفظ، وتطبيق كل ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، حتى الحركات والسكنات، وبالجمل. نقلت حياته برمتها وكلياتها وجزئياتها في عباداته ومعاملاته، في سلمه وحرابه، وفي نومه ويقظته، في أدق الأمور، وفيما نعه من أسرار حياتنا كمعاشرتة، إلى غير ذلك بصورة لم تحظ بها سيرة أحد غيره من البشر.

وهذا يمثل إشارة قوية إلى أن الله ﷻ تكفل بحفظ هذه السنة بما هيأ لها من رجال أفنوا أعمارهم في ضبطها والسهر عليها، وتدوينها، وحفظها، وشرحها، وتمييز صحيحها من سقيمها؛ فنقشوها في صفحات قلوبهم الأمانة، وفي كتبهم الواعية، فكان تكفله ﷻ بحفظ كتابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>. يشمل السنة النبوية حيث قيض الله لها من الرواة الثقات والأئمة الأعلام، ما قيض لكتابه العزيز من ثقات كل قرن، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها.

ولولا إرادة المولى ﷻ بحفظها، لاندثرت مع تعاقب الدهور لكثرة ما وجه إليها من طعون، ولكثرة ما صادفت من أعداء أضرموا لها شراً، وأرادوا بها سوءاً، فجعلهم الله الأخسرين بما قيض لها من الرجال الأوفياء في كل عصر، وفي كل جيل، وفي كل مكان<sup>(٢)</sup>.

وأخيراً فإننا لا نستطيع إلا أن نرتاب في أمر هؤلاء الناس الذين قرروا إطلاق أنفسهم من ربة القرآن الكريم وأحكامه، قبل أن يقرروا إطلاقها من مقتضيات السنة وأحكامها. ولكن شق عليهم أن يواجهوا الناس بخروجهم على القرآن الكريم

(١) الآية ٩ من سورة الحجر.

(٢) انظر: مؤتمر السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة بحث الشيخ عز الدين الخطيب وتعقيب فضيلة الأستاذ للدكتور/ أحمد عمر هاشم ٢ / ٥٨ - ٥٦٠، ٦٠٢ بتصرف، وراجع: هنا مبحث "الحديث النبوي تاريخ الإسلام" ص ٥٦.

وتعليماته، فأضافوا إلى القرآن الكريم ما لا مضمون له إلا ما تهواه أنفسهم ويتفق مع رغائبهم وأغراضهم ... وكان غرضهم الوحيد من ذلك هو أن يبعدوا السنة عن طريقهم ويقطعوا ما بينها وبين القرآن الكريم من علاقة التفسير والتكامل والبيان.

وقد سبقهم إلى ذلك - فى عصور سالفة - بعض الزنادقة والمارقين. فما كان حالهم فى الظهور والافتضاح إلا شراً ممن جاهرُوا بالكفر والعصيان ومحاربة كتاب الله ﷻ وغدت الأمة الإسلامية تتقى شرهم أكثر مما تتقى مجاهرة الكافر بكفره، والفاسق بنفسه (١).

"نعم" إن الاختصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم، خارجين عن الطريقة المثلى، وخارجين عن السنة المطهرة، فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله فضلوا وأضلوا" (٢) أ.هـ.

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

(١) مؤخر السنة ومنهجها فى بناء المعرفة والحضارة بحث الدكتور محمد البوطى ٢ / ٤٦٢ .

(٢) الموافقات للإمام الشاطبى ٤ / ٤٠١، ٤٣٢ بتصرف .

## المبحث الثاني

### شبهات بُنِيَتْ على أحاديث من السنة النبوية

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب :

- ١ - المطلب الأول : شبهة عرض السنة على القرآن الكريم والرد عليها .
- ٢ - المطلب الثاني : شبهة عرض السنة النبوية على العقل والرد عليها .
- ٣ - المطلب الثالث : وفيه الشبه الآتية:
  - ١- شبهة النهي عن كتابة السنة والرد عليها .
  - ٢- شبهة التأخر في تدوين السنة والرد عليها .
  - ٣- شبهة رواية الحديث بالمعنى والرد عليها .
  - ٤- شبهة كثرة الوضعيين للحديث والرد عليها .



## تمهيد :

بعد أن تحايل أعداء السنة المطهرة على بعض آيات من القرآن الكريم ليحوروا معانيها، ويستدلوا بهذا التحوير على صحة الاحتجاج بالسنة النبوية، نجدهم هنا باسم السنة ونصوصها يستشهدون بها أيضاً على إنكار حجيتها، ويتظاهرون بحرصهم على السنة، بل هم بإنكارهم حجيتها أشد حرصاً على السنة من المؤمنين بحجيتها<sup>(١)</sup> .

وهكذا عكس المشاغبون القضية ، ونظروا في السنة النبوية المطهرة، فما وافق دعواهم منها قبلوه ، واعترضوا به على منازعيهم واحتجوا به مع وضعه أو ضعفه سنداً ودلالة، وهذا العمل مع جهائه أخطر منطق عكسي في التدليل على فساد الشيء بمادته، نصاً وأسلوباً ؛ لأنه إذا كان من الخطأ والخطأ<sup>(٢)</sup> والخطر قبول الأحاديث الباطلة والموضوعة، وعزوها إلى رسول الله ﷺ ، فمثله في البطلان رد الأحاديث الصحاح الثابتة بالهوى والعجب والتعالم على الله ورسوله، وسوء الظن بالأمة وعلمائها وأئمتها في أفضل أجيالها ، وخير قرونها .

إن قبول الأحاديث المكنوبة يدخل في الدين ما ليس منه ، أما رد الأحاديث الصحيحة، فيخرج من الدين ما هو منه ، ولا ريب أن كليهما مرفوض مذموم: قبول الباطل ورد الحق<sup>(٣)</sup> .

ولأعداء السنة المطهرة شبهات على عدم حجية السنة بنوها على أحاديث مكذوبة، وضعيفة، وأخرى صحيحة مع ضعف دلالتها على ما احتجوا به . وسوف نذكر تلك الشبهات في ثلاثة مطالب :

---

(١) انظر : السنة ودورها في الفقه الجديد للأستاذ جمال البنا حاشية الكتاب (نحن أحرص على السنة منكم) ص ٢٦٧ .

(٢) السنة الإسلامية للدكتور رعوف شليبي ص ٣٣ .

(٣) الخطأ : المنطق الفاسد المضطرب وقد «عطل» في كلامه من باب طرب و (أعطل) أي أفحش .

انظر : مختار الصحاح ص ١٨١ ، والقاموس المحيط ٣ / ٣٥٧ .

(٤) مؤتمر السنة ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة بحث الدكتور يوسف القرضاوي ٢ / ٧٩٥ ، ٧٩٦ .

## المطلب الأول

### شبهة عرض السنة النبوية على القرآن الكريم والرد عليها

احتج خصوم السنة النبوية على عدم حجيتها بأحاديث من وضع الزنادقة، تدور في ظنهم على وجوب كل ما يروى من أحاديث على كتاب الله ﷻ ومقارنتها به ، فإن كانت توافق الكتاب ؛ فهي حجة يجب التمسك بها ، والعمل بمقتضاها، وإن كانت تخالف الكتاب ولو مخالفة ظاهرة يمكن الجمع بينهما ؛ فهي باطلة مردودة لم يقلها النبي ﷺ وليست من سنته، ومن هذه الأحاديث التي يستشهدون بها :

١- ما روى أنه ﷺ دعا اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام . فصعد النبي ﷺ المنبر ، فخطب الناس فقال : « إن الحديث سيفشوا عني ، فما أتاكم يوافق القرآن : فهو عني ، وما أتاكم عني يخالف القرآن : فليس عني » .

٢- ومن ذلك قوله ﷺ ، «إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه» وفي رواية: «لا يمسكن الناس على شيء فإني لا أحل لهم إلا ما أحل الله، ولا أحرم إلا ما حرم الله» .

٣- ومن ذلك أن بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - سأل النبي ﷺ هل يجب الوضوء من القيء ؟ فأجاب ﷺ : « لو كان واجباً لوجدته في كتاب الله تعالى » .

٤- ومن ذلك قوله ﷺ « السنة سنتان : سنة في فريضة وسنة في غير فريضة، السنة التي في الفريضة أصلها في كتاب الله أخذها هدى، وتركها ضلالة، والسنة التي ليس أصلها في كتاب الله الأخذ بها فضيلة ، وتركها ليس بخطيئة » .

● واستدل بالحديث الأول قديماً الشيعة الإثنى عشرية كما رواه الكليني في الكافي<sup>(١)</sup> . والرافضة منهم ، والزنادقة كما حكاه الحافظ السيوطي في مفتاح الجنة<sup>(٢)</sup> ، والطائفة التي ردت الأخبار كلها وناظر الإمام الشافعي واحداً من أتباعها<sup>(٣)</sup> ،

(١) أخرجه الكليني في الكافي كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ١ / ٦٩ رقم ٥ عن أبي عبد الله عليه السلام، وانظر : الشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص ٢٤٤ .

(٢) مفتاح الجنة ص ١٣ ، ١٤ .

(٣) الرسالة ٢٢٥ .

وأهل الرأي كما حكاه أحمد أمين في فجر الإسلام<sup>(١)</sup>. والمعتزلة وهو أحد الأصوب الخمسة عند الإمام القاسم بن إسماعيل الرسي كما سبق في أصول المعتزلة<sup>(٢)</sup> وحديثاً استدل به الدكتور توفيق صدقي<sup>(٣)</sup>، ويحيي كامل أحمد<sup>(٤)</sup>.

● واستدل بالحديث الثاني الدكتور توفيق صدقي<sup>(٥)</sup>، والأستاذ جمال البنا<sup>(٦)</sup>.

● واستدل بالحديث الثالث الدكتور توفيق صدقي<sup>(٧)</sup>.

● واستدل بالحديث الرابع الأستاذ جمال البنا<sup>(٨)</sup>، كما استدل بحديث «عبد الله بن أبي أوفى»<sup>(٩)</sup> في وصية النبي ﷺ في مرض موته بالاعتصام على كتاب الله ﷻ<sup>(١٠)</sup>، ونقل كلام الحافظ ابن حجر مبتوراً، وسبق بيان ذلك كما سبق بيان المراد من الأحاديث المرفوعة والموقوفة بالاعتصام على كتاب الله وحده<sup>(١١)</sup>.

وحجة المنكرين لحجية السنة النبوية من الروايات السابقة: أنها تفيد عرض السنة على القرآن فما وافق القرآن فهو من السنة، وتكون السنة في هذه الحالة لمحض التأكيد، والحجة هو القرآن فقط، وما خالف القرآن يثبت حكم شرعي جديد؛ فهو ليس من السنة، ولم يقله النبي ﷺ ولا حجة فيه.

(١) فجر الإسلام ص ٢٢٤، وانظر: البحر المحيط للزركشي عزاه إلى أكثر المتكلمين ٤ / ٣٥١.

(٢) راجع: إن شئت ما سبق في أصول المعتزلة وموقفهم من السنة ص ١١٠، ١٠٥، وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٨٤.

(٣) مجلة المنار المجلد ٩ / ٥٢٣.

(٤) تطبيق الشريعة بين الحقيقة وشعارات الفتنة ص ١٢.

(٥) مجلة المنار المجلد ٩ / ٩٠٧.

(٦) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٢٤٦.

(٧) مجلة المنار المجلد ٩ / ٩٠٧.

(٨) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٢٤٦.

(٩) عبد الله بن أبي أوفى: صحابي جليل له ترجمة في: الاستيعاب ٣ / ٨٧٠ رقم ١٤٧٨، واسد الغابة ٣ / ١٨١ رقم ٢٨٣٠، وتاريخ الصحابة ص ١٥٥ رقم ٧٤٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٢ رقم ٣٢٠، وتحرير أسماء الصحابة ١ / ٢٩٩، والإصابة ٢ / ٢٧٤ رقم ٤٥٧٣.

(١٠) أخرجه البخاري (شرح فتح الباري) كتاب الوصايا، باب الوصايا، وقول النبي ﷺ (وصية الرجل مكتوبة عنده) ٥ / ٤٢٠ رقم ٢٧٤٠، ومسلم (شرح النووي) كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ٩٨ / ٦ رقم ١٦٣٤.

(١١) راجع: إن شئت ص ٢٠١، ٢٠٢.

يقول محمد نجيب : «إِذَا كَانَتْ سَنَةُ الرَّسُولِ وَحَدِيثُهُ مُتَّفَقَةٌ مَعَ سَنَةِ اللَّهِ وَحَدِيثُهُ فَاتَّبَاعُهَا حُكْمٌ مِنْ مَتَابِعِهَا أَنَّهَا أَحْسَنُ مِنْ سَنَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهَا حَدِيثٌ خَيْرٌ مِنْ حَدِيثِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا إِلَّا تَكْذِيبُ اللَّهِ الْقَائِلِ : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾<sup>(١)</sup> وهذا يحتم عدم الأخذ بسنة غير الله ، وحديث غير الله ، ولو كان متفقاً مع كلام الله فاتباعه خلط لدين الإنسان ، وخروج عن الدين الخالص لله وحده إذ بذلك يكون الدين خليطاً .

أما إذا كانت السنة والحديث غير متفقة مع كلام الله ، وحديث الله ، وسنة الله ، فلا يمكن أن يعمل بها مسلم ، أو أن يقبلها<sup>(٢)</sup> .

يقول الدكتور أحمد صبحي منصور : «..... مع أهمية المناقشة بالقرآن لكل ما جاء في التراث من أحكام فقهية وروايات خرافية<sup>(٣)</sup> .

ويقول الأستاذ جمال البنا : «هناك أحاديث جاءت بما لم يأت به القرآن ، نحن نحكم عليها في ضوء القرآن ، فما لا يخالف القرآن يقبل ، وما يخالفه يستبعد ، فتحریم زواج المرأة على عمتها وخالتها . وتحریم لحم الحمر الأهلية ، أمور لا نرى مانعاً فيها ، ونجد فيها قياساً سليماً<sup>(٤)</sup> .

وهكذا اتخذ أعداء السنة من منهج عرض السنة على القرآن الكريم قاعدة ينطلقون منها للتشكيك في حجية السنة المطهرة وهدمها . وهم يصرحون بتلك الحقيقة وأهدافها .

يقول الأستاذ جمال البنا : « وإذا كان تطبيق هذا المعيار<sup>(٥)</sup> يودي بمئات ، أو أكثر من الأحاديث التي احتفظ بها المجتمع الإسلامي لألف عام ؛ فقد لا يكون من المبالغة القول : إن هذا الاحتفاظ كان من أكبر أسباب تخلف هذا المجتمع ، وأنه لن يتقدم إلا

(١) الآية ٢٣ من سورة الزمر .

(٢) انظر : الصلاة ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٣) انظر : مجلة روزاليوسف العدد ٣٥٦٣ ص ٣٦ ، وانظر : البحث في مصادر التاريخ الديني لأحمد صبحي منصور ص ٤٠ ، ٢٨٧ .

(٤) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٢٥٤ ، وسيأتي الرد على ذلك وأنه غير مخالف للقرآن في مبحث أدلة حجية السنة ص ٥٣٣ .

(٥) يعني معيار عرض السنة على القرآن بمفهوم أعداء السنة .

عندما يتخلص من هذه الأحاديث التي تخالف القرآن، أو تفتات عليه وتودي بالمسلمين إلى مناهات تبعدهم عما يحبيهم ويحقق لهم العزة والكرامة<sup>(١)</sup> .

ويقول في موضع آخر: «وقد تملكنا الدهشة عندما نرى إعمال هذا المعيار سيجعلنا نستبعد قرابة نصف الأحاديث المتداولة بين الناس»<sup>(٢)</sup> .

وفي موضع ثالث يقول : « إذا طبقنا هذا المعيار - معيار القرآن الكريم - على الأحاديث دون تطويع أو تكلف أو ابتسار كما فعلنا هنا لأدى إلى استبعاد قرابة ألفين أو ثلاثة آلاف حديث نصفها على الأقل مما جاء في الصحيحين »<sup>(٣)</sup> .

والحق لو صدق في قوله لقال : «معيار عرض السنة على القرآن بمفهومه، يودى بالسنة كلها؛ لأنه إذا كان من قواعد المحدثين في نقد الحديث متناً ألا يخالف القرآن الكريم ، فالمراد هنا بالمخالفة التي لا تحتل التأويل، ولا يمكن الجمع بينهما، لا مجرد المخالفة الظاهرية كما فهم أعداء السنة المطهرة .

ومن قاعدة عرض السنة على كتاب الله ﷻ ، انطلق أعداء الإسلام من الرافضة والزنادقة يشككون في حجية السنة المطهرة وتابعهم دعاة الفتنة وأدعياء العلم؛ أمثال الدكتور أحمد صبحي منصور<sup>(٤)</sup>، وإسماعيل منصور<sup>(٥)</sup> ، ومحمود أبو رية<sup>(٦)</sup> ، ومحمد نجيب<sup>(٧)</sup> ، وقاسم أحمد<sup>(٨)</sup> وغيرهم ممن سبق ذكرهم وفيما يلي الجواب عن شبهتهم هذه.

### أولاً : الجواب عن درجة أحاديث عرض السنة على القرآن:

أما الحديث الأول : « إن الحديث سيفشوا عنى ... إلخ » والذي يحدد به أعداء الإسلام تسعة أعشار السنة التي تلقاها العلماء بالقبول في جميع الأعصار والأمصار.

(١) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٨ .

(٣) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٢٦٥ .

(٤) مجلة روزاليوسف العدد ٣٥٦٣ ص ٣٥ .

(٥) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ١٨ - ٢٠ .

(٦) أضواء على السنة ص ١٩ ، ٣٩١ - ٣٩٥ .

(٧) الصلاة ص ٢٧٩ .

(٨) إعادة تقويم الحديث ص ١٣٦ .

على حد قول الدكتور محمد أبو زهو - رحمه الله تعالى - .

هذا الحديث لا وزن له عند نقاد الحديث وصيافته فقد روي من طرق كلها ضعيفة<sup>(١)</sup> عن علي<sup>(٢)</sup> ، وأبي هريرة<sup>(٣)</sup> ، وابن عمر ، وثوبان<sup>(٤)</sup> - رضي الله عنهم أجمعين .

وتكلم العلماء عن هذا الحديث كلاماً يستلزم أن يكون من أشد الموضوعات أو الضعيف المردود ونختار من أقوالهم ما يأتي :

**قال الإمام الشافعي :** «ما روي هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغر ولا كبر .. وإنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء»<sup>(٥)</sup> .

**ويعلق الأستاذ أحمد شاكر<sup>(٦)</sup> في تحقيقه لكتاب الرسالة على هذا الحديث فيقول:** «هذا المعنى لم يرد فيه حديث صحيح ولا حسن، بل وردت فيه ألفاظ كثيرة، كلها موضوع، أو بالغ الغاية في الضعف، حتى لا يصلح شيء منها للاحتجاج أو الاستشهاد»<sup>(٧)</sup> .

**وقد كتب الإمام الحافظ أبو محمد بن حزم في هذا المعنى فصلاً نفيساً جداً في**

---

(١) الحديث والمحدثون ص ٢١١ .

(٢) حديث علي عليه السلام أخرجه الدارقطني في السنن كتاب في الأقضية والأحكام ، باب كتاب عمر عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري ٢٠٨ / ٤ رقم ٢٠ وقال الدارقطني : والصواب عن عاصم عن زيد عن علي بن الحسين مرسل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال العلامة العظيم آبادي في التعليق المغني على الدارقطني ٢٠٨ / ٤ ، ٢٠٩ الحديث فيه جبارة بن المغلس ضعفه ابن معين ، وقال البخاري مضطرب الحديث وقال السخاوي ، وقد سئل شيخنا - يعني ابن حجر - عن هذا الحديث فقال : إنه جاء من طرق لا تخلو عن مقال ، وانظر : في ترجمة جبارة الضعفاء والمزكوكين للنسائي ص ٧٢ رقم ١٠٣ ، والمجروحون لابن حبان ١ / ٢٢١ .

(٣) حديث أبي هريرة رواه الدارقطني أيضاً في نفس الأماكن السابقة برقم ١٧ وقال الدارقطني عقبه فيه «صالح بن مةسي» ضعيف لا يحتج بحديثه .

(٤) حديث ابن عمر ، وثوبان أخرجهما الطبراني في الكبير ١٢ / ٣١٦ رقم ١٣٢٢٤ ، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٧٠ حديث بن عمر فيه أبو حنيفة عبد الملك بن عبد ربه وهو منكر الحديث . وحديث ثوبان فيه «لا يزيد بن ربيعة وهو متروك منكر الحديث، انظر : مجمع الزوائد ١ / ١٧٠ ، والموضوعات لابن الجوزي ١ / ٢٥٨ .

(٥) الرسالة للشافعي ص ٢٢٥ .

(٦) أحمد شاكر : هو العلامة محمد شاكر ، يكنى : أبا الأشبال محدث ومحقق ، وقاضي شرعي ، وعضو المحكمة الشرعية العليا «سابقاً» من مؤلفاته الباعث الخبيث شرح اختصار علوم الحديث ، ونظام الطلاق في الإسلام ، وغير ذلك . مات سنة ١٣٧٧ هـ . انظر : ترجمته في كتابه كلمة الحق بقلم الأستاذ محمود محمد شاكر .

(٧) الرسالة للشافعي ص ٢٢٤ .

كتابه «الإحكام» روى فيه بعض ألفاظ هذا الحديث المكذوب، وأبان عن عللها فشفى، فأثبت أن منها : ما هو متهم بالزندقة، أو كذاب ساقط لا يؤخذ حديثه، أو مجهول ، أو ضعيف ، ومنها ما هو مرسل ، ومنها ما جمع بينهما.

ثم قال : أول ما نعرض على القرآن الحديث الذي ذكرتموه، فلما عرضناه وجدنا القرآن يخالفه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ﴿لَتُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام البيهقي<sup>(٤)</sup> : «والحديث الذي روى في عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن»<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام بن عبد البر<sup>(٦)</sup> : « وقد أمر الله ﷻ بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً جماً لم يقيد بشئ، كما أمرنا باتباع كتاب الله، ولم يقل وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ، قال عبد الرحمن بن مهدي : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ... وهذه الألفاظ لاتصح عنه ﷻ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيم، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم، وقالوا : نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل

(١) الآية ٧ من سورة الحشر .

(٢) الآية ٨٠ من سورة النساء .

(٣) الآية ١٠٥ من سورة النساء .

(٤) الإمام البيهقي: هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، كان أوجد أهل زمانه في الإلتقان والحفظ والفقہ والتصنيف، كان فقيهاً وأصولياً وإماماً من أئمة الحديث، من مصنفاته: السنن الكبرى ، ودلائل النبوة، توفي سنة ٤٥٨ هـ . له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٢ رقم ١٠١٤ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٣٣ رقم ٩٧٩ ، ووفيات الأعيان ١ / ٧٥ رقم ٢٨ ، طبقات الشافعية لابن السبكي ٤ / ٨ رقم ٥٠ ، والبداية والنهاية ١٢ / ٩٤ ، وشذرات الذهب ٣ / ٣٠٤ .

(٥) دلائل النبوة ١ / ٢٧ .

(٦) الإمام ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، أبو عمر، كان حافظ علماء الأندلس، وكبير محدثيها في وقته، وكان أولاً ظاهرياً ثم صار مالكيّاً، فقيهاً حافظاً كثيراً عالماً بالقراءات والحديث والرجال، والخلاف ، كثير الميل إلى أقوال الشافعي، من مصنفاته. التمهيد شرح الموطأ ، والاستذكار مختصره، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وجامع بيان العلم وفضله. وغير ذلك مات سنة ٤٦٣ هـ . له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٢٨ رقم ١٠١٣ ، وطبقات للسيوطي ص ٤٣١ ، ٤٣٢ رقم ٩٧٨ ، والديباج المذهب لابن فرحون ص ٤٤٠ رقم ٦٢٦ ، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢ / ٤٥٨ رقم ٢٣ ، والرسالة المستطرفة ص ١٥ ، وشجرة النور الزكية ١ / ١١٩ رقم ٣٣٧ .

كل شيء، ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه لكتاب الله؛ لأننا لم نجد في كتاب الله ألا يقبل من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسى به، والأمر بطاعته، ويحذر المخالفة عن أمره جملة على كل حال»<sup>(١)</sup> أ. هـ .

وقال فضيلة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف معقباً على تقوية ابن عراق للحديث<sup>(٢)</sup>، تبعاً للسيوطي<sup>(٣)</sup> : «الحديث باطل منكر جداً، كما قال العقيلي وغيره، ومحاولة المؤلف تبعاً للسيوطي تقويته غلط، فإن الحديث من وضع بعض الزنادقة للتلاعب بالسنة، وغفل السيوطي، ثم المؤلف - رحمهما الله - عن هذا المقصد الخبيث»<sup>(٤)</sup>.

أما الحديث الثاني : إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ... إلخ فأخرجه الشافعي<sup>(٥)</sup>، والبيهقي<sup>(٦)</sup>، ومن من طريق طاووس<sup>(٧)</sup>، وقال الإمام الشافعي: هذا

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ١٩٠، ١٩١، وانظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٢٩١، وإرشاد الفحول ١ / ١٥٧، ١٥٨، وكشف الخفاء للعجلوني ١ / ٧٦، رقم ٢٢٠، ٢ / ٣٨٦ .

(٢) تنزيه الشريعة ١ / ٢٦٤، ٢٦٥، وانظر: الموضوعات لابن الجوزي ١ / ٢٥٨ .

(٣) اللآلئ المصنوعة ١ / ١٩٥، والنكت البديعات على الموضوعات ص ٤٨، ٤٩ رقم ٢٣ .

(٤) تنزيه الشريعة ١ / ٢٦٥ هامش . وفيما سبق رد على الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله تعالى - في تقويته للحديث في كتابه (محاث من تاريخ السنة وعلوم الحديث) ص ٢٩، ٣٠ . وفيما سبق أيضاً رد على إدعاء جولدتهير بأن المحدثين يقررون احتجاجاً بهذا الحديث، انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٥٥، وأعجب من إدعاء جولدتهير، إدعاء أحد أدعياء العلم وهو يحيى كامل أحمد الذي وصف الذين حكموا بوضع هذا الحديث بأنهم ملاحدة قاتلا : [إن بعض الملاحدة زعموا أن هذا الحديث (فيما جاءكم عنى فأعرضوه على كتاب الله ..) من وضع الزنادقة، ليبيحوا لأنفسهم عدم التقيد بآيات القرآن، للتقول في أمور الدين بما يشاءون.. فيرددون الأباطيل والإسرائيليات والخرافات بدعوى أنها أحاديث للرسول ﷺ على حين أن القرآن يسقطها، ويثبت كذبها بتعارضها مع آياته الكريمة] أ. هـ . انظر تطبيق الشريعة بين الحقيقة وشعارات الفتنة ص ١٢، ١٣، والشريعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص ٢٥١، ٢٥٢ .

(٥) الأم كتاب جامع العلم، باب الصوم ٧ / ٢٨٨، وفي كتاب الصلاة، باب صلاة المريض ١ / ٨٠، ٨١ .

(٦) المدخل إلى السنن والآثار كتاب السير، باب الرجل يموت في أرض العدو قبل الغنيمة ١٣ / ١٥٥ رقم ١٧٧٤٢ .

(٧) طاووس: هو طاووس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن، يقال اسمه ذكوان، وطاووس لقب، من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث ونقشفا في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك، أصله من الفرس، ولكنه ولد في اليمن، متفق على توثيقه مات سنة ١٠٦ هـ له ترجمة في: صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ / ٢٨٤ رقم ٢٤٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٥٠ رقم ٩٥٥، والثقات لابن حبان ٤ / ٣٩١، الثقات للعجلي ص ٢٣٤، رقم ٧٢٠، والثقات لابن شسامين ص ١٨٢ رقم ٥٨٧، وتقريب التهذيب ١ / ٤٤٨ رقم ٣٠٢٠، والكاشف ١ / ٥١٢ رقم ٢٤٦١، ووفيات الأعيان ٢ / ٥٠٩ رقم ٣٠٦ .

منقطع، وكذلك صنع ﷺ ، وافترض عليه أن يتبع ما أوحى إليه، ونشهد أن قد اتبعه ﷺ وما لم يكن فيه وحي فقد فرض الله في الوحي اتباع سنته، فمن قبل عنه فإنما قبل بفرض الله قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) .

قال البيهقي : وقوله في الحديث : «في كتابه» إن صحت هذه اللفظة فإنما أراد فيما أوحى إليه، ثم ما أوحى إليه نوعان؛ أحدهما وحي يتلى، والآخر وحي لا يتلى (٢).

ويشهد لما قاله البيهقي في أن المراد بكلمة «في كتابه» أعم من القرآن ، ويشمل الوحي بنوعيه، المتلو ، وغير المتلو . قوله ﷺ لوالد الزاني بامرأة الرجل الذي صالحه على الغنم والخادم : «والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد. وعلى ابنك جلد مائة ، وتغريب عام» (٣) قال الحافظ ابن حجر: المراد بكتاب الله ما حكم به وكتب على عباده، ويؤيده رواية القرآن وهو المتبادر. وقال ابن دقيق العيد (٤) : الأول أولى ؛ لأن الرجم والتغريب ليسا مذكورين في القرآن إلا بواسطة أمر الله باتباع رسوله، قيل وفيما قال نظر لاحتمال أن يكون المراد ما تضمنه قوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (٥) فيبين النبي ﷺ أن السبيل جلد البكر ونفيه، وجلد الثيب ورجمه، فيما رواه الإمام مسلم عن عبادة بن الصامت ﷺ (٦) قال : قال

(١) جزء من الآية ٧ من سورة الحشر.

(٢) مفتاح الجنة ص ٤٢، ٤٣.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزنا ١٢ / ١٤٠ رقم ٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨ . وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا ٦ / ٢١٤ رقم ١٦٩٧ ، ١٦٩٨ واللفظ له .

(٤) ابن دقيق العيد : هو محمد بن علي وهب المنفلوطي ، تقي الدين أبو الفتح، إمام حافظ فقيه، كان من أذكى زمانه ، وقل أن ترى العيون مثله، وله يد طويلة في الأصول والمعقول، ولي قضاء الديار المصرية وتخرج به أئمة ، من مصنفاته: الاقتراح في علوم الحديث، وشرح العمدة، مات سنة ٧٠٢ هـ له ترجمة في : طبقات الحفاظ للسيوطي ٥١٦ رقم ١١٣٤ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ١٤٨١ رقم ١١٦٨ ، والرسالة المستطرفة للكتاني ص ١٨٠ ، والديباج المذهب لابن فرحون ص ٤١١ رقم ٥٦٦ ، والدرر الكامنة ٤ / ٩١ رقم ٢٥٦ ، والبداية والنهاية ١٤ / ٢٧ ، وشذرات الذهب ٦ / ٥ ، والوأي بالوفيات ٤ / ١٩٣ .

(٥) الآية ١٥ من سورة النساء.

(٦) عبادة بن الصامت : صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب ٢ / ٨٠٧ رقم ١٣٧٢ ، واسد الغابة ٣ / ١٥٨ رقم ٢٨٩١ ، وتاريخ الصحابة ص ١٩٠ رقم ١٠٠٤ ، والإصابة ٢ / ٢٦٨ رقم ٤٥١٥ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٦ رقم ٣٣٤ .

رسول الله ﷺ: «خذوا عني . خذوا عني . قد جعل الله لهن سبيلا . البكر بالبكر جلد مائة جلدة مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب . جلد مائة والرجم» (١) .  
قال الحافظ ابن حجر قلت: وهذا أيضًا بواسطة التبيين» (٢) .

وقلت : حتى لو صحت هذه اللفظة «في كتابه» وحملت على المتبادر منها وهو القرآن الكريم . فلا حجة في الحديث للمنكرين لحجية السنة، فالحديث عليهم لا لهم؛ لأن ما يحرمه أو يحله الرسول ﷺ ، هو حرام أو حلال في كتاب الله ﷻ الذي أمر بطاعته، ونهى عن مخالفته ﷺ . ويؤيد ذلك ما ثبت في صحيح السنة من حديث المقدم بن معد يكرب الكندي (٣) ؛ أن رسول ﷺ قال: «يوشك الرجل متكننا على أريكته، يحدث بحديث من حديثي ، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ﷻ، فما وجدنا من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله ﷻ» (٤) .

قال الإمام الشافعي معقبًا : فقد ضيق رسول الله ﷻ على الناس أن يردوا أمره بفرض الله ﷻ عليهم اتباع أمره (٥) وقال الإمام البيهقي: وهذا خير من رسول الله ﷻ عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعده ﷺ (٦) .

أما حديث: لا يمسكن الناس على بشيء ... إلخ فأخرجه الإمام الشافعي وقال: إنها

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحدود، باب حد الزني ٦ / ٢٤٠ رقم ١٦٩٠ .

(٢) انظر : فتح الباري ١٢ / ١٤٢ - ١٤٤ رقمي ٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨ .

(٣) المقدم بن معد يكرب: صاحبي حليل له ترجمة في : الاستيعاب ٤ / ١٤٨٢ رقم ٢٥٦٢ ، واسد الغابة ٥ / ٢٤٤ رقم ٥٠٧٧ ، وتاريخ الصحابة ص ٢٤٠ رقم ١٣١٧ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٩ رقم ٣٦٥ ، والإصابة ٣ / ٤٥٥ رقم ٨٢٠٢ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في لزوم السنة ٤ / ٢٠٠ رقم ٤٦٠٤ ، والترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ٥ / ٣٦ رقم ٢٦٦٤ وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه ابن ماجة في سننه المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷻ والتغليظ على من عارضه ١ / ٢٠ رقم ١٢ ، واللفظ له وابن حبان في صحيحه (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان)، باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلاً وأمرًا وزجرًا ١ / ١٠٧ رقم ١٢ ، والحاكم في المستدرک ١ / ١٩١ رقم ٣٧١ ، وسكوت عنه الحاكم والذهبي، وصححه أحمد شاكر في هامش الرسالة للشافعي ص ٩٠ ، ٩١ .

(٥) الرسالة للشافعي ص ٢٢٦ .

(٦) دلائل النبوة للبيهقي ١ / ٢٥ .

من رواية طاووس وهو حديث منقطع<sup>(١)</sup> . وأخرجه ابن حزم مرسلًا في الإحكام<sup>(٢)</sup> ، وقال : إلا أن معناه صحيح؛ لأنه عليه الصلاة والسلام إنما أخبر في هذا الخبر بأنه لم يقل شيئاً من عند نفسه بغير وحى من الله تعالى به إليه، وأحال بذلك على قول الله تعالى في كتابه : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> . فنص كتاب الله تعالى يقضى بأن كل ما قاله فهو عن الله تعالى<sup>(٤)</sup> .

فالرواية لا حجة فيها لخصوم السنة، بل هي عليهم لا لهم كما مر في رواية: إني لا أحل إلا ما حل الله في كتابه ... «ليس للناس أن يقولوا : كيف يحرم رسول الله ، ويحل ما ليس في القرآن؟ فإن الرسول مشرع، وهو لا يحل إلا ما كان حلالاً في شرع الله، ولا يحرم إلا ما كان حراماً<sup>(٥)</sup> أ. هـ.

أما الحديث الثالث: سؤال بعض الصحابة النبي ﷺ هل يجب الوضوء من القي؟ قال ﷺ : « لو كان واجباً ؛ لوجدته في كتاب الله » هذا الحديث عزاه الإمام الشوكاني إلى كتب أئمة الشيعة في الانتصار والبحر وغيرهما من حديث ثوبان بلفظه السابق<sup>(٦)</sup> .

ووجدته في سنن الدارقطني عن ثوبان<sup>(٧)</sup> أيضاً قال : كان رسول الله ﷺ صائماً في غير رمضان ، فأصابه غم أذاه، فتقيا، فقاء، فدعاني بوضوء فتوضأ، ثم أفطر، فقلت: يارسول الله أفريضة الوضوء من القي؟ قال: لو كان فريضة لوجدته في القرآن ... « قال الدارقطني: لم يروه عن الأوزاعي ، غير عتبة بن السكن وهو منكر الحديث<sup>(٨)</sup> .

(١) انظر : الأم كتاب جماع العلم، باب الصوم ٢٨٨ / ٧ ، وفي كتاب الصلاة ، باب صلاة المريض ٨٠ / ١ ، ٨١ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ٢ / ٢١٢ .

(٣) الآيات ٤٣ ، من سورة النجم .

(٤) انظر : الإحكام لابن حزم ٢ / ٢١٢ .

(٥) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ١٦٤ .

(٦) انظر : نيل الأوطار ١ / ١٨٧ .

(٧) ثوبان : هو ثوبان بن جندر أبو عبد الله مولى رسول الله ﷺ صاحب جليل له ترجمة في : الاستيعاب ٢ / ٢١٨ رقم ٢٨٢ ، واسد الغابة ١ / ٤٨٠ رقم ٦٢٤ ، وتاريخ الصحابة ص ٥٦ رقم ١٧٤ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٤ رقم ٣٢٤ ، والإصابة ١ / ٢٠٤ رقم ٩٦٩ .

(٨) الدارقطني كتاب الطهارة ، باب في الوضوء من الخارج من البدن كالرعاف والقي والحجامة ونحوه ١ / ١٥١ رقم ٤١ .

والحديث على فرض صحته؛ فالجواب عنه معلوم من الحديث السابق: «إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ..» ورواية: «لا يمسكن الناس على بشيء ..» ويأتي مزيد من الإجابة في الحديث التالي: «السنة سنتان: سنة في فريضة... إلخ» .

**أما قول الدكتور توفيق صدقي:** «فهذا الحديث صح أو لم يصح فالعقل يشهد له ويوافق عليه، وكان يجب أن يكون مبدأ للمسلمين لا يحدون عنه»<sup>(١)</sup> فسيأتي الرد على ذلك في المطلب الثاني (شبهة عرض السنة على العقل) .

**أما الحديث الرابع:** «السنة سنتان: سنة في فريضة، وسنة في غير فريضة... إلخ» . أخرجه الدارمي في سنته<sup>(٢)</sup> مقطوعاً عن مكحول<sup>(٣)</sup> ، والطبراني في الأوسط<sup>(٤)</sup> ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، وفيه عبد الله بن الرومي ضعفه غير واحد، ووهاه ، وقال الذهبي: روى خيراً كذباً<sup>(٥)</sup> .

والحديث على فرض صحته فلا حجة فيه الخصوم؛ لأن الحديث إنما يشير إلى السنة بمعناها عند علماء الأصول: وهو «كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو ترك، أو كتابة، أو إشارة مفهومة أو هم مصحوب بالقرائن، أو غير ذلك مما يثبت الأحكام ويقررها، مما لم ينطق به الكتاب العزيز»<sup>(٦)</sup> .

والسنة بهذا المعنى الأصولي تعزّيها الأحكام الخمسة:

- ١- الوجوب      ٢- الحرام      ٣- المكروه      ٤- المباح      ٥- المنذوب .

(١) انظر: مجلة المنار المجلد ٩ / ٥١٥ رقم ٩١٣ .

(٢) الدارمي في سنته المقدمة ، باب السنة قاضية على كتاب الله ١ / ١٥٣ ، ١٥٤ رقم ٥٨٩ بلفظ : «السنة سنتان: سنة الأخذ بها فريضة؛ وتركها كفر، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيره حرج» .

(٣) مكحول : هو مكحول الشامي ، أبو عبد الله ، ثقة ، فقيه كثير الإرسال مات سنة ١١٣ هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢ / ٢١١ رقم ٦٨٩٩ ، والكاشف ٢ / ٢٩١ رقم ٥٦٢٠ ، وحاشية ابن العجمي هامش على الكاشف ٢ / ٢٩١ - ٢٩٣ ، والثقات للعلّمي ص ٤٣٩ رقم ١٦٢٨ ، والثقات لابن حبان ٥ / ٤٤٦ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٤١ رقم ٨٧٠ .

(٤) الطبراني في الأوسط ٤ / ٣٩٢ رقم ٤٠١١ ، وقال الطبراني : ( لم يرو هذا الحديث عن محمد إلا عيسى تفرد به عبد الله ، وعزاه الميمني في مجمع الزوائد إلى الطبراني في الأوسط ، وقال : لم يروه عن أبي سلمة إلا عيسى بن واقد تفرد به عبد الله بن الرومي ، ولم أرو من ترجمة . انظر : مجمع الزوائد ١ / ١٧٢ ، وانظر مجمع البحرين في زوائد الجمع الصغير والأوسط للطبراني ١ / ٢٣٣ رقم ٢٥٦ .

(٥) انظر : ميزان الاعتدال ٢ / ٤٢٢ رقم ٤٣١٧ ، ولسان الميزان ٣ / ٢٨٦ رقم ١٢٠٨ .

(٦) انظر : الإحكام للأمني ١ / ١٢٧ ، وإرشاد الفحول للشوكاني ١ / ١٥٥ ، وأصول الفقه للخصري ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

فتارة تكون السنة واجبة (فريضة) وأصلها في كتاب الله ﷻ ، وذلك كثير مما جاؤت به السنة المطهرة ، مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم من العبادات، والمعاملات، والحدود ، والأحوال الشخصية .

مثال ذلك : وجوب الوضوء للحدث الأصغر، والغسل للحدث الأكبر، والتيمم للحدثين على حد سواء عند فقد الماء .

يدل على ذلك قوله ﷺ : « لا تقبل صلاة أحدكم ، إذا أحدث حتى يتوضأ »<sup>(١)</sup> وعن علي ابن طالب ؓ قال : « سألت النبي ﷺ عن المذي؟ فقال: من المذي الوضوء، ومن المني الغسل »<sup>(٢)</sup>.

وعن عمران بن حصين<sup>(٣)</sup> قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فضلى بالناس، فإذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم، قال: « ما منعك يا فلان أن تصلى مع القوم؟ » قال: أصابني جنابة ولا ماء؟ قال : « عليك بالصعيد؛ فإنه يكفيك »<sup>(٤)</sup> .

وأصل هذه السنة الواجبة في كتاب الله قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾<sup>(٥)</sup> .

١

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ؓ : البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور ١/٢٨٢ رقم ١٣٥ ، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة ١/ ١٠٤ رقم ٢٢٥ واللفظ له .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب أبواب الصلاة ، باب ما جاء في المني والمذي ١/ ١٩٣ رقم ١١٤ ، وقال هذا حديث حسن .

(٣) عمران بن حصين: صاحبي جليل له ترجمة في : الاستيعاب ٣/ ١٢٠٨ رقم ١٩٦٩ ، واسد الغابة ٤/ ٢٦٩ رقم ٤٠٤٨ ، وتاريخ الصحابة ص ١٨٣ رقم ٩٤٩ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٤٨ رقم ٢١٨ ، والإصابة ٣/ ٢٦ رقم ٦٠٢٤ .

(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التيمم باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيهِ من الماء ١/ ٥٣٣ رقم ٣٤٤ ، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفاتنة ٣٠٠/ ١٩٩ رقم ٦٨٢ .

(٥) الآية ٦ من سورة المائدة .

وحد الحراية واجب بالسنة في قوله ﷺ : «من حمل علينا السلاح فليس منا»<sup>(١)</sup>.  
قوله ﷺ : «من خرج على الطاعة وفارق الجماعة ومات، فميتة جاهلية»<sup>(٢)</sup>.

وأصل هذا الحد في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وحد الردة واجب بالسنة في قوله ﷺ : «لا يحل دام امرئ مسلم إلا ياحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»<sup>(٤)</sup>.

وأصل هذا الحد في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وهذا الاستدلال بالآية وإن لم يكن صريحاً .

فهو يعمشي مع من لا يرى استقلال السنة بالتشريع، فيقولون: السنة الواجبة هنا ليست زيادة على شئ في القرآن، وإنما هي زيادة الشرح المستنبط من المشروح بإلهام إلهي، ووحى رباني، وتأيد سماوي<sup>(٦)</sup> فهي عندهم مبينة لنصوص القرآن بأي نوع من البيان .

وأصل هذا الحد في كتاب الله ﷻ عند من يرى استقلال السنة بالتشريع، عموم الآيات الدالة على وجوب اتباع الرسول ﷺ وطاعته المطلقة في كل ما يأمر به وينهى

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : «من حمل علينا السلاح فليس منا» ٢٦ / ١٣ رقم ٧٠٧١ ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ من «حمل علينا السلاح فليس منا» ١ رقم ١٠٠ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٦ / ٤٧٩ رقم ١٨٤٨ .

(٣) الآية ٣٣ من سورة المائدة .

(٤) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الديات، بال قول الله تعالى «النفس بالنفس والعين بالعين» ١٢ / ٢٠٩ رقم ٦٨٧٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القسامة ، باب ما يباح به دم المسلم ٦ / ١٧٩ رقم ١٦٧٦ .

(٥) الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

(٦) منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ٤٩٩ ، وانظر: الموافقات للشاطبي ٤ / ٩ - ١٤ .

عنه كقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) .

ومثال السنة المحرمة : قوله ﷺ « لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها » (٢) فأصل ذلك التحريم في الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، قوله تعالى : ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (٣) .

وهذا استدلال من لا يرى استقلال السنة بالتشريع، وقد عرفت مما سبق استدلال من يرى استقلالها .

فأمثال هذه السنة سواء كانت (واجبة أو محرمة) الأخذ بها هدى وتركها بعدم فعلها إذا كانت واجبة، وفعلها إذا كانت محرمة (ضلالة) كما في الحديث، وهو ما يتمشى مع تعريف الواجب والحرام عند الأصوليين .

فالأوجب: مرادف للفرض عند الجمهور، هو ما طلب الشارع فعله على وجه اللزوم بحيث يائمه تاركه وقال الآمدي : «والحق في ذلك أن يقال : الوجوب الشرعي عبارة عن خطاب الشارع بما ينتهض تركه سبباً للذم شرعاً في حالة ما» (٤) .

أما الحرام فهو ضد الواجب: قال الآمدي : والحق فيه أن يقال: هو ما ينتهض فعله سبباً للذم شرعاً بوجه ما من حيث هو فعل له (٥) .

أما قوله ﷺ في الحديث : « وسنة في غير فريضة » ؛ فالمراد بذلك السنة المباحة والمندوبة وقوله : «الأخذ بها فضيلة وتركها ليس بخطيئة» أي في فعلها ثواب، وليس في تركها عقاب، وهذا هو «المباح والمندوب» عند أهل الأصول .

فالمندوب: هو ما يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه، أو هو ما طلب الشارع فعله طلباً غير حتم (٦) . وقال الآمدي: فالواجب أن يقال : هو المطلوب فعله شرعاً من غير ذم

(١) الآية ٧ من سورة الحشر .

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ؓ : البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عماتها ٩/ ٦٤ رقم ٥١٠٩، ومسلم (بشرح النووي) كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ٥/ ٢٠٥ رقم ١٤٠٨ .

(٣) الآية ٢٣ من سورة النساء .

(٤) البحر المحيط للزركشي ١/ ١٨١ - ١٨٤ ، والإحكام للآمدي ١/ ٩٢ ، وأصول الفقه للحضري ص ٣٩ .

(٥) الإحكام للآمدي ١/ ١٠٦ .

(٦) أصول الفقه للحضري ص ٥٤ ، وانظر: أصول الفقه للشيخ خلاف ص ١١١ .

على تركه مطلقاً<sup>(١)</sup> ومن ومن أسمائه : النافلة، والسنة، والمستحب، والتطوع وذلك عند الجمهور<sup>(٢)</sup> .

ومثاله : الرواتب مع الفرائض، وصلاة العيدين، والاستسقاء، والكسوف، وصدقة التطوع... إلخ والأصل في ذلك حديث الأعرابي الذي علمه النبي ﷺ شرائع الإسلام وفرائضه ، وأنه ليس عليه غيرها إلا أن التطوع «فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد ولا أنقص مما فرض الله على شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : «أفلح أن صدق. أو دخل الجنة إن صدق»<sup>(٣)</sup> .

والمباح : هو ما خير الشارع المكلف فيه بين فعله وتركه من غير مدح ولا ذم<sup>(٤)</sup> . وقال الأمدى : والأقرب في ذلك أن يقال : هو ما دل الدليل السمعي على خطاب الشارع بالتخيير فيه الفعل والترك من غير بدل<sup>(٥)</sup> .

ومن أسمائه : الحلال، والمطلق، والجائز<sup>(٦)</sup> ، ومثاله قوله تعالى : ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾<sup>(٧)</sup> . وقوله : «لحمزة بن عمرو الأسلمي<sup>(٨)</sup> لما سأله عن الصيام في السفر : «إن شئت فصم وإن شئت فافطر»<sup>(٩)</sup> .

فأمثال هذه السنن المباحة والمندوبة الأخذ بها فضيلة ويثاب ويمدح الإنسان على فعلها، وإن تركها لم يكن مخطئاً ، ولا عقاب ولا لوم عليه .

(١) الإحكام للأمدى ١ / ١١١ .

(٢) البحر المحيط للزركشي ١ / ٢٨٤ .

(٣) متفق عليه من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإلام ١ / ١٣٠ رقم ٤٦ ، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ١ / ١٩٨ رقم ١١ .

(٤) أصول الفقه الحضري ص ٦٠ ، وانظر : أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ١١٥ .

(٥) الإحكام للأمدى ١ / ١١٥ .

(٦) البحر المحيط للزركشي ١ / ٢٧٦ .

(٧) الآية ١٠١ من سورة النساء .

(٨) حمزة بن عمر الأسلمي : صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب ١ / ٣٧٥ رقم ٥٤٢ ، واسد الغابة ٢ / ٧١ رقم ١٢٥٢ ، وتاريخ الصحابة ص ٦٧ رقم ٢٣٣ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٢ رقم ٥١ ، والإصابة ١ / ٣٥٤ رقم ١٨٣٧ .

(٩) متفق عليه من حديث عائشة - رضى الله عنها - البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار ٤ / ٢١١ رقم ١٩٤٣ ، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الصوم، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر ٤ / ٢٥٣ رقم ١١٢١ .

وأصل هذه السنن في كتاب الله قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١) .

فهذا هو معنى الحديث على فرض صحته، فأين الدلالة فيه على عدم حجية السنة ووجوب عرضها على كتاب الله؟!!

وبعد

هذا ما قاله أهل العلم في أحاديث عرض السنة المطهرة على القرآن الكريم، التي أسس عليها أعداء الإسلام منهجاً خاصاً بهم في الحكم على صحة السنة بوجوب عرضها على الكتاب .

فما وافقه؛ فهو حجة، وما خالفه ولو مخالفة ظاهرة يمكن الجمع بينهما؛ فباطل مردود ليس من السنة .

وهذا منهج باطل، مردود، عماده الكذب والخديعة: لأنه يقضي إلى نفي حجية السنة النبوية التي لها دور في بيان الكتاب وتفسيره، أو التي أفادت حكماً مستقلاً : لأن كلاً من النوعين غير موجود فيه، فتكون وظيفة السنة مقصورة على تأكيد القرآن فقط، وبالتالي الحجة فيه وحده، ولا حجة في السنة على أي حكم شرعي بذاتها؛ لأنها لو كانت حجة على شيء لما توقف ذلك على ثبوت الشيء بحجة أخرى، وهذا كلام باطل لا يصح؛ لأن أحاديث العرض عند عرضها على كتاب الله وجدناها مخالفة لما فيه؛ لأنه لا يوجد في كتاب الله أن لا يقبل من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافق كتاب الله بل يوجد في كتاب الله إطلاق التأسى به، والأمر بطاعته مطلقة من غير تقييد، والتحذير من مخالفة أمره جملة على كل حال .

وكما سبق من قول الأئمة : البيهقي، وابن عبد البر، وابن حزم (٢) ومن ثم فقد رجعت أحاديث العرض على نفسها بالبطلان، ثم إنه ورد في بعض طرقها عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنه سيأتيكم مني أحاديث مختلفة، فما أتاكم موافقاً لكتاب الله وسنتي فهو مني، وما أتاكم مخالفاً لكتاب الله وسنتي فليس مني » (٣) . قال البيهقي : تفرد به صالح بن موسى الطلحي، وهو ضعيف لا يحتاج

(١) الآية ٢١ من سورة الأحزاب ، وانظر : التعريفات للرحجاني ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) راجع : ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) أخرجه الخطيب في الكفاية ص ٦٠٣ ، وانظر : مفتاح الجنة في الاحتجاج بالنسبة ص ٣٨ .

بحديثه<sup>(١)</sup> .

قال السيوطي: قلت: ومع ذلك فالحديث لنا لا علينا: ألا ترى إلى قوله: «موافقاً لكتاب الله وسنتي»<sup>(٢)</sup> .

ومع أن أحاديث عرض السنة على القرآن الكريم لا وزن لها سنداً عند أهل العلم كما سبق، إلا أن معناها صحيح وعمل بها المحدثون في تقديمهم للأحاديث متناً فجعلوا من علامات وضع الحديث مخالفتها لصريح القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل .

إلا أنهم وضعوا لذلك قيداً وهو استحالة إمكان الجمع والتأويل، فإذا أمكن الجمع بين ما ظاهره التعارض من الكتاب أو السنة أو العقل - جمعاً لا تعسف فيه يصار إلى الجمع والقول معاً ولا تعارض حينئذ، وإن كان وجه الجمع ضعيفاً باتفاق النظائر، فالجمع عندهم أولى<sup>(٣)</sup> .

وإعمال الأدلة أولى من إهمال بعضها، وإلا فلتتعرف على الناسخ والمنسوخ فنصير إلى الناسخ ونترك المنسوخ، وإلا نرجح بأحد وجوه الترجيحات المفصلة في كتب الأصول وعلوم الحديث<sup>(٤)</sup>، والعمل بالأرجح حينئذ متعين، وهؤلاء المبتدعة لم يرفعوا بهذا الأصل رأساً، جهلاً به أو عناداً كما قال الشاطبي<sup>(٥)</sup> .

وإن لم يتمكن العالم من ذلك للتعاقل الذهني فاختلّفوا على مذاهب منها:

١- التخجير ٢- تساقط الدليلين والرجوع إلى البراءة الأصلية

---

(١) انظر: تقريب التهذيب ٤٣٣/١ رقم ٢٩٠٢، والكشاف ٤٩٩/١ رقم ٢٣٦٤، والمجروحين ٣٦٩/١ والضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٣٦ رقم ٣١٤، والضعفاء لأبي زرعة الرازي ٢/٢٢٧ رقم ١٥٤، وخلاصة تهذيب الكمال ص ١٧٢ .

(٢) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالنسبة ص ٣٩ .

(٣) قال الإمام فخر الدين الرازي في المحصول: «والدليل القاطع ضربان: عقلي، وسمعي فإن كان المعارض عقلياً نظرنا فإن كان خبر الواحد قابلاً للتأويل كيف كان أولناه فلم نحكم بردة» انظر: المحصول في أصول الفقه ٢/٢١٠ .

(٤) انظر: لإرشاد الفحول ٣٦٩/٢ - ٤٠٨، والمحصول في أصول الفقه ٢/٤٣٤ - ٤٨٨، والإحكام للآمدي ٤/٢٠٦، والمواقفات للشاطبي ٤/٦٤٠، والمستصفي للغزالي ٢/٣٩٢، والإبهاج في شرح المنهاج ٣/٢٠٨، والبحر المحيط ٦/١٠٨ - ١٩٤، والمعتمد في أصول الفقه ٢/١٧٦ - ١٧٨، وأصول السرخسي ٢/١٤٥، وفتح المغيث للعراقي ص ٣٣٧ - ٣٣٩، وتدريب الراوي ٢/١٩٨ - ٢٠٣، والاعتبار في الناسخ والمنسوخ للحازمي ص ٥٩ - ٩٠، وانظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٧٢، ١٧٣ .

(٥) الاعتصام باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال ١/٢٠٠، ٢٠١، وانظر: الإحكام لابن حزم ١/١٦١ .

### ٣- الأخذ بالأغلظ ٤- التوقف .

ومعلوم بأن التوقف هنا حتى يمكن الجمع أو التأويل أو الترجيح . وكل ما سبق قال به من المعتزلة صاحب المعتمد في أصول الفقه في باب الأخبار المعارضة، وباب ما يترجح به أحد الخبرين على الآخر»<sup>(١)</sup> .

قال الحافظ ابن حجر: «فصار ما ظاهرة التعارض واقعاً على هذا الترتيب الجمع إن أمكن ، فاعتبار النسخ والمنسوخ، والترجيح إن تعين، ثم التوقف عن العمل بأحد الحديثين ، والتعبير بالتوقف أولى من التعبير بالتساقط، لأن خفاء ترجيح أحدهما على الآخر، إنما هو بالنسبة للمعتبر في الحالة الراهنة مع احتمال أن يظهر لغيره ما خفى عليه وفوق كل ذي علم عليم»<sup>(٢)</sup> .

ولا أعلم نقلاً عن أحد من العلماء برفض ورود الحديث بمجرد المخالفة الظاهرية مع القرآن الكريم ، أو السنة ، أو العقل مع إمكان الجمع، أو التأويل، أو الترجيح ، حتى من نقل عنهم الأصوليون إنكار الترجيح وردوا عليهم إنكارهم ، قالوا عند التعارض: يلزم التخيير أو الوقف<sup>(٣)</sup> .

نعم لم ينقل رد السنة وجعلها مجرد المخالفة الظاهرية إلا عن أهل البدع والأهواء كما حكاها عنهم الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام<sup>(٤)</sup> ، وتابعهم ذيلهم في العصر الحديث من أصحاب المذاهب اللادينية .

وقصاري القول : إن أهل العلم مجمعون على أن السنة الصحيحة لا تخالف كتاب الله ﷻ ، ولا تخالف سنة أخرى صحيحة مثلها، ولا تخالف العقل، وما يبدو حيناً من تعارض هو من سوء الفهم لا من طبيعة الواقع، كما قال فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى - : لا يتعارض حديث مع كتاب الله أبداً ، وما يبدو من تعارض هو من سوء الفهم لا من طبيعة الواقع»<sup>(٥)</sup> .

(١) المعتمد في أصول الفقه ٢ / ١٧٦ ، ١٨٨ ، وانظر : الإحكام للآمدي ٤ / ٢٢١ ، والبحر المحيط ٦ / ١١٥ ، والمسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص ٤٤٩ .

(٢) نزهة النظر ص ٣٥ ، وانظر : فتح المغيث للسخاوي ٣ / ٧٣ ، وتدريب الراوي ٢ / ٢٠٢ .

(٣) الإبهاج في شرح المنهاج ٢ / ٢٠٩ ، وفتح المغيث للسخاوي ٣ / ٧٣ ، وانظر : المصادر السابقة نفس الأماكن .

(٤) الاعتصام باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال ١ / ١٩٩ .

(٥) مائة سؤال في الإسلام ١ / ٢٤٤ ، وانظر : المكانة العلمية لعبد الرزاق في الحديث النبوي لفضيلة الأستاذ-

وعن دعوى تعارض الأحاديث مع بعضها يقول الحافظ ابن خزيمة : « لا أعرف أنه روى عن النبي ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما » (١) .

قال الإمام ابن حزم: ليس في الحديث الذي صح شيء يخالف القرآن الكريم ولا سبيل إلى وجود خير صحيح مخالف لما في القرآن أصلاً ، وكل خير شريعة فهو إما مضاف إلى ما في القرآن ومعطوف عليه ومفسر لجملة، وإما مستثنى منه لجملة، ولا سبيل إلى وجه ثالث. فإن احتجوا بأحاديث محرمة أشياء ليست في القرآن قلنا لهم: قد قال الله ﷻ ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (٢) فكل ما حرمة رسول الله ﷺ مثل الخمار الأهلي، وسباع الطير، وذوات الأنياب (٣) ، وغير ذلك؛ فهو من الخبائث، وهو مذكور في الجملة المتلوه في القرآن ومفسر لها، والمعتزض بها يسأل: أيجرم أكل عذرتة أم يحلها؟ فإن أحلها خرج عن إجماع الأمة وكفر، وإن حرمها؛ فقد حرم ما لم ينص الله تعالى على اسمه في القرآن، فإن قال هي من الخبائث قيل له : وكل ما حرم عليه السلام؛ فهو كالخنزير، وكل ذلك من الخبائث . فإن قال قد صح الإجماع على تحريمها ، قيل له : قد أقررت بأن الأمة مجمعة على إضافة ما جاء عن النبي ﷺ من السنن إلى القرآن الكريم ، مع ما صح عنه ﷺ قال : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري؟ ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » (٤) . فهذا حديث صحيح بالنهي عما تعلل به هؤلاء

=الدكتور إسماعيل الدفتار ٢ / ٦٢٦ مبحث (حقيقة التعارض إنما هي في الفهم) . ويختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين للدكتور نافذ حسين حماد ص ١٢٥ - ١٨٨ .

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٧٣، وتدريب الرلوي ٢ / ١٩٦، وفتح المغيث للعراقي ص ٣٣٦، وفتح المغيث للسخاوي ٣ / ٧١ .

(٢) الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

(٣) سيأتي تخرجه ص ٤٥١، وانظر: أمثلة أخرى عل ما اعترضوا عليه من الأحاديث الصحيحة لمخالفتها في نظرهم القرآن الكريم، ولا مخالفة في الحقيقة في الباب الثالث، حديث رؤية الله ﷻ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العنة، باب لزوم السنة ٤ / ٢٠٠ رقم ٤٦٠٥ ، والترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما ينهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ٥ / ٣٦ رقم ٢٦٦٣ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ١ / ٢٠ رقم ١٣ من حديث أبي رافع ﷺ .

الجهال<sup>(١)</sup> .

ويقول ابن حزم في موضع آخر : «إذا تعارض الحديثان، أو الآيتان، أو الآية والحديث، فيما يظن من لا يعلم، ففرض على كل مسلم استعمال كل ذلك، لأنه ليس بعض ذلك أولى بالاستعمال من بعض، ولا حديث بأوجب من حديث آخر مثله، ولا آية أولى بالطاعة لها من آية أخرى مثلها، وكل من عند الله ﷻ ، وكل سواء في باب وجوب الطاعة والاستعمال ولا فرق»<sup>(٢)</sup> .

ويتأيد ما قاله ابن حزم بما قال الإمام الشاطبي عند كلامه على حديث العرض: «ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله - الحديث» قال : «إن الحديث إما وحي من الله صرف، وإما اجتهاد من الرسول - عليه الصلاة والسلام - معتبر بوحى صحيح من كتاب أو سنة، وعلى كلا التقديرين لا يمكن فيه التناقض مع كتاب الله ؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى أ. ه .

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

---

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام ٢ / ٢١٥، ٢١٦ بتصرف، وانظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي فصل «الأحاديث النبوية وربطها بالقرآن» ٢ / ١٢٧ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ١ / ١٦١ .

## المطلب الثاني

### شبهة عرض السنة النبوية على العقل والرد عليها

لم يكف أهل الزيغ والهوى بعرض السنة المطهرة على القرآن الكريم للحكم عليها قبولاً أو رفضاً ، وإنما سلكوا مسلكاً آخر في الحكم عليها والتشكيك فيها بعرضها على العقل (الصريح) ، فما وافقه قبل ولو كان آحاداً - صح أو لم يصح - وما لم يوافقه - حتى ولو مع إمكان التأويل - رده ولو كان متواتراً صحيحاً .

وهذا المسلك والمنهج (عرض السنة على العقل بالمفهوم السابق من أصول أهل الكفر والبدع والأهواء كما حكاه عنهم الأئمة : ابن قيم الجوزية ، وابن أبي العز ، وابن قتيبة ، والشاطبي .

يقول ابن قيم الجوزية: وبالجمللة فمعارضة أمر الرسل أو خبرهم بالمعقولات إنما هي طريقة الكفار»<sup>(١)</sup> .

ويقول ابن أبي العز<sup>(٢)</sup> : «كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته، وما ظنه معقولاً ، فما وافقه قال: إنه محكم، وقبله ، واحتج به ، وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم رده، وسمى رده تقويضاً ، أو حرفه وسمى تحريفه تأويلاً»<sup>(٣)</sup> .

ويقول الشاطبي في باب ( ما أخذ أهل البدع بالاستدلال ) : «ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ويدعون أنها مخالفة للعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل، فيجب ردها، ولما ردوها بتحكم العقول كان الكلام معهم راجعاً إلى أصل التحسين والتقبيح العقليين، فإن محصول مذهبهم تحكيم عقول الرجال دون الشرع، وهو أصل من الأصول التي بنى عليها أهل الابتداع في الدين، بحيث أن

(١) مختصر الصواعق المرسلة ١ / ١٢١ .

(٢) ابن أبي العز : هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الشافعي أبو محمد، أحد الأئمة الأعلام، الملقب بسلطان العلماء، من مصنفاته : قواعد الأحكام في مصالح الأنام، والإمام في أدلة الأحكام ، والتفسير الكبير، مات سنة ٦٦٠ هـ . له ترجمة في : طبقات المفسرين للدودي ١ / ٣١٥ رقم ٢٨٨ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٣٣٥ ، شذرات الذهب ٥ / ٣٠١ ، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢ / ٨٧٣ رقم ١٠ ، وذيل طبقات الفقهاء للشافعيين للعبادي ص ٣٦ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٢ / ٨٠ .

الشرع إن وافق آراءهم قبلوه، وإلا ردوه<sup>(١)</sup> .

وبهذه الشبهة قال أهل الزيغ والهووى حديثاً : مثل محمود أبو رية<sup>(٢)</sup> ، وقاسم أحمد<sup>(٣)</sup> ، وسعيد العشماوي<sup>(٤)</sup> ، ومحمد شحرور<sup>(٥)</sup> ، وإسماعيل منصور<sup>(٦)</sup> ، وجمال البنا<sup>(٧)</sup> ، ونصر أبو زيد وغيره .

ومن الأحاديث التي يستشهد بها خصوم السنة المطهرة في وجوب عرضها على العقل، ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه، قلته أو لم أقله، فصدقوا به، وإنني أقول ما يعرف ولا ينكر وإذا حدثتم عني بحديث تنكرون، لا تعرفونه، فكذبوا به، فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف »<sup>(٩)</sup> .

وهذا الحديث استدل به قديماً: الطائفة التي ردت الأخبار كلها، وناظر الإمام الشافعي واحداً من أتباعها كما حكاها الإمام الشافعي عنهم<sup>(١٠)</sup> .

واستدل به حديثاً ؛ الدكتور توفيق صدقي<sup>(١١)</sup> ، والأستاذ جمال البنا<sup>(١٢)</sup> ، وغيرهم ممن سبقوا .

ووجه استدلالهم من هذا الحديث: أنه يفيد في نظرهم وجوب عرض ما نسب إلي

(١) الاعتصام ١/ ١٨٦، ١٨٧، ٢/ ٥٨٩ .

(٢) أضواء على السنة ص ١٩، ١٤٣ .

(٣) إعادة تقسيم الحديث ص ٥٩ .

(٤) حقيقة المحجاب وحجية الحديث ص ٩١، ٩٢ .

(٥) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٧٢٦ .

(٦) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٦٥٩ .

(٧) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٨٦، ١٦١، وانظر: كتابه الإسلام والعقلانية ص ٣٨ وما بعدها .

(٨) نقد الخطابات الديني ص ١٠١، ١٠٣، ١٣١، ١٣٢، وانظر له مفهوم النص ص ٢٨ .

(٩) أخرجه الدارقطني في سننه كتاب في الأقضية والأحكام وغير ذلك باب، كتاب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري ٤/ ٢٠٨ رقمي ١٨، ١٩، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول الأصل الرابع والأربعون فيما يحدونه صدق الحديث ١/ ٣٥٧ واللفظ له . وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ١/ ٣٢، ٣٣ رقم ١٤، والخطيب في تاريخه ١١/ ٣١١ رقم ٦٢٦٨، والبخاري في تاريخه ٣/ ٤٧٣ رقم ١٥٨٥ .

(١٠) الأم كتاب سير الأوزاعي، باب سهم الفارس الراحل وتفضيل الخيل ٧/ ٣٣٩ .

(١١) مجلة المنار المجلد ٩/ ٥٢٢ .

(١٢) الأضلال العظيمان ص ٢٣١ .

النبي ﷺ على المستحسن المعروف عن الناس - حتى ولو كانوا أهل زيغ وضلالة - فما وافق عقول هؤلاء الناس؛ فهو من السنة حتى ولو لم يقله النبي ﷺ فعلاً ، وما خالف تلك العقول، فكذب ليس من سنة النبي ﷺ ، ولم يقله حتى ولو جاء متواتراً صحيحاً فالحجة عندهم في تلك العقول لا في السنة النبوية المطهرة .

### الجواب عن الحديث:

هذا الحديث الذي استشهد به خصوم السنة المطهرة روي من طرق مختلفة كلها ضعيفة لا يصلح شيء منها، بل ولا مجموعها للاحتجاج والاستشهاد. وكشف عن ذلك علماء الحديث .

**فقال الإمام البيهقي :** «قال ابن خزيمة: في صحة هذا الحديث مقال، لم نر في شرق الأرض ولا غربها أحداً يعرف خبر ابن أبي ذئب<sup>(١)</sup> من غير رواية يحيى بن آدم<sup>(٢)</sup> ، ولا رأيت أحداً من علماء الحديث يثبت هذا عن أبي هريرة . وهو مختلف على يحيى بن آدم في إسناده ومتنه اختلافاً كثيراً يوجب الاضطراب، منهم من ينكر أبا هريرة، ومنهم من لا يذكر ويرسل الحديث، ومنهم من يقول في متنه : «إذا رويتم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله»<sup>(٣)</sup> .

**وقال البخاري في تاريخه:** وقال يحيى بن آدم عن أبي هريرة وهو وهم، ليس فيه أبو هريرة<sup>(٤)</sup> ، وفي علل ابن أبي حاتم قال : قال أبي : هذا حديث منكر، الثقات لا يرفعونه<sup>(٥)</sup> . أى لا يرفعون في إسناده فوق المقرري، ليوافق قول البخاري .

**وقال العقيلي في الضعفاء:** ليس له إسناده يصح<sup>(٦)</sup> والحديث ذكره ابن الجوزي في

(١) هو : محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب القرشي العامري، أبو الحارث ، المدني، أحد الأعلام، ثقة فقيه فاضل. مات ١٥٨ هـ . وقيل ١٥٩ هـ . له ترجمة في: تقريب التهذيب ٢ / ١٥٥ رقم ٦١٠٢ ، والكاشف ٢ / ١٩٤ رقم ٥٠٠١ والثقات لابن شاهين ص ٢٧٨ رقم ١١٤٠ ، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٢ / ٤٤٤ رقم ١٦٩٥ .

(٢) هو : يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي، أبو زكريا ، مولى بني أمية، أحد أعلام ثقة حافظ فاضل مات سنة ٢٠٣ هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢ / ٢٩٦ رقم ٧٥٢٣ ، والكاشف ٢ / ٣٦٠ رقم ٦١٢٤ ، والثقات للعجلي ٤٦٨ رقم ١٧٨٩ ، والتعريف برواة مسند الشاميين للذكور على جهاز ص ٤٦٣ رقم ٨٧٤ .

(٣) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٣٩ .

(٤) التاريخ الكبير ٣ / ٤٧٤ رقم ١٥٨٥ ترجمة سعيد المقرري .

(٥) العلل لابن أبي حاتم ٢ / ٣١٠ .

(٦) الضعفاء الكبير ١ / ٣٢ ، ٣٣ رقم ١٤ .

الموضوعات<sup>(١)</sup>، وتعقبه في حكمه الحافظ السيوطي في كتابيه النكت البديعات على الموضوعات<sup>(٢)</sup>، واللائح المصنوعة<sup>(٣)</sup> مقويا الحديث بشواهد، ووافقه على ذلك ابن عراق في تنزيه الشريعة<sup>(٤)</sup>، وتعقب السيوطي، وابن عراق في تقوية الحديث بشواهد الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف - رحمه الله تعالى - وسبق قوله في حديث عرض السنة على القرآن<sup>(٥)</sup>.

كما تعقب الأستاذ العلمي اليماني الإمام السيوطي في شواهد الحديث بروايته أحمد وابن ماجه .

فالشاهد الأول « رواية أحمد » بين فيه وهمه؛ بأنه ذكرها بسند متن آخر وهو: «المؤمن القوي خير وأفضل... إلخ<sup>(٦)</sup>»، والمتن الشاهد في رواية أحمد في سنده أبو معشر<sup>(٧)</sup>: وهو نجيح السندي، كان أول أمره ضعيفاً، ثم اختلط اختلاطاً شديداً، وجاء بأحاديث منكورة، ولا سيما في روايته عن سعيد المقبري، وهو الذي روى عنه هذا الحديث الشاهد<sup>(٨)</sup>، مع أن سعيداً نفسه اختلط أيضاً<sup>(٩)</sup>، قال الحافظ الهيثمي<sup>(١٠)</sup>: أبو معشر نجيح ضعفه أحمد وغيره وقد وثق<sup>(١١)</sup>.

(١) الموضوعات ١/ ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) النكت البديعات على الموضوعات ص ٤٨ رقم ٢٣.

(٣) اللائح المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ٢١٣.

(٤) تنزيه الشريعة ١/ ٢٦٤.

(٥) راجع: ص ٢٢١.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٦٦.

(٧) المصدر السابق ٢/ ٣٦٧، ٤٨٣.

(٨) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٢٧٩ هامش؛ والكاشف ٢/ ٣١٧ رقم ٥٨٠٢، والتقريب ٢/ ٢٤١ رقم ٧١٢٦، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٩ رقم ٧٥٨، ولسان الميزان ٧/ ٤٠٩ رقم ٥٠١٥ وميزان الاعتدال ٤/ ٢٤٦ رقم ٩٠١٧، والجرح والتعديل ٨/ ٤٩٣ رقم ٢٢٦٣، والمغني ٢/ ٦٩٤، والضعفاء لابن نعيم ص ١٥٣ رقم ٢٥٤، والضعفاء والمتروكين ص ٢٣٥ رقم ٦١٨.

(٩) نهاية الاغتراب بمن روى من الرواة بالاختلاط ص ١٣٢ رقم ٤٠.

(١٠) الحافظ الهيثمي هو: علي بن أبي بكر بن سليمان، نور الدين أبو الحسن، إمام حافظ، رافق الحافظ العراقي في السماع، سمع جميع ما سمعه، من مصنفاته مجمع الزوائد، وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، وغير ذلك، مات سنة ٨٠٧ هـ. له ترجمة في: طبقات الحافظ للسيوطي ص ٥٤٥ رقم ١١٧٨، وأنباء الغمر ٢/ ٣٠٧، وشذرات الذهب ٧/ ٧٠، والأعلام ٤/ ٢٦٦.

(١١) مجمع الزوائد ١/ ١٥٤.

كما تعقب المعلمي اليماني الإمام السيوطي في الشاهد الثاني رواية ابن ماجه؛ بأن في سندها المقرري<sup>(١)</sup>. وهو عبد الله بن سعيد أبي سعيد، متروك ساقط البتة<sup>(٢)</sup>.

وأمثل شاهد روي في هذا المعنى، واستشهد به الحافظ السيوطي ما أخرجه أحمد والبخاري عن أبي حميد وأبي أسيد مرفوعاً: «إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب؛ فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفر أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد؛ فأنا أبعدكم منه»<sup>(٣)</sup>.

والحديث أخرجه البخاري في تاريخه بلفظ: «إذا جساءكم الحديث عنى يلين قلوبكم، فأنا أمرتكم به»، ثم أخرج من طريق عباس بن سهل عن أبي بن كعب قال: «إذا بلغكم عن النبي ﷺ ما يعرف ويلين الجلد، فقد يقول النبي ﷺ الخير، ولا يقول إلا الخير».

قال البخاري: هذا أشبه وأصح<sup>(٤)</sup>. قال البيهقي؛ يعني أصح من رواية من رواه عن أبي حميد، أو أبي أسيد وقد رواه ابن لهيعة، عن بكير بن الأشج، عن عبد الملك بن سعيد عن القاسم بن سهل، عن أبي بن كعب قال ذلك بمعناه، فصار الحديث المسند معلولاً<sup>(٥)</sup>.

وهذا ما رجحه المعلمي من أربعة أوجه في تحقيقه للحديث في الفوائد المجموعة<sup>(٦)</sup>.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله والتغليظ على من عارضه ٢٣ / ١ رقم ٢١.

(٢) الفوائد المجموعة ص ٢٧٩ هامش، وانظر: في ترجمة عبد الله المقرري، الكاشف ١ / ٥٥٨ رقم ٢٧٥٢، والتقريب ١ / ٤٩٧ رقم ٣٣٦٧، وتهذيب التهذيب ٥ / ٢٣٧ رقم ٤١٢، وميزان الاعتدال ٢ / ٤٢٩ رقم ٤٣٥٣، ولسان الميزان ٧ / ٢٦٣ رقم ٣٥٣٢، والجرح والتعديل ٥ / ٧١ رقم ٣٣٦، والمغنى ١ / ٣٤٠، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ١٩٩، والضغفاء والمتروكين ص ١٥٢ رقم ٣٦٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٣ / ٤٩٧، ٥ / ٤٢٥، وأخرجه البخاري (كشف الأستار) ١ / ١٠٥، وقال البخاري لا نعلمه يروى من وجه أحسن من هذا، وقال الفهشمي في مجمع الزوائد ١ / ١٤٩، ١٥٠، رواه أحمد والبخاري ورجاله رجال الصحيح.

(٤) التاريخ الكبير ٥ / ٥١٤ رقم ١٣٤٩.

(٥) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٤١.

(٦) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص ٢٨١، ٢٨٢ هامش.

وبالجملة : فالحديث بطرقه وشواهده لا يصلح للاحتجاج والاستشهاد.  
**يقول الإمام الشوكاني :** «فهذا الحديث بشواهده لم تسكن إليه نفسي، وإنني أظن أن ابن الجوزي قد وفق للصواب بذكره في موضوعاته»<sup>(١)</sup> .  
ويشهد لبطلان الحديث ما فيه من إباحة الكذب على النبي ﷺ : «قلته أو لم أقله فصدقوا به» . وفي لفظ : «ما بلغكم عنى من قول حسن لم أقله فأنا قلته» .  
**قال ابن حزم :** « وهذا هو نسبة الكذب إلى رسول الله ﷺ ؛ لأنه حكى عنه أنه قال : « لم أقله فأنا قلته » فكيف ما لم يقله أيستجير هذا إلا كذاب زنديق كافر أحمق<sup>(٢)</sup> ؟ » .

**قلت :** وفي هذا رد على ما زعمه كذباً جولدتسيهر من أن المحدثين يقررون «احتجاجاً» مثل حديث «ما قيل من قول حسن فأنا قلته»<sup>(٣)</sup> .  
وحسبنا بهذه الطائفة المستشهدة بهذا الحديث أنهم مقرون على أنفسهم، بأنهم كاذبون، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب؛ فهو أحد الكاذبين »<sup>(٤)</sup> أ . ه .

وعلى فرض صحة الحديث، فلا دلالة فيه على عدم حجية السنة النبوية، فكل ما يدل عليه أنه من أدلة صدق الحديث أن يكون وفق ما جاءت به الشريعة من المحاسن، فإن جاء على غير ذلك كان دليلاً على كذبه، ونحن نقول بذلك على ما هو مقرر عند المحدثين من علامات وضع الحديث ، تكذيب الحسن له<sup>(٥)</sup> .

ويقول الحكيم الترمذي<sup>(٦)</sup> في تأويل الحديث: « قوله ﷺ : « إذا حدثتكم عنى

(١) المصدر السابق ص ٢٨١ .

(٢) أخرجه ابن حزم في الإحكام ٢/ ٢١٣ بسند فيه اشعث بن بزار، وقال فيه: كذاب ساقط لا يؤخذ حديثه، وبسند آخر فيه الحارث والعزمي وعبد الله بن سعيد، وضعف الأولين وقال في الثالث كذاب مشهور . وانظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٥٥ .

(٤) سبق تخريجه ص ٤٠ .

(٥) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية ص ٥١، وانظر: السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ١٦٤ .

(٦) الحكيم الترمذي هو : الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن، الزاهد، الواعظ، المؤذن، صاحب التصانيف النافعة، منها نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، والرد على المعطلة ، وختم الأولياء عاش إلى -

بحديث تعرفونه، ولا تنكرونه» فنقول من تكلم بعد الرسول ﷺ بشئ من الحق، وعلى سبيل الهدى؛ فالرسول ﷺ سابق إلى ذلك القول وإن لم يكن قد تكلم بذلك اللفظ الذي أتى به من بعده، فقد أتى الرسول ﷺ بأصله مجملًا كما ثبت في صحيح السنة من حديث ابن مسعود ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه»<sup>(١)</sup>.

فلذلك قال: «فصدقوا به قلته أو لم أقله»، أي إن لم أقله بذلك اللفظ الذي يحدث به عنى فقد قلته بالأصل والأصل مؤد عن الفرع، فجاء الرسول ﷺ بالأصل، ثم تكلم أصحابه والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين من بعده بالفروع، فإذا كان الكلام معروفًا عن المحققين غير منكر؛ فهو قول الرسول ﷺ قاله أو لم يقله، يجب علينا تصديقه - وخاصة إذا لم يكن مما يقال من قبل الرأي ولم يرفعه؛ لأن الأصل قد قاله الرسول ﷺ وأعطاه لنا، وإنما قال ذلك لأصحابه الذين عرفهم بالحق، وإنما يعرف الحق الحق بهم، وهم أولوا الأبواب والبصائر<sup>(٢)</sup> رضوان الله عليهم أجمعين.

أما الشواهد لهذا الحديث وهو متن: «إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم ... إلخ».

فعلى فرض صحته فلا دلالة فيه على وجوب عرض السنة على العقل، فكل ما يدل عليه التثبيت عند سماع الحديث وخاصة إذا كانت فيه ظلمة وركاكة ومجازفات باردة لا يقول مثلها النبي وهذا ما قرره المحدثون، وجعلوه من دلائل الوضع في الحديث وإن صح سنده<sup>(٣)</sup>.

وفي ذلك يقول ابن الجوزي: «واعلم أن الحديث المتكرر يقشعر له جلد طالب العلم، ويتفر منه قلبه في الغالب» وروى عن الربيع بن خثيم<sup>(٤)</sup> قال: «إن للحديث

= حدود ٣٢٠هـ. له ترجمة في: تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٥ رقم ٦٦٨، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٨٦ رقم ٦٤٢، ولسان الميزان لابن حجر ٥/ ٣٠٨، رقم ١٠٣٣، وطبقات الشافعية لابن السبكي ٢/ ١٤٥، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٧٣ رقم ٦٢٢٦.

(١) أخرجه المحاكم في المستدرک کتاب البيوع ٢/ ٥ رقم ٢١٣٦، وسكت عنه هو والذهبي، وأخرجه من حديث جابر، وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي، ومن وجه آخر عن جابر وصححه الذهبي على شرط مسلم.

(٢) نوادر الأصول، الأصل الرابع والأربعون فيما يعنونه صدق الحديث ١/ ٣٦٠، ٣٦١.

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية ص ٥٠ رقم ٥٣.

(٤) الربيع بن خثيم: بضم المعجمة وفتح المثناة، ابن عاتق بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مخضرم -

ضوءاً كضوء النهار تعرفه، وظلمة كظلمة الليل تنكرة»<sup>(١)</sup> .

يقول الأستاذ يحيى المعلمي اليماني : «وعلى فرض صحة الخير، فلا سبيل إلى أن يفهم منه ما تدفعه القواطع، فمن المقطوع به، أن معارف الناس وآراءهم وأهواءهم تختلف اختلافاً شديداً، وأن هناك أحاديث كثيرة، تقبلها قلوب، وتنكرها قلوب. وبهذا يعلم أن ما يعرض للسامع من قبول واستبشار، أو نفور واستنكار. قد يكون حيث ينبغي، وقد يكون حيث لا ينبغي، وأما هذا - والله أعلم - إرشاد إلى ما يستقبل به الخير عند سماعه، وقد يكون منشأ ذلك: أن المنافقين كانوا يرجفون بالمدينة ويشيعون الباطل، فقد يشيعون ما إذا سمعه المسلمون، وظنوا صدقه ارتابوا في الدين، أو ظنوا السوء برسول الله، فأرشدوا إلى ما يدفع عنهم بادرة الارتياب، وظن السوء، ومع العلم بأن بادي الظن ليس بحجة شرعية، عليهم النظر والتدبر، والأخذ بالحجج المعروفة»<sup>(٢)</sup> .

### وبعد

فهذا قول أهل العلم في حديث: «إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه... إلخ» وشواهد وتبين لنا أنه لا حجة فيه لأعداء السنة وفي منهجهم بعرض السنة على العقل حيث الحكم عليها بالقبول أو الرفض .

ونقول أيضاً في بيان تهافت وبطلان شبهة: «عرض السنة على العقل» سائلين القائلين بها :

- أيهما الحاكم على الآخر النقل أم العقل ؟
- ما أراد بالعقل الصريح الذي ترددونه؟ وما حدوده؟ وما مدى الاتفاق عليه؟
- وهل يتعارض النقل مع العقل؟ وإذا تعرضا فأيهما أحق التقديم؟

ـ رباني حجة، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، مات سنة ٦٣ هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٢٩٤ رقم ١٨٩٣، والكاشف ١/ ٣٩١ رقم ١٥٢٩، والثقات لابن حبان ٤/ ٢٢٤، والثقات للعجلي ص ١٥٤ رقم ٤١٩ والثقات لابن شاهين ص ١٢٦ رقم ٣٣٩، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٢٥ رقم ٧٣٧ .

(١) الموضوعات لابن الجوزي ١/ ١٠٣، والكفاية ص ٦٠٥ .

(٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكانى ص ٢٨٢ هامش .

وأخيراً هل أهمل المحدثون - حقاً - العقل في قبولهم للحديث وتصحيحه كما تدعون؟

### الجواب

إننا إذا نظرنا في كتب الأصول نجد الإجابة على السؤال الأول أيهما الحاكم على الآخر النقل أم العقل ؟

فعند أهل الأصول العلم بالأحكام (الحكم ، والحاكم، والمحكوم عليه، والمحكوم فيه) هو القطب الأول من الأقطاب الأربعة التي تندرج تحتها أصول الفقه، من هنا كان لابد من تعريف الحكم حيث له تعلق بالحاكم، والمحكوم عليه، والمحكوم فيه .

فنقول : الحكم لغة : المنع والصرف، ومنه الحكمة للحديدة التي في اللجام، وبمعنى الإحكام ، ومنه الحكيم في صفاته سبحانه<sup>(١)</sup> .

وفي الاصطلاح : على المختار من قول الآمدي قال هو : «خطاب الشارع المفيد فائدة شرعية»<sup>(٢)</sup> وإذا تبين أن الحكم (خطاب الشارع) علم أنه لا حاكم على المكلفين سوى الله ﷻ ولا حكم إلا ما حكم به ﷻ «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»<sup>(٣)</sup> وهذا بإجماع الأمة سوى من شذ من المعتزلة ، حيث حكموا العقل وجعلوه حاكماً .

وأنكر ذلك شارح مسلم الثبوت وقال : «إن هذا مما لا يجتزئ عليه أحد ممن يدعى الإسلام، بل إنما يقولون : «إن العقل معرف لبعض الأحكام الإلهية سواء ورد به الشرع أم لا . وهذا مأثور عن أكابر مشايخنا أيضاً»<sup>(٤)</sup> .

والجمهور من الأصوليين، والمحدثين، والفقهاء، على خلاف ما ذهب إليه العلامة ابن عبد الشكور<sup>(٥)</sup> ؛ حيث أثبتوا أن المعتزلة حكموا عقولهم، وجعلوها حاكمة لا

(١) البحر المحيط للزركشي ١ / ١١٧ .

(٢) الإحكام للآمدي ١ / ٩٠ .

(٣) الآية ٥٠ من سورة المائدة .

(٤) لفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ١ / ٢٥ .

(٥) ابن عبد الشكور: هو عبد الله بن عبد الشكور البهاري الهندي، الفقيه الحنفى الأصولى المنطقى، توفي سنة ١١١٩ هـ . له ترجمة في الفتح للمبين عبد الله المراغى ٣ / ١٢٢، وأصول الفقه تاريخه ورجاله للدكتور شعبان إسماعيل ص ٥٠٧، ٥٠٨ .

محكومة بحكم خالقها .

ولهذا فرع علماء الأصول على مسئلة ( أنه لا حاكم سوى الله ، ولا حكم إلا ما حكم به ) فرعوا على ذلك خلافاً للمعتزلة : « أن العقل لا يحسن ولا يقيح ، ولا يوجب شكر المنعم ، وأنه لا حكم قبل ورود الشرع »<sup>(١)</sup> .

ثم إن الله ﷻ جعل العقول في إدراكها حداً تنتهى إليه لا تتعداه ، ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب ، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري ﷻ في إدراك جميع ما كان ، وما يكون ، وما لا يكون ، إذا لو كان كيف يكون .

فمعلومات الله لا تنتاهي ، ومعلومات العبد متناهية ، والمتناهي لا يساوى ما لا ينتاهي ، وهذا قول ابن خلدون<sup>(٢)</sup> : « وأعلم أن الشارع أعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا ؛ لاطلاعه على ما وراء الحس ، والعقل يقف عاجزاً عن إدراك عالم ما وراء الطبيعة ، ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها ، والوقوف على تفصيل الوجود كله ، وسفه رأيه في ذلك ، وأعلم أن الوجود منحصر في مداركه لا يعدوها »<sup>(٣)</sup> .

ويقول الشاطبي مبطلاً زعم من قال : إن مصالح الدنيا تدرك بالعقل في قوله : « إن مصالح الدار الآخرة ومفاسدها لا تعرف إلا بالشرع . وأما الدنيوية فتعرف بالضرورات والتجارب والعادات والظنون المعتبرات » .

ويقول الشاطبي ردّاً : « أما إن ما يتعلق بالآخرة لا يعرف إلا بالشرع فكما قال ، وأما ما قال في الدنيوية فليس كما قال من كل وجه ، بل ذلك من بعض الوجوه دون بعض . ولذلك لما جاء الشرع بعد زمان فترة ، تبين به ما كان عليه أهل الفترة من انحراف الأحوال عن الاستقامة ، وخروجهم عن مقتضى العدل في الأحكام ومن أجل

(١) انظر: تفصيل ذلك في المستصفي للغزالي ٨/١ ، والإحكام للآمدي ١/٧٦ - ٩٠ ، والإبهاج في شرح المنهاج ١/٤٣ ، ١٣٥ ، وإرشاد الفحول ١/٥٦ ، وأصول الفقه للخضري ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) ابن خلدون : هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ، أبو زيد ، الفيلسوف المؤرخ العالم البحاث ، ولي قضاء المالكية بمصر ، اشتهر بكتابه ( العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ) مات سنة ٨٠٨ هـ . له ترجمة في : الضوء اللامع ٤/ ١٤٥ رقم ٣٧٨ ، والأعلام ٣/ ٣٣٠ .

(٣) المقدمة الفصل العاشر في علم الكلام ص ٥٠٨ ، وانظر : الإسلام على مفترق الطرق الأستاذ محمد أسد ص ١٠٠ وما بعدها .

هذا القصور في تلك العقول وقع الإعذار والإنذار كما قال ﷺ : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١).

ولو كان الأمر على ما قال بإطلاق ، لم يحتج في الشرع إلا إلى بث مصالح الدار الآخرة، خاصة وذلك لم يكن، وإنما جاء بما يقيم أمر الدنيا والآخرة معاً ، وإن كان قصده بإقامة الدنيا والآخرة، فليس بخارج عن كونه قاصداً لإقامة مصالح الدنيا، حتى يتأتى فيها سلوك طريق الآخرة، وقد بث في ذلك من التصرفات ، وحسم من أوجه الفساد التي كانت جارية، ما لا مزيد عليه .

فالعادة تحيل استقلال العقول في الدنيا بإدراك مصالحها ومفاسدها على التفصيل، اللهم إلا أن يريد هذا القائل أن المعرفة بها تحصل بالتجارب وغيرها، بعد وضع الشرع أصولها فذلك لا نزاع فيه» (٢) .

ومن هنا وجب أن يقدم ما حقه التقديم - وهو الشرع - ويؤخر ما حقه التأخير وهو نظر العقل؛ لأنه لا يصح تقديم الناقص حاكماً على الكامل؛ ولأنه خلاف المعقول والمنقول ، ولذلك قال : اجعل الشرع في عينك والعقل في يارك، تنبيهاً على تقدم الشرع على العقل (٣) .

ومن قدم العقل على الشرع لزمه القدح في العقل نفسه؛ لأن العقل قد شهد للشرع والوحي بأنه أعلم منه، فلو قدم عليه؛ لكان ذلك قدحاً في شهادته، وإذا بطلت شهادته؛ بطل قبول قوله، بل إن من قدم العقل على الشرع؛ لزمه القدح في الشرع أيضاً .

### يقول الإمام الشاطبي :

أولاً : «إنه لو جاز للعقل تخطي مأخذ النقل، لم يكن الحد الذي حده النقل فائدة، لأن الفرض أنه حد له جداً ، فإذا جاز تعديه صار الحد غير مفيد، وذلك في الشريعة باطل، فما أدى إليه مثله .

(١) الآية ١٦٥ من سورة النساء .

(٢) الموافقات ٢ / ٣٦٠ وانظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام للإمام ابن عبد السلام ١ / ٥ - ١٠ .

(٣) الاعتصام للشاطبي ٢ / ٥٦٨ .

ثانيًا: ما تبين في علم الكلام والأصول، من أن العقل لا يحسن ولا يقبح، ولو فرضناه متعديًا لما حده الشرع، ولكان محسنًا ومقبحًا، وهذا خلف .

ثالثًا: أنه لو قدم العقل على النقل؛ لجاز إبطال الشريعة بالعقل، وهذا محال باطل. وبيان ذلك: أن معنى الشريعة أنها تحد للمكلفين حدودًا في أفعالهم، وأقوالهم، واعتقاداتهم وهو جملة ما تضمنته. فإن جاز للعقل تعدى حد واحد، جاز له تعدى جميع الحدود؛ لأن ما ثبت للشيء ثبت لمثله، وتعدى حد واحد هو بمعنى إبطاله، أي ليس هذا الحد بصحيح، وإن جاز إبطال واحد، جاز إبطال السائر، وهذا لا يقول به أحد، لظهور محاله<sup>(١)</sup> فكان تقديم العقل على النقل - لا لشيء إلا لأنه عقل - يتضمن القدح في العقل والنقل - كما مر وهذا ظاهر لا خفاء فيه .

ويقول الدكتور السباعي - رحمه الله تعالى - : ولننظر إلى المسألة من ناحية أخرى. ولنفرض أن تحكيم العقل في الأحاديث هو الصواب، فنحن نسأل: أي عقل هذا الذي تريدون أن تحكموه؟

أعقل الفلاسفة؟ إنهم مختلفون، وما من متأخر منهم إلا وهو ينقض قول من سبقه. أعقل الأدباء؟ إنه ليس من شأنهم، فإن عنايتهم - عفا الله عنهم - بالنوادر والحكايات .

أعقل علماء الطب، أم الهندسة، أم الرياضيات؟ ما لهم ولهذا؟ أعقل المحدثين؟ إنه لم يعجبكم، بل إنكم تهمونه بالغباوة والبساطة . أعقل الفقهاء؟ إنهم مذاهب متعددة، وعقليتهم - في رأيكم - لعقلية المحدثين . أعقل الملحدون؟ إنهم يرون أن إيمانكم بوجود الله، جهل منكم وخرافة . أعقل المؤمنين بوجود الله؟ فنحن نسألكم: عقل أي مذهب من مذاهبهم ترتضون؟

أعقل أهل السنة والجماعة؟ هذا لا يرضى الشيعة، ولا المعتزلة . أم عقل المعتزلة؟ إنه لا يرضى جمهور طوائف المسلمين فأبي عقل ترتضون<sup>(٢)</sup>؟

(١) الموافقات ١/ ٧٨، ٧٩، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة ١/ ١١٠ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع ٣٩، ٤٠ .

فمجرد الاتفاق على طبيعة العقل الحاكم غير واردة .

يقول ابن قيم الجوزية: «فإن قالوا : إنما تقدم العقل الصريح الذي لم يختلف فيه اثنان على نصوص الأنبياء فقد رموا الأنبياء بما هم أبعد الخلق منه، وهو أنهم جاعوا بما يخالف العقل الصريح هذا وقد شهد الله وكفى بالله شهيدا، وشهد بشهادته الملائكة وأولوا العلم؛ أن طريقة الرسول ﷺ هي الطريقة البرهانية للحكمة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾<sup>(٢)</sup> فالطريقة البرهانية هي الواردة بالوحي كتاباً وسنة معظمة للرشد داعية إلى الخير ، والطريقة العقلية - التقليدية التخمينية هي المأخوذة من رجل - من يونان - وضع بعقله قانونا من مقدمتين ونتيجة - يصحح بزعمه علوم الخلائق وعقولهم، فلم يستفد به عاقل تصحيح مسألة واحدة في شئ من علوم بنى آدم، بل ما وزن به علم إلا أفسده، وما برع فيه أحد إلا انسلخ من حقائق الإيمان كانسلاخ القميص عن الإنسان<sup>(٣)</sup> .

ونقول لمن حكموا عقولهم في شرع الله ﷻ ، وقدموها عليه: إن تحكيم العقل وهو مخلوق في خالقه بحيث يقولون : يجب عليه بعثه الرسل، ويجب عليه الصلاح والأصلح، ويجب عليه اللطف، ويجب عليه كذا، وكيف يجوز هذا في حق الله ﷻ مما ورد في صفاته وأسمائه جل جلاله - في كتابه العزيز وسنة نبيه المطهرة؟ وكيف المعجزة؟ وكيف اليوم الآخر ، وما فيه من حساب، وعقاب، وجنة، ونار، وميزان، وصراط، وشفاعة...؟ إلى آخر ما ينطق به في تلك الأشياء (الإلهيات والنبوات والمعجزات للأنبياء والسمعيات الغيبية) .

نقول: إن قولكم بعقولكم في تلك الأمور - اعتراضاً - هذا يجب، هذا يستحيل، كيف هذا . هذا منكم اجتزاء على الله ﷻ ، وعلى عظمته جل جلاله ، واعتراض على حكمه وشرعه الحكيم، وتقديم بين يدي الله ورسوله، ومن أجل الباري وعظمه وعظم حكمه وشرعه، لم يجزئ على ذلك، فله ﷻ الحجة البالغة والحكمة الكاملة،

(١) الآية ١٧٤ من سورة النساء .

(٢) الآية ١١٣ من سورة النساء .

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ١١٢ ، ١١٣ بتصرف .

ولا معقب لحكمه ؛ فوجب الوقوف مع قوله تعالى : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله تعالى : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾<sup>(٣)</sup> . وكيفيك في فساد عقل معارض الوحي قرأنا وسنة اجتراه على عصمة ربه ﷺ .

فكيف نجعل العقل حاكماً على شرعه «كتاباً وسنة» ، ونقدمه عليه بعد كل هذا، وكيف نتصور أن الشارع الحكيم يشرع شيئاً يتناقض مع العقول المحكومة بشرعه الخفيف .

يقول الدكتور السباعي : «من المقرر في الإسلام أنه ليس فيه ما يرفضه العقل، ويحكم باستحالته ولكن فيه - كما في كل رسالة سماوية - أمور قد «يستغربها» العقل ولا يستطيع أن يتصورها»<sup>(٤)</sup> في (الإلهيات والنبوات والمعجزات والسمعيات) فتلك الأمور فوق نطاق العقل وإدراكه، وقد يحصل الغلط في فهمها فيفهم منها ما يخالف صريح العقل، فيقع التعارض بين ما فهم من النقل وبين ما اقتضاه صريح العقل، فهذا لا يدفع<sup>(٥)</sup> .

يقول ابن خلدون : «لأن هذه العقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعديل عليه ...، فإذا هدانا الشارع إلى مدرك؛ فينبغي أن نقدمه على مداركنا، ونثق به دونها ، ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه، بل نعلم ما أمرنا به اعتقاداً وعلماً ، عما لم نفهم من ذلك ونفوضه إلى الشارع، ونعزل العقل عنه»<sup>(٦)</sup> .

ويقول في موضع آخر: «وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح؛ فأحكامه يقينية، لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد

(١) الآية ١٤٩ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٢٣ من سورة الأنبياء .

(٣) الآية ٤١ من سورة الرعد .

(٤) السنة ومكانتها في التشريع ص ٣٤ بتصرف يسير .

(٥) انظر : أمثلة على ذلك مما رفضوه يعقوبهم والرد عليهم في الباب الثالث حديث رؤية الله ﷻ ٢ / ٢١٩ - ٢٢٩ ، وحديث عذاب القبر ونعيمه ٢ / ٢٨٢ - ٢٩٤ ، وانظر أيضاً : حديث الذباب ٢ / ٣٤٢ - ٣٥٣ .

(٦) المقدمة لابن خلدون الفصل الحادي عشر، في علم الإلهيات ص ٥٤٨ بتصرف يسير .

والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال...، ومن يقدم العقل على السمع في أمثال هذا القضايا، فذلك لقصور في فهمه، واضمحلال رأيه، وقد تبين لك الحق من ذلك»<sup>(١)</sup>.

وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية: «إن ما علم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاء؛ لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة. ومن تأمل ذلك فيما تنازع العقلاء فيه من المسائل الكبار؛ وجد ما خالف النصوص الصريحة الصحيحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها. فتأمل ذلك في مسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر والنبوات والمعاد؛ تجد ما يدل عليه صريح العقل، ونحن نعلم قطعاً أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول، وإن أخبروا بمجازات العقول فلا يخبرون بما يحيله العقل»<sup>(٢)</sup>.

ونختم قضية التعارض بين العقل والنقل بسؤال افترضه الإمام يحيى بن الحسين القاسم الرسي العلم الثاني من علمى الأئمة الزيدية (ت ٢٩٨هـ) قال: «فإن قيل: هل يجوز أن تتضاد حجج الله وتختلف، فما تثبته حجة العقل تبطلها حجة الكتاب والسنة، وما تثبته حجة الكتاب والسنة تبطلها حجة العقل؟

فإن قال: نعم. ويكون ذلك ويوجد، استغنى عن مناظرته بجهله، واستدل على كفره بذلك، وخالف الخلق أجمعين، وقال بما لم يقل به أحد من العالمين، وافتضح عند نفسه فلا عن غيره؛ لأنه يزعم أن حجج الله تتناقض وتتضاد، وما تناقض وتضاد فليس بحجة الله على العباد....، ولو تناقضت حججه، لبطلت فرائضه، ولو بطلت فرائضه؛ لبطل معنى إرساله للرسل....، فبان بحمد الله، لكل ذي عقل وفهم وتميز أن من قال بتناقض حجج الرحمن غير عارف به ولا مقرر به، ومن لم يعرف الله جل جلاله فلم يعبد، ومن لم يعبد فقد عبد غيره ومن عبد غيره؛ فهو من الكافرين، ومن كان الكافرين فقد خرج بحمد الله من حد المؤمنين، فنعوذ بالله من الجهل والعمى ونسأله الزيادة في الرحمة والهدى»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق الفصل العاشر في علم الكلام، ص ٥٠٩. بتصرف يسير.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ١١٤ وما بعدها.

(٣) رسائل العدل والتوحيد للدكتور محمد عمارة ٢/ ٣٠١ - ٣٠٣. بتصرف. وانظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية ١/ ١١٤ - ١٣٠، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ١٧١، وانظر: ما سبق في الجواب عن شبهة عرض السنة على القرآن ص ٢٣٦ - ٢٣٩.

يقول الإمام البيهقي : « وعلى الأحوال كلها حديث رسول الله ﷺ الثابت عنه : قريب من العقول موافق للأصول ، لا ينكره عقل من عقل عن الله الموضع الذي وضع به رسول الله ﷺ ، من دينه ، وما افترض على الناس من طاعته ، ولا ينفر منه قلب من اعتقد بتصديقه فيما قال واتباعه فيما حكم به ، وكما هو جميل حسن من حيث الشرع ، جميل في الأخلاق حسن عند أولى الألباب (١) .

وأخيراً هل أهمل المتحدثون - حقاً - العقل في قبولهم للحديث وتصحيحه كما زعم أعداء السنة النبوية المطهرة؟

هذا السؤال أجاب عنه الشيخ عبد الرحمن المعلمي - رحمه الله تعالى - في كتابه الأنوار الكاشفة بقوله : « كلا ، راعوا ذلك في أربعة مواطن : أولاً : عند السماع ، ثانياً : عند التحديث ، ثالثاً : عند الحكم على الرواة ، رابعاً : عند الحكم على الحديث .

أولاً : أما مراعاة المحدثين للعقل في قبول الحديث ورده عند السماع : فيبدو ذلك واضحاً في اعتمادهم صحة سماع الصبي متى كان مميزاً فاهماً للخطاب ورد الجواب ، سواء كان ابن خمس ، أو أقل ، وروى ذلك بعد بلوغه الحلم ، ومتى لم يكن العقل فهم الخطاب ، ورد الجواب لم يصح سماعه حتى قال ابن الصلاح (٢) : وإن كان ابن خمسين سنة (٣) .

ويقول المعلمي في شرح ذلك « فالمثبتون إذا سمعوا خيراً تمتنع صحته أو تبعد ، لم يكتبوه ولم يحفظوه ، فإذا حفظوه لم يحدثوا به ، فإن ظهرت مصلحة لذكره ، ذكروه مع القدر فيه وفي الراوي الذي عليه تبعته (٤) .

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٤١ .

(٢) ابن الصلاح : هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي ، أبو عمرو ، كان من أعلام الدين ، وأحد فضلاء عصره في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، متبحراً في ذلك يضرب به المثل ، من مؤلفاته ، علوم الحديث ، وشرح مسلم ، وغير ذلك . مات سنة ٦٤٣ هـ وله ترجمته في : طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٠٣ رقم ١١٠٧ ، وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٣٠ رقم ١١٤١ ، والبداءة والنهاية ١٣ / ١٦٨ ، والعبر ٥ / ١٧٧ ، وشذرات الذهب ٥ / ٢٢١ ، وطبقات المفسرين للدوادري ١ / ٣٨٢ - ٣٨٤ رقم ٣٢٧ ، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٨٤ .

(٣) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٩٧ ، وانظر : فتح المغيث للسيخاوي ٢ / ١٤ ، ١٥ ، وتدريب الراوي للسيوطي ٦ / ٢ .

(٤) الأنوار الكاشفة عبد الرحمن المعلمي ص ٦ .

ويقول الأستاذ أبو غدة - رحمه الله تعالى - : المراد بمراعاة العقل عند السماع، فحص التلميذ الواعي وانتباهه لحال الشيخ الرواي، الذي يريد أن يتلقى عنه، قبل سماعه منه، فإذا وجهه سعي الحفظ، أو مضطرباً في الحديث أو شديد التدليس عند التحديث، أو يروي الواهيات، أو المنكرات، أو يسوق الموضوعات والخرافات، أو يقلب الأسانيد أو المتون، أو صاحب بدعة تتصل بمحدثه، أو لا تتصل: أعرض عن التحمل عنه، والسماع منه. وكانوا يوغلون، ويدققون جداً في البحث عن الشيخ والكشف عن حاله قبل الأخذ عنه، حتى يقال لهم: أتريدون أن تزوجوه؟ روى الخطيب في الكفاية بسنده إلى : «شاذان الأسود بن عامر - قال : سمعت الحسن بن صالح يقول : كنا إذا أردنا أن نكتب عن الرجل سألنا عنه حتى يقال لنا : أتريدون أن تزوجوه؟» (١).

وكثير من طلبة الحديث كانوا لا يكتبون عن أحد حتى يسأله عنه أئمة الشأن الذين يعرفون الرواة، ومن يجوز أن يكتب عنه، ومن لا يحل كتب حديثه للاحتجاج أو الاعتبار، فعن أبي العباس بن باذام قال : قال لي والوليد بن مسلم القرشي : وكنت إذا أردت أن آتي الشيخ أسمع منه شيئاً، سألت عنه قبل أن آتية الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، فإذا رأيت أن آتية آتيته» (٢) ونحو ذلك كثير منتشر في أخبار الرواة والمحدثين. وكثيراً ما كان بعض الطلبة يمتحنون الشيوخ قبل التلقي عنهم، فيقبلون لهم بعض الأسانيد في بعض الأحاديث، ويركبون عليها المتون، ويسألهم عنها على أنها من أحاديثهم وروايتهم، يفعلون هذا عمداً: امتحاناً للشيخ قبل السماع منه، فإن انتبه عرفوا ضبطه ومتانة حفظه وشدة يقظته ودقة وعيه، وأخذوا عنه، وإن تلقن وأقر : الحديث المقلوب والمغلوط تركوا الرواية عنه.

ومن نماذج مراعاتهم للعقل في قبول الحديث ورده عند السماع.

١- ما رواه الدارقطني في سننه عن سفيان بن عيينة قال : دخلت على الحجاج بن أرطاة (٣)، وسمعت كلامه، فذكر شيئاً أنكرته، فلم أحمل عنه شيئاً. وقال يحيى بن

(١) الكفاية في علم الرواية ص ٩٣.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ٣/ ١٤٧٥.

(٣) الحجاج بن أرطاة: هو حجاج بن أرطاة - بفتح الهمزة - ابن ثور بن هبيرة النخعي، أبو أرطاة الكوفي، -

سعيد القطان: رأيت الحجاج بن أرطاة بمكة ، فلم أحمل عنه شيئاً» (١) .

٢- وروي الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن عبد الله المبارك (٢) ، قال : لو خبرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله محرز الجزري الرمي (٣) قاضي الرقة - لاخترت أن ألقاه ، ثم أدخل الجنة ، فلما رأيته كانت بكرة أحب إلى منه» (٤) .

ثانياً : وأما مراعاة المحدثين للعقل في قبول الحديث ورده عند الحديث - لا عند السماع والتحمل ، فيبدو ذلك واضحاً في اشتراطهم العدالة ، والضبط في صحة قبولهم للحديث ، وتصحيحه .

ومن شروط العدالة بعد الإسلام : البلوغ والعقل ، فلا يقبل حديث غير البالغ على الصحيح (٥) ، ولا المجنون سواء المطبق والمنقطع إذا أثر في الإفاقة (٦) .

وأما الضبط فيعرف بمدى موافقته لأهل الحفظ ، فإن وافقهم غالباً ، ولو أتى بأنقص لا يتغير به المعنى ، أو في المعنى ؛ فهو ضابط محتج بحديثه ، وإن وافقهم نادراً ، وكثرت مخالفته لهم والزيادة عليهم فيما أتى به ؛ فهو مخطئ مغفل ، عديم الضبط ، لا يحتج

---

القاضي ، أحد فقهاء ، صدوق ، كثير الخطأ ، والتدليس . مات سنة ١٤٩ هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ١٨٨ رقم ١١٢٢ ، والكاشف ١ / ٣١١ رقم ٩٢٨ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ١٨٦ رقم ١٨١ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٨٧ رقم ١٧٢ ، والثقات للعجلي ص ١٠٧ رقم ٢٥٠ ، ومعرفة الرواة للتكلم فيهم بما لا يوجب الرد النهي ص ٥ رقم ٧٨ ، وحاشية سبط ابن العمري على الكاشف ١ / ٣١١ .

(١) الدارقطني في سننه كتاب الحدود والديات وغيره ٣ / ١٧٥ رقم ٢٦٦ .

(٢) عبد الله بن المبارك : هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم ، أبو عبد الرحمن المروزي ، أحد الأئمة الأعلام وكان ثقة ، عالماً ربانياً ، متنبهاً ، صحيح الحديث مات سنة ١٨١ هـ . له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ١ / ٢٧٤ رقم ٢٦٠ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٢٣ رقم ٢٤٩ ، والثقات للعجلي ص ٢٧٥ رقم ٨٧٦ ، والثقات لابن حبان ٧ / ٧ ، والديباج المذهب ص ٢١٢ رقم ٢٦١ ، وطبقات المفسرين لداودي ١ / ٢٥٠ رقم ٢٣٢ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٢٧ رقم ١٥٦٤ ، والفهرست لابن النديم ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٣) عبد الله بن محرز ، بمهمات ، الجزري ، القاضي ، متروك ، مات في خلافة أبي جعفر . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٥٢٨ رقم ٣٥٨٤ ، والكاشف ١ / ٥٩٢ رقم ٢٩٤٤ ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٤٨ رقم ٣٤٨ ، والمجروحين لابن حبان ٢ / ٢٢ ، والجرح والتعديل ٥ / ١٧٦ رقم ٨٢٤ ، والضعفاء لأبي نعيم ص ١٥١ رقم ١١٨ .

(٤) مسلم (بشرح النووي) المقدمة ، باب بيان أن الإسناد من الدين ١ / ١٣١ ، وانظر : محات من تاريخ السنة وعلوم الحديث الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٥) انظر : فتح المغيث للسخاوي ١ / ٣٠٧ ، وهو الذي حكاه النووي عن الأكثرين ، انظر : تدريب الراوي ١ / ٣٠٠ .

(٦) انظر : فتح المغيث للسخاوي ١ / ٣٠٧ وما بعدها ، وتدريب الراوي ١ / ٣٠٠ .

بحديثه، وإلى ذلك أشار الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - فيمن تقوم به الحجة؛ فقال: «إذا شارك أهل الحفظ وافق حديثهم»<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضًا: «ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخير وكذبه، إلا في الخاص القليل من الحديث، وذلك أن يستدل على الصدق والكذب فيه، بأن الحديث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله، أو ما يخالفه ما هو أثبت وأكثر دلالة بالصدق منه»<sup>(٢)</sup>.

وقال الخطيب في الكفاية: «باب وجوب اطراح المنكر والمستحيل من الأحاديث»<sup>(٣)</sup> يقول الأستاذ عبد الرحمن المعلمي: وفي الرواة جماعة يتساحون عند السماع وعند التحديث، لكن الأئمة بالمرصاد للرواة، فلا تكاد تجد حديثًا بين البطلان، إلا وجدت في سنده واحدًا أو اثنين أو جماعة قد جرحهم الأئمة<sup>(٤)</sup>.

يقول الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله تعالى - : «إن المحدثين الحفاظ المتوسعين في جمع الحديث جرت عادتهم على سماع ما يحدث به من الأحاديث وما لا يحدث به، لأنه ينفع في وجوه كثيرة من علوم الحديث، ولذلك قالوا وقرروا هذا القاعدة، التي عبر عنها الحفاظ يحيى بن معين بقوله : «إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش» أى عند تحمل الحديث وتلقيه عن شيوخ الرواية، يجمعون منه ما استطاعوا عن كل شيخ، ولكن عند تحديثهم يفتشون فيما تحملوه من الأسانيد والمتون، فلا يحدثون إلا بالأسانيد المتصلة بالعدول الثقات الضابطين عن مثلهم، والمتون الخالية من الشذوذ والعلة .

وما تبين لهم من كذب أو وهم أو بلايا للرواة في الأسانيد، أو الشذوذ ، أو علة في المتنون يحكمسون عن التحديث بها، ولا يذكرونها إلا مع البيان لما في تلك الأسانيد أو المتنون من ضعف وشذوذ، وربما يحرقون هذه الكتب ويقطعونها، وكل هذا تجده مذكورًا في تراجم طائفة كبيرة من الرواة المجروحين .

(١) الرسالة للإمام الشافعي ص ٣٧١ فقرة رقم ١٠٠١ ، وانظر : فتح المغيب للسخاوي ١ / ٣٢٨ .

(٢) الرسالة للشافعي ص ٣٩٩ فقرة رقم ١٠٩٩ .

(٣) الكفاية ص ٦٠٣ .

(٤) الأنوار الكاشفة ص ٦ ، ٧ .

ونسوق هنا نموذج من ذلك : جاء في الميزان، وتهذيب التهذيب في ترجمة «خالد بن يزيد بن أبي مالك الدمشقي» قال ابن أبي الحواري<sup>(١)</sup> : سمعت يحيى بن معين يقول: بالشام كتاب ينبغي أن يدفن : «كتاب الديات» لخالد بن يزيد بن أبي مالك . لم يرض أن يكذب على أبيه حتى كذب على الصحابة. قال أحمد بن أبي الحواري. قد كنت سمعت هذا الكتاب من خالد بن يزيد، ثم أعطيته لابن عبدوس العطار، فقطعه وأعطى للناس فيه الخوائج<sup>(٢)</sup> .

ثالثاً : وأما مراعاة المحدثين للعقل عند الحكم على الرواة: فهذا يظهر كثيراً في كتب التراجم، فالأئمة كثيراً ما يجرحون الراوى بخير واحد منكر جاء به فضلاً عن خبرين أو أكثر ، ويقولون : للخبر الذي تمتنع صحته أو تبعد : «منكر» أو «باطل» ، وتجند ذلك كثيراً في تراجم الضعفاء، وكتب العلل والموضوعات والمتشبهون لا يوثقون الراوى حتى يستعرضوا حديثه، وينقدوه حديثاً حديثاً<sup>(٣)</sup> .

رابعاً : وأما مراعاة المحدثين للعقل عند الحكم على متون الأحاديث فهذا واضح في جعلهم من دلائل الوضع في الحديث مخالفتهم لبدهيات العقل<sup>(٤)</sup> ، إلا أن ذلك مقيد بعدم إمكان التأويل والمقصود بالتأويل هنا : محاولة التوفيق بين ما ظاهره التعارض بين المنقصول والمعلول وبشرط : «ألا يسرح العقل في مجال النظر والتأويل - وهو يوفق - إلا بقدر ما يسرحه النقل»<sup>(٥)</sup> .

كما أن العقل مقيد بالمستشير بكتاب الله ﷻ ، وسنة نبيه ﷺ الثابتة .

(١) ابن أبي الحواري: هو أحمد بن عبد الله بن ميمون بن العباس التغلبي بفتح المشاة وسكون المعجمة وكسر اللام، يكنى أبا الحسن بن أبي الحواري، بفتح المهملة والواو الخفيفة وكسر الراء، ثقة زاهد. مات سنة ٢٤٦ هـ له ترجمة في: تقريب التهذيب ١/ ٣٩ رقم ٦١، والكاشف ١/ ١٩٧ رقم ٥١، والفتاى لابن حبان ٨/ ٢٤، والإرشاد للخليلي ص ١٣٤، ١٣٥، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٣/ ١٦٢ .

(٢) ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٥ رقم ٢٤٧٥، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٢٦ رقم ٢٣٢، وانظر: لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص ١٧٤ - ١٧٦ .

(٣) الأنوار الكاشفة للمعلمي ص ٧ .

(٤) انظر: تدريب الراوى للسيوطي ١/ ٢٧٦، وتوضيح الأفكار للصنعاني ٢/ ٩٦ وهذا ما قاله ابن خلدون في مقدمته، مقررًا ما قرره أهل الحديث، بدليل دفاعه عن النقل وتقديمه على العقل إذا تعارض معه، وسفه عقول من يقدمون العقل على النقل عند التعارض الظاهري ، انظر المقدمة ص ٥٠٨، ولكن قاسم أحمد في إعادة تقييم الحديث ص ٥٩، استدلل بكلام ابن خلدون على وجوب أن تكون السنة مؤيدة بالقرآن والقياس العقلي - بمفهوم أعداء السنة . ولا حجة له فيما نقله عن ابن خلدون، لقوله بال قاعدة بمفهوم أهل الحديث .

(٥) الموافقات للشاطبي ١/ ٧٨ .

وفي ذلك يقول الحكيم الترمذي : « وإنما تعرف ، وتنكر العقول التي لها إلى الله سبيل يصل إلى الله ونور الله سراجها والعقل بصيرته ، والحق خبيثته والسكينة طابعه فرجع إلى خلقه والحق عنده أبلج يضيء في قلبه كضوء السراج يقيناً وعلماً به كما قال ربيع بن خيثم : « إن على الحق نوراً وضوءاً كضوء النهار نعرفه ، وإن على الباطل ظلمة كظلمة الليل تنكرة » .

فالمحققون هكذا صفتهم يعرفون الحق والباطل وكذلك وعد الله تعالى المتقين فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (١) .

أما العقل المخلط المكب على شهوات الدنيا المحجوب عقله عن الله ﷻ فليس هو المعنى بهذا ؛ لأن صدره مظلم ، فكيف يعرف الحق ؟ وإنما شرط رسول الله ﷺ فقال : «إذا جاءكم عنى حديث تعرفونه ، ولا تنكرونه» (٢) .

قلت : وما سبق يتبين لنا أن «قاعدة عرض السنة على العقل» في الحكم على السنة النبوية المطهرة ، قاعدة مقررة عند المحدثين والفقهاء ، وطبقوها فعلاً في قبولهم للأحاديث وتصحيحها ، إلا أنها مقيدة باستحالة التأويل بالجمع بين ما ظاهره التعارض بين النقل وما استغربه العقل الواقف عند الحدود التي وضعها له خالقه ، فلا يحسن إلا ما حسنه الشرع ، ولا يقبح إلا ما قبحه الشرع ، ولا يقدم حكمه على حكم رب العباد ﷻ .

وأخيراً : صدق الفاروق عمر ﷺ قال : « ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعتبهم الأحاديث أن يحفظوها فأتوا برأيهم فضلوا وأضلوا ، ألا وإننا نقتدى ولا نبتدى ، ونتبع ولا نبتدع ، ما نضل ما تمسكنا بالآثر » وفي رواية قال : « إياكم ومجالسة أصحاب الرأي ، فإنهم أعداء السنة ، أعتبهم السنة أن يحفظوها ، ونسوا الأحاديث أن يعوها ، وسئلوا عما لا يعلمون ، فاستحيوا أن يقولوا لا نعلم ، فأتوا برأيهم فضلوا وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل ، إن نبيكم لم يقضه الله حتى أغناه الله بالوحي عن الرأي ، ولو كان الرأي أولى من السنة ، لكان باطن الخفين أولى بالمسح من ظاهرهما » (٣) .

(١) الآية ٢٩ من سورة الأنفال .

(٢) نواهد الأصول للحكيم الترمذي الأصل الرابع والأربعون فيما يعدونه صدق الحديث ١ / ٣٦٦ ، وانظر : قواعد التحديث للقاسمي ص ١٦٥ .

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب ١ / ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، رقمي ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، وقال ابن قيم الجوزية وأسانيد هذه الآثار =

وقال الحافظ ابن عبد البر : «ومن أعف نفسه من النظر، وأضرب عما ذكرنا، وعارض السنن برأيه، ورام أن يردّها إلى مبلغ نظره؛ فهو ضال مضل، ومن جهل كذلك كله أيضًا وتقحم في الفتوى بلا علم؛ فهو أشد عمى وأضل سبيلاً... واعلم يا أخي : أن القرآن والسنة هما أصل الرأي ... ومن جهل الأصل لم يصل الفرع أبداً»<sup>(١)</sup> أ. هـ .

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

---

-عن عمر في غاية الصحة. انظر: أعلام الموقعين ١/ ٥٥، وانظر: في نفس المصدر ١/ ٦٦، ٦٧، «معنى الرأي»، ومتى يكون محموداً، ومتى يكون مذموماً»، وانظر: المدخل إلى السنة للأستاذ الدكتور عبد المهدي ص ١١٤، ٢٥٩.

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٧٣ بتصرف يسير .



## المطلب الثالث

وفيه الشبه الآتية :

- أولاً : شبهة النهى عن كتابة السنة المطهرة والرد عليها .
  - ثانياً : شبهة التأخر في تدوين السنة المطهرة والرد عليها.
  - ثالثاً : شبهة رواية الحديث بالمعنى والرد عليها .
  - رابعاً : شبهة أن الوضع وكثرة المضامين للحديث أضعفت الثقة بالسنة النبوية.
- والرد عليها .



## أولاً : شبهة النهى عن كتابة السنة المطهرة

وفيما ما يلي :

أ - استعراض الشبهة وأصحابها والرد عليها بما يلي:

أولاً : ذكر نماذج من الأحاديث والآثار الواردة في النهى عن كتابة السنة النبوية .

ثانياً : بيان درجة الأحاديث والآثار الواردة في النهى عن كتابة السنة النبوية .

ثالثاً : الجواب عن زعمهم بأن النهى يدل على عدم حجية السنة النبوية .

رابعاً : بيان علة النهى عن كتابة السنة كما وردت في الأحاديث والآثار التي استشهد بها خصوم السنة على شبهتهم .

ب - بيان علة النهى عن كتابة السنة عند أعدائها والرد على مزاعمهم الآتية :

أولاً : أن النهى عن كتابة السنة المطهرة يدل على أن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ أرادوا ألا يكون مع كتاب الله ﷻ كتاب آخر .

ثانياً : أن النهى يدل على أن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ أرادوا ألا تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم .

ثالثاً : أن النهى عن الإكثار من التحديث دليل على أن الصحابة ﷺ كانوا يجتهدون في مقابل السنة الشريفة ولا يأخذون بها .

رابعاً : أن النهى عن الإكثار من الرواية يدل على حجية السنة، واتهام على من أبى بكر وعمر ﷺ للصحابة بالكذب .

## شبهة النهى عن كتابة السنة استعراض الشبهة وأصحابها

تتلخص هذه الشبهة في زعم المستشرقين وذيولهم من أعداء السنة : أن السنة النبوية لو كانت حجة لأمر النبي ﷺ بكتابتها ، ولعمل الصحابة والتابعون ﷺ أجمعين من بعده على جمعها وتدوينها ، حتى يحصل القطع بثبوتها بكتابتها كما هو الشأن في القرآن الكريم، ولكن الثابت أن النبي ﷺ - نهى عن كتابتها، وأمر بمحو ما كتب منها، وكذلك فعل الصحابة والتابعون، ولم يقتصر الأمر منهم على ذلك، بل امتنع بعضهم عن التحديث ، أو قلل منه، ونهى الآخرون عن الإكثار منه .

واستدل بتلك الشبهة بعض غلاة الشيعة حيث ذهبوا إلى عدم صحة النهى عن كتابة السنة النبوية من النبي ﷺ ، وسقم قول من يقول بذلك والذهاب إلى أن النهى عن كتابة السنة والمنع من التحديث بها كان نابغاً من موقف سياسى اتخذته الخليفة أبو بكر ، ثم عمر ، ومن بعده الخلفاء للحد من نشر فضائل أهل البيت، وتخوفاً من اشتهار أحاديث الرسول ﷺ في فضل على وأبنائه ما دل على إمامتهم. مضافاً إلى مساس هذا التحديث بأصل مشروعية خلافتهم .

وأن روايات منع الكتابة إنما اختلفت في وقت متأخر لتبرير منع الشيخين أبى بكر وعمر- رضى الله عنهما - ومن حذا حذوهما .

وعلى أسس هذه الشبهة بنى على الشهرستاني<sup>(١)</sup> كتابه «منع تدوين الحديث أسباب ونتائج»<sup>(٢)</sup> ، وكذا مرتضى العسكري<sup>(٣)</sup> في كتابه (معالم المدرستين)<sup>(٤)</sup> ، وزكريا عباس داود<sup>(٥)</sup> في كتابه «تأملات في الحديث عند السنة والشيعة»<sup>(٦)</sup> ، ومروان

(١) علي الشهرستاني: كاتب شيعي معاصر، من مصنفاته منع تدوين الحديث أسباب ونتائج، طعن فيه في حجة السنة النبوية وفي روايتها من الصحابة الأعلام ، وخاصة أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية (رضى الله عنهم أجمعين).

(٢) منع تدوين الحديث ص ١٩، ١٨٥، ٢١٠، ٣٥٧، ٣٦٥، ٥٠٥.

(٣) مرتضى العسكري: كاتب شيعي معاصر، وعميد كلية أصول الدين الأهلية ببغداد (سابقاً) من مصنفاته: عيد الله بن سبأ وأساطير أخرى، ومعالم المدرستين، وخمسون ومائة صحابي مختلف، وأحاديث غائشة وأطوار من حياتها، وهو في كل مؤلفاته السابقة يعلن مذهب الرافضة في السنة والصحابة .

(٤) معالم المدرستين المجلد ٢ / ٦٠، ٦١ .

(٥) زكريا عباس داود: كاتب سورى شيعي معاصر، من مؤلفاته تأملات في الحديث عند السنة والشيعة، أعلن فيه مذهب الرافضة في السنة والصحابة .

(٦) تأملات في الحديث ص ٣٧، ٤٢، ٤٤- ٦٢ .

خليفات<sup>(١)</sup> في كتابه (وركتب السفينة)<sup>(٢)</sup> وغيرهم من أعداء السنة<sup>(٣)</sup> .

واتفق المستشرقون مع الشيعة في عدم صحة النهي عن كتابة السنة في أول الأمر في عهد النبوة المباركة، بناءً على رأيهم في السنة النبوية بأنها وضعت على النبي ﷺ ونسبت إليه، مما هي إلا نتيجة للتطور الديني، والسياسي، والاجتماعي للمسلمين<sup>(٤)</sup> .

وقد تزعم هذه الفرية صنمهم الأكبر «جولدتسيهر» ، والذي ذهب إلى أن الأحاديث الواردة في النهي عن كتابة السنة، والأحاديث الأخرى التي تحت على كتابتها ، ما هي إلا أثر من آثار تسابق أهل الحديث في جانب وأهل الرأي في جانب آخر، إلى وضع الأقوال المؤيدة لنزعتهم المتناقضتين . فأهل الحديث يذهبون إلى كتابة السنة؛ لتكون دليلاً على صحتها والاحتجاج بها . فيقول : « إن الجميع متفقون على أنه لا يمكن إنكار أن تدوين الأحاديث كان له خصوم، وهذه الكراهية للكتابة لم تكن موجودة منذ البداية، ولكنها نشأت بسبب التحامل الذي ظهر فيما بعد<sup>(٥)</sup> » ويقول في موضع آخر: « وفي هذا الموضوع هنالك مجموعتان من الآراء في حالة تناقض، ولكي نبين ذلك لا بد لنا من الرجوع إلى حقب زمنية مبكرة من هذا النزاع .

وللفريقين آراؤهما الخاصة، وقد سيق في صورة أحاديث نبوية، فيروى أحد الفريقين قول النبي ﷺ : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، ومن كتب شيئاً فليمحه »<sup>(٦)</sup> بينما يروى ابن جريج من الفريق الثاني حديثاً عن ابن عمرو؛ أنه سأل النبي ﷺ : « هل أقيد العلم؟ » فوافقه النبي ﷺ على ذلك، وعندما سئل عن معنى تقييده أجاب بأنها الكتابة<sup>(٧)</sup> .

(١) مروان خليفات : كاتب سوري معاصر حصل على العالية (الليسانس) من كلية الشريعة بسوريا، تشيع وغالي في تشيعه من مؤلفاته : وركتب السفينة .

(٢) وركتب السفينة ص ١٧٣ - ١٨٠ .

(٣) مثل محمود أبو رية القائل عقب حديث ( لا تكتبوا عني .. إلخ ) هذا الحديث الذي بنينا عليه كتابنا هذا، انظر : أضواء على السنة ص ٣٤ ، وانظر : ممن قال بهذه الشبهة حسين الدركاهي الرافضي في مقدمة كتاب كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين لابن المطهر الحلي .

(٤) سيأتي تفصيل تلك الشبهة والرد عليها في شبهة التأخر في تدوين السنة ص ٣٤٦-٣٧٤ .

(٥) دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا ، العدد ١٠ ، ص ٥٦٦ .

(٦) سيأتي تفريجه انظر : ص ٢٧١ .

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم ١ / ١٨٨ رقم ٣٦٢ ، وانتقده الذهبي بأن فيه ابن المؤمل ضعيف، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٥٢ ، وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه عبد الله بن المؤمل وثقه -

وقد حدث حماد بن سلمة أن جد عمرو بن شعيب سأل النبي ﷺ : هل يكتب كل ما سمعه منه . فأجابه النبي ﷺ : «نعم» فقال له : في الغضب والرضا؟ قال : نعم؛ فإني لا أقول في الغضب والرضا إلى الحق<sup>(١)</sup> .

ويقول أبو هريرة : «إن رجلاً من الأنصار جلس يسمع من النبي ﷺ الأحاديث فلم يقدر على حفظها، فشكى ذلك إليه ، فقال له النبي ﷺ «استعن على ذلك يمينك»<sup>(٢)</sup> .

وباختراع هذه الأحاديث حاول كلا الفريقين المتنافسين أن يقدم الحجج على صحة مذهبه دون أن يكشف أي منهم عن دوافعه . وسبب هذه القناعات الدينية<sup>(٣)</sup> .

أما ذيول المستشرقين من دعاة اللادينية، فمع اعترافهم بصحة النهي عن كتابة السنة من النبي ﷺ في أول الأمر - لعل سيأتى ذكرها إلا أنهم أعرضوا عن تلك العلل ، وسفهاوا رأى من يقول بها من أئمة المسلمين من المحدثين والفقهاء وسائر علماء المسلمين إلى يومنا هذا .

بالرغم من أن علة النهي عن كتابة السنة في أول الأمر واردة في الأحاديث التي استشهدوا بها على عدم حجية سواء كانت أحاديث مرفوعة أو آثار موقوفة ومقطوعة.

وهم في نفس الوقت أعرضوا عن الأحاديث التي نحث على كتابة السنة النبوية وأكثرها مرفوع إليه ﷺ وأكثر منها موقوف على الصحابة ، ومقطوع على التابعين، وفيه حرص كل منهم على كتابة السنة وتدوينها، وهم أنفسهم الذين روى عنهم النهي عن كتابة السنة، والنهي عن الإكثار منها .

ولم يبين لنا خصوم السنة سر هذا التناقض الظاهري في الرويات في الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة؟ مع عدم إقرارهم بعللة وحكمة النهي؟

= ابن معين وابن حبان ، وقال ابن سعد: ثقة قليل الحديث، وقال الإمام أحمد: أحاديثه مناكير. والحديث أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص ٦٨، وأحدث الفاضل ص ٣٦٤ .

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم، باب في كتاب العلم ٣ / ٣١٨ رقم ٣٦٤٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم، باب الرخصة فيه ٥ / ٣٨ رقم ٢٦٦٦ وقال : ليس إسناده بذلك القائم. ونقل عن الإمام البخاري أن أحد رجال الإسناد وهو الخليل بن مرة منكر الحديث. وأخرجه الخطيب في تقييد العلم ص ٦٥ من عدة طرق في بعضها (الخليل بن مرة) . وأخرجه الخطيب أيضاً في الجامع لأخلاق الراوي ١ / ٢٤٩ رقم ٥٠٣. وفي إسناده (الخليل بن مرة) أ.هـ .

(٣) دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير . نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ / ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

ولا يمكن أن يقبل منهم الإجابة بأن سر هذا التناقض في الروايات الناهية للكتابة والمرخصة لها - بأن النهي ناسخ للإذن ، وأن هذا النهي من النبي ﷺ والصحابه والتابعين - رضى الله عنهم أجمعين - دليل منهم على أنهم أرادوا ألا يجعلوا الأحاديث ديناً وشرعية عامة؛ كالقرآن، كما ذهب إلى ذلك الدكتور توفيق صدقي وتأثر به الأستاذ محمد رشيد رضا - رحمه الله - وتابعه في ذلك محمود أبو رية، وجمال البناء، وعبد الجواد ياسين، وغيرهم. إذ لا دليل على ذلك كما سيأتي في موضعه<sup>(١)</sup>.

ثم إن أعداء السنة وهم في إنكارهم لحجية السنة النبوية خلطوا بين النهي عن كتابة السنة وبين تدوينها - حيث فهموا خطأ أن التدوين هو الكتابة - وعليه فإن السنة النبوية - ظلت محفوظة في الصدور لم تكتب إلا في نهاية القرن الأول الهجري، في عهد عمر بن عبد العزيز، وهو فهم غير صحيح، كما سيأتي في شبهة التأخر في التدوين.

ثم إنهم خانوا الأمانة العلمية . وهم يؤرخون للسنة المطهرة إذ استدلووا على عدم حجييتها بأحاديث مرفوعة وأخرى موقوفة على الصحابة، ومقطوعة على التابعين - وكلها تنهى عن كتابتها ونحو ما كتب منها، وجمعوا تلك الأحاديث من كتب الأئمة وهم يستعرضونها تمهيداً للرد عليها ، فنقلوا هذه الأحاديث التى تشير إلى شبهتهم، ولم ينقلوا الرد .

**فالحافظ الخطيب البغدادي** في كتابه تقييد العلم، عقد باباً بعنوان «الآثار والأخبار الواردة عن كراهة كتابة العلم» ، ثم أتبعه بباب ثان بعنوان «وصف العلة في كراهة كتاب الحديث» ، ثم أتبعه بباب ثالث بعنوان «الآثار والأخبار الواردة عن إباحة كتابة العلم»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك فعل الحافظ ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» عقد باباً بعنوان «ذكر كراهية كتابة العلم وتخليده في الصحف» ثم أتبعه بباب عنوانه «بيان أن السلف كانوا يكرهون كتابة الحديث» وبعده باب بعنوان «ما ورد في كراهية السلف كتابة العلم ، وإنما كانوا يعتمدون على الحفظ» وبعده باب «ذكر الرخصة في كتابة العلم» وأخيراً باب «استحباب السلف كتابة العلم خشية النسيان»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر : ص ٣٠٥-٣١٤ .

(٢) تقييد العلم ص ٢٩-١١٣ .

(٣) انظر : جامع بيان العلم ١/ ٦٣- ٧٧ .

وكذلك فعل الحافظ الدارمي في كتابه السنن : ففي المقدمة عقد بابا وأسماء «من لم ير كتابة الحديث» وأتبعه بباب «من رخص في كتابة العلم»<sup>(١)</sup> .

هذا فضلا عن الأبواب التي تحدثوا فيها عن حجية السنة، فما على خصوم السنة إلا بنقل الباب الذي يؤيدهم في دعواهم «الآثار والأخبار الواردة عن كراهة كتابة العلم» وغض الطرف عن بقية الأبواب التي تفحهم وتفضح كذبهم وتقيم عليهم الحجة كـ «باب وصف العلة في كراهة كتابة الحديث» وباب «الآثار والأخبار الواردة عن إباحة كتابة العلم» .

وهذا دأب أعداء الإسلام دائما يتصيدون أدلتهم من تراثنا الإسلامي الخالد، ولا يكلفون أنفسهم شيئا - فهو قوم تخصصوا في الخيانة العلمية والباس الحق ثوب الباطل .

ومن سلك ذلك المسلك واستدل بتلك الشبهة من أعداء السنة : «الدكتور توفيق صدقي<sup>(٢)</sup> ، ومحمود أبو رية<sup>(٣)</sup> ، وقاسم أحمد<sup>(٤)</sup> ، وأحمد صبحي منصور<sup>(٥)</sup> ، وإسماعيل منصور<sup>(٦)</sup> ، ومحمد شحرور<sup>(٧)</sup> ، وأحمد حجازي السقا<sup>(٨)</sup> ، وجمال البنا<sup>(٩)</sup> ، ومصطفى المهدي<sup>(١٠)</sup> ، ونيازي عز الدين<sup>(١١)</sup> ، ورشاد خليفة<sup>(١٢)</sup> ، وعبد الجواد

(١) انظر : سنن الدارمي المقدمة ١ / ١٣٠ - ١٤٠ .

(٢) مجلة المنار المجلد ٩ / ٩١٣ .

(٣) أضواء على السنة ص ٤٦ .

(٤) إعادة تقييم الحديث ص ١١٤ - ١٢٨ .

(٥) حد الردة ص ٨٩ ، وعذاب القبر ص ٥ ، ٦ ، ومجلة روزاليوسف العدد ٣٥٣٠ ص ٥٠ .

(٦) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٧ ، ١٤ ، ٢٢٥ .

(٧) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٥٤٦ ، ٥٦٥ .

(٨) حقيقة السنة النبوية ص ١٢ .

(٩) الأضلال العظيمة ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص ٧ .

(١٠) البيان بالقرآن ١ / ٢٥ .

(١١) إنذار من السماء ص ١١٧ ، ١٣٤ .

(١٢) القرآن والحديث والإسلام ص ١٩ .

ياسين<sup>(١)</sup>، وأحمد أمين<sup>(٢)</sup>، وحسين أحمد أمين<sup>(٣)</sup>، ومحمد حسين هيكل<sup>(٤)</sup> وغيرهم .

## نماذج من الأحاديث والآثار الواردة في النهي عن كتابة السنة النبوية : أولاً : الأحاديث المرفوعة :

١- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن ؛ فليمححه ؛ وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً ؛ فليتبوأ مقعده من النار »<sup>(٥)</sup> وفي رواية عنه قال : « استأذنا النبي في الكتابة فلم يأذن لنا »<sup>(٦)</sup> .

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه <sup>(٧)</sup> قال : كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ ، فخرج علينا ؛ فقال : ما هذا تكتبون ؟ فقلنا : ما نسمع منك ، فقال : أكتب مع كتاب الله ؟ فقلنا : ما نسمع . فقال : اكتبوا كتاب الله المحضوا كتاب الله ، أكتب غير كتاب الله ، المحضوا كتاب الله أو خلصوه ، قال : فجمعنا ما كتبنا في صعيد

---

(١) عبد الجواد ياسين : قاضى مصرى سابق ، تخرج من كلية الحقوق في جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦ ، من مؤلفاته « السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ » شكك في هذا الكتاب في حجية السنة وفي روايتها . انظر : استشهاد بالشبهة التى معنا في كتابة السلطة في الإسلام ص ٢٣٨ .

(٢) أحمد أمين : هو : أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ ، تخرج بـ مدرسة القضاء الشرعي ، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية ، ثم عين مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية فعميداً لها . من مؤلفاته : « فجر الإسلام ، وضحاها ، وظهوره » وقد تحدث في كتبه السابقة عن الحديث فمزج بالدمس ، وخلط الحق بالباطل . مات سنة ١٩٥٤ م . له ترجمة في الأعلام ١ / ٣٧٩ ، انظر : استشهاد بالشبهة التى معنا في كتابه فجر الإسلام ص ٢٠٨ ، ٢١ ، ٢٣٣ ، وضحي الإسلام ٢ / ١٠٦ .

(٣) حسين أحمد أمين : كاتب مصري معاصر ، وهو ابن الأستاذ أحمد أمين . من مؤلفات حسين أحمد أمين « دليل المسلم الخزين » ردد فيه طعون المستشرقين في حجية السنة ، وانظر استشهاد بالشبهة التى معنا في كتابه دليل المسلم الخزين ص ٤٣ .

(٤) محمد حسين هيكل : كاتب مصري من رواد المدرسة العقلية الحديثة ؛ تأثر فيما كتب عن السنة وسيرة النبي ﷺ بالمستشرقين . انظر : تأثره بالشبهة التى معنا في كتابة حياة محمد ص ٥٥ .

(٥) أخرجه مسلم ( بشرح النووي ) كتاب الزهد والرقائق ، باب التبت في الحديث ، وحكم كتابه العلم ٩ / ٣٥٦ رقم ٣٠٠٤ .

(٦) أخرجه الترمذي كتاب العلم : باب ما جاء في كراهية كتابة العلم ٥ / ٣٧ رقم ٢٦٦٥ . قال أبو عيسى : وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه أيضاً عن زيد بن أسلم ، رواه همام عن يزيد بن أسلم وأخرجه الدارمي في سننه المقدمة ، باب من لم ير كتابة الحديث ١ / ١٣٦ رقم ٤٥١ ، والخطيب في تقييد العلم ص ٣٢ ، والقاضي عياض في الإلماص ص ١٤٨ .

(٧) ستأتي ترجمته في مبحث (أبو هريرة راوية الإسلام رغم أنف الحاقدين) ٢ / ١٠٣-١١٦ .

واحد، ثم أحرقناه بالنار. قلنا : أي رسول الله أنتحدث عنك؟ قال : نعم . تحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب على متعمداً ؛ فليتبوأ مقعده من النار قال فقلنا: يا رسول الله أنتحدث عن بني إسرائيل؟ قال : نعم. تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج؛ فإنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه» (١) .

٣- وروي أيضاً عن زيد بن ثابت مرفوعاً (٢) .

ثانياً : الآثار الموقوفة والمقطوعة:

ذهب إلى النهى عن كتابة السنة النبوية جمع من الصحابة والتابعين منهم:

١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٣) فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : جمع أبى الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث. فبات ليلة يتقلب كثيراً . قالت فغممة فقلت: أنتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال : أي بنيه هلمي الأحاديث التي عندك . فجئته بها . فدعا بنار فأحرقها وقال : خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل أئمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثنى . فأكون قد نقلت ذلك» (٤) .

وفي رواية أخرى ، زاد بعد قوله فأكون قد نقلت ذلك، ويكون قد بقى حديث لم

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٢ - ١٣ ، والخطيب في تقييد العلم ص ٣٤ ، وفيه عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، متفق على ضعفه انظر : في ترجمته : تقريب التهذيب ١/ ٥٧٠ رقم ٣٨٧٩ ، والضعفاء والمزورين للنسائي ص ١٥٨ رقم ٣٧٧ ، والضعفاء لابن نعيم ص ١٠٢ رقم ١٢٢ والمخرجين لابن حبان ٢/ ٥٧ ، والتاريخ الصغير ص ٢٠٨ رقم ٣٧٠ ، والتاريخ الكبير ٥/ ٢٨٤ رقم ٩٢٢ ، والجرح والتعديل ٥/ ٢٣٣ رقم ١١٠٧ ، ولسان الميزان ٨/ ٤٨٨ رقم ١٣٣٧٦ .

(٢) أخرجه أبو دلود في مسنده كتاب العلم، باب في كتاب العلم ٣/ ٣١٨ رقم ٣٦٤٧ ، وأحمد في المسند ٥/ ١٨٢ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٣ ، والخطيب في تقييد العلم ص ٣٥ ، والقاضي عياض في الإلحاح ص ١٤٨ .

(٣) أبو بكر الصديق: صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب ٣/ ٩٦٣ رقم ١٦٣٣ ، واسد الغابة ١٣/ ٣١٠ رقم ٣٠٦٦ ، وتاريخ الصحابة ٢٣ رقم ١ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢ رقم ١ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٠ رقم ٢ ، والإصابة ٢/ ٣٤١ رقم ٤٨٣٥ .

(٤) ذكره الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/ ٥ وقال لا يصح. والعجب ممن يدعون الأمانة العلمية مثل صاحب أضواء على السنة الذي نقل الرواية السابقة من التذكرة، ولم ينقل حكم الذهبي !!، انظر: أضواء على السنة ص ٤٩ ، وأعجب منه كذب إسماعيل منصور على الإمام الذهبي حيث قال إسماعيل منصور بعد نقله الرواية السابقة من التذكرة «وحسب المنصف أن يرى هذه الرواية وهي كما وردت موثقة في تذكرة الحفاظ للذهبي» أ. هـ . انظر: تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٢٦ .

أجده فيقال : لو كان قال رسول الله ﷺ ماغاب على أبي بكر . إني حدثكم الحديث ولا أدري لعلي لم أتبعه حرفاً حرفاً .

قال الحافظ ابن كثير: هذا غريب من هذا الوجه جداً، وعلى بن صالح لا يعرف، والأحاديث عن رسول الله ﷺ أكثر من هذا المقدار بآلاف ولعله إنما اتفق له جمع تلك الأحاديث فقط ثم رأى ما رأى لما ذكر . وقال الحافظ السيوطي<sup>(١)</sup> أو لعله جمع ما فاته سماعه من النبي ﷺ وحدثه عنه به بعض الصحابة كحديث الجدة<sup>(٢)</sup> ونحوه ، والظاهر أن ذلك لا يزيد على هذا المقدار، لأنه كان أحفظ الصحابة وعنده من الأحاديث ما لم يكن عند أحد منهم كحديث : (ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض)<sup>(٣)</sup> ، ثم خشى أن يكون الذي حدثه وهم فكره نقل ذلك، وذلك صريح في كلامه<sup>(٤)</sup> أ . هـ .

٢- عمر بن الخطاب ؓ : عن عروة بن الزبير<sup>(٥)</sup> : أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق

---

(١) السيوطي : هو عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي ، جلال الدين ، كان إماماً حافظاً بارعاً ذا قدم واسعة في علوم شتى، فكان مفسراً ، محدثاً فقيهاً أصولياً ، لغوياً ، مورخاً ، له تأليف بلغت نحو ستمائة مصنف منها : الأشباه والنظائر في القواعد الفقهية، والأشباه والنظائر في العربية ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، والإتقان في علوم القرآن ، والجامع الكبير والصغير، والأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة مات سنة ٩١١ هـ . له ترجمة في : حسن المحاضرة للسيوطي ١ / ٣٣٥ رقم ٧٧ وشنفرات الذهب ٨ / ٥١ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٣ ، والبدور الطالع للشوكاني ١ / ٣٢٨ رقم ٢٢٨ .

(٢) سيأتي تخريجه ٢ / ٢٦، ٢٥ .

(٣) أخرجه العزمي في سننه كتاب الجنائز، باب رقم ٣٣، ٣ / ٣٣٨ رقم ١٠١٨ وقال : أبو عيسى هذا حديث غريب . وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه . وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه . فرواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ أيضاً . وهذا الشاهد الذي ذكره الترمذي أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الجنائز ، باب ذكر وفاته ﷺ ١ / ٥٢٠ رقم ١٦٢٨ واللفظ له . وفي إسناده الحسين بن عبد الله الهاشمي فيه خلاف انظر : مصباح الزجاجه للبوصري ١ / ٥٤٢ .

(٤) انظر منتخب كنز العمال ٤ / ٥٨ ، ٥٩ ، ودلائل التوثيق للمكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص ٥٠٣ ، وانظر : كذب محمود أبو رية على محمد رشيد رضا بأنه صحح هذه الرواية، في حين أن رشيد رضا نقل حكم الأئمة السابق انظر مجلة المنار ١٠ / ٧٦٤ ، وأضواء على السنة ص ٤٩ هامش .

(٥) عروة بن الزبير : هو عروة بن الزبير بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله المدني، روى عن أبيه، وخالته، وعلي، وخلق، وعنه بنوه عثمان، وعبد الله، والزهرى، كان فقيهاً عالماً كثير الحديث ثبتاً مأموناً، مات سنة ٩٤ هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٦٧١ رقم ٤٥٧٧ ، والكاشف ٢ / ١٨ رقم ٣٧٧٥ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥ / ١٧٩ ، والثقات للعجلي ص ٣٣١ رقم ١١٢١ ، والثقات لابن حبان ٥ / ٦٩٤ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٦٢ رقم ٥١ ، والبداية والنهاية ٩ / ١٠١ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٨٢ رقم ٤٢٨ .

عمر يستخير الله عز وجل فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له ، فقال: « إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها، وتركوا كتاب الله تعالى ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشئ أبداً» (١) .

٣- علي بن أبي طالب ؓ روى عنه قال : «أعزم على كل من عنده كتاب إلا رجع فمحوه، فإنما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم، وتركوا كتاب ربهم» (٢) .

٤- أبو سعيد الخدري ؓ فعن أبي نضرة قال (٣) : قيل لأبي سعيد لو اكتبنا الحديث فقال: لا نكتبكم، خذوا عنا كما أخذنا عن نبينا (٤) ؓ .

وعنه من طريق آخر: «قال : أتريدون أن تجعلوها مصاحف، إن نبيكم ؓ كان يحدثنا فنحفظ، فاحفظوا كما كنا نحفظ» (٥) .

وعنه من طرق أخرى: «قال : قلت لأبي سعيد الخدري ؓ : إنك تحدثنا عن رسول الله ﷺ حديثاً عجيباً ، وإنا نخاف أن نزيد فيه أو ننقص قال أردتم أن تجعلوه قرأناً لا ، لا ، ولكن خذوا عنا ، كما أخذنا عن رسول الله ﷺ» (٦) .

٥- أبو هريرة ؓ روى عنه أنه قال : نحن لا نكتب ولا نكتب» (٧) . بفتح نون الفعل الأول ، وضم نون الفعل الثاني .

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٤، والخطيب في تقييد العلم ص ٤٩ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) أبو نضرة: هو المنذر بن مالك بن قطعة، بضم القاف وفتح المهملة، العبدى أبو نضرة، مشهور بكنيته، روى عن أبي سعيد الخدري، وابن عباس، وعن علي مرسلاً ، وعنه قتادة، وعوف، وابن أبي عروبة وخلق. متفق على توثيقه مات سنة ١٠٨ هـ . له ترجمة في: تقريب التهذيب ٢/ ٢١٣ رقم ٦٩١٥ ، والكاشف ٢/ ٢٩٥ رقم ٥٦٣٢ ، والنقبات للعجلي ٤٣٩ رقم ١٦٣٣ ، والنقبات لابن حبان ٥/ ٤٢٠ ، طبقات ابن سعد ٧/ ٢٠٧ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٢٢ رقم ٧٠٩ .

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٤ .

(٥) المصدر السابق ١/ ٦٤ ، وأخرجه الخطيب في المحدث الفاضل ص ٣٧٩ ، وتقييد العلم ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٦) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من لم يترك كتابة الحديث ١/ ١٣٣ رقم ٤٧١ ، وابن المبارك في مسنده ص ١٤٢ رقم ٢٣١ ، وقال المحقق الأستاذ صبحي البدر السامرائي لإسناده صحيح، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٤ ، والخطيب في تقييد العلم ص ٣٨ ، والمحدث الفاضل ص ٣٦٣ .

(٧) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من لم يترك كتابة الحديث ١/ ١٣٣ ، رقم ٤٧٢ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٦ ، والخطيب في تقييد العلم ص ٤٢ .

وروي عن سيعد بن أبي الحسن<sup>(١)</sup> قال : « لم يكن من أصحاب النبي ﷺ أكثر من أبي هريرة حديثاً عن رسول الله ﷺ ، وإن مروان زمن ما كان على المدينة أراد أن يكتب حديثه ، فأبى ، وقال : «ارووا كما نروى» فلما أبى عليه تغفله فأقعد له كاتباً لقنناً ثقافاً فجعل أبو هريرة يحدثه ويكتب الكاتب ، حتى استفرغ حديثه أجمع ، قال : ثم قال مروان : تعلم أنا قد كتبنا حديثك أجمع؟ قال : «وقد فعلتم؟ قال نعم. قال فاقروه على إذا ، قال : فاقروه عليه ، فقال أبو هريرة : أما إنكم قد حفظتم ، وإن تطعنى تمحه ، قال : فمحاها»<sup>(٢)</sup> .

٦- ابن عباس - رضى الله عنهما - روى عنه أنه قال : «إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه»<sup>(٣)</sup> وفي رواية قال : «إنا لا نكتب في الصحف إلا الرسائل والقرآن»<sup>(٤)</sup> .

٧- ابن مسعود ؓ روى عنه : أن علقمة<sup>(٥)</sup> جاءه بكتاب أو صحيفة من مكة أو اليمن فيها أحاديث في أهل بيت النبي ﷺ فدعا جاريته ثم دعا بطست فيها ماء فجعل يحوها ويقول : «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ»<sup>(٦)</sup> القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بما سواه<sup>(٧)</sup> .

(١) هو سيعد بن أبي الحسن البصري ، أخو الحسن البصري ، روى عن أمه ، وأبى هريرة ، وعنه أخوه ، وعوف ، وسليمان التيمي ، متفق على توثيقه ، مات سنة ١٠٠ هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٣٥٠ رقم ٢٢٩١ ، والكاشف ١ / ٤٣٣ رقم ٨٦٦ ، والثقات للعجلي ص ١٨٢ رقم ٥٣٦ ، والثقات لابن حبان ٤ / ٢٧٦ ، مشاهير علماء الأمصار ص ١١٥ رقم ٦٥٧ .

(٢) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص ٤١ .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١ / ٦٤ ، والخطيب في تقييد العلم ص ٤٢ .

(٤) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص ٤٢ ، ٤٣ ز

(٥) علقمة هو : علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ، أبو شبل ، أخو يزيد بن قيس ، روى عن أبي بكر وعمر و ابن مسعود ، وعنه ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد ، وابن أخته إبراهيم النخعي ، وسلمه بن كهيل ، وآخرون ثقة ثبت فيه عابد مات ٦٢ هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٦٨٧ رقم ٤٦٩٧ ، والكاشف ٢ / ٣٤ رقم ٣٨٧٣ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٤٨ رقم ٢٤ ، وطبقات الحفاظ ص ٢٠ رقم ٢٤ ، والثقات للعجلي ٣٣٩ رقم ١١٦١ ، والبداية والنهاية ٨ / ٢١٩ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٢٥ رقم ٧٤١ .

(٦) الآية ٣ من سورة يوسف .

(٧) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص ٥٤ .

وفي رواية لابن عبد البر زيادة قال أبو عبيد<sup>(١)</sup> : يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب، لهذا كره عبد الله النظر فيها<sup>(٢)</sup> .

وفي رواية للدارمي عن مرة الهمداني<sup>(٣)</sup> ، قال : جاء أبو مرة الكندي بكتاب من الشام فحمله فدفعه إلى عبد الله بن مسعود، فنظر فيه فدعا بطست ثم دعا بماء فمرسه فيه، وقال: إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتابهم . قال حصين: فقال مرة : أما إنه لو كان من القرآن أو السنة لم يحجه ، ولكن كان من كتب أهل الكتاب<sup>(٤)</sup>.

٨- أبو موسى الأشعري<sup>(٥)</sup> روى عن أبي بردة<sup>(٦)</sup> قال : كتبت عن أبي كتيبا كثيرة فمحاها وقال «خذ عنا كما أخذنا»<sup>(٧)</sup> .

وعنه من طريق آخر عن أبي بردة قال: كان أبو موسى يحدثنا بأحاديث فنقوم أنا ومولى لي فنكتبها، فحدثنا يوما بأحاديث فقمنا لنكتبها فظن أنا نكتبها فقال : «أتكتبان ما سمعتما مني؟» قالوا : نعم . قال: فجيئاني به» فدعا بماء فغسله، وقال

(١) أبو عبيد هو : القاسم بن سلام بالثديدي، البغدادي، أبو عبيد، الإمام المشهور ثقة، فاضل، مصنف، له أقوال في شرح الغريب، مات سنة ٢٢٤هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب ١٩ / ٢ رقم ٥٤٧٩، تهذيب التهذيب ٨ / ٣١٥ رقم ٥٧٢، الكاشف ٢ / ١٢٨ رقم ٤٥١١ ، وسؤالات مسعود بن علي السجزي للحاكم ص ٢٤٩ رقم ٣٣٨، وتاريخ بغداد ١٢ / ٤٠٣ رقم ٦٨٦٨ ، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ١ / ١٥٠ رقم ٤٤ .

(٢) جامع البيان العلم ١ / ٦٦ .

(٣) مرة الهمداني هو : مرة بن شراحيل الهمداني، بسكون الميم، أبو إسماعيل الكوفي، هو الذي يقال له مرة الطيب، وإنما سمي طيباً لكثرة عبادته، روى عن ابن مسعود وعمر، وعنه عمرو بن مرة ، وابن أبي خالد ، ثقة عابد مات ٧٦هـ . وقيل بعد ذلك في : تقريب التهذيب ٢ / ١٧٠ رقم ٦٥٨٣، الكاشف ٢ / ٢٥٣ رقم ٥٣٦١ ، الثقات للعجلي ٤٢٤ رقم ١٥٥٥ ، مشاهير علماء الأمصار ١٢٧ رقم ٧٥٤ ، والأنساب المتفقة في الخط لابن القيسراني ص ٩٩ رقم ١٦٢ .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة ، باب من لم ير كتابه الحديث ١ / ١٣٤ رقم ٤٧٧ .

(٥) أبو موسى الأشعري: صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب ٣ / ٩٧٩ رقم ١٦٣٩ ، واسد الغابة ٦ / ٢٩٩ رقم ٦٢٩٦ ، وتاريخ الصحابة ص ١٥٤ رقم ٧٤١ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٢٣ رقم ١٠ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٤٧ رقم ٢١٦ ، والإصابة ٢ / ٣٥٩ رقم ١٠٩٥٠ .

(٦) أبو بردة هو : أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، قيل اسمه عامر، وقيل الحارث، روى عن أبيه، وعلي، والزبير، وعنه عبد الله، ويوسف ، وحفيدة، بريد ابن عبد الله، متفق على توثيقه، مات سنة ١٠٤هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢ / ٣٦٠ رقم ٧٩٨١ ، والكاشف ٢ / ٤٠٧ رقم ٦٥٠٨ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٩٥ رقم ٨٦ ، وطبقات الحفاظ ص ٤٣ رقم ٨٤ ، وطبقات ابن سعد ٧ / ١٣٣ ، والثقات للعجلي ص ٤٩١ رقم ١٩٠٣ ، مشاهير علماء الأمصار ص ١٣٠ رقم ٧٧٦ .

(٧) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص ٣٩ .

«احفظوا عنا كما حفظنا»<sup>(١)</sup> .

وعنه من طريق آخر عن أبي بردة أبي موسى قال كتبت عن أبي كتاباً فقال: «لولا أن فيه كتاب الله لأحرقته، ثم دعا بمركن أو بإحانة»<sup>(٢)</sup> فغسلها، ثم قال: دع عني ما سمعت مني، ولا تكتب عني؛ فإنني لم أكتب عن رسول الله ﷺ كتاباً كدت تهلك أباك»<sup>(٣)</sup> .

٩- عمرو بن دينار<sup>(٤)</sup> - رحمه الله - : روى عن سفيان الثوري<sup>(٥)</sup> قال : قيل لعمر: إن سفيان يكتب، فاضطجع وبكى وقال «أخرج على من يكتب عني» قال سفيان : «وما كتبت عنه شيئاً ، كنا نحفظ»<sup>(٦)</sup> .

١٠- الضحاك<sup>(٧)</sup> - رحمه الله - : روى عنه أنه قال : «لاتتخذوا للحديث كرايس ككرايس المصاحف»<sup>(٨)</sup> وعنه من طريق آخر قال : «يأتى على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بقبارة لا ينظر فيه»<sup>(٩)</sup> .

---

(١) أخرجه بن عبد البر في جامع البيان العلم ١/ ٦٦ ، والخطيب في تقييد العلم ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) إجابة : إناء فيه ماء متغير الطعم واللون . انظر : النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٦ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٩/ ٥٣ ، والطبراني في الكبير ، ولم أجده في الجزء المطبوع من المعجم ، وقال الحافظ الميمني في مجمع الزوائد ١/ ١٥١ ، وعزاه إلى الطبراني في الكبير والبرار بنحوه إلا أن البرار قال : (احفظ كما حفظ رسول الله ﷺ ، ورجاله رجال الصحيح أ . هـ .

(٤) هو : عمرو بن دينار المكي ، أبو محمد ، روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وعنه شعبة والسفيانان ، ومالك ، ثقة ثبت ، وما قيل عنه من التشيع فباطل ، مات سنة ١٢٦ هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٧٣٤ رقم ٥٠٤٠ ، والكاشف ٢/ ٧٥ رقم ٤١٥٢ ، والثقات للعجلي ٣٦٣ رقم ١٢٥٧ ، والثقات لابن حبان ٥/ ١٦٧ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٣٢٨ رقم ٢٥٤٤ .

(٥) سفيان الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله الكوفي ، أمير المؤمنين في الحديث ، روى عن عمرو بن دينار ، وابن المنكر ، وسلمة بن كهيل ، وعنه القطان ، وعلي بن الجعد ، والفريابي ، متفق على توثيقه ، مات ١٦١ هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٣٧١ رقم ٣٤٥٢ ، الكاشف ١/ ٤٤٩ رقم ١٩٩٦ ، والثقات للعجلي ١٩٠ رقم ٥٧١ ، وتذكرة الحفاظ والأنساب المتفقه في الخط لابن القيسراني ص ٤٣ رقم ٤١ .

(٦) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص ٤٧ .

(٧) الضحاك هو : الضحاك بن مزاحم الهلالي ، الحرساني ، أبو القاسم ، أبو محمد ، صدوق كثير الإرسال مات سنة ١٠٥ هـ . له ترجمة في تقريب التهذيب ١/ ٤٤٤ رقم ٢٩٨٩ ، والكاشف ١/ ٥٠٩ رقم ٢٤٣٧ ، والثقات لابن حبان ٦/ ١٨٥ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٢٧ رقم ١٥٦٢ .

(٨) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ، ص ٤٧ .

(٩) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٥ .

١١- عبدة السلماني<sup>(١)</sup> - رحمه الله - : « روى عنه أنه دعا بكتبه عند موته، فمحاها وقال: أخشى لأن يليها أحد بعدى، فيضعوها في غير مواضعها<sup>(٢)</sup> » .

١٢- إبراهيم<sup>(٣)</sup> - رحمه الله - : روى عن فضيل بن عمرو<sup>(٤)</sup> قال: قلت لإبراهيم: إني آتيك وقد جمعت المسائل، فإذا رأيتك كأنما تختلس مني وأنت تكره الكتابة قال: لا عليك؛ فإنه ما طلب إنسان علماً إلا آتاه الله منه ما يكفيه، وقل ما كتب رجل كتاباً إلا اتكل عليه<sup>(٥)</sup> .

١٣- علقمة - رحمه الله - روى أن مسروق<sup>(٦)</sup> قال له : أكتب لي النظائر قال: أما علمت أن الكتاب يكره؟ قال : بلى إنما أريد أن أحفظها ثم أحرقها، قال «فلا بأس»<sup>(٧)</sup> .

١٤- ابن عون<sup>(٨)</sup> - رحمه الله - روى عن حماد بن زيد<sup>(٩)</sup> قال : قال لي ابن عون:

(١) عبدة السلماني هو : عبدة بن عمرو السلماني بسكون اللام، ويقال بفتحها . أبو عمرو الكوفي، تابعي كبير، مخضرم، فقيه ثبت مات سنة ٧٢هـ أبو بعدا، والصحيح أنه مات قبل سنة سبعين . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٦٤٩ رقم ٤٤٢٩، والكاشف ١/ ٦٩٤ رقم ٣٦٤٧، والنقات للعجلي ٣٢٥ رقم ١٠٩٢، والنقات لابن حبان ١٣٩/ ٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٢٥ رقم ٧٣٥، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٠ رقم ٢٧ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٧، والخطيب في تقييد العلم ص ٦١ .

(٣) إبراهيم هو : إبراهيم بن سويد النخعي روى عن علقمة، والأسود، وعنه فضيل بن عمرو، وسلمة بن كهيل، ثقة، لم يثبت أن النسائي ضعفه له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٥٧ رقم ١٨٤، والكاشف ١/ ٢١٣ رقم ١٤٥، والنقات للعجلي ٥٢ رقم ٢٦، والنقات لابن حبان ٦/ ٦، ومشاهير علماء الأمصار ١٩٤ رقم ١٢٩٠ .

(٤) هو فضيل بن عمرو الفقيمي، بالفاء والقاف مصغراً، أبو النضر الكوفي، روى عن إبراهيم، والشعبي، وجمع، وعنه أبان من تغلب، وحجاج بن أرطاة، ثقة، مات سنة ١١٠هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢/ ١٥ رقم ٥٤٤٧، والكاشف ٢/ ١٤٢ رقم ٤٤٨٧، والجرح والتعديل ٧/ ٧٣ رقم ٤١٥، والنقات للعجلي ٣٨٤ رقم ١٣٥٦، والنقات لابن حبان ٧/ ٣١٤، ومشاهير علماء الأمصار ١٩٧ رقم ١٣١٣ .

(٥) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٨ .

(٦) مسروق هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي روى عن أبي بكر ومعاذ وعلقمة، وعنه إبراهيم، وأبو إسحاق، ويحيى بن وثاب، ثقة فقهى عابد، مخضرم، مات سنة ٦٣هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢/ ١٧٥ رقم ٦٦٢٢، والكاشف ٢/ ٢٥٦ رقم ٥٣٩١، مات سنة ٦٣هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢/ ١٧٥ رقم ٦٦٢٢، والكاشف ٢/ ٢٥٦ رقم ٥٣٩١، والنقات للعجلي ٤٢٦ رقم ١٥٦١، والنقات لابن حبان ٥/ ٤٥٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٢٦ رقم ٧٤٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٩ رقم ٢٦ .

(٧) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٦، والخطيب في تقييد العلم ص ٥٨، ٥٩ .

(٨) ابن عون : هو عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون البصري، من أتباع التابعين، روى عن أبي وائل، وإبراهيم، وحماد، وعنه شعبة، والقطان، متفق على توثيقه مات سنة ١٥٠هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٥٢٠ رقم ٣٥٣٠، والكاشف ١/ ٥٨٢ رقم ٢٨٩٦، والنقات للعجلي ٢٧٠ رقم ٨٥٩، والنقات لابن شاهين ١٨٣ رقم ٥٩٠، ومشاهير علماء الأمصار ١٨٠ رقم ١١٨٥ .

(٩) هو : حماد بن زيد درهم الأزدي، الجهضمي، أبو إسماعيل البصري، روى عن ابن عون، وثابت، وأبي-

«إنى أرى هذه الكتب ، يا أبا إسماعيل ستضل الناس»<sup>(١)</sup> .

### درجة الأحاديث الواردة في النهي عن كتابة السنة:

تكلم عن بيان درجة الأخبار والآثار الواردة في النهي عن كتابة السنة الشيخ عبد لرحمن المعلمي في كتابه (الأنوار الكاشفة)<sup>(٢)</sup> ، هذا فضلاً عن حكم بعض أئمة الحديث قديماً على بعضها ، كما مر حكم الذهبي، وابن كثير على رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإحراقه للأحاديث التي جمعها، والحافظ الهيثمي تكلم عن بعضها في مجمع الزوائد<sup>(٣)</sup> .

وخلاصة القول في الأحاديث المرفوعة: إنه لم يصح عن النبي ﷺ في النهي عن كتابة السنة إلا حديث أبي سعيد الخدري الذي أخرجه مسلم مع اختلاف بعض العلماء في رفعه ووقفه، واعتبروا ذلك علة، فقال الحافظ ابن حجر : «ومنهم من أعل حديث أبي سعيد وقال : الصواب وقفه على أبي سعيد ، قاله البخاري وغيره»<sup>(٤)</sup> . واعتقد أن هذا الرأي مجانب للصواب؛ حيث إن الحديث مخرج في صحيح الإمام مسلم مرفوعاً - كما سبق ويؤيد الرفع أمران:

أولاً : ما ذهب إليه جمهور المحدثين وصححوه في مسألة «حكم تعارض الرفع والوقوف من بعض الثقات أو من راو واحد» أن الحكم للرفع كما قال ابن الصلاح؛ لأن الرفع مثبت وغيره ساكت، ولو كان نافيًا فالمثبت مقدم عليه؛ لأنه علم ما خفى عليه .

ويقول الحافظ العراقي في تخريجه الكبير للإحياء عقب حكم اختلاف راويه في رفعه، ووقفه الصحيح الذي عليه الجمهور: أن الراوي إذا روى الحديث مرفوعاً

---

= حمزة، وعنه مسند، وعلى ، متفق على توثيقه مات سنة ١٧٩هـ . له ترجمة في تقريب التهذيب ١ / ٢٣٨ رقم ١٥٠٣ ، والكاشف ١ / ٣٤٩ رقم ١٢١٩ ، والثقات لابن شاهين ص ١٠٢ رقم ٢٣٩ ، والثقات لابن حبان ٦ / ٢١٧ ، والثقات للعجلي ص ١٣٠ رقم ٣٢٩ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٨٨ رقم ١٢٤٤ .

(١) أخرجه الخطيب في تقييد العلم ص ٥٧ .

(٢) الأنوار الكاشفة ص ٣٤ - ٤٣ ، وانظر: دراسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي ١ / ٧٦ - ٧٨ .

(٣) مجمع الزوائد ١ / ١٥٠ - ١٥٢ .

(٤) فتح الباري ١ / ٢٥١ رقم ١١٣ ، وقال العلامة أحمد محمد شاكر : وهذا غير جيد، فإن الحديث صحيح. انظر: الباحث الحديث ص ١١١ .

وموقوفاً ، فالحكم للرفع؛ لأن معه في حالة الرفع زيادة، هذا هو المرجح عند أهل الحديث<sup>(١)</sup> . ونحوه قول الخطيب : اختلاف الروايتين في الرفع والوقف لا يؤثر في الحديث ضعفاً ؛ لجواز أن يكون الصحابي يسند الحديث ، ويرفعه إلى النبي ﷺ مرة ، ويذكره مرة على سبيل الفتوى بدون رفع، فيحفظ الحديث عنه على الوجهين جميعاً<sup>(٢)</sup>، وهذا ما نقله الماوردي عن الشافعي - رحمه الله - أنه يحمل الموقوف على مذهب الراوي، والمسند على أنه من قول النبي ﷺ يعني فلا تعارض حيث<sup>(٣)</sup> .

ثانياً : على فرض صحة وقف هذا الحديث على أبي سعيد الخدري ﷺ : لكان له حكم المرفوع المسند؛ لأن النهي عن كتابة السنة النبوية - وهي المصدر الملازم للقرآن الكريم في التشريع الإسلامي ، هذا النهي مما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا يقال من قبل الرأي ، فله حكم المرفوع المسند ، جزم به الرازي في المحصول وغير واحد من أئمة الحديث تحسناً للظن بالصحابي<sup>(٤)</sup> ، بل وبالصحابة جميعاً الذين امتثلوا لأمر النبي ﷺ بالنهي عن الكتابة مع وجود علة النهي ، والأذن بالكتابة مع عدمها، حفاظاً على القرآن الكريم والسنة النبوية معاً ، فما استمدت السنة حجيتها إلا من كتاب الله ﷻ ، ومن كتاب الله والسنة النبوية معاً استمدت بقية المصادر التشريعية حجيتها.

فلأن الحديث مما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا مجال للرأى فيه، فحكمه الرفع ، ولا سيما وقد رفعه الراوي أيضاً<sup>(٥)</sup> .

وفي صحة هذا الحديث رد على بعض غلاة الشيعة في زعمهم عدم صحة النهي عن كتابة السنة من النبي ﷺ وأن روايات النهي عن كتابة السنة اختلفت في وقت متأخر لتزير منع الشيخين أبي بكر وعمر من هذا حذوهما. وفي ذلك أيضاً إبطال للأساس الذي أسسوا عليه كتبهم في مسألة كتابة السنة وتدوينها كما فعل مرتضى العسكري،

(١) انظر : المغيث للسخاوي ١ / ١٩٤ ، ١٩٥ ، وشرح الفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة للعراقي ١ / ١٧٨ ، وتدريب الراوي للسيوطي ١ / ٢٢١ - ٢٢٣ ، وتوضيح الأفكار للصنعاني ١ / ٣٤٣ .

(٢) الكفاية للخطيب ص ٥٨٧ ، ٥٨٨ .

(٣) انظر : البحر المحيط للزرکشي ٤ / ٣٤١ ، والمحصول للرازي ٢ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، وفتح المغيث للسخاوي ١ / ١٩٥ .

(٤) المحصول للرازي ٢ / ٢٢١ ، وانظر : فتح المغيث للسخاوي ١ / ١٤٤ ، وتدريب الراوي ١ / ١٩٠ ، ١٩١ ، وتوضيح الأفكار ١ / ٢٨٠ .

(٥) انظر : فتح المغيث للسخاوي ١ / ١٩٥ .

وعلى الشهرستاني، ومروان خليفات وغيرهم ممن سبقوا .

أما الآثار الموقوفة فصحيح منها الحافظ الهيثمي رواية أبي بردة بن أبي موسى الأشعري بإسناد الطبراني في المعجم الكبير، والبزار في مسنده وبقية الروايات الموقوفة، وكذا المقطوعة يؤيد بعضها بعضاً، وتصلح حجة في بابها<sup>(١)</sup> .

ويشهد لذلك اعتبار الأئمة ؛ كالخطيب، وابن عبد البر، والدارمي وغيرهم اعتمادهم بعض تلك الروايات في بيان موقف الصحابة والتابعين من كتابة السنة، وكراهيتهم للتدوين؛ لعل سيأتى ذكرها .

وفي ذلك رد على المستشرقين التابعين لصنمهم الأكبر «جولدتسيهر» في زعمه؛ بأن أحاديث النهى عن كتابة السنة مخترعة من قبل أهل الرأي لتأييد مذهبهم في إنكار صحة السنة والاحتجاج بها .

وفي ذلك يقول الدكتور يوسف العش رداً على جولدتسيهر: «إنه لم يصب حين قال: إن من ادعى عدم جواز الكتابة هم أهل الرأي، وأن مخالفهم هم من أهل الحديث، فالخلاف لم يكن بين هاتين الفئتين ؛ لأن من أهل الرأي من امتنع عن الكتابة كعيسى بن يونس (١٨٧هـ) ، وحماد بن زيد (١٧٩هـ) ، وعبد الله بن إدريس (١٩٢هـ) ، وسفيان الثوري (١٦١هـ) ، وبينهم من أقرها كحماد بن سلمة (١٦٧هـ) ، والليث بن سعد (١٧٥هـ) ، وزائدة بن قدامة (١٦١هـ) ، ويحيى بن اليمان (١٨٩هـ) وغيرهم .

ومن المحدثين من كره الكتابة كابن عليه (٢٠٠هـ) ، وهشيم بن بشير (١٨٣هـ) ، وعاصم بن ضمرة (١٧٤هـ) ، وغيرهم ، ومنهم من أجازها بكيفية الكلاعي (١٩٧هـ) ، وعكرمة بن عمار (١٥٩هـ) ، ومالك بن أنس (١٧٩هـ) وغيرهم<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر: شروط الاحتجاج بالضعيف في علوم الحديث لابن الصلاح ص ٣٥، وفتح المغيث للسحاري ١/ ٨٦، ٨٧، وتدريب الراوي ١/ ١٧٦، ١٧٧، والباغت الخثيث ص ٣٤ .

(٢) انظر: تقييد العلم للخطيب، تصدير الدكتور يوسف العش ص ٢١، ٢٢، ودلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص ٢٠٩، ٢٣١ .

## الجواب عن زعم أعداء السنة بأن النهي عن كتابة السنة يدل على عدم حجيتها

أما أعداء السنة من دعاة اللادينية فمع اعترافهم بصحة النهي عن كتابة السنة من النبي ﷺ ومن صحابته الكرام؛ إلا أنهم اتخذوا من ذلك النهي دليلاً على عدم حجية السنة النبوية . غاضين الطرف كما سبق وأن أشرت عن علل النهي الواردة في نفس الأحاديث السابقة التي احتجوا بها ، بل غاضين الطرف من الأمر الصادر من النبي ﷺ لأصحابه ﷺ عقب نهيمهم عن الكتابة وهو التحديث والتبليغ للسنة النبوية بعد حفظها، وهو نفس الأمر الصادر من الصحابة للتابعين بعد نهيمهم عن الكتابة ، وعلى نفس الدرب صار التابعون من الناهين للكتابة، أمروا من نهيمهم عن الكتابة من تابعي التابعين بحفظ السنة وتبليغها كما حفظوها عن صحابة رسول الله ﷺ وصدق النبي ﷺ فيما تنبأ به : «تسمعون ، ويسمع منكم، ويسمع من سمع منكم»<sup>(١)</sup> .

يقول الدكتور عبد الغني عبد الخالق - رحمه الله - : «وكيف يكون نهيه ﷺ دليلاً على عدم الحجية والنهي ﷺ عقب هذا لنهي مباشرة عندما أمر الصحابة بالتحديث عنه، وفي الوقت نفسه يتوعد من يكذب عليه متعمداً أشد الوعيد، كما في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه مسلم .

ويقول ﷺ في حجة الوداع : « ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه»<sup>(٢)</sup> .

ويقول أيضاً : نضر الله امرأةً سمع منا حديثاً ، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه»<sup>(٣)</sup> ويقول ﷺ لو فد عبد القيس - بعد أن أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : «احفظوه وأخبروا به من

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم، باب فضل نشر العلم ٣/ ٣٢١ رقم ٣٦٥٩ ، وأحمد في مسنده ١/ ٣٢١ ، والحاكم في المستدرک کتاب العلم: باب فضيلة مذاكرة الحديث ١/ ٩٥ وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وليس له علة ولم يخرجاه، وفي الباب أيضاً عن ابن مسعود، ووافقه الذهبي وقال على شرطهما ولا علة له .

(٢) البحاري (بشرح فتح الباري) كتاب التوحيد، باب قال الله تعالى ﴿ورجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة﴾ ١٣ / ٤٣٣ رقم ٧٤٤٧ ، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض ٦/ ١٨٢ رقم ١٦٧٩ واللفظ له من حديث أبي بكر ﷺ .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٩ .

وراءكم»<sup>(١)</sup> . ويقول : « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله ﷻ »<sup>(٢)</sup> .

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق : « أليس الأمر بالتحديث والتبليغ والحفظ، والإبعاد على الكذب عليه أشد الوعيد، والنهي عن عدم الأخذ بالسنة؛ دليلاً على أن السنة لها شأن خطير ، وفائدة جلية للسامع والمبلغ؟ فما هذه الفائدة وما هذا الشأن العظيم؟ أليس هو أنها حجة في الدين، وبيان للأحكام الشرعية. كما يدل عليه تعقيبه ﷺ الأمر بالتبليغ والتحديث - في الروايات السابقة - بقوله ﷺ : « قرب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقهه ليس بفقيه » » احفظوه وأخبروا من وراءكم» وقوله ﷺ « .. إلا وإن ما حرم رسول الله ﷻ مثل ما حرم الله ﷻ » وقوله ﷺ « وحدثوا عنى ولا حرج » ألا يشعرك هذا القول أن القصد من تبليغ السامع الحديث لمن بعده، أن يأخذ الغائب ما اشتمل عليه الحديث من فقه وحكم شرعي؟ وهل يكون ذلك إلا إذا كان الحديث حجة، ودليلاً تثبت به الأحكام التى تضمنها؟ وهل يصح أن يذهب من عنده ذرة من عقل وإيمان إلى أن أمره ﷺ بالتحديث والتبليغ إنما كان لمجرد التسلية والمسامرة في المجالس كما يفعل بتواريخ الملوك والأمراء؟ كلا: فإن النبي ﷺ أجل وأعظم وأشد عصمة من أن يأمر أمته بما لا فائدة فيه، وبما هو مدعاة للوهم وعبتهم .

واليك ما قاله الشافعي - تعليقاً على حديث «نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً...» المتقدم مما فيه تأييد لما ذكرنا لك .

(١) البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان ١٥٧ / ١ رقم ٥٣، ومسلم «بشرح النووي» كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين ٢١٢ / ١ رقم ١٧، واللفظ له، من حديث بن عباس - رضى الله عنهما - .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ٣٧ / ٥ رقم ٢٦٦٤، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه ابن ماجه في سننه المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ٢٠ / ١ رقم ١٢ من حديث المقدم بن معد يكرب .

قال ﷺ : " فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها أمراً يوديتها، والامرء واحد - : دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يؤدي عنه حلال، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا، ودل على أنه قد يحمل الفقه غير فقيه ويكون له حافظاً، ولا يكون فيه فقيهاً" (١) أ.هـ.

ثم نقول "ولا زال الكلام للدكتور عبد الغنى" : لا شك في أنه ﷺ إنما نص على خصوص الكذب عليه، وخصه بهذا الوعيد الشديد مع دخوله في عموم الكذب المعلوم حرمة للجميع؛ لأن الكذب عليه ﷺ مستلزم لتبديل الأحكام الشرعية، واعتقاد الحلال حراماً، والحرام حلالاً. وهذا الاستلزام لم يتفرع إلا عن حجة السنة، وأنها تدل على الأحكام الشرعية.

وإذا أردت أن تتحقق مما قلناه؛ فعليك بما رواه الشيخان عن المغيرة؛ أنه ﷺ قال : «إن كذباً على ليس ككذب على أحد. فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» (٢) ثم انظر إلى ما رواه مسلم عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال : «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم» (٣).

وأخبرني بربك : إذا لم يكن الحديث عن رسول الله ﷺ حجة، فعلام هذا التحذير من الأحاديث المكنوبة عنه؟ ولم يحصل بها الضلال والفتنة؟ ولو كان المقصود من التحديث بأحاديث رسول الله ﷺ مجرد التسلية واللغو كرواية الأشعار وأخبار العرب وغيرهم أفلا يستوى الصادق منها والكاذب في هذا المعنى؟

ولو كان هناك فرق بينهما أفيستحق هذا الفرق التحذير الشديد من الضلال والفتنة؟ كلا.

(١) الرسالة للشافعي ص ٤٠٢، ٤٠٣، رقم الفقرات ١١٠٣، ١١٠٤، وانظر : سنن الدارمي المقدمة، باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ١ / ١٤٥ من رقم ٥٤٢ - ٥٦١ .

(٢) البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت ٣ / ١٩١ رقم ١٢٩١، ومسلم (بشرح النووي) المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ١ / ١٠١ رقم ٤ واللفظ له .

(٣) مسلم (بشرح النووي) المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ١ / ١١١ رقم ٧ .

وبالجملة : فكل ما نقلناه لك من هذه الأحاديث ونحوها يؤيد ما قلناه من حجية السنة، وهو بمثابة التصريح من الرسول ﷺ بذلك عند من له سمع يسمع وعقل يدرك، وهو في الوقت نفسه صريح في رغبته ﷺ في نقل السنة والمحافظة عليها . فكيف مع هذا كله يزعم زاعم بأن نهييه عن كتابتها دليل على رغبته في عدم نقلها والمحافظة عليها وعلى عدم حجيتها ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ .

قلت : بل كيف مع هذا يصح زعم زاعم أن نهييه ﷺ عن الكتابة ناسخ للإذن كما ذهب إلى ذلك الأستاذ محمد رشيد رضا<sup>(٢)</sup>، وتابعه على ذلك محمود أبو رية<sup>(٣)</sup>، وجمال البنا<sup>(٤)</sup> وغيرهم .

وإذا افترضنا صحة هذا القول منهم<sup>(٥)</sup>، فأين دليل نسخ الإذن بالتحديث والتبليغ الذي هو أبلغ في حجية السنة كما مر، بل وأبلغ وأقوى من النقل بالكتابة على ما سيأتى في شبهة تأخر التدوين وهذا الإذن بالتحديث كما هو وارد عن رسول الله ﷺ

(١) الآيتان ٥٢، ٥٣ من سورة الروم، وانظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٤٢٤ - ٤٢٦ بتصرف .

(٢) مجلة المنار المجلد ١٠ / ٧٦٨، ٧٦٧، ووجهة نظر رشيد رضا في هذا الأمر لم تجد التأييد الكافى حتى من تلاميذه، ومنهم محمد الخولى أيد أئمة الحديث في أن النهى سبق الجواز - انظر : مفتاح السنة ص ١٦ (٣) أضواء على السنة ٤٨ .

(٤) الأصول العظيمة ٢٦٨ - ٢٧٥ والسنة ودورها في الفقه الجديد ص ١٩٨ .

(٥) وهو لا يصح بحال أن يكون النهى ناسخ للإذن لأمر ثلاثة :

١- أن أحاديث الإذن متأخرة : فحديث أبى شاذ عام الفتح . وذلك في أواخر حياة النبى ﷺ وحديث أبى هريرة في المقارنة بينه وبين عبد الله بن عمرو متأخر أيضاً لأن أبى هريرة متأخر الإسلام . وهو يدل أيضاً على أن عبد الله كان يكتب بعد إسلام أبى هريرة وحديث همه ﷺ بكتابة كتاب لن تضل الأمة بعده كان في مرض موته ﷺ . ويعد جداً أن يكون حديث أبى سعيد الخدرى قد تأخر عن هذه الأحاديث كلها خصوصاً حديث (الهم) ، ولم كان حديث أبى سعيد في النهى متأخر عن هذه الأحاديث في الإذن والجواز، لعرف ذلك عند الصحابة يقيناً صريحاً .

٢- إجماع الأمة القطعى بعد عصر الصحابة والتابعين على الإذن وإباحة الكتابة وعلى أن الإذن متأخر عن النهى كما سبق . وهو إجماع ثابت بالتواتر العملى عن كل طوائف الأمة بعد الصدر الأول - رضى الله عنهم أجمعين - كما قال الأستاذ أحمد محمد شاكر في الباعث الحثيث ص ١١٢، وانظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص ٤٤٧ .

٣- سيأتى قريباً : أنه لا نسخ أصلاً حيث يصار إلى النسخ عند تعذر الجمع بين الدليلين المتعارضين وهو ممكن لنا كما سيأتى . فلا يصح أن يكون أحدهما ناسخاً للآخر ص ٣٠٠، ٢٩٩ .

عقب نهيه عن الكتابة، هو أيضاً وارد عن الصحابة والتابعين عقب نهيه عن الكتابة انظر إلى قول أبي سعيد الخدري : "... إن نبيكم كان يحدثنا فنحفظ فاحفظوا كما كنا نحفظ" وفي لفظ آخر "خذوا عنا كما أخذنا عن نبينا ﷺ وانظر إلى قول أبي هريرة : "ارووا كما كنا نروى" وأبي موسى الأشعري "خذ عنا كما أخذنا" وفي لفظ آخر "احفظوا عنا كما حفظنا" وكل هذه الروايات سبقت وهى مما استشهدوا بها على شبهتهم، وروى عن سليم بن عامر<sup>(١)</sup>، قال : كان أبو أمامة إذا قعدنا إليه يجيئنا من الحديث بأمر عظيم ويقول للناس : "اسمعوا واعقلوا، وبلغوا عنا ما تسمعون". قال سليم : بمثلة الذى يشهد على ما علم<sup>(٢)</sup>.

وعن سليم بن عامر ، قال : كنا نجلس إلى أبي أمامة فيحدثنا حديثاً كثيراً عن رسول الله ﷺ فإذا سكت قال أعقلتم بلغوا كما بلغت<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : "إننا كنا نحفظ الحديث، والحديث يحفظ عن رسول الله ﷺ فأما إذا ركبتم الصعب والذلول، فهيئات<sup>(٤)</sup> أ.هـ.

وعلى نفس درب الصحابة صار تلاميذهم من التابعين أمروا من نهوهم عن الكتابة بالتحديث بعد حفظهم. انظر إلى قول سفیان الثوري عقب نهى شيخه عمرو بن دينار "وما كتبت عنه شيئاً كنا نحفظ".

فالصحابة ﷺ صاروا على المنهج النبوى، نهوا عن الكتابة مع وجود علتها، وفي نفس الوقت أذنوا بالكتابة مع الأمن من العلة، وعلى دربهم صار التابعون ﷺ، وفي نفس الوقت الكل (النبى ﷺ - والصحابة والتابعين) أمروا بالحفظ والتحديث<sup>(٥)</sup>.

(١) هو سليم بن عامر الكلاعى، ويقال الخبائرى بخاء معجمة وموحدة، أبو يحيى الحمصى روى عن أبي الدرداء، وعوف بن مالك، وعنه ثور ومعاوية بن صالح. ثقة وغلط من قال أدرك النبى ﷺ مات سنة ١٣٠ هـ. له ترجمة فى: تقريب التهذيب ١/ ٣٨١ رقم ٢٥٣٥، والكاشف ١/ ٤٥٦ رقم ٢٠٦٤، والثقات للعللى ص ١٩٩ رقم ٦٠٠، والتاريخ الكبير ٤/ ١٢٥ رقم ٢١٩٠.

(٢) أخرجه الدارمى فى سنته المقدمة، باب البلاغ عن الرسول ﷺ وتعليم السنن ١/ ١٤٦ رقم ٥٤٤.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ١٨٧، والخطيب فى شرف أصحاب الحديث ص ١٦٨ رقم ١٨٩، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١٤٠ وعزاه إلى الطبرانى فى الكبير بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن ماجة فى المقدمة، باب التوفى فى الحديث عن رسول الله ﷺ ١/ ٢٥ رقم ٢٧، وابن المبارك فى مسنده ١٤١ رقم ٢٢٩، واللفظ لابن ماجة، ورجال إسناده ثقات.

(٥) وما جاء عن بعض الصحابة من الامتناع عن التحديث أو الإقلال منه، والنهى عن الإكثار منه، فذلك منهم كان اتباع لأمر النبى ﷺ، ولمنهجه فى الحفاظ على رسالة الإسلام قرآناً وسنة. كما سيأتى قريباً ص ٣٣٢-٣٣٨.

فلا تعارض حيثئذ بين كراهيتهم لكتابة الحديث وبين حبهم ورغبتهم فى روايته، على ما زعمه الدكتور حسين الحاج<sup>(١)</sup>.

فهل عند من يزعمون عدم حجية السنة، أو يزعمون أن النهى عن الكتابة ناسخ للأذن؟

هل عندكم دليل لنسخ هذا الأمر النبوى بحفظ سنته وتبليغها للناس كافة؟؟ وإن لم تجدوا دليلاً ولن تجدوا، فعلام يدل عندكم هذا الأمر النبوى - بحفظ سنته وتبليغها؟

هل يدل على مجرد اللهو والعبث؟ أم يدل على أنه ﷺ والصحابة والتابعين أرادوا ألا يجعلوا السنة القولية ديناً وشرعية عامة كالقرآن، كما ذهب إلى ذلك خصوم السنة، وتأثر بهم بعض المسلمين<sup>(٢)</sup>، وتلك دعوى يكذبها قول وفعل النبى ﷺ، ومن صار على دربه إلى يوم الدين، وسيأتى تفصيل ذلك فى : علة النهى عن كتابه السنة عند أعدائها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) حسين الحاج : هو حسين الحاج حسن، كاتب سورى لبنانى، حصل على العالمية، من جامعة القديس يوسف، وكانت رسالته بعنوان (نقد الحديث فى علم الرواية وعلم الدراية) خلط فيها بين الحق والباطل، ودس السم فى الدسم، وكانت جل اعتماده فى مراجعته على ما كتبه محمود أبو رية، وطه حسين، وأمثالهما، ورسالته مطبوعة. ومن مؤلفاته أدب العرب فى صدر الإسلام، ونظم إسلامية، وغير ذلك. قال فى معرض كلامه عن نشأة الحديث : "أما إذا انتقلنا إلى عصر الصحابة وجدناهم غالباً يكرهون تدوين الحديث، بينما يرغبون فى روايته، وهو أمر غريب، يحبون رواية الحديث ويكرهون تدوينه! سؤال يحتاج إلى بحث وتفسير!! انظر : نقد الحديث فى علم الرواية والدراية ١ / ١٤٢ .

(٢) كالأستاذ محمد رشيد رضا (رحمه الله تعالى).

(٣) انظر : ص ٣٠٥-٣١٤ .

## علة النهى عن كتابة السنة كما وردت فى الأحاديث والآثار التي استشهد بها خصوم السنة على شبهتهم

أشرت فيما سبق عند عرض شبهة النهى عن كتابة السنة إلى أن أصحابها أغمضوا أعينهم عن علة النهى، وسفهاوا رأى من يقول بها من أئمة المسلمين من المحدثين والفقهاء، وسائر علماء المسلمين إلى يومنا هذا، بالرغم من أن هذه العلة واردة فى نفس الأحاديث التي احتجوا بها علينا .

### وأولى هذه العلل كما جاء فى الأحاديث :

١- المحافظة على كتاب الله ﷻ وصيائته عن خلطه بالسنة دون تمييز بينهما .  
ويبدو هذا واضحاً فى رواية أبى هريرة : "أكتب مع كتاب الله ... امحضوا كتاب الله أو خلصوه" وهذه الرواية مع ضعف سندها لوجود عبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ المتفق على ضعفه<sup>(١)</sup>، إلا أن رواية أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ؓ والتي أخرجها الطبرانى فى الكبير والبراز فى مسنده بإسناد صحيح، كما قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد<sup>(٢)</sup> تشهد لصحة رواية أبى هريرة، كما تشهد لصحة هذه العلة؛ ففيها التصريح الذى لا لبس فيه بأن الأحاديث كتبت بجوار القرآن فى صحيفة واحدة بلا تمييز يؤمن معه سلامة القرآن . وهذا قول أبى موسى الأشعرى صريحاً : "لولا أن فيه كتاب الله لأحرقته" .

ففى رواية أبى هريرة، وكذا فى قول أبى موسى الأشعرى ما يبين أن السنة فى عهد النبوة والصحابة كانت تكتب بجوار القرآن فى صحيفة واحدة بلا تمييز يحفظ معه القرآن من اشتباهه بالسنة التي كتبت بجواره .

ويؤكد ذلك القراءات الشاذة، فما هى إلا تفسير لبعض كلمات القرآن كتبت بجوارها للإيضاح والبيان - ومن فعل ذلك من الصحابة كان محققاً لما تلقاه عن النبى ﷺ قرآناً، وذلك كقراءة ابن عباس -رضى الله عنهما- : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع : ص ٢٧٢ .

(٢) مجمع الزوائد ١/ ١٥١ .

(٣) الآية ١٩٨ من سورة البقرة .

فمثل هذا عند الأئمة من القراءات الشاذة، وحكمة التفسير<sup>(٦)</sup> على خلاف في العمل به هل له حكم الرفع أم هو مذهب الراوي<sup>(٧)</sup>؟

يدل على هذا ما روى عن الشعبي<sup>(٨)</sup> أن مروان<sup>(٩)</sup> اجلس لزيد بن ثابت رجلاً وراء الستر، ثم دعاه فجلس يسأله ويكتبون فنظر إليهم زيد، فقال : يا مروان عذراً إنما أقول برأبي<sup>(١٠)</sup> ، وروى عن يحيى بن سعيد<sup>(١١)</sup> قال : جاء رجل إلى سعيد بن

- Y 19

المسيب<sup>(١)</sup>، فسأله عن شيء، فأملأه عليه، ثم سأله عن رأيه؛ فأجابه فكتب الرجل فقال رجل من جلساء سعيد : أكتب يا أبا محمد رأيك؟ فقال سعيد للرجل : ناولنيها فناولها الصحيفة فحرقها"<sup>(٢)</sup>.

وكان مجاهد يقول لأصحابه : "لا تكتبوا عني كل ما أفتيت به، وإنما يكتب الحديث . ولعل كل شيء أفتيتكم به اليوم أرجع عنه غدا"<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا ندرك صحة علة النهي عن كتابة شيء -في أول الأمر- سوى القرآن الكريم صيانة لهذا الكتاب المعجز من كانوا حديثي عهد بالإسلام ولم يعتادوا على أسلوبه وأكثرهم من الأعراب الذين لم يكونوا فقهاء في الدين .

وفي نفس الوقت تعليم للصحابة وللأمة من بعدهم المنهج الأمثل في المحافظة على هذا الكتاب الخالد .

مع العلم بأن النهي في أول الأمر كان يشمل وقت نزول القرآن أو بعده، ممن يمكن أن تقع في يده هذه الصحيفة وهو من غير أهل العلم حتى إذا تعلموا الدرس، جاء الإذن بكتابة السنة لمن اعتادوا أسلوب القرآن وتميزه كعبد الله بن عمرو وغيره ممن أذن لهم النبي ﷺ، مع استمرار النهي عن كتابة السنة مع القرآن في صحيفة واحدة حتى وإن كان مميزاً بينهما .

أما رفض دعاة اللادينية وغلاة الشيعة لهذه العلة بحجة أن تلك العلة تعني جعل الأحاديث من جنس القرآن في الأسلوب والبلاغة، وفي ذلك إبطال لإعجاز القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>.

(١) سعيد بن المسيب بن حزن، الإمام، أبو محمد المخزومي، أحد العلماء الإثبات، الفقهاء الكبار، روى عن عمر وعثمان وسعد، وعنه الزهري، ويحيى بن سعيد وقتادة، مات بعد التسعين . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٣٦٤ رقم ٢٤٠٣، والكاشف ١/ ٤٤٤ رقم ١٩٦٠، تذكرة الحفاظ ١/ ٥٤ رقم ٣٨، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٥ رقم ٣٧، ومشاهير علماء الأمصار ص ٨١ رقم ٤٢٦ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ١٤٤ .

(٣) الميزان للشعراني ١/ ٣٢، وانظر : قواعد التحديث للقاسمي ص ٥٢، وانظر : أثر آخر عن جابر بن زيد في جامع بيان العلم ٢/ ٣١، وانظر : تنقيح العلم ص ٢٠، تصدير الدكتور يوسف العش .

(٤) ممن ذهب إلى ذلك توفيق صدقي في مقالة (الإسلام هو القرآن وحده) انظر : مجلة المنار المجلد ٩/ ٥١٥ ومحمود أبو ربه في أضواء على السنة ص ٥٠، ٥١، وإسماعيل منصور في تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٦، ٢٩١، ٣١٠، وجمال البنا في : السنة ودورها في الفقه الجديد ص ١٩٩، وعبد الجواد ياسين في السلطة في الإسلام ص ٢٤٤، ومن غلاة الشيعة مروان خليفات في كتابه وركبت السفينة ص ١٨١، وركريا عباس داود في تأملات في الحديث عند السنة والشيعة ص ٤١، ٤٠ . وغيرهم من أعداء السنة السابق ذكرهم عند استعراض الشبهة وأصحابها .

**فأقول :** ليس في ذلك إبطال لإعجاز القرآن، بل حفاظاً لهذا الإعجاز بمنهج نبوي طبقة النبي ﷺ قولاً وعملاً، واستوعبه الخلفاء وطبقوه كما فهموه من النبي ﷺ؛ لأنه إذا كان هناك من كبار الصحابة من يدرك ويميز بين الأسلوب القرآني وإعجازه وبين الأسلوب النبوي، فهناك من عامة الصحابة من لا يدرك ذلك، وهذا هو حال جميع الناس في جميع العصور والأمصار وهذا أمر بديهي لا يجادل فيه منصف.

فكان من المنهج الرباني في المحافظة على كتابه العزيز النهي عن كتابة ما سواه في أول الأمر؛ لأنه متعبد بلفظه في الصلاة وغيرها، ولا يجوز إبدال حرف منه بآخر؛ فكان لابد من المحافظة على هذا الإعجاز ممن لا يدركه في زمن النبوة المباركة، وجميع العرب فيما بعد ذلك، وجميع الأعاجم والمستعربين في جميع العصور. ممن لا يؤمن أن يلحقوا ما يجدون في الصحف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام رب العباد.

**أما سؤال بعضهم :** لماذا لم يأمر النبي ﷺ بكتابة السنة في صحف على حديثها، ويكتب عليها ما يفيد أنها أقوال النبي ﷺ فتتميز السنة على القرآن فلا يؤمن اختلاطهما<sup>(١)</sup>.

**فنقول :** أذن النبي ﷺ بكتابة سنته المطهرة في صحف على حديثها، وميزها من أذن له النبي ﷺ بذلك كعبد الله بن عمرو، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة وغيرهم ممن عددهم الدكتور الأعظمي في كتابه "دراسات في الحديث النبوي"<sup>(٢)</sup> كما أُملي النبي ﷺ كثير من سنته المطهرة في حياته المباركة، وهذا ما استوعبه الدكتور امتياز أحمد في كتابه "دلائل التوثيق المبكر للسنة"<sup>(٣)</sup>.

فالنبي ﷺ نهى عن الكتابة في أول الأمر، ثم أذن بعد ذلك، وكان النهي دائر مع الخوف، والإذن دائر مع الأمن وجوداً وعدمًا، وكان خلال الإذن كتابات ولكن لم تدون تلك الكتابات في مكان واحد، كيف والقرآن نفسه كتب في عهده ﷺ، ولم

(١) ممن سأل هذا توفيق صدقي انظر : مجلة المنار المجلد ٩ / ٩١٢، وتابعه عليه إسماعيل منصور في تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٧، ٢٨، ونيازي عز الدين في إنذار من السماء ص ١١٤ .

(٢) انظر : دراسات في الحديث النبوي فصل كتابة الصحابة والكتابات عنهم ١ / ٩٢ وانظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة ص ٥٠٠-٥٤١ .

(٣) انظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة، فصل الكتابات المبكرة ٣٦٨-٤١٥، وانظر : السنة قبل التنوين للدكتور عجاج الخطيب ص ٣٤٣-٣٦١ .

يدون في مكان واحد بين دفتيه إلا في عهد الصديق عليه السلام .

ومع وجود كتابات في زمن النبوة في وقت الإذن إلا أنه عليه السلام لم يأمر بكتابة سنته كلها للفرق الشاسع بين حجم القرآن، وحجم السنة التي من وظيفتها الشرح والبيان له، وعادة الشرح أن يكون أكبر حجماً من المشروح، ولو فرض كتابة السنة كلها زمن النبوة كما كتب القرآن الكريم، وأمن من التمييز بينهما لم يؤمن انشغال الناس بها دون القرآن .

١ - وهذه هي العلة الثانية الواردة في الأحاديث التي تنهى عن كتابة السنة : خشية الانشغال عن القرآن الكريم ومضاهاته بغيره من الكتب حتى ولو كانت السنة .

والمراد بالانشغال بالسنة عن القرآن الكريم تقديمها في الاهتمام بها قبل الاهتمام أولاً بكتاب الله ﷻ مما يؤدي إلى ترك كتاب الله ﷻ وإهماله وهذا ما صرح به الفاروق عمر عليه السلام بعد عدوله عن تلوين السنة وموافقة الصحابة " وإنى والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً" (١) وإعلان سيدنا عمر عليه السلام هذا على ملأ من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وإقرارهم بذلك يدل على استقرار أمر هذه العلة في نفوسهم (٢) .

وأكثر صراحة من ذلك في تأكيد المراد بالانشغال بالمعنى السابق قول الضحاک - رحمه الله - " يأتى على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث حتى يبق المصحف بغيره لا ينظر فيه " .

وعن أبي خالده الأحمر (٣) قال : " يأتى على الناس زمان تعطل فيه المصاحف، لا يقرأ فيها، يطلبون الحديث والرأى، ثم قال : أياكم وذلك؛ فإنه يصفق الوجه، ويكثر الكلام، ويشغل القلب " كما كان الخوف من التشبه بالقرآن الكريم في شكله، وفي ذلك يقول أبى سعيد الخدرى عليه السلام : " أتريدون أن تجعلوها مصاحف " ويقول الضحاک : " لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف " وروى عن إبراهيم

(١) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث ١ / ١٣٢ رقم ٤٦٤ .

(٢) انظر : منهج نقد المتن للدكتور نور الدين عتر ص ٤٤، والسنة في مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشي ص ٢٤٣ .

(٣) أبو خالده الأحمر هو : سليمان بن حيان الأزدي الكوفي روى عن عاصم الأحول، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعنه أحمد، وإسحاق، وهناد، صلوق بخطي، مات سنة ١٩٠ هـ أو قبلها . له ترجمة في: تقريب التهذيب ١ / ٣٨٤ رقم ٢٥٥٥، والكاشف ١ / ٤٥٨ رقم ٢٠٨، والتفقا للعجلي ٢٠١ رقم ٦٠٧، ولسان الميزان ٨ / ٣٧٥ رقم ١٢٨٢٥، وتهذيب الكمال ١١ / ٣٩٤ رقم ٢٥٠٤ .

التخعى : أنه كان يكره أن يكتب الحديث فى الكراريس ويقول : " يشبه بالمصاحف" (١) .

كذا كان هناك خوف من التشبه بالقرآن فى روايته باللفظ وعدم إجازة رواية السنة بالمعنى، وذلك واضح فى رواية أبى سعيد الخدرى لما قال له أبو نضرة : إنك تحدثنا عن رسول الله ﷺ حديثاً عجيباً، وإنا نخاف أن نزيد فيه أو ننقص" فكانت إجابة أبى سعيد : "أردتم أن تجعلوه قرآناً لا، لا، ولكن خذوا عنا كما أخذنا عن رسول الله ﷺ" (٢)، وفى رواية ابن المبارك فى مسنده "لن أكتبكموه، ولن أجعله قرآناً".

وكان يشتد الخوف والغضب إذا كان التشاغل والمضاهاة بكتب أهل الكتاب .  
كما جاء فى رواية جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله بنسخة من التوراة، فقال يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير فقال : أبو بكر : ثكلتك الثواكل، ما ترى بوجه رسول الله ﷺ : فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال : أعوذ بالله، من غضب الله ومن غضب رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، فقال رسول الله ﷺ : "والذى نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتى لاتبعنى" (٣)، وفى بعض الروايات : "... ثم جعل أى النبى ﷺ يتبعه رسماً رسماً فيمحوه بريقة وهو يقول: "لا تتبعوا هؤلاء؛ فإنهم قد

(١) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث ١/ ١٣٢ رقم ٤٦٤ .

(٢) انظر : أثر آخر عن وائلة بن الأسقع ﷺ فى جامع بيان العلم ١/ ٧٩ .

(٣) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبى ﷺ ١/ ١٢٦ رقم ٤٣٥، وأحمد فى مسنده ٣/ ٣٨٧، والسنة لابن أبى عاصم ١/ ٢٧ رقم ٥٠ . واللفظ للدارمى وفيه مجاهد بن سعيد، الجمهور على تضعيفه لأنه اختلط فى آخر عمره . لكن روايته لهذا الحديث مقبولة؛ لأنه قد سمعه منه هشيم قبل الاختلاط قال ابن عدى : رواية القدماء عنه كهشيم وشعبة وحماد بن زيد مقبولة، وقال ابن عدى : له عن الشعبي عن جابر أحاديث صالحة يعنى كما فى سند هذا الحديث، قال يعقوب بن سفيان صدوق، وأخرج له مسلم مقروناً، وقال النسائى : ليس سند هذا الحديث، قال يعقوب بن سفيان صدوق، وأخرج له مسلم مقروناً، وقال النسائى : ليس بالقوى، وقال مرة : ثقة، انظر : مجمع الزوائد ١/ ١٧٣، ١٧٤، وانظر : تقريب التهذيب ٢/ ١٥٩ رقم ٦٤٩٨، والكاشف ٢/ ٢٣٩ رقم ٥٢٨٦، والثقات للعجلي ص ٤٢٠ رقم ١٥٣٧، والضعفاء للنسائى ص ٢٢٣ رقم ٥٧٩، والمجروحين لابن حبان ٣/ ١٠، والحديث صحيح إسناده الحافظ ابن كثير من رواية أحمد فقال يعد إirاده فى (بيان الإذن فى الرواية عن أخبار بنى إسرائيل) قال : تفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم . انظر : البداية والنهاية ٢/ ١٢٣، وانظر من نفس المصدر ١/ ١٨٥ .

هو كوا وتهوكوا" حتى محا آخره حرفاً حرفاً<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الدرب صار الصحابة كما روى عن عمر بن الخطاب؛ أنه أتى برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس<sup>(٢)</sup> فقال له عمر : أنت فلان ابن فلان العبدى قال : نعم، فضربه بعضاً معه فقال الرجل : مالى يا أمير المؤمنين، فقال له عمر : اجلس فجلس فقرأ عليه ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً، فقال الرجل : مالى يا أمير المؤمنين فقال : أنت الذى نسخت كتب دانيال<sup>(٤)</sup>، قال : مرنى بأمرى اتبعه قال : انطلق فامحه بالحميم<sup>(٥)</sup> والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه أنت، ولا تقرئه أحداً من الناس، فكن بلغنى عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس؛ لأنهم يكتفونك عقوبة، ثم قال له : اجلس فجلس بين يديه قال : انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به فى أديم<sup>(٦)</sup> فقال رسول الله ﷺ ما هذا الذى فى يدك يا عمر؟ فقلت : يا رسول الله : كتاب نسخته لنزداد علماً إلى علمنا فغضب رسول الله ﷺ حتى أحمرت وجنتاه<sup>(٧)</sup> ... ونقل قصته بنحو رواية جابر بن عبد الله السابقة.

ومثل هذه القصة وقعت مع الإمام أبى حنيفة لما دخل شخص الكوفة بكتاب دانيال

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٦٨ .

(٢) بلدة بخورستان فى بلاد فارس بها قبر دانيال النبى عليه السلام، وتحت الأهواز فى أيام عمر ابن الخطاب

ﷺ وكان آخر ما فتح منها السوس، انظر : معجم البلدان ٣ / ٢٨٠، ٢٨١ .

(٣) الآيات ١-٣ من سورة يوسف

(٤) دانيال : أحد أنبياء بنى إسرائيل فى الفترة ما بين دود وسليمان وبين زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام، وقد ذكر الحافظ ابن كثير فى كتابه : البداية والنهاية شىء من خبره تحت عنوان "شىء من خير دانيال عليه السلام" ٢ / ٣٧ .

(٥) الحميم هو : المار الحار . انظر : القاموس المحيط ٤ / ١٠٢ .

(٦) أديم، أى جلد، وقيل المدبوغ منه . انظر : لسان العرب ١ / ٤٥ .

(٧) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ولم أحده فى الجزء المطبوع من المسند، وعزاه إليه الحافظ الميمنى وقال : فيه عبد الرحمن إسحاق الواسطى، ضعه أحمد، وجماعة كما قال الحافظ الميمنى فى مجمع الزوائد ١ / ١٧٣، ١٨٢ . فهل يعاب عمر ﷺ فى اقتدائه بالنبي ﷺ فى هذا الأمر أم يمدح؟ وهل فى هذه القصة دليل على كراهة عمر للتحدث والتدوين بشكل مطلق، سواء كان من سنة النبى أو غيرها، وسواء كان من صحيح ما ورد من أخبار الأمم السالفة أو سقيمها، كما زعم على الشهرستانى فى كتابه منع تدوين الحديث ص ١٠٥-١٠٧ .

فكاد أبو حنيفة أن يقتله، وقال له أكتب ثم غير القرآن والحديث<sup>(١)</sup>؟

وكذلك صنع ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيفة التي قُدم بها عليه من الشام محابها ثم تلا نفس الآية التي تلاها عمر رضي الله عنه «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وقال: "القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها ما سواه، إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتاب ربهم".

وهو يعنى بالكتب هنا كتب أهل الكتاب أو ما أخذت عنها كما قال أبو عبيد أحد رواة هذا الحديث في رواية ابن عبد البر: "يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب فلماذا كره عبد الله النظر فيها".

ويؤكد مرة الهمداني الراوى عن ابن مسعود كما في رواية الدارمي أن الصحيفة ليست من السنة، وإنما كانت من كتب أهل الكتاب بقوله: "أما أنه لو كان من القرآن أو السنة لم يححه، ولكن كان من كتب أهل الكتاب".

وفيما سبق رد على ما ذهب إليه بعض غلاة الشيعة، أن نحو السنة في زمن الخلفاء، لأجل ما في الأحاديث من فضائل لأهل البيت وحجتهم رواية ابن مسعود عند الخطيب<sup>(٣)</sup>.

ولو فرض صحة رواية الخطيب، أن الصحيفة التي محابها ابن مسعود كانت فيها أحاديث في فضائل أهل البيت، فذلك الحو محمول على أنها كانت أحاديث مكذوبة في فضائل أهل البيت، وإلا لو كانت صحيحة لكانت من السنة وما محابها رضي الله عنه كما قال مرة الهمداني "أما إنه لو كانت من القرآن أو السنة لم يححه، ولكن كان من كتب

(١) انظر: قواعد التحديث للقاسمي ص ٢٩٨.

(٢) وفيما سبق أبلغ رد على ما ذهب إليه بعض غلاة الشيعة من أن النهي عن الكتابة نابع من موقف سياسي. أي سياسة هنا! أليس في قصة عمر مع ناسخ كتاب (دانيال) عليه السلام سنة بقصته مع رسول الله ﷺ؟ فجاء النهي من عمر ابتداء بنهي النبي ﷺ له لعله خشية الاشتغال بها عن كتاب الله وسنة رسوله وهي نفس العلة التي فهمها ابن مسعود وسائر الصحابة وسائر الأئمة من بعدهم.

(٣) معالم المدرستين مرتضى العسكري المجلد ٢ / ٤٤-٤٥، ومنع تدوين الحديث لعلي الشهرستان ص ٦٤، وقد تناقض في ذلك مرة بتأييده لذلك هنا ص ٦٤ ثم رفضه لذلك السبب وتضعيفه ص ٦٦، ٧٠ ثم تأييده ثانية ص ٧١، ٨١، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٢.

أهل الكتاب<sup>(١)</sup>.

وكتب أهل الكتاب هذه هي التي قال فيها أيضاً ابن عون : "إنى أرى هذه الكتب يا أبا إسماعيل ستضل الناس .

وهذه الكتب أو ما أخذ منها هو ما جعل السلف الصالح يكرهون الكتابة خشية الاشتغال بها عن القرآن الكريم والسنة النبوية معاً .

وفى ذلك يقول الخطيب<sup>(٢)</sup> -رحمه الله تعالى- : "فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول إنما هي لئلا يضاهاى بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه، ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ؛ لأنه لا يعرف حقها من باطلها، وصحيحها من فاسدها . مع أن القرآن كفى منها، وصار مهيمناً عليها"<sup>(٣)</sup> .

وفى نفس الوقت الذى كان فيه نهى عن الكتابة سواء فى عهد النبوة، أو الصحابة، أو التابعين؛ كان الأمر بالتحديث بالسنة وتبليغها .

وكان هذا التبليغ للسنة معتمداً بجوار الكتابة على ملكة الحفظ، والتي هي العمدة والأساس فى وصول القرآن والسنة إلينا سالمين من التصحيف والتحريف والتبديل .

وملكة الحفظ من مفاخر العرب وهى ملكة طبعوا عليها، والاعتماد على الكتابة يضعفها مع أهميتها، فكان التوجيه النبوى بالنهى عن الكتابة لتقوية تلك الملكة .

كما قال ﷺ : "نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه" . وقوله ﷺ "احفظوه

---

(١) وما زعمه بعض غلاة الشيعة من أن سبب النهى عن كتابة السنة زمن أبى بكر وعمر هو خوفهم من اشتغال أحاديث فضائل أهل البيت -عليهم الصلاة والسلام- يكذبه الواقع فكتب السنة الصحيحة بين أيدينا، تشهد بكذب هذا الزعم، بمجرد النظر فى كتب المناقب وفضائل الصحابة، نجدها مملوءة بالأحاديث الصحيحة الواردة فى فضائل آل البيت -عليهم الصلاة والسلام- ثم إن النهى عن كتابة السنة لم يرد فقط عن أبى بكر وعمر كما يزعمون وإنما ورد أيضاً عن الإمام على كرم الله وجهه وعلمته فى ذلك هى نفس أخوانه من الصحابة وعلى رأسهم سيدنا عمر ؓ حيث قال الإمام على : "فإنما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم" .

(٢) الخطيب : هو أحمد بن على بن ثابت بن مهدى، أبو بكر، أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، من مؤلفاته، الكفاية فى علم الرواية، وتقديد العلم، والفتوى، وشرف أصحاب الحديث، وغير ذلك مات سنة ٤٦٢ هـ . له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٥ رقم ١٠١٥، والتقديد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة ص ١٥٣ رقم ١٧٦، ووفيات الأعيان ١ / ٩٢ رقم ٣٤، تهذيب بن عساكر ١ / ٣٩٩، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٣٣ رقم ٩٨٠، والرسالة المستطرفة ص ٥٢، وشذرات الذهب ٣ / ٣١١، والعيبر ٣ / ٢٥٣، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢ / ٤٤١ رقم ١ .

(٣) تقديد العلم ص ٥٢، ونفس المعنى قاله الحافظ ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١ / ٦٨ .

وأخبروا به من وراءكم".

وصار الصحابة والتابعون على الدرب نهوا عن الكتابة خوف الاتكال عليها وترك الحفظ لا سيما والإسناد قريب والعهد غير بعيد وهذه هى العلة الثالثة المصرح بها فى الأخبار والآثار الواردة فى النهى عن الكتابة.

٣- خوف الاتكال على الكتابة وترك الحفظ، وفى ذلك يقول إبراهيم النخعى :  
وقل ما كتب رجل كتاباً إلا اتكل عليه" ويقول سفيان : "بئس المستودع العلم القراطيس" ومن كتب كتب ليحفظه فإذا حفظه محاه كما فى قول مسروق : "إنما أريد أن احفظها ثم أحرقتها" فأقره علقمة بقوله "فلا بأس" وروى مثل ذلك عن ابن شهاب ومالك، وعاصم بن ضمرة، وغيرهم<sup>(١)</sup> ومر قول أبي سعيد الخدرى "احفظوا عنا كما حفظنا" وقول سفيان الثورى : "وما كتبت عنه شيئاً كنا نحفظ"<sup>(٢)</sup>.

٤- والعلة الرابعة الواردة فى نفس أحاديث النهى عن الكتابة "خوف صيران الأحاديث إلى غير أهلها" فلا يعرف أحكامها، ويحمل جميع ما فيها على ظاهره وربما زاد فيها ونقص، فيكون ذلك منسوباً إلى كاتبها فى الأصل، وهذا كله وما أشبهه قد نقل عند المتقدمين الاحتراس منه"<sup>(٣)</sup> ولعل الأصل فى ذلك ما صح من أنه ﷺ، "كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن يناله العدو"<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا يحمل ما ورد عن الصديق ﷺ فى إحراقه ما جمعه من أحاديث على فرض صحته<sup>(٥)</sup> ونحوه قول عبيدة السلمانى : بعد محو كتبه عند موته : "أخشى أن يليها أحد بعدى، فيضعوها فى غير مواضعها".

(١) انظر : سنن الدارمى فى المقدمة، باب من رخص فى كتابه العلم ١/ ١٣٩ رقم ٥٠٨، وتقييد العلم ص ٥٨-٦٠، وجامع بيان العلم ١/ ٦٤.

(٢) ومع ذم الاتكال على الكتاب وأمره بالحفظ، كان مع ذلك يكتب احتياطاً واستيثاقاً فيما رواه عنه ابن عبد البر قال سفيان : إني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه حديث أكتبه أريد أن اتخذه ديناً، وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به، وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبأ به" انظر : جامع البيان العلم وفضله ١/ ٧٦.

(٣) تقييد العلم ص ٦١.

(٤) متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنه أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد والسير، باب كراهية السفر بالمصحف إلى أرض العدو ٦/ ١٥٥ رقم ٢٩٩٠، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإمارة، باب النهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو إذ خيف وقوعه بين أيديهم ٧/ ١٧ رقم ١٨٦٩ واللفظ له.

(٥) انظر : حجة السنة للدكتور عبد الغنى ص ٤٥٧.

ويقول أبو قلابة في وصيته لأحد تلاميذه المقرين أيوب السخيتاني : "ادفعوا كتبى إلى أيوب إن كان حياً، وإلا فأحرقوها"<sup>(١)</sup>.

ويقول الأوزاعي : "كان هذا العلم شريفاً إذا كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه، فلما صار فى الكتب؛ ذهب نوره، وصار إلى غير أهله"<sup>(٢)</sup>.

هذه هى علل النهى عن كتابة السنة تعلن عن نفسها بوضوح فى الأخبار والآثار التى استشهد بها أصحاب هذه الشبهة.

وقد يتساءل بعضهم<sup>(٣)</sup> عن سبب العدول عن علل كراهة كتابة السنة وإباحة كتابتها فى عصر التدوين وما بعده إلى يومنا هذا.

والإجابة على هذا؛ هى ما أجاب به الخطيب بقوله : "إنما اتسع الناس فى كتب العلم وعولوا على تدوينه فى الصحف بعد الكراهة لذلك، لأن الروايات انتشرت، والأسانيد طالت، وأسماء الرجال وكناهم وأنسابهم كثرت والعبارات بالألفاظ اختلفت، فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا ... مع رخصة رسول الله ﷺ، لمن ضعف حفظه فى الكتاب، وعمل السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين بذلك"<sup>(٤)</sup>.

وكما قال ابن الصلاح : "ولولا تدوينه فى الكتب لدرس فى الأعصر الآخرة"<sup>(٥)</sup>، ولقد صدق رحمه الله تعالى.

### وبعد

فقد ظهر واضحاً جلياً أن النهى عن كتابة السنة ليس لذاته، بل لعل نصت عليها الأحاديث ذاتها التى نهت عن كتابة السنة وتدوينها.

تلك العلل التى أغمض أعداء السنة أعينهم عنها بالرغم من وجودها صراحة فى نفس الأخبار والآثار التى احتجوا بها لشبهتهم، فإن سلموا بصحة تلك الأحاديث

(١) تقييد العلم ص ٦٢ .

(٢) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث ١/ ١٣٢ رقم ٤٦٧، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٦٨ .

(٣) مثل نيازى عز الدين فى إنذار من السماء ص ١٢٧، وإسماعيل منصور فى تبصير الأمة ص ٣١١-٣١٨ .

(٤) تقييد العلم ص ٦٤، ٦٥ .

(٥) فتح المغيث للسخاوى ٢/ ١٤٥، تدريب الراوى ٢/ ٦٥ .

فعلیهم التسليم بالعلل الواردة فيها، ولا يكونوا من قال فيهم رب العزة ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وإن لم يسلموا بصحة ما استشهدوا به من الأخبار والآثار لم يبق لشبهتهم أساس في أن النهي عن كتابة السنة زمن النبوة، والصحابة، والتابعين، دليل على عدم حجية السنة المطهرة، لأنه في الوقت الذي كان فيه نهى عن الكتابة زمن النبوة، والصحابة، والتابعين، كان في الوقت ذاته إذن بالكتابة.

ولا أقول هنا بنسخ أحدهما للآخر<sup>(٢)</sup>؛ لأن النسخ لا يصار إليه إلا عند تعذر الجمع وهو ممكن هنا. وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الغنى - رحمه الله تعالى - في الجمع بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن. قال: "وقد قال بالنسخ جمهور العلماء"<sup>(٣)</sup>، واختاره بعض المتأخرين<sup>(٤)</sup>.

والحق أنه لا نسخ أصلاً، وأن النهي دائر مع الخوف - من العلل السابقة - والأذن دائر مع الأمن وجوداً وعدماً... فإنه يجب أن لا نقول بالنسخ إلا عند عدم إمكان الجمع بغيره، وقد أمكننا الجمع بتخصيص النهي بحالة الخوف، والإذن بحالة الأمن، مع التحديث والتبليغ في الحالتين، وهو جمع معقول المعنى. فما الذي يضطرنا إلى القول بالنسخ؟

ثم إنه لا داعي للتخصيصات بالصحف أو الأشخاص أو الأزمنة كما يذكر في بعض أقوال الجمع، بل المدار في النهي على حصول الاشتباه من كتابة السنة مع القرآن أو مستقلة ومن كاتب الوحي أو من غيره. وفي زمن نزول الوحي أو في غيره. والمدار في الإذن على الأمن من الاشتباه في هذه الأحوال كلها<sup>(٥)</sup> أ.هـ.

وهكذا شاءت إرادة الله ﷻ، أن يكون النهي عن كتابة السنة جزء من هذا المنهاج

(١) جزء من الآية ٨٥ البقرة.

(٢) لا نسخ النهي بالإذن، ولا الإذن بالنهي، ولو صح الأول فلا يصح الثاني بحال كما سبق ص ٢٨٥.

(٣) أي نسخ أحاديث النهي بأحاديث الإذن، على ما حكاه ابن تيمية في جوابه في كتابة صحة أصول مذهب أهل المدينة ص ٣٧. وفي مقابل الجمهور من عكس فذهب إلى أن الإذن منسوخ بالنهي كالأستاذ محمد رشيد رضا ومن تابعه وسبق الرد عليه ص ٢٨٥-٢٨٧.

(٤) كالأستاذ الخولي في مفتاح السنة ص ١٧، والأستاذ أحمد محمد شاكر في الباعث الخفي ص ١١٢.

(٥) حجية السنة للدكتور عبد الغنى ٤٤٦ - ٤٤٧ بتصرف.

العظيم الذى حفظت به رسالة الإسلام القائمة على الكتاب والسنة معاً.

وفى ذلك يقول الدكتور همّام عبد الرحيم : "ولولا ذلك لكثرت الشروح والتعليقات على آيات القرآن الكريم، ثم اختلط الأمر على الكاتبين أو من يأتى بعدهم، فلا يستطيعون تمييز النص المتعبد بتلاوته عن سائر النصوص -سنة كانت أو رأى فقيه- وهذا ما حدث لرسالات الأنبياء قبل رسول الله ﷺ، فقد اختلطت الحقيقة بالخيال، والخطأ بالصواب، والوحي بالرؤى والأحلام. حتى ذهب الأصل واختفى تحت وطأة الزيادات والإضافات، فلم يعد للوحي تميزه وهيمته، وأصبح الوحي عند اليهود والنصارى : حركة التاريخ. بمعنى أن كل شئ يحدث فى التاريخ يضاف إلى الوحي، باعتباره إرادة الله وحركة ذلك فى الأحداث.

وما القراءات الشاذة -عندنا كما سبق. إلا إضافات تفسيرية كتبت إلى جانب الآيات<sup>(١)</sup>، ثم ظن الكاتب أنها من القرآن الكريم، ولكن الكثرة الكاثرة من الصحابة الذين أفردوا النص ولم يكتبوا شيئاً إلى جانبه، بالإضافة إلى الذين حفظوه كل هؤلاء تواترت الرواية القرآنية عنهم، وحكموا على الزيادة بالشلوذ وعدم القبول<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

---

(١) راجع : ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٢) الفكر المنهجي عند المحدثين للدكتور همّام عبد الرحيم ص ٤٠ ، ٤١ .

## علة النهى عن كتابة السنة عند أعدائها والرد على مزاعمهم الآتية

أولاً : أن النهى عن كتابة السنة يدل على أن النبى ﷺ وأصحابه ﷺ أرادوا ألا يكون مع كتاب الله ﷻ كتاب آخر .

ثانياً : أن النهى يدل على أن النبى ﷺ وأصحابه أرادوا ألا تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم .

ثالثاً : أن النهى عن الإكثار من التحديث دليل على أن الصحابة ﷺ كانوا يجتهدون فى مقابل السنة الشريفة ولا يأخذون بها .

رابعاً : أن النهى عن الإكثار من الرواية دليل على عدم حجية السنة النبوية، واتهام من أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- للصحابة بالكذب .

## استعراض شبه النهي عن كتابة السنة عند أعدائها والرد عليها

زعم أعداء السنة أن العلة الحقيقية في نهى النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين عن كتابة السنة هو :

أولاً : أنهم لم يريدوا أن يكون مع كتاب الله ﷻ كتاب آخر . وفي ذلك يقول جمال البنا : "والحق الذي لا مرأى فيه أن الرسول نهى عن تدوين أحاديثه . حتى لا يكون مع كتاب الله كتب أخرى، وحديث أبي هريرة صريح في هذا قال أبو هريرة خرج علينا لرسول الله ﷺ ونحن نكتب أحاديثه ... وذكر الحديث ثم قال وهذا هو ما فعله أبو بكر عندما أحرق الأحاديث المدونة التي كانت عنده قبل أن يموت . كما أن عمر بعد أن استشار الصحابة في كتابة السنن ... وذكر الحديث" (١) .

وبنفس هذه العلة وأدلتها يصرح نيازى عز الدين فيقول بعد اعتراضه على علة الخوف من اختلاط السنة بالقرآن : "وذلك التخوف لم يكن موجوداً من الأساس، بدليل أحاديث الرسول ﷺ وأحاديث كبار الصحابة، بل كان الخوف كله من أمر آخر ذكره الرسول ﷺ وذكره الصحابة أجمعون، وقد قرأنا قبل قليل في حديث أبي هريرة، وفي الحديث المروي عن عمر بن الخطاب ﷺ، عندما أراد أن يكتب السنن وهو ألا يكون إلى جانب كتاب الله كتاب آخر، وانشغال الناس بالحديث عن كتاب الله وهذا التخوف ما زال موجوداً إلى اليوم ... ثم يقول في موضع آخر، وهذا السبب وحده -يعني ألا يكون إلى جانب كتاب الله كتاب آخر- ملزم بعدم كتابة الأحاديث إلى يوم يبعثون- ولا يمكن لهذا الأمر أن ينسخ أبداً" (٢) .

ثانياً : وتارة ثانية يزعم خصوم السنة أن العلة في نهى النبي ﷺ، والصحابة والتابعين، عن كتابة السنة المطهرة هو : أنهم لم يريدوا أن يجعلوها ديناً وشرعية عامة كالقرآن الكريم .

وفي ذلك يقول توفيق صدقي : "إن ما بينته السنة للعرب في ذلك الزمن لا يصلح لجميع الأمم في الأوقات المختلفة" (٣) وفي موضع آخر يقول : "وكان بعض الصحابة ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع في ضبطها

(١) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ١٩٩ .

(٢) إنذار من السماء ص ١٢٣، ١٢٧ .

(٣) مجلة المنار المجلد ٩ / ٥٢١، ٩٠٨ - ٩١٢ .

ولتسابقوا في نشرها بين العالمين ولما وجد بينهم متوان أو متكاسل أو مثبط لهم<sup>(١)</sup>.

وبهذا القول تأثر الأستاذ محمد رشيد رضا<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - إذ يقول : "هل الأحاديث ويسمونها بسنن الأقوال دين وشريعة عامة وإن لم تكن سنناً متبعة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لا سيما في الصدر الأول<sup>(٣)</sup>؟ إن قلنا : نعم فأكثر شبهة ترد علينا؛ نهى النبي ﷺ عن كتابة شيء عنه غير القرآن<sup>(٤)</sup>، وعدم كتابة الصحابة للحديث<sup>(٥)</sup>، وعدم عناية علمائهم وأئمتهم بالخلفاء بالتحديث بل نقل عنهم الرغبة عنه<sup>(٦)</sup>، ونفس هذا الكلام كرره في موضع آخر قائلاً : "وإذا أضفت إلى هذا ما ورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبتهم عنه بل في نهيههم عنه قوى عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً، كالقرآن، ولو كانوا فهموا عن النبي ﷺ أنه يريد ذلك لكتبوا ولأمروا بالكتابة، ولجمع الراشدون ما كتب وضبطوا ما وثقوا به وأرسلوه إلى عمالهم ليبلغوه ويعملوا به ولم يكتفوا بالقرآن والسنة المتبعة المعروفة للجمهور بحريان العمل بها"<sup>(٧)</sup>.

وأيد الأستاذ رشيد رضا في ذلك محمود أبو رية<sup>(٨)</sup>، وجمال البنا في كتابه :

(١) المصدر السابق ٩ / ٩١٣ .

(٢) الأستاذ محمد رشيد رضا : هو محمد رشيد بن علي رضا، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وتفسير المنار، والوحي المحمدي، والرهابيون والحجاز، وغير ذلك من مؤلفاته النافعة . وهو رحمه الله أحد رواد المدرسة العقلية الحديثة، كان في أول أمره متأثراً بوجهة شيخه محمد عبده، وكان مثله في أول الأمر قليل البضاعة من الحديث قليل المعرفة بعلومه، ولكنه كما قال الدكتور السباعي - رحمه الله - : "منذ أن استلم لواء الإصلاح بعد وفاة الإمام محمد عبده، وأخذ يخوض غمار الميادين الفقهية والحديثية وغيرهما وأصبح مرجع المسلمين في أنحاء العالم في كل ما يعرض لهم من مشكلات، كثرت بضاعته من الحديث وخبرته بعلومه، حتى غدا آخر الأمر حامل لواء السنة وأبرز أعلامها ... ويقول الدكتور السباعي رداً على استشهاد أبي رية بكلام السيد رشيد رضا في كتابه أضواء على السنة قال : "وكنتم أتريد على بيته فاستفيد من علمه وفهمه للشريعة ودفاعه عن السنة ما أجده من حق تاريخه على أن أشهد بأنه كان من أشد العلماء أخذاً بالسنة (القولية) وإنكاراً لما يخالفها في المذاهب الفقهية وإنني على ثقة بأنه لو كان حياً حين صدر (أبو رية) كتابه، لكان أول من يرد عليه في أكثر من موضع في ذلك الكتاب، أ.هـ ومات رحمه الله سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م. له ترجمة في الأعلام ٦ / ٣٦١، وانظر : المحدثون في الإسلام للأستاذ عبد المتعال الصعيدي ص ٥٣٩ - ٥٤٤، والسنة ومكانتها للدكتور السباعي ص ٣٠، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي ص ١٧٠-١٨٧، ومحمد رشيد رضا وجهوده في السنة للدكتور يوسف عبد المقصود، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم ١٢٦٦ .

(٣) الحق أن السنة القولية كانت متبعة بالعمل كالسنة العملية وهذا بلا نزاع ولا خلاف منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا . وهذا ما سنثبت إن شاء الله تعالى في الرد على هذه الشبهة انظر : ص ٣٠٦-٣١٤ .

(٤) سبق الرد على ما ذهب إليه بأن النهي ناسخ للإذن ص ٢٨٥ .

(٥) سيأتي ما يثبت كتابتهم في الجواب عن شبهة التأخر في التدوين ص ٣٥٣-٣٥٩ .

(٦) مجلة المنار المجلد ٩ / ٩٢٩ وسيأتي استعراض هذه الشبهة والرد عليها ص ٣٠٦-٣١٤ .

(٧) مجلة المنار المجلد ١٠ / ٧٦٨ .

"السنة ودورها في الفقه الجديد" إذ يقول: "ولا جدال في صحة ما ذهب إليه السيد رضا-رحمه الله- من أن الصحابة "لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً دائماً كالقرآن" فالحق أبلج، ولا يقف في سبيله تلك الدعاوى والتعلات"<sup>(٢)</sup>، وفي موضع آخر يصرح بذلك من قوله قاتلاً: "نهى الرسول عن كتابة حديثه ورفض الخلفاء والصحابة الكتابة، الدلالة الوحيدة التي تستخلص من هذه الوقائع: الرسول والخلفاء الراشدون والصحابة أرادوا عدم تأييد ما جاءت به السنن من أحكام"<sup>(٣)</sup>

وهكذا يذهب أعداء السنة إلى أن علة النهي عن كتابة السنة هي: أن الرسول ﷺ والصحابة أرادوا ألا يجعلوا مع كتاب الله ﷻ كتاب آخر، وأنهم ما أرادوا أن تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم، ويستدلون على ذلك بما مر من حديث أبي هريرة مرفوعاً وحديثي أبي بكر وعمر الموقوفان، ويزعمون أن تلك الأحاديث صريحة في دعواهم.

**الجواب عن شبهة أن النهي عن كتابة السنة يدل على أن النبي ﷺ وأصحابه أرادوا ألا يكون مع كتاب الله ﷻ كتاب آخر:**

إن ما استدل به أعداء السنة على زعمهم لا حجة لهم فيه، لأنه إذا جاء في حديث أبي هريرة قوله ﷺ "أكتب غير كتاب الله" ألم يقل ﷺ بعدها مباشرة (احضوا كتاب الله أو خلصوه) وهو مما يشير إلى العلة الحقيقية في النهي، وهي: صيانة كتاب الله مما اختلط به من السنة بلا تمييز؛ بدليل: رواية أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ﷺ وهي أصح سنداً من رواية أبي هريرة. ثم أليس في حديث أبي هريرة ﷺ أمر النبي ﷺ بالتحديث والتبليغ وهو أبلغ في حجية السنة كما مر... وكذا حديث أبي بكر ﷺ على فرض صحته أليس فيه دليل على كتابة السنة في عهده ﷺ، وما حرقه ﷺ لما جمعه من أحاديث ليس شكاً منه في حجية السنة، كيف! وقد علل ذلك بخشيته أن يكون الذي حدثه وهم فكره تقلد ذلك كما خشي أن يتوهم متوهم أن ما جمعه هو كل ما قاله رسول الله ﷺ فيقول هذا المتوهم، كما قال أبو بكر معللاً صنيعه: "لو كان قاله رسول الله ﷺ ما غاب على أبي بكر" ثم يصرح ﷺ بعد ذلك مباشرة بأنه

(١) أضواء على السنة ص ٤٨ - ٥٠ .

(٢) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٢٢٥ .

(٣) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٢٠٢، وانظر: السلطة في الإسلام للمستشار عبد الجواد ياسين ص ٢٣٨ .

حدث بحديث رسول الله ﷺ ولم يجمع فى الصحيفة التى حرقها كل أحاديث رسول الله ﷺ فيقول : "إنى حدثكم الحديث ولا أدرى لعلى لم أتبعه حرفاً حرفاً".

أما حديث عمر ﷺ فيه أبلغ حجة على حجية السنة عند الصحابة أجمع ﷺ فعمر ﷺ عندما هم بكتابة السنة -ليس مجرد الكتابة- فهى كانت مكتوبة- وإنما المراد بالكتابة تدوينها تدويناً عاماً فى مكان واحد، كما كان ﷺ صاحب اقتراح تدوين القرآن الكريم تدويناً عاماً فى مكان واحد زمن أبو بكر الصديق ﷺ وتردد أبو بكر وزيد بن ثابت فى هذا التدوين فى أول الأمر -كان منهم تورعاً كما قالوا : "كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟!"

فهل يستطيع مخلوق على وجه الأرض أن يقول أن تردد أبو بكر وزيد -رضى الله عنهما- دليل على عدم حجية كتاب الله ﷺ عندهم (١)؟؟

ألم يقل لهم الفاروق عمر "أنه والله خير"، فكان الأمر كما قال .

وعندما هم بتدوين السنة تدويناً عاماً، كالقرآن، واستشار فى ذلك الصحابة هل تردد واحد منهم؟ كلا! كما جاء فى الحديث "فأشاروا عليه بأن يكتبها" ولكنه عدل عن هذا التدوين فى زمنه لعدم الأمن من انشغال الناس بها والاهتمام بها على حساب كتاب الله ﷺ (٢) حتى لا يبقى المصحف بغبرة لا ينظر فيه كما قال الضحاك، وهذا هو معنى قوله "وإنى والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً"، ولم يقل : "حسبنا كتاب الله".

ولو كان المراد بالانشغال عن السنة فى قول النبى ﷺ والصحابة ﷺ خشيتهم أن تكون السنة حجة وكتاباً آخر مع كتاب الله ﷺ كما فهم أعداء الإسلام وزعمهم بأن هذا السبب "ملزم بعدم كتابة الأحاديث إلى يوم يبعثون، ولا يمكن لهذا الأمر أن ينسخ أبداً" كما مر من قول نيازى عز الدين .

لو كان هذا -الفهم الأعوج- هو المراد بالانشغال الذى كان من أجله النهى عن كتابة السنة :

أ- ما كان للنبي ﷺ أن يكتب .

(١) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص ٤٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥٥ .

ب- ولما كان له أن يأذن بالكتابة عنه .

ج- وما كان له أن يأمر بالتحديث عنه .

د- ولما كان للصحابة والتابعين أن يقتدوا بالنبي ﷺ فيما سبق، من الكتابة والإذن بالتحديث

هـ- ولما كان هناك مَعْنَى [ لَهْمٌ ] عمر بالتدوين وإقرار الصحابة له على ذلك ثم عدوله عنه، إذ كيف يهم بتدوين شيء ليس بحجة، وكيف يجوز على الصحابة أجمع إقراره على هذا التدوين؟

و- بل ولم يجوز تدوين السنة تدويناً رسمياً في عهد عمر بن عبد العزيز ؓ .

ز- ولما جاز إجماع الأمة بعد عصر الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا على كتابتها وتدوينها .

ح- بل ولما جاز منهم الإجماع على حجيتها واعتبارها المصدر التشريعي الثاني الملازم لكتاب الله ﷻ لا ينفصل أحدهما عن الآخر .

ثانياً : الجواب عن شبهة أن النهي عن كتابة السنة يدل على أن النبي ﷺ وأصحابه ؓ أرادوا ألا تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم :

إذا بطل هذا الفهم الأعوج من أعداء الإسلام لمعنى "خوف النبي ﷺ والصحابة ؓ من الانشغال بالسنة عن كتاب الله، بالألا يكون مع كتاب الله كتاب آخر، بطل أيضاً ما فهموه من أن النهي عن كتابة السنة من النبي ﷺ والصحابة والتابعين ؓ، دلالة عدم صلاحية السنة لكل زمان ومكان، وعدم تأييد ما جاء به السنن من أحكام .

وهذا ما تأثر به رشيد رضا -رحمه الله- وعبر عنه بأنهم: "لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً كالقرآن" .

وكيف يصح القول بأن مراد النبي ﷺ من نهيه عن كتابة سنته ألا تكون ديناً عاماً دائماً كالقرآن .

١- فعلام إذن يقرنها مع كتاب الله ﷻ مبيناً أن الاعتصام بهما عصمة من الضلال في قوله: "إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة

نبية" (١).

٢- وعلام يأمر بتبليغ سنته المطهرة في قوله : "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب  
فرب مبلغ أوعى من سامع" (٢).

٣- وعلام يوصى بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين والعض عليها بالنواجذ  
عند الاختلاف في قوله ﷺ : "فإنه من يعش منكم : فسيري اختلافاً كثيراً فعليكم  
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ" (٣).

٤- وعلام التحذير الشديد من الكذب ﷺ : "إن كذباً على ليس ككذب على  
أحد. فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (٤).

٥- وعلام يحذر ممن يأتيه الأمر مما أمر به أو نهى عنه فيعترض ويقول : "بيننا  
وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمانه، ثم  
يبين ﷺ أن ما يجرمه بوحى مثل ما حرمه الله في كتابه قائلاً : "إلا وإن ما حرم  
رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله" (٥) وذلك التحريم دينٌ دائمٌ إلى يوم القيامة كما  
سيأتى من قول عمر بن عبد العزيز : "فما أحل على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم  
القيامة، وما حرم على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة".

٦- علام يصف الزائف عن سنته المطهرة بأنه هالكٌ كما قال ﷺ : "قد تركتكم  
على البيضاء. ليلها كنهارها. لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك" (٦).

(١) سبق تخريجه ص ٢٠١ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٨٢ .

(٣) سبق تخريجه ص ٤٤ .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٨٤ .

(٥) سبق تخريجه ص ٢٢٨ .

(٦) جزء من حديث طويل أخرجه ابن ماجة في سنته المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ٢٩/ ١  
رقم ٤٣، وابن أبى عاصم في كتاب السنة، باب ذكر قول النبي ﷺ تركم على مثل البيضاء وتحذيره أباهم أن  
يتغيروا عما يتركهم عليه ٢٦/ ١ رقم ٤٨، واللفظ لابن ماجة .

فعلام يدل هذا إذا لم تكن السنة النبوية حجة ودينًا عامًا دائماً كالقرآن الكريم!

إن كل ما نقلناه هنا من هذه الأحاديث ونحوها كثير بمثابة التصريح من رسول الله ﷺ بأن سنته المطهرة حجة ودينٌ عامٌّ دائماً ملازمٌ للقرآن الكريم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾<sup>(١)</sup> وهذا ما فهمه الصحابة من رسول الله ﷺ فهم أول المخاطبين بما سبق من الأحاديث، وهم أول المخاطبين بكتاب الله ﷻ وفيه الأمر بطاعته ﷺ والتحذير من مخالفة أمره قال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهل هذا الأمر الإلهي بإتباع أمر نبيه ﷺ الوارد في سنته المطهرة أراد به رب العزة ألا يكون ديناً عاماً دائماً كالقرآن؟؟؟

إن القول بهذا طعن في القرآن نفسه، وفي عالمية الدعوة الإسلامية؛ ثم إن رب العزة يقسم بذاته المقدسة على عدم إيمان من لم يحكم رسوله في كل شأن من شئون حياته ومن المعلوم بالضرورة أننا نحكم الرسول ﷺ بذاته وهو حي، فإذا انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حكمنا سنته المطهرة، على أنه ليس فقط أن نحكم الرسول ﷺ وسنته، بل لا بد وأن تمتلئ قلوبنا بالرضا والسعادة بهذا الحكم النبوي وأن نخضع له خضوعاً كاملاً مع التسليم التام قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾<sup>(٣)</sup> وعلى ذلك يؤكد النبي ﷺ بقوله : "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"<sup>(٤)</sup>.

ولم يخالف في ذلك أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا يقول بخلاف هذا إلا من جهل طريقتهم في العمل بأحكام الدين وكيف كانوا يأخذونها.

(١) الآية ٣٧ من سورة ق.

(٢) جزء من الآية ٦٣ من سورة النور.

(٣) الآية ٦٥ من سورة النساء.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة باب ما يجب أن يكون هوى المرء تبعاً لما جاء به النبي ﷺ ١/ ١٢ رقم ١٥، والبيهقي في شرح السنة كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء ١/ ١٤٥ رقم ١٠٤ وقال النووي في أربعينه : هذا حديث صحيح روياه في كتاب الحجة بإسناد صحيح" انظر : جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٩٣، وقواعد التحديث للقا سمي ص ٤٥ .

فالصحابة أجمع وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين كانوا يعظمون حديث رسول الله ﷺ ويحكمونه في كل شأن من شئون حياتهم. فعن ميمون بن مهران<sup>(١)</sup> قال : كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن أعياء خرج فسأل المسلمين، وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فرمما اجتمع إليه نفر كلهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاءً فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا، فإن أعياء أن يجد فيه سنة من رسول الله ﷺ جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

وعن جابر بن زيد<sup>(٣)</sup>، أن ابن عمر لقيه في الطواف، فقال له : يا أبا الشعثاء، إنك من فقهاء البصرة، فلا تفت إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلك<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الدارمي عن شريح<sup>(٥)</sup> : أن عمر بن الخطاب كتب إليه : "إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به، ولا يلتفتك عنه الرجال، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله ﷺ، فاقض بها، فإن جاءك ما ليس في كتاب ولم يكن فيه سنة من رسول الله ﷺ فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس في كتاب

(١) ميمون بن مهران : هو ميمون بن مهران الجوزي أبو أيوب الرقي، روى عن عائشة، وأبي هريرة، وأبي عباس، وطائفة، وعنه أبو بشر، والأوزاعي، وخلق كثير، متفق على توثيقه. مات ١١٧ هـ. له ترجمة في: تذكرة الحفاظ ١ / ٩٨ رقم ٩١، وتقريب التهذيب ٢ / ٢٣٤ رقم ٧٠٧٥، والكاشف ٢ / ٣٠٢ رقم ٥٧٦٤، والثقات للعجلي ص ٤٤٥ رقم ١٦٦٩.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة ١ / ٦٩، ٧٠ رقم ١٦٦، وانظر: إعلام الموقعين ٢ / ٦٢.

(٣) جابر بن زيد، أبو الشعثاء الأزدي، روى عن ابن عباس، وعنه قتادة، وأيوب، وخلق. متفق على توثيقه. مات ٩٣ هـ. له ترجمة في تقريب التهذيب ١ / ١٥٢ رقم ٨٦٧، والكاشف ١ / ٢٨٧ رقم ٧٢٨، والثقات للعجلي ص ٩٣ رقم ١٩٤.

(٤) الدارمي في سننه المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة ١ / ٧٠، ٧١ رقم ١٦٤، وجامع بيان العلم ٢ / ٥٦.

(٥) شريح هو : القاضي شريح بن الحارث بن قيس الكندي أبو أمية الكوفي، روى عن عمر، وعلى، وابن مسعود رضي الله عنهم، وعنه الشعبي والنخعي وابن سيرين وطائفة، مخضرم ثقة. مات قبل الثمانين أو بعدها له ترجمة في: تذكرة الحفاظ ١ / ٥٩ رقم ٤٤، والثقات للعجلي ٢١٦ رقم ٦٦٠، وتقريب التهذيب ١ / ٤١٦ رقم ٧٨٢، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٧ رقم ٤٢.

الله ولم يكن في سنة رسول الله ﷺ ولم يتكلم فيه أحد قبلك، فاختار أى الأمرين شئت : إن شئت أن تحتهد برأيك ثم تقدم فتقدم، وإن شئت أن فتأخر فتأخر، ولا أرى التأخير إلا خيراً لك<sup>(١)</sup>، ونحو ذلك روى عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم<sup>(٢)</sup> -رضى الله عنهم أجمعين- .

### وبذلك كانت مصادر الأحكام فى الصدر الأول أربعة :

١- القرآن الكريم : وهو المصدر الأول لهذا الدين وعمدة الملة، وكانوا يفهمونه واضحاً جلياً، لأنه بلسانهم نزل مع ما امتازوا به من معرفة أسباب نزوله .  
٢- السنة النبوية : وهى المصدر الثانى الملازم للمصدر الأول، وقد اتفقوا على اتباعها متى ظفروا بها .

٣- القياس، أو الرأى المستند إلى كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ .

٤- الإجماع المستند إلى نص من كتاب أو سنة أو قياس<sup>(٣)</sup> .

ولم يزل أئمة الإسلام من المحدثين والفقهاء من التابعين فمن بعدهم إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة على تحكيم سنة رسول الله ﷺ يقول القاسمى : "كان عندهم أنه إذا وجد فى المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول إلى غيره، وإذا كان القرآن محتماً لوجه فالسنة قاضية عليه، فإذا لم يجدوا فى كتاب الله أخذوا بسنة رسول الله ﷺ سواء كان مستفيضاً دائراً بين الفقهاء، أو كان مختصاً بأهل بلد، أو أهل بيت أو بطريق خاصة، وسواء عمل به الصحابة والفقهاء أو لم يعملوا به، ومتى كان فى المسألة حديث فلا يتبع فيها خلاف أثر من الآثار، ولا اجتهد أحد من المجتهدين، وإذا فرغوا جهدهم فى تتبع الأحاديث، ولم يجدوا فى المسألة حديثاً، أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين، ولا يتقيدون بقوم دون قوم، ولا بلد دون بلد ... فإن اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شئ فهو المقنع، وإن اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم علماً، وأورعهم ورعاً، أو أكثرهم ضبطاً، أو ما اشتهر عنهم، ... وكانت هذه الأصول

(١) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة ١ / ٧١، ٧٢ رقم ١٦٧، وانظر : جامع بيان العلم ١ / ٥٦ .

(٢) انظر : سنن الدارمى، وجامع بيان العلم فى الأماكن السابقة، وانظر : أعلام الموقعين ١ / ٥٧-٨٦ .

(٣) انظر : تاريخ التشريع الإسلامى للشيخ محمد الحضرى ص ٧٥، ٧٦، وأصول الفقه الإسلامى للدكتور طه جابر العلوانى ص ١٠-٦ .

مستخرجة عن صنيع الأوائل وتصريحاتهم<sup>(١)</sup> كما مر في الأحاديث الموقوفة .

فأين الاتفاق الذى زعمه محمد رشيد رضا -ومن قال بقوله من أعداء السنة-  
أن المصدر الأول من الصحابة عليهم السلام لم يعملوا بالأحاديث القولية ولم تكن عندهم سنناً  
متبعة بالعمل؟

بل أين نزاع صحابى واحد فى عدم العمل بالأحاديث القولية وعدم اعتبارها من  
السنة المطهرة؟!

وكيف يصح هذا القول فى حق أناس أشربت قلوبهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته  
المطهرة وتعظيمها وتوقيرها وزجر من لم يعظمها وهجره .

يدل على ذلك ما روى عن عبد الله بن المغفل<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يخذف<sup>(٣)</sup>  
فقال له لا تخذف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف أو كان يكره الخذف - وقال:  
إنه لا يصاد به صيداً ولا ينكأ<sup>(٤)</sup> به عدو، ولكنها قد تكسر السن، وتفقأ العين . ثم رآه  
بعد ذلك يخذف فقال له أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الخذف - أو كره  
الخذف - وأنت تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا<sup>(٥)</sup>، وفى رواية للدارمى: "والله لا أشهد  
لك جنازة ولا أعودك فى مرض، ولا أكلمك أبداً"<sup>(٦)</sup>

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد

---

(١) انظر : قواعد التحديث للقاسمى، مبحث الفرق بين أهل الحديث وأصحاب الرأى ص ٣٣٨، للاستزادة انظر :  
من نفس المصدر باب السنة حجة على جميع الأمة وليس عمل أحد حجة عليها ص ٢٧٣ - ٢٨١ وباب حال  
الناس فى المصدر الأول وبعده ص ٣٤٤ - ٣٥١، وانظر : أعلام الموقعين فصل "أئمة الإسلام يقدمون الكتاب  
والسنة" ٢/ ٢٢٩، وجامع بيان العلم وفضله، "باب معرفة أصول العلم وحقيقته" ٢/ ٢٣ - ٢٩ .

(٢) عبد الله بن المغفل صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة ٢/ ٣٧٢ رقم ٤٩٨٨، والاستيعاب ٣/ ٩٩٦ رقم  
١٦٦٧، وتاريخ الصحابة ١٦٠ رقم ٧٧٦، ومشاهير علماء الأمصار ٤٨ رقم ٢٢١، واسد الغابة ٣/ ٣٩٥ رقم  
٣٢٠٢ .

(٣) الخذف هو: وضع الحصاة أو النواة بين السبابتين ثم الرمى بهما، انظر: النهاية فى غريب الحديث ٢/ ١٦ .

(٤) ينكأ: ويكتب بغير همز، والمعنى: تكرر الجراح والقتل فى العلو، انظر: النهاية فى غريب الحديث ٥/ ١١٧ .  
(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الذبائح والصيد، باب الخذف والبنفقة ٩/ ٥٢٢ رقم ٥٤٧٩،  
ومسلم (بشرح التروى) كتاب الصيد، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو، وكراة الخذف ٧/ ١١٧  
رقم ١٩٥٤ .

(٦) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأذان، باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد ٢/ ٤٠٩  
رقم ٨٧٣، والدارمى فى سنته المقدمة، باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث فلم يعظمه ولم يقره ١/  
١٢٨ رقم ٤٤٠ واللفظ له .

فلا يمنعها. فقال فلان ابن عبد الله إذا والله أمنعها! فأقبل عليه ابن عمر، فشتمه شتمة لم أره شتمها أحداً قبله، ثم قال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول : إذا والله أمنعها!!<sup>(١)</sup>.

وفي رواية لابن عبد البر : قال بلال بن عبد الله بن عمر<sup>(٢)</sup> فقلت أما أنا فسامع أهلى فمن شاء فليسرح أهله فالتفت إلى وقال : لعنك الله، لعنك الله، لعنك الله، تسمعنى أقول أن رسول الله ﷺ أمر أن لا يُمنعن، وقام مغضباً<sup>(٣)</sup>.

وعن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ نهى عن درهمين بدرهم، فقال فلان : ما أرى بهذا بأساً يداً بيد، فقال عبادة أقول : قال النبي ﷺ وتقول : لا أرى به بأساً!! والله لا يظلمنى وإياك سقفاً أبداً<sup>(٤)</sup>.

وعلى الدرب صار التابعون فمن بعدهم من أئمة المسلمين، فعن قتادة<sup>(٥)</sup>، قال : حدث ابن سيرين رجلاً يحدث عن النبي ﷺ فقال رجل : قال فلان كذا وكذا، فقال ابن سيرين : أحدثك عن النبي ﷺ وتقول : قال فلان وفلان كذا وكذا!! لا أكلمك أبداً<sup>(٦)</sup>.

وقال الحميدى<sup>(٧)</sup> : سأل رجل الشافعى عن مسألة، فأفتاه قائلاً : قال النبي ﷺ

(١) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة باب تعجيل عقوبة من مؤلفه عن النبي ﷺ حديث فلم يعظمه ولم يورقه ١ / ١٢٨ رقم ٤٤٢ .

(٢) بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشى، العدوى، ثقة، وعده يحيى القطان : فى فقهاء المدينة . له ترجمة فى : تقريب التهذيب ١ / ١٤٠ رقم ٧٨٣، والكاشف ١ / ٢٧٧ رقم ٦٥٩، والثقات للعجلي ص ٨٧ رقم ١٧٣، والثقات لابن حبان ٤ / ٦٥ .

(٣) جامع بيان العلم ٢ / ١٩٥ .

(٤) أخرجه الدارمى فى سننه فى المقدمة، باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبي ﷺ حديث فلم يعظمه ولم يورقه ١ / ١٢٩ رقم ٤٤٣، وانظر : شذرات من علوم السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الأحمدي ص ٨٤ - ٩٧ .

(٥) قتادة هو : قتادة بن دعامة بن قنادة السنوسى، أبو الخطاب البصرى الأكمه، أحد الأعلام روى عن أنس، وابن سيرين، وابن المسيب، وخلق، وعنه أبو حنيفة، وشعبة والأوزاعى وخلق، ثقة ثبت، قال أحمد : كان قتادة أحفظ أهل البصرة لم يسمع شيئاً إلا حفظه، مات ١١٧ هـ . له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٢ رقم ١٠٧، وطبقات الحفاظ ص ٥٤ رقم ١٠٤، وتقريب التهذيب ٢ / ٢٦ رقم ٥٥٣٥، والكاشف ٢ / ١٣٤ رقم ٤٥٥١ .

(٦) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبي ﷺ حديث فلم يعظمه ولم يورقه ١ / ١٢٨ رقم ٤٤١ .

(٧) الحميدى : هو عبد الله بن الزبير الأزدى أبو بكر المكي أحد الأئمة روى عن ابن عيينة، ومسلم الزنجى، وخلق، وعنه البخارى، والذهلى، وخلق . قال أحمد : الحميدى عندنا إمام، وقال أبو حاتم هو : ثقة إمام، وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث مات ٢١٩ هـ . له ترجمة فى تذكرة الحفاظ ٢ / ٤١٣ رقم ٤١٩، وطبقات الحفاظ ص ١٨١ رقم ٤٠٠، وتقريب التهذيب ١ / ٤٩٢ رقم ٣٣٣١، والكاشف ١ / ٥٥٢ رقم ٢٧٢١، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة ص ٣٠٧ رقم ٣٧٤، وشذرات الذهب ٢ / ٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٦١٦ رقم ٢١٢، والوفاء بالوفيات ١٧ / ١٧٩، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ١ / ١٣٨ رقم ٣٣ .

كذا وكذا، فقال الرجل : أتقول بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال الشافعي : رأيت في وسطى زناراً؟ أتراني خرجت من الكنيسة؟ أقول : قال النبي ﷺ، وتقول لي : أتقول بهذا؟ أروى عن النبي ﷺ ولا أقول به (٢)؟

ومن هنا حث السلف الصالح على التأدب مع السنة المطهرة فيمن دعى إلى التحاكم إليها يقول الإمام النووي -رحمه الله- : "وكذلك ينبغي إذا قال له صاحبه : هذا الذي فعلته خلاف حديث رسول الله ﷺ أو نحو ذلك أن لا يقول : لا التزم الحديث، أو لا أعمل بالحديث، أو نحو ذلك من العبارات المستبشعة، وإن كان الحديث متروك الظاهر لتخصيص أو تأويل أو نحو ذلك، بل يقول عند ذلك : هذا الحديث مخصوص أو متأول أو متروك الظاهر بالإجماع وشبه ذلك" (٣).

قوم هذا حالهم في تعظيمهم وتوقيرهم لسنة نبيهم ﷺ وتحكيمها في كل شأن من شئون حياتهم، وزجرهم وهجرهم -ولو كان قريباً لهم- من لم يتأدب معها إذا دعى إلى التحاكم إليها، كيف يقال أنهم يريدوا أن يتخذوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً كالقرآن (٤)!!!

اللهم إن هذا إنكار لإجماع الأمة منذ عهد نبيها ﷺ إلى يومنا هذا! وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - بحجة السنة المطهرة واتخاذها ديناً عاماً دائماً ملازماً لكتاب الله ﷻ وهذا الإجماع قائم على الحقائق الثابتة في كتاب ربنا ﷻ، وسنة نبينا ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين والصحابة أجمع ﷺ أجمعين وعلى هذا الإجماع أئمة المسلمين من التابعين فمن بعدهم إلى يومنا هذا.

وما أصدق ما قاله عمر بن عبد العزيز في إحدى خطبه قال : "يا أيها الناس، إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبياً، ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذي أنزله عليه كتاباً، فما

(٢) أعلام الموقعين ٢/ ٢٦٦، وانظر : مناقب الشافعي للرازي ص ٣١٧ .

(٣) الأذكار، باب ما يقول من دعى إلى حكم الله تعالى ص ٢٨٠ .

(٤) ممن رد هذه الشبهة الدكتور محمد أبو زهو في الحديث والمحدثون ص ٢٣٧ - ٢٣٨، والدكتور الأعظمي في دراسات في الحديث ١/ ٨٠، والدكتور يوسف عبد المقصود في رسالته للدكتوراه (محمد رشيد رضا وجهوده في خدمة السنة) رد أيضاً موقف السيد رشيد رضا من التلويح، والجمع بين أحاديث النهي والإباحة وأيد رد فضيلة الدكتور محمد أبو زهو على السيد رشيد رضا قال "وبعد هذا أقول : إنه ليس من دليل قائم يساند الشيخ محمد رشيد رضا فيما يذهب إليه في التلويح ... والدليل الذي عليه هو في جانب الشيخ محمد أبي زهو هـ، وانظر : محمد رشيد رضا وجهوده في خدمة السنة ص ٢٨٢-٢٨٣ .

أحل الله على لسان نبيه ﷺ؛ فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم على لسان نبيه ﷺ؛ فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا إنى لست بقاض ولكنى منفذ، ولست بمبتدع ولكنى متبع، ولست بخير منكم غير أنى أثقلكم حملاً، ألا وأنه ليس لأحد من خلق الله أن يطاع في معصية الله، ألا هل أسمع<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً -رحمه الله- "سن رسول الله ﷺ وولاية الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله ﷻ، واستكمال لطاعة الله ﷻ، وقوة على دين الله ﷻ، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو المهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله تعالى ما تولاه، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً"<sup>(٢)</sup>.

وقال الحافظ ابن عبد البر: "ليس لأحد من علماء الأمة يثبت حديثاً عن النبي ﷺ ثم يرده دون ادعاء نسخ عليه بأثر مثله، أو إجماع، أو بعمل يجب على أصله الانقياد إليه، أو طعن في سنده، ولو فعل ذلك أحد سقطت عدالته، فضلاً عن أن يتخذ إماماً ولزمه إثم الفسق"<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

والله أعلم

(١) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ وقول غيره عند قوله ﷺ ١/ ١٢٦ رقم ٤٣٣ .

(٢) انظر : الشريعة للأخرى ص ٤٨، ٦٥، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/ ١٨٦، ١٨٧ .

(٣) جامع بيان العلم ٢/ ١٩٤ .

## استعراض شبهة

أن النهي عن الإكثار من التحديث دليل على أن الصحابة عليهم السلام كانوا يجتهدون في مقابل السنة الشريفة، ولا يأخذون بها والرد عليها

ذهب بعض غلاة الشيعة إلى تقسيم الصحابة إلى مدرستين<sup>(١)</sup>، أو إلى طائفتين<sup>(٢)</sup>، باعتبار تعاملهم مع النصوص الصادرة عن الرسول ﷺ :

١- المدرسة أو الطائفة الأولى : "طائفة التعبد المحض" وهي التي انتهجت منهاج الطاعة والامتثال المطلق للأحكام الصادرة عن الله ﷻ ورسوله ﷺ ويعنون بهم أنفسهم .

٢- المدرسة أو الطائفة الثانية : "طائفة الاجتهاد والرأي" وهي التي انتهجت منهاج الاجتهاد في مقابل النص وخرجوا عليه وتأولوه -ويعنون بهم أهل السنة من السلف وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون- عليهم السلام (٣) .

ويستدلون على هذا التقسيم الباطل، بمواقف اجتهادية وقعت من الصحابة زمن النبوة وبعدها .

والجواب : يطل التقسيم السابق الذي ذهب إليه بعض غلاة الشيعة ما هو مقرر عند الأصوليين من اتفاقهم على جواز الاجتهاد<sup>(٤)</sup> بعد الرسول ﷺ (٥) أما في عصره

(١) على حد تعبير السيد مرتضى العسكري في كتابه "معالم المدرستين" .

(٢) على حد تعبير علي الشهرستاني في كتابه "منع تدوين الحديث أسباب ونتائج" .

(٣) معالم المدرستين المجلد ٢ / ٦٧، ومنع تدوين الحديث ص ٨٥، وركبت السفينة لمروان خليفات ص ٢٣٣، ٢٩٥، وتأملات في الحديث زكريا عيسى ص ٤٨-٦٢، والشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص ٢٧، ٢٨، ٣١ .

(٤) الاجتهاد لغة: مأخوذ من الجهد، وهو المشقة والطاقة، فيختص بما فيه مشقة ليخرج عنه ما لا مشقة فيه وقال الرازي في المحصول : هو في اللغة عبارة عن استفراغ الوسع، في أي فعل كان يقال استفراغ وسعة في حمل الثقل، ولا يقال : استفراغ وسعة في حمل النواة . انظر : القاموس المحيط ١ / ٢٨٣، والحصول ٢ / ٤٨٩، والإحكام لابن حزم ٨ / ٦٢٩ . وأما في عرف الفقهاء : فهو : استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم مع استفراغ الوسع فيه . وهذا سبيل مسائل الفروع، ولذلك تسمى هذه المسائل مسائل الاجتهاد، والناظر فيها يجتهد وليس هذا حال الأصول انظر : المحصول للرازي ٢ / ٤٨٩، وانظر : تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد للإمام السيوطي ص ٢٩-٦٦ .

(٥) نقل هذا الاتفاق الآسدي في الإحكام ٤ / ١٥٢، والرازي في المحصول ٢ / ٤٩٤، والسبكي وولده في الإسهاج ٣ / ٢٥٢ .

فقد اختلفوا فيه، فذهب أكثر أهل الأصول على جوازهِ في حضرته وغيبته ﷺ والتعبد به<sup>(١)</sup> ومنع من ذلك الجبائي<sup>(٢)</sup> وأبى هاشم<sup>(٣)</sup>، وهو قول ضعيف كما قال الزركشي : لأنه لا يؤدي إلى مستحيل فإن أرادوا منع الشرع توقف على الدليل وهو مفقود<sup>(٤)</sup>.

ويدل على ما سبق، من وقوع الاجتهاد من الصحابة - بما فيهم الإمام عليّ كرم الله وجهه - زمن النبوة بحضرته وغيبته ﷺ، والتعبد بذلك الاجتهاد.

حديث معاذ بن جبل ﷺ<sup>(٥)</sup>، أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال : "كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضى بما في كتاب الله، قال فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟ قال : اجتهد رأيي، قال معاذ فضرب رسول الله ﷺ صدرى، ثم قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>".

(١) اختاره جماعة من المحققين منهم الغزالي في المستصفى ٢/ ٣٥٤، وأبى الحسين في المعتمد ٢/ ٢١٣.

(٢) الجبائي هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي. ينسب إلى جبى - من قرى البصرة - كان من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه تنسب الطائفة الجبائية. له مقالات وآراء انفرد بها. من آثاره: "كتاب الأصول" "التفسير الكبير" وغير ذلك مات سنة ٣٠٣ هـ. له ترجمة في: وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٧ - ٢٦٩ رقم ٦٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٨٣ رقم ١٠٢، والبداية والنهاية ١١/ ١٣٤، ولسان الميزان ٦/ ٣٢٠ رقم ٧٧٨٣، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٩١ رقم ٥٢٩، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٧، ٥٧، ٦٨، والأعلام ٦/ ٢٥٦.

(٣) أبو هاشم : هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن أبي علي الجبائي من رؤوس المعتزلة هو وأبوه له تصانيف منها "تفسير القرآن" والجامع الكبير" مات ٣٢١ هـ. له ترجمة في: البداية والنهاية ١١/ ١٨٨، وتاريخ بغداد ١١/ ٥٦ رقم ٥٧٣٥، والفهرست لابن النديم ٣٠٥، ولسان الميزان ٤/ ٣٥٩ رقم ٥١٨٠، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٠٧ رقم ٢٨١، وطبقات المعتزلة لأحمد المرتضى ص ٧٧، وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار ص ٢٩٠-٢٩٤.

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٦/ ٢٢٠، وانظر : تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الحضري ص ٧٤ وما بعدها، والفقه الإسلامي مروته وتطوره لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ص ٤٣-٣٧.

(٥) معاذ بن جبل : صحابي جليل له ترجمة في: الإصابة ٣/ ٤٢٦ رقم ٨٠٥٥، وتاريخ الصحابة ص ٢٢٩ رقم ١٢٣١، وأسد الغابة ١٨٧/ ٥ رقم ٤٩٦٠، والاستيعاب ٣/ ١٤٠٢ رقم ٢٤١٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٣ رقم ٣٢١.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء ٣/ ٣٠٣ رقم ٣٥٩٢، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضى كيف يقضى ٣/ ٦١٦ رقم ١٣٢٧، وقال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندي متصل. قال ابن قيم الجوزية : هذا الحديث وإن كان عن غير مسمين فهم أصحاب معاذ فلا يضره ذلك ... فلا يعرف في أصحابه منهم ولا كذاب.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية : "وقد اجتهد الصحابة في زمن النبي ﷺ في كثير من الأحكام ولم يعنفهم كما أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر في بنى قريظة<sup>(١)</sup>، فاجتهد بعضهم وصلوها في الطريق، وقال لم يرد منا التأخير، وإنما أراد سرعة النهوض، فنظروا إلى المعنى، واجتهد آخرون وأخروها إلى بنى قريظة فصلوها ليلاً، نظروا إلى اللفظ، وما عنف واحداً من الفريقين، وهؤلاء سلف أهل الظاهر، وهؤلاء سلف أصحاب المعاني والقياس<sup>(٢)</sup>."

واجتهد سعد بن معاذ<sup>(٣)</sup> في بنى قريظة وحكم فيهم باجتهاده، فصوبه النبي ﷺ وقال: "لقد حكمت فيهم بحكم الله ﷻ"<sup>(٤)</sup>.

وعن زيد بن أرقم<sup>(٥)</sup> قال : كان على ﷺ باليمن فأتى بإمرأة وطئها ثلاثة نفر في طهر واحد فسأل اثنين أنقران لهذا بالولد فلم يقرأ، ثم سأل اثنين أنقران لهذا بالولد فلم يقرأ، ثم سأل اثنين، حتى فرغ، يسأل اثنين اثنين عن واحد فلم يقرأ، ثم أقرع بينهم فألزم الولد الذي خرجت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثي الدية، فرفع ذلك للنبي

---

= ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك، كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث؟ وقد قال بعض أئمة الحديث : إذا رأيت شعبة في إسناده حديث فاشدد يدك به . انظر : أعلام الموقعين ١ / ٢٠٢، وقال الشوكاني هو حديث مشهور له طرق متعددة، ينهض مجموعها للحجية . انظر : إرشاد الفحول ٢ / ٣٢٢، هذا الحديث مما تلقاه الناس بالقبول، وأجمعوا على معناه، واشتهر عند أئمة الحديث بغير تكبير منهم، وما كان كذلك يحكم له بالصحة وكان غنياً عن الإسناد، انظر : تدريب الراوي ١ / ٦٧، فالحديث صحيح رغم أنف بعض غلاة الشيعة، في زعمهم أن الحديث من وضع أهل السنة . انظر : الشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص ١٥٥

(١) الحديث أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب.. إلخ ٧ / ٤٧١ رقم ٤١١٩، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين ٦ / ٣٤٠ رقم ١٧٧٠ من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - .

(٢) أعلام الموقعين ١ / ٢٠٣ بتصرف.

(٣) سعد بن معاذ : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة ٢ / ٣٧ رقم ٣٢٠٤، وتاريخ الصحابة ص ١١٢ رقم ٥٠٤، والاستيعاب ٢ / ٦٠٢ رقم ٩٥٨، وأسد الغابة ٢ / ٤٦١ رقم ٢٠٤٦ .

(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل ٦ / ١٩١ رقم ٣٠٤٣، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم عدل أهل للحكم ٦ / ٣٣٥ رقم ١٧٦٨، واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

(٥) زيد بن أرقم : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة ١ / ٥٦٠ رقم ٢٨٨٠، والاستيعاب ٢ / ٥٣٥ رقم ٨٣٧، وتاريخ الصحابة ١٠٧ رقم ٤٧٦، ومشاهير علماء الأمصار ٥٩ رقم ٢٩٦، وأسد الغابة ٢ / ٣٤٢ رقم ١٨١٩ .

﴿ فضحك حتى بدت نواجذه ﴾. وفى رواية فقال: "لا أعلم إلا ما قال على" (١).

وعن البراء بن عازب (٢) قال: لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية كتب على ابن أبى طالب ﷺ بينهم كتاباً، فكتب "محمد رسول الله" فقال: المشركون لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسولاً لم نقاتلك فقال لعلى: محمّه. فقال على: ما أنا بالذى أمحاه، فمحاه رسول الله ﷺ بيده... الحديث (٣).

ففى امتناعه ﷺ من محو اسمه الشريف من الصحيفة أبلغ رد على ما يذهب إليه غلاة الشيعة من تقسيم الصحابة إلى مدرستين أو طائفتين، زاعمين أن الإمام على ﷺ لم يجتهد زمن النبوة وأنه ﷺ وشيعته من طائفة التعبد المحض وباقي الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون وسائر أهل السنة من طائفة الاجتهاد والرأى فى مقابل النص. ولا يخفى أن امتناعه ﷺ بعد طلب النبى ﷺ محو ما كتب اجتهاد منه فى مقابل النص النبوى. وإذا كان هذا موقف اجتهادى منه فى صلح الحديبية، فموقف الفاروق عمر الاجتهادى فى نفس الصلح، طعن به، على الشهرستانى، فى عقيدة عمر ﷺ، وهو قول عمر للنبى ﷺ "ألست نبى الله حقاً؟ قال بلى. قلت فلم تعطى الدّنية فى ديننا إذا؟... إلخ الحديث" (٤) استدلل بذلك على أنه ﷺ شك فى صحة قول الرسول وعدم الاطمئنان بكلامه ﷺ، وأن هذا النص يوضح أنه ﷺ لم يكن من أتباع مسلك التعبد المحض (٥).

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٤ / ٣٧٣، ٣٧٤. وانظر فى المسند ١ / ٧٧، اجتهاده فى قصة أخرى وإقرار النبى ﷺ له من حديثه ﷺ بسند قال فيه الهيثمى فيه حنث وثقة أبو داود، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد ٦ / ٢٨٧، أما حديث زيد بن أرقم فقال فيه الشوكانى إسناده صحيح إرشاد الفحول ٢ / ٣٢٣، وانظر: أعلام الموقعين ١ / ٢٠٣.

(٢) البراء بن عازب: صحابى جليل له ترجمة فى: الإصابة ١ / ١٤٢ رقم ٦١٨، والاستيعاب ١ / ١٥٥ رقم ١٧٣، وتاريخ الصحابة ص ٤٢ رقم ١٠٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ٥٥ رقم ٢٧٢، واسد الغابة ١ / ٣٦٢ رقم ٣٨٩.

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الصلح باب كيف يكتب "هذا ما صالح فلان ابن فلان... إلخ" ٥ / ٣٥٧ رقم ٢٦٩٨، وأخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية فى الحديبية ٦ / ٣٧٦ رقم ١٧٨٣، واللفظ للبخارى.

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الشروط، باب الشروط فى الحرب، والمصالحة مع أهل الحرب... إلخ ٥ / ٣٩٠ رقمى ٢٧٣١، ٢٧٣٢، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية فى الحديبية ٦ / ٣٧٧ رقم ١٧٨٥.

(٥) منع تدوين الحديث أسباب ونتائج ص ٩٢، ٩٣.

والحقيقة أنه لو لم يرد عن سيدنا عمر رضي الله عنه سوى حديث تقبيله الحجر الأسود وقوله ﷺ : "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك" <sup>(١)</sup> لكفى في بيان أنه من أهل التعبد المحض بالسنة المطهرة، وهو القائل : "إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله" <sup>(٢)</sup> .

والحق أن في نفس القصة ما يدحض افتراء الشهرستاني ومن قال بقوله، فموقف عمر لم يكن شكاً بل طلباً لكشف ما خفى عليه، وحشاً على إذلال الكفار، لما عرف من قوته في نصرته الدين .

فإن أراد على الشهرستاني الشك في الدين فمردود بما وقع في رواية ابن إسحاق <sup>(٣)</sup> "أن أبا بكر لما قاله له: الزم غرزه" <sup>(٤)</sup> فإنه رسول الله ، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله" <sup>(٥)</sup> .

وإن أراد على الشهرستاني الشك في المصلحة وعدمها، فمردود أيضاً .

قال الحافظ ابن حجر : "والذي يظهر أنه توقف منه ليقف على الحكمة في القصة وتنكشف عنه الشبهة، ونظيره قصته في الصلاة على رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول . فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال "لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله" <sup>(٦)</sup> بن عبد الله، إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفنه

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود ٣ / ٥٤٠ رقم ١٥٩٧، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ٥ / ٢٠ رقم ١٢٧٠ واللفظ للبخاري .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ١ / ٦٢ رقم ١١٩ .

(٣) ابن إسحاق : هو محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المظلي، مولاهم المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلّس، ورمي بالثنيش والقدر، مات سنة ١٥٠ هـ ويقال بعدها، له ترجمة في: تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٢ رقم ١٦٧، والثقات للعجلي ٤٠٠ رقم ١٤٣٣، والثقات لابن شاهين ٢٨٠ رقم ١١٤٧، وتقريب التهذيب ٢ / ٥٤ رقم ٥٧٤٣ .

(٤) الغرر للإبل بمنزلة الركب للفرس، والمراد به التمسك بأمره وترك المخالفة له كالذي يمسك بركب الفارس فلا يفارقه . انظر : فتح الباري ٥ / ٤٠٨ رقم ٢٧٣٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٣٥٩ .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٣١٧ .

(٦) عبد الله بن عبد الله بن أبي : صحابي حليل له ترجمة في: الإصابة ٢ / ٣٣٥ رقم ٢٨٠٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣١ رقم ١٠٣ والاستيعاب ٣ / ٩٤٠ رقم ١٥٩٠، وتاريخ الصحابة ص ١٦٤ رقم ٨١٦، وأسد الغابة ٣ / ٢٩٧ رقم ٣٠٣٩ .

فيه، ثم قام يصلى عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال : تصلى عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال : إنما خيرني الله أو أخيرني الله - فقال ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (١) فقال: سأريده على سبعين. قال فضلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٢).

يقول الحافظ ابن حجر : "وإن كان فى الأولى (أى فى قصة الخديبية) لم يطابق اجتهاده الحكم بخلاف الثانية طابق اجتهاده الحكم، ونزل القرآن الكريم مؤيداً لهذا الاجتهاد، بقوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣).

إلا أنه ﷺ بالرغم من اجتهاده فى هذا الموقف ترك رأى نفسه، واجتهاده، وتابع النبى ﷺ وصلى معه كما جاء فى الحديث : "فضلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه" وإلا فقد جاء اجتهاده ﷺ موافقاً لحكم الله ﷻ.

أما موقفه الاجتهادى فى صلح الخديبية، فقد عمل أعمالاً صالحة ليكفر عنه هذا التوقف فى الامتثال للأمر النبوى ابتداءً، وورد ذلك صريحاً فى رواية ابن إسحاق : وكان عمر يقول مازلت اتصدق، وأصوم، وأصلى، وأعتق من الذى صنعت يومئذٍ مخافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً" (٤).

وعند الواقدي (٥) من حديث ابن عباس -رضى الله عنهما- "قال عمر لقد اعتقت

(١) الآية ٨٠ من سورة التوبة .

(٢) الآية ٨٠ من سورة التوبة، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ ٨ / ١٨٩ رقم ٤٦٧٢، ومسلم (بشرح النووى) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفات المنافقين وأحكامهم ٩ / ١٣٤ رقم ٢٧٧٤ واللفظ للبخارى .

(٣) الآية ٨٤ من سورة التوبة ، وفى ذلك أبلغ رد على الرافضى على الشهرستانى واستدلاله بهذه القصة على أن عمر ﷺ كان من طائفة الاجتهاد فى مقابل النص . انظر : منع تلوين الحديث ص ٩٤ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٣١٧ .

(٥) الواقدي هو : محمد بن عمر بن واقد الواقدي، قاضى العراق، رغم دقته فى المغازى وإمامته فيها إلا أنهم ضعفوه فى الحديث قال الذهبي : الواقدي وإن كان لا نزاع فى ضعفه، فهو صادق اللسان كبير القدر، وقال ابن حجر : متروك مع سعة علمه، من أشهر مؤلفاته "المغازى" و"الردة"، مات ٢٠٧هـ . له ترجمة فى : لسان الميزان ٩ / ٥٣١ رقم ١٥٦١٥، والكاشف ٢ / ٢٠٥ رقم ٥٠٧٨، والمجروحين لابن حبان ٢ / ٢٩٠، والتقريب ٢ / ١١٧ رقم ٦١٩٥، وتهذيب الكمال للمزى ٢٦ / ١٨٠ رقم ٥٥٠١ .

بسبب ذلك رقاباً وصمت دهرًا<sup>(١)</sup> ويقول ﷺ مبيناً ندمه على عدم رضائه عن الصلح ابتداءً، ثم امتثاله لأمر النبي ﷺ قال: "يا أيها الناس: اتهموا الرأى على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأى اجتهداً، فوالله ما ألوا عن الحق، وذلك يوم أبي جندل<sup>(٢)</sup> والكتاب بين يدي رسول الله ﷺ وأهل مكة، فقال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم" فقالوا: ترانا قد صدقناك بما تقول؟ ولكنك تكتب كما كنت تكتب: باسمك اللهم. فرضى رسول الله ﷺ وأبیت عليهم، حتى قال لى رسول الله ﷺ: "ترائى أرضى، وتأبى أنت؟" فرضيت<sup>(٣)</sup>.

يقول الحافظ ابن حجر: "وإلا فجميع ما صدر منه كان معذوراً فيه بل هو مأجور لأنه مجتهد فيه" وقد غفر الله ﷻ له، ولمن شهدوا بيعه الرضوان يوم الحديبية قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وشهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية: فعن جابر ﷺ قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا النبي ﷺ: "أنتم اليوم خير أهل الأرض"<sup>(٥)</sup>.

وشهد لهم بالجنة فقال ﷺ: "لا يدخل النار، إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها" قالت (حفصة)<sup>(٦)</sup> بلى يا رسول الله! فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾<sup>(٧)</sup> فقال النبي ﷺ قد قال ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ

(١) فتح البارى ٥/ ٤٠٨، ٤٠٩ رقمى ٢٧٣١، ٢٧٣٢ .

(٢) أبو جندل هو: ابن سهيل بن عمرو صحابى حليل له ترجمة فى: الإصابة ٤/ ٣٤ رقم ٩٦٩٩، وتاريخ الصحابة ص ٢٧١ رقم ١٥٠٧، وأسد الغابة ٦/ ٥٣ رقم ٥٧٧٥، والاستيعاب ٤/ ١٦٢١ رقم ٢٨٩٨ .

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ٧/ ٥٢٢، ٥٢٣ رقم ٤١٨٩، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية فى الحديبية ٦/ ٣٧٧-٣٧٩ رقم ١٧٨٥ وأخرجه البزار بسند رجاله رجال الصحيح، كذا فى مجمع الزوائد ٦/ ١٤٥، ١٤٦، واللفظ للبزار .

(٤) الآية ١٨ من سورة الفتح، وانظر: فتح البارى ٥/ ٤٠٩ رقمى ٢٧٣١، ٣٧٣٢ .

(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية ٧/ ٥٠٧ رقم ٤١٥٤، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش ٧/ ١٨٥٦ واللفظ له .

(٦) حفصة بنت عمر إحدى أمهات المؤمنين وصحابيه حليلى لها ترجمة فى: الإصابة ٤/ ٢٧٣ رقم ٣٩٦، وتاريخ الصحابة ص ٨٣ رقم ٣٣٩، وأسد الغابة ٧/ ٦٧ رقم ٦٨٥٢، والاستيعاب ٤/ ١٨١١ رقم ٣٢٩٧ .

(٧) الآية ٧١ من سورة مريم .

اتَّقُوا وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاءً<sup>(١)</sup>.

ففى الأحاديث السابقة وغيرها مما ذكرها أهل الأصول دليل على وقوع الاجتهاد من الصحابة عليهم السلام بما فيهم الإمام على بن أبى طالب عليه السلام زمن النبوة بحضرته وغيبته عليه السلام فى المصالح الدنيوية والعبادات أيضاً<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أن اجتهادهم عليهم السلام بحضرته وغيبته عليه السلام يصير حجة وشرعاً ويتعبد به بإقراره عليه السلام لا بمجرد اجتهادهم<sup>(٣)</sup>.

وإن لم يقره عليه السلام أو لم يبلغه اجتهادهم كان اجتهادهم فيه الخلاف المعروف فى قول الصحابى<sup>(٤)</sup>. اللهم إلا إذا قال أحدهم قولاً لا يقال من قبل الراى، ولا مجال للاجتهاد فيه فحكمه الرفع، على ما هو مقرر عند الأصوليين والمحدثين<sup>(٥)</sup>.

وكذا إذا اجتهدوا فى شىء، وأجمعوا عليه، فيصير حجة بلا خلاف حتى يكفر جاحده<sup>(٦)</sup>. وهذا الاجتهاد من الصحابة زمن النبوة وإقرار النبى عليه السلام لهم، قد أقرهم رب العزة عليه، ولم يبين أنهم قد اخطأوا فيه، مع أن الزمان كان زمان وحي. فلو كانوا فى عملهم هذا مخطئين: لما أقرهم الله تعالى عليه، لأن تقريره تعالى فى زمان الوحى حجة بمثابة الوحى المنزل<sup>(٧)</sup>.

فكان اجتهادهم حجة وسنة يعمل بها ويرجع إليها<sup>(٨)</sup>، ولم لا وقد قرن عليه السلام سنتهم

---

(١) الآية ٧٢ من سورة مريم والحديث أخرجه مسلم (بشرح النوى) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة ٢٩٦/ ٨ رقم ٢٤٩٦.

(٢) من الأدلة التى استدلت بها على ذلك قوله تعالى ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ استدلت بها الإمام السرخسى على أن المشاورة فى أحكام الشرع، كما فى مصالح الدنيا فقال: "ألا ترى أنه شاورهم فى أمر الآذان والقصة فيه معروفة، وشاورهم فى مفاداة الأسارى يوم بدر". أصول السرخسى ٢/ ٩٣، ٩٤، ١٣١، وبهذه الأدلة استدلت الزركشى فى البحر المحيط كما استدلت بقوله عليه السلام "قد سن لكم معاذ" البحر المحيط ٦/ ٢٢٣، ٢٢٥.

(٣) إرشاد الفحول ٢/ ٣٢٣، وأعلام الموقعين ٢/ ٢٣٢.

(٤) الإحكام للآمدى ٤/ ١٣٠، والمسودة لآل تيمية ص ٣٣٦، وأصول السرخسى ٢/ ١٠٥-١١٦، وإرشاد الفحول ٢/ ٢٦٨، والأدلة المختلف فيها وأثرها فى الفقه للدكتور عبد الحميد أبو المكارم ص ٢٧٩-٣١٦.

(٥) المحصول للرازى ٢/ ٢٢١، وتدريب الراوى ١/ ١٩٠، ١٩١، وفتح المغيث للسبخاوى ١/ ١٤٤، وتوضيح الأفكار للصنعانى ١/ ٢٨٠.

(٦) كذا فى أصول السرخسى ١/ ٣١٨، وانظر: الإحكام للآمدى ١/ ٢٥٥، والمستصطفى للغزالي ١/ ١٩٨، والبحر المحيط للزركشى ٤/ ٤٨٢.

(٧) حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص ٢٨٥.

(٨) الموافقات للشاطلى ٤/ ٤٥٠، وانظر من نفس المصدر ٣/ ٣٠٠ (بيان الصحابى حجة)، والبحر المحيط للتخصيص بقول الصحابى ٣/ ٣٩٨.

بسنته في وجوب الاتباع في قوله ﷺ : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" (١) وقال : "اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر" (٢) وعلى ذلك سلف الأمة من الصحابة (٣) والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين (٤).

وبالجملة فما سنه الخلفاء الراشدون أو أحدهم للأمة فهو حجة لا يجوز العدول عنها، فأين هذا من قول غلاة الشيعة أن الخلفاء الراشدين وأتباعهم من بقية الصحابة باستثناء -الإمام على وشيعته- يجتهدون ويقدمون رأيهم على سنة رسول الله ﷺ (٥)، كيف وقد تقدم عنهم جميعاً تعظيمهم لحديث رسول الله ﷺ وتحكيمه في كل شأن من شئون حياتهم، وزجرهم، وهجرهم من لم يعظم قوله ﷺ وقد تواتر من شيمهم أنهم كانوا يطلبون حكم الواقعة من كتاب الله ﷻ، فإن لم يصادفوه فتشوا في سنن رسول الله ﷺ، فإن لم يجدوها تشاوروا، ورجعوا إلى الرأي عند الاضطرار حيث لا يوجد منه يد، ولم يلزموا أحداً العمل به، ولم يحرموا مخالفته، ولا جعلوا مخالفته مخالفاً للدين، بل غايته أنهم خيروا بين قبوله ورفضه.

فعن عمر رضي الله عنه أنه لقي رجلاً فقال : ما صنعت؟ قال قضى على زيد بكذا، قال: لو كنت أنا لقضيت بكذا، قال، فما منعتك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه ﷺ لفعلت، ولكني أردك إلى رأي، والرأي مشترك، فلم ينقض ما قال على وزيد" (٦).

وإذا ظهر لهم النص مع اجتهادهم رجعوا إليه وتركوا رأيهم، يدل على ذلك : ما روى أن عمر رضي الله عنه كان يقول : "الدنية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها" حتى

(١) سبق تخريجه ص ٤٤ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٥٧٠/ ٥ رقمي ٣٦٦٢، ٣٦٦٣، وباب مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه ٦٢٦/ ٥ رقم ٣٧٩٩، وقال : هذا حديث حسن، وابن ماجه في سننه المقدمة، باب في فضائل اصحاب رسول الله ﷺ ١/ ٤٨ رقم ٤٩، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وانظر أعلام الموقعين ٢/ ٢٢٥، ٢٢٦ .

(٣) انظر : أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما - في سنن الدارمي المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة ١/ ٧١ رقم ١٦٦، وانظر : جامع بيان العلم ٥٧/ ٥ .

(٤) انظر : ما روى عن عمر بن عبد العزيز في سنن الدارمي المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة ١/ ٧٠ رقم ١٦٢ .

(٥) منع تدوين الحديث ص ٩٠-٩٨، ومعالم المدرستين ٢/ ٣٧٩ .

(٦) أعلام الموقعين ١/ ٦٥ .

أخبره الضحاك بن سفيان<sup>(١)</sup>، أن رسول الله ﷺ كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضبابي من دينه، فرجع إليه عمر<sup>(٢)</sup>. وروى عنه أنه جاء إليه رجل من ثقيف فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت يوم النحر، ألها أن تنفر؟ فقال عمر لا، فقال له الثقفى: إن رسول الله ﷺ أفتانى فى مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت به، فقام إليه عمر يضربه بالدرة، ويقول له: لم تستفتنى فى شيء قد أفتى فيه رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>؟ وغير ذلك من الأحاديث الواردة عن عمر وغيره من الصحابة<sup>(٤)</sup>.

وعلى ذلك إجماع الأمة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين، قال عمر بن عبد العزيز: "لا رأى لأحد مع سنة سنّها رسول الله ﷺ"<sup>(٥)</sup>. وقال الشافعى: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس"<sup>(٦)</sup>.

وبعد: فقد تحقّق لك جواز الاجتهاد من الصحابة ﷺ فى عصر النبوة المباركة، وبعده واتفاق الأمة منذ زمن الصحابة ﷺ - إلى يومنا هذا - ولم ينكر أصل الاجتهاد واحد من الصحابة. بما فيهم الإمام على بن أبى طالب ﷺ، وإنما كانوا يتناظرون فى الذب عن وجوه الاجتهاد والدعاء إلى غيرها من الاجتهاد<sup>(٧)</sup>.

وإذا كانت الوقائع التى جرت فيها فتاوى علماء الصحابة، وأقضيتهم لا يحصرها عد، ولا يحويها حد حيث كانوا قايسين فى قريب من مائة سنة<sup>(٨)</sup>.

(١) الضحاك بن سفيان ﷺ صحابى جليل له ترجمة فى: تاريخ الصحابة ص ١٤١ رقم ٦٨٧، والإصابة ٢/ ٢٠٦ رقم ٤١٨٦، والاستيعاب ٢/ ٧٤٢ رقم ١٢٥٠، وأسد الغابة ٣/ ٤٧ رقم ٢٥٥٦.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الفرائض، باب فى المرأة ترث من دية زوجها ٣/ ١٢٩، ١٣٠ رقم ٢٩٢٧، والترمذى فى سننه كتاب الديات، باب ما جاء فى المرأة هل ترث من دية زوجها ٤/ ١٩ رقم ١٤١٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم، وأخرجه أيضاً فى كتاب الفرائض، باب ما جاء فى ميراث المرأة من دية زوجها ٤/ ٣٧١ رقم ٢١١٠، وقال: حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الديات، باب الميراث من الدية ٢/ ٨٥ رقم ٢٦٤٢، والشافعى فى الرسالة ص ٤٢٦ رقم ١١٧٢، وانظر: أعلام الموقعين ٢/ ٢٦٥.

(٣) أعلام الموقعين ٢/ ٢٦٣.

(٤) انظر: المصدر السابق ٢/ ٢٦٠-٢٧٥، والدارمى فى سننه المقدمة، باب الرجل يفتى بشئ ثم يبلغه عن النبى ﷺ ف يرجع إلى قول النبى ﷺ ١/ ١٦١ أرقام ٦٤١ - ٦٤٤.

(٥) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبى ﷺ، وقول غيره عند قوله ﷺ ١/ ١٢٥ رقم ٤٣٢.

(٦) أعلام الموقعين ٢/ ٢٦٣.

(٧) البرهان فى أصول الفقه للحوينى ٢/ ١٤ فقرة رقم ٧١٣.

(٨) المصدر السابق ٢/ ١٣ فقرة رقم ٧١١.

إذا تقرر كل ذلك بطل ما ينهب إليه غلاة الشيعة من الطعن في الصحابة باجتهادهم زمن النبوة المباركة وبعده، وبطل ما يزعمونه من أن الصحابة طائفتان في تعاملهم مع السنة المطهرة. طائفة التعبد المحض - ويعنون بهم الإمام على وشيعته، وطائفة الاجتهاد، والأخذ بالرأى وترك السنة - ويعنون بهم أهل السنة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون.

فهذا التقسيم محض كذب، من رافضة امتلأت قلوبهم حقداً وبغضاً على سلف هذه الأمة من صحابة رسول الله ﷺ وعلى من صار على دربهم من أهل السنة ﷺ.

وبالجملة "من طعن في السلف من نفاة القياس لاحتجاجهم بالرأى في الأحكام فكلامه كما قال الله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾<sup>(١)</sup>.

### الصحابة ﷺ والنهي عن كثرة التحديث :

بقي من شبهه (النهي عن كتابة السنة) ما زعمه بعض دعاة الفتنة<sup>(٢)</sup> - ومن تأثر بهم من المسلمين<sup>(٣)</sup> من أن امتناع بعض الصحابة عن التحديث ونهى كبار الصحابة عن الإكثار من التحديث دليل على عدم حجية السنة. وما استدلوا به على ذلك الآثار الآتية :

١- ما روى من مراسيل ابن أبي مُلَيْكَةَ<sup>(٤)</sup> قال: إن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم ﷺ فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم

(١) مثل محمود أبو رية في الأضواء ص ٥٣-٥٧، وجمال البنا في السنة ودورها في الفقه الجديد ص ١٦، وعبد الحسين شرف الدين في كتابه أبو هريرة ص ١٣٤، ومرتضى العسكري في معالم المدرسين المجلد ٢ / ٤٤٤، ٤٥، ٦٤، وعلى الشهرستاني في منع تنوين الحديث أسباب وتنازع ص ٥٧، ٦٤، وزكريا عباس داود في تأملات في الحديث عند السنة والشيعة ص ٤٢ - ٤٨ وغيرهم.

(٢) كالأستاذ محمد رشيد رضا - رحمه الله - حيث قال: "ما ورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبتهم عنه بل في نهيبهم عنه قوى عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً كالقرآن" انظر: مجلة المنار المجلد ١٠ / ٧٦٨.

(٣) الآية ٥ من سورة الكهف. وانظر: أصول السرخسي ١٣٣ / ٢.

(٤) ابن أبي مُلَيْكَةَ هو: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُلَيْكَةَ (بالصغير) أبو بكر أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ وكان إماماً فقيهاً حجة فصيحا مفوهاً، متفق على توثيقه، مات ١١٧ هـ. له ترجمة في: تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٠ رقم ٩٤، وتقريب التهذيب ١ / ١٠١ رقم ٣٤٦٥، والكاشف ١ / ٥٧١ رقم ٢٨٣٨، والنقبات للعجلي ص ٢٦٨ رقم ٨٤٨، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٠٧ رقم ٥٩٧.

أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألکم فقولوا : بيننا وبينکم کتاب الله فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه<sup>(١)</sup>.

٢- وما روى عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف<sup>(٢)</sup> قال : والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق، عبد الله بن حذيفة<sup>(٣)</sup>، وأبا الدرداء<sup>(٤)</sup>، وأبا ذر<sup>(٥)</sup>، وعقبة بن عامر<sup>(٦)</sup>، فقال ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟ قالوا : تنهانا؟ قال لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم، نأخذ منكم، ونرد عليكم، فما فارقه حتى مات<sup>(٧)</sup>. وعنه من رواية أخرى : قال بعث عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن مسعود، وأبي الدرداء وأبي مسعود الأنصاري<sup>(٨)</sup> فقال ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله ﷺ فحبسهم بالمدينة حتى استشهد لفظهم سواء<sup>(٩)</sup>.

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٢، ٣.

(٢) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف هو : إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي . روى عن عمر، وعلي، وعمار، وعنه ابنه سعد، وصالح، والزهري، وقال العجلي : تابعي ثقة مدني، وذكره ابن حبان في الثقات، وقيل له رؤية، واختلف في سماعه، من عمر بن الخطاب فأثبت يعقوب بن شيبة، والواقدي، والطبري، وغيرهم والظاهر إنه لم يسمع منه، فإنه مات سنة ٩٦، وقيل ٩٥ وعمره ٧٥ سنة فلم يدرك من حياة عمر إلا سنتين أو ثلاث. وهذا ما رجحه الجيبي في مجمع الزوائد ١/ ١٤٩، قال : إبراهيم ولد سنة عشرين، ولم يدرك من حياة عمر إلا ثلاث سنين، وهذا ما رجحه أيضاً أحمد محمد شاكر في الإحكام لابن حزم ٢/ ٢٦٦ هامش . وإبراهيم له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص ٨٨ رقم ٤٥٠، والاستيعاب ١/ ٦١ رقم ٢، والثقات لابن حبان ٤/ ٤، وتاريخ الثقات للعجلي ص ٥٣ رقم ٢٩، وتقريب التهذيب ١/ ٦٠ رقم ٢٠٦، والكاشف ١/ ٢١٧ رقم ١٦٥.

(٣) عبد الله بن حذيفة غير معروف، وإنما في الصحابة عبد الله بن حذافة.

(٤) أبو الدرداء هو : عويمر بن عامر بن زيد الأنصاري الخزرجي صحابي جليل له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤ رقم، واسد الغابة ٤/ ٣٠٦ رقم ٤١٤٢، والإصابة ٣/ ٤٥ رقم ٦١٣٢، والاستيعاب ٣/ ١٢٢٧ رقم ٢٠٠٦، وتاريخ الصحابة ص ١٨٢ رقم ٩٤١.

(٥) أبو ذر هو : أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة صحابي جليل . له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ١/ ١٧ رقم ٧، واسد الغابة ٦/ ٩٣ رقم ٥٨٦٩، والاستيعاب ٤/ ١٦٥٢ رقم ٢٩٤٤، والإصابة ٤/ ٦٣ رقم ٩٨٧٧.

(٦) عقبة بن عامر هو : عقبة بن عامر الجيبي صحابي جليل له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص ٧٢ رقم ٣٧٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٢ رقم ٢٠، واسد الغابة ٤/ ٥١ رقم ٣٧١١، والاستيعاب ٣/ ١٠٧٣ رقم ١٨٢٤، وتاريخ الصحابة ص ١٧٩ رقم ٩٢٥، والإصابة ٢/ ٤٨٩ رقم ٥٦١٧.

(٧) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٧/ ١٠١.

(٨) أبو مسعود الأنصاري هو : عقبة بن عمرو بن ثعلبة . صحابي جليل له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص ٥٥ رقم ٢٧٠، والاستيعاب ٣/ ١٠٧٤ رقم ١٨٢٧، واسد الغابة ٤/ ٥٥ رقم ٣٧١٧، وتاريخ الصحابة ص ١٧٩ رقم ٩٢٢، والإصابة ٢/ ٤٩٠ رقم ٥٦٢٢.

(٩) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث باب ذكر نهي عمر بن الخطاب عن رواية الحديث وبيان =

٣- وروى عن السائب بن يزيد<sup>(١)</sup> قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتترك الحديث عن الأول، أو لألحقنك بأرض دوس، وقال لكعب الأحبار<sup>(٢)</sup> : لتترك الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة<sup>(٣)</sup>، وعنه من طريق آخر قال : أرسلني عثمان بن عفان إلى أبي هريرة فقال : قل له يقول لك أمير المؤمنين : ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ... بنحو الرواية السابقة<sup>(٤)</sup>.

٤- وروى عن قرظة ابن كعب قال<sup>(٥)</sup> : بعث عمر بن الخطاب رهطاً من الأنصار إلى الكوفة، فبعثني معهم، فجعل يمشي معنا حتى أتى صرار<sup>(٦)</sup> - وصرار : ماء في طريق المدينة - فجعل ينفذ الغبار عن رجله، ثم قال : إنكم تأتون الكوفة، فتأتون قوماً لهم أزيز<sup>(٧)</sup> بالقرآن، فيأتونكم فيقولون قدم أصحاب محمد ﷺ، قدم أصحاب

سوجه ومعناه ص ١٥٩ رقم ١٧٤ بلفظه . وأخرجه ابن حزم في الإحكام فصل (في فضل الإكثار من الرواية للسنة) ٢/ ٢٦٦ بنحو رواية الحاكم، وقال ابن حزم هذا مرسل ومشكوك فيه من (شعبة) فلا يصح، ولا يجوز الاحتجاج به، ثم هو في نفسه ظاهر الكذب والتوليد وأخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم ١/ ١٩٣ رقمي ٣٧٤، ٣٧٥ بنحوه، وفيه أبي ذر بدلاً من أبي مسعود الأنصاري، وقال صحيح على شرط الشيخين، وإنكار عمر أمير المؤمنين على الصحابة كثرة الرواية عن رسول الله ﷺ فيه سنة، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وعزاه الحافظ المهيمن في مجمع الزوائد ١/ ١٤٩ إلى الطبراني في الأوسط بنحوه وقال : قلت هذا أثر منقطع، وإبراهيم ولد سنة عشرين ولم يدرك من حياة عمر إلا ثلاث سنين وابن مسعود كان بالكوفة ولا يصح هذا عن عمر . وذكره الحافظ الذهبي في التذكرة ١/ ٧ بنحوه وليس فيه (فحبسهم بالمدينة) ولا (ثم أطلقهم عثمان) التي عزاها أبو رية في الأضواء ص ٥٤ إلى الذهبي في التذكرة، وإنما ذكرها بلا سند، أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم ص ٨٧، والأثر منقطع كما قال المهيمن، وابن حزم . والله أعلم.

(١) السائب بن يزيد : صحابي جليل له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص ٣٦ رقم ١٤١، وتاريخ الصحابة ص ١٢٣ رقم ٥٧٥، والاستيعاب ٢/ ٥٧٦ رقم ٩٠٢، واسد الغابة ٤/ ٣٨٠ رقم ٤٢٩١، والإصابة ٢/ ١٢ رقم ٣٠٨٤ .

(٢) كعب الأحبار هو : ابن ماتب الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، كان من أهل اليمن، فسكن الشام، قال ابن حجر ثقة مخضرم، وقال الذهبي في السير : "وكان حسن الإسلام متين الديانة من نبلاء العلماء، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال محمد عوامه في تحقيقه للكاشف "ولا مجال للمنابر السياسية لتحطبت هنا، وتكثر الكلام والتجريح فيه نعم انظر : "مقالات الكوثري ص ٣٢، وانظر معه فتح الباري ٦/ ٣٥٣، ١٣/ ٣٣٤، ٣٣٥ . له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص ١٤٥ رقم ٩١١، والثقات لابن حبان ٥/ ٣٣٣، وتقريب التهذيب ٢/ ٤٣ رقم ٥٦٦٦، والكاشف ٢/ ١٤٨ رقم ٤٦٦٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٩ - ٤٩٤ رقم ٣٣٣ .

(٣) البداية والنهاية ٨/ ١١٠ .

(٤) أخرجه الخطيب في المحدث الفاضل باب، من كره كثرة الرواية ص ٥٥٤ رقم ٧٤٦ .

(٥) قرظة بن كعب هو : ابن ثعلبة الأنصاري صحابي جليل له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص ٦١ رقم ٣٠٩، والاستيعاب ٣/ ١٣٠٦ رقم ١٢٦٨، واسد الغابة ٤/ ٣٨٠ رقم ٤٢٩١، والإصابة ٣/ ٢٣١ رقم ٧١١٣، وتجرید أسماء الصحابة ٢/ ١٤ .

(٦) صرار : بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق وقيل موضع بالمدينة انظر : معجم البلدان ٣/ ٣٩٨ .

(٧) أزيز : أى حركة واحتياج وحده . انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٤٥ .

محمد ﷺ، فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث، فأعلموا أن أسبغ الوضوء ثلاث، وثنان تجزيان، ثم قال: إنكم تأتون الكوفة، فتأتون قوماً لهم أزيز بالقرآن فيقولون: قدم أصحاب محمد ﷺ، قدم أصحاب محمد ﷺ، فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث، فأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم فيه. قال قرظة: وإن كنت لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله ﷺ، وإنى لمن أحفظهم له، فإذا ذكرت وصية عمر سكت. قال أبو محمد (الإمام الحافظ الدارمي) معناه عندي: الحديث عن أيام رسول الله ﷺ ليس السنن والفرائض<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: "إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جودوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ امضوا وأنا شريككم، فلما قدم قرظة، قالوا حدثنا قال: نهانا عمر بن الخطاب<sup>(٢)</sup>،

٥- وروى عن عثمان بن عفان<sup>(٣)</sup> قال: "لا يحل لأحد يروى حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر، فإنه لا يمتنعني أن أحدث عن رسول الله ﷺ أن لا أكون من أوعى أصحابي، إلا أني سمعته يقول: من قال على فقد تبرأ مقعده من النار"<sup>(٤)</sup>، وغير ذلك من الآثار الواردة عن بعض الصحابة في التقليل من الرواية، وسيأتي بعضها في الإجابة على هذه الشبهة.

(١) أخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ ٢٥/ ١ رقم ٢٨، والدارمي في المقدمة، باب من هاب الفتيا مخافة السقط ٩٧/ ١ رقم ٢٧٩، ٢٨٠ واللفظ له، والحاكم في المستدرک کتاب العلم ١٨٣/ ١ رقم ٣٤٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد له طرق تجمع ويذكر بها، وقرظة ابن كعب الأنصاري صحابي جليل سمع من رسول الله ﷺ وأما سائر روايته فقد احتجوا بهم. ووافقه الذهبي، فقال: صحيح وله طرق. وأخرجه ابن المبارك في مسنده ص ١٣٩ رقم ٢٢٦.

(٢) جامع بيان العلم ٢/ ١٢٠، ١٢١.

(٣) عثمان بن عفان: صحابي جليل له ترجمة في: تذكرة الحفاظ ١/ ٨ رقم ٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ١١ رقم ٤، والاستيعاب ٣/ ١٠٣٧ رقم ١٧٧٨، واسد الغابة ٣/ ٥٧٨ رقم ٣٥٨٩، والإصابة ٢/ ٤٦٢ رقم ٥٤٦٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٦٥.

## الجواب عن شبهة نهى الصحابة عن الإكثار من الرواية، وامتناع بعضهم عن كثرة التحديث دليل على عدم حجية السنة

بالآثار السابقة، وغيرها، احتج قديماً كما قال الحافظ ابن عبد البر، بعض من لا علم له ولا معرفة من أهل البدع وغيرهم الطاعنين في السنن، وجعلوا ذلك ذريعة إلى الزهد في سنن رسول الله ﷺ التي لا يوصل إلى مراد كتاب الله إلا بها، والطعن على أهلها<sup>(١)</sup>.

وتابع على ذلك حديثاً ذيلهم من المستشرقين، وغلاة الشيعة، ودعاة اللادينية، وجعلوا ذلك ذريعة إلى عدم حجية السنة النبوية.

ولو صدق هؤلاء القوم في ادعائهم المنهجية، والنزاهة في البحث العلمي، لبيّنوا للقارئ عناوين الأبواب التي نقلوا منها الآثار السابقة في مصادرها الحديثية، فلو فعلوا ذلك لتبين للقارئ لهم، بطلان دعواهم وما فهموه من هذه الآثار، حيث أن عناوين الأبواب الواردة فيها، مشتملة على علة، وفقه هذه الآثار، التي تفحهم وتدحض دعواهم.

**فانظر :** إلى الحافظ ابن عبد البر يذكر بعض هذه الآثار في جامع بيان العلم في باب عنوانه : "ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم والتفقه فيه"<sup>(٢)</sup> وتأمل دون التفهم والتفقه فيه".

والحاكم في المستدرک يذكر بعضها في كتاب العلم في باب عنوانه "أمر عمر رضي الله عنه بتجريد القرآن وتقليل الرواية"<sup>(٣)</sup>، وتأمل "تجريد القرآن" وهو فقه مستنبط من صريح قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والإمام ابن ماجة في سننه يذكر بعضها في باب "التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ"<sup>(٤)</sup>، والدارمي في باب "من هاب الفتيا مخافة السقط"<sup>(٥)</sup>، وباب "اتقاء الحديث عن

(١) جامع بيان العلم ٢ / ١٢١ .

(٢) المصدر السابق ٢ / ١٢٠-١٣٣ .

(٣) انظر : المستدرک للحاكم ١ / ١٨٣ رقم ٣٤٧ .

(٤) انظر : سنن ابن ماجة ١ / ٢٤ أرقام ٢٣-٢٩ .

(٥) انظر : سنن الدارمي ١ / ٩٤ أرقام ٢٦٦-٢٨٧ .

النبي ﷺ والتثبت فيه" (١).

والهيثمي في مجمع الزوائد باب "الإمساك عن بعض الحديث" (٢) وباب "التثبت والإمساك عن بعض الحديث وبعض الفتيا" (٣).

ولو تأملنا في عناوين الأبواب السابقة، الواردة فيها الآثار، التي استشهد بها المشاغبون على عدم حجية السنة، لوجدنا تلك العناوين، مطابقة تماماً، لحكمة النهي عن الإكثار من التحديث، وهذا ما سيظهر جلياً الآن بإذن الله تعالى.

وبالرغم من ضعف بعض الآثار السابقة كما سبق، إلا أنه مع ضعفها حجة لنا لا علينا، فلا حجة لأعداء السنة، في الآثار التي استشهدوا بها، ولا دليل فيها على ما ذهبوا إليه، لأنها اشتملت على الوجوه والأسباب التي من أجلها، امتنع بعض الصحابة عن التحديث، ونهوا عن الإكثار منه، وتلك الوجوه والأسباب هي :

أولاً : خوف الخطأ أو الزيادة والنقصان في حديث النبي ﷺ والدخول في وعيد النبي ﷺ الوارد في قوله ﷺ "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (٤) وبذلك صرحت الآثار الواردة عمن امتنع عن التحديث أو لم يكثر منه .

فعن أنس بن مالك ﷺ قال : "إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي ﷺ قال : "من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار" (٥).

وفي رواية أخرى عنه قال : "لولا أني أخشى أن أخطئ لحديثكم بأشياء سمعتها من رسول الله ﷺ أو قالها رسول الله ﷺ وذلك أني سمعته يقول : "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (٦).

وعن عبد الله بن الزبير (٧) قال: قلت للزبير (٨): إنني لا أسمعك تحدث عن رسول الله

(١) انظر : سنن الدارمي ١ / ٨٧ أرقام ٢٣١ : ٢٣٨ .

(٢) انظر : مجمع الزوائد ١ / ١٤٩ .

(٣) مجمع الزوائد ٢ / ١٨٢، ١٨٣ .

(٤) سبق تفريجه ص ٢٨٤ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١ / ٢٤٣ رقم ١٠٨ .

(٦) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب اتقاء الحديث عن النبي ﷺ وأثبت فيه ١ / ٨٨ رقم ٢٣٥ .

(٧) عبد الله بن الزبير : صحابي جليل . له ترجمة في : تاريخ الصحابة ص ١٥٠ رقم ٧٢٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٨ رقم ١٥٤، والاستيعاب ٣ / ٩٠٥ رقم ١٥٣٥، واسد الغابة ٣ / ٢٤١ رقم ٢٩٤٩، والإصابة ٢ / ٣٠٩ رقم ٤٧٠٠ .

(٨) الزبير بن العوام : صحابي جليل له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص ١٣ رقم ٩، واسد الغابة ٢ / ٣٠٧ رقم ١٧٣٢، وتجرید أسماء الصحابة ١ / ١٨٨، والاستيعاب ٢ / ٥١٠ رقم ٨٠٨، والإصابة ٢ / ٥ رقم ٢٧٩٩ .

ﷺ كما يحدث فلان وفلان. قال : أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول : "من كذب على فليتبوأ مقعده من النار" (١).

وعن دُجَيْنُ أَبِي الْفَضْلِ (٢) قال: دخلت المدينة فلقيت أسلم (٣) -مولى عمر بن الخطاب- فقلت : "حدثني عن عمر، فقال : لا استطيع أخاف أن أزيد أو أن أنقص، كنا إذا قلنا لعمر حدثنا عن رسول الله ﷺ قال : أخاف أن أزيد أو أن أنقص؛ إن رسول الله ﷺ قال: من كذب على، فهو في النار" (٤).

وعلى هذا يحمل ما ورد عن ابن مسعود ﷺ من هيبة التحديث عن رسول الله ﷺ (٥)، وهكذا أمسك بعض الصحابة عن كثرة التحديث خوفاً من الخطأ أو الزيادة والنقصان في الرواية عن الرسول ﷺ.

وإذا كان الإكثار من التحديث مظنة الخطأ بخلاف الإقلال، فالضبط فيه أكثر، فإن هذا لا يمنع من وجود بعض المكثرين المتميزين بالاتقان والدقة مع إكثارهم كأبي هريرة ﷺ ولذلك أذن له عمر -وهو أشهر المتشددين- بالرواية لثقتة بثبته وأمانته يدل على ذلك قول أبي هريرة : بلغ عمر حديثي فأرسل إلى فقال : "كنت معنا يوم كنا مع رسول الله ﷺ في بيت فلان؟" قال : قلت نعم، وقد علمت لِمَ تسألني عن ذلك؟ قال: ولم سألتك؟ قلت إن رسول الله ﷺ قال يومئذ : "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، قال : أما إذا فاذهب فحدث" (٦).

وما أنكر عليه عمر، إنما كان من حديثه عن "الأول" (٧)، أي أهل الكتاب، أو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١ / ٢٤٢ رقم ١٠٧ .

(٢) دُجَيْنُ : هو ابن ثابت، أبو البربري؛ البصري يروي عن هشام بن عروة، وأسلم مولى عمر، وروى عنه، ابن المبارك، ومسلم، ليس حديثه بشيء، يقلب الأخبار ولم يكن الحديث شأنه له ترجمة في : الضعفاء والمزكين ص ٩٩ رقم ١٨٧، والمجروحين ١ / ٢٩٠، ولسان الميزان ٣ / ٣٦ رقم ٣٣٠٧، والجرح والتعديل ١ / ٤٤٤ رقم ٢٠١٧، والضعفاء الكبير للعقيلي ٢ / ٤٥ رقم ٤٧٥، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٣ / ١٠٥ رقم ٦٤١ .

(٣) أسلم هو : أسلم العدوي مولى عمر، روى عن عمر، وأبي بكر، ومعاذ، وعنه ابنه زيد، ونافع، ثقة مخضرم مات ٨٠ هـ وقيل بعد ٦٠ هـ له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٨٩ رقم ٤٠٧، والكاشف ١ / ٢٤٢ رقم ٣٤١ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١ / ٤٦، ٤٧ . وفيه دجين بن ثابت أبو الفضل وهو ضعيف ليس بشيء. انظر : جمع الزوائد ١ / ١٤٢ .

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ ١ / ٢٤ رقم ٢٣، بإسناد صحيح كما قال البوصيري في مصابح الزجاجة ١ / ٤٨ رقم ٩ .

(٦) البداية والنهاية ٨ / ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٤٣٤ .

(٧) بقاها مروان خليفات في كتابه وركبت السفينة ص ١٧٥ .

الحديث عن بدء الخليقة، ونحوه مما لا يترتب عليه عمل<sup>(١)</sup>، ولهذا الأمر نفسه كان نهى عمر لكعب الأحبار - رحمه الله - .

فبطل بذلك ما ادعاه محمود أبو رية، وعبد الحسين شرف الدين، من مفتریات على أبی هريرة من أن عمر رضي الله عنه ضربه بالدرة على إكثاره<sup>(٢)</sup>، وأن أبی هريرة لم يكن له شأن زمن النبوة ... ولم يستطع أن يفتح فساه بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد موت عمر<sup>(٣)</sup>.

كما أنه لا معنى لما زعمه رشيد رضا وتابعه عليه أبو رية في أنه لو طال عُمرُ، عمر بن الخطاب حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة عنه، ومنها ٤٤٦ حديثاً في البخارى ما عدا المكرر<sup>(٤)</sup>.

وما كان كبار الصحابة في نهيمهم عن الإكثار من الرواية بدعاً في ذلك وإنما هم متبعون لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ولمنهجه في الحفاظ على رسالة الإسلام قرآناً وسنة.

وفي ذلك يقول أبو عبد الله الحاكم : "انكار عمر أمير المؤمنين على الصحابة كثرة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه سنة"<sup>(٥)</sup> والسنة هنا ما روى عن أبی قتادة رضي الله عنه؛ أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : "يا أيها الناس إياكم وكثرة الحديث عني، فمن قال عليّ فلا يقل إلا حقاً أو إلا صدقاً ومن قال عليّ ما لم أقل متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"<sup>(٦)</sup>.

وما روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : "لا يحل لأحد يروى حديثاً لم يسمع به في عهد أبی بكر ولا في عهد عمر ... الحديث، ومثل ذلك النهي عن معاوية رضي الله عنه قال : "أيها الناس إياكم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً كان يذكر على عهد عمر

(١) الإحكام لابن حزم ٢ / ٢٦٦ .

(٢) شيخ المضيرة محمود أبو رية ص ١١٢، وأبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين ص ١٩٧ .

(٣) شيخ المضيرة ص ١١٧ .

(٤) مجلة المنار المجلد ١١ / ٨٥١، وشيخ المضيرة ص ١١٧، وراجع في الدفاع عن اتهام أبی هريرة بالإكثار كتاب أبو هريرة للدكتور عجاج الخطيب، ودفاع عن أبی هريرة للشيخ عبد المنعم صالح، وانظر : في هذا البحث (أبو هريرة رלוية الإسلام رغم أنف الحاقدين) ٢ / ١٠٣ - ١١٦ .

(٥) المستدرک ١ / ١٩٣ تعقيباً على حديث حبس عمر لبعض الصحابة، والحديث سبق تخريجه ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم، باب التوقي عن كثرة الحديث ١ / ١١١ وقال : هذا حديث على شرط مسلم ووافقه الذهبي فقال : على شرط مسلم .

ﷺ فإن عمر كان يخيف الناس في الله ﷻ" (١) أى كان عمر ﷺ شديداً في دين الله ﷻ يأمر بالتثبت في النقل، فلا يحدث بشيء عن النبي ﷺ إلا بما تيقن من نسبته إليه ﷺ خشية الوقوع في الوعيد الوارد في قوله ﷺ : "من حدث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" (٢).

فقوله (يرى) بضم الياء أى يظن، ويجوز فتحها أى يعلم، وفي (الكاذبين) روايتان (إحداهما) بفتح الباء على إرادة التثنية (والأخرى) بكسرها على صيغة الجمع (٣).

يقول الإمام النووي (٤) "... فمن روى حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين حال رواته ووضعه فهو داخل في هذا الوعيد، مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ" (٥).

وكفى بهذه الجملة وعيداً شديداً في حق من روى حديثاً، وهو يظن أنه كذب، فضلاً عن أن يتحقق ذلك، ولا يبينه؛ لأنه ﷺ جعل المحدث بذلك مشاركاً لكاذبة في وضعه (٦)، وهذا ما كان يخشاه الصحابة وعلى رأسهم عمر ﷺ فكان نهيه عن الإكثار من الرواية اتباعاً لسنة النبي ﷺ وخشية منه أن يتسع الناس في الرواية فيقع الكذب والتدليس من المنافق، والفاجر، والأعرابي، فينسبون إلى النبي ﷺ ما لم يقله كما تنبأ بذلك ﷺ بقوله ﷺ : "سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم، فإياكم وإياهم" وقال ﷺ : "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون. يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم. فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم".

وهذا من أسباب ترك التحديث عن الرسول ﷺ كما قال ابن عباس-رضي الله عنهما- "إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يكذب عليه. فلما ركب الناس

(١) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ١٦٣ رقم ١٧٩، وذكره الذهبي في التذكرة ١ / ٧ .

(٢) سبق ترجمته ص ٤٠ .

(٣) المنهاج شرح مسلم للنووي ١ / ٩٩ .

(٤) الإمام النووي هو : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، الحوراني، الشافعي، كان إماماً بارعاً حافظاً متقناً، اتقن علوماً شتى، وهو صاحب التصنيفات النافعة في الحديث، والفقه، وغيرها "كشرح مسلم" وشرح المذهب، والأذكار، ومختصر أسد الغابة، والمبهمات، وغير ذلك، مات ٦٧٦ هـ. له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٧٠ رقم ١١٦٢، وشذرات الذهب ٥ / ٣٤٥، وطبقات الشافعية ٨ / ٣٩٥، والعبر ٥ / ٣١٢ .

(٥) المنهاج شرح مسلم للنووي ١ / ١٠٦ .

(٦) قاله الأستاذ أحمد محمد شاكر على هامش فتح المغيب للعراقي ١٢٠ .

الصعب والذلّول تركنا الحديث عنه وهذا أيضاً ما جعل الصحابة رضي الله عنهم يأخذون من أحاديث النبي ﷺ إلا ما كان معروفاً زمن أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- كما جاء من قول عثمان ومعاوية -رضي الله عنهما- حيث كان التثبت والاحتياط وعدم الكذب في زمانهما، فلما ركب الناس الصعب والذلّول لم يأخذ من الناس عن رسول الله ﷺ إلا ما يعرف، كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "إننا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلّول لم تأخذ من الناس إلا ما نعرف"<sup>(١)</sup>.

**وعلى درب الصحابة صار من بعدهم :**

فعن الشعبي -رحمه الله- قال : "كره الصالحون الأولون الإكثار من الحديث، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما حدثت إلا بما أجمع عليه أهل الحديث"<sup>(٢)</sup>.

فقوم يختاطون لسنة نبيهم ﷺ كما أمرهم، أتكون تلك الحيلة دليل على عظم شأن السنة في نفوسهم، وحجيتها، أم دليل على عدم حجيتها، واتخاذها ديناً عاماً دائماً كالقرآن؟

ثانياً : من الوجوه والأسباب التي كان الصحابة من أجلها يمتنعون أو ينهاون عن الإكثار من التحديث، إذا كان المخاطبون بالأحاديث قوم حديثي عهد بالإسلام ولم يكونوا قد أحصوا القرآن وآتقنوه فيخافون عليهم الاشتغال عنه بالأحاديث قبل إتقانه هو أولاً إذ هو الأصل لكل علم"<sup>(٣)</sup>.

ويشير إلى هذا السبب صراحة قول عمر رضي الله عنه : "إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جودوا القرآن" أى جودوا الأصل الأول، وهو القرآن، وابدؤا به أولاً، ولا تبدؤا بالأحاديث؛ فتشغلوهم عن إتقان القرآن.

ويدل على ذلك صراحة رواية الحاكم : "فلا تبدؤوهم بالأحاديث فيشغلونكم

(١) الأحاديث والآثار السابقة أخرجهما مسلم في صحيحه (بشرح النووي) المقدمة، باب ألهى عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط فى عملها ١/ ١١١، ١١٢ رقمى ٧٠٦ وفى هذا المعنى حديث موقوف على معاذ بن جبل رضي الله عنه أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه ١/ ٧٧ رقم ١٩٩ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٨٣ .

(٣) جامع بيان العلم ٢/ ١٢١ .

جردوا القرآن وأقلوا الرواية".

وعلى هذا المنهاج صار السلف الصالح من أئمة الحديث فكان كثير منهم لا يقبلون الطلاب فى حلقاتهم إلا إذا وثقوا من دراستهم للقرآن الكريم، وحفظ بعضه على الأقل، وفى هذا يقول حفص بن غياث<sup>(١)</sup> : أتيت الأعمش فقلت : حدثنى، قال أتخفظ القرآن؟ قلت : لا . قال اذهب فاحفظ القرآن، ثم هلم أحدثك . قال فذهبت فحفظت القرآن، ثم جئته، فاستقرأنى، فقرأته، فحدثنى<sup>(٢)</sup> .

أو يكون النهى متعلقاً بالأحاديث عن سيرة رسول الله ﷺ، وليس أحاديث السنن والفرائض كما قال الحافظ الدارمى معناه عندى : "الحديث عن أيام رسول الله ﷺ، ليس السنن والفرائض"<sup>(٣)</sup> .

ويؤكد هذا قول عمر<sup>(٤)</sup> : "أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلا فيما يعمل به"<sup>(٥)</sup> أى أقلوا الرواية إلا فيما يترتب عليه عمل شرعى، فيدخل فى ذلك جميع الأحكام والآداب وغيرها، ولا يخرج إلا القصص ونحوه، فاستحب<sup>(٦)</sup> الإقلال من القصص ونحوه، ولم يمنع من الإكثار فيما فيه عمل . أما تعليق محمود أبو رية على هذا الأثر وقوله : "فيما يعمل به" أى أى السنة العملية"<sup>(٧)</sup> .

فإن أراد السنة العملية المتواترة، فلا يخفى بطلانه، لأن هذا اصطلاح محدث<sup>(٨)</sup> . ويؤيد ما سبق، ما روى عن أبى موسى أنه قال حين قدم البصرة : "بعثنى إليكم عمر بن الخطاب أعلمكم كتاب ربكم، وستكم، وأنظف طرقكم"<sup>(٩)</sup> .

فالشأ : من الأسباب التى كان الصحابة يمتنعون أو ينهون من أجلها عن الإكثار من

---

(١) حفص بن غياث هو : ابن طلق بن معاوية النخعى، أبو عمر، الكوفى، القاضى، ثقة فقيه، تغير حفظه قليلاً فى الآخر، روى عن عاصم الأحول، ويحيى ابن سعيد، والأعمش، وعنه أحمد، ويحيى، وإسحاق . مات ٩٤ هـ، وقيل ٩٥ هـ . له ترجمة فى : تقريب التهذيب ١/ ٢٢٩ رقم ١٤٣٦، والكاشف ١/ ٣٤٣ رقم ١١٦٥، والنفقات للعجلي ١٢٥ رقم ٣١٠ .

(٢) المحدث الفاضل ١/ ١٩، وانظر : السنة قبل التتوين ص ١٥٥ .

(٣) راجع : ص ٣٢٧، ٣٢٨ . وانظر : جامع بيان العلم ٢/ ١٢١ .

(٤) البداية والنهاية ٨/ ١١٠ .

(٥) أضواء على السنة ص ٥٥ هامش، وتابعه المستشار عبد الجواد ياسين فى كتابه السلطة فى الإسلام ص ٢٤٠ .

(٦) الأنوار الكاشفة ص ٥٧ .

(٧) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ١/ ١٤٩ رقم ٥٦٠ .

التحديث، خوفهم الاشتغال بكثرة الحديث عن تدبره وتفهمه، لأن المكثّر لا تكاد تراه إلا غير متدبر ولا متفقه<sup>(١)</sup>.

وهذا ما وقع فيه أهل البدع والأهواء المنكرون لحجية السنة قديماً، وحديثاً، أخذوا بظاهر تلك الآثار بدون تفقه، وتدبر للمعاني المرادة منها، وهو ما بينه أئمة الحديث في عناوين الأبواب التي ذكروا فيها هذه الآثار، تلك العناوين التي لم يذكرها أعداء السنة المطهرة، إما عن جهل، وإما عن علم، وتدليس منهم على القارئ.

ولا يخفى أيضاً أن الإكثار، يجعل المكثّر، يسرد الحديث سرداً سريعاً يلتبس على المستمع، وهذا ما أنكرته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على أبي هريرة -رضي الله عنه- في الحديث الذي رواه الشيخان، عن عروة بن الزبير -رضي الله عنه- أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "ألا يعجبك أبو هريرة! جاء فجلس إلى جنب حجرتي، يحدث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يسمعي ذلك، وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضى سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يسرد الحديث كسرديكم<sup>(٢)</sup>."

---

(١) قاله ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١٢٣/ ٢، ونقله عن جماعة فقهاء المسلمين ١٢٤/ ٢، وقاله الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ١٦١.

(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المناقب، باب صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- ٦/ ٦٥٥ رقم ٣٥٦٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي -رضي الله عنه- ٨/ ٢٩١ رقم ٢٤٩٣.

رابعاً : إنهم كانوا ينهاون أو يمتنعون عن التحديث والإكثار منه، إذا كانت الأحاديث من المتشابهات التي يعسر على العامة، وضعاف العقول فهمها، فيحملونها على خلاف المراد منها، ويستدلون بظاهرها، ويكون الحكم بخلاف ما فهموا، وقد تؤدي تلك المتشابهات إلى تكذيب الله ورسوله<sup>(١)</sup>.

وفى ذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه : "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"<sup>(٢)</sup> ويقول على رضي الله عنه "حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"<sup>(٣)</sup>.

يقول الإمام الذهبي: "فقد زجر الإمام على رضي الله عنه، عن رواية المنكر، وحث على التحديث بالمشهور، وهذا أصل كبير في الكف عن بث الأشياء الواهية والمنكرة من الأحاديث في الفضائل والعقائد والرفائق، ولا سبيل إلى معرفة هذا من هذا إلا بالإمعان في معرفة الرجال"<sup>(٤)</sup>.

ويقول الإمام ابن حجر : والمراد بقوله "بما يعرفون" أى يفهمون . وقوله : "ودعوا ما ينكرون" أى يشبهه عليهم فهمه . وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة . ومن كره التحديث ببعض دون بعض، الإمام أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبي هريرة رضي الله عنه حيث يروى عنه البخاري أنه قال : "حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين : فأما أحدهما فبثته . وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن حجر : وحمل العلماء الوعاء الذي لم يثبه على ما يتعلق بالفتن، واشترط الساعة وتغير الأحوال والملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه ويعترض عليه من لا شعور له به"<sup>(٦)</sup>. ويؤيد ذلك قول أبي هريرة : "لو حدثتكم بكل ما في جوفى

(١) شرف أصحاب الحديث ١٦١، ١٦٢، والبداية والنهاية ١٠٦/ ٨، وانظر : الموافقات للشاطبي فصل (ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره) ٤ / ٥٤٨ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١ / ١٠٨ رقم ٥٠٥ .

(٣) أخرجه البخاري (بشرح النووي) كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١ / ٢٧٢ رقم ١٢٧، بدون (ودعوا ما ينكرون) .

(٤) تذكرة الحفاظ ١ / ١٣ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب حفظ العلم ١ / ٢٦١ رقم ١٢٠، وانظر : فتح الباري ١ / ٢٧٢ رقم ١٢٧ .

(٦) فتح الباري ١ / ٢٦٢ رقم ١٢٠ .

لرميتومنى بالبعر" قال الحسن : راوى الحديث عن أبى هريرة : صدق والله ... لو  
أخبرنا أن بيت الله يهدم أو يحرق ما صدقه الناس" (١) .

ويؤيد أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها قوله  
ﷺ : "إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة . ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت  
حديثاً ثم يتلو : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ  
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا  
وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾" (٢) .

وأبو هريرة فى كل هذا، بل والصحابة أجمع، لا يكتُمون علماً ينتفع به حتى ولو  
كان هذا العلم ليس فيه حكم شرعى .

كيف ! وهو ﷺ الراوى لقوله ﷺ : "ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه، إلا أتى به  
يوم القيامة مُلْجَماً بلِجَامٍ مِنَ النَّارِ" (٣) .

وهذا أبو ذر ﷺ يقول : "لَوْ وَضَعْتُمْ الصَّمْصَمَةَ (٤) عَلَى هَذِهِ (وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ) ثُمَّ  
ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُحْجِزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا" (٥) .

فالمراد بمنع التحديث هنا كما قال الحافظ ابن حجر فى ضابطه : "أن يكون ظاهر  
الحديث يقوى البدعة، وظاهره فى الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه  
الأخذ بظاهره مطلوب" (٦) .

وهذا يعنى أن من لا يخشى عليه ذلك يبلغونه خروجاً من إثم كتمان العلم .

(١) أخرجه بن سعد فى الطبقات الكبرى ٤ / ٥٧، ١١٩ .

(٢) الآيتان ١٥٩، ١٦٠ من سورة البقرة، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب  
حفظ العلم ١ / ٢٥٨ رقم ١١٨ .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب العلم، باب كراهية منع العلم ٣ / ٣٢١ رقم ٣٦٥٨، والترمذى فى سننه  
كتاب العلم، باب ما جاء فى كتمان العلم ٥ / ٢٩ رقم ٢٦٤٩، وقال أبو عيسى : حديث حسن، وأخرجه ابن  
ماجة فى سننه المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه ١ / ٩٨ رقم ٢٦١، والحاكم فى المستدرک كتاب العلم ١ /  
١٨١ رقمى ٣٤٤، ٣٤٥، وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى .

(٤) الصَّمْصَمَةُ : مهملتين الأولى مفتوحة هو السيف الصَّارِم الذى لا ينثنى، وقيل الذى له حد واحد، انظر : النهاية  
فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٥٢، والقاموس المحيط ٤ / ١٣٨، ومختار الصحاح ص ٣٧٠ .

(٥) أخرجه البخارى معلقاً فى صحيحه (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب العمل قبل القول والعمل ١ /  
١٩٢، وأخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب البلاغ عن الرسول ﷺ وتعليم السنن ١ / ١٤٦ رقم ٥٤٥ .

(٦) فتح البارى ١ / ٢٧٢ رقم ١٢٧ .

ويقول صاحب توجيه النظر : "إن المحدث يجب عليه أن يراعى حال من يحدثهم، فإذا كان فيما ثبت عنده ما لا تصل إليه أفهامهم وجب عليه ترك تحديثهم به دفعاً للضرر، فليس كل حديث يجب نشره لجميع الناس" (١).

وعلى هذا يحمل مرسل ابن أبي مليكة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فلو كان له أصل فكونه عقب الوفاة النبوية - كما جاء في الرواية - يشعر بأنه يتعلق بأمر الخلافة، كان الناس عقب البيعة بقوا يختلفون، يقول أحدهم : أبو بكر أهلها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيت وكيت، فيقول آخر : وفلان، قد قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيت وكيت، فَأَحَبَّ أبو بكر صرفهم عن الخوض في ذلك، وتوجيههم إلى القرآن وفيه قوله تعالى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُرَىٰ يَتَنَبَّهُمْ﴾ (٢).

وما فعله الفاروق عمر رضي الله عنه وصار فيه على نهجه الصحابة رضي الله عنهم من المنع من التحديث والإكثار منه كان اتباعاً لمنهاج النبي صلى الله عليه وسلم القائل : "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"، وعلى الدرب صار أئمة المسلمين من التابعين فمن بعدهم.

فمن ابن وهب قال : قال لي مالك : اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع. ولا يكون إماماً أبداً، وهو يحدث بكل ما سمع" ونحوه روى عن عبد الرحمن بن مهدي (٣)، وغيره.

بقي الكلام على حبس عمر رضي الله عنه لبعض الصحابة؛ وهل يكفي لحبسهم أنهم أكثروا من الرواية؟ وهل كان هذا من عمر طعناً منه في الصحابة، وتكديباً لهم كما زعم بعض غلاة الشيعة (٤)؟

### الجواب :

أولاً : أما حبس عمر رضي الله عنه لبعض الصحابة فعلى فرض صحة الأثر، فليس المراد بالحبس أنه زج بهم في السجن (وحاشاه من ذلك)، وإنما المراد أنه ( استبقائهم في

(١) توجيه النظر ص ٦٣ .

(٢) جزء من الآية ٣٨ من سورة الشورى، وانظر : الأنوار الكاشفة للمعلمي ص ٥٤ .

(٣) الآثار السابقة أخرجها مسلم (شرح النووي) المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/١٠٧ رقم ٥ .

(٤) كعلى الشهرستاني في كتابه منع تدوين الحديث، استدل بمرسل ابن أبي مليكة على اتهام أبي بكر لجميع الصحابة بالكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم انظر : منع تدوين الحديث ص ٤٩، كما استدل بحديث قرظة على اتهام عمر أيضاً لجميع الصحابة بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر : منع تدوين الحديث ص ١٠٤، ١٠٥ .

المدينة حتى يتثبت من لفظهم ويشهد لذلك رواية الخطيب السابقة (لفظهم سواء) (١) أى أنه استبقاهم فى المدينة ليثبت من لفظهم، ويؤيد ذلك أنهم لما قالوا له تنهاننا؟ قال لا، أقيموا عندى، لا والله لا تفارقونى ما عشت، فحن أعلم، نأخذ منكم، ونرد عليكم، فما فارقوه حتى مات" فمع إنكاره عليهم الإكثار لم يمنعهم منه، عندما قالوا له تنهاننا؟ فأجاب لا، أقيموا عندى أى استبقاهم فى المدينة لماذا؟ ليس لمنعهم من الإكثار، وإنما كما قال "نأخذ منكم، ونرد عليكم" فالأمر إذن تثبت فى الحديث فكانوا كما جاء فى الأثر (لفظهم سواء) .

ومما يؤكد لنا أنه لم يزوج بأحد فى السجن، ما جاء فى رواية الرامهرمزي من قول شيخه أبى عبد الله البرى قال : "يعنى منعهم الحديث، ولم يكن لعمر حبس" (٢) وهذا على فرض صحة الأثر، وإلا فهو منقطع، لأنه من طريق إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، ولم يسمع من عمر كما رجحه الهيثمى وأحمد محمد شاكر، وابن حزم وقال : "ثم هو فى نفسه ظاهر الكذب والتوليد، لأنه لا يخلوا عمر من أن يكون اتهم الصحابة، وفى هذا ما فيه، أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ سنن رسول الله ﷺ إلى المسلمين، وألزمهم كتمانها وجحدها وألاً يذكروها لأحد، فهذا خروج عن الإسلام، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل هذا، ولئن كان سائر الصحابة متهمين فى الكذب على النبى ﷺ فما عمر إلا واحد منهم، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً، ولئن كان حبسهم، وغيرهم متهمين لقد ظلمهم!

فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات الملعونة أى الطريقتين الخبيثتين شاء، ولا بد له من أحدهما .

وإنما معنى نهى عمر ﷺ من الحديث عن رسول الله ﷺ لو صح، فهو يبين فى الحديث الذى أوردناه من طريق قرظة، وهو إنما نهى عن الحديث بالأخبار عمن سلف من الأمم، وعما أشبه .

وأما نهى عن الحديث بالسنن عن النبى ﷺ فهذا ما لا يحل لمسلم أن يظنه بمن دون عمر من عامة المسلمين، فكيف بعمر ﷺ .

(١) هذه اللفظة ذكرها الخطيب كما سبق، ولم يذكرها على الشهرستانى، رغم أنه عزا الرواية إلى الخطيب فى شرف أصحاب الحديث، انظر : منع تدوين الحديث ص ١٨٦ .

(٢) المحدث الفاصل ص ١٣٣، وانظر : السنة قبل التدوين ص ١١٠ .

ودليل ما قلنا أن عمر قد حدث بحديث كثير عن النبي ﷺ، فإن كان الحديث عنه عليه السلام مكروهاً، فقد أخذ عمر من ذلك بأوفر نصيب، ولا يحل لمسلم أن يظن بعمر ﷺ أنه نهى عن شيء وفعله، لأنه قد روى عنه ﷺ خمسمائة حديث وثيف، على قرب موته من موت النبي ﷺ فصح أنه كثير الرواية، والحديث عن النبي ﷺ، وما في الصحابة أكثر رواية عن النبي ﷺ من عمر بن الخطاب إلا بضعة عشر منهم فقط. فصح أنه قد أكثر الرواية عن النبي ﷺ، فصح بذلك التأويل الذي ذكرناه لكلامه ﷺ "(١) أ. هـ.

قلت : وكيف يظن بعمر بنهيهِ عن الإكثار من الرواية ليتثبت فيها كما سبق، أنه يأمر بكتمان ما أنزل الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ وهو المعظم الموقر لسنة النبي ﷺ الحاكم بها في كل شأن من شئون حياته، وشئون رعيته (٢)، وهو القائل ﷺ : "تعلموا الفرائض، واللحن والسنن، كما تعلمون القرآن" (٣)، وهو القائل أيضاً : "سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله" (٤) وهو القائل : "إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا" (٥).

فصح بكل هذا أن عمر ﷺ أمر بتعليم السنن، وبين أن أصحابها أعلم الناس بكتاب الله ﷻ، وفي المقابل أعداء السنن، وأجهل الناس بكتاب الله ﷻ هم أهل الرأي المذموم.

فهل يصح بعد هذا القول بأن نهى عمر عن الإكثار من الرواية كتماناً للسنة أو أنه أراد ألا تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن!! "سبحانك هذا بهتان عظيم".

(١) الإحكام لابن حزم ٢/ ٢٦٦، ٢٦٧ بتصرف يسير، وانظر : الرد القويم على الجرم الأثيم للشيخ حمود بن عبد الله التويجري ص ١٠٢ - ١١٠ .

(٢) سبق تفصيل ذلك راجع إن شئت ص ٣٠٨ - ٣١٢ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه كتاب الفرائض، باب في تعليم الفرائض ٢/ ٤٤١ رقم ٢٨٥٠، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ١٢٣ . وسبق قول أبي موسى الأشعري ﷺ لأهل البصرة "بعتني إليكم عمر أعلمكم كتاب ربكم وستتكم"، راجع ص ٣٢٩ .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ١/ ٦٢ رقم ١١٩، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ١٢٣، وابن حزم في الإحكام ٢/ ٢٦٧ .

(٥) سبق تخريجه ص ٧١ .

أو أنه ﷺ كان يتهم الصحابة جميعاً بالكذب على رسول الله ﷺ فيكون بهذا متهماً لنفسه بأنه من أصحاب الرأي، ومتهماً لنفسه أيضاً بالكذب فما هو إلا واحد من الصحابة؛ وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً كما سبق من قول ابن حزم.

كما أنه لا يقول بواحد من الأمرين السابقين إلا الرافضة أمثال: مرتضى العسكري<sup>(١)</sup> ومروان خليفات<sup>(٢)</sup>، وزكريا عباس<sup>(٣)</sup>، وعلى الشهرستاني، الذي مال إلى الأمرين معاً:

أولهما: "إن الخليفة عمر قد أمر بكتمان ما أنزل الله على لسان نبيه ﷺ فمنع من التحديث لكتمان ما ورد في فضائل أهل البيت وما يدل على إمامتهم"<sup>(٤)</sup>.

ثانيهما: أن الخليفة عمر بن الخطاب وكذا أبو بكر<sup>(٥)</sup>؛ كانا يتهمان الصحابة جميعاً بالكذب على رسول الله ﷺ، وعاب على الإمام ابن حزم، ومن تبعه من الأعلام قديماً وحديثاً أنهم لم يرتضوا بهذين الأمرين وقال: "لذلك اضطروا إلى حمل نهى عمر على النهي عن التحديث بأخبار الأمم السالفة، وهذا حمل تبرعى لم يدل عليه دليل من روايات منعه"<sup>(٦)</sup>.

وصدق الإمام الذهبي: "فوالله ما يغض من عمر إلا جاهل... أو رافضى فاجر، وأين مثل أبي حفص، فما دار الفلك على مثل شكل عمر، وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل"<sup>(٧)</sup>، إن دعوى أن نهى عمر عن الإكثار من الرواية أنه يتهم الصحابة جميعاً بالكذب على رسول الله ﷺ دعوى لا برهان لها، إلا في كتب الروافض من غلاة الشيعة، ومن قال بقولهم من المستشرقين، ودعاة اللادينية الملحدة.

(١) معالم المدرستين المجلد ٢ / ٤٤، ٤٥، ٦٤.

(٢) وركبت السفينة ص ١٠٧ - ١٤٦، ١٧٣ - ١٨١.

(٣) تأملات في الحديث ص ٤٢ - ٦٢.

(٤) منع تلوين الحديث على الشهرستاني ص ٥٧، ٦٤.

(٥) المصدر السابق ص ٤٩.

(٦) المصدر نفسه ص ١٠٤، ١٠٥، وسبق الرد بما جاء في رواية السائب بن يزيد.

(٧) تذكرة الحفاظ ١ / ٦.

**الجواب عن شبهة : "النهي عن الإكثار من التحديث اتهام من أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، للصحابة بالكذب" :**

إن الصحابة جميعاً وعلى رأسهم عمر، كانوا أبعد الناس في أن يشك بعضهم في صدق بعض، والأدلة على هذا متوافرة جداً، فقد كان الصحابي إذا سمع من صحابي آخر حديثاً صدق به، ولم يخالجه الشك في صدقه، وأسنده إلى الرسول ﷺ كما لو كان سمعه بنفسه، وعلى هذا اعتماد أئمة الحديث في مرسل الصحابي<sup>(١)</sup>.

يدل على ذلك ما روى عن عمر ﷺ قال : "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بنى أمية بن زيد، وهي من عوالى المدينة، وكنا تتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخير ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك..."<sup>(٢)</sup>، ولو لم يكن سوى هذا الحديث لكفى في رد هذه الشبهة، ولكن كما قلنا الأدلة على هذا متوافرة جداً.

فعن البراء بن عازب ﷺ قال : "ليس كلنا سمع حديث رسول الله ﷺ، كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن الناس كانوا لا يكذبون يومئذ فيحدث الشاهد الغائب"<sup>(٣)</sup>، وأخرج الطبراني عن حميد قال كنا مع أنس بن مالك ﷺ فقال : والله ما كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ولكن لم يكن يكذب بعضنا بعضاً"<sup>(٤)</sup>.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : "ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله ﷺ، من الكذب"<sup>(٥)</sup> وعن الأعمش - رحمه الله - قال : "لقد أدركت قوماً، لو لم يتركوا الكذب إلا حياةً لتركوه"<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) انظر: تدريب الراوى ١/ ٢٠٧، وفتح المغيث للسخاوى ١/ ١٧٠، ١٧١، وتوضيح الأفكار ١/ ٣١٧ .  
(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب التلويح في العلم ١/ ٢٢٣ رقم ٨٩ .  
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم، باب فضل توقير العالم ١/ ٢١٦ رقم ٤٣٨ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .  
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١/ ٢٤٦ رقم ٦٩٩، وعزاه إليه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٥٣، وقال : رجاله رجال الصحيح .  
(٥) أخرجه الترمذی في سننه كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب ٤/ ٣٠٧ رقم ١٩٧٣ وقال : هذا حديث حسن، وأخرجه أحمد في مسنده ٦/ ١٥٢، وابن أبى الدنيا في مكارم الأخلاق ١١٢ رقم ١٣٩، والحدیث ذكره الحافظ الهیثمی في مجمع الزوائد ١/ ١٤٢، وعزاه إلى أحمد، والبیزار، وقال إسناده صحيح .  
(٦) أخرجه ابن أبى الدنيا في الصمت ص ٢٦٣ رقم ٥٤٤ .

وأخيراً : يقول عمر لأبي موسى الأشعري لما حدثه بحديث (الاستئذان ثلاثاً)، وطلب منه البينة على ذلك<sup>(١)</sup>، قال : "أما إنني لم أنهمك، ولكن خشيت أن يقول الناس على رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، وفي رواية : "فقال عمر لأبي موسى والله إن كنت لأميناً على حديث رسول الله ﷺ، ولكن أحببت أن أستثبت، ونحوه في رواية أبي بردة حين قال أبي بن كعب لعمر : "يا بن الخطاب فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ، قال : سبحان الله إنما سمعت شيئاً فأحببت أن أثبت"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عبد البر : يحتمل أن يكون حضر عنده من قرب عهده بالإسلام فخشى أن يختلق الحديث عن رسول الله ﷺ عند الرغبة، والرغبة، طلباً للمخرج مما يدخل فيه، فأراد أن يعلمهم أن من فعل شيئاً من ذلك ينكر عليه حتى يأتي بالمخرج<sup>(٤)</sup>، وزاد غيره فأراد عمر سد هذا الباب وردع غير أبي موسى لا شكاً في روايته، فإن من دونه إذا بلغته قصته، وكان في قلبه مرض أو أراد وضع حديث خاف من مثل قضية أبي موسى، فالمراد غيره<sup>(٥)</sup>، وفي ذلك يقول الخطيب البغدادي : "وفي تشديد عمر على الصحابة في رواياتهم حفظ لحديث رسول الله ﷺ، وترهيب لمن لم يكن من الصحابة أن يدخل في السنن ما ليس منها، لأنه إذا رأى الصحابي المقبول القول، المشهود بصحة النبي ﷺ، قد شدد عليه في روايته، كان هو أجدر أن يكون للرواية أهيب، ولما يلقي الشيطان في النفس من تحسين الكذب أُرهب"<sup>(٦)</sup>.

وفي القصة دليل على ما كان الصحابة عليه من القوة في دين الله وقول الحق والرجوع إليه وقبوله، فإن أياً ﷺ أنكر على عمر تهديد أبي موسى، وخاطبه مع أنه الخليفة (بنا ابن الخطاب) أو يا عمر؛ لأن المقام مقام إنكار<sup>(٧)</sup>.

وفي ذلك رد على الرافضة الطاعنين في الصحابة ووصفهم بالجبن والتقية خوفاً من

(١) القصة في صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ١١ / ٢٨ / رقم ٦٢٤٥، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الآداب، باب الاستئذان ٧ / ٣٨٧ / رقم ٢١٥٤ .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الاستئذان، باب الاستئذان ٢ / ٧٣٤، ٧٣٥ رقم ٣ وروايته منقطعة .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الآداب، باب الاستئذان ٧ / ٣٨٧ / رقم ٢١٥٤ .

(٤) شرح الزرقاني على الموطأ ٤ / ٤٢٦، وفتح الباري ١١ / ٣٢ / رقم ٦٢٤٥ .

(٥) شرح الزرقاني على الموطأ ٤ / ٤٢٦ .

(٦) شرف أصحاب الحديث للخطيب ص ١٦٣ .

(٧) شرح الزرقاني على الموطأ ٤ / ٤٢٦، ٤٢٧ .

درة عمر أو مهابة له، وأنهم وافقوه في النهي عن كتابة السنة والإكثار منها تقية منهم وجبناً<sup>(١)</sup>.

وهكذا كانت ثقة الصحابة جميعاً وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون، ثقة لا يشوبها شك، ولا ريبة، لما يؤمنون به من تدينهم بالصدق، وأنه عندهم رأس الفضائل، وبه قام الإسلام، وساد أولئك الصفوة المختارة من أهله الأولين<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة : ما فعله كبار الصحابة وتبعهم فيه الصحابة أجمع، ومن بعدهم من النهي أو الامتناع عن الإكثار من التحديث، كان لوجوه وأسباب وردت صراحة في الآثار الواردة عنهم، وكانوا في كل سبب من تلك الأسباب مقتدين بسنة النبي ﷺ، وهو ما حرصنا على تأكيده فيما سبق.

فما فعلوه كان احتياطاً للدين كتاباً وسنة ورعاية لمصلحة المسلمين لا زهداً في الحديث النبوي، ولا تعطيلاً له.

ولا إخفاءً لأحاديث فضائل أهل البيت، وما يدل على إمامتهم كما تزعم الرافضة، فأحاديث فضائل أهل البيت، وما يدل على إمامتهم، وعظيم منزلتهم، مدونة في سائر كتب السنة (في كتب المناقب، وفضائل الصحابة).

فلا يجوز أن يفهم أو يتوهم من منهاج الصحابة، القائم على المنهاج النبوي ومن تشدد عمر خاصة هجر الصحابة للسنة أو زهدهم فيها لعدم حجيتها، أو أنهم أرادوا ألا يجعلوها ديناً عاماً دائماً كالقرآن، معاذ الله أن يقول بهذا أحد منهم.

فلا يقول بهذا إلا جاهل مغرور، أو رافضي فاجر، لا علم له بقليل من السنة، ولم تخالط قلبه روح الصحابة، ولا أنار سبيله، قيس من هداهم.

فقد ثبت عن الصحابة جميعاً تمسكهم بالحديث النبوي، وتعظيمهم، وتوقيرهم له، وتحكيمهم له في كل شأن من شئون حياتهم، وزجرهم وهجرهم كل من لم يعظم قوله ﷺ، وقد حرصوا على المحافظة على الحديث النبوي بكل وسيلة تفضي إلى ذلك، فكان لهم جميعاً الفضل الأول في المحافظة على كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ، وتميز منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عن عمر، وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين، وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أ.هـ.

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

(١) منع تلوين الحديث على الشهرستاني ص ٢٨، ٢٢٨، وقد تناقض في إنكحه هذا، ووصفهم بالشجاعة في موضع آخر ص ٢٥٤، ٣٤٢.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ٢٦٣.

## ثانياً : شبهة التأخر في تدوين السنة النبوية والرد عليها

### استعراض الشبهة وأصحابها :

روى الإمام البخارى -رحمه الله- فى صحيحه تعليقاً، قال : وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبى بكر بن حزم<sup>(١)</sup>، "انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإننى خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث رسول الله ﷺ، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً"<sup>(٢)</sup>.

بهذه الرواية تعلق أعداء الإسلام من الرافضة، والمستشرقين، ودعاة اللادينية المتفرجة، فقالوا : إن السنة لم تدون إلا فى مطلع القرن الثانى الهجرى، لأن أول من أمر بتدوينها هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ، وهو قد تولى الخلافة سنة ٩٩هـ وتوفى سنة ١٠١هـ<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو بكر بن حزم هو : أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى البخارى، اسمه وكنيته واحد، وقيل أنه يكنى أبا محمد، من سادات التابعين، ثقة عابد، مات سنة ١٢٠هـ. وقيل غير ذلك له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ١٠٠ رقم ٥٤٤، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٦٧ رقم ٨٠١٧، والكاشف ٢/ ٤١٢ رقم ٦٥٣٧، والثقات لابن حبان ٥/ ٥٦١، والجرح والتعديل ٩/ ٣٣٧ رقم ١٤٩٢ .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ١/ ٢٣٤، والدارمى فى سننه المقدمة، باب من وعص فى كتابة العلم ١/ ١٣٧ رقمى ٤٨٧، ٤٨٨، والخطيب فى تقييد العلم ١/ ١٠٥، ١٠٦ .

(٣) أضواء على السنة محمود أبو رية ص ٢٦٠ . ويتناقض أعداء السنة عن جهل تارة، وعن علم تضليلاً للقارئ تارة أخرى، وهم يؤرخون للتدوين الرسمى للسنة المطهرة . فنرى مصطفى المهدوى يقول : "إن الثابت أن الأحاديث لم تدون إلا بعد زمن بعيد من وفاته ﷺ وعلى رأس المائة الثالثة من الهجرة بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز . وأين عمر من المائة الثالثة؟ انظر : البيان بالقرآن ١/ ٢٥، ثم يتناقض ويكذب على أئمة المسلمين قتلاً : يتفق جمهور الفقهاء على أن تدوين هذا التراث إنما بدأ فى أواسط القرن الثانى الهجرى" انظر : المصدر السابق ١/ ١٩٧ . ويقول سعيد العشماوى : (غير أن الأحاديث لم تجمع إلا فى عصر التدوين فى العصر العباسى الأول، وفى النصف الثانى من العام الثانى الهجرى) انظر : حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص ٨١، ٨٢، ٨٤، وأيد العشماوى فى تأريخه السابق المستشار عبد الجواد ياسين فى كتابه السلطة فى الإسلام ص ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٧٧ وقال بذلك أيضاً أحمد صبحى منصور فى كتبه الحسبة ص ٨، ولا ناسخ ولا منسوخ ص ١٠، وعذاب القبر ص ٦، والصلاة فى القرآن ٤٤، والقرآن والحديث والإسلام لرشاد خليفة ص ٣٦، ويذهب محمود أبو رية إلى أن التدوين المعتمد لدى الجمهور لم يقع إلا حوالى منتصف القرن الثالث إلى القرن الرابع، انظر : أضواء على السنة ص ٢٦٨، ويذهب قاسم أحمد إلى أنه تم جمع السنة بعد فترة تمتد من قرنين إلى أربعة قرون من وفاة النبى ﷺ . انظر : إعادة تقييم الحديث ص ٩٤، وانظر : نقد الخطاب الدينى نصر أبو زيد ص ١٢٦، وشقاء الصدر بنفى عذاب القبر إسماعيل منصور ١/ ١١٧، والأصلاان العظيمان جمال البنا ص ٢٧٥، وضحي الإسلام لأحمد أمين ٢/ ١٠٦/ ١٠٧ . ويذهب إسماعيل منصور إلى التأريخ للتدوين، تارة بأنه فى سنة ٢٥٠هـ، وتارة فى سنة ٢٥٠هـ . انظر : تبصير-

وهذه المدة الطويلة تكفى لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل<sup>(١)</sup>. ولذا حصل فى السنة التبديل والزيادة ككتب أهل الكتاب، لعدم كتابتها فى عهده ﷺ، وعدم حصر الصحابة لها فى كتاب معين، وعدم تبليغها للناس بالتواتر، وعدم حفظهم لها جيداً فى صدورهم، حتى أباحوا نقلها بالمعنى، واختلفت الرواية عنهم لفظاً ومعنى<sup>(٢)</sup>، ولا يمكن بغير الكتابة أن يحصر ما قاله النبى ﷺ أو فعله فى ثلاثة وعشرين عاماً مما سهل على قوم أن يستبيحوا لأنفسهم وضع الحديث ونسبته كذباً إلى رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

**أما غلاة الشيعة :** فيزعمون أنهم حفظوا السنة وأساس تدوينها، والسبق إلى التدوين فضيلة لهم، فهم أسس بناء مدرسة التعبد المحض<sup>(٤)</sup>. أما أهل السنة وفى مقدمتهم أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- فهم أسس مدرسة الاجتهاد والرأى، وهم الذين منعوا تدوين الأحاديث، وأضاعوا سنة نبىهم ﷺ<sup>(٥)</sup>، التى قاموا بتدوينها على رأس المائتين بعد انقراض دولة بنى أمية، وتحول الدولة إلى بنى العباس<sup>(٦)</sup>.

**أما المستشرقون :** فيتلخص موقفهم من السنة النبوية وتدوينها، فى موقف

---

= الأمة بحقيقة السنة ص ١٣، ١١١، ٢٨٨، ويذهب محمد شحرور إلى التاريخ بسنة ٢٥٠ هـ. انظر : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٥٦٥، ويذهب أحمد صبحى منصور إلى التاريخ بالقرن الثالث الهجرى انظر : عذاب القبر ص ٦، ومجلة روزاليوسف العدد ٣٥٥٩ ص ٤٨، ويذهب محمد حسين هيكل إلى التاريخ بعصر المأمون المتوفى سنة ٢١٨ هـ. انظر : حياة محمد ص ٥٥، والدكتور على حسن عبد القادر بؤرخ بسنة ٢٠٠ هـ. انظر : نظرة عامة فى تاريخ الفقه ص ١١٩ .

(١) مجلة المنار المجلد ٩ / ٥١٥، وأضواء على السنة ٢٥٨، ٢٥٩، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالى لأحمد حجازى السقا ص ٨٠ .

(٢) مجلة المنار المجلد ٩ / ٩١١، وأضواء على السنة ص ٨٠، ٢٥٩ .

(٣) فجر الإسلام أحمد أمين ص ٢١٠، ٢١١، وحقيقة الحجاب وحجية الحديث للعشماوى ص ٨٤، والأصطلان العظيمان جمال البنا ص ٢٦٨ .

(٤) انظر : الشيعة وفنون الإسلام حسن الصدر ص ٢٧، ٢٨، والمظالمات والمراجعات والردود لمحمد الحسين آل كاشف ص ٥٦، ومعالم المدرستين لمرتضى العسكري المجلد ٢ / ٣٧٥، ومنع تدوين الحديث أسباب ونتائج لعللى الشهرستانى ص ٧٦، ٣٤٢، ٣٩٧، ٤٢٤، ٤٤٢، ٤٤٧، وتأملات فى الحديث عند السنة والشيعة لركريا عباس داود ص ٤٢ .

(٥) منع تدوين الحديث أسباب ونتائج لعللى الشهرستانى ص ٣١٢، ٣٣٩، ٤٦٨، ٥٠٤، وتأملات فى الحديث لركريا عباس داود ص ٧٠، وركبت السفينة لمروان خليفات ص ١٠٧ ويقول الرافضة، قال المستشرقون، انظر : منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص ٥٩ .

(٦) تأسيس علوم الشيعة حسن الصدر ٢٧٨، ٢٧٩ .

المستشرق اليهودي (جولدتسيهر) الذى ذهب إلى : "أن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الدينى، والسياسى، والاجتماعى فى القرنين الأول، والثانى، وأنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام فى عهده الأول، عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج"<sup>(١)</sup>.

وهذا الذى زعمه جولدتسيهر؛ اتخذ المستشرقون وذيولهم "إنجيلاً مقدساً"، ورددوه فى مجوهم ودوائر معارفهم<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا الزعم لدى (شاخنت)<sup>(٣)</sup> حجر الأساس له، ولكل باحث يريد التشكيك فى السنة النبوية المطهرة، فأكد ما قاله سلفه جولدتسيهر وتجاوزته بزعمه : "أنه لا صحة لأى حديث منسوب للنبي ﷺ، وأن المجموعة الأولى المعول عليها من الأحاديث النبوية التى تعرف بأحاديث الأحكام، قد نشأت فى منتصف القرن الثانى الهجرى تقريباً، وهو التاريخ الذى يحدد حسب رأيه، بداية فترة تدوين الأحاديث"<sup>(٤)</sup>.

وكانت نزعة الشك عند شاخنت أكثر شدة منها عند جولدتسيهر، ويتضح هذا من "القاعدة المنهجية" التى تترتب، حسب رأيه، على استنتاجات جولدتسيهر. وهى قاعدة السكوت عن الحديث فى موطن الاحتجاج دليل على عدم وجوده" استخدم شاخنت هذه القاعدة كثيراً ليثبت عدم وجود كثير من الأحاديث إبان فترة الإسلام الأولى.

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام جولدتسيهر ص ٥٣، ٢٥١، وانظر : دارسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير، نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ / ٥٦٤ .

(٢) انظر : دائرة المعارف الإسلامية ٢ / ٥٧٠ - ترديد (ماكدونالد) مقولة جولدتسيهر، وكذا (كارل بروكلمان) فى تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٧١، وانظر دراسة الكتب المقدسة للدكتور موريس بوكائى ص ١٥٢، ٢٧٣ . وانظر : مفهوم النص نصر أبو زيد وزعمه بأن النص (قرآناً وسنة) منتج ثقافى وأن ذلك بديهية لا تحتاج لإثبات. مفهوم النص ص ٢٣ - ٢٤ .

(٣) شاخنت : هو جوزيف شاخنت . مستشرق ألماني . ولد عام ١٩٠٢ / عمل محاضراً للدراسات الإسلامية فى عدد من الجامعات . كان من أعضاء المجمع العلمى العربى فى دمشق . وقد أشتهر بدراسة التشريع الإسلامى، قال الدكتور السباعى : (ألماني متعصب ضد الإسلام والمسلمين) من مصنفاته : إعادة تقييم الحديث، وأصول الفقه الحميدى، والتطور الحديث للفقه الإسلامى بمصر، وغير ذلك، له ترجمة فى : المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به فى الدراسات العربية جمع صلاح الدين المنجد ٢ / ٨٠٣ - ٨٠٥، والاستشراق للدكتور السباعى ص ٢٨، والأعلام ٨ / ٢٣٤ وجوزيف شاخنت بقلم : برنارد لويس ترجمة الأستاذ الصديق بشير، ويوسف شاخنت حياته وآثاره بقلم : روبرت برونشفيج ترجمة الدكتور عبد الحكيم الأربد . نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١١ / ٦٢٢ - ٦٤٤ .

(٤) أصول الفقه الحميدى ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١١ / ٦٥٢ .

ويعبر عن ذلك بقوله : "إن أحسن طريق لإثبات عدم وجود حديث في عهد معين، هو أن نظهر أن ذلك الحديث لم يستعمل كدليل فقهي في نقاش يستوجب الاستدلال بذلك الحديث لو كان بالفعل موجوداً..."<sup>(١)</sup>.

وهذا الذي زعمه شاخت في كتابه (أصول الفقه الحمدي) أصبح "إنجيلاً ثانياً" لعالم الاستشراق حيث غير من نظرة سلفه جولدتسيهر التشكيكية في صحة الأحاديث إلى نظرة متيقنة في عدم صحتها بقوله : "إن المجموعة الأولى المعول عليها من الأحاديث النبوية التي تعرف بأحاديث الأحكام، قد نشأت في منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً لمواجهة أقوال الصحابة وغيرهم"<sup>(٢)</sup>.

ويقول : "يكاد يكون من المستحيل توثيق أى من هذه الأحاديث فيما يتعلق بأمور التشريع الديني"<sup>(٣)</sup>.

ولقد ترك كتابه هذا أثراً عميقاً في تفكير دارسي الحضارة الإسلامية، حتى تنبأ البرفسور جب قائلاً : "أنه - يعني كتاب شاخت سيكون في المستقبل أساساً لكافة الدراسات عن الحضارة الإسلامية والتشريع، وعلى الأقل في الغرب"<sup>(٤)</sup>.

وعن خطورة هذا الكتاب ومكانته عند المستشرقين يقول الأستاذ الصديق بشير : وليس من قبيل المبالغة إذا قلت إن كل من كتب بعده من المستشرقين في هذا الحقل المعرفي هم عيال عليه، وحسبك أنه لا تكاد توجد جامعة من جامعات الغرب لها اعتناء بالدراسات الإسلامية إلا ونجد هذا الكتاب مقررأ على طلابها"<sup>(٥)</sup> أ.هـ.

### الجواب عن شبهة التأخر في تدوين السنة النبوية :

بادئ ذي بدء - نحن نجزم بصحة هذه الرواية التي صدرنا بها البحث، وهي التي

---

(١) سنعود إلى بقية نص هذا الكلام عند نقد قاعدة شاخت. انظر : أصول الفقه الحمدي ص ١٤٠ نقلاً عن نقد قاعدة شاخت للأستاذ ظفر إسحاق الأنصاري بحث قدم لمؤتمر السنة ومنتجها في بناء المعرفة والحضارة ٢ / ٥٨٩ .

(٢) أصول الفقه الحمدي ترجمة الأستاذ الصديق بشير، نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١١ / ٦٥٢ .

(٣) مدخل إلى الشريعة لشاخت نقلاً عن نقد قاعدة شاخت للأستاذ ظفر الأنصاري، انظر : مؤتمر السنة ومنتجها في بناء المعرفة والحضارة ٢ / ٥٨٩ .

(٤) دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد الأعظمي المقدمة .

(٥) مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١١ / ٦٤٦ بحث الأستاذ الصديق بشير (أصول الفقه الحمدي في كتابات الغربيين) .

تفيد أن عمر بن عبد العزيز؛ هو أول من أمر بتدوين السنة، نجزم بصحتها لأنها وردت في أوثق مصادرنا، وأصحها بعد كتابه تعالى، ألا وهو صحيح البخارى، ولكننا نهدف من وراء هذا البحث إلى إثبات حقائق هامة وهى :

١- الحقيقة الأولى : أن الكثيرين خلطوا بين النهى عن كتابة السنة، وبين تدوينها حيث فهموا خطأ أن التدوين هو الكتابة، وعليه فإن السنة النبوية - ظلت محفوظة في الصدور لم تكتب إلا في نهاية القرن الأول الهجرى فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز- رحمه الله -

ولو أن المعاصرين فهموا حقيقة الكتابة، وحقيقة التدوين، وأدركوا الفرق بينهما، لما تعارضت النصوص فى فهمهم، ولما صح تشكيك أعداء الإسلام فى السنة النبوية بدعوى تأخر تدوينها مدعين أنه دخلها الزيف؛ لأن العلم الذى يظل قرناً دون تسجيل لا بد وأن يعثره تغيير ويدخله التحريف، فإن الذهن يغفل والذاكرة تنسى، أما القلم فهو حصن أمان لما يدون به<sup>(١)</sup> .

### الكتابة، والتدوين، والتصنيف فى اللغة :

وهذا تعريف موجز للكتابة والتدوين والتصنيف : يتضح منه الفرق بين الكتابة والتدوين :

أ- الكتابة : قال فى اللسان: "كتب الشئ كتباً، وكتاباً، وكتابة، وكتبه خطه" فكتابة الشئ خطه<sup>(٢)</sup> .

ب- التدوين : قال فى اللسان : "والديوان مجتمع الصحف"<sup>(٣)</sup> . وقال فى تاج العروس : "وقد دونه تدويناً جمعه . وعليه فالتدوين هو جمع الصحف المشتتة فى ديوان ليحفظها"<sup>(٤)</sup> .

ج- التصنيف : قال فى اللسان : والتصنيف : تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنف الشئ ميز بعضه من بعض . وتصنيف الشئ جعله أصنافاً . وعليه فالتصنيف

(١) انظر: السنة النبوية، مكانها، عوامل بقائها، تدوينها، لفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالمهدى عبدالقادر ٩٤-٩٦، وانظر: تصدير الدكتور يوسف العث فى تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ٧، ٨ .

(٢) لسان العرب ١ / ٦٩٨، وانظر : القاموس المحيط ١ / ١٢٠، ومختار الصحاح ص ٥٦٢ .

(٣) لسان العرب ١٣ / ١٦٦ .

(٤) تاج العروس ٩ / ٢٠٤ .

تمييز الجزئيات، كأن يميز المصنف الصواب من الخطأ، أو الأهم من المهم" (١).

ومن هذه التعاريف : يتضح لنا أن الكتابة غير التدوين، فالكتابة مطلق خط الشيء، دون مراعاة لجمع الصحف المكتوبة في إطار يجمعها، أما التدوين فمرحلة تالية للكتابة ويكون بجمع الصحف المكتوبة في ديوان يحفظها" (٢).

أما التصنيف؛ فهو أدق من التدوين، فهو ترتيب ما دون في فصول محدودة، وأبواب مميزة (٣).

وعلى ذلك فقول الأئمة إن السنة دوت في نهاية القرن الأول لا يفيد أنها لم تكتب طيلة هذا القرن، بل يفيد : أنها كانت مكتوبة لكنها لم تصل لدرجة التدوين وهو : جمع الصحف في دفتر.

وما فهمه المعاصرون، من أن التدوين هو الكتابة، فهو خطأ منشأه عدم التمييز بين الكتابة والتدوين (٤).

وبالتالي فالمقولة "أول من دون العلم ابن شهاب الزهري" (٥) تم ترجمتها خطأ بمعنى: أول من كتب العلم (الحديث) كان ابن شهاب الزهري، وانطلاقاً من هذا التفسير الخاطئ انبثقت نظرية أن كتابة الحديث بدأت متأخرة للغاية حتى عصر الزهري في نهاية القرن الأول، أو بداية القرن، الثاني الهجري، ... ولهذا فالمقولة السابقة يجب تفسيرها على أساس أن أول من دون أو صنف المجموعات المكتوبة من الأحاديث كان ابن شهاب الزهري" (٦).

(١) لسان العرب ٩ / ١٩٨ .

(٢) السنة النبوية مكانتها للأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص ٩٧ .

(٣) انظر : تصدير الدكتور يوسف العثي في تقييد العلم ص ٨، وانظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص ٢٨٣، ٢٨٤ .

(٤) السنة النبوية . مكانتها . للأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص ٩٧ .

(٥) ابن شهاب الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، القرشي، أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته واتقانه . مات سنة ١٢٥ هـ وقيل قبل ذلك . له ترجمة في: تقريب التهذيب ٢ / ١٣٣ رقم ٦٣١٥، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٠، ٤٩ رقم ٩٥، والكاشف ٢ / ٢١٩ رقم ٥١٥٢، وتذكرة الحفاظ ١ / ١٠٨ رقم ٩٧، والنقعات للعجلي ص ٤١٢ رقم ١٥٠٠، والنقعات لابن حبان ٥ / ٣٥١، والجرح والتعديل ٨ / ٧١ رقم ٣١٨، ومشاهير علماء الأمصار ص ٨٧ رقم ٤٤٤، والنقعات لابن شاهين ص ٢٧٦ رقم ١١٣٧ .

(٦) انظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص ٢٨١، وانظر : شفاء الصدور في تاريخ السنة ومناهج الحديث للدكتور السيد محمد نوح ص ١٠٨، ١٠٩ .

والمتتبع لكلام الأئمة السابقين يتضح له أنه كان معلوماً لديهم الفرق بين الكتابة والتدوين، وهم يؤرخون لتدوين السنة حيث كان مدار حديثهم على التدوين، وليس فى حديثهم شئ يتعلق بالكتابة، كقول الحافظ ابن حجر : "وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير"<sup>(١)</sup> وقال أيضاً : "اعلم، علمنى الله وإياك أن آثار النبى ﷺ لم تكن فى عصر الصحابة، وكبار تابعيهم ملونة فى الجوامع ولا مرتبة"<sup>(٢)</sup> .  
 ١٠ هـ .

٢- الحقيقة الثانية : أن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - حينما أمر بتدوين السنة لم يبدأ ذلك من فراغ، ولكنه اعتمد على أصول مكتوبة كانت تملأ أرجاء العالم الإسلامى كله، من خلال روح علمية نشطة، أشعلها الإسلام فى أتباعه، فأصبحوا يتقربون إلى الله تعالى بأن يزدادوا فى كل يوم علماً، وخير العلوم -قطعاً- ما كان متعلقاً بالقران والسنة .

وحينما ثبت أن تدوين السنة قام على أساس المكتوب فى عصر النبى ﷺ، وبإذن منه ﷺ شخصياً، فإننا لن نتعسف الأدلة أبداً وصولاً إلى تلك الغاية؛ لأننا لن نقول فى هذا الشأن قولاً إلا ونشفعه بالدليل القوى المستمد من أوثق المصادر وأكدها وأصحها .

كما نحب أن ننبه إلى أننا لسنا أبداً أول من قال بهذا القول، وإنما القول بأن السنة قد بدأت كتابتها منذ عصر النبى ﷺ إلى زمن تدوينها تدويناً رسمياً أصبح حقيقة علمية مؤكدة ثبتت بالبراهين القطعية، وتضافرت على إثبات هذه الحقيقة الساطعة أقوال جملة من الباحثين الثقات الأثبات<sup>(٣)</sup> .

كالدكتور محمد عجاج الخطيب فى كتابه "السنة قبل التدوين" والدكتور محمد مصطفى الأعظمى فى كتابه : "دراسات فى الحديث النبوى"، والدكتور امتياز أحمد

(١) فتح البارى ٢٥١/١ رقم ١١٣، وانظر ٢٣٥/١ رقم ١٠٠، وانظر : جامع بيان العلم لابن عبد البر ١/٧٣، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/١٦٠، وشرح الزرقاني على الموطأ ١/١٤، والسنة النبوية . مكانتها . للدكتور عبد المهدي ص ٩٤، ٩٨ .

(٢) هدى السارى ص ٨ .

(٣) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص ٦٨ يتصرف .

فى كتابه : "دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث"، والدكتور رفعت فوزى عبدالمطلب  
فى كتابه : "توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته، وغيرهم .

## نماذج من أشهر ما كتب من السنة النبوية فى حياة النبى ﷺ وبعده إلى زمن التدوين الرسمى :

١- ما ورد عن أبى هريرة ؓ : أنه لما فتح الله ﷻ على رسوله ﷺ مكة قام  
الرسول ﷺ وخطب فى الناس، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاة فقال : يا  
رسول الله اكتبوا لى، فقال : اكتبوا له<sup>(١)</sup> .

٢- وأيضاً كتابه ﷺ فى الصدقات والديات والفرائض والسنن، الذى أرسله إلى  
عمرو بن حزم<sup>(٢)</sup>، حين بعثه إلى اليمن، أخرجه النسائى، وأبو عبيد القاسم فى  
الأموال<sup>(٣)</sup> .

٣- وكتب أبو بكر الصديق ؓ لأنس بن مالك ؓ فرائض الصدقة، الذى سنه  
رسول الله ﷺ لما وجهه إلى البحرين<sup>(٤)</sup> .

٤- وكتب عمر بن الخطاب ؓ إلى عتبة بن فرقد<sup>(٥)</sup> بأذربيجان كتاباً فيه أن

---

(١) الحديث بطوله ونص الخطبة فى صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب كتابة العلم ١ /  
٢٤٨ رقم ١١٢ .

(٢) هو : عمرو بن حزم بن عبد عوف الأنصارى الخزرجى، ثم البخارى، كنيته أبو الضحاك، وأول مشاهده  
الحنديق . وهو ابن خمس عشرة سنة، واستعمله رسول الله ﷺ على أهل نجران سنة ١٠ هـ بعد أن بعث إليهم خالد  
بن الوليد، فأسلموا، وكتب له كتاباً فيه الفرائض، والسنن، والديات . انظر : الاستيعاب ٣ / ١١٧٣،  
وتخريج الدلائل السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ص ٦٧،  
مات بالمدينة سنة ٥١، وقيل : ٥٣، وقيل : ٥٤ هـ . له ترجمة فى : الإصابة ٢ / ٥٣٢ رقم ٥٨١٠، واسد الغابة ٤ /  
٢٠٢ رقم ٣٩٠٥، والاستيعاب ٣ / ١١٧٢ رقم ١٩٠٧، وتجرىد أسماء الصحابة ١ / ٤٠٤، وتاريخ الصحابة  
ص ١٧٤ رقم ٨٨٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٠ رقم ٩٦ .

(٣) النسائى فى سننه كتاب القسامة، باب ذكر حديث عمرو بن حزم فى العقول واختلاف الناقلين له ٨ / ٥٧  
رقم ٤٨٥٣-٤٨٥٩، والأموال ص ٣٥٨-٣٦٢، وانظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة ص ٣٦٨ وما بعدها . ذكر  
كثير من الكتابات والمصحف التى كتبت فى عهده ﷺ، وانظر : "مكتاتيب الرسول" للأستاذ على الأحمدى جمع  
فيه مؤلفه كتب الرسول وصحفه ورسائله التى يكتب الحديث والسيرة .

(٤) الحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الزكاة، باب العرض فى الزكاة ٣ / ٣٦٥ رقم ١٤٤٨،  
وفى باب زكاة الغنم ٣ / ٣٧١ رقم ١٤٥٤، بتماسة، وفى غير هذين الموضوعين . وانظر : دراسات فى الحديث  
النبوى للدكتور محمد الأعظمى ١ / ٩٣ .

(٥) عتبة بن فرقد صحابى جليل له ترجمة فى الإصابة ٢ / ٤٥٥ رقم ٥٤١٢، وتجرىد أسماء الصحابة ١ / ٣٧١،  
وتاريخ الصحابة لابن حبان ص ١٨٧ رقم ٩٧٩، واسد الغابة ٣ / ٥٦١ رقم ٣٥٥٧ .

رسول الله ﷺ نهى عن الحرير إلا هكذا، وأشار بأصبعيه اللتين تليان الإبهام<sup>(١)</sup>.

ومع أن الفاروق عمر كان يوصف بأنه واحد من أشد المعارضين لكتابة الحديث، ومنع تدوينها كما يزعم غلاة الشيعة، إلا أننا على العكس نراه أول مثبت لكتابة الأحاديث بهممة بتدوين السنة المطهرة.

فكان أول مقترح بتدوينها حفاظاً لها كما كان أول مقترح بتدوين القرآن الكريم تدويناً عاماً فى مكان واحد حفاظاً لكتاب الله ﷻ زمن أبو بكر الصديق ﷺ ففى همّه بكتابة السنة - ليس بمجرد الكتابة - فهى كانت مكتوبة - وإنما المراد بالكتابة تدوينها تدويناً عاماً فى مكان واحد.

وهذا الهمُّ بالتدوين فيه أبلغ حجة وأبلغ رد على غلاة الشيعة الزاعمين أن أهل السنة، وفى مقدمتهم أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - كانوا من أنصار منع تدوين السنة.

وهذا يكذبه الواقع، فعمر ﷺ عندما همَّ بتدوين السنة استشار فى ذلك أهل الحل والعقد فلم يتردد واحد منهم فى الموافقة كما جاء فى الأثر: "فأشاروا عليه بأن يكتبها"<sup>(٢)</sup> فإذا كان الأمر كما يزعمون فلماذا يَهْمُ عمر ﷺ إذن بالتدوين؟ وعلام وافقوه كلهم على هذا؟ ألا يدل هذا الهمُّ والموافقة على حجية السنة عندهم كما سبق<sup>(٣)</sup>.

ويدل على أنهم من أنصار تدوين السنة المطهرة، وحفظتها رغم أنف الرافضة! ولا يمكن أن نستنتج من همِّ عمر بالتدوين ثم عدوله عنه أنه لم يكن راغباً فى تدوين الأحاديث فى كتب أو أن التدوين منهى عنه، كلاً، إذ كيف يصح أن يهم بشئ منهى عنه ويوافقه عليه الصحابة أجمع؟

وكيف يرفض تدوين السنة فى حين أنه كتب إلى عُمّاله كتاباً كما مر فى كتابه إلى

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال، وقدر ما يجوز منه ١٠ / ٢٩٥ رقم ٥٨٢٨ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧٣، ٢٧٤ .

(٣) راجع : ما سبق فى الجواب عن شبهة النهى عن كتابة السنة ص ٣٠٦، ٣٠٨، وانظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص ٤٥٥ .

عتبة بن فرقد رضي الله عنه؟ وهو القائل "قيدوا العلم بالكتاب" <sup>(١)</sup>، وهو الجامع الوثائق الخاصة بالزكاة والخراج والمسائل المالية الأخرى <sup>(٢)</sup>، وهو نفسه الذي أدخل نظام الدواوين في الأعمال الرسمية <sup>(٣)</sup>.

كل هذه الحقائق تدحض دعوى الرافضة - الذين امتلأت قلوبهم حقداً وبغضاً على الفاروق عمر رضي الله عنه، وزعمهم أنه تزعم دعوى منع تدوين السنة، وصار على دربه الصحابة فمن بعدهم من التابعين وسائر أئمة أهل السنة.

نعم إن السنة لم تدون في عهد ابن الخطاب لأن التدوين منهي عنه، بل لعل أساسية هي : إبعاد الأمة الإسلامية عن الخطأ الأثيم الذي ارتكبه أهل الكتاب من قبل بتبديل كتاب الله التوراة، والإنجيل بوصايا الرسل وجعلوها هي الكتب المنزلة <sup>(٤)</sup>.

كذلك حفاظاً على كتاب الله تعالى والتمكين له أولاً في قلوب المؤمنين كما مر في وصيته لقرظة بن كعب رضي الله عنه وهو متوجه إلى الكوفة.

لهذا خشي أن تدون السنة فينكب عليها المسلمون، ويتشاغلوا بها عن القرآن الكريم فيتشبهون بأهل الكتاب كما قال "ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء" <sup>(٥)</sup>.

من أجل هذا فهو يمتنع عن التدوين بعد أن استشار، وظل يستخير ربه شهراً كاملاً.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب العلم ١/ ١٨٧، ١٨٨ رقمی ٣٥٩، ٣٦٠ وقال : صحيح من قول عمر، وقد أسند من وجه غير معتمد، ووافقه الذهبي وقال وصح مثله من قول أنس رضي الله عنه. وانظر : جامع بيان العلم ١ / ٧٢، وتقييد العلم ٨٧، ٨٨، وكشف اللثام عن أسرار تخريج أحاديث سيد الأنام للأستاذ الدكتور عبد الموجود ١ / ١٠٨-١١٠.

(٢) سنن أبي داود كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة ٢ / ٩٨ - ٩٩ رقم ١٥٧٠ والأموال للقاسم بن سلام ص ٣٦٧ رقم ٩٣٤.

(٣) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ / ٢٠٣، وانظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص ١٩٨.

(٤) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلین للأستاذ الدكتور رؤوف شليبي ص ١٧٠، ١٧١، وقارن بحجية السنة للدكتور عبد الغني عبد الخالق ص ٤٥٦، ٤٥٧.

(٥) سبق نشرجه ص ٢٧٣، ٢٧٤.

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى "وكان الصواب ما رأى عمر، فالعصر عصر صحابة للنبي ﷺ لا عصر تابعين، وهم أشبه ما يكون بحوارى عيسى عليه السلام، ولنا فى أهل الكتاب تجربة حين سجل أصحاب النبى عيسى عليه السلام ما سمعوه وما رأوه، نسبت الأناجيل إليهم لا إلى عيسى ولا إلى الله، ... فكان الحذر والحيلة من عمر ﷺ بالعدول عن التدوين، إذ لو فعل لم يأمن أن تتعدد كتب السنة بتعدد قائلها، وتنوع بتنوع أسماء كاتبها، فتكون أناجيل فى الأمة، ويهمل الكتاب الأصلي الذى هو درة التاج وقلادة العقد .

لمن هذه البصيرة النافذة إن لم تكن لعمر بعد النبى ﷺ؟  
ولمن هذا القول الفصل إن لم يكن للفاروق بعد الرسول ﷺ؟  
ولمن هذا الحرص الشديد إن لم يكن لهذا الغيور على دينه؟  
فياليت قومي يعلمون<sup>(١)</sup> أ.هـ.

وعودة إلى أشهر ما كتب من السنة فى زمن النبوة وبعده إلى زمن التدوين الرسمى  
٥- الصحيفة الصادقة التى كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن رسول الله ﷺ، وإن لم تصل هذه الصحيفة كما كتبها عبد الله بن عمرو بخطه فقد وصل إلينا محتواها، لأنها محفوظة فى مسند الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>، حتى ليصح أن نصفها بأنها أصدق وثيقة تاريخية تثبت كتابة الحديث على عهد رسول الله ﷺ، ويزيدنا اطمئناناً إلى صحة هذه الوثيقة أنها كانت نتيجة طبيعة محتومة لفتوى النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو، عندما أتى إلى النبى ﷺ وقال : "كنت أكتب كل شئ أسمع منك أريد حفظه فنهنتى قریش وقالوا : أتركب كل شئ تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، (هنا يفتي النبى ﷺ) فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال : اكتب، فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق"<sup>(٣)</sup>.

وآية اشتغال ابن عمرو بكتابة هذه الصحيفة وسواها من الصحف قول أبى هريرة ﷺ: "ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من

(١) السنة فى مواجهة أعدائها ص ٢٤٣، ٢٤٤ .

(٢) انظر : مسند عبد الله بن عمرو فى مسند أحمد ٢ / ١٥٨ - ٢٢٦ .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب العلم باب فى كتاب العلم ٣ / ٣١٨ رقم ٣٦٤٦ .

عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب" (١).

وهذا لا يعارضه ما روى أن أبي هريرة رضي الله عنه كان يكتب، فعن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري (٢) قال : "تحدثت عن أبي هريرة بحديث فأنكره فقلت إني سمعته منك، فقال : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي، فأخذ بيدي إلى بيته فأرانا كتباً كثيرة من حديث رسول الله ﷺ، فوجد ذلك الحديث، فقال : قد أخبرتك أني إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي" (٣).

ويمكن الجمع بين ذلك بأنه لم يكن يكتب في العهد النبوي ثم كتب بعده.

قال الحافظ ابن حجر : قلت : وأقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب، فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه" (٤).

٦- والصحيفة الصحيحة التي كتبها همام بن منبه (٥)، زوج ابنة أبي هريرة رضي الله عنه كتبها أمام أبي هريرة، وهذه الصحيفة مكانة خاصة في تدوين الحديث، لأنها وصلت إلينا كاملة سالمة كما رواها ودونها همام بن منبه عن أبي هريرة، فكانت جديرة باسم "الصحيفة الصحيحة" (٦) على مثال "الصحيفة الصادقة" لعبد الله بن عمرو بن العاص وقد سبقت الإشارة إليها.

---

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب العلم، باب كتابة العلم ١ / ٢٤٩ رقم ١١٣ .

(٢) الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري المدني، نزيل مصر، تابعي، صدوق روى عن أبي هريرة، وابن عمر، وعنه، عبيد الله بن أبي جعفر، وابن إسحاق، والمصريون. مات بالإسكندرية. له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢ / ١٠ رقم ٥٤١٦، والكاشف ٢ / ١٢١ رقم ٤٤٦٢، والثقات للعجلي ص ٣٨٣ رقم ١٣٥٠، والثقات لابن حبان ٥ / ٢٩٦ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة النوسي رضي الله عنه ٣ / ٥٨٤ رقم ٦١٦٩، وسكت عنه الحاكم وقال الذهبي : هذا منكر لم يصح، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١ / ٧٤ .

(٤) فتح الباري ١ / ٢٥٠ رقم ١٣ .

(٥) همام بن منبه هو : ابن كامل الصنعاني، أبو عتبة، أخو وهب. روى عن أبي هريرة، ومعوية، وعنه ابن أخيه عقيل بن معقل، ومعمر، متفق على توثيقه. مات سنة ١٣٢ هـ على الصحيح. له ترجمة في تقريب التهذيب ٢ / ٢٧٠ رقم ٧٣٤٣، والكاشف ٢ / ٣٣٩ رقم ٥٩٨٤، والثقات للعجلي ص ٤٦١ رقم ١٧٥٠، والثقات لابن شاهين ص ٣٤٤ رقم ١٤٧١ .

(٦) وهذه الصحيفة أخرجه الإمام أحمد بنصبها في مسنده ٢ / ٣١٢ - ٣١٩، وقد طبعت عدة مرات بتحقيق الدكتور محمد حميد الله. انظر : السنة النبوية. مكاتبتها. لفضيلة الدكتور عبد المهدي ص ١١٩، وعلوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص ٣٢ .

ونحب أن ننبه أن مصطلح "صحيفة وكتاب وجزء ونسخة ... إلخ لا يعنى بالضرورة "مجموعات صغيرة أو مذكرة عن الحديث" كما كان يعتقد أحياناً وهذا ما أكد صحته الدكتور امتياز أحمد فى كتابه "دلائل التوثيق المبكر للسنة" (١).

وهذه الكتابات السابقة وغيرها الكثير (٢)؛ تقطع بكتابة السنة المطهرة فى عصر النبوة والصحابة والتابعين (٣).

وتؤكد ما سبق وأن ذكرناه فى التوفيق بين النهى عن كتابة السنة والإذن بكتابتها، وهو أن النهى دأثر مع الخوف من علة النهى التى سبق تفصيلها، والإذن دأثر مع الأمن منها (٤).

وهذا يؤكد أيضاً أن كل من نُقل عنه (أى من الصحابة والتابعين) النهى عن كتابة السنة فقد نُقل عنه عكس ذلك أيضاً (٥)، ما عدا شخصاً أو شخصين، وقد ثبتت كتابتهم أو الكتابة عنهم، وبذلك صرح الدكتور محمد مصطفى الأعظمى (٦)، وأكد به باستفاضة فى كتابه (دراسات فى الحديث النبوى) حيث عقد الفصل الأول من الباب الرابع لبيان كتابة الصحابة ومن كتب عنهم فى حياتهم (٧)، والفصل الثانى فى "كتابة كبار التابعين، ومن كتب عنهم فى حياتهم" (٨) حتى زمن التدوين الرسمى فى عهد عمر بن عبدالعزيز رحمهم الله، بل وبعد زمنه أيضاً (٩).

(١) ص ١٤٨، ١٥٨، ١٦١ .

(٢) انظر : دراسات فى الحديث النبوى للدكتور الأعظمى ١/ ٨٤ - ١٤٢، ودلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز ص ٤٦٣ - ٥٩٠ .

(٣) وفى تلك الكتابات رد على الأستاذ محمد رشيد رضا، ومن تابعه كمحمود أبو رية، والسيد صالح أبو بكر فى أن الصحابة لم يكتبوا، وعدم كتابتهم دليل على أنهم لم يريدوا أن تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن . وسبق تفصيل الرد على ذلك ص ٣٠٦ - ٣١٤ .

(٤) راجع : علة النهى عن كتابة السنة ص ٢٩٠، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠ .

(٥) بل والندم على عدم الكتابة، كما روى عن عروة بن الزبير رحمهم الله إذ يقول : "كُتِبَ الحديث ثم محوته، فوددت أنى فديته بمالى وولدى وأنى لم أحه" . أخرجه الخطيب فى تقييد العلم ص ٦٠ .

(٦) انظر : دراسات فى الحديث النبوى ١/ ٧٦ .

(٧) انظر : المصدر السابق ١/ ٩٢ - ١٤٢ .

(٨) انظر : دراسات فى الحديث النبوى ١/ ١٤٣ - ١٦٧ .

(٩) انظر : دراسات فى الحديث النبوى ١/ ١٦٨ - ٣٢٥ . فأين كل هذا مما زعمه الدكتور موريس بوكاى من أنه ليس هناك أية مجموعة أحاديث قد ثبتت نصوصها فى عصر النبى ﷺ . انظر : دراسة الكتب المقدسة ص ١٥٢ .

كل ذلك يؤكد الحقائق التي سبق ذكرها من الفرق بين الكتابة، والتدوين وأن عمر بن عبد العزيز حينما أمر بالتدوين الرسمي للسنة لم يبدأ من فراغ ولكنه اعتمد على أصول الكتابات - التي سبق ذكر بعضها وكانت تملأ أرجاء العالم الإسلامي .

وفي ذلك رد على الصنم الأكبر للمستشرقين (جولدتسيهر) ومن تابعه من بنى جنسه، وغيرهم من المفتونين بهم من أدعياء العلم : "من أنه ليس صحيحاً ما يقال أن الحديث وثيقة للإسلام في عهده الأول .. إلخ" (١) .

### نقد قاعدة شاخت :

وأبلغ رد على "جوزيف شاخت" في أنه لا صحة لأي حديث منسوب للنبي ﷺ في أحاديث الأحكام، وأن المجموعة الأولى من أحاديث الأحكام، قد نشأت في منتصف القرن الثاني الهجري .

أبلغ رد عليه في ذلك ما سبق ذكره من كتاب النبي ﷺ إلى واليه (عمرو بن حزم ﷺ) والكتاب في الصدقات، والديات، والفرائض، والسنن،

أليس هذا الكتاب في الأحكام الفقهية التي يشكك فيها شاخت؟

وكذلك كتاب عمر إلى عامله عتبة بن فرقد بالنهاي عن الحرير، وكتابه في الزكاة، والخراج، والمسائل المالية الأخرى .

وكتاب أبي بكر لعامله أنس بن مالك لما وجهه إلى البحرين .

أليس ذلك وغيره مما ذكرناه، من أحاديث الأحكام الفقهية التي يزعم "شاخت" ومن صار على دربه أنها نشأت في منتصف القرن الثاني الهجري؟!

ويقول الدكتور ظفر إسحاق الأنصاري (٢) في نقد قاعدة شاخت : "إن قراءة عابرة لكتاب (أصول الفقه المحمدي) لجوزيف شاخت توضح أن قاعدته في البحث واستدلالاته سطحيان للغاية فقاعدته (المنهجية المزعومة) القائمة على إنكار وجود خبر أو أثر بناء على سكوت المصادر عنه، وهو ما يقوم عليه موقف شاخت من إنكار

(١) للاستزادة في الرد على هذه الشبهة انظر : الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص ٣٠٢، ٣٠٣، والسنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ١٩٥ - ١٩٧، والسنة قبل التدوين للدكتور عجاج ص ٢٤٩، ومنهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر ص ٤٦٣ - ٤٦٦ .

(٢) مدير مركز البحوث الإسلامية - بالجامعة الإسلامية - إسلام آباد - باكستان .

توثيق الأحاديث بصفة عامة. فقله : "إن حديثاً ما سيعد غير موجود فى وقت من الأوقات إذا لم يحتج بذلك الحديث فى مواطن الخلاف حيث يكون الاستدلال به أمراً لازماً"<sup>(١)</sup>.

إنَّ التجاء شاخت إلى هذه الحجة بدا كأنه يوحى بأن علماء المسلمين فى القرون الأولى كانوا فى حالة (نقاش وجدل) مستمر، وهو افتراض يرفضه العقل السليم بداهة ولا تسلم لشاخت قاعدته إلا إذا سلمنا بالافتراضات الآتية :

١- أنه كلما ذكرت الأحكام الشرعية فى القرون الأولى من الهجرة المباركة ذكرت معها أدلتها المؤيدة، ولا سيما الأحاديث .

٢- أن الأحاديث المعروفة لفقيه ما (أو محدث) ينبغى أن تعرض بالضرورة عند كل فقهاء عصره ومحدثيه فى زمنه .

٣- أن جميع الأحاديث التى (نشرت) فى عهد معين، قد دوت تدويناً كاملاً، وصارت مشهورة على نطاق واسع، وأصبحت محفوظة تماماً، بحيث أننا إذا لم نجد حديثاً فى كتاب من كتب أحد العلماء المعروفين فهذا يعنى بالضرورة، عدم وجود ذلك الحديث فى عهده، سواء فى منطقته أو فى سائر أنحاء العالم الإسلامى آنذاك .

ولا يسلم واحد من هذه الافتراضات مع الشهادات التاريخية والحقائق المعروفة فى تلك القرون الأولى :

أولاً : لأن من المصنّفات المتقدمة مدون فيها أحكام فقهية مستنبطة من آيات القرآن الكريم، ومن أحاديث نبوية دون أى إشارة إلى تلك الآيات أو الأحاديث حيث كان أولئك المؤلفون يكتبون بتسجيل آراء مذاهبهم، ولم يهتموا بالضرورة، ببيان الأحاديث عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة رضوان الله عليهم لتأييد تلك الآراء، هذا إذا كان عنده علم بها، وقد يكون سبب عدم ذكره للحديث عدم بلوغه وعلمه به أو لأنه لم يثبت عنده، أو لمعارضة الحديث لما هو أقوى منه سنداً أو دلالة، كالإمام مالك -رحمه الله- فى تقديمه عمل أهل المدينة على خبر الواحد .

ثانياً : "إن الإحاطة بحديث رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الأمة، وقد كان النبى ﷺ يحدث، أو يفتى أو يقضى، أو يفعل الشيء، فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً،

(١) أصول الفقه المحدثى ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١١ / ٦٩٨ .

ويبلغه أولئك - أو بعضهم - لمن يبلغونه، فينتهي علم ذلك إلى من شاء الله تعالى من العلماء، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. ثم في مجلس آخر قد يحدث، أو يفتى، أو يقضى، أو يفعل شيئاً، ويشهده بعض من كان غائباً عن ذلك المجلس ويبلغونه لمن أمكنهم. فيكون عند هؤلاء من العلم، ما ليس عند هؤلاء، وعند هؤلاء ما ليس عند هؤلاء. وإنما يتفاضل العلماء من الصحابة ومن بعدهم، بكثرة العلم، أو جودته. وأما إحاطة واحد بجميع حديث رسول الله ﷺ، فهذا لا يمكن ادعاؤه قط. واعتبر ذلك بالخلفاء الراشدين ﷺ الذين هم أعلم الأمة بأمر رسول الله ﷺ وسنته، وأحواله.

وإذا كان هذا هو حال أعلم الأمة وأفقهها، وأتقها وأفضلها؛ فمن بعدهم أضعف وخفاء بعض السنة عليهم أولى، فلا يحتاج ذلك إلى بيان.

فمن اعتقد، أن كل حديث قد بلغ كل واحد من الأئمة، أو إماماً معيناً، فهو مخطئ خطأ فاحشاً قبيحاً<sup>(١)</sup>.

ثالثاً : لا يسلم الافتراض الثالث لما هو معلوم، وسيأتى أن السنة النبوية قد مرت بمراحل ثلاث : ١- الكتابة، ٢- التدوين، ٣- التصنيف.

"ولا يقولنَّ قائلٌ : إنَّ هذه الأحاديث قد دونت وجمعت فحفظوها والحال هذه بعيد، لأن هذه الدواوين المشهورة في السنن، إنما جمعت بعد ذهاب الأئمة المتبوعين (رحمهم الله) ومع هذا، فلا يجوز أن يدعى انحصار حديث رسول الله ﷺ في دواوين معينة.

ثم لو فرض انحصار حديث رسول الله ﷺ فيها، فليس كل ما في الكتب يعلمه العالم، ولا يكاد ذلك يحصل لأحد، بل قد يكون عند الرجل الدواوين الكثيرة، وهو لا يحيط بما فيها"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا لم يسلم واحد من الافتراضات الثلاثة حتى تسلم لشاخص قاعدته.

يقول الدكتور ظفر : "ويكون من المفيد البحث عن الأحاديث التي وجدت في الكتب السابقة، ولكنها لم تذكر في الكتب اللاحقة، وهذا يعني إمكان العمل على

(١) رفع الملام عن الأئمة لأعلام لابن تيمية ص ٩، ١٠، ١٧، وانظر : علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص ٣٠٣ وما بعدها.

(٢) رفع الملام عن الأئمة لأعلام ص ١٧، ١٨.

طريق معاكس لافتراض شاخت، وهذا سوف يأتي بنتائج مهمة للغاية، لأنه إذا كان من الممكن وهو في نظرنا من الممكن - أن تثبت أن كثيراً من الأحاديث الواردة في كتب متأخرة، فضلاً عن الكتب المعاصرة، وكان ذلك لأن فقهاء العصر الذي نتكلم عنه لم يعتبروا أنفسهم ملزمين بذكر الأحاديث الكثيرة التي عرفوها ولو كانت مؤيدة لأرائهم، هذا فضلاً عن الأحاديث التي لم يحيطوا بها علماً كما سبق، فهذا كله يضع استدلال شاخت موضع شكوك خطيرة، ويبطل قاعدته التي على أساسها كان تشكيكه في الأحاديث والوثوق بها بصفة عامة وحتى يظهر بطلان قاعدة شاخت قام الدكتور ظفر بعقد مقارنة لطائفة من الآراء الفقهية لبعض فقهاء القرن الثاني الهجري، وذلك من خلال مقارنة "موطأ الإمام مالك" برواية (يحيى الليثي)<sup>(١)</sup> ورواية (الشييباني)<sup>(٢)</sup> حيث أن عدداً كبيراً من الأحاديث الموجودة بموطأ مالك برواية يحيى الليثي، ولا توجد بموطأ رواية الشييباني. على الرغم من أن الشييباني كان الأصغر سناً، وتأخر عهده عن الإمام مالك. والأعجب من ذلك أننا نرى أحياناً أن بعض أحاديث الموطأ للإمام مالك التي تؤيد آراء مذهب الإمام الشييباني، لا توجد في موطأ الشييباني أصلاً.

وهذا مثلاً لتأكيد ما قلناه: يشتمل باب أوقات الصلاة في الموطأ برواية يحيى الليثي على ثلاثين حديثاً<sup>(٣)</sup>، بينما لا نجد منها في موطأ مالك برواية الشييباني<sup>(٤)</sup> إلا أربعة أحاديث<sup>(٥)</sup>.

(١) يحيى الليثي هو: يحيى بن يحيى بن كثير الليثي مولاهم القرطبي، أبو محمد، صدوق فقيه، قليل الحديث، وله أوهام مات سنة ٢٣٤هـ، على الصحيح. له ترجمة في: تقريب التهذيب ٢/ ٣١٨ رقم ٧٦٩٧، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٠٠ رقم ٥٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥١٩ رقم ١٦٨، وشذرات الذهب ٢/ ٨٢، والديباج المذهب ص ٤٣١ رقم ٦٠٨.

(٢) الشييباني: هو محمد بن الحسن الشييباني صاحب أبي حنيفة، قال في الميزان: لينة النسائي وغيره من قبل حفظه. وقال ابن عدي لم تكن له عناية بالحديث، وقد استغنى أهل الحديث عن تخريج حديثه وكان من محور العلم قوياً في مالك. له ترجمة في: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٤ رقم ٤٥، ولسان الميزان ٥/ ١٢١ رقم ٤١٠، ووفيات الأعيان ٤/ ١٨٤ رقم ٥٦٧، وشذرات الذهب ١/ ٣٢١، والمروحين لابن حبان ٢/ ٢٧٥، والجرح والتعديل ٧/ ٢٢٧ رقم ١٢٥٣.

(٣) انظر: الموطأ برواية يحيى الليثي ١/ ٣٧ وما بعدها.

(٤) انظر: الموطأ برواية الشييباني ص ٣١ وما بعدها.

(٥) انظر: مؤتمر السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة ٢/ ٥٨٧ - ٥٩٥، وانظر: توثيق الأحاديث النبوية (نقد قاعدة شاخت، للدكتور ظفر ترجمة الأستاذ جمال محمد نقلا عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١١ / ٦٩٤ - ٧٠٦. ومزيد من الرد على شاخت في كتابه أصول الفقه الحمدي، انظر: دراسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي ٢/ ٤٤٠ - ٤٥٦.

وهكذا مرت السنة النبوية منذ عهد النبوة المباركة بمراحل ثلاث حتى ظهور المصنفات الحديثة : ١- الكتابة ٢- التدوين ٣- التصنيف .

وفى ذلك يقول العلامة فؤاد سزكين فى "تاريخ التراث العربى" يقول : "فقد مرت مكتبة الحديث بالمراحل التالية :

أ- كتابة الأحاديث : وقد سجلت الأحاديث فى هذه المرحلة فى كراريس الواحد منها له اسم الصحيفة أو الجزء، وتمت هذه المرحلة فى عصر النبوة والصحابة وأوائل التابعين .

ب- تدوين الحديث : وفى هذه المرحلة ضمنت التسجيلات المتفرقة، وتم هذا فى الربع الأخير من القرن الأول للهجرة، والربع الأول من القرن الثانى .

ج- تصنيف الحديث : وقد رتب الأحاديث فى هذه المرحلة وفق مضمونها، فى فصول وأبواب، وبدأ هذا مع الربع الثانى من القرن الثانى، واستمر إلى أن ظهرت فى أواخر القرن الثانى للهجرة طرق أخرى لترتيب الأحاديث وفق أسماء صحابة رسول الله ﷺ فى كتب يحمل الواحد منها اسم المسند<sup>(١)</sup> أهد .

حتى إذا أطل علينا القرن الثالث الهجرى كانت السنة النبوية قد استقرت فى بطون الكتب المعروفة لدينا الآن وعلى رأسها الكتب الستة<sup>(٢)</sup> ومسند الإمام أحمد، ومن أجل هذا، ولأنه العصر الذى تميز فيه صحيح السنة من ضعفها اعتبره العلماء العصر الذهبى للسنة المطهرة<sup>(٣)</sup> .

---

(١) تاريخ التراث العربى المجلد ١ / ١١٩، وانظر : السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور روعف شلبى ص ١٦٠ - ١٩٥، وتوثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته للدكتور رفعت فوزى ص ٢٣ - ٧١ .

(٢) الكتب الستة هى صحيح البخارى ومسلم، وسنن كل من : الترمذى، والنسائى، وأبو داود، وابن ماجه وهناك غيرها كثير صدر فى القرن الثالث الهجرى وفيما بعده من القرون مثل سنن الدارمى، والدارقطنى، وصحيح ابن حبان، وابن خزيمة، ومصنف ابن أبى شيبة، وسنن سعيد بن منصور، وسنن البيهقى، وغيرها كثير وكثير . انظر : الرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٠ - ٦٢، وفى رحاب السنة الكتب الصحاح الستة لدكتور محمد أبو شهبة ص ٢٥ - ٢٨ .

(٣) انظر : لغة عابرة عن التدوين فى القرنين الثانى والثالث بعبارة موجزة للحافظ ابن حجر فى هدى السارى ص ٨ - ٩، والحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص ٣١٦ - ٤٢٠، وعلوم الحديث للدكتور مروان شاهين ص ٦٧ - ٩٠ . وانظر : مقارنة بين الأسس التى تم بموجبها جمع وتدوين السنة النبوية ومقارنة ذلك بطرق وجمع وتدوين الأنجيل فى منهجية جمع السنة وجمع الأنجيل للدكتورة عزيزة على طه ص ٤٨٠ - ٤٩٣ .

هذا ولم يكن تدوين السنة قائماً على المكتوب فقط وإنما كان قائماً جنباً إلى جنب بجانب المحفوظ في الصدور، فالعبرة عند المحدثين بالعدالة، والضبط وهو نوعان :

١- ضبط صدر وهو : أن يحفظ الراوى ما سمعه ويثبت منه ويعيه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء إن حدث حفظاً .

٢- ضبط كتاب وهو : أن يصون الراوى كتابه من أن يتطرق إليه خلل من حين كتابته أو سماعه إلى أن يؤدي منه ولا يدفعه إلى من يمكن أن يغير فيه إن كان منه يروى<sup>(١)</sup> وعلى هذين النوعين كان تبليغ سنة النبي ﷺ على مر العصور، وبالحفظ أكثر في القرون الأولى<sup>(٢)</sup> .

كما أن الحفظ أقوى من الكتابة لبعده عن التصحيف والغلط، ومن هنا فهو مرجح على المكتوب إذا تعارض حديث مسموع وحديث مكتوب .

قال الآمدي : "وأما ما يعود إلى المروى فترجيحات الأول : أن تكون رواية أحد الخبرين عن سماع من النبي ﷺ والرواية الأخرى عن كتاب، فرواية السماع أولى: لبعدها عن تطرق التصحيف والغلط"<sup>(٣)</sup> .

ويدل على أن الكتابة دون الحفظ قوة ما هو مقرر عند أهل الحديث والأصول أن أعلى وجوه الأخذ من الشيخ سماع لفظه، واتفاقهم على صحة رواية الحديث بالسماع<sup>(٤)</sup>، واختلافهم في صحة الرواية بطريق المناولة أو المكاتبة . مع ترجيح تصحيحهما<sup>(٥)</sup> .

(١) توضيح الأفكار ٢/ ١١٩-١٢٠، وتدريب الراوى ١/ ٣٠١، وفتح المغيث للسخاوى ١/ ٣١٤، وانظر : مقاصد الحديث في القديم والحديث لفضيلة الدكتور مصطفى التنازى ٢/ ٦٤، واختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث للدكتور عبد الله شعبان ص ٣٩٧-٤٠٩ .

(٢) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى مبحث (الكتابة ليست من لوازم الحجية والكتابة لا تفيد القطع) ص ٣٩٩-٤٠٢، والمكانة العلمية لعبد الرزاق بن همام في الحديث النبوى لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفاتر مبحث "الكتابة ليست أوثق من الحفظ القلبي إذا توافرت دواعيه" ١/ ٢٣٩، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم ٢٣٣٢ لسنة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م .

(٣) الإحكام للآمدي ٤/ ٢١٥، وانظر : الاعتبار في النسخ والنسخ للحماسى ص ٦٤ .

(٤) تدريب الراوى ٢/ ٨، وفتح المغيث للسخاوى ٢/ ٢٠، وتوضيح الأفكار ٢/ ٢٩٥ .

(٥) تدريب الراوى ٢/ ٤٤-٥٨، وفتح المغيث للسخاوى ٢/ ١٠٠-١٢٧، وتوضيح الأفكار ٢/ ٣٢٩ - ٣٤٣، وإرشاد الفحول ١/ ٢٥٢، ٢٥٣ .

وفوق كل هذا دلالة على قوة الحفظ فى المكانة عن الكتابة أن الاعتماد فى نقل القرآن الكريم والقطع به، إنما حصل على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب . فالحفظ وحده كان الاعتماد عليه فى نقل القرآن الكريم فى عهد النبى ﷺ، وعمر وسنين من عهد عثمان، لأن تلك القطع التى كتب فيها القرآن فى عهد النبى ﷺ كانت مفرقة عند بعض الصحابة لا يعرفها إلا من هى عنده، وسائر الناس غيره يعتمدون على حفظهم . ثم لما جمعت فى عهد أبى بكر لم تنشر هى ولا الصحف التى كتبت عنها، بل بقيت عند أبى بكر، ثم عند عمر، ثم عند ابنته حفصة أم المؤمنين حتى طلبها عثمان، ثم اعتمد عليه فى عامة المواضع التى يحتمل فيها الرسم وجهين أو أكثر، واستمر الاعتماد عليه حتى استقر تدوين القراءات الصحيحة<sup>(١)</sup>، وكان الاعتماد عليها وعلى نقل القرآن بالحفظ .

يقول المحقق ابن الجزرى : <sup>(٢)</sup> "ثم إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب . وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، ففى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال : "إن ربي قال لى قم فى قريش فأنذرهم، فقلت له : أى رب إذن يثْلغُوا رأسى حتى يدعوه خُبْرَةٌ فقال : إني بمثليكم ومبتل بك، ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤهُ نائماً ويَقْطُانُ، فابعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك"<sup>(٣)</sup> . فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج فى حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأ فى كل حال كما جاء فى صفة أمته : "أناجيلهم صدورهم" . وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا فى الكتب، ولا يقرأونه كله إلا نظراً، لا عن ظهر قلب"<sup>(٤)</sup> .

(١) الأنوار الكاشفة عبد الرحمن المعلمى ص ٧٧ .

(٢) ابن الجزرى هو: محمد بن محمد بن على بن يوسف بن الجزرى، أبو الخير، كان إماماً فى القراءات لا نظير له، حافظاً للحديث وغيره أتمن منه، ولى قضاء الشام وسيراز، من مؤلفاته : النشر فى القراءات العشر، وطبقات القراء، وغير ذلك مات سنة ٨٣٣هـ . له ترجمة فى : طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٤٩ رقم ١١٨٣، والدرر الكامنة لابن حجر ٣/ ٣٩٥، وطبقات المفسرين للدوادى ٢/ ٦٤ رقم ٤٣٠، وشذرات الذهب ٧/ ٢٠٤، والبدر الطالع للشوكانى ٢/ ٢٥٧ .

(٣) مسلم (شرح التوى) كتاب الجنة، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٩/ ٢١٤ رقم ٢٨٦٥ .

(٤) النشر فى القراءات العشر ١/ ٦، وانظر : حجة السنة للدكتور عبد الغنى ص ٤٠٧، ومناهل العرفان للشيخ الزرقانى ١/ ٢٤٣ .

ويقول الشيخ محمد الزرقاني -رحمه الله- : "قلنا غير مرة إن المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقى والأخذ، ثقة عن ثقة، وإماماً عن إمام إلى النبي ﷺ، وإن المصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا الباب، إنما هي مرجع جامع للمسلمين، على كتاب ربهم، ولكن في حدود ما تدل عليه وتعينه، دون ما لا تدل عليه ولا تعينه. وقد عرفت أن المصاحف لم تكن منقوطة، ولا مشكولة، وأن صورة الكلمة فيها كانت لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة، وإذا لم تحملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه في مصحف، ثم كتبت في مصحف آخر بوجه آخر وهلم جرأً. فلا غرو أن كان التعويل على الرواية والتلقى هو العمدة في باب القراءة والقرآن<sup>(١)</sup>.

نقول : كل هذا رداً على من يشككون في تلوين السنة على المحفوظ في الصدور بحجة أن الحفظ خوان<sup>(٢)</sup>، وقوة حفظ الحفاظ خرافة<sup>(٣)</sup>، لأن الحفظ وإن كان خوان وضعيف عندهم وعند أهل العصور المتأخرة في زماننا فلا يصح هذا القول في عرب العصور الأولى الذين كان جُل اعتمادهم في تواريتهم وأخبارهم وسائر أحوالهم على الحفظ<sup>(٤)</sup>.

وازداد عندهم هذا الأمر بعد دخولهم في الإسلام، وقبضهم الله ﷻ لحفظ الشرع وصيائنه وحمله وتبليغه لمن بعدهم<sup>(٥)</sup>.

فكانوا يتذكرون حديث رسول الله ﷺ فرادى أو مجتمعين مع اليقظة، وشدة التحري، وبذل الوسع في إصابة النص الوارد عن المعصوم ﷺ وحفظه، عملاً بتوجيهه، في الحث على حفظ السنة وتبليغها في قوله: "نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه"<sup>(٦)</sup> وقوله ﷺ لوفد عبد القيس - بعد أن أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع :

(١) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٤١١ .

(٢) أضواء على السنة ص ٢٦٨ .

(٣) دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ / ٥٧١، وانظر : بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمن لاسماعيل منصور ص ٢٣، ١٣٣ .

(٤) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغني ص ٤٠٣، وضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير ص ١٢٦ .

(٥) انظر : حجية السنة ص ٤٠٤، وضوابط الرواية عند المحدثين ص ١٢٤، ١٢٨، ومبحث نوادر الحفظ وعجائب الحفاظ ص ١٢٩ .

(٦) سبق تخريجه ص ٣٩ .

"احفظوه وأخبروا به من وراءكم" (١) .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : "كنا نكون عند النبي ﷺ، وربما كنا نحواً من ستين إنساناً فيحدثنا رسول الله ﷺ، ثم يقوم فنتراجعه بيننا، هذا، وهذا، وهذا، فنقوم وكأننا قد زرع في قلوبنا" (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "إنى لأجزئ الليل ثلاثة أجزاء فثلث أنام وثلث أقوم، وثلث أتذكر أحاديث رسول الله ﷺ (٣) . كما كان ابن عباس وزيد بن أرقم يتذاكران السنة (٤) ، كما تذاكر أبو موسى وعمر بن الخطاب حتى الصبح (٥) .

وحفلت مذاكرة السنة بتوجيه الرسول ﷺ وتقريره لها .

فعن معاوية بن أبي سفيان قال : ... وكنت مع النبي ﷺ يوماً فدخل المسجد فإذا هو يقوم في المسجد قعود، فقال النبي ﷺ : ما يقعدكم؟ قالوا : صلينا الصلاة المكتوبة ثم قعدنا نتذاكر كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فقال ﷺ : "إن الله إذا ذكر شيئاً تعظم ذكره" (٦) .

بل كان ﷺ يستمع لمذاكرتهم، ويوجههم إلى الدقة في الحفظ وبذل الطاقة في إدراك النص وحفظه كما جاء في حديث البراء بن عازب وتعليم النبي ﷺ له دعاء النوم، فلما سمعه من رسول الله ﷺ قال : "فرددتهن لاستذكركهن فقلت آمنت برسولك الذي أرسلت قال قل : آمنت بنبيك الذي أرسلت" (٧) .

وفي الحث على مذاكرة السنة وحفظها كان الصحابة رضي الله عنهم يحضون ، فهذا

(١) سبق تخريجه ص ٢٨٣ .

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه ٢/ ٢٦٣ رقم ٩٥٠، والإمام للقاضي عياض ص ١٤٢ .

(٣) الدارمي في سننه المقدمة، باب العمل بالعلم وحسن النية فيه ١/ ٩٤ رقم ٢٦٤، والجامع لأخلاق الراوي ٢ / ٣٢٠، ٣١٩ .

(٤) مسند أحمد ٤/ ٣٧٤ .

(٥) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه ٢/ ٢٦٧ رقم ٩٥٤ .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم، باب إن الله تعالى إذا ذكر شيئاً تعظم ذكره ١/ ١٧٢ رقم ٣٢١ وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي .

(٧) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة مواضع منها : كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء ١/ ٤٢٦ رقم ٢٤٧، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٩/ ٣٨ رقم ٢٧١٠ واللفظ له .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : "تذاكروا الحديث فإنكم إلا تفعلوا يندرس" (١) .

وعن أبي سعيد الخدري عليه السلام قال : "تذاكروا الحديث فإن مذاكرة الحديث تهيج الحديث" (٢) وروى مثل ذلك عن ابن سعود وابن عباس وغيرهم، وعلى دربهم صار التابعون فمن بعدهم (٣) .

**الجواب على ما يزعمه بعض غلاة الشيعة بأن لهم فضل السبق في التدوين :**

سبق وأن فصلنا بالأدلة القوية أن السنة النبوية كُتبت في عهد النبوة وبإذنه عليه السلام كما أنها كُتبت في عهد الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وأصبحت كتابة السنة في مرحلة مبكرة (في عصر النبي نفسه) حقيقة لا تقبل الشك ولا ينكرها إلا جاحد، وعلى تلك الكتابات بجوار المحفوظ في الصدور اعتمد عمر بن عبد العزيز في التدوين الرسمي للسنة المطهرة فكان له الفضل كل الفضل رغم أنف أعداء السنة المطهرة (٤) .

ولم لا يكون له الفضل وقد تحقق على يده ما تنبأ به النبي ﷺ (٥) من تدوين سنته المطهرة في قوله ﷺ : "أى الخلق أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا الملائكة قال : وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ وذكروا الأنبياء قال : وكيف لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ قالوا فتحن؟ قال وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ قالوا فمن يا رسول الله؟ قال قوم يأتون بعدكم يحدون صحفاً يؤمنون بها" (٦) . قال الحافظ السخاوى :

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم، باب فضيلة مذاكرة الحديث ١/ ١٧٣ رقم ٣٢٤ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم، باب فضيلة مذاكرة الحديث ١/ ١٧٣ رقم ٣٢٣ .

(٣) انظر : دراسات في الحديث للدكتور الأعظمي ٢/ ٣٣٠ - ٣٣٤، وانظر : كشف اللثام للدكتور عبد الموجود ١/ ٧٢ - ٧٩ .

(٤) كلإسماعيل منصور الذى وصف تدوين الخليفة عمر بن عبد العزيز بأنه "كان مخالفاً للمنهاج النبوى الأمثل، ولمنهاج الصحابة الأفاضل، كل المخالفة، وبذلك فقد وقعت به أكبر كارثة في تاريخ المسلمين" - انظر تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٣٢، والرافضى على الشهرستانى يصفه بعدم خلوص النية في التدوين . انظر : منع تدوين الحديث ص ٣٠٩ .

(٥) بل وكان فعله عليه السلام تحقيقاً لما هم به أبيه عبد العزيز بن مروان عندما كان والياً على مصر، وحده عمر بن الخطاب - رضى الله عنهم أجمعين - انظر : السنة قبل التدوين ٣٧٣ - ٣٧٥ .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة باب ذكر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين ٤/ ٩٦ رقم ٦٩٩٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي بل محمد ابن أبى حميد ضعفه . والحديث عزاه الهيثمى إلى البزار بسند حسن في مجمع الزوائد ١٠/ ٦٥، وأشار إلى تصحيحه الحافظ السخاوى في فتح المغيث ٢/ ١٤٠ . وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٢، ٤١ .

استدل بهذا الحديث على الوجدادة وهو علم من أعلام النبوة من إخباره عما سيقع، وهو تدوين القرآن وكتبه في صحفه وكتابة الحديث" (١).

ويقول الدكتور على السالوس : رداً على دعوى أن الشيعة لهم فضل السبق في التدوين قال : "والفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام، ولها عقائد خاصة بها، لم تظهر كتبها إلا بعد استقرار عقائدها، ووضوحها لدى معتنقيها. وهذا أمر بديهي؛ لأن الكتب إنما توضع لتأييد هذه العقائد، والدعوة لها، فلا بد أن تسبق العقائد هذه الكتب بل إن هناك مرحلة تلي العقائد وتسبق الكتب، وهي وضع الأخبار وتناقضها والاحتجاج بها قبل أن تجمع في كتاب، وقبل أن يوضع كتاب مرة واحدة.

فبالنسبة للشيعة مثلاً : وجدنا بعد موت كل إمام حدوث تفرق جديد، فكانت كل فرقة تحتج بأخبار تؤيد ما انتهت إليه في تلك المرحلة، إلى أن تصل إلى الإمام الأخير الذي تستقر عنده آراؤها، وما كانت أى فرقة لتضع أخباراً في إمام إلا بعد ولادته، لأنها لا تعلم الغيب في واقع الأمر، وإن زعم منها من زعم أنه يعلم مثل هذا العلم".

ثم أخذ فضيلة الأستاذ الدكتور السالوس يؤكد كلامه ببعض ما جاء في كتاب من كتب الشيعة أنفسهم، وهو كتاب فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي، وسعد بن عبد الله القمي، والاثني عشر عاشا في القرن الثالث، وأدركا بداية القرن الرابع وبعد أن فصل ذلك قال : "ونلاحظ أن كل هذه الفرق أكدت أن الحسن العسكري لا خلف له ما عدا فرقة مع فرقة الإمامية. ومعنى هذا أن الشيعة الإثني عشرية لم تبدأ في وضع الأخبار التي تتصل بالإثني عشر إماماً إلا بعد الحسن العسكري، أى في النصف الثاني من القرن الثالث. وبعد هذا تبدأ مرحلة الكتب. والواقع العملي يؤيد ما بينته هنا، فكذب الحديث الأربعة المعتمدة عندهم أولها ظهر في القرن الرابع، وهو الكافي - الذي يعد عندهم مثل البخاري عندنا - ثم جاء بعده باقي الكتب" (٢)، فأين فضل سبق التدوين الذي يزعمونه كذباً؟!

(١) فتح المغيث للسخاوي ٢ / ١٤٤٤ .

(٢) مع الشيعة الإثني عشرية ٣ / ٨٣-١٠٤، وراجع كيفية أخذ الشيعة العلم من أهل البيت، وكيف أن جميع فنونهم من الكلام والعقائد والتفسير وغيرها مستمدة من كتب غيرهم، وانظر حال رواة كتب الحديث الأربعة عندهم والمملوءة من هو فاسد العقيدة، وكذاب بإجماعهم، في مختصر التحفة الإثني عشرية للألوسي ٦٦، ٦٩ . وانظر : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية للدكتور عمر الفرمای مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، وأصول الحديث للدكتور عبد الهادي الفضلي ص ٤٧-٦١ .

الجواب على ما يزعمه بعض الرافضة أن أهل السنة وفي مقدمتهم أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- أضاعوا سنة نبيه ﷺ :

هذا الزعم بهتان عظيم لا يجرؤ على القول به إلا شيعة غلاة ملاحدة ومن قال بقولهم من أعداء الإسلام؛ لأن السنة النبوية من الذكر الذي وعد رب العزة بحفظه في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وسبق تفصيل ذلك بأدلته من الكتاب، والسنة، والعقل، والتاريخ<sup>(٢)</sup>.

ولو كانت السنة النبوية المطهرة ضائعة غير محفوظة كما يزعم الرافضة ما طالب رب العزة عباده باتباع سنة نبيه ﷺ والتحذير من مخالفة أمره، كما قال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٤)</sup>.

ثم كيف يصح أن يسند رب العزة إلى نبيه ﷺ مهمة البيان في قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ثم يضع هذا البيان؟!!

وكيف يصح أيضاً أن يطالب النبي ﷺ أمته بالتمسك بسنته كما قال ﷺ : "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ"<sup>(٦)</sup> وقال ﷺ : "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله عز وجل وسنتي"<sup>(٧)</sup> فلو كانت السنة المطهرة غير محفوظة أو يمكن أن يلحقها التحريف والتبديل والضياح لكان ذلك القول تكذيب لرب العزة بما أخبر به في كتابه من الوعد بحفظ سنة نبيه ﷺ التي أمرنا باتباعها وتحكيمها في كل شئون حياتنا، وذلك في عشرات الآيات القرآنية.

(١) الآية ٩ من سورة الحجر .

(٢) راجع : ص ٢٠٣-٢١٦ .

(٣) الآية ٦٣ من سورة النور .

(٤) الآية ٧ من سورة الحشر .

(٥) الآية ٤٤ من سورة النحل .

(٦) سبق تخريجه ص ٤٤ .

(٧) سبق تخريجه ص ٢٠١ .

فالقول بضياح السنة النبوية لا يقوله مسلم، ويكذبه الواقع التاريخي الذي يشهد بنقل سنة النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير حتى الحركات والسكنات، وبالجملة نقلت حياته كلها برمتها في عباداته ومعاملاته، في سلمه وحربه، وفي نومه وبقظته، في أدق الأمور، وفيما نعه من أسرار حياتنا، كمعاشرته، وما يقوله عندما يخرج من بيته، إلى غير ذلك نقلت حياته برمتها وكرلياتها وجزئياتها بماذا؟ بأدق طرق النقل الذي لا تعرف له الدنيا مثيلاً، فكان في ذلك التطبيق، وكان في ذلك النقل، وكان في ذلك التدوين إشارة قوية إلى أن الله ﷻ تكفل بحفظ هذه السنة النبوية بما هيأ لها من رجال أفنوا أعمارهم في ضبطها والسهر عليها، وتدوينها، وحفظها، وشرحها وتمييز صحيحها من سقيمها، فنقشوها في صفحات قلوبهم الأمانة، وفي كتبهم الواعية، فكان تكفله ﷻ بحفظ كتابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup> يشمل السنة النبوية حيث قبض الله لها من ثقات الحفظة من الرواة الثقات العدول، والأئمة الأعلام ما قبض لكتابه العزيز من ثقات الحفظة في كل قرن، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها<sup>(٢)</sup>.

وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي في المسألة الثانية عشرة: (هذه الشريعة معصومة من الضياع والتبديل إلى أن تقوم الساعة) بعد أن تحدث عن حفظ القرآن الكريم وقال فيه "أما القرآن الكريم فقد قبض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر، فضلاً عن القراء الأكابر" قال عن حفظ السنة النبوية: ثم قبض الحق سبحانه رجالاً يبحثون عن الصحيح من حديث رسول الله ﷺ، وعن أهل الثقة والعدالة من النقلة، حتى ميزوا بين الصحيح والسقيم، وتعرفوا التواريخ وصحة الدعاوى في الأخذ لفلان عن فلان، حتى استقر الثابت المعمول به من أحاديث رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> في بطون كتب السنة الموجودة بين أيدينا الآن، ولم يفقد

(١) الآية ٩ من سورة الحجر.

(٢) مؤتمر السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة، بحث للشيخ عز الدين الخطيب، وتعقيب فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ٢ / ٥٥٨ - ٥٦٠، ٦٠٢ بتصرف وتقديم وتأخير.

(٣) الموافقات للشاطبي ٢ / ٣٦٨ - ٣٧١، وراجع من نفس المصدر ١ / ٣٢، ٧٠. مقابلة بما سبق في الرد على شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها ص ٢٠٣-٢١٦.

منها شيء. يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - : "لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن ... وليس قليل ما ذهب من السنن على من جمع أكثرها : دليلاً على أن يطلب علمه عند غير طبقته من أهل العلم، بل يطلب عند نظرائه ما ذهب عليه، حتى يأتي على جميع سنن رسول الله ﷺ، بأبي هو وأمي، فيتفرد جملة العلماء بجمعها وهم درجات فيما وعوا منها"<sup>(١)</sup>.

يقول الأستاذ أحمد شاكر - رحمه الله - معقّباً على كلام الإمام الشافعي : "هذا الذي قاله الشافعي في شأن السنن : نظر بعيد، وتحقيق دقيق، وإطلاع واسع على ما جمع الشيوخ والعلماء من السنن في عصره، وفيما قبل عصره. ولم تكن دواوين السنة جمعت إذ ذاك، إلا قليلاً مما جمع الشيوخ مما رويوا. ثم اشتغل العلماء الحفاظ بجمع السنن في كتب كبار وصغار، فصنف أحمد بن حنبل - تلميذ الشافعي - مسنده الكبير المعروف، وقال يصفه : "إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبع مائة وخمسين ألفاً، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه، فإن كان فيه، وإلا فليس بحجة. ومع ذلك فقد فاتته شيء كثير من صحيح الحديث، وفي الصحيحين أحاديث ليست في المسند.

وَجَمَعَ العلماء الحفاظ الكتب الستة، وفيها كثير مما ليس في المسند، ومجموعها مع المسند يحيط بأكثر السنة، ولا يستوعبها كلها. ولكننا إذا جمعنا ما فيها من الأحاديث مع الأحاديث التي في الكتب الأخرى المشهورة، كمستدرك الحاكم، والسنن الكبرى للبيهقي، والمنتقى لابن الجارود، وسنن الدارمي، ومعجم الطبراني الثلاثة، ومسند أبي يعلى، والبزار: إذا جمعنا الأحاديث التي في هذه الكتب استوعبنا السنن كلها إن شاء الله، وغلب على الظن أن لم يذهب علينا شيء منها، بل نكاد نقطع به. وهذا معنى قول الشافعي : "فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن". وقوله فيتفرد جملة العلماء بجمعها" وكان الشافعي قد قاله نظراً، قبل أن يتحقق بالتأليف عملاً، لله دره"<sup>(٢)</sup>. أ.هـ.

(١) الرسالة للشافعي ص ٤٢، ٤٣ رقم الفقرات ١٣٩، ١٤٠، ١٤١ .

(٢) هامش الرسالة للشافعي ص ٤٣، ٤٤ .

وبعد

فهذه سنة النبي ﷺ مستقره في بطون الكتب المعتمدة من علماء الأمة الثقات مميزاً صحيحها من ضعيفها فمنها :

ما هو معلوم الصحة كالصحيحين (للبخارى والمسلم)، والموطأ والمستخرجات، وصحيح ابن حبان، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح أبي عوانة، والصحاح لابن السكن، والمنتقى لابن الجارود، والمختارة لضياء المقدسى، ومستدرك الحاكم على ما فيه من تعقبات<sup>(١)</sup>.

ومنها ما جمع بين الصحيح، والحسن، والضعيف وهو منبه عليه في كتبهم أو مميزاً محكوم عليه في تخريجاتهم، وذلك ككتب السنن وعلى رأسها السنن الأربعة : وهي سنن أبي داود، والترمذى والنسائى، وابن ماجة، وكذا سنن الدارمى، والدراقطنى وسنن سعيد بن منصور، والسنن الكبرى للبيهقى، وغيرها الكثير<sup>(٢)</sup>، هذا فضلاً عن كتب المسانيد، ومن أشهرها وأجمعها مسند الإمام أحمد، ومسند أبى يعلى الموصلى، ومسند أبى داود الطيالسى وغيرهم الكثير<sup>(٣)</sup>. وكذا كتب المصنفات كمصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبى شيبه<sup>(٤)</sup>، وكتب المعاجم ومن أشهرها معاجم الطبرانى الثلاثة (الصغير، والكبير، والأوسط)<sup>(٥)</sup>.

وهذه الكتب الحديثة وغيرها الكثير تتحدى في طرق جمعها وتدوينها وصحتها طرق أهل الكتاب فى جمع وتدوين عهدهم القديم والجديد<sup>(٦)</sup>.

وتتحدى طرق الشيعة الرافضة الممتلئة كتبهم وعلى رأسها أصولهم الأربعة (الكافى) و(من لا يحضره الفقيه) و(التهذيب) و(الاستبصار) بالكذابين والملاحدة، والشعوبيين، وفاسدى العقيدة، والمذمومين من أئمتهم، وكل ما يخطر ببالك من نقائص ورغم هذا

(١) الرسالة المستطرفة ص ٢٠ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ٦٢ .

(٤) الرسالة المستطرفة ص ٤٠ .

(٥) المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٦) راجع : منهجية جمع السنة وجمع الأنجيل للدكتورة عزة على طه ، ص ٤٦٠-٥٥٠ حيث عقدت مقارنة بين السير الذاتية لأصحاب الكتب الستة وبين سير أصحاب أسفار العهد الجديد، وبين شروط الحديث الصحيح عند علماء الحديث، وتطبيق هذه الشروط على أسفار العهد الجديد .

يصرح علماؤهم بأن كل ما في هذه الأربعة صحيح واجب العمل به<sup>(١)</sup>، وسبب ذلك أن دينهم من أصله فاسد، وهل يثمر الفساد إلا الفساد؟<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

---

(١) انظر : أصول الحديث للدكتور عبد الهادي الفضلي ص ٢١٠-٢١٩ .

(٢) انظر: مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٦٩ . ومقدمة محقق الكتاب الأستاذ محب الدين الخطيب .

## ثالثاً : شبهة رواية الحديث بالمعنى والرد عليها

زعم أعداء السنة من غلاة الشيعة، والمستشرقين، ودعاة اللادينية : أن تأخر تدوين السنة كان له ضرر كبير على السنة من روايتها بالمعنى، وزعموا بأن رواية الحديث بالمعنى هي القاعدة الأصلية الثابتة المقررة عند علماء الحديث، حيث كان اهتمامهم بالمعنى أكثر من اهتمامهم باللفظ حتى وصلت إلينا الأحاديث وقد انطمست معالم ألفاظها ومعانيها، ولذلك لم يحتجّ النحاة بالأحاديث المروية، ولم يستشهدوا بها في إثبات اللغة أو قواعد النحو، لأن ألفاظها مرهونة بالتأثير الشخصي للرواة (١).

تلك هي خلاصة شبهة أعداء الإسلام حول رواية الحديث بالمعنى، والتي من خلالها يشككون في حجية السنة النبوية، ومكانتها التشريعية.

### والجواب :

أولاً وقبل بيان فساد زعم دعاة الفتنة وأدعياء العلم بأن رواية الحديث بالمعنى هي القاعدة الأصلية الثابتة المقررة عند علماء الحديث، وأن اهتمامهم بالمعنى أكثر من اللفظ قبل بيان بطلان هذا الزعم، نحر أولاً القول في حكم رواية الحديث بالمعنى عند علماء الأمة من المحدثين، والفقهاء، والأصوليين، حيث سيتضح جلياً كيف قلب أعداء السنة المطهرة الأصل إلى فرع؟ والفرع إلى أصل؟

من المعلوم أن للعلماء في رواية الحديث بالمعنى مذاهب عدة (٢)، نستخلص

(١) دراسات محمدية لجولدتسيهر ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ ص ٥٧١ - ٥٧٣ . وانظر : مجلة المنار المجلد ٩ ص ٩١١، ٩١٣ . مقال الدكتور توفيق صدقي "الإسلام هو القرآن، وحدة" وأضواء على السنة ص ٢٠، ٢١، ٧٦ - ٨٢، ٩٧، ١٠٧، ٢٥٩، والأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر ص ٣٥، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص ١٠٤، ١٧٧، ٢٢٠، ٢٣٨، ٢٣٩، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص ٥٨، ٦١، ١٦٢، ونقد الخطباء الديني للدكتور لنصر أبو زيد ص ١١٩، ١٢٦، ونقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية للدكتور حسين الحاج، ١/٣١٥ - ٣٢٥، وانظر : له أيضاً أدب العرب في صدر الإسلام ص ٩٣، وتأملات في الحديث عند السنة والشيعة ص ٧٥ - ٨٣، ودين السلطان ص ٧٥، وإنذار من السماء ١١٣، ونقد الخطباء الديني لنصر أبو زيد ص ١١٩، ١٢٦، ونحو تطوير التشريع الإسلامي لأحمد نعيم ص ٤٥، ودراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص ٢٩٠ .

(٢) انظرها في : إرشاد الفحول ١/ ٢٣٤ - ٢٣٩، وتوجيه النظر ص ٢٩٨ - ٣١٤، وانظر : السنة النبوية للدكتور أحمد كريمة ص ٦٥ - ٦٩ وأصول السرخسي ١/ ٣٥٥ - ٣٥٧، والحديث النبوي في النحو العربي ص ٦٤ وما بعدها . والسير الخيثة إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي ١/ ٥٤ - ٥٦ كلاهما للدكتور محمود فجال .

منها مذهبين :

**المذهب الأول :** أن رواية الحديث بالمعنى لا تجوز لمن لا يعلم مدلول الألفاظ في اللسان العربي ومقاصدها وما يحيل معناها والمحتمل من غيره، والمرادف منها، وذلك على وجه الوجوب بلا خلاف بين العلماء؛ لأن من اتصف بذلك لا يؤمن بتغييره من الخلل، ووجب على من هذا حاله أن يروى الحديث بالألفاظ التي سمع بها مقتصرًا عليها بدون تقديم، ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص لحرف فأكثر، ولا إبدال حرف أو أكثر بغيره، ولا مشددً بمثقل، أو عكسه<sup>(١)</sup>؛ "إذ جميع ما يفعله من ذلك تحكم بالجهالة، وتصرف على غير حقيقة في أصول الشريعة، وتقول على الله ورسوله بما لم يحط به علماء"<sup>(٢)</sup>.

أما من كان عالماً بالألفاظ ومدلولاتها ومقاصدها، خبيراً بما يحيل معانيها، بصيراً بمقادير التفاوت بينهما، فاختلف فيه السلف وأصحاب الحديث وأرباب الفقه والأصول، فالعظم منهم أجاز له الرواية بالمعنى إذا كان قاطعاً بأنه أدى معنى اللفظ الذي بلغه سواء في ذلك الحديث المرفوع، أو غيره<sup>(٣)</sup>.

**المذهب الثاني :** المنع من الرواية بالمعنى مطلقاً، بل يجب نقل اللفظ بصورته من غير فرق بين عارف بمعاني الألفاظ أو غير عارف، وهو مذهب كثير من السلف، وأهل التحري في الحديث، وهو مذهب الإمام مالك، ومعظم المحدثين، وهو مذهب الظاهرية<sup>(٤)</sup>.

وهنا يظهر لنا جلياً أن الأصل في رواية الحديث روايته باللفظ للعالم بالألفاظ ومدلولاتها وغيره، والفرع هو الترخص في الرواية بالمعنى للعالم دون غيره. وهذا هو خلاصة المذهب الأول، وهو المختار عند الجمهور من السلف وأصحاب الحديث

(١) فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢٠٧ بتقديم وتأخير، وانظر : تدريب الراوي ٢/ ٩٨ .

(٢) الإلماح للقاضي عياض ص ١٧٤ .

(٣) خلافاً للإمام مالك حيث رخص في غير حديث النبي ﷺ ولم يرخص فيه، ومن ذلك قوله: "ما كان من حديث رسول الله ﷺ فلا تعد اللفظ، وما كان من غيره فأصبت المعنى فلا بأس" انظر: الكفاية للخطيب ص ١٨٨، ١٨٩، وجامع بيان العلم ١/ ٨١، وتدريب الراوي ٢/ ٩٩، ١٠١، وفتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢٠٨، وفتح المغيث للعراقي ٣/ ٤٨-٤٩، وتوضيح الأفكار ٢/ ٣٩٢ .

(٤) انظر : إرشاد الفحول للشوكاني ١/ ٢٣٦، ٢٣٧، وانظر : السنة النبوية للدكتور أحمد كريمة ص ٦٥، ٦٦ .

والفقه والأصول واختاره منهم الآمدي<sup>(١)</sup> وقال : ويدل عليه النص والإجماع والأثر، والمعقول .

أما النص : فإن النبي ﷺ كان مقررّاً لآحاد رسله إلى البلاد في إبلاغ أوامره ونواهي بلغة المبعوث إليهم دون لفظ النبي ﷺ وهو دليل الجواز<sup>(٢)</sup> .

وأيضاً : فإن النبي ﷺ أمر أصحابه بتبليغ سنته المطهرة في حياته وبعد وفاته في أحاديث كثيرة منها : "ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه"<sup>(٣)</sup> .

هذا في الوقت الذي كان فيه النهي عن كتابة السنة المطهرة : "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج - الحديث"<sup>(٤)</sup> فلو كان اللازم لهم أن يودوا تلك الألفاظ التي بلغت أسماعهم بأعيانها بلا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير ... لكتبها أصحاب رسول الله ﷺ، فهل جاءنا عن أحد منهم أنه فعل ذلك من أجل رواية الأحاديث بلفظها بلا تقديم ولا تأخير؟!!

كيف، وسائر الأخبار تشهد بأنهم كانوا يؤدونها حفظاً وبعضهم كتابة، ويقدمون، ويؤخرون، وتختلف ألفاظ الرواية فيما لا يتغير معناه فلا ينكر ذلك منهم، ولا يرون بذلك بأساً<sup>(٥)</sup> .

يقول الأستاذ عبد الرحمن المعلمي : "هذا أمر يقيني لا ريب فيه، وعلى ذلك جرى عملهم في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته. من بقى منهم حافظاً للفظ على وجهه أداه كذلك ومن بقى ضابطاً للمعنى ولم يبق ضابطاً للفظ أداه بالمعنى من غير نكير منهم"<sup>(٦)</sup> .

(١) الإحكام للآمدي ٢/ ٩٣، وانظر : إرشاد الفحول ١/ ٢٣٧، والمستصفي ١/ ١٦٨، ١٦٩، والمحصل للرازي ٢/ ٢٣١، ٢٣٢، وتلويح الرازي ٢/ ٩٩، ونزهة النظر ص ٤٤، وفتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢٠٨ - ٢١٧، والكفاية ص ٢٠٢، ٢٠٣، ودفاع عن السنة للدكتور أبوشهبة ٣٢، ٥٥، ٦٣، والسنة للدكتور أحمد كريمة ص ٦٦، واختلافات المحدّثين والفقهاء في الحكم على الحديث للدكتور عبد الله شعبان ص ٢٩١ - ٢٩٨ .

(٢) الإحكام للآمدي ٢/ ٩٣، ٩٤ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٨٢ .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٧١ .

(٥) نواذر الأصول للحكيم الرمزي ٢/ ٥٤٩، ٥٥٠، بتصرف .

(٦) الأنوار الكاشفة ص ٧٨ بتصرف وتقديم وتأخير .

يقول الدكتور أبو زهو بعد أن أفاد المعنى السابق : فدل ذلك على أن "المقصود منها (أى السنة) المعنى دون اللفظ، ولذلك لم يتعبد بتلاوتها، ولم يقع التحدى بنظمها، وتجاوز روايتها بالمعنى" (١).

ويدل أيضاً على أن المقصود من السنة المعنى دون اللفظ ما قاله الإمام الآمدى : أن النبى ﷺ كان يذكر المعنى فى الكرات المتعددة بألفاظ مختلفة، بل المقصود إنما هو المعنى، ومع حصول المعنى، فلا أثر لاختلاف اللفظ، وهذا أحد وجوه دليل العقل التى استشهد بها الآمدى (٢).

وهذا المقصود كان يعيه الصحابة جيداً وحرصوا على تعليمه لمن بعدهم يدل على ذلك ما روى عن أبى نضرة، أنه قال : قلت لأبى سعيد الخدرى ﷺ : إنك تحدثنا عن رسول الله ﷺ حديثاً عجيباً، وإنا نخاف أن نزيد فيه أو ننقص. قال : أردتم أن تجعلوه قرآناً لا، لا، ولكن خزنوا عنا كما أخذنا عن رسول الله ﷺ (٣).

فتأمل قول أبى نضرة : (إنا نخاف أن نزيد فيه أو ننقص). ثم قول أبى سعيد أردتم أن تجعلوه قرآناً لا لا، ولكن خزنوا عنا... (٤). فدل ذلك على أن الأصل فى كتاب الله ﷻ اللفظ، لأنه متعبد بتلاوته ومتحدى بأقصر سورة منه، وليست كذلك السنة المطهرة.

وليس هذا هو مفهوم ولا مقصود أبى سعيد الخدرى وحده، بل هو مقصود ومفهوم الصحابة أجمع، ويدل على ذلك روايتهم للقصة الواحدة بألفاظ مختلفة من غير إنكار من أحد منهم، فكان إجماعاً تصير به الحجة (٥).

ويشهد لصحة ذلك أيضاً الرخصة فى قراءة القرآن الكريم على سبعة أحرف (٦)، وهذه الأحرف الستة الزائدة، عبارة عن أنواع من المخالفة فى بعض الألفاظ للفظ

(١) الحديث والمحدثون ص ٢٠٠.

(٢) الإحكام للآمدى ٢/ ٩٤.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٦٥.

(٤) راجع فى ذلك أيضاً ما نقله السيوطى فى التدريب ٢/ ١٠٠ عن وثالة بن الأسقع ﷺ.

(٥) فتح المغيث للسبخارى ٢/ ٢١٥ وانظر : علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٨٩، والإحكام للآمدى ٢/ ٩٤، والكفاية ص ٣٠٨.

(٦) استدل بذلك الإمام الشافعى فى الرسالة ص ٢٧٤ فقرة رقم ٧٥٢، وانظر : ما قاله تعليقاً ص ٢٧٤ فقرة رقم ٧٥٣.

الحرف الأول بدون اختلاف فى المعنى<sup>(١)</sup>.

واحتج حماد بن سلمة بأن الله تعالى أخبر عن موسى عليه السلام وعدوه فرعون بألفاظ مختلفة فى معنى واحد، كقوله تعالى : ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى ﴿بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ﴾<sup>(٣)</sup>، وكذلك قصص سائر الأنبياء عليهم السلام فى القرآن، وقولهم لقومهم بألستهم المختلفة، وإنما نقل إلينا ذلك بالمعنى<sup>(٤)</sup>، لأن من ذلك ما يطول فيبلغ الحد المعجز، ومنه ما يكون عن لسان أعجمى، ومنه ما يأتى فى موضع بألفاظ، وفى آخر بغيرها ... ويطول فى موضع، ويختصر فى آخر<sup>(٥)</sup>. وهذا يشهد لجواز التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ متعددة.

ومن أقوى الحجج كما قاله الحافظ ابن حجر ما حكاه الخطيب البغدادي من : اتفاق الأمة من جواز شرح الشريعة للعجم بلسانهم للعارف به، فإذا جاز الإبدال بلغة أخرى، فجوازه باللغة العربية أولى<sup>(٦)</sup>. وهذا هو أحد وجوه أدلة العقل التى استشهد بها الأمدى فى الأحكام<sup>(٧)</sup>.

**فإن قيل :** إن هذه الأدلة السابقة معارضة لقول النبى ﷺ : "نضر الله أمراً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه"<sup>(٨)</sup> ومعارض لقوله ﷺ للبراء بن عازب ؓ لما استذكر دعاء النوم قائلاً : (آمنت برسولك الذى أرسلت، فقال له النبى ﷺ، قل : آمنت بنبيك الذى أرسلت"<sup>(٩)</sup>.

(١) الأنوار الكاشفة ص ٧٦، وقال فى الخامس : (المراد بالاختلاف فى المعنى هو الاختلاف المذكور فى قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ الآية ٨٢ من سورة النساء، فأما أن يدل أحد الحرفين على معنى، والآخر على معنى آخر، وكلا المعنيين معاً حق، فليس باختلاف بهذا المعنى أبداً. وإذا كان هذا من رأفة الله ﷻ بعباده مع كتابه، فبالحديث أولى. وقد روى ما هو شبهه بهذا عن يحيى بن سعيد القطان فى الكفاية ص ٣١٦، وانظر : الجواب عن الطعون الموجهة إلى حديث القراءات فى الباب الثالث.

(٢) جزء من الآية ٧ من سورة النمل.

(٣) جزء من الآية ١٠ من سورة طه.

(٤) فتح المغيث للسخاوى ٢ / ٢١٤.

(٥) الأنوار الكاشفة ص ٧٨، ونفس المعنى قاله الدكتور أبو زهو فى الحديث والمحدثون ص ٢٠٩، وانظر : توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى للدكتور رفعت فوزى ص ٤٢٥.

(٦) فتح المغيث للسخاوى ٢ / ٢١٤، وانظر : الكفاية ص ٣٠٣-٣٠٥، وتدريب الراوى ٢ / ١٠١.

(٧) الأحكام فى أصول الأحكام للأمدى ٢ / ٩٤.

(٨) سبق تخريجه ص ٣٩.

(٩) سبق تخريجه ص ٣٦٧.

## أجيب عن الحديث الأول : من وجهين :

**الوجه الأول :** القول بموجبه، وذلك لأن من نقل معنى اللفظ من غير زيادة ولا نقصان يصح أن يقال أدى ما سمع كما سمع . ولهذا، يقال لمن ترجم لغة إلى لغة، ولم يغير المعنى، أدى ما سمع كما سمع . ويدل على أن المراد من الخبر إنما هو نقل المعنى دون اللفظ، ما ذكره الخبر من التعليل وهو اختلاف الناس فى الفقه، إذ هو المؤثر فى اختلاف المعنى . وأما الألفاظ التى لا يختلف اجتهدا الناس فى قيام بعضها مقام بعض، فذلك مما يستوى فيه الفقيه، والأفقه، ومن ليس بفقيه، ولا يكون مؤثراً فى تغيير المعنى .

**الوجه الثانى :** أن هذا الخبر يعينه يدل على جواز نقل الخبر بالمعنى دون اللفظ، لأن رواية هذا الخبر نفسه قد رويته على المعنى، فقال بعضهم : رحم الله مكان نضر الله ومن سمع بدل (امراً سمع) وروى "مقاتلى" بدل (منا حديثاً) (وبلغه) مكان (أداه) وروى (فرب مبلغ أفقه من مبلغ) مكان (فرب مبلغ أوعى من سامع)، وألفاظ سوى هذه متغايرة تضمنها هذا الخبر . فالظاهر يدل على أن هذا الخبر نقل على المعنى، فلذلك اختلفت ألفاظه، وإن كان معناها واحداً . فالحديث حجة لنا لا علينا<sup>(١)</sup> .

أما الحديث الثانى "لا ونبيك"؛ ففى الاستدلال به نظراً لاحتمال أن يكون المنع؛ لكونها ألفاظ أذكار توفيقية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فيجب المحافظة على اللفظ الذى وردت به<sup>(٢)</sup> . أو لعله أراد أن يجمع بين الوصفين فى موضع واحد، ولا شك أنه ﷺ نبي مرسل ، فهو إذن أكمل فائدة ، وذلك يفوت بقوله : وبرسولك الذى أرسلت) وأيضاً فالبلاغة مقتضية لذلك لعدم تكرار اللفظ لوصف واحد فيه، زاد بعضهم أو لاختلاف المعنى، لأن برسولك يدخل جبريل وغيره من الملائكة الذين ليسوا بأنبياء<sup>(٣)</sup> .

قلت لا تعارض بين الحديثين المعترض بهما على ما سبق ذكره من الأدلة، فهى كلها تشهد برأى الجمهور المختار وهو أن الأصل رواية الحديث باللفظ على فرض

(١) الإحكام للأمدى ٢/ ٩٥، وانظر : فتح المغيث للسخاوى ٢/ ٢١٥، والكفاية للحطيب ص ٣٠٥

(٢) فتح المغيث للسخاوى ٢/ ٢١٥ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٦٦ وانظر : الكفاية ص ٣٠٦ .

التسليم بما اعترض به من حديث : "نضر الله إمرأ" وحديث "لا ونيك".

والفرع هو الترخص فى الرواية بالمعنى للعالم بالألفاظ ومدلولاتها دون غيرها، ويشهد لذلك ما سبق ذكره من أدلة، وحينئذ فلا تعارض.

وحتى مع التسليم بأن الأصل هو الرواية بالمعنى، فلسنا نرى أن الرواية بالمعنى تفضى إلى النتائج الخطيرة التى يزعمها دعاة الإلحاد؛ لأن اختلاف ألفاظ الأحاديث لا يرجع إلى الرواية بالمعنى وحدها، بل يرجع إلى رسول الله ﷺ الذى كانت تختلف ألفاظه بتعدد الأزمنة والأمكنة، والحوادث والأحوال، والسامعين والمستفتين، والمتخاصمين والمتقاضين، والوافدين والمبعوثين، ففى كل ذلك تختلف ألفاظه ﷺ، إيجازاً، واطناً، وتقديماً، وتأخيراً، وزيادة، ونقصاناً، بحسب ما تقتضيه الحال ويدعوا إليه المقام (١).

فقد يسأل عن أفضل الأعمال مثلاً؛ فيجيب كل سائل بجواب غير جواب صاحبه... فيظن من لا علم له أن هذا من باب التعارض، أو من عدم ضبط الرواة، أو من آثار الرواية بالمعنى، وواقع الأمر أن رسول الله ﷺ كان طيب النفوس، فيجيب كل إنسان عن مسأله بما يناسبه، وبما يكون أنفع له أو للناس فى جميع الظروف أو فى الظرف الذى كان فيه الاستفتاء (٢) أ.هـ.

ويرجع اختلاف الأحاديث أيضاً إلى أنها ليست كلها قولية، بل منها ما هو إخبار عن أفعال النبى ﷺ وهى كثيرة، ومنها ما أصله قولى، ولكن الصحابى لا يذكر القول بل يقول : أمرنا النبى ﷺ بكذا، أو نهانا عن كذا، أو قضى بكذا... وأشبه هذا وهذا كثير أيضاً. وهذان الضريان ليسا محل نزاع. ولا دخل للرواية بالمعنى فيهما، والكلام فى ما يقول الصحابى فيه : قال رسول الله ﷺ كيت وكيت، أو نحو ذلك، ومن تتبع هذا فى الأحاديث التى يرويهها صحابييان أو أكثر ووقع اختلاف فإنما هو فى

(١) وهذا من أساليب القرآن الكريم انظر : إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ تَبْلُغَهُمْ أَتَبْلُغُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦) حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ الآيتان ٦، ٧ من سورة البقرة وقوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَحَتَّمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الآية ٢٣ من سورة البقرة. ففارق التقديم والتأخير فى الحتم على القلب والسمع فى الآيتين البقرة والجناتية.

(٢) الحديث والمحدثون ص ٢٠٧، ٢٠٨، وانظر : دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص ٥٥.

بعض الألفاظ، وهذا يبين أن الصحابة لم يكونوا إذا حكوا قوله ﷺ يهملون ألفاظه البتة، لكن منهم من يحاول أن يؤديها، فيقع له تقديم وتأخير أو إبدال الكلمة بمرادفها<sup>(١)</sup>.

ومنهم من يشدد ويصحح ما يسمعه من الرواة من تغيير اللفظ النبوي بالتقديم والتأخير، أو استبدال كلمة بمرادفها، كابن عمر رضي الله عنهما فعن عبيد بن عمير<sup>(٢)</sup>؛ أن ابن عمر كان جالساً مع أبيه وعندهم مغيرة بن حكيم - رجل من أهل صنعاء - إذ قال : قال رسول الله ﷺ : "إنما مثل المنافق مثل الشاة بين الريضين"<sup>(٣)</sup> من الغنم"، فقال عبد الله بن عمر : ليس هكذا قال رسول الله ﷺ فقال رجل : لو علمت علمه، علمت أنه لم يقل إلا حقاً ولم يتعمد الكذب، فقال : إنه لثقة، ولكني شاهد رسول الله ﷺ يوم قال، هذا فقال كيف يا أبا عبد الرحمن؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : مثل المنافق مثل الشاة بين الغنمين". فقال عبيد بن عمير هي واحدة إذا لم يجعل الحرام حلالاً والحلال حراماً، فلا يضرك أن قدمت شيئاً أو أخرته؛ فهو واحد<sup>(٤)</sup>.

وسمع ابن عمر أيضاً رجلاً يردد حديث الأركان الخمسة، فقدم بعضها وآخر بعضاً مخالفاً بذلك الرواية التي سمعها ابن عمر بنفسه من رسول الله ﷺ، فقال له ابن عمر -رضي الله عنهما- : "اجعل صيام رمضان أخرهن، كما سمعت من في رسول الله ﷺ"<sup>(٥)</sup>.

وروى الخطيب بسنده عن العلاء بن سعد بن مسعود قال : قيل لرجل من أصحاب

(١) انظر : الأنوار الكاشفة للأستاذ عبد الرحمن المعلمي ص ٧٩ .

(٢) عبيد بن عمير هو : ابن قتادة الليثي أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي ﷺ قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاضي أهل مكة، يجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٦٤٥ رقم ٤٤٠١، وتذكرة الحفاظ ١ / ٥٠ رقم ٢٨، وطبقات الحفاظ ص ٢٢ رقم ٢٨، وخلاصة تذهيب الكمال ص ٢١، وطبقات القراء لابن الجزري ١ / ٤٩٦ .

(٣) الريض : الغنم نفسها، والريض : موضعها الذي تربض فيه، أراد أنه مذبذب كالشاة الواحدة بين قطيعين من الغنم، أو بين مربضيها . انظر : النهاية في غريب الحديث ٢ / ١٨٥ .

(٤) أخرجه الدرر في سننه المقدمة، باب من رخص في الحديث إذا أصاب المعنى ١ / ١٠٥ رقم ٣١٨، والخطيب في الكفاية ص ٢٦٨، ٢٦٩ واللفظ له، وانظر : توثيق السنة في القرن الثاني الهجري للدكتور رفعت فوزي ص ٤١٧ .

(٥) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الإيمان، باب دعاكم إيمانكم ١ / ٦٤ رقم ٨ . ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ١ / ٢٠٩ رقم ١٦ وانظر : الكفاية ص ٢٧١ .

رسول الله ﷺ : مالك لا تحدث كما يحدث فلان وفلان؟ فقال : ما بى ألا أكون سمعت مثل ما سمعوا، أو حضرت مثل ما حضروا، ولكن لم يدرس الأمر بعد، والناس متماسكون، فأنا أجد من يكفينى، وأكره التزيد والنقصان فى حديث رسول الله ﷺ (١).

وفى عصر التابعين، وأتباع التابعين ظل كثير من الرواة يؤدى حديث رسول الله ﷺ بلفظه ونصه، حتى فى الحروف وفى ذلك يقول الأعمش : "كان العلم عند أقوام كان أحدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه وأو أو ألفاً أو دالاً" (٢).

وكان مالك -رحمه الله- يتقى فى حديث رسول الله ﷺ الباء والتاء ونحوهما (٣). ومن اعتمد ذلك الإمام مسلم -رحمه الله- فإنه فى صحيحه يميز اختلاف الرواة حتى فى حرف من المتن، وربما كان بعضه لا يتغير به معنى، وربما كان فى بعضه اختلاف فى المعنى، ولكنه خفى لا يفتن له، إلا من هو فى العلم بمكان، وكذا سلكه الإمامان البخارى، وأبو داود، وسبقهما لذلك شيخهما الإمام أحمد (٤).

ومن أمثلة ذلك : ما روى عن أبى هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : "لأسلم وغفار، وشئ من مزينة وجهينة، أو شئ من جهينة ومزينة، خير عند الله، قال : أحسبه قال يوم القيامة، من أسد، وغطفان، وهوازن وقيم" (٥). وهناك من اشتد حرصه على لفظ سماعه فأبى تبديل حرف مشدد بمخفف، فعن أم كلثوم بنت عقبة (٦) -رضى الله عنها- قالت : "ليس الكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو غى خيراً". قال حماد سمعت هذا الحديث من رجلين فقال أحدهما : غى خيراً خفيفة، وقال الآخر: غى خيراً مثقلة (٧).

(١) الكفاية ص ٢٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٤ .

(٣) انظر : الكفاية ص ٢٧٥، وانظر : تدريب الراوى ٢ / ١٠١، والإمام ص ١٧٩ .

(٤) فتح المغيث للسخاوى ٢ / ٢١١ .

(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع ٦/٦٢٧ رقم ٣٥٢٣، ومسلم (بشرح النووى) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة ٨ / ٣١٤ رقم ٢٥٢١ واللفظ له .

(٦) أم كلثوم بنت عقبة : صحابية جلييلة لها ترجمة فى : الإصابة ٤ / ٤٩١ رقم ١٢٢٣٨، وتاريخ الصحابة لابن حبان ص ٢٧٤ رقم ١٥٤٦، والاستيعاب ٤ / ١٩٥٣ رقم ٤٢٠٣، واسد الغابة ٧ / ٣٧٦ رقم ٧٥٨٥ .

(٧) أخرجه الخطيب فى الكفاية ص ٢٧٨، وابن عبد البر فى ترجمة أم كلثوم -رضى الله عنها- فى الاستيعاب ٤ / ١٩٥٣ رقم ٤٢٠٣ .

وأشد من كل هذا تخرج بعضهم من تغيير اللحن الوارد في كلام الراوى صحابياً كان أو تابعياً، لأنه سمعه هكذا، فلا ضير من استعمال (حوث) بدلاً من "حيث"<sup>(١)</sup>، أو "لغيت" بدلاً من "لغوت"<sup>(٢)</sup>، و"عوثاء السفر"، بدلاً من "وعثائه"<sup>(٣)</sup>؛ ولذلك رووا عن محمد بن سيرين؛ أنه "كان يلحن كما يلحن الراوى"<sup>(٤)</sup>.

ثم رأى العلماء أن يميزوا في هذا الموضوع بين لحن يحيل المعنى، وآخر لا يحيله، فأروا أنه لا بد من تغيير اللحن الذى يفسد المعنى، وقالوا بضرورة رد الحديث إلى الصواب إذا كان راويه قد خالف موجب الإعراب"<sup>(٥)</sup>.

وبكل ذلك يسقط قول دعاة الفتنة وأدعياء العلم: "أن الرواية بالمعنى هى القاعدة الثابتة فى رواية الحديث"<sup>(٦)</sup>، وأن الرواة تناقلوا الحديث بألفاظهم فى جميع العصور"<sup>(٧)</sup>.

"ومن أجل ذلك كله نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون: "إن الرواية بالمعنى لم يكن لها أثر فى ثبوت السنة وحجيتها ولم تفض إلى النتائج الخطيرة التى يزعمها دعاة الإلحاد، لأنها كانت قبل فساد اللسان العربى، من صحابة عايشوا الوحى، وتنزلاته، وخالطوا صاحب الشرع ﷺ، ومن أئمة كبار فى اللغة والشرع معاً، وكانوا يرونها رخصة عند الاضطرار"<sup>(٨)</sup>، وكان نسيانهم قليلاً، بل نادراً، فإن كان فى بعض حروف العطف، أو المفردات، أو بعض الجمل"<sup>(٩)</sup>. وكانوا يقيدون ذلك ببعض العبارات الدالة على الحيلة والورع فى روايتهم بالمعنى كقولهم: "أو كما قال"، "أو كما ورد" "أو

(١) انظر: الكفاية ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨١.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٧.

(٤) الكفاية ص ٢٨٥، وانظر: أثر عن أبى معمر فى سنن الداريمى المقدمة، باب من رخص فى الحديث إذا أصاب المعنى ١/ ١٠٦ رقم ٣٢٠.

(٥) فتح المغيث للسخاوى ٢/ ٢٣٠، وللإمام ٣/ ٥٥، والكفاية ص ٢٩٧، والإمام ص ١٨٥، وانظر: علوم الحديث للدكتور صبحى الصالح ص ٨٣.

(٦) من صرح بذلك إسماعيل منصور فى كتابه تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٣٨، ٢٣٩، وأيده جمال البنا فى كتابه السنة ودورها فى الفقه الجديد" ص ٥٨، ٦١، ١٦٢، وانظر: السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث فى النحو العربى، فصل "الرواية بالمعنى مرتبطة بعصر التنوين" ١/ ٤٨، والحديث النبوى فى النحو العربى ص ٦٤-٨٣.

(٧) الحديث والمحدثون ص ٢٠٣.

(٨) ولم يرحصوا بها فيما تضمنته بطون الكتب؛ لأن من ملك تغيير اللفظ، فلا يملك تغيير تصنيف غيره، وهذا بلا خلاف كما قال ابن الصلاح فى علوم الحديث ١٨٩ وانظر: الباحث الحثيث ص ١٢٠، ١٢١ هامش.

(٩) الحديث والمحدثون ٢٠٧ بتصرف.

نحوه" "أو شبهه" (١).

يقول الأستاذ محمد أسد : "إذا كان مئات الصحابة قد حفظوا جميع القرآن الكريم غيباً بلفظه، وبما فيه من فروق ضئيلة في الرسم (التهجئة) فلا ريب في أنه كان ممكناً لهم، وللتابعين من بعدهم أن يحفظوا أقوال الرسول ﷺ متفرقة كما حفظوا القرآن سواء بسواء، ولكن من غير أن يزدوا على الأحاديث أو أن ينقصوا منها شيئاً. إن المحدثين يرون أن الحديث الصحيح ما رُوي واحداً في معناه ولكن بأسانيد مختلفة مستقلة" (٢).

### الاحتجاج بالسنة والاستشهاد بها في قواعد النحو واللغة :

عرفنا فيما سبق أن الأصل في رواية الحديث روايته بلفظه، وذلك منذ عصر النبوة المباركة، والصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى عصر التدوين الرسمي للسنة . والفرع هو الترخّص في روايته بالمعنى للعالم بالألفاظ ومدلولاتها، كما عرفنا كيف كانوا يتشدّدون في الرواية باللفظ والاعتراض على من يقدم ويؤخر في اللفظ النبوي، أو يستبدل كلمة بمرادفها، بل كان سقوط أحدهم من السماء أحب إليه من أن يزيد في الحديث واواً أو ألفاً أو دالاً، وبلغ من شدة المحافظة على اللفظ النبوي أن بعضهم يأبى تبديل حرف مشدّد بمخفف أو العكس، بل ويأبى بعضهم تغيير اللحن الوارد في كلام شيخه ما دام سمعه منه، حتى إذا شك الراوي في لفظين أو ردهما جميعاً متشككاً كما جاء في الحديث : "وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" (٣).

وهكذا حافظ رواة السنة على لفظ النبي ﷺ، حتى وصلت إلينا سنة المصطفى ﷺ

(١) روى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجة في سننه المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ ٢٤/ ١ رقم ٢٣٠ وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ١/ ٤٨ إسناده صحيح، احتج الشيخان بجميع روايته، وأخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم ١/ ١٩٣ رقم ٣٧٦، وقال : صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من هاب الفتيا مخافة السقط ١/ ٩٧ رقم ٢٨١، وابن المبارك في مسنده ١٤٠ رقمي ٢٢٧، ٢٢٨، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٧٩، والخطيب في الكفاية ص ٣١٠، والقاضي عياض في الإلماع ص ١٧٧ .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ص ٩٦ .

(٣) أخرجه الترمذی في سننه کتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة ٥/ ١٣ رقم ٢٦١٦، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

سائلة من كل تحريف وتبديل .

نعم : وصلت إلينا السنة المطهرة بلفظ النبي ﷺ ، بلفظ أبلف ما عرف في لغة العرب، وعرف الدارسون من البيان البشرى، وفي ذلك يصف أبو حيان بلاغة السنة قائلاً : "والثاني : سنة رسول الله ﷺ ، فإنها السبيل الواضح، والنجم اللامع، والقائد الناصح، والعلم المنصوب والأمر المقصود، والغاية في البيان والنهاية في البرهان، والمفرع عند الخصام، والقدرة لجميع الأنام" (١) .

من أجل ذلك؛ فإن الاحتجاج بالحديث في اللغة، والنحو أمر طبعى، وما زعمه المانعون من عدم الاحتجاج به؛ لأنه روى بالمعنى، ولا نستطيع الجزم بأنه لفظ النبي ﷺ (٢) فهذا الزعم يسقط بما سبق ذكره، وتفصيله من أن الأصل في رواية الحديث أن تكون باللفظ، والفرع هو الترخص في روايتها بالمعنى للعالم بالألفاظ ومدلولاتها، ولفظه في هذه الحالة أيضاً حجة، ولم لا، وعلماء اللغة عندما جمعوا اللغة العربية النقية البعيدة عن الخطأ واللحن كانوا يذهبون إلى البوادي ليستمعوا إلى اللغة من فصحاء العرب، ومن بلغاء البادية مختارين القبائل التي اشتهرت بفصحاتها، مثل قريش، وعنيم، وهذيل وأسد وغيرهم .

وكانوا يتحرون في اختيار الفصحاء، فلم يأخذوا إلا من الذى وثقوا في فصاحته، ولم يشكوا في مخالطته لغير العرب، وقد حدد العلماء بعض العصور التي أخذوا عنها اللغة؛ كالعصر الجاهلى، وصدر الإسلام، وبنى أمية، حتى القرن الثانى الهجرى، ولم يلتفتوا إلى ما جاء بعد ذلك عن العرب من شعر ونثر، باعتبار أنه لا يحتج به (٣) . وكل هذا ينطبق على رواة السنة والأحاديث المروية، لأن الرواية بالمعنى كانت في القرن الأول قبل فساد اللسان العربى وعلى قلة وفي حدود ضيقة، هذا في الوقت الذى كانت فيه كتابات عديدة للصحابة في زمن النبوة وبعده، وكذلك كتابات التابعين فمن بعدهم حتى زمن التلوين الرسمى للسنة في القرن الأول نفسه، مما يرجح أن الذى

(١) البصائر والذخائر ١ / ٨، وانظر : ما قاله الجاحظ في البيان والتبيين ٢ / ١٧، ١٨، وانظر : بلاغة الرسول للدكتور على محمد العمارة، والحديث النبوى للدكتور محمد الصباغ ص ٥١ .

(٢) انظر : الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطى ص ١٩، وقارن بكشف الظنون ص ٤٠٥-٤٠٧، والسير الخثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربى للدكتور محمود فجال ١ / ٢٠-٢٤ .

(٣) دراسات في تراث العرب اللغوى للأستاذ فتحي جمعة ص ١٤-١٦، وانظر : مجلة الوعي الإسلامى العدد ٣٧٥ لسنة ١٤١٧ ص ٧٢ .

فى مدونات الطبقة الأولى لفظ النبى ﷺ نفسه، فإن كان هناك إبدال لفظ بمرادفه فالذى أبدله عربى فصيح يحتج بكلامه العادى، حتى إذا دوت السنة المطهرة منع من الرواية بالمعنى وتغير الفظ المدون بلا خلاف كما قال ابن الصلاح<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور محمد الصباغ: "ومهما يكن من أمر الحديث فإنه أحسن حالاً بكثير من الأشعار والأبيات التى يلجأ إليها النحويون ويملوون بها كتبهم، وبعضها منحول، والآخر مشكوك فيه، أو مجهول لا يعرف قائله"<sup>(٢)</sup>.

ويقول الأستاذ سعيد الأفغانى: "إن ما فى روايات الحديث من ضبط ودقة وتحري لا يتحلى ببعضه كل ما يحتج به النحاة، واللغويون من كلام العرب"<sup>(٣)</sup>. ثم إن المطلوب فى نقل قواعد اللغة والنحو من حديث رسول الله ﷺ هو غلبة الظن، والغالب على الظن أن الحديث لم يتغير لفظه<sup>(٤)</sup>.

أما ما زعموه من وقوع اللحن فى بعض الأحاديث بسبب عجمة بعض الرواة<sup>(٥)</sup>؛ فهو شئ - إن وقع - قليل جداً، لا يبنى عليه حكم، ولا يقوم بهذا الزعم حجة لأحد ولا يصح أن يمنع من أجله الاحتجاج بالحديث الصحيح<sup>(٦)</sup>، وهل يمنع عاقل الاحتجاج بالقرآن إذا لحن به بعض الناس؟! ثم إن اللحن كان موجوداً فى غير نصوص السنة من موارد اللغة التى اعتمد عليها النحاة من شعر ونثر، ورغم ذلك فقد قبلت؛ لأن العبرة بغلبة العصر لا بلحن الأفراد. ولم يقل أحد أنه لا يحتج بهما فى اللغة والنحو<sup>(٧)</sup>. ثم إن ما ذكره هؤلاء من اللحن فى الأحاديث الصحيحة لم يكن لحناً وإنما هو لغة من لغات العرب - وسيأتى بعد قليل أمثلة على ذلك - وقد حذر العلماء من اللحن فى

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٣٦، وانظر: الحديث والمحدثون ص ٢١٨، ٢٢٠، والحديث النبوى للدكتور الصباغ ص ١٣١، وعلوم الحديث للدكتور صبحى الصالح ص ٣٢٩، ٣٣٠، والسير الخثيث إلى الاستشهاد بالحديث فى النحو العربى للدكتور محمود فجال ١/ ٦٢ - ٦٤.

(٢) الحديث النبوى للدكتور الصباغ ١٣٢.

(٣) أصول النحو للأستاذ سعيد الأفغانى ص ٤٧، وانظر: علوم الحديث للدكتور الصباغ ص ٣٣٢، ٣٣١.

(٤) انظر: الاستشهاد والاحتجاج باللغة للأستاذ محمد عيد ص ١٠٩ - ١١٢، والحديث والمحدثون للدكتور أبو زهر ص ٢١٩، والحديث النبوى فى النحو العربى للدكتور فجال ص ١٠٧، ١٠٨.

(٥) انظر: الاقتراح ص ٢١.

(٦) الحديث النبوى للدكتور الصباغ ص ١٣٢، وانظر: الحديث النبوى للدكتور فجال ص ١٢٢.

(٧) الاستشهاد والاحتجاج باللغة ص ١١٠ - ١١٤، بتصرف، وانظر: السير الخثيث إلى الاستشهاد بالحديث للدكتور فجال ١/ ١٠٢.

الحديث أشد التحذير، وعد بعضهم الحديث الملحون كذباً على النبي ﷺ : قال الأصمعي (١) : "إن أخوف ما أخاف على طالب العلم، إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله ﷺ : "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (٢). لأنه لم يكن يلحن فمهما رويت عنه ولحنت فيه (٣) فقد كذبت عليه (٤).

أما ما زعموه من أن أحداً من أئمة النحو المتقدمين لم يحتج في كتبه بالحديث (٥)، فذلك إن صح كما يقول الدكتور محمود فجال : فليس معناه أنهم كانوا لا يجيزون الاستشهاد به إذ لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به ، ف (سيبويه) مثلاً إذا ذهبنا نقرأ كتابة المسمى بـ (الكتاب) فلن نجد فيه كلاماً رفعه للنبي ﷺ ولا مرة واحدة، وفي (الكتاب) نصوص كثيرة توافق الأحاديث النبوية ... ولكن (سيبويه) لم يستشهد بها على أنها أحاديث من النبي ﷺ بل على أنها من كلام العرب .

قال (سيبويه) في كتابه (٦) : "وأما قولهم : كل مولود يولد على الفطرة حتى

(١) الأصمعي : بفتح الألف، وسكون الصاد المهملة، وفتح الميم، وبالعين المهملة في آخره . هذه النسبة إلى الجد، وهو الإمام المشهور أبو سعيد عبد الملك بن قُرب بن عَصْر الباهلي الأصمعي، من أهل البصرة، أحد أئمة اللغة والنحو والغريب والأخبار، والملاحم والنوادر، أثنى عليه في السنة، أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وقال ابن حجر في التقریب : صدوق سني . من مؤلفاته : اللغات، والنوادر، والنسب، وغريب الحديث، وغير ذلك، مات سنة ٢١٧هـ، وقيل قبل ذلك . له ترجمة في : اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ١ / ٧٠، والفهرست لابن النديم ص ٨٦، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ١ / ١٤٤، رقم ٣٨، وتقریب التهذيب ١ / ٦١٨، رقم ٤٢١٩، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢ / ٢٧٣، ونزهة الألباب في طبقات الأدباء لابن الأنباري ص ١١٢، وإنباه الرواه على أنباه النحاة للقفطي ٢ / ١٩٧، ولسان الميزان ٩ / ٤٩٢، رقم ١٥٤٩٢ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٨٤ .

(٣) المراد باللحن هنا : مخالفة صواب الإعراب، وبطلق أيضاً على النطق بكلمة على وجه لا يثبت عند العرب، وإن لم يكن خطأ في الإعراب، واستعمله في ذلك الفقهاء وأهل اللغة؛ كالنووي، والحريري . أقاده فضيلة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف - رحمه الله - على هامش تحقيقه لتدريب الراوي ٢ / ١٠٦ .

(٤) رواه ابن الصلاح في علوم الحديث ص ١١٠-١١٤، والقاضي عياض في الإلماع ص ١٨٣-١٨٤، وذكره العراقي في فتح المغيث ٣ / ٥٣، والسخاوي في فتح المغيث ٢ / ٢٢٤، والسيوطي في التدريب ٢ / ١٠٦، والصنعاني في توضيح الأفكار ٢ / ٣٩٣ - ٣٩٤ وقال عتبة : "قلت وإنما قال الأصمعي "أخاف" ولم يجرم، لأن من لم يعلم بالعربية، وإن لحن لم يكن متعمداً الكذب" انتهى . وانظر : بقية أقوال محدثين في التحذير من اللحن في المصادر السابقة .

(٥) انظر : الاقتراح في علم أصول النحو ص ٢١، والسير الحديث للدكتور فجال ١ / ٢٢ .

(٦) انظر : الكتاب لسيبويه ١ / ٣٩٩ .

يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه" (١) فانظر كيف جعله كلاماً صادراً من العرب الذين يحتج بكلامهم (٢).

يقول الدكتور محمود فجال : إن عدم استدلال بعضهم بالحديث على أنه مرفوع للنبي ﷺ لا يعني أنهم لا يميزون الاستدلال به، وإنما يعني عدم خبرتهم بهذا العلم الدقيق، وهو علم رواية الحديث ودرايته، لأن تحصيله بحاجة إلى فراغ، وطول زمان، كما يعني عدم تعاطيهم إياه (٣).

أما (ابن مالك) فهو إمام في الحديث بالإضافة إلى إمامته في علم العربية، وهذا هو السبب الذي حدا به إلى الاستشهاد بالحديث.

قال (الصلاح الصفدي) : كان-ابن مالك- أمة في الإطلاع على الحديث، فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهدٌ عدلٌ إلى الحديث، فإن لم يكن فيه شاهدٌ عدلٌ إلى أشعار العرب (٤).

والقدامى لم يثيروا هذه القضية، ولم يناقشوا مبدأ الاحتجاج بالحديث، وبالتالي لم يصرحوا برفض الاستشهاد به، وإنما هو استنتاج من المتأخرين الذين لاحظوا - خطأ - أن القدامى لم يستشهدوا بالحديث، فبنوا عليه أنهم يرفضون الاستشهاد به ثم حاولوا تعلل ذلك. إذاً فقد كان المتأخرون مخطئين فيما أدعوه من رفض النخبة القدامى الاستشهاد بالحديث وكانوا واهمين حينما ظنوا أنهم هم أيضاً يرفضهم الاستشهاد بالحديث إنما ينهجون نهجهم. ونحن نحمل (ابن الضائع) و"أبا حيان" تبعة شيوع هذه القضية الخاطئة فهما أول من روج لها، ونادى بها، وعنهما أخذها العلماء، دون تمحيص أو تحقيق ثقة في حكمهما ... ولعل منشأ تلك الفكرة الخاطئة، هو أن القدماء سكتوا عن الاستشهاد بالحديث، واكتفوا بدخوله تحت المعنى العام لكلمة (نصوص

(١) الحديث بنحوه أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ٣ / ٢٩٠ رقم ١٣٨٥، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة وحكم أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٨ / ٤٥٨ رقم ٢٦٥٨.

(٢) فهارس كتاب سيبويه للأستاذ محمد عبد الخالق ص ٧٦٢، وانظر : الحديث النبوي في النحو العربي للدكتور فجال ص ١٠٩.

(٣) الحديث النبوي في النحو العربي ص ١١٠، ١٢٦.

(٤) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١ / ١٣٤، وانظر : الحديث النبوي للدكتور فجال ص ١١٠، ١٢٦.

فصحاء العرب) ثم حين جاء من بعدهم ودونوا هذه الفكرة كانوا يفهمون ذلك فلم يخصصوا الحديث النبوي بنص مستقل، فلما جاء (ابن الضائع) و(أبو حيان) وغيرهما ولم يجدوا نصاً مستقلاً يعد الحديث من مصادر الاحتجاج، ظنوا أن القدماء لم يكونوا يستشهدون به، وسجلوا هذا الظن على أنه حقيقة واقعة، وجاء من بعدهم فنقلوا عنهم دون تمحيص، وتابعوهم من غير بحث.

ويؤيد هذا الافتراض أن (السيوطي) استنبط من قول صاحب (ثمار الصناعة) : (النحو علم يستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى - وكلام فصحاء العرب) أن النحاة لم يكونوا يستشهدون بالحديث، فعقب على ذلك بقوله : "فقصره عليهما، ولم يذكر الحديث" (١)

يقول الدكتور محمود فجال: "وهناك أسباب كثيرة تحمل على الشك في صحة ما نسب إلى الأقدمين من رفضهم الاستشهاد بالحديث، بل هناك من الدلائل ما يكاد يقطع - إن لم يكن يقطع فعلاً - أنهم كانوا يستشهدون به، وبينون عليه قواعدهم، سواء منهم من اشتغل باللغة أو النحو أو بهما معاً. ولهذا لا يسع الباحث المدقق أن يسلم بما ادعاه المتأخرون. وسنده في ذلك ما يأتي :

أولاً : أن الأحاديث أصح سنداً من كثير مما ينقل من أشعار العرب، ولهذا قال (الفيومي) بعد أن استشهد بحديث : "فأثنتوا عليه شراً" على صحة إطلاق الثناء على الذكر بشر (٢) قال: "قد نقل هذا العدل الضابط، عن العدل الضابط عن العرب الفصحاء عن أفصح العرب، فكان أوثق من نقل أهل اللغة؛ فإنهم يكتفون في النقل عن واحد ولا يعرفون حاله (٣).

ثانياً : أن المحدثين الذين ذهبوا إلى جواز الرواية بالمعنى شرطوا في الراوي أن يكون محيطاً بجميع دقائق اللغة، وإلا فلا يجوز له الرواية بالمعنى. على أن المجيزين الرواية بالمعنى معترفون بأن الرواية باللفظ هي الأولى، ولم يميزوا النقل بالمعنى إلا فيما لم يلون في الكتب وفي حالة الضرورة فقط (٤). وقد ثبت أن كثيراً من الرواة في الصدر

(١) الاقتراح للسيوطي ١/ ١٣٤، وانظر : الحديث النبوي للدكتور فجال ص ١١١ .

(٢) لسان العرب ١٤/ ١٢٤، والقاموس المحيط ٤/ ٣٠٤ .

(٣) انظر : مجلة مجمع اللغة العربية ٣/ ٢٠١ .

(٤) مجلة المجمع ٣/ ٢٠٤ .

الأول كانت لهم كتب يرجعون إليها عند الرواية، ولا شك أن كتابة الحديث تساعد على روايته بلفظه وحفظه عن ظهر قلب مما يبعده عن أن يدخله غلط أو تصحيف .

ثالثاً : أن كثيراً من الأحاديث دون في الصدر الأول قبل فساد اللغة على أيدي رجال يحتج بأقوالهم في العربية، فالتبديل على فرض ثبوته، إنما كان ممن يسوغ الاحتجاج بكلامه . فغايتة تبديل لفظ يصح الاحتجاج به بلفظ كذلك<sup>(١)</sup> .

رابعاً : أن اللغويين احتجوا بالحديث في اللغة، لأجل الاستدلال على معاني الكلمات العربية، وهو ما دفع (السهيلي) إلى أن يقول : "لا نعلم أحداً من علماء العربية خالف في هذه المسألة إلا ما أبداه الشيخ أبو حيان في شرح التسهيل، وأبو الحسن بن الضائع في شرح الجمل، وتابعهما على ذلك الإمام السيوطي<sup>(٢)</sup> أ.هـ .

ويقول الدكتور صبحي الصالح معللاً عدم احتجاج أئمة النحو المتقدمين بالحديث قال: "فذلك إن صح - عائد إلى أن كتب الحديث لم تكن متوفرة لغير ذوى الاختصاص في ذلك الحين، ولولا ذلك لاقتصروا على الاستشهاد بها دون الأشعار، وقد تلافي المتأخرون هذا، فكانوا يحتجون دائماً بأحاديث رسول الله ﷺ في معجماتهم التي اشتملت على أنقى الألفاظ وأفصحها مصحوبة بشروحها وشواهداها، كما في "تهذيب" الأزهري، و(صحيح) الجوهرى و(مقاييس) ابن فارس، و(فائق) الزمخشري وغيرهم<sup>(٣)</sup> .

وفاقهم في ذلك كله (ابن مالك) وبلغ الذروة في كتابه "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" فقد عقده للأحاديث التي يشكل أعرابها، وذكر لها وجوهاً يستبين بها أنها من قبيل العربى الصحيح<sup>(٤)</sup> . بل إن (ابن الضائع) و(أبا حيان) وهما على رأس من رفض الاستشهاد بالحديث لم تخل كتبهما من بعض الأحاديث وقد فطن إلى هذا (ابن الطيب الفاسي) فقال : "بل رأيت الاستشهاد

(١) انظر : خزانة الأدب ولب لباب العرب لعبد القادر البغدادى ١/ ٦ .

(٢) أصول التفكير النحوى للدكتور على أبى المكارم ص ١٣٦-١٤١، وانظر : الحديث النبوى للدكتور فجال ص ١١٢، ١١٣ .

(٣) علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص ٣٣٢ .

(٤) انظر : الدراسة النحوية للأحاديث الواردة في أكثر شروح ألفية ابن مالك للدكتور محمود فجال في كتابه الحديث النبوى في النحو العربى ص ١٣٨-٣١٥، وانظر : دراسة نحوية للأحاديث الواردة في شرح الكافى للرضى للدكتور محمود فجال في كتابه السير الحديث ١/ ١١٩-٣٢٤، ٢/ ٣٢٥-٥٤٣ .

بالحديث في كلام أبي حيان نفسه مرات، ولا سيما في مسائل الصرف، إلا أنه لا يقر له عماد، فهو في كل حين في اجتهاد<sup>(١)</sup>.

ويقول الأستاذ سعيد الأفغاني : "وأغلب الظن أن من لم يستشهد بالحديث من المتقدمين لو تأخر به الزمن إلى العهد الذي راجت فيه بين الناس ثمرات علماء الحديث من رواية ودراية لقصروا احتجاجهم عليه بعد القرآن الكريم، ولما التفتوا قط إلى الأشعار والأخبار التي لا تلبث أن يطوقها الشك إذا وزنت بموازن من الحديث العلمية الدقيقة<sup>(٢)</sup>."

ويمكننا أن نعد قرار مجمع اللغة العربية في مصر قولاً معتمداً في موضوع الاحتجاج بالحديث في اللغة والنحو. وهذا القرار هو : "إن العرب الذين يوثق بعريبتهم، ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع"<sup>(٣)</sup>.

كما رأى المجمع الاحتجاج بأنواع من الأحاديث لا ينبغي الاختلاف بالاحتجاج بها في اللغة، وهي : الأحاديث المدونة في الصدر الأول، ككتب الأصول الستة فما قبلها، على أن يحتج بها على الوجه التالي :

أ- الأحاديث المتواترة والمشهورة.

ب- الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

ج- الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم.

د- كتب النبي ﷺ ومعاهداته.

هـ- الأحاديث المروية لبيان أنه كان ﷺ يخاطب كل قوم بلغتهم.

و- الأحاديث التي دونها من نشأ بين العرب الفصحاء<sup>(٤)</sup>.

(١) تحرير الرواية في تقرير الكفاية لأبي الطيب الفاسي ص ٩٦، وانظر: الحديث النبوي للدكتور فجال ص ١٠٦ .

(٢) أصول النحو ص ٤٩ وقارن بالحديث النبوي للدكتور فجال ص ١٢٣، والسنة النبوية في مواجهة التحدي للدكتور أحمد عمر هاشم ص ١٢٢-١٢٣ .

(٣) نقل هذا القرار الأستاذ عباس حسن في كتابه (اللغة والنحو بين القديم والحديث) ص ٢٤، وانظر: الحديث النبوي للدكتور الصباغ ص ١٣٠، والحديث النبوي في النحو العربي للدكتور فجال ص ١٢٧-١٣٢ .

(٤) كالأئمة مالك والشافعي، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل في الشافعي : "إن كلامه في اللغة حجة" انظر : الاقتراح للسيوطي ص ٢٤ .

ز- الأحاديث التي عرف من رجال روايتها أنهم لا يميزون رواية الحديث بالمعنى، مثل القاسم بن محمد ورجاء بن حيوة، وابن سيرين.

ح- الأحاديث المروية من طرق متعددة، وألفاظها واحدة<sup>(١)</sup>.

يقول الأستاذ جواد رياض بعد أن نقل قرار مجمع اللغة السابق : "ومن هنا؛ فإننا نستطيع أن نعتمد على الأحاديث الصحيحة اعتماداً كلياً في تأييد بعض قواعد النحو التي نطق بها رسول الله ﷺ، والتي توافق لغة من لغات العرب، حتى ولو خالفت رأى جمهور النحاة، لأن قول الرسول حجة في تصحيح أقوالنا كما هو حجة في تصحيح أعمالنا، وما ذكره هؤلاء من اللحن في الأحاديث الصحيحة لم يكن لحناً وإنما هو لغة من لغات العرب. مثل ما روى عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً، قال قتادة فقلنا فالأكلُ فقال : "ذَلِكَ أَشْرٌ أَوْ أَخِيثٌ"<sup>(٢)</sup>.

وفى حديث آخر قال : "... فوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَأَخِيرُ مِنْهُمْ"<sup>(٣)</sup>. وطبقاً لما هو معروف عند أهل اللغة، فإنهم ينكرون لفظ "أَشْرٌ" و"أَخِيرٌ" ويقولون الصواب (خير) و(شر) بدون ألف كما قال تعالى : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>. ولكن لا يقبل إنكارهم فإن لفظ "أَشْرٌ" و"أَخِيرٌ" صحيح أيضاً، وهو عربى فصيح، وهو لغة من لغات العرب، وإن كانت قليلة الاستعمال، وبالتالي فلا يقبل إنكار هذه اللغة أو ردها ما دامت قد تكررت في الأحاديث الصحيحة، ويوجد لها نظائر مما لم يكن معروفاً عند اللغويين وجارياً على قواعدهم، لأن النحويين كما قال الإمام النووي لم يحيطوا إحاطة قطعية بجميع كلام العرب، ولهذا يمنع بعضهم ما ينقله غيره من العرب كما هو معروف<sup>(٦)</sup>.

(١) مجمع اللغة العربية، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً أخرجهما وراجعها محمد شوقي أمين، وإبراهيم التزى ص ٥، وانظر : أمثلة على كل ما سبق في الحديث النبوي للدكتور الصباغ ص ١٣٣ - ١٣٥ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائماً ٧ / ٢١٣ رقم ٢٠٢٤ .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينه ٨ / ٣١٥ رقم ٢٥٢٢ .

(٤) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .

(٥) الآية ٣٤ من سورة الفرقان .

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم ٧ / ٢١٧ رقم ٢٠٢٤، ٨ / ٣١٣ رقم ٢٥٢٢ وانظر : مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٧٥ لسنة ١٤١٧هـ، ص ٧٣ .

ومن هنا يتبين أن قول الرسول ( أَشَرُّ ) و ( أَخْيَرُ ) صحيح حتى ولو كان مخالفاً  
لرأى جمهور النحاة، فالاحتجاج بالحديث الصحيح هو الأولى<sup>(١)</sup>.

وأخيراً : ( لا غللك إلا أن نرد قضية الاحتجاج إلى معيار لا يخطئ أبداً، وهو معيار  
الفصاحة والصفاء والسلامة من الفساد، فلا يحتج في الحديث، ولا في غيره، بمن لا بس  
الضعف لغته، وخالطت العجمة كلامه، وتسربت الركة إلى لفظه مهما يسمو مقامه .  
وكان هذا المعيار الدقيق كفيلاً - لو عرفه اللغويون المتقدمون في وقت مبكر - بإرساء  
قواعد اللغة وأصول النحو على دعائم ثابتة قوية، وبقطف ثمار تلك الأصول في نتاج  
نحوى غنى بالشواهد كنتاج ابن مالك، وابن هشام، من رجال النحو المتأخرين وأئمة  
الأعلام<sup>(٢)</sup> . ومذهبهم هو الأصل السديد الصحيح، وهو الذى أخذ به جمهور علماء  
اللغة الذين امتلأت معجماتهم التى تركوها بالحديث، وكذلك كتب أئمة النحو  
المتقدمين؛ كابن فارس، وابن جنى، وابن برى، والسهيلي، حتى قال ابن الطيب : " لا  
نعلم أحد من علماء اللغة خالف هذه المسألة إلا ما أبداه الشيخ أبو حيان (٧٤٥هـ) فى  
شرح التسهيل، وأبو الحسن بن الضائع (٦٨٠هـ) فى شرح الجمل، وتابعهما فى ذلك  
الإمام السيوطى<sup>(٣)</sup> أ . هـ .

والحق ما قاله الإمام مالك لا ما قاله أبو حيان، وكلام ابن الضائع كلام ضائع<sup>(٤)</sup> .  
وما احتجوا به على منعهم للاحتجاج ظهر لك ضعفه، لأن ما تعللوا به ورد بصورة  
أدق وأضبط من الذى احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر<sup>(٥)</sup> . أ . هـ . والله أعلم .

(١) مجلة الوعى العدد السابق نفس الصفحة .

(٢) علوم الحديث للدكتور صبحى الصالح ص ٣٣٣ .

(٣) أصول التفكير النحوى ١٣٦ - ١٤١ ، وانظر : الحديث النبوى للدكتور الصباغ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٤) تحرير الرواية فى تقرير الكفاية ص ١٠١ ، وانظر : الحديث النبوى للدكتور محمود فجال ص ١٠٨ ، ١٠٩ .  
وللاستزادة فى هذا الموضوع، انظر : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث للدكتورة حديجة الحديثى .

(٥) راجع أصول النحو للأستاذ سعيد الأمغانى ص ٤١ .

## رابعاً : شبهة أن الوضع وكثرة المواضيع للحديث أضعفت الثقة بالسنة النبوية

### استعراض الشبهة وأصحابها :

زعم أعداء السنة المطهرة من غلاة الشيعة، والمستشرقين، وأذيانهم من دعاة اللادينية، أن من آثار تأخر تدوين الحديث إلى ما بعد المائة الأولى من الهجرة، أن اتسعت أبواب الرواية وفاضت أنهار الوضع بغير ضابط ولا قيد - منذ فتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى لقد بلغ ما روى من الأحاديث الموضوعة عشرات الألوف لا يزال كثير منها منشأً بين تضايف الكتب المنتشرة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، مما يجعل الثقة بالأحاديث ضعيفة، ويجعل المرء لا يطمئن إلى السنة النبوية من حيث ورودها<sup>(١)</sup>.

هذه هي خلاصة شبهتهم التي طعنوا بها في حجية السنة المطهرة، وفي مسدريتها التشريعية، كما طعنوا بها في عدالة حملة الإسلام من أهل القرون الثلاثة الفاضلة الذين شهد لهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بالخيرية من صحابته الكرام رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان من أئمة المسلمين من المحدثين والفقهاء.

فطعنوا بهذه الشبهة في حجية السنة حيث ذهب الصنم الأكبر للمستشرقين حولد تسيهر إلى (أن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني، وأنه ليس صحيحاً ما يقال أنه وثيقة

(١) أضواء على السنة محمود أبو رية ص ١٨، ٢٦٨، وانظر له قصة الحديث المحدثي ص ٤٩ - ٥٦ وشيخ المضيرة ص ٢١٨، وانظر الأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر ١/ ٣٥، ومجلة المنار المجلد ٩/ ٥١٦ - ٥١٧، والصلاة لمحمد نجيب ص ١١ - ١٤، وفجر الإسلام ٢١٠، ٢١١، وضحي الإسلام ٢/ ١٢٣ كلاهما لأحمد أمين، ودليل المسلم الخزين لحسين أحمد أمين ص ٤٥ وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص ٩٨، ونحو تطوير التشريع الإسلامي لعبد الله العيم ص ٤٤ - ٥٠، والأصقان العظيمان ٢١٨، والسنة ودورها في الفقه الجديد كلاهما لجمال البنا ص ١٢، ٩٠، ٩١، ١٠٩، ١٦١، ٢٦٢، وحقيقة الحجاب وحجية الحديث لسعيد العشماوي ص ٨٤، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص ١١١، ١١٣، ٢٩٠، ٤٢٧، وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين كلاهما لإسماعيل منصور ص ٤٧١، والخدعة رحلت من السنة إلى الشيعة لصالح الورداني ص ٨١، وتأملات في الحديث زكريا عباس دلود ص ١٣١ - ١٦٤ والإمام الشافعي لنصر أبو زيد ٩٧، ٩٨، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ٢٣٦ - ٢٥٨، ودراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ ص ٤٨٩ - ٥١٤، ودراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ١٣، ١٥٦، ١٥٨، ٢٩٠، ٢٩٨، ٣٠٢، وحمسون ومائة صحابي مختلق لمرتضى العسكري ١/ ٥٠، ٥١.

للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جمهور الإسلام في عصر النضوج، وتابعه على ذلك سائر المستشرقين<sup>(١)</sup>، وذوهم من دعاة الفتنة، وأدعياء العلم في أمتنا الإسلامية؛ مثل أحمد صبحي منصور القائل: "بدلاً من أن يعكف المسلمون على القرآن ومنهج العقل فيإنهم أضاعوا قروناً في تأليف الروايات والاختلاف حولها، وفي تأليف الخرافات والبحث عنها"<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً: "... لأن تلك الروايات التي كانت تعبر عن عصور السابقين وثقافتهم أصبحت في عصرنا تسيء للإسلام، علاوة على أنها أكاذيب ما أنزل الله بها من سلطان"<sup>(٣)</sup>، فتأمل هل هناك فرق في المعنى بين ما قاله أحمد صبحي وجولدتسيهر!!؟

ومن أسباب وضع الحديث طعن أعداء الإسلام في عدالة حمل الإسلام من صحابة رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين من الفقهاء والمحدثين.

١- فاتهموا الصحابة العدول الثقات ﷺ بالكذب على رسول الله ﷺ، وأنهم كانوا يكذب بعضهم بعضاً، وأنهم تسارعوا على الخلافة وانقسموا شيعاً وأحزاباً وأخذ كل حزب يدعم موقفه بحديث يضعه على النبي ﷺ، واشتد ذلك الأمر في العصر الأموي، والعباسي حيث تحولت تلك الأكاذيب إلى أحاديث، وتم تدوينها في العصر العباسي ضمن كتب الحديث (الصحيح)<sup>(٤)</sup>.

٢- واتهموا أئمة المسلمين الثقات من المحدثين والفقهاء بأنهم نافقوا الحكام والسلاطين، وكانوا لهم جنوداً واخترعوا لهم من الأحاديث ما يثبت ملكهم وسلطانهم، وعلى دربهم صار علماء المسلمين إلى يومنا هذا. وفي ذلك يقول نيازى عز الدين: "السلطان"<sup>(٥)</sup> كان يستخدم الأحاديث، وعلماء الحديث، ورجال الدين

(١) سبق تفصيل ذلك والرّد عليه في شبهة التأخر في تدوين السنة ص ٣٤٩-٣٥٩.

(٢) مجلة روزاليوسف العدد ٣٥٣٠ ص ٥٠.

(٣) انظر: مجلة روزاليوسف العدد ٣٥٦٣ ص ٣٦، وكرر هذا الكلام إجمالاً في كتبه الآتية: حد الردة ص ٥، ٨٩، والمسلم العاصي ص ٩٠، ٨٩، وعذاب القبر ص ٦٥، ٦٤، ولا ناسخ ولا منسوخ ص ١٠، وانظر السنة ودورها في الفقه الجديد ص ١١.

(٤) قاله أحمد صبحي في كتابه الحسبة ص ١٠، ٣٩، وانظر مجلة روزاليوسف العدد ٣٥٦٣ ص ٣٥، والصلاة في القرآن ص ٥٧، ٥٨، وانظر: الحديث في الإسلام للمستشرق الفريد غيوم ص ٢٠-٣٠ نقلاً عن منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للذكورة عزية على طه ص ٥٧، ٥٨.

(٥) المراد بالسلطان في نظر المؤلف هو معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وصرح بذلك في كتابه دين السلطان ص ٣٤، ٤١، ٧٩٥.

أصلاً من أجل إقناع الشعب الذى هو الرأى العام عنده بوجهة نظره دائماً، فكل هؤلاء كانوا يعملون للسلطان بأجر موضوع يقابل خدماتهم المطلوبة، فعليهم تنفيذ الأوامر (لذلك سميناهم فى هذا الكتاب بجنود السلطان؛ لأنهم يتلقون الأوامر وعليهم الطاعة الدائمة لتلك الأوامر مهما كانت)<sup>(١)</sup> ويقول فى موضع آخر : "وجنود السلطان استخدموا الأحاديث التى وضعوها ظملاً باسم الرسول ﷺ؛ ليتوصل السلطان إلى ما يريد من إخضاع الشعب بأقل تكاليف ممكنة"<sup>(٢)</sup>.

وهذا الكذب ترديد لما قاله قديماً جولد تسيهر فى العقيدة والشرعية فى الإسلام قائلاً: "ولا نستطيع أن نغزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول ﷺ أو هى من عمل رجال الإسلام القدامى ... فالحق أن كل فكرة، وكل حزب وكل صاحب مذهب يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل، وأن المخالف له فى الرأى يسلك أيضاً هذا الطريق ومن ذلك لا يوجد فى دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لا تعزز رأيها بمحدث أو بحملة من الأحاديث، ظاهرها لا تشوبه أى شائبة"<sup>(٣)</sup>.

ونفس هذا الكذب ردهه حسين أحمد أمين فى كتابه دليل المسلم الحزين قائلاً : ومن ثم فقد لجأ الفقهاء والعلماء إلى تأييد كل رأى يرونه صالحاً ومرغوباً فيه بمحدث يرفعونه إلى النبى ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وردهه أحمد أمين فى فجر الإسلام قائلاً : "فلا تكاد ترى فرعاً فقهياً مختلفاً فيه إلا وحديث يؤيد هذا وحديث يؤيد ذلك"<sup>(٥)</sup>.

وردهه أحمد صبحى مؤيداً فى ذلك أحمد أمين قائلاً فى دفاعه عن حل زواج المتعة:

(١) دين السلطان ص ٦٢ .

(٢) دين السلطان ص ٩٢ وراجع من نفس المصدر ص ١٠، ١١٤، ١١٧، ١١٩، ١٥٣، ١٥٤، وانظر : إنذار من السماء ص ١٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤

"وذلك يذكرنا بما قاله العلامة أحمد أمين في كتابة فجر الإسلام . "أن الخلافات  
الفقهية كانت من أهم أسباب اختراع الأحاديث" (١) .

ويقول أيضاً : "إن كل ما كتبه الأئمة السابقون (يعني ما دونوه في كتب السنة  
المطهرة) ليس ديناً وإنما هو فكر ديني يقبل الخطأ والصواب" (٢) .

وردد ذلك من غلاة الشيعة على الشهرستاني في كتابه (منع تدوين الحديث أسباب  
ونتائج) قائلاً : "السنة المتداولة اليوم ليست سنة الرسول بل هي سنة الرجال في كم  
ضخم من أبوابها ومفرداتها" (٣) وفي موضع آخر : يصف السنة المطهرة بأنها "فقه  
الرجال" (٤) .

---

(١) مجلة روزاليوسف العدد ٣٥٦٤ ص ٢٣ .

(٢) انظر : مجلة روزاليوسف العدد ٣٥٦٣ ص ٣٦ ، وقارن شيخ المضيرة محمود أبو ربه ص ١٧٠ ، والإمام الشافعي  
وتأسيس الأيدلوجية الوسطية للدكتور نصر أبو زيد ص ٩٨ ، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص ٢٦٠ ،  
 وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص ٩٨ ، ٩٩ وغيرهم .

(٣) منع تدوين الحديث ص ٣٠٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٣٠ .

## الجواب على شبهة أن الوضع وكثرة الموضوعين للسنّة أضعفت الثقة بالسنّة الشريفة

تمهيد :

صحيح : أنه كان هناك وضاعون وكذابون لفقوا أقوالاً، ونسبوا إلى رسول الله ﷺ . ولكن الأمر لم يكن بهذه البساطة التي تخيلها أصحاب هذه الشبهة، وأثاروا بها الوساوس في النفوس، وقد جهلوا أو تجاهلوا الحقائق التي سادت الحياة الإسلامية فيما يتعلق بالسنّة النبوية . فقد كان إلى جانب ذلك عدد وفير من الرواة الثقات المتقنين العدول، وعدد وفير من العلماء الذين أحاطوا حديث رسول الله ﷺ بسياسج قوى يعسر على الأفاكين اختراقه .

واستطاع هؤلاء المحدثون بسعة إطلاعهم، ونفاذ بصيرتهم، وجدهم واجتهادهم ومشايرتهم أن يعرفوا الموضوعين، وأن يقفوا على نواياهم ودوافعهم، وأن يضعوا أصابعهم على كل ما نسب إلى رسول الله ﷺ على سبيل الوضع والكذب والافتراء .  
فهؤلاء الضاعون لم يترك لهم الحبل على الغارب يعثون في الحديث النبوي كما يشاؤون، ولم يترك لهم المجال لأن يندسوا بين رواة الأحاديث النبوية الثقات العدول دون أن يعرفوا .

فقد أدرك العلماء الثقات من المحدثين هذا الاتجاه عند الموضوعين فضربوا عليهم حصار فكرياً، وعلمياً، وعملياً، وميزوهم، وكشفوهم، وكشفوا أساليبهم، وأهدافهم، ودوافعهم، وذكروهم فرداً فرداً وبينوا حكم الدين في كل منهم<sup>(١)</sup>، كما استعدوا عليهم الحكام والأمراء بمنعهم من التحديث، كما ميزوا الصحيح والضعيف والموضوع فدون كل على حده، وتلك مزية للسنّة لم يصل إليها أى علم من العلوم، إلا أن أعداء الإسلام استطاعوا أن يصوروا هذه المزية على أنها عيب!!! بزعمهم أن الموضوع يوجد في السنّة بلا تمييز<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان العلماء قديماً وحديثاً اتسعت مباحثهم في التعريف بالحديث الموضوع، وبدايته، وأسبابه، وحكم روايته، وضوابط معرفته، وأشهر المصنفات فيه، وكتبوا في

(١) مؤتمر السنّة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة بحث الشيخ عز الدين التميمي ٢ / ٥٦٩ - ٥٧٠ .

(٢) السنّة النبوية . مكاتبتها . لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ٥٤ .

ذلك ما يفى بالغاية - حتى يصح أن يقال : لم يدع الكاتبون زيادة لمستزيد فيه، فلنذكر خلاصة بعض تلك المباحث ففيها بيان جهود علماء الحديث في مقاومة حركة الوضع والوضاعين، وهتك سترهم، حتى خرجت السنة النبوية المطهرة سالمة من تحريفهم وإفكهم. فإلى بيان ذلك.

### التعريف بالحديث الموضوع لغة واصطلاحاً :

الموضوع لغة : اسم مفعول، مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعاً، إذا حطه وأسقطه. أو مأخوذ من الضعة، وهي الانخراط في الرتبة ويأتى (وضع) لمعان عدة، منها : الإسقاط، كوضع الجنابة عنه أى أسقطها وكوضع الأمر، أو الشيء عن كاهله، أى أسقطه. ويأتى بمعنى الترك، ومنه : إبل موضوعة، أى متروكة في المرعى. ويأتى بمعنى الافتراء والاختلاف كوضع هذه القصة، أى : اختلقها وافتراها. والأحاديث الموضوعة : المختلقة<sup>(١)</sup>.

والموضوع في اصطلاح المحدثين : هو الحديث الكذب، المختلق، المصنوع فهو مما نسب إلى النبي ﷺ كذباً واختلاقاً، مما لم يقله أو يفعله أو يقره، فالمناسبة بين المعنى اللغوي، والاصطلاحى ظاهرة؛ لأن الموضوع فيه معنى السقوط، وفيه انخراط في رتبته عن غيره، وفيه معنى التوليد وإيجاد ما لم يكن موجوداً<sup>(٢)</sup>.

وتسمية الكلام (الموضوع) : حديثاً، لا مانع منها، فهو حديث بالنظر إلى المعنى اللغوي، كما أشار إليه الحافظ السخاوي في فاتحة كتابه المقاصد الحسنة بقوله : ولاحظت في تسميتها أحاديث - المعنى اللغوي -<sup>(٣)</sup>، وهو أيضاً (حديث) بحسب زعم واضعه، وبالنظر إلى ظاهر الأمر قبل البحث والكشف له، وإن كان اصطلاحاً ليس بحديث.

ويشهد لتسمية الكلام المكذوب (حديثاً) قوله ﷺ : "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"<sup>(٤)</sup>، ففي هذا الحديث سمى النبي ﷺ، الكلام المكذوب

(١) لسان العرب ٨/ ٣٩٦، ٣٩٧، والقاموس المحيط ٣/ ٩١، ٩٢.

(٢) انظر : تدريب الراوى ١/ ٢٧٤، وفتح المغيب للسخاوى ١/ ٢٧٤، وتوضيح الأفكار ٢/ ٦٨، وتنزيه الشريعة لابن عراق ١/ ٥.

(٣) المقاصد الحسنة ص ٣.

(٤) سبق تقريره ص ٤٠.

(حديثاً).

والحديث الموضوع : تارة يكون كلاماً يخترعه الكذاب من عند نفسه، ثم يضيفه إلى رسول الله ﷺ، وهو أكثر الأحاديث الموضوعية.

وتارة يأخذ الواضع كلام غيره كبعض كلمات السلف الصالح من الصحابة والتابعين، أو بعض كلمات الحكماء، أو بعض الأخبار الإسرائيلية، أو غير ذلك، ثم ينسبه للرسول ﷺ.

وتارة يأخذ الواضع حديثاً ضعيف الإسناد، فيركب عليه إسناداً صحيحاً ليروج ويقل. وتارة ينسب الكلام المستقيم ككلام بعض الصحابة أو غيرهم إلى النبي ﷺ خطأ وغلطاً، فيقال فيه أيضاً : حديث موضوع<sup>(١)</sup> أ.هـ.

بداية الوضع في الحديث وبراءة الصحابة ﷺ منه :

اختلف العلماء في بداية ظهور الوضع في الحديث إلى قولين :

١- القول الأول : ذهب إلى أن بدايته في عهد النبوة المباركة، وبه قال الدكتور صلاح الدين الأدلي<sup>(٢)</sup>، والدكتور فاروق حمادة<sup>(٣)</sup>، واستدلوا على ذلك بما روى عن بُرَيْدَةَ<sup>(٤)</sup> قال: جاء رجل إلى قوم في جانب المدينة فقال : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أحكم برأيي فيكم، في كذا وكذا. وقد كان خطب امرأة منهم في الجاهلية، فأبوا أن يزوجه، فبعث القوم إلى النبي ﷺ يسألونه، فقال : "كذب عدو الله". ثم أرسل رجلاً فقال : "إن أنت وجدته ميتاً فأحرقه" فوجده قد لدغ فمات، فحرقه، فعند ذلك قال النبي ﷺ: "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"<sup>(٥)</sup>.

(١) لمحات من تاريخ السنة ص ٨٠، ٨١ وانظر : تفصيل ذلك في الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٣٥، وتنزيه الشريعة لابن عراق ١/ ١٥-١٦ .

(٢) منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص ٤٠، ٤١ .

(٣) المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ص ٢٧١ - ٢٧٣ .

(٤) بُرَيْدَةُ هو : بُرَيْدَةُ بن الحَصْب، صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب ١/ ١٨٥ رقم ٢١٧، وتاريخ الصحابة ص ٤٣ رقم ١٠٨، ومشاهير علماء الأمصار ص ٧٨ رقم ٤١٤، واسد الغابة ١/ ٣٦٧ رقم ٣٩٨، والإصابة ١/ ١٤٦ رقم ٦٣٢ .

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل ٤/ ١٣٧١، ونقله عنه ابن الجوزي في مقدمة كتابه (الموضوعات) ١/ ٥٥، ٥٦ من حديث بريدة رضي الله عنه، وفي إسناده بروايته عند ابن عدي، وروايته عند ابن الجوزي (صالح بن حيّان القرشي) اتفقت كلمة المحدثين النقاد على تضعيفه وجرحه، كما تراه في ترجمته في : تهذيب التهذيب ٤/ ٣٨٦، وتقريب التهذيب ١/ ٤٢٧ رقم ٢٨٦٢، والجرح والتعديل ٤/ ٣٩٨ رقم ١٧٣٩، والمجروحين لابن حبان ١/ ٣٦٥، =

٢- القول الثاني : ذهب إلى أن بداية الوضع في الحديث، كانت باندلاع الفتنة التي أشعل فتيلها أقوام من الخاقدين على الإسلام، ويعتبر الدكتور السباعي سنة أربعين من الهجرة هي الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب والوضع، وبين التزايد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية والانقسامات الداخلية بعد أن اتخذ الخلاف بين عليٍّ ومعاوية -رضي الله عنهما- شكلاً حريماً سالت به دماء وأزهقت منه أرواح، وبعد أن انقسم المسلمون إلى طوائف متعددة<sup>(١)</sup>، وربما بدأ قبل ذلك، في الفتنة التي كانت زمن عثمان رضي الله عنه، هذا إذا اعتبرناها الفتنة المذكورة في خبر ابن سيرين، والتي جعلها بداية لطلب الإسناد.

وأياً كانت بداية الوضع في الحديث "زمن النبوة المباركة" أو "زمن الفتنة" فلا يمكن أن يكون الوضع في الحديث وقع من صحابة رسول الله ﷺ العدول الثقات المعروفين بالخيرية، والتقوى، والبر والصلاح، والذين يدور عليهم نقل الحديث.

وعلى فرض صحة الروايات التي تشير إلى أن بداية الوضع زمن النبوة المباركة. فليس فيها ما يشكك في صدق الصحابة، ولا ما يطعن في عدالتهم، إذ كان معهم منافقون، وهم الذين كانت تصدر منهم أعمال النفاق، فلا يبعد أن يكون الرجل الوارد في تلك الروايات واحداً من المنافقين، وبذلك قال الدكتور صلاح الدين الأديبي<sup>(٢)</sup>، والدكتور فاروق حمادة<sup>(٣)</sup> دفاعاً عن تهمة الصحابة بالكذب عليه ﷺ في

الضعفاء والمزورين للنسائي ص ١٣٥ رقم ٣١١، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ١٧٠ وترجم له الحافظ الذهبي في الميزان ٢/٢٩٢ فذكر من منكراته هذا الحديث نفسه، وقال : رواه كله صاحب (الصارم المسلول) ص ١٦٩ من طريق البغوي عن يحيى الحماني عن علي بن مسهر وصححه، ولم يضح بوجه. والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ٣/ ٥٩ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفي إسناده عطاء بن السائب الكوفي وقد اختلط كما قال الميثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٤٥، وقد نص الطبراني أن هذا الحديث لم يروه عن عطاء إلا وهيب بن خالد، وقد ذكر أبو داود أنه سمع منه بعد اختلاطه. انظر : نهاية الاغتيال ص ٢٤١ رقم ٧١، وفي تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٣ رقم ٣٨٥ رواية وهيب عنه في جملة ما يدخل في الاختلاط، هذا وقد تتبع الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة هذا الحديث برواياته المتعددة في كتابه "لحات من تاريخ السنة" تحت عنوان "بطلان الأحاديث الدالة على وجود الكذب على النبي ﷺ في حياته ص ٥٦ - ٦٥، وقال : وأما الحديث الذي جاء في سبب ورود حديث "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"، فهو حديث منكر لا يصح الالتفات إليه ولا التعويل عليه، انظر : لحات من تاريخ السنة ص ٥٦

(١) السنة ومكانتها للدكتور السباعي ص ٧٥، ومن ذهب إلى القول الثاني الدكتور همام سعيد في كتابه الفكر المنهجي عند الحديث ص ٥١، والدكتور أبو لبابة في كتابه أصول علم الحديث ص ٨٩-٩١، والأستاذ أبو غدة في كتابه لحات من تاريخ السنة ص ٧٣ - ٧٦ وغيرهم.

(٢) منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص ٤١.

(٣) المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ص ٢٧٣، وسبقهم إلى ذلك الإمام ابن حزم في كتابه الإحكام في-

زمانه، وهما من أصحاب القول الأول أن بداية الوضع زمن النبوة المباركة .

أما ما زعمه غلاة الشيعة والمستشرقون ودعاة اللادينية : أن بداية الوضع كانت في زمن النبي ﷺ ووقعت من صحابته الكرام، واستدلواهم على ذلك بالروايات السابقة<sup>(١)</sup> . وغيرها مما جاء فيها تخطئة بعض الصحابة لبعضهم، واستشهادهم بذلك على أنهم كانوا يشكون في صدق بعضهم بعضاً .

فهذا لا يقوله إلا قوم امتلأت قلوبهم حقداً وبغضاً على من اختارهم واصطفاهم ربهم ﷻ لصحة نبية ﷺ وتبليغ رسالته إلى الخلق كافة .

يقول الدكتور أبو لبابة حسين : "لا يختلف منصفان في أن العصر الأول للإسلام يعد أنظف العصور وأسلمها من حيث استقامة المجتمع وتوفيق رجاله وصلاتهم ولا غرور، فإن جلّ القيادات كانت من الصحابة<sup>(٢)</sup>، كما أن التربية القرآنية التي غرسها ﷺ في صحبه، وتعهدها بالرعاية كانت عاملاً فعالاً في تطهير نفوس الأصحاب مما يطرأ عادة على القلوب والنفوس من أهواء ورغائب تكون مدعاة للكذب والافتراء، ولا سيما القرآن الكريم يتوعد الكاذبين بأشد الوعيد، ويصف الكذب بأنه ظلم قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿قُلْ إِنَّ

مباحث المرسَل فصل (ليس كل من أدرك النبي ﷺ ورآه صحابياً ٢ / ٢١٨ . فبعد أن روى الحديث السابق من رواية بريدة ﷺ وفي إسناده أيضاً "صالح بن حيّان القرشي"، قال ابن حزم : فهذا من كان في عصره ﷺ يكذب عليه كما ترى فلا يقبل إلا من سمى وعرف فضله، وقبل ذكره للحديث قال : "وقد كان في المدينة في عصره عليه السلام منافقون بنص القرآن، وكان بها أيضاً من لا ترضى حاله "كهيئت" المخنث الذي أمر عليه السلام بنفيه، والحكم ابن أبي العاص الطريد وغيرهما، فليس هؤلاء ممن يقع عليهم اسم الصحابة أ.هـ . وهذا الذي قاله الإمام ابن حزم قبل روايته لحديث بريدة يؤكد حمله تلك الرواية على رجل من المنافقين، لا على أحد من الصحابة العلول النقيص . ومن العجب أن محمود أبو رية امتشهد برواية ابن حزم ولم ينقل كلامه السابق . انظر : أضواء على السنة ص ٦٥، وتابعه على ذلك من الشيعة زكريا عباس داود في كتابه تأملات في الحديث ص ١٢٣، كما لم يلتفت الأستاذ أبو غدة -رحمه الله- إلى أن ابن حزم حمل رواية بريدة على رجل من المنافقين ، فغلط الأستاذ أبو غدة الإمام ابن حزم نظماً منه أنه اعتمد بصحة الحديث عندما ذكره في موضعين من كتابه . انظر : لمحات من تاريخ وعلوم الحديث للأستاذ أبو غدة ص ٥٨ هامش .

(١) انظر : أضواء على السنة ص ٦٥، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص ١٣٩، وإنذار من السماء ص ٧٠٠، ٧٠١، ودين السلطان ص ٢٥٨، ٣٢٥، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٩٤، ٤٢٨، وفجر الإسلام ص ٢١١، ومعالم المدرستين المجلد ١ / ٤٣٥، والنص والاجتهاد عبد الحسين شرف الدين ص ٣٣٥، وتأملات في الحديث عند السنة والشيعة زكريا داود ص ١٢٦، ودراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ ص ٥٣٩ .

(٢) أصول علم الحديث للدكتور أبو لبابة ص ٨٩، وراجع: ما سبق في الجواب عن شبهة نهى الصحابة عن الإكثار من الرواية اتهم من أبي بكر وعمر -رضى الله عنهما- للصحابة بالكذب ص ٣٤٣-٣٤٥ .

(٣) الآية ٣٢ من سورة الزمر .

الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ<sup>(١)</sup>.

وكيف يكذبون! وقد اشتهر وأعلن فيهم وتواتر عنهم قوله ﷺ: "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"<sup>(٢)</sup> وكيف تتصور وصفهم بالكذب وعشرات من الآيات القرآنية، وعشرات أخرى من الأحاديث النبوية تركيهم وتصفهم بالصدق، والإخلاص، والتقوى؟!!

بل إنه كما يقول الدكتور السباعي - رحمه الله - : "ليس من السهل علينا أن نتصور صحابة رسول الله ﷺ الذين قلدوا الرسول بأرواحهم وأموالهم وهجروا في سبيل الإسلام أوطانهم وأقرباءهم، وامتنزح حب الله وخوفه بدمائهم ولحومهم : ليس من السهل أن نتصور هؤلاء الأصحاب يقدمون على الكذب على رسول الله ﷺ مهما كانت الدواعي إلى ذلك"<sup>(٣)</sup>... ولقد دلنا تاريخ الصحابة في حياة الرسول وبعده، أنهم كانوا على خشية من الله وتقى بمنعهم من الافتراء على الله ورسوله، وكانوا على حرص شديد على الشريعة وأحكامها، والذب عنها، وإبلاغها إلى الناس، كما تلقوها عن رسوله يتحملون في سبيل ذلك كل تضحية ويخاضمون كل أمير أو خليفة أو أى رجل يرون فيه انحرافاً عن دين الله ﷻ لا يخشون لوماً، ولا موتاً، ولا أذى، ولا اضطهاداً.

#### نماذج من جراءة الصحابة في حفظ الشريعة :

١ - فهذا الفاروق عمر رضي الله عنه الذى تهابه أعتى الإمبراطوريات ويخاف سطوته العادلة أشجع الرجال، تقف في وجهه امرأة لتقول له : لا، وذلك حين دعا إلى أمر رأته فيه هذه المرأة مخالفة لتعاليم القرآن، فقد خطب الناس يوماً فقال : "أيها الناس لا تغالوا في مهوور النساء لو كان ذلك مكرومة عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ". فتتصدى له امرأة على مسمع من الصحابة فتقول له : "يا أمير المؤمنين! كتاب الله ﷻ أحق أن يتبع أو قولك؟ قال : بل كتاب الله ﷻ، فما ذلك؟ قالت نهيت الناس أن يغالوا في صدق النساء والله ﷻ يقول في كتابه العزيز : ﴿وَعَاثِيَهُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾"<sup>(٤)</sup> فقال عمر : كل أحد أفقه من عمر، مرتين أو ثلاثاً ثم رجع إلى

(١) الآية ٦٩ من سورة يونس.

(٢) سبق تفريجه ص ٢٨٤ .

(٣) قارن بالإسلام على مفترق الطرق للأستاذ محمد أسد ص ٩٤ .

(٤) جزء من الآية ٢٠ من سورة النساء.

المنبر فقال للناس : إني نهيتكم أن تغالوا في صدق النساء ألا فليفعل كل رجل في ماله ما بدا له (١) .

٢- ويذهب أبو بكر رضي الله عنه إلى محاربة الممتنعين عن أداء الزكاة فيعارضه عمر طالما أن نصاً نبوياً يمنع دماء من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهو قوله ﷺ "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله"، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ، لقاتلتهم على منعه فقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله ﷻ قد شرع صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه حق (٢) .

٣- وهذا على بن أبي طالب رضي الله عنه يعارض عمر رضي الله عنه في همه برجم امرأة ولدت لستة أشهر، فقال له عليّ : ليس ذاك لك : إن الله ﷻ يقول في كتابه ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (٣) فقد يكون في البطن ستة أشهر، والرضاع أربعة وعشرين شهراً فذلك تمام ما قال الله : ثلاثون شهراً، فحلى عنها عمر (٤) .

٤- وهذا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ينكر على مروان بن الحكم وإلى المدينة تقديم الخطبة على صلاة العيد مبيناً أنه عمل مخالف للسنة النبوية (٥) .

٥- وها هو ابن عمر - كما يروى لنا الذهبي في "تذكرة الحفاظ" يقوم-

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه باب ما جاء في الصداق ١/ ١٦٦، ١٦٧ رقم ٥٩٨ وأخرجه أبو يعلى في مسنده وفيه "كل الناس أفتة من عمر"، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٨٤ : فيه مجاهد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق .

(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب استتابة المرتدين، باب قتل من أبي قبول الفرائض ١٢/ ٢٨٨ رقم ٦٩٢٤، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/ ٢٣٢ رقم ٣٢، واللفظ له .

(٣) جزء من الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، باب المرأة تلد لستة أشهر ٢/ ٦٦ رقم ٢٠٧٤ .

(٥) قصة الحديث أخرجه (بشرح فتح الباري) كتاب العيدين، باب الخروج إلى المصلي بغير منبر ٢/ ٥٢٠ رقم ٩٥٦، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ١/ ٢٩٦ رقم ٧٨، ٧٩، وانظر : إنكار كعب بن عجرة رضي الله عنه على عبد الرحمن ابن أم الحكم عخطيته يوم الجمعة قاعداً قائلاً : "انظروا إلى هذا الحديث يخطب قاعداً وقال الله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ . هـ الآية ١١ من سورة الجمعة، والحديث أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجمعة باب قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ ٣/ ٤١٦ رقم ٨٦٤ .

والحجاج<sup>(١)</sup> يخطب فيقول : أي ابن عمر متكلماً عن الحجاج : عدو الله استحل حرم الله وخرب بيت الله وقتل أولياء الله، وروى الذهبي أن الحجاج خطب فقال : إن ابن الزبير بدل كلام الله، فقال ابن عمر: كذبت لم يكن ابن الزبير يستطيع أن يبدل كلام الله ولا أنت، قال الحجاج : إنك شيخ قد خرفت أقعد. قال ابن عمر : أما إنك لو عدت عدت<sup>(٢)</sup>.

مثل هذه الأخبار، ومثبات أمثالها قد استفاضت بها كتب التاريخ، وهي تدل دلالة قاطعة على ما كان عليه الصحابة من الشجاعة، والأمانة، والجرأة في الحق، والتفاني في الدفاع عنه، بحيث يستحيل أن يكذبوا على رسول الله ﷺ اتباعاً لهوى أو رغبة في دنيا، إذ لا يكذب إلا الجبان، كما يستحيل عليهم أن يسكنوا عمن يكذب على رسول الله ﷺ وهم الذين لا يسكنون عن اجتهاد خاطئ يذهب إليه بعضهم بعد فكر وإمعان نظر. وهذا غاية ما يكون بينهم من خلاف فقهي لا يتعدى اختلاف وجهات النظر في أمر ديني وكل منهم يطلب الحق وينشده<sup>(٣)</sup>.

وما يرد من ألفاظ التكذيب على ألسنة بعضهم، فإنما هو تخطئة بعضهم لبعض، وبيان ما وقع فيه بعضهم من وهم الكلام.

والكذب بهذا المعنى لا يعصم منه أحد، لا من الصحابة، ولا ممن دونهم، وقد جاءت كلمة "الكذب" في أحاديث كثيرة بمعنى الخطأ، من ذلك : قول النبي ﷺ : كذب من قال ذلك<sup>(٤)</sup> في الرد على من ظن أن عامر بن الأكوع<sup>(٥)</sup> : "قتل نفسه في غزوة خيبر حيث أصابه سيفه، وهو يبارز "مرحباً" ملك اليهود وقوله ﷺ : "كذب

(١) الحجاج : هو الحجاج ابن يوسف بن أبي عقيل الثقفي، الأمير، المشهور، الظالم، المير، وقع ذكره وكلامه في الصحيحين وغيرهما، وليس بأهل بأن يروى عنه، ولي إمرة العراق عشرين سنة، مات سنة ٩٥ هـ. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ١٩٠ رقم ١١٤٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩ رقم ١٤٩، والجرح والتعديل ٣/ ١٦٨ رقم ٧١٧، والكاشف ١/ ٣١٣ رقم ٩٤٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣ رقم ١١٧، ولسان الميزان ٢/ ٣٢٣ رقم ٢٣٥١.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٧، ٣٩.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ٧٦ - ٧٨ بتصرف.

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر ٦/ ٤٠٤ رقم ١٨٠٢، وباب غزوة ذي قور وغيرها ٦/ ٤١٩ رقم ١٨٠٧.

(٥) عامر بن الأكوع : صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب ٢/ ٧٨٥ رقم ١٣١٧، واسد الغابة ٣/ ١١٤ رقم ٢٦٨٠، وتحرير أسماء الصحابة ١/ ٢٨٣، والإصابة ٣/ ٣٥٠ رقمي ٣٦٤، ٣٩٣.

أبو السنابل<sup>(١)</sup>، ليس كما قال، قد حلت فانكحى". وذلك فى الرد على أبى السنابل الذى قال لسبيعة بنت الحارث<sup>(٢)</sup>، وقد وضعت حملها بعد وفاة زوجها بأيام: إنك لا تحلين حتى تمكثى أربعة أشهر وعشرًا. فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: "كذب أبو السنابل، ليس كما قال"<sup>(٣)</sup>.

وعلى نحو هذا الاستعمال لكلمة "كذب" جاء استعمال الصحابة لها، كقول ابن عباس - رضى الله عنهما - عن نوف البكالى<sup>(٤)</sup>: "كذب نوف" عندما قال صاحب الخضر ليس موسى بنى إسرائيل، وإنما موسى آخر - ونوف من الصالحين العباد، ومقصود ابن عباس: اخطأ نوف<sup>(٥)</sup>.

ومنه قول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: "كذب أبو محمد" حيث قال: "الوتر واجب" ومنه قول عائشة - رضى الله عنها - لما بلغها أن أبا هريرة يحدث بأنه "لا شؤم إلا فى ثلاث" قالت: "كذب - والذى أنزل على أبى القاسم - من يقول: "لا شؤم إلا فى ثلاث - ثم ذكرت الحديث"<sup>(٦)</sup>. "واستمع الزبير بن العوام رضي الله عنه، إلى أبى هريرة يحدث، فجعل يقول كلما سمع حديثاً: كذب ... صدق ... كذب، فسأله عروة ابنه: يا أبت ما قولك: صدق ... كذب. قال: يا بنى: أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله ﷺ، فلا شك فيه، ولكن منها ما يضعه على مواضعه، ومنها ما وضعه على غير مواضعه"<sup>(٧)</sup>. فعائشة والزبير - رضى الله عنهما - لا يريدان بقولهما - كذب

(١) أبو السنابل: هو حبة بن بكلكل، صحابى جليل له ترجمة فى: الاستيعاب ١/ ٣١٨ رقم ٤٦٨، واسد الغابة ١/ ٦٦٩ رقم ١٠٣٠، وتاريخ الصحابة ص ٧٧ رقم ٢٩٩، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٨ رقم ٨٤، والإصابة ١/ ٣٠٤ رقم ١٥٦٥.

(٢) سبيعة بنت الحارث: صحابية جلييلة لها ترجمة فى: تاريخ الصحابة ص ١٣٠ رقم ٦٣٠، والاستيعاب ٤/ ١٨٥٩ رقم ٣٣٧٠، واسد الغابة ٧/ ١٣٨ رقم ٦٩٧٩، والإصابة ٤/ ٣٢٦ رقم ١١٢٧٨.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه كتاب الطلاق، باب فى عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ١/ ٣٥٠ رقمى ١٥٠٨، ١٥٠٦.

(٤) نوف البكالى: هو نوف، بفتح النون وسكون الواو، ابن فضالة، بفتح الفاء والمعجمة، البكالى، بكسر الموحدة وتخفيف الكاف، ابن امرأة كعب، شامى مستور، وإنما كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب، مات سنة بعد التسعين من الهجرة. له ترجمة فى: تقريب التهذيب ٢/ ٢٥٥ رقم ٧٢٣٩، والجرح والتعديل ٨/ ٥٠٥ رقم ٢٣١١.

(٥) انظر: الفكر المنهجى عند المحدثين للدكتور همام عبد الرحيم ص ٥٢.

(٦) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب فى من لم يوتر ٢/ ٦٢ رقم ١٤٢٠، والنسائى فى سننه كتاب الصلاة، باب المحافظة على الصلوات الخمس والمحافظة عليها ١/ ٢٣٠ رقم ٤٦١، والموطأ كتاب صلاة الليل، باب الأمر بالوتر ١/ ١٢٠ رقم ١٣.

(٧) البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١١٢، وانظر: توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى للدكتور رفعت فوزى ص ٣٤.

أى اختلق - حاشاهم من ذلك - وإنما المراد اخطأ فى فهم بعض الأحاديث ووضعها فى غير محل الاستشهاد بها، كما صرح الزبير بن العوام رضي الله عنه، فعدالة أبى هريرة بين الصحابة أعظم من أن تمس بجرح، وما اتهم به كذباً من أعداء الإسلام تصدى للرد عليه رهط من علماء الإسلام<sup>(١)</sup>.

فهذا كله من الكذب الخطأ، ومعناه "اخطأ قائل ذلك". وسمى كذباً، لأنه يشبهه؛ لأنه ضد الصواب، كما أن الكذب ضد الصدق، وإن افترقا من حيث النية والقصد<sup>(٢)</sup> وما استدرك به بعض الصحابة بعضاً فى الرواية لا يعد كذباً، كيف لا والصحابة يتفوتون فى روايتهم عن النبى صلى الله عليه وسلم بين مكثر ومقل، يحضرو بعضهم مجلساً للرسول صلى الله عليه وسلم يغيب عنه آخرون، فينفرد الحاضرون بما لم يسمعه المتخلفون، حتى يبلغوا به فيما بعد. ومن هذا القبيل كتاب "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" للإمام بدر الدين الزركشى. كما وقع لجماعة من الصحابة غيرها، استدركوا على مثيلهم، ونفوا ما رواه وخطأوه فيه.

وبدل على ما سبق ما رواه الحاكم عن البراء بن عازب رضي الله عنه : "ليس كلنا كان يسمع حديث النبى صلى الله عليه وسلم، كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن كان الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب"<sup>(٣)</sup>.

وعن القاسم بن محمد<sup>(٤)</sup> قال : "لما بلغ عائشة قول عمرو بن عمر مرفوعاً : إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه قالت : إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السَّمْعُ يُخْطِئُ"<sup>(٥)</sup>، وفى رواية قالت : "يغفر الله لأبى عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب،

(١) انظر بعض من تصدى للدفاع عنه فى "مبحث أبو هريرة رواية الإسلام رغم آنف الحاقدين" ص ٢٣٨  
(٢) انظر : لسان العرب ١ / ٧٠٤، وانظر : فتح البارى ١ / ٢٤٢، والمكانة العلمية لعبد الرزاق الصنعاني فى الحديث النبوى لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفاتر مبحث (مراجعة الصحابة بعضهم لبعض فى ضبط ما يروونه لا تعنى الاتهام) ١ / ٢٩٥ .  
(٣) سبق ترجمته ص ٣٤٣ .

(٤) القاسم بن محمد : هو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق التيمى، ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة، روى عن عائشة، وأبى هريرة، وفاطمة بنت قيس، وعنه الزهري، وأبو الزناد. مات سنة ١٠٦ هـ على الصحيح. له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٢ / ٢٣ رقم ٥٥٠٦ والكاشف ٢ / ١٣٠ رقم ٤٥٢٨ والثقات للعجلي ص ٣٨٧ رقم ١٣٧٠، وتذكرة الحفاظ ١ / ٩٦ رقم ٨٨، والثقات لابن حبان ٥ / ٣٠٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ٨٢ رقم ٤٢٧ .

(٥) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ٣ / ٥٠١ رقم ٩٢٩ .

ولكنه نسى أو اخطأ، إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية تبكى عليها فقال : إنهم ليكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها" (١).

كل ذلك وغيره الكثير، يدل على ثقة الصحابة بعضهم ببعض، ثقة لا يشوبها شك ولا ريبة، لما يؤمنون به من تدينهم بالصدق، وأنه عندهم رأس الفضائل، وبه قام الإسلام، وساد أولئك الصفوة المختارة من أهله الأولين وصدقته عائشة - رضى الله عنها - ما كَانَ خُلُقُ أَبْغَضَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من الكذب (٢).

وعلى هذا : فإذا ورد على لسان أحد من الصحابة نفى ما رواه نظيره، أو قوله فى مثيله : كذب فلان ...، أو نحو هذا من العبارات، فالمراد به أنه أخطأ أو نسى؛ لأن الكذب عند أهل السنة هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه عمداً أو نسياناً أو خطأ، ولكن الإثم يختص بالعمد، كما جاء فى الحديث : "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (٣). قال الإمام النووى بعد تعريفه للكذب عند أهل السنة : وقالت المعتزلة، شرطة العمدية ودليل خطاب هذه الأحاديث لنا، فإن قيده عليه السلام بالعمد، لكونه قد يكون عمداً، وقد يكون سهواً، مع أن الإجماع والنصوص المشهورة فى الكتاب والسنة متوافقة متظاهرة على أنه لا إثم على الناسى والغالط، فلو أطلق ﷺ الكذب لتوهم أنه يائثم الناسى أيضاً فقيده وأما الروايات المطلقة، فمحمولة على المقيدة بالعمد (٤). أ. هـ.

**الرد على زعم أعداء السنة المطهرة بأن لفظه "متعمداً" فى حديث "من كذب على" مختلفة :**

زعم أعداء السنة بأن لفظه "متعمداً" مختلفة، وأدرجها العلماء ليسوغوا بها، وضع الحديث على رسول الله ﷺ حسبة من غير عمد، كما كان يفعل الصالحون من المؤمنين ويقولون "نحن نكذب له لا عليه" أو يتكئ عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم

(١) أخرجه مسلم فى الموضع السابق ٥٠٣/ ٣ رقم ٩٣٢، وانظر : فتح البارى ٣/ ١٨٤ حيث نقل عن القرطبى قوله : "إنكار عائشة ذلك وحكمها على الراوى بالخطئة أو النسيان أو على أنه سمع بعضاً ولم يسمع بعضاً بعيد، لأن الرواة لهذا المعنى من الصحابة كثيرون وهم جازمون فلا وجه للنفى مع إسكان حمله على محمل صحيح .. إلخ".

(٢) سبق تخريجه ص ٣٤٣ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٨٤ . وانظر : لحات من تاريخ السنة للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص ٧٣ .

(٤) المنهاج شرح مسلم للنووى ١/ ١٠٤ .

على سبيل الخطأ، أو الوهم أو سوء الفهم ... إلخ" (١).

الجواب : هذا الزعم كله هراء لأن "لفظة متعمداً" أخرجها البخارى فى صحيحه فى أكثر رواياته (٢)، واتفق معه الإمام مسلم فى تخريجها فى صحيحه (٣).

وأفاض الحافظ ابن حجر فى بيان ثبوتها (٤)، ورغم ذلك يكذب محمود أبو رية بذكره للبخارى وابن حجر ضمن من لا يثبتون هذه الزيادة (٥).

يقول فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة : ولا أحد يدري - كيف يجتمع الوضع حسبة مع عدم التعمد؟ إن معنى الحسبة أن يقصد الواضع وجه الله ، وثوابه، وخدمة الشريعة - على حسب زعمه - بالترغيب فى فعل الخير والفضائل، وهم قوم من جهلة الصوفية، والكرامية، جوزوا الوضع فى الترغيب والترهيب، وربما تمسكوا بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٦). وقوله ﷺ من كذب على ليضل به الناس (٧). فكيف يجامع قصد الوضع، عدم التعمد؟! وتفسير الحسبة بأنها عن غير عمد غير مقبول ولا مسلم.

ثم إن رفع إثم الخطأ أو السهو ليس بهذه الكلمة، وإنما ثبت بأدلة أخرى، وقد تقرر فى الشريعة أنه لا إثم على المخطئ والناسى ، ما لم يكن بتقصير منه فذكر الكلمة

---

(١) انظر : أضواء على السنة ص ٦٠، وتابعه جمال البنا فى كتاب السنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١٣٩ وقال بقولهم نيازى عز الدين فى كتابيه إنذار من السماء ص ٧٠٠، ٧٠١، ودين السلطان ص ١٧٠، ٢٤٣، ٢٥٨، ٣٢٥، وانظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٩٤ .

(٢) البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبى ﷺ ١ / ٢٤٣، ٢٤٤ رقمى ١٠٨، ١١٠ .

(٣) انظر: مسلم (بشرح النووى) المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله (١٠٠، ١٠١) رقمى ٤٠٣ .

(٤) فتح البارى ١ / ٢٤٢ رقمى ١٠٨، ١١٠ .

(٥) أضواء على السنة ص ٦٢ هامش .

(٦) جزء من الآية ١٤٤ من سورة الأنعام .

(٧) قال الحافظ ابن حجر : الحديث أخرجه البزار من حديث ابن مسعود وقد اختلف فى وصله وإرساله، ورجح الدارقطنى وإلحاقه لإرساله، وأخرجه الدارمى من حديث يعلى بن مرة بسند ضعيف، وعلى تقدير ثبوته فليست اللام فيه للعلة بل للضرورة كما فسر قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ والمعنى أن مال أمره إلى الإضلال، أو هو من تخصيص بعض أفراد العموم بالذكر فلا مفهوم له كقوله تعالى : ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ [إِمْلاقٍ]﴾ فإن قتل الأولاد، ومضاعفة الربا والإضلال فى هذه الآيات إنما هو لتأكيد الأمر فيها لا اختصاص الحكم أ.هـ. انظر : فتح البارى ١ / ٢٤١، ٢٤٦، ٦، وفتح المغيث للسخاوى ١ / ٢٨٨، ٢٨٩، وانظر : الموضوعات لابن الجوزى ١ / ٩٤ - ٩٨ .

لا يفيد هؤلاء الرواة شيئاً ما دام هذا أمراً مقررًا، والسر في ذكرها أن الحديث لما رتب وعيداً شديداً على الكاذب، والمخطئ، والساهي، والناسي، لا إثم عليهم، كان من الدقة والحيلة في التعبير التقييد بالعمد، وذلك لرفع توهم الإثم على المخطئ والغالط والناسي، وهو ما نقله الإمام النووي عن مذهب أهل السنة والمعتزلة أيضاً.

على أن أئمة الحديث وإن قالوا برفع الإثم عن المخطئ، والناسي، والغالط، فقد جعلوا ما ألحق بالحديث غلطاً، أو سهواً، أو خطأً، من قبيل الشبيه بالموضوع في كونه كذباً في نسبته إلى الرسول ﷺ، ولا تحل روايته إلا مقروناً ببيان أمره، وإلى هذا ذهب الأئمة، الخليلي، وابن الصلاح، والعراقي، وغيرهم، وقد اعتبره بعض أئمة الجرح - كابن معين، وابن أبي حاتم - من قبيل الموضوع المختلق، وذهب بعض الأئمة إلى أنه من قبيل المدرج، ومهما يكن من شيء فقد جعلوا هذا النوع من الغلط أو الوهم مما يطعن في عدالة الراوي وضبطه (١) أ. هـ.

فأين هذا الذي يقرره الجهابذة من المحدثين مما يزعمه الأفاكون أمثال محمود أبو رية، في قوله كلمة "متعمداً" "يتكئ عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ، أو الوهم أو سوء الفهم ... إلخ" !!؟

يقول الشيخ المعلمي اليماني : "ولا يتوهم أحد أن كلمة "متعمداً" تخرج من حدث جازماً وهو شك، كلا فإن هذا متعمد بالإجماع، ولا نعلم أحداً من الناس حتى من أهل الجهل والضلالة زعم أن كلمة "متعمداً" تخرج هذا، وإنما وجد من أهل الجهل والضلال من تشبث بكلمة "على" فقال : نحن نكذب له لا عليه . فلو شكك محمود أبو رية، ومن قال بقوله، في كلمة "على" لكان أقرب (٢) .

(١) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص ٥٢، ٥٣ بتصرف، وانظر : رد الأئمة للراوي المتساهل في التحمل والأداء وصور من ذلك التساهل في: فتح المغيث للسخاوي ١ / ٣٨٥-٣٨٩، وتدريب الراوي ١ / ٢٩٩، ٣٤٠، وتوضيح الأفكار ٢ / ٢٥٥ - ٢٥٨ .

(٢) الأنوار الكاشفة ص ٧٢، وانظر : مزيد من الرد على أكاذيب محمود أبو رية حول هذا الحديث في الأنوار الكاشفة، مع دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة .

## جهود حملة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين في مقاومة حركة الوضع في السنة النبوية

للوضع في الحديث أسبابه التي فصلها علماء المسلمين قديماً وحديثاً<sup>(١)</sup>، والذي يهمننا هنا هو بيان جهود حملة الإسلام، ورواة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في مقاومة تلك الأسباب وأصحابها<sup>(٢)</sup>، وبيان زيف أعداء السنة بأن الفتن التي وقعت بين المسلمين كانت ضرراً كبيراً على السنة حتى اختلط الموضوع بالصحيح منها، وأصبحت غير مميزة مما يضعف الثقة بحجية السنة، وكذلك بيان إفكهم بأن الكذابين، والجهلة، والفسقة من الوضعاء، كانوا من علماء المسلمين الأئمة، وأن الملوك والأمراء استغلوهم في وضع ما يوافق رغباتهم ويثبت ملكهم.

بادئ ذي بدء نحب أن نقرر أنه إذا كانت الفتن التي وقعت بين المسلمين والتي بدأت بمقتل سيدنا عمر رضي الله عنه واشتدت بمقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه وتوالت بفتنة علي ومعاوية -رضي الله عنهما- إذا كانت تلك الفتن ذات أثر سلبي على السنة النبوية، فإنها كانت في الوقت نفسه سبباً في بناء أقوى الطرق العلمية للنقد والتحريض، ليس في الحديث فقط بل في سائر العلوم الإسلامية.

يقول الدكتور همام سعيد: "مما لا شك فيه أن فتناً كثيرة وقعت في عصر الصحابة أولها مقتل عمر رضي الله عنه، ثم مقتل عثمان رضي الله عنه، ثم الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- ولقد استهدفت هذه الفتن الإسلام في أصوله وفروعه، وأراد موقدوها أن يفسدوا على المسلمين أمور دينهم، ومما لا ريب فيه أن الفتنة ذات أثر سلبي، ولكنها في الوقت نفسه كانت سبباً في بناء المنهج الإسلامي، ليس فقط في الحديث وحده، بل في العقيدة والفقه وأصوله. وفي الحقيقة إذا كان المسلمون قد

(١) انظر: الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٣٧ - ٤٧، وتنزيه الشريعة لابن عراق ١/ ١١ - ١٧، وفتح المغيث للسحاري ٢٧٨-٢٨٦، وتدريب الراوي ١/ ٢٨١، والسنة ومكانتها للدكتور السباعي ص ٧٩ - ٨٩، والوضع في الحديث للدكتور عمر بن حسن فلاح، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم ٩٠١، وانظر: مقارنة بين أسباب الوضع في الحديث، وأسباب الوضع في العهد الجديد، في منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزية على طه ص ٤٩٣ - ٤٩٥.

(٢) تلك الجهود التي يتجاهلها أعداء السنة عندما يتحدثون عن الوضع في السنة على الرغم من أن ما يستشهدون به على الوضع في السنة من أسبابه وأصنافه، الفضل في التعريف بذلك إنما هو لأهل الحديث.

أضاعوا دولتهم من خلال الفتنة، فقد وجدوا المنهج من خلال الفتنة وأثر الفتنة في بناء المنهج أمر لا بد أن نلتفت إليه، وما ظهر الجرح والتعديل، وطلب الإسناد وسائر علوم الحديث إلا من خلال وجود الفتنة، تماماً كما ظهر علم النحو من خلال وجود اللحن في اللغة<sup>(١)</sup>.

ولعل بروز الفتنة في ذلك العصر المبكر، والصحابة متوافرون كان في غاية الفائدة بالنسبة للسنة النبوية. وكم ستكون المشكلة كبيرة لو أن هذه الفتن وقعت بعد انتهاء عصر الصحابة عليهم السلام.

إن حدوث الفتن أفاد السنة المطهرة فائدة كبيرة، ويمكن أن نقارن هذا الأثر الإيجابي بأثر اللحن على اللغة العربية، إذ عندما ظهر اللحن وفشا، واختلط العرب بالعجم، ظهرت الحاجة إلى تعيد النحو وضبطه وتدوين شواهده، فكان اللحن مفسدة من جهة أثره على الفطرة اللغوية السليمة، ولكنه كان حافزاً لحفظ اللغة وتأسيس مناهجها. وإن فشو اللحن في ذلك الزمن المبكر حيث الفصاحة والبيان والفطرة اللغوية في قلب الجزيرة العربية، قد مكن العلماء من استنباط القواعد وجمعها، والتوصل إلى مناهج الضبط اللغوي. ولو تأخر اللحن حتى زالت السليقة عن طريق الاختلاط بين العرب والعجم لحدثت مشكلة لا حل لها ولا علاج.

وكذلك الحال بالنسبة للحديث، فقد ظهرت الفتن والصحابة أحياء، والرواية قريبة من مصدرها الأصلي، وخطوط الاتصال بين الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم قائمة مفتوحة كل هذا ساعد على استقرار المنهج، ولو تأخرت الفتنة، ووقعت بعد عصر الصحابة، وقد بعدت الرواية عن مصدرها، فإنه لا يمكن عندئذ استكمال القواعد المنهجية.

لقد أثرت الفتنة على النظام السياسي الإسلامي، ولكنها في الوقت ذاته ساعدت على تأصيل مختلف العلوم الإسلامية، وأبرزت مناهجها.

ولقد خاب ظن أعداء الإسلام من غلاة الشيعة، والمستشرقين، ودعاة الإلحاد المتكئين على الفتنة باعتبارها مصدر تشكيك بالسنة النبوية. وكان الأجدر أن يعلموا أن الحديث قد أخذ من المغام أكثر مما دفع من المغارم.

(١) انظر: مؤتمر السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة، تعليق الدكتور همام عبد الرحيم على بحث الشيخ عز الدين التميمي ٦٠٢/٢، ٦٠٣.

وهذا ابن عباس -رضى الله عنهما- يأتيه من يحدثه، فلا يلتفت لحديثه، تطبيقاً لقاعدة (إن من لا يعرف حاله لا يقبل حديثه). جاء بُشَيْرُ العَدَوِيِّ<sup>(١)</sup> إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال : يا ابن عباس، مالي لا أراك تسمع حديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟ فقال ابن عباس : "إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله ﷺ، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف" وفي رواية عن ابن عباس قال : "إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول، تركنا الحديث عنه"<sup>(٢)</sup>.

كما كان الصحابة رضوا ﷺ أول من نهوا إلى صفة من يقبل حديثه ومن يرد. ويروى لنا الخطيب في ذلك، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال : "لا يكتب الحديث عن الشيخ المغفل"<sup>(٣)</sup>.

فهذه النصوص وغيرها مما سبق<sup>(٤)</sup>، تدل بجلاء على تشمير الصحابة لتحذير الناس من الوقوع في أحابيل الكذب، كما تدل على أنهم لم يكونوا في غفلة عن ظاهرة الوضع، بل انتبهوا لها، وقاوموا الوضعيين بالتشهير والتحذير.

(١) بُشَيْرُ العَدَوِيِّ هو : بُشَيْرٌ - مصغراً - ابن كعب بن أبي الحميري العدوي أبو أيوب البصري، ثقة مخضرم. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ١٣٣ رقم ٧٣١، والكاشف ١/ ٢٧٢ رقم ٦١٤، والثقات للعجلي ص ٨٣ رقم ١٥٩، والتعريف برواة مسند الشاميين ص ٦٥ رقم ٧٩.

(٢) الآثار السابقة سبق تفريغها ص ٢٨٦، ٣٣٤.

(٣) الكفاية في علم الرواية ص ٢٣٣.

(٤) راجع : قول سيدنا عثمان ومعاوية رضي الله عنهما في الجواب عن شبهة نهى الصحابة عن الإكثار من الرواية دليل على عدم حجة السنة، واتهام من أبي بكر وعمر للصحابة بالكذب ص ٣٢٩-٣٤٥.

وعلى نهج الصحابة فى التثبت والتحرى، درج الأئمة من التابعين وأتباعهم، فها هو محمد بن سيرين، التابعى الكبير، يعلن عن أثر الفتنة، على البحث والنقد، فيقول : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يؤخذ حديثهم<sup>(١)</sup>، وفى رواية عنه قال : "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم"<sup>(٢)</sup>.

وكثيراً ما كان التابعون، وأتباعهم يتذاكرون الحديث، فيأخذوا ما عرفوا ويتروا ما أنكروا، قال الإمام الأوزاعى : "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف، على الصيارفة فما عرفوا منه أخذنا، وما تركوا تركناه"<sup>(٣)</sup>، وروى الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه عن ابن أبى مليكة قال : كتبت إلى ابن عباس أن يكتب لى ويخفى عنى . فقال: ولد ناصح أنا اختار له الأمور اختياراً وأخفى عنه : فدعا بقضاء على . فجعل يكتب منه أشياء . ويمر به الشئ فيقول : والله ما قضى بهذا على إلا أن يكون ضل<sup>(٤)</sup>.

وكانوا دائماً يرجعون إلى من يثقون به، قال سفيان الثورى "كنا إذا اختلفنا فى شئ سألنا عنه مسعر"<sup>(٥)</sup> وكان أئمة الحديث على جانب عظيم من الوعى والإطلاع، فقد كانوا يحفظون الصحيح، والضعيف، والموضوع حتى لا يختلط عليهم، وعلى من بعدهم الحديث، ولیميزا الخبيث من الطيب، وفى هذا يقول الإمام سفيان الثورى : إننى لأروى الحديث على ثلاثة أوجه : أسمع الحديث من الرجل اتخذه ديناً، وأسمع من الرجل أقف حديثه، وأسمع من الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته<sup>(٦)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص ١٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووى) المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين ١/ ١١٩، وانظر : الفكر المنهجي عند المحدثين للدكتور همام عبد الرحيم ص ٥٦ - ٥٨ بتصرف .

(٣) انظر: الجرح والتعديل ٢/ ٢٠، ٢١، والمحدث الفاضل ص ٦٤، والكفاية فى علم الرواية ص ٦٠٥، والموضوعات لابن الجوزى ١/ ١٠٣، وانظر: نحوه عن الأعمش فى معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١٦ .

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووى) المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء ١/ ١١٢، ١١٣ .

(٥) مسعر : هو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالى، أبو سلمة الكوفى متفق على توثيقه، مات سنة ١٥٥ هـ وقبل ١٥٣ هـ . له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٢/ ١٧٦ رقم ٦٦٢٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٨٨ رقم ١٨٣، والنفقات للعجلي ص ٤٢٦ رقم ١٥٦٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٠٠ رقم ١٣٤٤، والكاشف ٢/ ٢٥٦ رقم ٥٣٩٥، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٨٨ رقم ١٧٣، وانظر المحدث الفاضل ص ٧٥ .

(٦) أخرجه الخطيب فى الكفاية ص ٥٦٨، والجامع لأخلاق الراوى ص ١٥٧ وابن عدى فى الكامل فى الضعفاء ٢/ ١ .

وروى الخطيب عن الإمام أحمد بن حنبل<sup>(١)</sup> أنه رأى يحيى بن معين بصنعاء في زاوية، وهو يكتب صحيفة معمر<sup>(٢)</sup> عن أبان<sup>(٣)</sup> عن أنس، فإذا طلع عليه إنسان كتبه، فقال له أحمد بن حنبل : تكتب صحيفة معمر، عن أبان، عن أنس، وتعلم أنها موضوعة، فلو قال لك قائل : إنك تتكلم في أبان ثم تكتب حديثه على الوجه؟ فقال: رحمك الله يا أبا عبد الله، أكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق<sup>(٤)</sup> عن معمر، على الوجه، فأحفظها كلها، وأعلم أنها موضوعة، حتى لا ينجي بعده إنسان فيجعل بدل أبان، ثابتاً<sup>(٥)</sup>، ويرويها عن معمر، عن ثابت، عن أنس ابن مالك، فأقول له : كذبت إنما هي عن معمر عن أبان، لا عن ثابت<sup>(٦)</sup> أ. هـ .

(١) الإمام أحمد بن حنبل : هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة، ثقة حافظ، فقيه حجة، من مصنفاته : الزهد، والمسنند، الذي جعله للناس إماماً، مات سنة ٢٤١ هـ. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٤٤ رقم ٩٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣١ رقم ٤٣٨، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٨٩ رقم ٤١٧، وطبقات المفسرين للدوادى ١/ ٧١ رقم ٦٥، والإرشاد في معرفة علماء الحديث ص ١٨٧، ٨٨، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسائيد ص ١٥٨ رقم ١٨٢، وشذرات الذهب ٢/ ٩٦، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ١/ ١٠٤ رقم ٥ .

(٢) معمر : هو معمر بن راشد، الأزدى مولا هم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت، والأعمش، وهشام بن عروة شيعاً، وكذا فيما حدث به بالبصرة، روى عن الزهري، وهمام، وعنه غندر وعبد الرزاق . مات سنة ١٥٤ هـ. له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢/ ٢٠٢ رقم ٦٨٣٣، والكاشف ٢/ ٢٨٢ رقم ٥٥٦٧، والثقات للعجلي ص ٤٣٥ رقم ١٦١١، والإرشاد للخليلي ص ١٩ .

(٣) أبان : أبان بن أبي عياش، فيروز البصري، أبو إسماعيل العبدى، متروك، روى عن أنس، وأبي العالية، وجمع، وعنه فضيل، ويزيد بن هارون، وحلق، متروك، مات في حدود ١٤٠ هـ. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٥١ رقم ١٤٢، والكاشف ١/ ٢٠٧ رقم ١١٠، والمجروحين لابن حبان ١/ ٩٦، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٤٥ رقم ٢١، والجرح والتعديل ٢/ ٢٩٥ رقم ١٠٨٧، والضعفاء الصغير للبخارى ص ٢٤ رقم ٣٢، ولسان الميزان ١/ ٣٧ رقم ٢٥ .

(٤) عبد الرزاق : هو عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحميرى مولا هم، أبو بكر الصنعاني، ثقة حافظ مصنف، شهير، عمى في آخر عمره فتغير، وكان يتشيع، روى عن ابن جريج، ومعمر، وثور، وعنه أحمد، وإسحاق، مات سنة ٢١١ هـ. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٥٩٩ رقم ٤٠٧٨، والكاشف ١/ ٦٥١ رقم ٢٣٦٢، والثقات للعجلي ص ٣٠٢ رقم ١٠٠٠، وطبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٨، والجرح والتعديل ٦/ ٣٨ رقم ٢٠٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٤ رقم ٣٥٧، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٥٨ رقم ٣٣٧، وطبقات المفسرين للدوادى ١/ ٣٠٢ رقم ٢٧٨، ولسان الميزان ٨/ ٥٠٧ رقم ١٣٤٥٨ .

(٥) ثابت : هو ثابت بن أسلم البصري، بضم الموحدة ونونين ثقفين، أبو محمد البصري، ثقة، عابد، روى عن أنس، وابن عمر، وابن الزبير، وحلق : وعنه الحمادان، ومعمر، وأمم . مات سنة بضعة وعشرين ومائة . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ١٤٥ رقم ٨١٢، والكاشف ١/ ٢٨١ رقم ٦٨١، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٦٥ رقم ٢٥١، والثقات للعجلي ص ٨٩ رقم ١٨٠، والثقات لابن حبان ٨٩/ ٤، ومشاهير علماء الأمصار ص ١١٤ رقم ٦٥٠، ولسان الميزان ٨/ ٢٤١ رقم ١٢٠٩١ .

(٦) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوى ص ١٥٧ .

بالإضافة إلى ما سبق فإن المحدثين كانوا يحاربون الكذابين علانية ويمنعونهم من التحديث، ويستعدون عليهم السلطان.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "لولا شعبة<sup>(١)</sup> ما عرف الحديث بالعراق، كان يجئ إلى الرجل فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان"<sup>(٢)</sup>.

ومن تلك القواعد التي قاوم بها علماء الحديث حركة الوضع نقد الرواة وبيان حالهم، فلم يقبلوا رواية إلا من كان عدلاً ضابطاً، وعلى ذلك إجماع جماهير أئمة الحديث والفقه والأصول.

يقول ابن الصلاح: "أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه، وتفصيله أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق، وخوارم المروءة، متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه، وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعاني"<sup>(٣)</sup>.

وخرج بشرط العدالة: الكافر، والفاسق، والمتدع، والصبي غير البالغ، والمجنون، والحارم للمروءة بفعل الذنوب الصغائر التي تدل على الخسة كسرقة الشيء الحقير أو فعل المباحات التي تورث الاحتقار، وتذهب بكرامة الإنسان، كالبول في الطريق بحيث يراه الناس، وفرط المزاح الخارج عن حد الأدب، والأكل في الطريق، ونحو ذلك، فلا تقبل رواية الكافر بالإجماع سواء أعلم من دينه الاحتراز عن الكذب أم لم يعلم، وكيف تقبل رواية من يكد للإسلام ليل نهار، وكيف نأتمنهم على حديث رسول الله ﷺ، ثم إن الله ﷻ أمرنا بالتوقف في خبر الفاسق في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا

(١) شعبة: هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم، أبو بسطام الواسطي ثم البصري، ثقة، حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذبح عن السنة، وكان عابداً، مات سنة ١٦٠هـ. له ترجمة في: تقريب التهذيب ١/ ٤١٨ رقم ٢٧٩٨، والكاشف ١/ ٨٥: رقم ٢٢٧٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٩٣ رقم ١٨٧، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٨٩ رقم ١٧٦، والنقات للعجلي ص ٢٢٠ رقم ٦٦٥، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٠٧ رقم ١٣٩٩.

(٢) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوى ص ١٤٩، وانظر: السنة قبل التنوين ص ٢٢٨-٢٣٢، وتوثيق السنة في القرن الثاني الهجري للدكتور رفعت فوزي ص ١٣٥، ١٣٦، وشفاء الصدور في تاريخ السنة ومناهج المحدثين للدكتور السيد محمد نوح ١/ ١٢٣.

(٣) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٨٤، ٨٥.

فَعَلَّمْتُمْ نَادِمِينَ»<sup>(١)</sup> فإذا كان الفاسق لا تقبل روايته مع صحة اعتقاده فإن الكافر لا تقبل روايته من باب أولى؛ لأن الكفر فسق وزيادة.

ولا تقبل رواية صاحب البدعة إذا كفر ببدعته؛ كالرفض الكامل، والغلو فيه، والخط من شأن أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة كما قال الحافظ الذهبي<sup>(٢)</sup>.

كما خرج بشرط العدالة الكذاب، أو المتهم بالكذب، فبإجماع أهل العلم لا يؤخذ حديث من كذب على النبي ﷺ تغليظاً وزجراً بليغاً عن الكذب على رسول الله ﷺ لعظم مفسدته، فإنه يصير شرعاً مستمراً إلى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره والشهادة، فإن مفسدتهما قاصرة ليست عامة، فلا يقاس الكذب في الرواية على الكذب في الشهادة أو في غيرها، ولا على أنواع المعاصي الأخرى<sup>(٣)</sup>.

وخرج بشرط الضبط من عرف بالتساهل في سماعه أو إسماعه، كمن لا يبالي بالنوم في السماع منه أو عليه، أو يحدث لا من أصل صحيح مقابل على أصله أو أصل شيخه أو عرف بقبول التلقين في الحديث، بأن يلقي الشيء فيحدث به من غير أن يعلم أنه من حديثه، أو عرف بكثرة السهو في روايته، إذا لم يحدث من أصل صحيح، بخلاف ما إذا حدث منه فلا عيرة بكثرة سهوه، لأن الاعتماد حينئذ على الأصل لا على حفظه، أو عرف بكثرة الشواذ والمناكر في حديثه<sup>(٤)</sup>، وكل هذا يخرم الثقة بالراوي وبضبطه.

وبالتأمل في الضوابط والقيود الموضوعية لمعرفة من تقبل روايته ومن ترد، يتبين لك عبقرية واضعها من علماء هذه الأمة، والدقة المتناهية فيما وضعوا من قواعد أملت بصغائر الموضوع، ودقائقه فكانت منهجاً دقيقاً متفرداً لم ولن تعرف له الدنيا نظيراً

(١) الآية ٦ من سورة الحجرات، وانظر: تدريب الراوى ١/ ٢٩٩، وفتح المغيث للسخاوى ١/ ٢٨، ٣١٤، وتوضيح الأفكار للأمير الصنعاني ٢/ ١١٤ - ١١٨.

(٢) ميزان الاعتدال ١/ ٤، وانظر: توثيق السنة في القرن الثاني الهجري، للدكتور رفعت فوزى، ص ١٤٦، وما بعدها.

(٣) الباعث الحديث للعلامة أحمد محمد شاكر ص ٨٥، ٨٦، وانظر: اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث للدكتور عبد الله شعبان ص ٣٢٢-٣٥٥.

(٤) تدريب الراوى ١/ ٣٣٩، وانظر: فتح المغيث للسخاوى ١/ ٣٨٣-٣٨٩، وتوضيح الأفكار ٢/ ٢٥٥، وانظر: مقاصد الحديث في القديم والحديث للدكتور مصطفى التازى ص ٧٩، واختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث ص ٤٠٢-٤٠٩.

هيئات لا يأتى الزمان بمثله \*\*\* إن الزمان بمثله لشحيح

وتبين لك مما سبق كيف أن تلك الضوابط والقيود أخرجت أصناف الوضاعين الوارد ذكرهم فى أسباب الوضع، فلم تقبل مروياتهم، فحفظت بذلك السنة النبوية المطهرة من خبثهم ومكرهم<sup>(١)</sup>، وليس الأمر كما يصوره أعداء الإسلام من اختلاط أمرهم على المحدثين، وضياح مروياتهم فى كتب السنة الصحاح بلا تمييز، ز فعلماء الأمة عندما اشترطوا فىمن تقبل روايته : أن يكون عدلاً ضابطاً، لم يتساهلوا فى ذلك البتة، وما وقع من تساهل كان فى فعل بعض المباحات، مثل الإفراط فى المزاح، والمداعبة، والأكمل فى الأسواق، ونحو ذلك من ضروب المباحات التى لا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، وإن كانت تنتقص من مقامات فاعليها لما تعارف عليه الناس واشتهر عندهم على أنها من خوارم المروءة، وهى فى نفس الوقت لا تؤثر لا على عدالة الراوى بالسقوط للفتاوت المعروف بين المتشددى والمتساهلى فى قبول ورد من خرمت مروءته ببعض الصغائر<sup>(٢)</sup>، وكذلك لا تؤثر أيضاً على عدم الوثوق فى هذا المنهج العظيم الذى هو غاية الاعتدال والإنصاف، لا شطط ولا غلو<sup>(٣)</sup>.

ومما يؤكد عدم تساهل المحدثين فى شروط من تقبل روايته ومن ترد، اتفاقهم على أن العدالة وحدها، غير كافية فى قبول رواية الراوى، بل لابد معها من الضبط، يدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه عن أبى الزناد - رحمه الله - قال : "أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث يقال : ليس من أهله". وعن عبد الله بن المبارك : قال قلت لسفيان الثورى : إن "عباد بن كثير" من تعرف حاله وإذا حدث جاء بأمر عظيم . فترى أن أقول للناس : لا تأخذوا عنه؟ قال سفيان بلى قال عبد الله : فكنت، إذا كنت فى مجلس ذكر فيه عباد، أثبتت عليه فى دينه وأقول : "لا تأخذوا عنه". وعن يحيى بن سعيد القطان قال : "لم نر الصالحين فى شئ أكذب منهم فى الحديث". وعن أيوب السخيتانى قال : "إن لى جاراً، ثم ذكر

(١) انظر : مقارنة بين تطبيق شروط الحديث الصحيح عند علماء الحديث وتطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد فى كتاب منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للذكورة عزبة على طه ص ٤٨١ - ٤٨٣ .

(٢) انظر : الكفاية للخطيب فصل بعنوان "باب ذكر بعض أخبار من استفسر فى الجرح فذكر ما لا يسقط العدالة" الكفاية ص ١١٠ .

(٣) ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير ص ١١٨، ١١٩ بتصرف، وانظر : لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص ١٠٨ - ١١٢ .

من فضله . ولو شهد عندي على ثمرتين ما رأيتُ شهادته جائزةً .

وعن عبد الله بن المبارك - رحمه الله - قال : "بقيّة صدوق اللسان . ولكنه يأخذُ عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ"<sup>(١)</sup> . وقال يحيى بن معين رحمه الله : "إنا لنظن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة"<sup>(٢)</sup> قال السخاوي : "أى أناس صالحون، ولكنهم ليسوا من أهل الحديث"<sup>(٣)</sup> ويقول الإمام مالك : "لا يؤخذ العلم عن أربعة، ويؤخذ ممن سوى ذلك لا يؤخذ من رجل صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا سفيه معلن بالسفه، وإن كان من أروى الناس، ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس، وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة لا يعرف ما يحدث"<sup>(٤)</sup> .

وبلغ من دقة المحدثين في تتبع صفات الراوى الثقة المقبول الرواية، تتبهم لما يطرأ على ضبط الرواة من تغير، كمن ضعف حديثه في بعض الأوقات دون بعض، ومن ضعف حديثه في بعض الأماكن دون بعض، ومن ضعف حديثه عن بعض الشيوخ دون بعض<sup>(٥)</sup> .

وصدق الإمام الشعبي : "والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة، واخطأت مرة لعدوا على تلك الواحدة"<sup>(٦)</sup> .

وهكذا بهذا المنهاج العظيم الذى لا تعرف له الدنيا بأسرها مثيلاً خاب ظن الوضاعين من الكفرة، والزنادقة، والمبتدعة، والجهلة من الصالحين، والمتصوفة، كما قال الإمام الشعراني في العهود الكبرى : "واعلم يا أخى، أن أكثر من يقع في خيانة هذا العهد المتصوفة الذين لا قدم لهم في الطريق، فرما رووا عن رسول الله ﷺ ما ليس من كلامه، لعدم ذوقهم، وعدم فرقانهم بين كلام النبوة وكلام غيرها، وسمعت شيخنا

(١) أخرج الآثار السابقة للإمام مسلم (بشرح النوى) المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات ١/ ١١٩ - ١٢٦، وانظر : توجيه النظر لابن حجر ص ٢٥ .

(٢) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوى ص ١٦٠ .

(٣) الإعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ ص ٦٩ .

(٤) جامع بيان العلم ٢/ ٤٨، والكفاية ص ٢٤٩، والجرح والتعديل ٢/ ٣٢، والإمام ص ٦٠ .

(٥) انظر : تفصيل ذلك في شرح علل الترمذى ٢/ ٥٥٢ - ٦٧٢، وانظر : ضوابط الرواية عند المحدثين ص ١٢٢ .

(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ٧٧ .

شيخ الإسلام زكريا - رحمه الله - يقول : "إنما قال بعض المحدثين أكذب الناس الصالحون، لغلبة سلامة بواطنهم ، فيظنون بالناس الخير ، وأنهم لا يكذبون على رسول الله ﷺ، فمرادهم بالصالحين : المتعبدون الذين لا غوص لهم فى علم البلاغة، فلا يفرقون بين كلام النبوة وغيره، بخلاف العارفين فإنهم لا يخفى عليهم ذلك" (١) .

وواضح مما سبق أن صلاح الكذابين : ليس المراد منه الصلاح الحقيقى الذى يتمثل فى صلاح العلماء، وأئمة الدين، وحفاظ الحديث، بل هو الصلاح الذى تحدث عنه الأئمة سابقاً، وإلا كان يجب أن يكون سعيد بن المسيب، وعروة، والشافعى، ومالك، وأحمد، وأبو حنيفة والبخارى، ومسلم، وغيرهم من أئمة المسلمين، من أكذب الناس فى الحديث، وهل هناك مسلم يقول بذلك؟ (٢) .

وإذا كان أئمة المسلمين هم أكذب الناس فى الحديث - وحاشاهم من ذلك - فمن إذن الذى كشف كذبهم؟ الكفرة والزنادقة وغلاة المبتدعين؟ (٣)

ومن الذى عرّف بالموضوع، وبأسبابه، وبأصنافه، وبعلاماته، وصنف فيه المصنفات المتعددة؟ أهم الكفرة والزنادقة أم ماذا؟

كلا إنهم حراس الأرض، وخلفاء وجنود الله فى أرضه، إنهم الجهابذة الذين قال فيهم ابن المبارك لما قيل له : هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال : يعيش لها الجهابذة وتلا قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤) . وفيهم قال يحيى بن يمان : "إن لهذا الحديث رجالاً خلقهم الله ﷻ منذ يوم خلق السماوات والأرض، وإن وكيعاً منهم" (٥) رجال قال فيهم هارون الرشيد لما أخذ زنديقاً فأمر بضرب عنقه فقال له الزنديق : لم تضرب عنقى؟ قال : لأريح العباد منك . فقال : يا أمير المؤمنين : أين أنت من ألف حديث؟ وفى رواية من أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم، أحرم فيها الحلال، وأحلل فيها الحرام ما قال النبى منها حرفاً؟ فقال له هارون الرشيد : أين أنت

(١) انظر : قواعد التحديث للقسامى ص ١٦٤ .

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع للدكتور السباعى ص ٢٣٠ .

(٣) انظر : قواعد التحديث للقسامى ص ١٦٣ بيان ضرر الموضوعات على غير المحدثين وأن الدراء لمعرفتها الرسوخ فى الحديث .

(٤) الآية ٩ من سورة الحجر، وانظر : الكفاية ص ٨٠ .

(٥) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ١ / ١٨٠ .

يا عدو الله من أبى إسحاق الفزاري<sup>(١)</sup> وعبد الله بن المبارك؟ ينخلانها - نخلًا -  
فيخرجانها حرفاً حرفاً؟" (٢).

والحقيقة أن المحدثين، وما ابتكروه من علم مصطلح الحديث، الذى تفردت به الأمة  
الإسلامية عن سائر الأمم، وتميزت بتأسيسه، وإنشائه، وتقعيده، والتفنن فيه، كان من  
أكبر النتائج النافعة التى تولدت عن تلك الحملة الضارية على السنة النبوية المطهرة.

قصدت مساتى فاجتلبت مسرتى \*\*\* وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدري<sup>(٣)</sup>

كما كان هذا العلم صخرة صلبة تكسرت عليها كل المؤامرات التى حيكت فى  
الظلام على أحاديث النبى ﷺ، وخرجت السنة النبوية من المعركة الطويلة سليمة  
منتصرة<sup>(٤)</sup>، ولا يمكن أن تكون حركة الوضاعين وما وضعوا من أحاديث دليلاً  
على ضعف السنة بمجموعها، وبالتالى عدم حجيتها. لأن الوضاعين وما وضعوه لم  
يخف قط على المحدثين.

يقول الأستاذ محمد أسد: "فوجود الأحاديث الموضوعية إذن لا يمكن أن يكون  
دليلاً على ضعف نظام الحديث فى مجموعه، لأن تلك الأحاديث الموضوعية لم تخف قط  
على المحدثين كما يزعم بعض النقاد الأوربيين عن سذاجة، وتابعهم على ذلك بعض  
أدعياء العلم من أبناء أمتنا الإسلامية"<sup>(٥)</sup>.

ونختم هذه الشبهة بما ذكره الإمام ابن القيم الجوزية فى مختصر الصواعق المرسلة

(١) أبو إسحاق الفزاري هو: إبراهيم بن محمد بن الحارث بن حذيفة الفزاري، الإمام، متفق على توثيقه، له  
تصانيف. مات سنة ١٨٥هـ، وقيل ١٨٦هـ. له ترجمة فى: تقريب التهذيب ١/ ٦٣ رقم ٢٣٠، وتذكرة الحفاظ ١/  
٢٧٣ رقم ٢٥٩، والكاشف ١/ ٢٢٠ رقم ١٨٦، والثقات للعجلي ص ٥٤ رقم ٣٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٣  
رقم ٢٥٩، وتهذيب التهذيب ١/ ١٥٢ رقم ٢٧١.

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٣ ترجمة أبى إسحاق الفزاري، وتهذيب التهذيب ١/ ١٥٢ رقم ٢٧١، وانظر:  
تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٤، والأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعية للملاعى القاري ص ٤٠، وللمزيد من  
الرد على هذه الشبهة، انظر: الوضع فى الحديث للدكتور عمر حسن فلاتة. مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة  
رقم ٩٠١.

(٣) لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص ١٨٩.

(٤) انظر: بحث الشيخ عز الدين الخطيب التميمي فى مؤتمر السنة النبوية ومنهجها فى بناء المعرفة والحضارة ٢/  
٥٥٥.

(٥) الإسلام على مفترق الطرق ص ٩٦ بتصرف، وانظر: مقدمة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف فى المقاصد  
الحسنة للسخاوى.

قال: قال الإمام أبو المظفر<sup>(١)</sup>: [فإن قالوا قد كثرت الآثار في أيدي الناس واحتلطت عليهم، قلنا: ما اختلطت إلا على الجاهلين بها، فأما العلماء بها؛ فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير، فيميزون زيوفها ويأخذون خيارها، ولئن دخل في أغمار الرواة من وسم بالغلط في الأحاديث، فلا يروج ذلك على جهابذة أصحاب الحديث، وورثة العلماء حتى أنهم عدوا أغاليط من غلط في الإسناد والمتون، بل تراهم يعدون على كل واحد منهم كم في حديث غلط، وفي كل حرف حرف، وماذا صحف، فإن لم ترج عليهم أغاليط الرواة في الأسانيد، والمتون، فكيف يروج عليهم وضع الزنادقة، وتوليدهم الأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها. وهو قول بعض الملاحدة، وما يقول هذا إلا جاهل ضال مبتدع كذاب يريد أن يهجن بهذه الدعوة الكاذبة صحاح أحاديث النبي ﷺ، وآثاره الصادقة، فيغالط جهال الناس بهذه الدعوى، وما احتج مبتدع في رد آثار رسول الله ﷺ بحجة أوهن ولا أشد استحالة من هذه الحجة، فصاحب هذه الدعوى يستحق أن يسف في فيه، وينفى من بلد الإسلام]<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

(١) الإمام أبو المظفر هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو المظفر السمعاني، التميمي المروزي، الحنفي، ثم الشافعي، أحد الأئمة الأعلام، كان من فحول النظر، بхра في الوعظ، سئل عن أخبار الصفات فقال: عليكم بدين العجائز وصبيان الكتائب، صنف في التفسير، والفقه، والحديث، والأصول. من مؤلفاته: البرهان والاصطلاح، والقواطع في أصول الفقه، والقدرة، والمنهاج لأهل السنة، وغير ذلك. مات سنة ٤٨٩هـ. له ترجمة في: طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢/ ٤٨٩ رقم ٢٠، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ٢/ ١٣٨، ١٣٩، وشذرات الذهب ٢/ ٣٩٢، وطبقات المفسرين للدودي ٢/ ٣٣٩ رقم ٦٥١، والبداية والنهاية ١٢/ ١٦٤.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٦١، ٥٥٢، وانظر: مائة سؤال عن الإسلام للشيخ محمد الغزالي ١/ ٤٣.

## شبهة أن حملة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم كانوا جنوداً للسلطين والملوك فى العصر الأموى، والعباسى والرد عليها

### استعراض الشبهة وأصحابها :

زعم أعداء السنة المطهرة، من أن حملة الإسلام من الصحابة، والتابعين، فمن بعدهم من أئمة المسلمين، من الفقهاء والمحدثين كانوا جنوداً للسلطين والملوك فى العصر الأموى، والعباسى، يضعون لهم من الأحاديث ما يوافق رغباتهم ويثبت ملكهم .

ويستدلون على ذلك بأحاديث منها :

الأحاديث التى تدعوا إلى طاعة الحكام، والأمراء، وتدعوا إلى اجتناب الفتن، والنجاة من شرورها :

مثل قوله ﷺ "من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شراً، فمات، فميتة جاهلية" (١).

وقوله ﷺ : "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون . فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم . ولكن من رضى وتابع" قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : "لا ما صلوا" . أى من كره بقلبه وأنكر بقلبه (٢).

وقوله ﷺ : "إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى، قالوا فما تأمرنا؟ قال : "كُونُوا أحراراً بيوترك" (٣).

ونحو ذلك من الأحاديث التى استشهد بها جولد تسيهر على أن أهل الحديث أو الفقهاء كما يسميهم لعبوا دوراً خطيراً فى تثبيت أنظمة الحكم بوضع هذه الأحاديث

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الفتن، باب قول النبى ﷺ : (سزّون من بعدى أموراً تنكرونها ١٣ / ٧ رقم ٧٠٤٥، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ٦ / ٤٨٠ رقم ١٨٤٩، واللفظ له من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما خلف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك ٦ / ٤٨٤ رقم ١٨٥٤، من حديث أم سلمة رضى الله عنها .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الفتن، باب النهى عن السعى فى الفتنة ٤ / ١٠١ رقم ٤٢٦٢ .

التي تأمر بطاعتهم أو باعتزال الأمر وتركه<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الزعم بنى نيازى عز الدين كتابه (دين السلطان)؛ فهو يعنى بالسلطان معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه، وسيدنا معاوية فى زعمه هو الذى فتح باب الروايات بالأحاديث المفتراة لتحل محل القرآن، وأصبحت ديناً، وساعده على ذلك جنوده من الفقهاء، والمحدثين، وفى ذلك يقول: "والتاريخ الإسلامى يحدثننا أن معاوية كان من دهاء العرب ... فأعاد عقلية الجاهلية بتوقيفه أحكام القرآن، من خلال فتح باب الروايات بالأحاديث المفتراة لتحل محل القرآن. وقد وجد كثيراً من المساعدين من بين أصحاب المصالح من علماء السوء، والحساد، والمنافقين من أعداء الإسلام"<sup>(٢)</sup>.

وبنفس هذا الزعم تقول الرافضة طاعنين بذلك فى عقيدة أهل السنة.

يقول صالح الوردانى بعد أن ذكر نماذج من الأحاديث السابقة وما فى معناها قال: "إن هذه الروايات، وهذه العقيدة، هى التى خلقت فقهاء السلاطين، وخلقت الحكام الطغاة الظالمين فى تاريخ المسلمين ... ولولا هذه الروايات وهذه العقيدة ما هيمنت القبلية، والأموية، والعباسية، على واقع المسلمين. فإن جميع الحكومات التى قامت من بعد الرسول ﷺ، اعتمدت هذه الروايات فى دعم سلطانها ونفوذها وإضفاء المشروعية عليها"<sup>(٣)</sup>.

ويقول رافضى آخر، زكريا عيسى داود: "إننا عندما نبحث فى أسباب الوضع نلاحظ أن الجناح السياسى، كان دافعاً قوياً لمعاوية كى يوظف السنة لخدمة

---

(١) دراسات محمدية، جولدتسيهر ص ٨٩، ٩٥ نقلاً عن ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٣٤٠، ٣٤٢، وانظر: العقيدة والشرعية ص ٥٨ وانظر: دراسات محمدية الفصل الثالث (الحديث النبوى وصلته بنزاع الفرق فى الإسلام) ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ٨ / ٥٢٢ وما بعدها.

(٢) دين السلطان ص ٣٧، ٣٦ وراجع من نفس المصدر ص ٣٤-٣٥، ٧٩٥، ٤١ حيث تصريجه بأن معاوية هو السلطان، وجنوده فى وضع الأحاديث، هم المحدثون، والفقهاء، وانظر: أيضاً من نفس المصدر ص ١١، ١٠٣، ١١٠، ١١٤، ١١٧، ١١٩، ١٢٤، وانظر: ١٥٢، ٢٠٢، ٦٧١، حيث استشهاده بالأحاديث السابقة، وقارن بكتابة إنذار من السماء ص ٣٩، ١٢٣، وأصول الحديث للدكتور عبد الهادى الفضلى ص ١٣٣، والشيعه هم أهل السنة للدكتور محمد التيجانى ص ٢٦٠، وأحاديث أم المؤمنين عائشة، أدوار من حياتها لمرتضى العسكري ص ٢٨٤ وما بعدها.

(٣) أهل السنة شعب الله المختار ص ٨٨، وانظر: له أيضاً الخدعة وحتى من السنة إلى الشيعة ص ٥٥-٦١، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٢٩٢ وما بعدها، وانظر: قراءة فى صحيح البخارى لأحمد صبحى منصور ص ٤١.

أهدافه...، ولذا عمد لاستخدام مجموعة من الصحابة، والتابعين، كى يضعوا أحاديث تيرر له أعماله، وتضفى الشرعية الدينية على ملكه<sup>(١)</sup>.

ومن قال بذلك أيضاً : عبد الحسين شرف الدين<sup>(٢)</sup>، ومرضى العسكرى<sup>(٣)</sup>، ومحمود أبو رية<sup>(٤)</sup>، ومحمد نجيب<sup>(٥)</sup>، وعلى الشهرستانى<sup>(٦)</sup>، وعلى الوردى<sup>(٧)</sup>، وجمال البنا<sup>(٨)</sup>، وعبدالجواد ياسين<sup>(٩)</sup>، وإدريس الحسينى<sup>(١٠)</sup>، والسيد صالح أبو بكر<sup>(١١)</sup>.

والناظر فيما قاله أعداء السنة سابقاً يرى أنهم يطعنون فيما يأتى :

أولاً : فى صحة إسلام معاوية رضي الله عنه، ووصفهم له بأنه كان منافقاً اعتماداً على ما ورد من أنه أسلم يوم الفتح، وكان من الطلقاء المؤلفة قلوبهم، وأنه فتح باب الوضع فى السنة، وصرح بذلك الرافضة السابق ذكرهم، وتبعهم على ذلك دعاة اللادينية.

ثانياً : وصفهم حملة الإسلام من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من أئمة المسلمين من الفقهاء والمحدثين، بأنهم كانوا كذابين وفقهاء سلطة.

---

(١) تأملات فى الحديث عند السنة والشيعة ص ١٤٥ .

(٢) عبد الحسين شرف الدين : هو عبد الحسين شرف الدين الموسوى، شيعى إمامى، ولد فى الكاظمية، ببغداد سنة ١٢٩٠هـ من مؤلفاته: أبو هريرة، والنص والاجتهاد. مات سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م. ترجم له محمد صادق الصدر فى مقدمة كتاب النص والاجتهاد ص ٥-٣٩، انظر : استشهاد بالشبهة التى معنا فى كتابيه النص والاجتهاد ص ٣٣١-٣٣٢، وأبو هريرة ص ٣٩ - ٥١ .

(٣) معالم المدرستين المجلد ١ / ٣٦١، والمجلد ٢ / ٥٣، وأحاديث عائشة أدوار من حياتها ص ٢٥٥، ٣٥٩ - ٤٠٩ .

(٤) أضواء على السنة ص ١٢٦، ١٣٧، ١٧٩، وشيخ المضيرة ص ١٧٠ - ٢٦٣ .

(٥) الصلاة ص ٣٧-٤١ .

(٦) منع تدوين الحديث أسباب ونتائج ص ٣٢، ٢٧٤، ٣٥٢، ٣٦٢، ٣٨٧، ٤٩٤ .

(٧) على الوردى : كاتب معاصر، من مؤلفاته : وعاظ السلاطين، انظر : استشهاد بالشبهة التى معنا فى كتابه وعاظ السلاطين ص ١١٦-١٣٨-١٦٥ .

(٨) السنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١٨٢، ٢٥٦ .

(٩) السلطة فى الإسلام ص ٢٥٨ - ٢٩٢، ٣٠١ .

(١٠) إدريس الحسينى: كاتب صحفى معاصر، تشيع، من مؤلفاته: "لقد شيعنى الحسين- الانتقال الصعب فى رحاب المعتد والمذهب" والخلافة المفتصة، انظر : استشهاد بالشبهة التى معنا فى الخلافة المفتصة ص ١٧٩، ولقد شيعنى الحسين ص ٢٤٧ - ٢٩٠ .

(١١) السيد صالح أبو بكر : كاتب مصرى، كان ينتمى إلى جماعة أنصار السنة بالإسكندرية، وعندما أصدر كتابه الأضواء القرآنية فى اكساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخارى منها، والذى تابع فيه محمود أبو رية، قررت جماعة أنصار السنة فصله من الجماعة. انظر : استشهاد بالشبهة التى معنا فى الأضواء القرآنية ص ٤٥ .

ثالثاً : طعنهم فى الملوك والأمراء الأمويين، والعباسيين، بأنهم بعيدين عن تعاليم الإسلام مستغلين علماء المسلمين بوضع ما يثبت ملكهم .

رابعاً : طعنهم فى أحاديث طاعة أولى الأمر، وأحاديث الفتن .

والجواب عما سبق فيما يلى :

أولاً : الجواب عن الطعن فى صحة إسلام سيدنا معاوية رضي الله عنه، وأنه فتح باب الوضع فى السنة النبوية :

ما طعن به أعداء السنة المطهرة فى صحة إسلام سيدنا معاوية رضي الله عنه، دافع عنه فضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة بقوله : "وقد غاب عن أعداء الإسلام أن الكاتبيين فى تاريخ الصحابة ذكروا عن الواقدي، وابن سعد، أنه أسلم بعد الحديبية قبل الفتح، وأنه أخفى إسلامه مخافة أهله، وأنه كان فى عمرة القضاء مسلماً، وإذا كان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم فى رأى البعض، ففى رأى الكثيرين أنه ليس من المؤلفة قلوبهم، قال ابن عبد البر : "معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم، ذكره فى ذلك بعضهم"، وهو يشعر بأن الكثيرين لا يرون هذا الرأى، ولذا نجد الحافظ المحقق ابن حجر لم يذكر فى ترجمته شيئاً من هذا، وإنما ذكر فى ترجمة أبيه أنه من المؤلفة قلوبهم (١) .

ومهما يكن من شئ فقد أسلم وحسن إسلامه، وحتى لو كان ممن أسلموا يوم الفتح، فلا يقدح ذلك فى عدالته وصحته، بعد تركية رب العزة لمن أسلموا بعد الفتح أيضاً قال تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢) . وكيف يصح الطعن فى صحة إسلامه رضي الله عنه، وقد كان أحد كتبه الوحي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم (٣)، يدل على ذلك ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى معاوية ليكتب له ، فقال : أنه يأكل ، ثم بعث إليه ، فقال : إنه يأكل ، فقال صلى الله عليه وسلم :

(١) انظر : فى ترجمته : الاستيعاب ٣ / ١٤١٦ رقم ٢٤٣٥ ، وتاريخ الصحابة ص ٢٣١ رقم ١٢٣٩ ، واسد الغابة ٢٠١ / ٥ رقم ٤٩٨٤ ، والإصابة ٤ / ٤٣٣ رقم ٨٠٦٨ . وانظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ / ٤٠٦ ، وفتح البارى ٧ / ١٣٠ رقم ٣٧٦٤ ، والبداية والنهاية ٨ / ١٢٠ .

(٢) الآية ١٠ من سورة الحديد .

(٣) دفاع عن السنة ص ٦٥ بتصرف، وانظر تطهير الجنان واللسان لابن حجر الميتمى ص ٧، وما بعدها .

"لا أشيع الله بطنه" (١).

يقول الأستاذ محب الدين الخطيب (٢) - رحمه الله - : "قد يستغل بعض الفرق من أعداء الإسلام (٣). هذا الحديث ليتخذوا منه مطعناً في معاوية رضي الله عنه وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم؟!

فالظاهر أن هذا الدعاء منه رضي الله عنه غير مقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقوله رضي الله عنه : تربت يمينك.

ويمكن أن يكون ذلك منه رضي الله عنه بياعث البشرية التي أفصح عنها هو نفسه صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة متواترة منها حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً : "... أَوْ مَا عَلِمْتُ مَا شَرَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنَتْهُ أَوْ سَبَّتُهُ، فَاجْعَلْ لَهُ زَكَاةً وَأَجْراً" (٤).

ولم تعرف عن معاوية رضي الله عنه دخلة في إيمانه ولا ريبة في إخلاصه لإسلامه ولا في إمارته.

يقول القاضي أبو بكر بن العربي، مبيناً ما اجتمع في معاوية من خصال الخير إجمالاً قال : "معاوية اجتمعت فيه خصال : وهي أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها، لما رأى من حسن سيرته، وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدو، وسياسة الخلق. وقد شهد له في صحيح الحديث بالصحبة والفقه، فيما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة قال : "أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس ، فأتى ابن عباس ، فقال : دعه ؛ فإنه صحب

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه ... إلخ ٨ / ٣٩٩ رقم ٣٦٠٤، وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ص ٣٥٩ رقم ٢٧٤٦ واللفظ له، والبيهقي في دلائل النبوة ٦ / ٢٤٣.

(٢) الخطيب هو : محب الدين الخطيب بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب، من كبار الكتاب الإسلاميين، ولد في دمشق وتعلم بها، أصدر مجلتيه (الزهراء) و(الفتح)، وكان من أوائل مؤسسي جمعية الشبان المسلمين، وتولى تحرير مجلة الأزهر الشريف، وانشأ المطبعة السلفية ومكتبتها، من مؤلفاته : تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس، وغير ذلك. مات سنة ١٩٦٩م. له ترجمة في : الأعلام ٥ / ٢٨٢.

(٣) انظر : دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين صالح الورداني ص ٢٦٤.

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه ٨ / ٣٩٦ رقم ٢٦٠٠، وانظر : البداية والنهاية ٨ / ١٢٢، ١٢٣ وانظر : العواصم من القواصم تعليق الأستاذ محب الدين الخطيب ص ٢١٣.

رسول الله ﷺ . وفي رواية أخرى قيل لابن عباس : هل لك في أمير المؤمنين معاوية؛ فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال : إنه فقيه<sup>(١)</sup> .

يقول ابن العربي : "وشهد بخلافته في حديث أم حرام - رضى الله عنها- فيما رواه أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ نام عندها القيلولة ثم استيقظ وهو يضحك؛ لأنه رأى ناساً من أمته غزاة في سبيل الله يركبون ثبج البحر - أى وسطه ومعظمه - ملوكاً على الأسرة . ثم وضع رأسه فنام واستيقظ وقد رأى مثل الرؤيا الأولى فقالت له أم حرام : أدع الله أن يجعلني منهم، فقال، أنت من الأولين"، فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر . فهلكت"<sup>(٢)</sup> .

قال الحافظ ابن كثير : يعنى بالأول جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها سنة ٢٧هـ أيام عثمان بن عفان، بقيادة معاوية، عقب إنشائه الأسطول الإسلامى الأول فى التاريخ، وكانت معهم أم حرام فى صحبة زوجها عبادة بن الصامت . ومعهم من الصحابة أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهم . وماتت أم حرام فى سبيل الله وقبرها بقبرص إلى اليوم .

قال ابن كثير : ثم كان أمير الجيش الثانى يزيد بن معاوية فى غزوة القسطنطينية . قال : وهذا من أعظم دلائل النبوة<sup>(٣)</sup> فى الشهادة لسيدنا معاوية، وابنه يزيد بالفضل، والمغفرة والجنة كما جاء فى حديث أم حرام مرفوعاً : "أول جيش من أمتى يركبون البحر قد أوجبوا"<sup>(٤)</sup> . وأول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم . فقلت :

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر معاوية ﷺ ٧ / ١٣٠ رقمى ٣٧٦٤، ٣٧٦٥، وانظر : كتاب مروان بن الحكم إلى معاوية بن أبى سفيان يستفتيه فى مجنون قتل رجلاً . أخرجه مالك فى الموطأ كتاب العقول، باب ما جاء فى دية العمد إذا قبلت وجناية المجنون ٢ / ٦٤٨ رقم ٣، وانظر : اسد الغابة ٥ / ٢٠٢ رقم ٤٩٨٤ .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح البارى) كتاب الجهاد السير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء ٦ / ١٣ رقم ٢٧٨٨، ٢٧٨٩، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإمارة، باب فضل الغزو فى البحر ٧ / ٦٥ رقم ١٩١٢ .

(٣) البداية والنهاية ٨ / ٢٢٩، وانظر : النهاية فى الفتن والملاحم ١ / ١٧، وفتح البارى ٦ / ٢٣، ١٢٠ أرقام ٢٧٩٩، ٢٨٠٠، ٢٩٢٤ .

(٤) "قد أوجبوا" قال ابن حجر : أى فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة، قال المهلب فى الحديث : منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر . انظر : فتح البارى ٦ / ١٢٠ - ١٢١ رقم ٢٩٢٤ .

أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا" (١) .

يقول الإمام ابن تيمية : " لم يكن من ملوك المسلمين ملك خيراً من معاوية ، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية ، إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده ، وإذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل .

وقد روى أبو بكر بن الأثرم - ورواه ابن بطه من طريقه عن قتادة قال : " لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم : هذا المهدي " . وروى ابن بطه بإسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي . وروى الأثرم عن أبي هريرة المكب قال : كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبدالعزيز وعدله ، فقال الأعمش ، فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا في حلمه ؟ قال : لا والله ، بل في عدله . وعن أبي إسحاق السبيعي أنه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه أو أدركتم أيامه لقلتم : كان المهدي .

وهذه الشهادة من هؤلاء الأئمة الأعلام لأمير المؤمنين معاوية صدى استجابة الله ﷻ لدعاء نبيه ﷺ لهذا الخليفة الصالح يوم قال ﷺ : " اللهم اجعله هادياً ، مهدياً ، واهداً به " (٢) .

وقبل أن ننهي الكلام على شهادات الصحابة ، والتابعين ، وآراء العلماء ، في معاوية ، ننقل رأياً طريفاً للمؤرخ العلامة ابن خلدون في اعتبار معاوية من الخلفاء الراشدين قال : " إن دولة معاوية وأخباره كان ينبغي أن تلحق بدول الخلفاء الراشدين وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة (٣) .

ويقول أيضاً في مقدمته : مدافعاً عن إثاره ابنه يزيد بالعهد ، دون من سواه قال : إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى أمية ... وهم عصابة قريش (٤) وأهل الملة أجمع ، وأهل الغلب منهم ،

(١) أخرجه البخاري (شرح فتح الباري) كتاب الجهاد والسير ، باب ما قيل في قتال الروم ٦ / ١٢٠ رقم ٢٩٢٤ .

(٢) أخرجه الترمذي في مسنده كتاب المناقب ، باب مناقب لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ ٥ / ٦٤٥ رقم ٣٨٤٢ من حديث عبد الرحمن بن عميرة ﷺ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وانظر : منهاج السنة ٣ / ١٨٥ ، والبداية والنهاية ٨ / ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٥٨ .

(٤) انظر : دفاعه عن حديث (الأئمة من قريش) ورده لما اعترض به عليه من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، في المقدمة ص ٢١٤ ، وانظر : تأويل مختلف الحديث ص ١١٥ .

فآثره بذلك دون غيره ... حرصاً على الاتفاق، واجتماع الأهواء الذى شأنه أهم عند الشارع، ولا يظن معاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه، دليل على انتفاء الريب فيه، فليسوا ممن يأخذهم فى الحق هوادة، وليس معاوية ممن تأخذه العزة فى قبول الحق فإنهم كلهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه<sup>(١)</sup>.

"نذكر جميع هذه الشهادات، وقبلها الأحاديث النبوية فى فضل معاوية<sup>(٢)</sup>، مع اعترافنا يشهد الله بفضل على بن أبى طالب عليه السلام، وأنه أفضل منه والحق غالبه معه، وكل كان مجتهداً<sup>(٣)</sup>. وقد جاء فى الحديث الصحيح: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب؛ فله أجران، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ؛ فله أجر"<sup>(٤)</sup>.

وقد أوردنا هذه الأمثلة القليلة التى لا يسع المقام لأكثر منها؛ ليعلم الناس أن الصورة الحقيقية لمعاوية عليه السلام تخالف الصورة الكاذبة التى يصورها الزنادقة من الرافضة ومن تابعهم من أعداء الإسلام، والسنة المطهرة، تلك الصورة التى تنكر ما جاء فى السنة المطهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة، والتابعين، من الشهادة له بالصحبة، والفقه، والملك العادل، وحسن السيرة، حتى شهد له من أدركه كمجاهد والأعمش بأنه المهدي.

فهل من كان هذا حاله يكون له دخل أو حتى رضا بالوضع فى السنة المطهرة سواء فى فضائله، وفضائل الشام أو فى وضع ما يثبت ملكه، أو غير ذلك مما يزعمه أعداء الإسلام من الرافضة ومن شايعهم؟! نعم إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

(١) المقدمة ٢٢٨، ٢٣٣ وانظر: دفاعه عما وجه إليه من اعتراض على أخذه العهد لابنه يزيد ص ٢٤٠ وراجع: للاستزادة: العواصم من القواصم للقاضى أبو بكر بن العربى، والصواعق المحرقة وتطهير الجنان واللسان كلاهما لابن حجر الهيتمى.

(٢) لا يشك أحد فى أنه وضع فى فضائل معاوية وكذا الخلفاء الراشدين أحاديث كثيرة، ولكن أحصاها الأئمة، وبينوا الموضوع منها، من الصحيح، وقد عرض الحافظ ابن كثير لما ورد فى فضائل معاوية عليه السلام وميز الصحيح من الموضوع، انظر: البداية والنهاية ٨/ ١٢٠ - ١٤٧، وراجع: كتب الموضوعات باب المناقب. وانظر: مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٦.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٧، ومختصر التحفة الإثنى عشرية ٣٠٥ - ٣٢٤، والعواصم من القواصم ص ١٧٢ وما بعدها، ومناهج السنة لابن تيمية ص ٢٠٥، والبداية والنهاية ٨/ ١٢٩.

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ١٣/ ٣٣٠ رقم ٧٣٥٢، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٦/ ٢٥٤ رقم ١٧١٦ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ثانياً : الجواب عن اتهام رواه السنة بأنهم كانوا كذابين وفقهاء سلطة :

أما ما زعمه دعاة الفتنة وأدعياء العلم، من أن حملة الإسلام من الصحابة، والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين من الفقهاء، والمحدثين، كانوا كذابين وفقهاء سلطه؛ فقد رد هذا الزعم الدكتور السباعي تحت عنوان "هل استجاز علماؤنا الكذب دفاعاً عن الدين؟ فقال : "إن أعداء الإسلام من غلاة الشيعة، والمستشرقين، ودعاة الإلحاد، لم يصلوا ولن يصلوا إلى مدى السمو الذي يتصف به رواة السنة من الترفع عن الكذب حتى في حياتهم العادية، بل لم ولن يصل أعداء الإسلام إلى مبلغ الخوف الذي استقر في نفوسهم بحجب الله خشية ورهبة ، ولا مدى استنكارهم لجريمة الكذب على رسول الله ﷺ حتى قال منهم من قال بكفر من يفعل ذلك ، وقتله وعدم قبول توبته<sup>(١)</sup>، إن أعداء الإسلام معذرون إذ لم يفهموا عن علمائنا هذه الخصائص؛ لأنه لا يوجد لها ظل في نفوسهم ولا فيمن حولهم، ومن اعتاد الكذب ظن في الناس أنهم أكذب منه، واللص يظن جميع الناس لصوصاً مثله ... وإلا فمن الذي يقول في قوم جاهرُوا بالإنكار على بعض ولاتهم لأنهم خالفوا بعض أحكام السنة؛ وتعرض بعضهم للضرب والإهانة والتنكيل في سبيل الجهر بكلمة الحق - أنهم استباحوا لأنفسهم الكذب على رسول الله ﷺ ليضيفوا إلى سنته المظهرة أحكاماً لم يقلها ﷺ .

أيها الناس أليست لكم عقول تحكمون بها ؟ أم أنتم تتكلمون لقوم لا عقول لهم (٢)؟!

نعم إن قوماً لم يحابوا في حكمهم على الرجال أحداً لا أباً، ولا ابناً، ولا أخاً، ولا صديقاً، ولا أستاذاً، لذلك عنوان صدق ديانتهم، ونزاهتهم، وأمانتهم، وعنوان غلاء الحفاظ على السنة الشريفة لديهم، وأنها عندهم أغلى من الأبناء والأجداد، والأولاد، والأحفاد، فكانوا مضرب المثل في الصدق والتقوى والأمانة<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : الباحث الحديث للشيخ أحمد شاكر ص ٦٥ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع ص ٢٠١، ٢٠٢ بتصرف .

(٣) انظر : لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ أبو غدة ص ١٦٠ بتصرف، وانظر : دلائل النبوة لليهيقي ١/ ٤٧ .

وهاك أمثلة على نراهمهم فى حكمهم على الرجال :

المجرحون لأبائهم :

الإمام على بن المدينى سأل عن أبيه فقال : "سلوا عنه غيرى" فأعادوا المسألة، فأطرق ثم رفع رأسه فقال : "هو الدين، إنه ضعيف" (١).

المجرحون لأبنائهم :

الإمام أبو داود السجستانى "صاحب السنن قال : ابنى عبد الله كذاب (٢)، ونحوه قول الذهبى فى ولده أبى هريرة، أنه "حفظ القرآن، ثم تشاغل عنه حتى نسيه (٣).

المجرحون لإخوانهم :

زيد بن أبى أنيسة قال : لا تأخذوا عن أخى يحيى المذكور بالكذب (٤).

المجرحون لأختانهم :

شعبة بن الحجاج قال : لو حائيتُ أحداً لحائيت هِشامَ بنَ حَسَّانَ كانَ ختنى (٥)، ولم يكن يحفظ (٦).

(١) انظر : ميزان الاعتدال ٢/ ٤٠١، ولسان الميزان ٨/ ٤٣٠ رقم ١٣١١٤، ترجمة عبد الله بن جعفر بن نجيح والد على بن الدين، والمجروحون لابن حبان ٢/ ١٥١٤، وقال : ابن حجر فى التقریب: ضعيف، يقال : تغير حفظه بآخره" انظر : تقريب التهذيب ١/ ٤٨٣ رقم ٣٢٦٦، وتهذيب الكمال للمزى ١٤/ ٣٧٩ رقم ٣٢٠٦.

(٢) انظر : ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣٣ رقم ٤٣٦٨، ولسان الميزان ٤/ ٣١ رقم ٤٦٣١، ترجمة عبد الله بن سليمان بن الأشعث. وقال ابن عدى : هو مقبول عند أصحاب الحديث، وأما كلام أبيه فيه، فما أدرى أينش تبين له منه. انظر : الكامل فى الضعفاء ٤/ ٢٦٥ رقم ١١٠١، وقال الذهبى فى ترجمته من تذكرة الحفاظ، وأما قول أبيه فيه، فالظاهر أنه أن صح عنه، فقد عني أنه كذاب فى كلامه، لا فى الحديث النبوى، وكأنه قال هذا وعبد الله شاب طرى، ثم كبر وساد" انظر : تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٧٢ رقم ٧٦٨، وقال فى السير : هو حجة فيما نقله، انظر : سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٣١ رقم ١١٨.

(٣) انظر : الإعلان بالتويخ لمن ذم التاريخ للسعاوى ص ٨٣، ٨٤.

(٤) انظر : ميزان الاعتدال ٤/ ٣٦٤ رقم ٩٤٦٣، ولسان الميزان ٩/ ٢٨٣ رقم ١٤٨٢٦، ترجمة يحيى بن أبى أنيسة. قال فيه الحفاظ فى التقریب: ضعيف. انظر : تقريب التهذيب ٢/ ٢٩٧ رقم ٧٥٣٥، وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٢٣ رقم ٦٧٨٩.

(٥) ختنى: الختن كل ما كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ، وختان الرجل الرجل إذا تزوج إليه. انظر: مختار الصحاح ص ١٦٩، والقاموس المحيط ٤/ ٢١٤، ٢١٥، والنهاية فى غريب الحديث ٢/ ١٠.

(٦) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٨٧، ولسان الميزان ٩/ ٢٥٢ رقم ١٤٧٢٦ ترجمة هشام بن حسان القُرْدُوسى، وقال ابن حجر : أحد الأعلام، ضعفه القطان عن عطاء، وفى تقريب التهذيب قال : ثقة، من أثبت الناس فى ابن سيرين، وفى روايته عن الحسن وعطاء مقال؛ لأنه كان يرسل عنهما. انظر : تقريب التهذيب ٢/ ٢٦٦ رقم ٧٣١٥، وتهذيب الكمال للمزى ٣٠/ ١٨١ رقم ٦٥٧٢.

## المجروحون لبعض أقاربهم :

أبو عروبة الحراني : قال الذهبي في ترجمة الحسين بن أبي السري العسقلاني :  
قال أبو عروبة الحراني : هو خال أمي، وهو كذاب<sup>(١)</sup>.

## من الذين لم يحابوا مشايخهم :

يحيى بن سعيد القطان : روى الإمام ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن مهدي قال :  
اختلفوا يوماً عند شعبة، فقالوا : اجعل بيننا وبينك حكماً فقال : قد رضيت بالأحول  
يعنى يحيى بن سعيد القطان، فما برحنا حتى جاء يحيى فتحاكموا إليه فقضى على  
شعبة - وهو شيخه ومنه تعلم وبه تخرج، فقال له شعبة : ومن يطيق نقدك أو من له  
مثل نقدك يا أحول؟!<sup>(٢)</sup>.

قال ابن أبي حاتم : "هذه غاية المنزلة - ليحيى بن سعيد القطان - إذ اختاره شيخه  
شعبة من بين أهل العلم، ثم بلغ من دالته بنفسه وصلابته في دينه أن قضى على شعبة"  
شيخه ومعلمه<sup>(٣)</sup>.

وبلغ من نزاهة أئمة الحديث أنهم كانوا لا يقبلون شفاعة إخوانهم للسكوت عن  
يرون جرّحه، وكيف يرتضون تلك الوساطة، وهم الذين طعنوا في آبائهم، وآبائهم،  
وإخوانهم، لما رأوا منهم ما يستوجب القدح.

وقد ضرب شعبة بن الحجاج في هذا أروع الأمثال لما كلمه حماد بن زيد،  
وعباد ابن عباد، وجرير بن حازم، كلموه في رجل ليكف عنه، قال حماد ابن زيد،  
فكأنه لان وأجابنا. قال : فذهبت يوماً أريد الجمعة فإذا شعبة يناديني من خلفي،  
فقال: ذاك الذي قلت لي فيه لا أراه يسعني". قال عبد الرحمن ابن مهدي : كان شعبة  
يتكلم في هذا حسيبة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر : ميزان الاعتدال ١/ ٥٣٦، ولسان الميزان ٨/ ٢٧٢ رقمي ١١٢٨٠، ٢٢٩١، وقال ابن حجر في  
التقريب "ضعيف" انظر : تقريب التهذيب ١/ ٢١٨ رقم ١٣٤٨، وتهذيب الكمال ٦/ ٤٦٨ رقم ١٣٣١.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١/ ٢٣٢ رقم ١٠٢ ترجمة يحيى بن سعيد القطان.

(٣) انظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ١٧١، وللإستزادة في هذا المبحث انظر : فتح المنان بمقدمة لسان  
الميزان للأستاذ محمد المرعشي ص ١٨٧-١٩١.

فماذج لما كان عليه سلفنا الصالح من جراءة في الحق مع خلفائهم وملوكهم وأمرائهم، لا يخشون لوماً، ولا موتاً، ولا أذى، ولا اضطهاداً :

أما موقف الصحابة مع خلفائهم فقد سبق. بما يغنى عن إعادته هنا عند الحديث عن بداية الوضع وبراءة الصحابة منه<sup>(١)</sup>.

ونزيد هنا بموقف لأبي بن كعب رضي الله عنه مع الفاروق عمر رضي الله عنه أخرجه ابن راهوية عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رد على أبي بن كعب رضي الله عنه قراءة آية، فقال أبي : لقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت يليهك يا عمر الصنف بالقيع . فقال عمر رضي الله عنه : صدقت إنما أردت أن أجربكم هل منكم من يقول الحق؟ فلا خير في أمير لا يقال عنده الحق ولا يقوله"<sup>(٢)</sup>.

وروى أن أبي بن كعب قرأ : ﴿الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانُ﴾<sup>(٣)</sup> فقال عمر رضي الله عنه كذبت . قال : أنت أكذب . فقال رجل : تكذب أمير المؤمنين؟ قال : أنا أشد تعظيماً لحق أمير المؤمنين منك . ولكن كذبت في تصديق كتاب الله صلى الله عليه وسلم، ولم أصدق أمير المؤمنين في تكذيب كتاب الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر : صدق"<sup>(٤)</sup>.

فانظر كيف يمتحن عمر الصحابة في مدى جهرهم بكلمة الحق إذا عدل عنها الأمير، وانظر كيف كان الصحابة يعرفون لأمرائهم حقهم، فإذا عدلوا عن الحق لم تأخذهم في الله لومة لائم.

أما عن موقف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الإسلام، من ملوكهم وأمرائهم، فقد مر موقف أبو سعيد الخدري من مروان وإلى المدينة، وكذا موقف ابن عمر من الحجاج<sup>(٥)</sup>. وسيأتي موقف آخر للإمام الزهري مع هشام بن عبد الملك الأموي ، بعد ذكر بعض المواقف لأئمة الإسلام من ملوك وأمراء بني العباس .

(١) راجع : ص ٤٠٤ .

(٢) ذكره صاحب كنز العمال ١٣ / ٣٦١ رقم ٣٦٧٦٦ .

(٣) جزء من الآية ١٠٧ من سورة المائدة .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥ / ١٠٧ رقم ١٣٩٧٧، دون ذكر رد عمر عليه ، وانظر : الدر المنثور ٣ / ٦٠٦ .

(٥) راجع : ص ٤٠٥، ٤٠٦، وانظر: موقف آخر في السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٢، يدخل فيه أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فيعظه موعظة بليغة، ولم يسمه فيها بالأمير بل بالأجير .

منها ما ذكره الحافظ الذهبي في ترجمة - ابن أبي ذئب الإمام الثبت - قال الإمام أحمد : "دخل بن أبي ذئب على المنصور فلم يهبه أن قال له الحق، وقال الظلم ببابك فاش، وأبو جعفر، أبو جعفر".

وعن محمد بن إبراهيم تلميذ بن أبي ليلى قال : "كنت عند أبي جعفر المنصور - وعنده بن أبي ذئب، فقال أبو جعفر : ما تقول في الحسن بن زيد - وكان والياً للمدينة أيام المنصور - قال يأخذ بالإحنة - أى الحقد ويقضى بالهوى . فقال له الحسن : الله الله، والله ما سلم منه أحد، وإن شئت فسله عن نفسك يا أمير المؤمنين . قال محمد بن إبراهيم - فجمعت ثيابي والسياف قائم على رأس أبي جعفر، مخافة أن يأمر به فيقتل، فيصيب دمه ثوبى، قال ما تقول في؟ قال - اعفنى يا أمير المؤمنين . قال لابد أن تقول . قال إنك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية . فتغير وجه أبي جعفر فقام إبراهيم بن يحيى إلى المدينة أيام المهدي - وقال : طهرنى بدمه يا أمير المؤمنين؟ قال له ابن أبي ذئب - اقعد يا بنى فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله ظهور" (١).

وموقف سفيان الثوري - رحمه الله - مع أبي جعفر المنصور مشهور؛ فقد كان سفيان - رحمه الله - قوالاً بالحق، شديد الإنكار، حتى مات في البصرة محتبئاً من المهدي (٢)، وما موقف المحدثين - وعلى رأسهم أحمد بن حنبل - رحمه الله - مع الأمراء العباسيين في محنة خلق القرآن بعيد. وغير ذلك الكثير، ولولا أن المقام لا يحتمل المزيد لنقلت لك أخباراً مشرقة عن هؤلاء الأفاضل (٣).

### صلة علماء المسلمين بالملوك والأمراء :

زعم أعداء السنة، أعداء الإسلام، أن صلات علماء المسلمين بالملوك والأمراء مكنت لهم أن يستغلوهم في وضع الأحاديث الموافقة لأهوائهم وتثبيت سلطانهم . يقول الدكتور السباعي رداً على ذلك : "ولا ندرى كيف تكون الصلة بين أئمة

(١) أدب الشافعي ص ٣٢، وذكر القصة باختصار الذهبي في التذكرة ١ / ١٩٢، وانظر : في نفس الصفحة، موقفاً آخر للمهدي هاب فيه ابن أبي ذئب .

(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٦، وانظر : الثقات للعجلي ص ٥٤ رقم ٣٧ حكى عن أبي إسحاق الفزاري أنه أمر سلطان ونهاه فضربه مائة سوط .

(٣) انظر : للمزيد كتاب "الإسلام بين العلماء والحكام" للأستاذ عبد العزيز البدرى .

المسلمين النفقات الأثبات، وبين الملوك والأمراء علامة على استغلالهم لهم، وقديماً كان العلماء يتصلون بالخلفاء والملوك، دون أن يحس هذا أمانتهم في شيء، فقديماً تردد الصحابة على معاوية، وتردد التابعون.

فهؤلاء الأمة إذا اتصلوا بهؤلاء الأمراء والملوك، أو اتصلوا هم بهم، لا سبيل إلى أن يؤثر ذلك في دينهم، وأمانتهم، وورعهم، والمستفيد منهم على كل حال، هم المسلمون الذين يغدو علماءهم ويروحون من حلقات العلم إلى مجالس الخلفاء يروون حديثاً، أو يثنون فكرة، أو يثنون حكماً، أو يبينون حكماً، أو يؤدّبون لهم ولداً، أو يذكروهم بما للأمة عليهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

انظر: إلى ما رواه ابن عساكر بسنده إلى الشافعي - رحمه الله - أن هشام بن عبد الملك سأل سليمان بن يسار عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١) فقال هشام: كذبت: إنما هو على بن أبي طالب، ويظهر أن هشاماً لم يكن جاداً فيما يقول، ولكنه يريد أن يختبر شدتهم في الحق - فقال سليمان بن يسار: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، ثم وصل ابن شهاب، فقال له هشام: من الذي تولى كبره منهم؟ فقال الزهري: هو عبد الله بن أبي بن سلول، فقال له هشام: كذبت. إنما هو على بن أبي طالب، قال الزهري وقد امتلأ غضباً: أنا أكذب؟ لا أبالك! فوالله لو ناداني مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت... حدثني فلان، وفلان، أن الذي تولى كبره منهم، هو عبد الله بن أبي بن سلول،... وفي القصة فقال هشام: إنا نهيج الشيخ، مما يدل على أنه لم يكن جاداً في قوله "كذبت".

ألا ترى في هذه الحادثة ما يدل على أن الصلة بين العلماء والخلفاء أدنى وأضعف من أن تصل إلى دينهم وأمانتهم؟ رجل يقول ل خليفة المسلمين: لا أبالك! وهي كلمة لا يقوها رجل عادي لآخر مثله يحترمه، لدليل على أن صلتهم بالخلفاء والأمراء ليست صلة ضعيف بقوى، ولا مخلوع بخادع بل صلة واثق بدينه، معتر بعلمه يغضب إن كذب، ويثور إذا حرّفت حقيقة من حقائق التاريخ المتصل بصحابة رسول الله ﷺ، ورجل يزأر في وجه الخليفة زئير الأسد لأنه كذبه في تفسير آية من كتاب الله ﷻ خلاف ما يعلم أهل العلم من قبله، هل من المعقول أن يميل إلى أهواء الخليفة، فيضع له

(١) جزء من الآية ١١ من سورة النور.

أحاديث عن رسول الله ﷺ لا أصل لها؟! ألا ترى إلى قول الزهرى : "أنا أكذب؟ لا أبالك! فوالله لو ناداني مناد من السماء إن الله أحل الكذب ما كذبت".  
 إن الزهرى كان من ذلك الطراز الممتاز فى تاريخ الإنسانية الذين رباهم محمد ﷺ وأخرجهم للدنيا آيات باهرات فى صدق اللهجة وسموا النفس، والترفع عن الكذب حتى ولو كان مباحاً<sup>(١)</sup>. أ.هـ.

يقول الأستاذ الصديق بشير : "ثم هل أولئك الفقهاء من الخور، وقلة الورع بحيث يستغلهم الحكام لتثبيت حكمهم؟! إن تاريخ هؤلاء ينفى ذلك بشدة، حتى بلغ الأمر ببعضهم أن حرم على نفسه مخالطة السلاطين الظلمة<sup>(٢)</sup>. بل وصل الأمر ببعضهم إلى أن يضرب، ويحبس، لرفضه تولية القضاء كأبى حنيفة - رحمه الله -<sup>(٣)</sup>.

وانظر كيف كان الخلفاء يهابون العلماء، هاهو الخليفة المهدي يدخل مسجد النبى ﷺ فلم يبق إلا قام إلا ابن أبى ذئب فقبل له : قم، فهذا أمير المؤمنين، قال : إنما يقوم الناس لرب العالمين، فقال المهدي : دعوه فقد قامت كل شعرة فى رأسى<sup>(٤)</sup>.

وانظر كيف يتمنى أبو جعفر المنصور أن يجلس فى وسط المحدثين لينال من صالح دعائهم لما قيل له : هل بقى من لذات الدنيا شئ لم تنله؟ قال : بقيت خصلة، أن أقعد فى مصطبة، وحولى أصحاب الحديث، يقول المستملى : من ذكرت، رحمه الله، قال : فغدا عليه الندماء، وأبناء الوزراء بالحابر والدفاتر، فقال : لستم بهم، إنما هم الدنسة ثيابهم المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، برد الآفاق، ونقله الحديث<sup>(٥)</sup>.

ثم ماذا يتغنى هؤلاء من مسايرتهم لأهواء الأمويين والعباسيين أيتغنون المال؟ أم الشهرة؟ إن التاريخ يشهد بأنهم لم يستعبدوا المال ولا الشهرة، وقد قيل أنه لم ير السلاطين والملوك والأغنياء فى مجلس أحقر منهم فى مجلس الأعمش، مع شدة حاجته وفقره<sup>(٦)</sup>.

وهل يبلغ الحمق، والغباوة بهم، أن يبيعوا دينهم، وسمعتهم بين المسلمين، وهم لا يطعمون فى مال ولا جاه ولا منصب؟ أ.هـ.

(١) السنة ومكانتها للدكتور السباعى ص ٢١٣ - ٢١٦ بتصرف.

(٢) إحياء علوم الدين ٢ / ١٥٥، ١٦٦، وانظر : ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٣٤٧.

(٣) تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٨، وانظر : تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٤٨ وانظر : تاريخ محنة الفقهاء والمحدثين مع خلفاء بنى العباس فى كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية للعلامة محمد أبو زهرة.

(٤) تذكرة الحفاظ ١ / ١٩٢.

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٤٨.

(٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسيخاوى ص ٨٣.

ثالثاً : الجواب عن اتهام الملوك والأمراء الأمويين والعباسيين،  
في دينهم، ودعوى استغلالهم لعلماء المسلمين لوضع ما يثبت ملكهم

حال الملوك والأمراء الأمويين والعباسيين من الدين :

يحرص أعداء الإسلام، والسنة المطهرة، أن يصوروا لنا الأمويين، والعباسيين، جماعة دنيويين ليس لهم هم إلا الفتح، والاستعمار، والحقّد على آل البيت، وأنهم كانوا في حياتهم العادية جاهليين لا يمتنون إلى تعاليم الإسلام وآدابه بصلة، وهذا افتراء على الواقع والتاريخ فمن المسلّم به أن ما بين أيدينا من نصوص التاريخ التي تمثل لنا العصر الأموي، والعباسي، لا تعدوا إلا أن تكون أخباراً تناقلتها الألسنة دون تحقيق، وهي من وضع غلاة الشيعة، والروافض الذين أحدثوا الفتنة في صفوف الأمة الإسلامية، منذ مقتل الفاروق عمر، فعثمان، فعلى ﷺ استمراءاً بصراعهم مع الأمويين والعباسيين، فهؤلاء الرافضة هم الذين ناصبهم الأمويون، والعباسيون العداء، وحاربوهم، تماماً كما حاربهم الإمام عليّ ﷺ.

وما ناصبوا العداء يوماً قط لآل البيت ﷺ وإنما هي الفتنة التي كان يشعلها الرافضة بين آل البيت، وبين أمية وبنى العباس، على مر التاريخ.  
ومن هنا فلا يصح الاعتماد بدون تمحيص على كتب الأخبار والتاريخ فيما يتعلق بالأمويين والعباسيين<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور محمد مظهر صديقي : "لأنها كتبت في الأمصار العراقية، وبخاصة في الكوفة والبصرة وبغداد - بيئة الفتنة والرافضة، ولم تنج من تعصب المؤلفين ورواة الأخبار الذين لم يبتعد أكثرهم عن العصبية بكافة أنواعها"<sup>(٢)</sup>.

يقول الدكتور السباعي : "هذا شيء، وشئ آخر أنه حتى في هذه الحالة فإننا نجد خصوصاً كثيرة تكذب أعداء السنة فيما رموا به أمراء الأمويين، والعباسيين، من انحراف

(١) لا سيما وأهل التاريخ ربما وضعوا من أناس، ورفعوا أناساً، إما لتعصب أو لجهل، أو مجرد اعتماد على نقل من لا يؤتي به، أو لغرض ذلك من الأسباب، انظر : قاعدة في المؤرخين للإمام السيكي ص ٦٩ وما بعدها، وانظر : السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ١٩٧، والعواصم من القواصم ص ٢٥٦ - ٢٦٢، وشبهات حول العصر العباسي الأول للدكتور مؤيد فاضل ملا رشيد ص ١٣ وما بعدها.

(٢) المحجمات المفروضة على التاريخ الإسلامي ص ٩ بتصرف، وانظر : شبهات حول العصر العباسي الأول ص ٣٦ وما بعدها.

عن الإسلام وتحدُّ لأحكامه، فابن سعد، يروى لنا فى طبقاته، عن نُسك، عبد الملك، وتقواه، قبل الخلافة، ما جعل الناس يلقبونه بحمامة المسجد، حتى لقد سئل ابن عمر رضي الله عنهما أرأيت، إذا تفانى أصحاب رسول الله ﷺ من نساء؟ فأجابهم : سلوا هذا الفتى وأشار إلى عبد الملك<sup>(١)</sup>.

وهذا مالك رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان فى موطأه وأبرزه فى جملة قواعد الشريعة<sup>(٢)</sup>. أما أبوه مروان بن الحكم فأقضيته وفتاواه كثيرة فى الموطأ<sup>(٣)</sup>، وفى الصحيح عن عبد الله بن دينار قال : شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك ابن مروان كتب : إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين، على سنة الله، وسنة رسوله ﷺ، ما استطعت، وإن بنى قد أقروا بمثل ذلك<sup>(٤)</sup>.

وقل مثل ذلك فى الوليد بن عبد الملك، فلقد أنشئت فى عصره أكثر المساجد المعروفة اليوم، حتى كان عصره للمسلمين عصراً عمرانياً، وقل مثل ذلك فى بقية الخلفاء بما فيهم يزيد بن معاوية رضي الله عنه الذى اتهم كذباً وزوراً بأكاذيب من صنع الرافضة.

ولا ندرى كيف يتهم بالفسق من شهد له رسول الله ﷺ، له بالخير والمغفرة، فى قوله ﷺ "... وأول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور له"<sup>(٥)</sup> وكان هذا الجيش هو جيش يزيد بن معاوية - وكان أميراً عليه فى غزوة القسطنطينية<sup>(٦)</sup>. وكيف يعهد له أبوه (معاوية) رضي الله عنه بالخلافة "وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق. حاشا الله معاوية من ذلك"<sup>(٧)</sup>.

(١) وانظر : ثناء ابن عمر، وأبى الزناد، والشعبى، وغيرهم فى البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٦٢-٦٣  
(٢) من ذلك ما أخرجه فى الموطأ فى كتاب الأفضية، باب المستكرهة من النساء ٢/ ٥٦٤ رقم ١٤، وفى كتاب المكاتب، باب القضاء فى المكاتب ٢/ ٦٠٤ رقم ٣، وانظر : العواصم من القواصم ص ٢٦٣، ومقدمة ابن خلدون ص ٢٢٨.

(٣) من ذلك ما أخرجه فى الموطأ فى كتاب المكاتب، باب عتق المكاتب، إذا أدى ما عليه قبل محله ٢/ ٦١٢ رقم ٩، وانظر : لورع مروان، وابنه عبد الملك، فيما رواه الإمام مالك عن عبد الملك ابن مروان أنه وهب لصاحب له جارية ثم سأله عنها فقال قد هممت أن أهبتها لابنى فيفعل بها كذا وكذا، فقال عبد الملك : لمروان كان أورع منك، وهب لابنه جارية ثم قال لا تقر بها فإنى قد رأيت ساقها منكشفة، انظر : الموطأ كتاب النكاح، باب النهى عن أن يصيب الرجل أمة كانت لأبيه ٢/ ٤٢٦ رقم ٣٨.

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس ١٣/ ٢٠٥ رقم ٧٢٠٣.  
(٥) سبق تفريجه ص ٤٢٩.

(٦) البداية والنهاية ٨/ ٢٢٩.

(٧) مقدمة ابن خلدون مبحث فى انقلاب الخلافة إلى الملك ص ٢٢٨، ومبحث فى ولاية العهد ص ٢٣٤، ٢٤٠.

وكيف يصح وصف يزيد بالفسق وهو يحدث نفسه إن ولى الإمارة أن يسير على سيرة الفاروق عمر رضي الله عنه لما قال له أبوه : كيف تراك فاعلاً إن وليت؟ قال : كنت والله يا أبة عاملاً فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بنى، والله لقد جهدت على سيرة عثمان فما أطقنتها، فكيف بك وسيرة عمر؟ (١).

ويقول العلامة ابن خلدون مدافعاً عن أمراء الدولة الأموية قائلاً : "... وإن كانوا ملوكاً فلم يكن مذهبهم فى الملك مذهب أهل البطالة، والبغى، إنما كانوا متحريين لمقاصد الحق جهدهم، إلا فى ضرورة تحملهم على بعضها، مثل خشية افتراق الكلمة الذى هو أهم لديهم من كل مقصد. يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء، وما علم السلف من أحوالهم ومقاصدهم. فقد احتج مالك فى الموطأ بعمل عبد الملك، وأما مروان فكان فى الطبقة الأولى من التابعين، وعدالتهم معروفة ثم تدرج الأمر فى ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذى كانوا فيه" (٢).

ويقول أيضاً مدافعاً عن أمراء الدولة الأموية والعباسية معاً فى معرض دفاعه عن أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد : "ثم إنه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك، وسليمان، من بنى أمية، والسفاح، والمنصور، والمهدى، والرشيد من بنى العباس، وأمثالهم ممن عرفت عدالتهم، وحسن رأيهم للمسلمين، والنظر لهم، ولا يعاب عليهم إثارة أبنائهم وإخوانهم، وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة فى ذلك، فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء، فإنهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينياً" (٣)، وهى حفظ وحدة المسلمين، وإنه لفى رواية الإمام مالك فى موطأه لأمراء بنى أمية مثل عبد الملك بن مروان وأبوه مروان، وجمعه لموطأه فى أيام بنى العباس، والدولة لهم، والحكم بأيديهم، لأكر دليل على أنه لم يكن هناك صراع بين بنى أمية وبنى العباس، وإنما كان الصراع بينهم وبين أعداء الإسلام على مر التاريخ من الرافضة والزنادقة.

وحتى لو فرض أنه كان هناك صراع، فلم يكن لهذا الصراع أى تأثير على علماء المسلمين فيما يحفظون، ويدونون من حديث رسول الله ﷺ وإلا فلم لم يغير وينكر

(١) البداية والنهاية ٨ / ٢٣٢، وانظر : العواصم من القواصم ص ٢٢١ - ٢٢٨، والصواعق المحرقة ص ٢٠٨، وتطهير الجنان ص ٧-٤٣ كلاهما لابن حجر الهيتمي .

(٢) المقدمة، بحث فى انقلاب الخلافة إلى الملك ص ٢٢٨ .

(٣) المصدر السابق بحث فى ولاية العهد ص ٢٣٣ .

أمرأء بنى العباس ما فى الموطأ؟

وأين ما زعمه أعداء الإسلام من استغلالهم لعلماء المسلمين فى وضع ما يوافق رغباتهم؟ نعم كان هناك من يتقرب إلى الملوك والأمراء بوضع ما يوافق فعلهم، ولكن هؤلاء الأدعياء لم يكونوا يمتون إلى العلم بصلة، وهم غير العلماء الذين نهضوا لجمع الحديث وتدوينه ونقده، وفى نفس الوقت لم يغفل الأمراء عن كذبهم كما حدث من غياث بن إبراهيم النخعى<sup>(١)</sup> مع الخليفة المهدي العباسي<sup>(٢)</sup> لما رآه يلعب بالحمام فحدثه بحديث أبي هريرة رضي الله عنه : "لا سبق إلا فى خف أو نصل أو حافر" وزاد فيه : "أو جناح" فأمر المهدي بعشرة آلاف درهم، فلما قام قال المهدي : أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما استجلبت ذلك أنا فأمر بذبح الحمام فذبحت .

يقول الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله تعالى - : "لم يكن المهدي مغفلاً ولا جاهلاً، بل كان عاقلاً عالماً، من الملوك الذين ينشأون فى العلم الذى هو شرط من شروط الولاية، فعامل المتزلف إليه بجدود الملوك، وأراد قطع السبب الذى تزلف به الكذاب، وفطم نفسه عن التعلق بالحمام فذبحها - ولم يأت فى الخبر أنه طرحها - ولم يتففع بها أكل، ومثل هذا لا يغيب عن مثل الخليفة المهدي العالم<sup>(٣)</sup> . الذى نكل بالزنادقة أئمة تنكيل أيام دولته، وعين لهم رجلاً سماه "صاحب الزنادقة" وكل إليه أمر إبادتهم والقضاء عليهم وأمر الجدلبيين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب فى الرد على الملحدين، وإقامة البراهين على المعاندين وإيضاح الحق للشاككين، وأوصى ابنه الهادي بالعمل على إبادة الزنادقة، وشرح له أمرهم، وسوء نيتهم نحو الإسلام والمسلمين، وجاء عنه أنه قال : "والله لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك

(١) غياث هو : ابن إبراهيم النخعى، الكوفى، اتفقوا على تركه، فهو كذاب حيث، كما وصفه يحيى ابن معين . انظر : الضعفاء للنسائي ١٩٥ رقم ٥٠٩، والمجروحين لابن حبان ٢ / ٢٠٠، وميزان الاعتدال ٣ / ٣٣٧ رقم ٦٦٧٣، ولسان الميزان ٥ / ٤٢١ رقم ٦٥٥٦، والجرح والتعديل ٧ / ٥٧ رقم ٣٢٧، والكمال فى الضعفاء ٦ / ٨ رقم ١٥٥٤، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٢ / ٢٤٧ رقم ٢٦٨٩ . وانظر : الباحث الحثيث للشيخ أحمد شاكر ص ٧١، فقد ذكر أنه فعل نحواً من ذلك مع الخليفة الرشيد .

(٢) انظر : مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ٨ ص ٥٦٨ تعليق الأستاذ الصديق بشير على الفصل الثالث من دراسات محمدية لجولدسهر، والذى اتهم فيه الخليفة المهدي بأن ابن عدى عده فى قائمة الوضاعين" وتحريف جولدسهر لهذا النص، الذى فهم منه ذلك .

(٣) لمحات من تاريخ السنة ص ١٢٧ هامش، وانظر : ترجمة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور المهدي فى سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٠٠، ٤٠٣ رقم ١٤٧، والبدية والنهاية ١٠ / ١٢٤، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٣، وشذرات الذهب ١ / ٢٣٠، ٢٤٤، وتاريخ بغداد ٥ / ٣٩١ - ٤٠١ رقم ٢٩١٧، والوافى بالوفيات ٣ / ٣٠٠ - ٣٠٢ .

منها عيناً تطرف" وقد أنفذ الهادى وصية أبيه بكل أمانة<sup>(١)</sup>.

**وخلاصة القول :** أن ما وقع من وضع فى السنة أيام الأمويين والعباسيين، وقع من غلاة الشيعة الرافضة، والزنادقة، وغيرهم ممن لا يمتنون إلى العلم بصلة، وأمثال هؤلاء هم الذين كانوا فى صراع دائم مع الدولة الأموية، والعباسية، أما ما يزعمه أعداء الإسلام، والسنة المطهرة، بأن الوضع وقع من العلماء الذين دأبوا على نشر السنة المطهرة، وحفظها وتنقيتها أمثال الزهرى، والأوزاعى، والثورى، وابن حنبل، والبخارى، وغيرهم من رواة السنة، فذلك كذب وافتراء يرده تاريخنا الإسلامى السالم من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

**رابعاً:** الجواب عن طعن أعداء السنة فى أحاديث طاعة أولى الأمر، وأحاديث الفتن ما زعمه أعداء السنة من أن أحاديث طاعة أولى الأمر، وأحاديث اجتناب الفتن وضعها أهل الحديث لتثبيت أنظمة الحكم، فتلك دعوى يردها النقل والنظر

يقول الأستاذ الصديق بشير : "فأما النقل : فإن الأحاديث التى ذكروها - ومعظمها فى الصحيحين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ وهى تدعو إلى طاعة الحكام والأمراء، وتدعو إلى اجتناب الفتن، والنجاة من شرورها، ويظن أنها وضعت من أجل تثبيت الحكام، إما بطاعتهم، أو باعتزال الأمر وتركه، فهذه الأحاديث لو افترضنا جدلاً صحة ادعائهم، فالقرآن الكريم يؤكدها ويصدقها، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ووجوب طاعة ولى الأمر بطاعته لله ورسوله، وقول تعالى ذمما الفتن ومعدراً من الارتكاس فيها ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾<sup>(٣)</sup>. وقال تعالى : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾<sup>(٤)</sup>. وكون الفتنة أشد من القتل لأن شرورها لا تنقطع كالنار لا تبقى على شيء. فهذا إذن أكبر دليل على أن مجموع تلك الأحاديث التى تحض على الطاعة، وتجنب الفتن سبقت الخلافات والنزاع حول الحكم.

(١) الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهر ص ٣٣٩ .

(٢) الآية ٥٩ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢٥ من سورة الأنفال .

(٤) جزء من الآية ١٩١ من سورة البقرة .

وأما النظر : فإنه يكذب هذا الادعاء، لأن اجتماع الفقهاء أو أهل الحديث أو جميعهم على وضع هذه المبادئ كما يسميها "جولدتسيهر" ويقول بها الرافضة، ومن قال بقولهم لا يمكن أن يتحقق، واجتماعهم على الكذب على الرسول ﷺ لا يتأتى .  
ففى زمن بنى أمية كان هناك كثير من الصحابة أمثال : أنس بن مالك (ت ٩٣هـ)،  
وعبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ)، وعبد الله ابن عباس (ت ٦٨هـ)، وأبو هريرة (ت ٥٩هـ)،  
وعبد الله بن عمرو (ت ٦٥هـ)، والنعمان بن بشير (ت ٦٤هـ) .

وكان هناك عدد كبير من الفقهاء والأعلام أمثال : سعيد بن المسيب (ت ٩١هـ)،  
وعروة بن الزبير (ت ٩٤هـ)، وخارجة بن زيد (ت ١٠٠هـ) وبقية الفقهاء السبعة  
المشهورون . وأمثال : سالم بن عبد الله (ت ١٠٦هـ)، والشعبي (ت ١٠٥هـ)، وابن  
سيرين (١١٠هـ)، وهذه الدولة العباسية بدأت بخلافة أبى العباس السفاح سنة  
١٣٢هـ، وكان ممن حضر قيامها من أئمة الفقهاء ربيعة الرأى (ت ١٣٤هـ)، وعطاء  
الخراساني (ت ١٣٥هـ) والأوزاعي (ت ١٥٧هـ)، وأئمة المذاهب الأربعة .

فهل من الممكن أن يتفق أمثال هؤلاء - وهم من هم فى الورع والعلم - على  
تثبيت نظام من الأنظمة، ودعوة الناس إلى مؤازرته والخضوع له، ولو أدى بهم ذلك  
إلى اختلاق الأحاديث، لتأكيد هذه الدعوة، وكأنهم شرذمة من المتأمرين؟! وإذا صح  
لغيرهم أن يفعلوا ذلك، فهل يرضى هؤلاء بذلك، وهم يعلمون أنه خطر يهدد  
الإسلام، وأن السكوت عليه خيانة للمسلمين؟!

وكيف ترضى الفرق الأخرى التى تنازع نظام الحكم القائم بهذا الصنيع وهى تعلم  
أنه دس واختلاق؟! والعقل يقول : إنه لو أحس هؤلاء بأن تلك الأحاديث موضوعة  
لغرض تثبيت نظام الحكم الذى ينازعونه لشنعوا بذلك أئمة تشنيع، ولشهرروا بواضيعها  
أيما تشهير، ولكن هذا لم يوجد؛ لأنه لم يصح إلا فى ذهن الرافضة وجولدتسيهر، ومن  
تبعهم فى ملتهم من أبناء جلدتنا . وكيف فاتهم أن عصر بنى أمية وبنى العباس لم يخل  
من علماء نقد الحديث، وهم علماء الجرح والتعديل أمثال : شعبة بن الحجاج (ت  
١٥٩هـ)، وسفيان الثوري (ت ١٦١هـ)، وعبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ)،  
ويحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨هـ)، وهم وغيرهم الذين غرّبوا الحديث، وحذفوا  
الموضوعات وأظهروها، فهل غابت عنهم تلك الأحاديث التى ذكرها أعداء الإسلام،  
ومعظمها فى الصحيحين، حتى يأتى أدعياء العلم فى آخر الزمان ليبينوا لنا أنها

ثم ما المنهج الذى اتبعوه فى النقد؟ ليس ثمة منهج إلا مجموعة أفكار فاسدة وهواجس تعشعش فى أذهانهم، ولو افترضنا أن أعداء الإسلام لا يقصدون أنهم وضعوا هذه الأحاديث، أى اختلقوها فإن مجرد تسخيرهم لها لتثبيت دعائم الحكم الأموى مرة، والحكم العباسى مرة أخرى، مسبة أيضاً، وفرية لا يقولها عاقل! كما أن إشاعة هذه الأحاديث النبوية مصلحة للناس قبل أن تكون مصلحة للحكام؛ لأنه فى أغلب الفتن لا يتأذى بويلاتها إلا الناس، ولا يبلغ الحكام إلا دخانها، وفى الفتن تختلط الأمور وتتداخل، فيدعى كل طرف فيها أنه على حق، وأن غيره على باطل، ومن لم يتبين أى الأطراف على حق، كان أولى به أن يعتزل الفتن، وهو الصواب.

كما أن هذا الدين الحنيف جاء داعياً إلى التكل والجماعة، وحذر من الفرقة والانقسام لأن هلاك المسلمين فى تفرقهم شيعاً وأحزاباً، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup> ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup> ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾<sup>(٣)</sup>.

والأحاديث النبوية التى تدعوا إلى الجماعة، وعدم الخروج عنها توضح هذه الحقيقة القرآنية، حقيقة أن فساد أمر المسلمين بافتراقهم، وهى حقيقة يعيها جيداً أعداء الإسلام، إلا أنهم يتجاهلون هذه الحقيقة ليزعموا أن هذه الأحاديث موضوعة، لخدمة الحكام، وذلك بعدم دفع المسلمين إلى الخروج على الحكام ولو كانوا جائرين، وتجاهلوا أن: من عقيدة المسلمين عدم الخروج على السلطان لجور أو ظلم ما لم يأمر بمعصية.

يقول الإمام الطحاوى فى عقيدته: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة"<sup>(٤)</sup>.

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٥٩ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ١٠٥ من سورة آل عمران.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٢ / ١١١.

ويقول شارح العقيدة الطحاوية : "فقد دل الكتاب، والسنة على وجوب طاعة أولى الأمر ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (١) كيف قال : وأطيعوا الرسول، ولم يقل : وأطيعوا أولى الأمر منكم! لأن أولى الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول؛ لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله ﷺ .

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا؛ فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم (٢) وقل من خرج على إمام إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم ما تولد من الخير، يقول ابن تيمية في حكم قتل الأئمة والخروج عليهم: "إن من قال : إن قتلهم حد، قال : إن جنائتهم؛ توجب من الفتنة، والفساد أكثر مما يوجب جناية بعض قطاع الطريق لأخذ المال" (٣) .

وأخيراً : بماذا يفسر أعداء الإسلام، ما رواه من طعنوا فيهم من المحدثين، من أحاديث مثل قوله ﷺ : "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" (٤)، ومثل قوله ﷺ : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فليسه، فإن لم يستطع فليقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (٥) . ومثل قوله ﷺ : "على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" (٦) وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال : "بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم" (٧) .

(١) جزء من الآية ٥٩ من سورة النساء .

(٢) شرح الطحاوية ٢ / ١١٤ .

(٣) منهاج السنة ٣ / ٢٠١ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي ٤ / ١٢٤ رقم ٤٣٤٤، والترمذي في سننه كتاب الفتن، باب ما جاء في أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ٣ / ٤٠٩ رقم ٢١٧٤ .

(٥) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ١ / ٢٩٦ رقم ٤٩ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

(٦) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ٦ / ٤٦٦ رقم ١٨٣٩ من حديث ابن عمر ﷺ .

(٧) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الأحكام، باب كيف يبائع الإمام الناس ١٣ / ٢٠٤ رقم ٧١٩٩، ٧٢٠٠، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتقريرها في معصية ٦ / ٤٦٨ رقم ١٧٠٩ واللفظ له .

ماذا يقول أعداء الإسلام فى هذه الأحاديث التى ظاهرها مجابهة السلطان إذا أمر بالمعاصى، أو استحلتها، أو عطل حداً من حدود الله؟!!

إن الذين رَووا هذه الأحاديث، هم أنفسهم الذين رَووا تلك الأحاديث التى ينكرونها، فكيف لهم الخروج من هذه الورطة التى أوقعوا أنفسهم فيها؟ إن طاعة ولى الأمر ليست على الإطلاق، بل هى مقيدة بطاعته لله ورسوله، تلك الطاعة التى لا تكون إلا بإقامة حكم الله فى الناس.

وهذا يبين أنه ليس ثمة مصلحة لهؤلاء المحدثين، والفقهاء، إلا خدمة هذا الدين، وليسوا أداة فى أيدي الحكام يسخرونها متى شاؤوا وكيف شاؤوا<sup>(١)</sup>.

بل كانوا حفظة الشريعة وحراس الأرض، ولولاهم لدرس الإسلام، فهم فرسان هذا الدين الذين وقفوا بالمرصاد لحركة الوضاعين من أعداء الإسلام، وأسفر صمودهم عن أدق منهج، وأحكمه فى نقد الروايات وتمحيصها، والتمييز بين غثها وسمينها، فأبلوا فى ذلك أحسن البلاء وبرزوا فى هذا المضمار، واستحدثوا فيه العلوم وقعدوها، وضبطوها وأصلوها، وجاوزوا بالعجب العجائب فى حفظ السنة المطهرة<sup>(٢)</sup>، فكانوا آية تصدق آية ﴿إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أ. هـ.

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

(١) ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٣٤٢ - ٣٤٧ بتصرف، وانظر : مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ٨ / ٥٧٩ - ٥٨٣، وللإستزادة فى الجواب عن هذه الشبهة انظر : منهج السنة فى العلاقة بين الحاكم والمحكوم لفضيلة الأستاذ الدكتور يحيى إسماعيل حبوش.

(٢) الانجازات الفقهية عند أصحاب الحديث فى القرن الثانى الهجرى للدكتور عبد المجيد محمود ص ٣ بتصرف.

(٣) الآية ٩ من سورة الحجر.

## المبحث الثالث أدلة حجية السنة النبوية المطهرة

وتحته خمس مطالب :

- المطلب الأول : العصمة .
- المطلب الثاني : القرآن الكريم .
- المطلب الثالث : السنة النبوية .
- المطلب الرابع : إجماع الأمة .
- المطلب الخامس : العقل والنظر .

وفيه ما يلي :

- أ- ذكر نماذج من المسائل العجيبة التي استنبطها أعداء السنة من القرآن الكريم بدون رجوعهم إلى بيان النبي ﷺ، واستعراض بدائلهم عن السنة المطهرة .
- ب- بيان علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة .
- ج- بيان رتبة السنة النبوية من القرآن الكريم .
- د- الكلام عن استقلال السنة بتشريع الأحكام، وتحرير الخلاف في ذلك، والرد على من اتخذ كلام الإمام الشاطبي في مسألة استقلال السنة بتشريع الأحكام ستاراً للتشكيك في حجية السنة واستقلالها بتشريع أحكام .
- هـ- بيان مضار إنكار السنة النبوية .
- و- حكم منكر السنة النبوية .

# المطلب الأول

## العصمة

السنة النبوية أصل من أصول الدين، وحجة على جميع المسلمين، وقد دل على ذلك: العصمة، والقرآن الكريم، والسنة النبوية وإجماع الأمة، والعقل والنظر.

**أولاً : العصمة :**

قبل أن أذكر تعريف العصمة، وبيان دلالتها على حجية السنة، بل وحجية القرآن الكريم أيضاً، ينبغي أن أنبه على أن الكلام عن العصمة في الحقيقة من مباحث علم الكلام<sup>(١)</sup>؛ لأنه علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى، وذات رسله من حيث ما يجب لهم، وما يجوز، وما يستحيل في حقهم.

لكن علماء الأصول تناولوا العصمة بالحديث في مباحث السنة، نظراً لشدة التصاقها بها، حيث تتوقف حجية السنة بل والقرآن أيضاً على عصمة النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، إذا علم ذلك أقول وبالله التوفيق :

**العصمة في اللغة :** المنع والحفظ والوقاية . يقال عصمته فانعصم واعتصمت بالله : إذا امتنعت بلطفه من المعصية، وهذا طعام يعصم أى : يمنع من الجوع، ومنه قوله تعالى - على لسان ابن نوح عليه السلام - : ﴿سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾<sup>(٣)</sup> أى يمنعني من تغريق الماء، ويقال دعى إلى مكروه فاستعصم . أى امتنع وأبى وطلب العصمة منه، قال تعالى حكاية عن امرأة العزيز حين راودت يوسف عليه السلام عن نفسه : ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾<sup>(٤)</sup> أى تأبى عليها ولم يجبهها إلى ما طلبت<sup>(٥)</sup>.

**وفي الاصطلاح :** حفظ الله للمكلف من الذنب، مع استحالة وقوعه من المحفوظ،

(١) الإيهاج في شرح المنهاج ٢ / ٢٦٣ .

(٢) انظر : دراسات أصولية في السنة للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى ص ١٩ بتصرف .

(٣) الآية ٤٣ من سورة هود .

(٤) جزء من الآية ٢٢ من سورة يوسف .

(٥) انظر : لسان العرب ١٢ / ٤٠٣، والقاموس المحيط ٤ / ١٥١، والمصباح المنير ٢ / ٥٦٦، وانظر: حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٨٧ هامش .

والمراد عصمتهم -- أى الأنبياء - من ذلك ظاهراً وباطناً، فالله تعالى عصم ظاهريهم من الزنا، وشرب الخمر، والكذب، وغير ذلك، وعصم باطنهم من الحسد، والرياء وحب الدنيا إلى غير ذلك من منهيات الباطن" (١).

وقيل فى تعريفها : هى خلُق، مانع عن ارتكاب المعصية، غير ملجئ إلى تركها، فلا يكون مضطراً فى ترك المعصية (٢).

### دلالة العصمة على حجية القرآن والسنة :

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق - رحمه الله - : "اعلم أنه تجب عصمة الأنبياء عن أى شئ يخل بالتبليغ : ككتمان الرسالة، والكذب فى دعواها، والجهل بأى حكم أنزل عليهم، والشك فيه، والتقصير فى تبليغه، وتصور الشيطان لهم فى صورة الملك، وتبليسه عليهم فى أول الرسالة وفيما بعدها، وتسلبه على خواطريهم بالوساوس، وتعتمد الكذب فى أى خير أخبروا به عن الله تعالى، وتعتمد بيان أى حكم شرعى، على خلاف ما أنزل عليهم : سواء أكان ذلك البيان بالقول أم بالفعل، وسواء أكان ذلك القول خيراً أم غيره . فذلك كله : قد انعقد الإجماع من أهل الشرائع على وجوب عصمتهم منه للدلالة المعجزات التى أظهرها الله على أيديهم (القائمة مقام قوله تعالى : صدق رسلى فى كل ما يبلغون عنى) وعليه فإنه لو جاز عليهم شئ من ذلك، لأدى إلى إبطال دلالتها، وهو محال (٣).

كما انعقد الإجماع على أنهم معصومون من السهو، والغلط فيما يخل بالتبليغ، والذاهبون إلى تجويز ذلك عليهم يجمعون على اشتراط التنبيه فوراً من الله تعالى وعدم التقرير عليه (٤).

وذلك يستلزم : أن كل خير بلاغى - بعد تقرير الله له عليه - صادق مطابق لما عند الله إجماعاً : فيجب التمسك به يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (٥) فكلمة "ينطق" فى لسان العرب تشمل كل ما

(١) حاشية البيهقورى على الجوهرة ص ١٦٠ .

(٢) دراسات أصولية فى السنة للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى ص ١٩، ٢٠، وانظر : البحر المحيط للزركشى ٤ /

١٦٩-١٧٢، وإرشاد الفحول ١ / ١٥٩-١٦٤ .

(٣) حجية السنة ص ٩٧، ١٠٢، ٢٥١ .

(٤) المصدر السابق ص ٩٩ وما بعدها، وانظر : التفحات الشذية فيما يتعلق بالعصمة والسنة النبوية للشيخ محمد الطاهر الحامدى ص ٢١ وما بعدها، وانظر : المحصول للرازى ١ / ٥٠١ وما بعدها، والمنهاج شرح مسلم للنووى

١٢٦ / ٨ رقم ٢٣٧١ .

(٥) الأيتان ٤، ٣ من سورة النجم .

يخرج من الشفتين من قول أو لفظ<sup>(١)</sup>، أى ما يخرج نطقه ﷺ عن رأيه، إنما هو بوحي من الله ﷻ<sup>(٢)</sup>.

ولقد جاءت الآيتان بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، وهذا واضح فى إثبات أن كلامه ﷺ محصوراً فى كونه وحياً لا يتكلم إلا به، وليس بغيره<sup>(٣)</sup>.

فيثبت بذلك حجية قوله ﷺ فى حق القرآن : "هذا كلام الله ﷻ"<sup>(٤)</sup>، وقوله فى الأحاديث القدسية : "قال رب العزة كذا"، أو نحو هذه العبارة، وقوله : "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان، متكئ على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه . ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى، ولا كل ذى ناب من السباع، ولا كل ذى مخلب من الطير، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغنى عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه"<sup>(٥)</sup>.

فهذه كلها أخبار، معصوم عن الكذب : فتكون حججاً دالة على أن الوحي قسمان :

القسم الأول : الكتاب المعجز المتعبد بتلاوته .

والقسم الثانى ما ليس بكتاب وهو قسمان :

١ - حديث قدسى، وهو ما نزل لفظه<sup>(٦)</sup>.

٢ - وحديث نبوى وهو : ما نزل معناه، وعبر عنه النبى ﷺ، بلفظ من عنده<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر : القاموس المحيط ٣ / ٢٧٧، ومختار الصحاح ص ٦٦٦، ولسان العرب ١٠ / ٣٥٤ .

(٢) تفسير القرطبي ١٧ / ٨٤، ٨٥ .

(٣) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص ٥٥ .

(٤) انظر : فى حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى، دفعه لافتراض أن القرآن كلام الله لا يثبت بذلك القول . حجية السنة ص ٢٥٠ .

(٥) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة ٤ / ٢٠٠ رقم ٤٦٠٤، والترمذى فى سننه كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبى ﷺ ٥ / ٣٧ رقم ٢٦٦٤، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٦) اختلف العلماء فى ذلك هل اللفظ من عند الله، أو من عند رسول الله ﷺ، وانتصر الأستاذ الكبير الدكتور عبد الله دراز للرأى القائل بأن لفظ الحديث القدسى من عند رسول الله ﷺ فيقول عن هذا الرأى "وهذا أظهر القولين فيه عندنا، لأنه لو كان منسلاً بلفظه لكان له من الحرمه والقدسية فى نظر الشرع ما للنظم القرآنى، إذ لا وجه للفرقة بين لفظين منسزين من عند الله، فكان من لوازم ذلك وجوب المحافظة على نصوصه، وعدم جواز روايته بالمعنى إجماعاً: وحرمة مس المحدث لصحيفته، ولا قائل بذلك كله أ.هـ انظر : النبأ العظيم ص ١٦ .

(٧) حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص ٢٨٠ .

وهذا القسم لقيه رب العزة بالحكمة<sup>(١)</sup> في آيات كثيرة، منها قوله تعالى : ﴿...  
وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِعَظْمِكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو  
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ  
مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومما هو جدير بالذكر أن رب العزة قد بين في كتابه العزيز أن نوعي الوحي المعبر  
عنهما بالكتاب والسنة ليسا من المسائل الخاصة بالنبي ﷺ وإنما هي سنة عامة في  
الأنبياء جميعاً قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ  
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ  
وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>  
ويقول رب العزة في حق آل إبراهيم : ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَعَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾<sup>(٥)</sup> ويقول ﷺ في حق عيسى عليه السلام : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى  
ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي  
الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٦)</sup>.

السنة النبوية وحي من الله تعالى :

ذهب العلماء إلى أن الوحي بالنسبة إلى السنة المطهرة ينقسم إلى قسمين :

- ١- القسم الأول : قسم أوحى الله تعالى بمعناه إلى رسول الله ﷺ، وغير عنه  
الرسول ﷺ بألفاظ من عنده . وهذا القسم هو الأعم الأغلب من السنة النبوية .
- ٢- أما القسم الثاني : فهو ما قاله الرسول ﷺ باجتهاده مما يعلم أنه من شرع  
الله تعالى، فإن وافق قوله أو فعله مراد الله تعالى، فالأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ،  
وإن كان الأمر يحتاج إلى تصحيح أو توضيح، أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ بذلك .

(١) الحكمة في اللغة تطلق على عدة معان منها : العلم، والفقه، والعدل، والحلم، والنبوة . انظر : لسان العرب  
١٢ / ١٤٠، ١٤١، والقاموس المحيط ٤ / ١٠٠، والمعجم الوسيط ١ / ١٩٠ .

(٢) الآية ٢٣١ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .

(٤) الآية ٨١ من سورة آل عمران .

(٥) الآية ٥٤ من سورة النساء .

(٦) الآية ١١٠ من سورة المائدة .

والقسم الثاني هذا هو الأقل في السنة الشريفة<sup>(١)</sup> ويدخل في هذا القسم ما صدر من رسول الله ﷺ على سبيل العادة والطبيعة وأقره الله عليها، كشؤونه في طعامه وشرابه ولباسه، وجلوسه ونومه وما مائل ذلك، فإن ذلك كله بعد تقرير الله ﷻ له، يكون بمنزلة الوحي حجة على العباد ما لم يتم دليل على خصوصيته بالنبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ومن الأدلة على أن السنة النبوية وحي منزل من عند الله ﷻ قوله: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup> فهذه الآية -من سورة النساء- تدل على أن الحكمة نزلت من عند الله تعالى مثل القرآن الكريم، وفي سورة الإسراء يقول رب العزة: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾<sup>(٤)</sup>. والآية واضحة في أن الحكمة وحي من الله تعالى مثل القرآن الكريم.

ومن دقة الأداء القرآني في التعبير عن هذين النوعين من الوحي (الكتاب والسنة)؛ أنه فصل بينهما بواو العطف إذا اجتمعا، ليبين أن هذين النوعين مختلفان لضرورة التباين بين المعطوف والمعطوف عليه، فالمنطق يقتضي أن الشيء لا يعطف على نفسه وصاحب العقل الفصيح يلمح الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup> حيث فرق رب العزة، بين الكتاب والحكمة بحرف العطف ليدل على تباينهما، وأفرد الضمير العائد عليهما، ليدل على وحدة مصدرهما وأن المشكاة واحدة<sup>(٦)</sup>.

وأنت تستطيع أن تتأمل في أية الأحزاب، كما تأملها الإمام الشافعي من قبل، يتضح لك أنها أوضح مما ذكر في الدلالة على أن المراد بالحكمة السنة المطهرة، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾<sup>(٧)</sup>. فالتلاوة هنا

(١) تيسر اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص ٥٤

(٢) حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغني ص ٣٤٠ بتصرف.

(٣) الآية ١١٣ من سورة النساء.

(٤) الآية ٣٩ من سورة الإسراء.

(٥) الآية ٢٣١ من سورة البقرة.

(٦) السنة في مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشي ص ٦٦ بتصرف، وفيما سبق رد على ما زعمه مؤلف لماذا القرآن أن أفراد الضمير دليل على أن الحكمة هي القرآن، ولو كانت شيئاً آخر غير القرآن لقال يعظكم بهما، انظر: لماذا القرآن لأحمد صبحي منصور ص ٢٨.

(٧) الآية ٣٤ من سورة الأحزاب.

المرّة بعد المرّة، والمتلو هنا شيطان، أولهما : آيات الله في كتابه، وثانيهما : الحكمة وهي صنف آخر من الوحي المتلو، ولا يكون ذلك إلا السنة النبوية المطهرة<sup>(١)</sup>.

ولو شغب أعداء الإسلام على تفسير "الحكمة" بالسنة المطهرة، واعتزوا على ذلك<sup>(٢)</sup>، قلنا لهم : ماذا تقولون في آيات تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، قال تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

فهذه الآيات الكرمات تدلنا على أن التوجه إلى بيت المقدس كان مشروعاً من قبل، وكان ذلك التوجه حقاً وصواباً واجباً عليهم قبل التحول إلى الكعبة، فأين ذلك كله في القرآن الكريم؟

ألا يدل ذلك على أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا عاملين بحكم لم ينزل به القرآن، وأن عملهم هذا كان حقاً وواجباً عليهم!!

ولا يصح أن يقال : إن عملهم هذا كان بمحض عقولهم واجتهادهم، إذ العقل لا يهتدى إلى وجوب التوجه إلى قبله "ما" في الصلاة، فضلاً عن التوجه إلى قبله معينة، وفضلاً عن أن النبي ﷺ كان أثناء صلاته إلى بيت المقدس راغباً كل الرغبة في التوجه إلى الكعبة المشرفة .

إذن : كان التوجه إلى بيت المقدس بوحي غير القرآن وهو السنة المطهرة<sup>(٤)</sup>، ومن الأدلة على أن السنة النبوية وحى من عند الله من السنة نفسها قوله ﷺ لوالده

(١) السنة في مواجهة أعدائها لفَضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشي ص ٦٧، وانظر : الرسالة للإمام الشافعي ص ٧٨، ٧٩ فقرات رقم ٢٥٢ - ٢٥٧، والفقهاء والمتنفة للعطيط ١ / ٢٥٨ رقم ٢٥٦، ومختصر الصواعق المرسلة لابن قيم ٢ / ٥١١، والمداخل إلى السنن للبيهقي حيث نقل بأسانيده عن الحسن، وقتادة، وعبيد بن أبي كثير - رحمهم الله - أنسهم قالوا الحكمة في هذه الآية يقصد آية ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ هي السنة، وللإستزادة انظر : السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولي ص ٣٢-٤٦ .

(٢) انظر : مجلة المنار المجلد ٩ / ٩٠٨ مقال الدكتور توفيق صدقي "الإسلام هو القرآن وحده" والصلاة لمحمد نجيب ص ٢٧٧، وأصول الفقه الحمدي لشاخنت نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١١ / ٦٦٥، قرآن أم حديث ص ٢٩، والقرآن والحديث والإسلام ص ٦ كلاهما لرشاد خليفة، والصلاة في القرآن ص ١٢، ١٤، ولماذا القرآن ص ٢٦ - ٢٨ كلاهما لأحمد صبحي منصور، والإمام الشافعي نصر أبو زيد ص ٨٩، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٥٦٨، والنبوة والمجتمع ص ٢٣٢-٢٣٥، كلاهما لمحمد شحرور، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص ٧٥-٧٨، وإنذار من السماء نيازى عز الدين ص ٩٥ وما بعدها، ودليل المسلم الحزين الحسين أحمد أمين ص ٤٤، وتبصير الأمة بحقيقة السنة لإسماعيل منصور ص ٢١، ١١٤، ١١٧، ٣٢٠ .

(٣) الآيات ١٤٢ - ١٤٤ من سورة البقرة .

(٤) حجة السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى ص ٣٣٦ بتصرف .

الزاني بامرأة الرجل الذي صالحه على الغنم والخادم، والذي نفسى يده لأقضي  
بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد. وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام" (١)،  
وليس في القرآن المتلوا إلا الجلد مائة، ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ: "لا يستبطن أحد  
منكم رزقه". إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا  
حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس، وأجملوا في الطلب، فإن استبطأ أحد  
منكم رزقه؛ فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لا ينال فضله بمعصية" (٢).

وفي الصحيحين: أنه ﷺ قال: "إن مما أخاف عليكم بعدى، ما يفتح عليكم من  
زهرة الدنيا وزينتها" فقال رجل: أو يأتي الخير بالشر يا رسول الله؟ قال: فسكت  
عنه رسول الله ﷺ فقل له ما شأنك؟ تكلم رسول الله ﷺ ولا يكلمك؟ قال: ورأينا  
أنه يُنزل عليه، فأفاق يمسحُ عنهُ الرُّحَضَاءُ. وقال: "أين هذا السائل" (وكانه حمده)  
فقال: "إنه لا يأتي الخير بالشر... الحديث" (٣). فالحديث هنا صريح في أنه ﷺ كان  
ينتظر الوحي فيما يسأل عنه، فينزل عليه بما ليس بقرآن: "وهو دليل قطعي على أن  
السنة كانت تنزل كما ينزل القرآن" (٤)، ويستأنس لذلك بما روى عن حسان بن  
عطية (٥)؛ أنه قال: "كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة، كما ينزل  
عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن" (٦).

هذا كله فضلاً عن أن الإجماع قد انعقد على أنه كان يوحى إليه غير القرآن

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٧.

(٢) أخرجه المحاكم في المستدرک کتاب البيوع ٢/ ٥ رقم ٢١٣٦ من حديث ابن مسعود وسكت عنه هو والذهبي،  
وأخرجه المحاكم في نفس الأماكن السابقة من حديث جابر بن عبد الله ﷺ وصححه على شرط الشيخين، وأقره  
الذهبي، وانظر: الرسالة للإمام الشافعي ص ٩٣ فقرة رقم ٣٠٦.

(٣) البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الرقاق، باب ما ينزل من زهرة الدنيا والتنافس فيها ١١/ ٢٤٨ رقم  
٦٤٢٧، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض ٤/ ١٥٤ رقم ١٠٥٢ واللفظ  
له من حديث أبي سعيد الخدري عليه السلام.

(٤) البحر المحیط فی أصول الفقه للزركشي ٦/ ٢١٦.

(٥) حسان: هو حسان بن عطية المعاري، أبو بكر الدمشقي، ثقة، فقيه، عابد، ومن أفاضل أهل زمانه، مات بعد  
العشرين ومائة من الهجرة. له ترجمة في: تقريب التهذيب ١/ ١٩٩ رقم ١٠٢٨، ومشاهير علماء الأمصار  
ص ٢١١ رقم ١٤٢٣، والكاشف ١/ ٣٢٠ رقم ١٠٠٤، والتلقات للمعالي ص ١١٢ رقم ٢٦٩، وحلية الأولياء ٦  
٧٠/ رقم ٢٣٠، وصفوة الصفوة ٤/ ٢٢٢ رقم ٧٥٥.

(٦) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب السنة قاضية على كتاب الله ١/ ١٥٣ رقم ٥٨٨، والخطيب في الفقيه  
والمتفقه ١/ ٢٦٦، ٢٦٧ رقمي ٢٦٨، ٢٦٩، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ١٩١، وأبو داود في المراسيل  
ص ١٦٧ رقم ٥٦٧، وانظر: الموافقات ٤/ ٤٠٨، ومختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥١٢، وحجية السنة للعلامة عبد  
الغني ص ٣٣٧، وشذرات في علوم السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور الأحمدي أبو النور ص ٣٢.

الكريم<sup>(١)</sup>.

وتأسيساً على ما سبق، فإننا نقول : إن السنة الشريفة وحى من الله تعالى ابتداءً وهذا هو الأغلب، أو اجتهاد من الرسول ﷺ وأقره ربه عليه إما بالموافقة أو بالتصحيح، ويكون مرد ذلك إلى الوحي أيضاً بإقرار الله تعالى لرسوله ﷺ<sup>(٢)</sup>. وهذا النوع من الوحي يسميه جمهور الحنفية وحياً باطناً<sup>(٣)</sup>.

فتبين لك من هذا كله : أن جميع ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير حتى الحركات، والسكنات فهي وحى من عند الله تعالى بعد إقرار الله ﷻ عليه<sup>(٤)</sup>. والعصمة التي نتحدث عنها هنا تغنيا وحدها فى إثبات حجية جميع أنواع السنة القولية والفعلية والتقريرية والاجتهادية .

---

(١) حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٣٣٨ .

(٢) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص ٥٤ .

(٣) انظر : أصول السرخسى ٢ / ٩٠ وما بعدها .

(٤) انظر : حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٣٤٠ ، ٣٤١ بتصرف .

## اجتهاد الرسول ﷺ وتشكيك بعض دعاة الفتنة وأدعياء العلم في أن السنة المطهرة كلها وحى

زعم بعض دعاة الفتنة وأدعياء العلم أن اجتهاد النبي ﷺ ليس من الوحي الإلهي واتخذوا من ذلك مدخلاً للطعن في السنة النبوية، وأنها ليست كلها وحى من عند الله تعالى<sup>(١)</sup>، ويستدلون على ذلك بحديث رسول الله ﷺ الوارد في قصة تأبير النخل بمختلف رواياته عن طلحة بن عبيد الله<sup>(٢)</sup> قال : مررت مع رسول الله ﷺ يقوم على رعوس النخل . فقال : "ما صنع هؤلاء؟" فقالوا : يلحقونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله ﷺ "ما أظن يغني ذلك شيء" قال فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً، فخذوا به، فإنني لن أكذب على الله ﷻ .

وفي حديث رافع بن خديج<sup>(٣)</sup> قال : قال رسول الله ﷺ : "إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به . وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر" قال عكرمة : أو نحو هذا . وفي حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "أنتم أعلم بأمر دنياكم"<sup>(٤)</sup> .

وهذا الحديث من زمن طويل كان المشجب الذي يعلق عليه من شاء، ما شاء من أمور الشرع التي يراد التحلل منها<sup>(٥)</sup>، فقد أراد بعضهم أن يحذف النظام السياسي كله من الإسلام بهذا الحديث وحده، لأن أمر السياسة أصولاً وفروعاً من أمر دنيانا، فنحن

(١) راجع : ما سبق في الرد على الرافضة الذين طعنوا في اجتهاد الصحابة ﷺ، واتخذوا منه مدخلاً للطعن في عدالتهم ص ٣١٥-٣٢٥ .

(٢) طلحة بن عبيد الله : صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب ٢ / ٧٦٤ رقم ١٢٨٠، واسد الغابة ٣ / ٨٤ رقم ٢٦٢٧، والإصابة ٢ / ٢٢٩ رقم ٤٢٦٦، وتاريخ الصحابة ص ٢٤ رقم ٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٢ رقم ٨ .

(٣) رافع بن خديج : صحابي جليل له ترجمة في : اسد الغابة ٢ / ٢٣٢ رقم ١٥٨٠، والاستيعاب ٢ / ٤٨٩ رقم ٧٢٦، والإصابة ١ / ٤٩٥ رقم ٢٥٢٦، وتاريخ الصحابة ص ٩٧ رقم ٤١٩، وتجويد أسماء الصحابة ١ / ١٧٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٨ رقم ٢٩ .

(٤) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا على سبيل الرأي ص ٨ / ١٢٧، ١٢٨، أرقام ٢٣٦١ - ٢٣٦٣ .

(٥) السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص ٣٢، وانظر : تاريخ المذاهب الإسلامية للعلامة محمد أبو زهرة ص ٢٤١ وما بعدها .

أعلم به .

فليس من شأن الوحي أن يكون له فيها تشريع أو توجيه، فالإسلام عند هؤلاء دين بلا دولة، وعقيدة بلا شريعة، وأراد آخرون أن يحذفوا النظام الاقتصادي كله من الإسلام كذلك، بسبب هذا الحديث الواحد المهم أن بعض الناس أراد أن يهدم بهذا الحديث الفرد كل ما حوت دواوين السنة الزاخرة، من أحاديث البيوع، والمعاملات، والعلاقات الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، وكأن الرسول ﷺ قال هذا الحديث لينسخ به جميع أقواله وأعماله وتقريراته الأخرى، التي تكون السنة النبوية المطهرة .

وهذا الغلو من بعض الناس، هو الذى جعل عالماً كبيراً مثل المحدث الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله - يعلق على هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد فيقول : "هذا الحديث مما طنطن به ملحدا مصر، وصنائع أوروبا فيها، من عبيد المستشرقين، وتلامذة المبشرين، فجعلوه أصلاً يحجون به أهل السنة وأنصارها، وخدام الشريعة وحمايتها، إذا أرادوا أن ينفوا شيئاً من السنة، وأن ينكروا شريعة من شرائع الإسلام، فى المعاملات وشئون الاجتماع وغيرها، يزعمون أن هذه من شئون الدنيا، ويتمسكون برواية أنس : "أنتم أعلم بأمر دنياكم"<sup>(١)</sup> والله يعلم أنهم لا يؤمنون بأصل الدين، ولا بالالوهية، ولا بالرسالة، ولا يصدقون القرآن فى قرارة نفوسهم . ومن آمن منهم فإنما يؤمن لسانه ظاهراً، ويؤمن قلبه فيما يخيل إليه، لا عن ثقة وطمأنينة، ولكن تقليداً وخشية، فإذا ما جد الجدل، وتعارضت الشريعة، الكتاب والسنة، مع ما درسوا فى مصر أو فى أوروبا لم يترددوا فى المفاضلة، ولم يحجموا عن الاختيار، وفضلوا ما أخذوه عن ساداتهم، واختاروا ما أشربت قلوبهم، ثم ينسبون نفوسهم بعد ذلك أو ينسبهم الناس إلى الإسلام . والحديث واضح صريح، لا يعارض نصاً، ولا يدل على عدم الاحتجاج بالسنة فى كل شأن، وإنما كان فى قصة تلقيح النخل أن قال لهم : "ما أظن ذلك يغنى

(١) بل وينكبون أركان الإسلام، انظر إلى ما يزعمه جمال البنا فى كتابه السنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١٩٣، قائلاً : "بيان النبى ﷺ فى العبادات من صلاة أو زكاة أو صيام أو حج أو شورى ... إلخ، ليس تشريعاً دائماً لازماً" . هـ . وراجع من نفس المصدر ص ١٧٠، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٢٥، وانظر : له الأعلان العظيم ص ٢٤٠ وما بعدها، وانظر : "الإسلام هو القرآن وحده" مقال الدكتور توفيق صدقي فى مجلة المنار المجلد ٩ / ٩١٠، ٩١١، وأضواء على السنة محمود أبو رية ص ٤٢، ٤٤، ٩٣، وانظر: قصة الحديث الحملى ص ١٤ - ١٧، ودراسة الكتب المقدسة للدكتور موريس بوكاي ص ٢٩٣، ٢٩٩، والإمام الشافعى ص ٨٤، ونقد الخطاب الدينى ص ١٢٦ كلاهما للدكتور نصر أبو زيد، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة للدكتور محمد شحرور ص ٥٥٣، والسلطة فى الإسلام للمستشار عبد الجواد ياسين ص ٢٤٨ وما بعدها .

شيئاً" فهو لم يأمر ولم ينه، ولم يخبر عن الله، ولم يسن فى ذلك سنة حتى يتوسع فى هذا المعنى إلى ما يهدم به أصل التشريع<sup>(١)</sup> أ.هـ.

ومن اجتهاد النبى ﷺ، وقوله "أنتم أعلم بأمر دينناكم"، ذهب بعض علماء المسلمين الأجلاء إلى تقسيم السنة النبوية المطهرة إلى قسمين :

١- سنة تشريعية ملزمة ودائمة .

٢- سنة غير تشريعية غير ملزمة ولا دائمة .

وقصدوا بغير التشريع ثلاثة أنواع :

١- ما سبيله سبيل الحاجة البشرية، كالأكل والشرب والنوم والمشى والتزاور ...

الخ .

٢- ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية، كالذى ورد فى شئون الزراعة والطب، وطول اللباس وقصره .

٣- ما سبيله سبيل التدبير الإنسانى كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية ونحو ذلك فهذه الأنواع الثلاثة ليس شرعاً يتعلق به طلب الفعل أو الترك، وإنما هو من الشئون البشرية التى ليس مسلك الرسول ﷺ فيها تشريعاً ولا مصدر تشريع<sup>(٢)</sup> وبهذا التقسيم قال غير واحد من علماء المسلمين<sup>(٣)</sup> . وبالحق بعضهم حتى كاد يخرج قضايا المعاملات، والأحوال المدنية كلها، من دائرة السنة التشريعية . حيث كان يرى أن كثيراً من أوامر الرسول ونواهيهِ فى المعاملات كان أساسها الاجتهاد لا الوحي<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر : مسند الإمام أحمد ٢ / ١٧٧ رقم ١٩٣٥ هاش، وانظر : الرد القويم على المجرم الأثيم للشيخ التويمى ص ١٣٣-١٣٦ .

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة للأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ص ٤٩٩ وما بعدها .

(٣) كالأستاذ محمد رشيد رضا فى مجلة المنار المجلد ٩ / ٨٥٨، والدكتور عبد المنعم النمر - رحمه الله - فى كتبه السنة والتشريع) والاجتهاد) وعلم أصول الفقه) والشيخ عبد الجليل عيسى فى كتابه (اجتهاد الرسول)، والشيخ على حسب الله فى كتابه (التشريع)، والشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - فى كتابه "كيف نفهم الإسلام" نقله عن الشيخ محمد المدنى، والدكتور محمد سليم العوا فى العدد الافتتاحى من مجلة "المسلم المعاصر"، والدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ٤١، وغيرهم . انظر : العصريون معتزلة اليوم للأستاذ يوسف كمال ص ٥٣-٧٢ .

(٤) انظر : السنة والتشريع ص ٢٥، ٢٦، وعلم أصول الفقه ص ٢٤ وما بعدها كلاهما لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر - رحمه الله - وما ذهب إليه لا يفيد فى دعواه؛ لأن الاجتهاد إذا أقر كان بمنزلة الوحي لأنه ( لا يقر على خطأ، كما هو مقرر فى علم الأصول، ولهذا يسميه علماء الحنفية (الوحي الباطن) . هكذا قال فضيلة الأستاذ الدكتور القرضاوى رداً على الدكتور النمر فى كتابه السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص ١٧ هاش . ولا أدرى لماذا بعد ذلك يؤيد أنصار مدرسة تقسيم السنة إلى تشريع، وغير تشريع؟! ليس كل ما يقال فيه أنه سنة غير تشريعية ينطبق عليه ما قاله هنا من إقرار رب العزة لاجتهاد نبيه ﷺ فيصير وحياً، حتى ولو كانت درجته الإباحة، كما سيأتى تفصيله بعد قليل!؟

حتى انتهى به هذا الاتجاه إلى أن حرم برأيه ما أحلته السنة النبوية! وما أجمع المسلمون - من جميع المذاهب والمدارس الفقهية - على حله، وذلك هو (بيع السلم) الذى رخص فيه النبي ﷺ لحاجة الناس إليه، بعد أن وضع له الضوابط اللازمة لمنع الغرر والنزاع. ويسميه بعضهم (السلف) أيضاً، وبه جاء الحديث، ومضى عليه عمل الأمة أربعة عشر قرناً. ففي الصحيحين عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قدم النبي ﷺ المدينة، وهم يسلفون فى الثمار السنة والستين، فقال : "من أسلف فى تمر، فليسلف فى كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم" (١). بل قال ابن عباس: أشهد أن السلف المضمون إلى أجله، قد أحله الله فى كتابه، وأذن فيه. ثم قرأ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (٢) وكلمة "أشهد" بمثابة "القسم" : فهذا رأى ترجمان القرآن.

ولكن فضيلة الشيخ عبد المنعم النمر قال عن السلم : "وهو بيع معدوم موصوف فى الذمة، ويسير عليه كثير من الناس فى الأرياف، مستغلين حاجات الزراع استغلالاً سيئاً، مما يجعلنا نميل إلى تحريمه. من أجل هذا الاستغلال الكريه المحرم فى الإسلام (٣)، يقول الدكتور القرضاوى : "وكان أولى بالشيخ هنا أن يقتصر على تحريم الظلم والاستغلال، ولا يتعدى ذلك إلى تحريم التعامل الثابت بالسنة والإجماع" (٤).

وإذا كان عمدة الأدلة عند من يذهبون إلى أن السنة المطهرة ليست كلها وحى، أو يذهبون إلى تقسيم السنة إلى سنة تشريعية وسنة غير تشريعية، إذا كان عمدة أدلتهم جمعاً، اجتهاده ﷺ، وقوله ﷺ : "أنتم أعلم بأمركم دنياكم" فلنحرر القول فى اجتهاده ﷺ، وبيان المراد من قوله "أنتم أعلم بأمركم دنياكم" فإلى تفصيل ذلك.

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب السلم، باب السلم فى وزن معلوم ٤ / ٥٠١ رقم ٢٢٤٠، ومسلم (بشرح النورى) كتاب المساقاة، باب السلم ٦ / ٤٦ رقم ١٦٠٤ واللفظ له، وانظر : نيل الأوطار ٥ / ٢٢٦.

(٢) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.

(٣) السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر ص ٤٢، ٤٣، وانظر : له أيضاً علم أصول الفقه ص ٢٨.

(٤) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة للدكتور القرضاوى، وانظر : السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص ٢٨.

## اجتهاد النبي ﷺ في الشريعة الإسلامية كله وحى من عند الله ﷻ

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "اجتهاد الرسول ﷺ" موضوع قديم، قتله العلماء بحثاً، ولم يترك الأوائل للأواخر بشأنه شيئاً.

وخلاصته أنهم اختلفوا : فمنهم من لم يجوز له ﷺ الاجتهاد، واعتبر ما ورد من ذلك صورة اجتهاد، وليس اجتهاداً في الواقع والحقيقة، لأن الله معه ﷺ وهو مع الله، ولأنه في جل أوقاته ﷺ يناجي من لا نناجي، وإلهامه وحى ورؤيا منامه وحى. ورب العزة يقول : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (١). ويفسرون ما ظاهره الخطأ في رأى والرجوع إلى قول الغير بأن ذلك اجتهاد في الظاهر لتدريب الأمة على البحث والتفكير والاجتهاد في الأسباب والأخذ بالمشورة، وحقيقته : أن الله يوحى إليه أن قل كذا، وسيقول لك فلان كذا، فقل له كذا، ويشهد لهذا ما روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام : أن رسول الله ﷺ قال : إن جبريل هبط، فقال له خيّرهم يعني أصحابك في أسارى بدر القتل أو الفداء، على أن يُقتل منهم قاتلٌ مثلهم، قالوا الفداء، ويقتل منا (٢).

وجمهور المحققين من العلماء على أن النبي ﷺ ؛ يجوز له أن يجتهد، وأنه اجتهد فعلاً (٣) وأن اجتهاده في بعض الأحيان القليلة كان خلاف حكم الله، فجاء الوحي بتصحيح الحكم، والإرشاد إلى ما ينبغي (٤)، كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ

(١) الآيتان ٣، ٤ من سورة النجم.

(٢) أخرجه الترمذى في سننه كتاب السير، باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء ٤ / ١١٤، ١١٥ رقم ١٥٦٧ قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري. وفي الباب عن ابن مسعود وأنس، وأبي بزة، وجابر بن مطعم، انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٣٢٦.

(٣) قال الآمدي في الإحكام ٤ / ١٤٣ وهو المختار.

(٤) انظر : الإحكام للآمدي ٤ / ١٤٣ - ١٨٧، والإحكام لابن حزم ٥ / ١٢٥ - ١٣٣، والمستصفي للغزالي ٢ / ٣٥٠ - ٣٥٤، والإبهاج في شرح النهاج ٢ / ٢٤٦، وأصول الميرخسي ١ / ٥، والمعتمد ٢ / ٢١٠، والحصول للرازي ٢ / ٤٨٩، والبحر المحیط للزرکشی ٦ / ٢١٤ - ٢١٩، وانظر : حجة السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى ص ١٤٥ - ٢٤٠، والنفحات الشاذية فيما يتعلق بالعصمة والسنة للشيخ محمد الحامدي ص ١٠٣، وأصول الفقه للشيخ محمد الخضري ص ٤٢٦.

لَكُمْ تَحِلَّةٌ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ<sup>(١)</sup>.

وفي مغازي الأموي أن حُبابُ بْنُ الْمُنْذِرِ<sup>(٢)</sup> لما أشار على النبي ﷺ بتغيير مكان نزوله يوم بدر ورجع النبي ﷺ إلى رأيهِ، نزل ملك من السماء، وجبريل جالس عند رسول الله ﷺ فقال ذلك الملك : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن الرأي ما أشار به الحُبابُ بْنُ الْمُنْذِرِ<sup>(٣)</sup>.

أو جاء الوحي بامضاء حكم اجتهداه مع التنبيه بما ينبغي، كما في قوله تعالى عن أسرى بدر : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْتَرِيَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

نعم نقول : إن الرسول ﷺ أذن له بالاجتهاد واجتهد.

ونعم نقول : إن بعض اجتهداته لم تصادف الصواب، لكن أين حكم الله تعالى في الأمر الذي اجتهد فيه رسول الله ﷺ ولم يصب؟

إن ما يصدر عن النبي ﷺ من اجتهاد إما أن يوافق حكم الله أو لا، فإن وافق حكم الله فهو حكم الله على لسان نبيه ﷺ، وإن لم يوافق حكم الله عدَّله إلى حكمه جل شأنه، وإذن تصبح الأحكام الدينية التي حكم بها رسول الله ﷺ أحكام الله في النهاية، وقبل لقائه الرفيق الأعلى<sup>(٥)</sup>. وتصير تلك الأحكام حجة إجماعاً بلا شك<sup>(٦)</sup>.

أما ما ذهب إليه بعض علمائنا الأجلاء من تقسيم السنة النبوية إلى قسمين : سنة

(١) الآيات ٢٤١ من سورة النجم.

(٢) حُبابُ بْنُ الْمُنْذِرِ صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة ١/ ٣٠٢ رقم ١٥٥٧، والاستيعاب ١/ ٤٥٨ رقم ٤٨٣، واسد الغابة ١/ ٦٦٥ رقم ١٠٢٣، وتاريخ الصحابة ص ٧٨ رقم ٣٠١، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٢ رقم ١١٢.

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٩٢.

(٤) الآية ٦٧ من سورة الأنفال.

(٥) السنة والتشريع للدكتور موسى لاشين ص ١٨-٢٠ بتصرف وانظر : تاريخ المذاهب الإسلامية للعلامة محمد أبو زهرة ص ٢٣٩ - ٢٤٠ وانظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ٢/ ٤١٨-٤٢٥. ويقول الإمام الشاطبي : "فاعلم أن النبي ﷺ مؤيد بالعصمة، معضود بالمعجزة الدالة على صدق ما قال وصحه ما بين، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصوماً بلا خلاف، إما بأنه لا يخطئ أبته، وإما بأنه لا يقر على خطأ إن فرض، فما ظنك بغير ذلك؟ انظر : الموافقات ٢/ ٤٥٨ وراجع من نفس المصدر ص ٤٠٤.

(٦) انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغني عبد الخالق ص ٢٨٣، وانظر : مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور علي جريشة ص ٣٨-٣٩، والفقهاء الإسلاميون مروته وتطوره لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق ص ٢٦-٣١.

تشريعية ملزمة عامة ودائمة، وسنة غير تشريعية ولا ملزمة.

فيقول رداً على ذلك فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : " غفر الله للقائلين بأن السنة تشريع وغير تشريع، وللقائلين بالمصلحة. غفر الله لهم وسامحهم، لقد فتح هؤلاء وهؤلاء باباً لم يخطر لهم على بال .

القائلون بأن السنة تشريع وغير تشريع قصدوا بغير التشريع ما ورد منها خاصاً بالصناعات، والخبرات كالزراعة والطب، ولم يخطر ببالهم أن من سيأتي بعدهم سيستدل بتقسيمهم ليدخل المعاملات، وأحاديث البيع، والشراء، والإجارة، ويدخل ما قاله النبي ﷺ من أحاديث في العادات، وشئون الاقتصاد، والسياسة، والإدارة، والحرب، وغير ذلك في السنة غير التشريعية، وهم من هذا القول براءء.

أما ما جعلوه مما سبيله الحاجة البشرية، كالأكل والشرب والنوم ... إلخ من السنة غير التشريعية، فهذا الكلام على عموم مرفوض، وفي حاجة إلى تحقيق. فالأكل والشرب مثلاً - كلام عام يشمل المأكول والمشروب، ويشمل الأواني والهيئة أو الكيفية.

فهل بيان المأكول والمشروب المحرم، والمكروه، والمباح، من السنة غير التشريعية<sup>(١)</sup>؟ هل حديث : "أحلت لكم ميتتان ودمان : فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال"<sup>(٢)</sup> وحديث : "أكل الضب على مائدة رسول الله ﷺ"<sup>(٣)</sup>. سنة غير تشريعية؟! اللهم لا.

أحل لنا رسول الله ﷺ الطيبات، وحرم علينا الخبائث؛ فالمأكل، والمشروب سنة تشريعية من حيث الحل والحرم، أما أنه أكل نوعاً من الحلال وترك غيره يأكل نوعاً

(١) السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ص ٢٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال ٢/ ٢٩٥ رقم ٣٣١٤، والدارقطني في سننه كتاب الأشربة وغيرها، باب الصيد والذبائح والأطعمة وغير ذلك ٤/ ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٢٥ من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال ابن الجوزي : أجمعوا على ضعفه، وقال البوصيري : لكن لم يتفرد به عبد الرحمن بن زيد عن أبيه فقد تابعه عليه سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم عن ابن عمر . قال البيهقي : إسناده الموقوف صحيح، وهو في معنى المسند ١٠٤٧ هـ . انظر : مصباح الرجاء ٣/ ٨٥، قال الشوكاني في نيل الأوطار ٨/ ١٤٧، ١٤٨ وكذا صحح الموقوف أبو زرعة، وأبو حاتم، وهو في حكم المرفوع فيحصل الاستدلال بهذه الرواية، ١٠٤٧ هـ . بتصرف، وانظر : فتح الباري ٩/ ٥٨٠ - ٥٨٥ رقمى ٥٥٣٦/ ٥٥٣٧ وتعليق المغنى على الدارقطني ٤/ ٢٧١، ٢٧٢ .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الطب ٧/ ١٠٩ رقم ١٩٤٤، وانظر : نيل الأوطار ٨/ ١١٨ وما بعدها .

آخر، فالتشريع فيها الإباحة، إباحة ما أُكِلَ وما لم يأكل مما لم يَنْه عنه.  
وأما الأواني : فقد نهى ﷺ عن الأكل والشرب في صحائف الذهب والفضة،  
ونهى عن الأكل في أواني الكفار إلا بعد غسلها. وهذا تشريع قطعاً.  
أما أنه ﷺ أكل في قصعة من الفخار، ونحن نأكل في الأواني الفاخرة غير الذهبية  
والفضية، فهذا من المباحات والإباحة تشريعاً<sup>(١)</sup>.

وأما الهيئة : فهناك هيئات مأمور بها وهيئات منهى عنها، وهيئات أخرى كثيرة  
مباحة، والكل تشريع. "يا غلام سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك"<sup>(٢)</sup> هيئة أكل  
مشروعة<sup>(٣)</sup>.

و"نهى رسول الله ﷺ أن يتنفس في الإناء"<sup>(٤)</sup> هيئة ممنوعة شرعاً في نفس الإناء،  
ومستحبة خارج الإناء<sup>(٥)</sup>، أما أنه ﷺ أكل بأصابعه ويده. ونحن نأكل بالملاعق،  
والشوك، والسكاكين، فهو من المباحات المشروعة.

فماذا في الأكل والشرب من السنة غير التشريعية؟!  
إن قصدوا بالسنة غير التشريعية في ذلك السنة غير الملزمة، وهى المباحات كان  
الخلافاً بيننا لفظياً.

وإن قصدوا ما هو مطلوب على وجه الوجوب أو الندب، وما هو منهى عنه على  
وجه الحرمة أو الكراهة فهو غير مسلم.

ومثال ذلك يقال فى النوم واللبس، وكل ما هو خاص بالحاجة والطبيعة البشرية  
كما يقولون، حتى قضاء الشهوة مع الزوجة له قواعده وأصوله وحدوده المشروعة<sup>(٦)</sup>.

(١) السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص ٢٣، وسيأتى مزيد من بيان شرعية (المباح) بعد  
قليل.

(٢) البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ٩/ ٤٣١ رقم  
٥٣٧٦، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ٧/ ٢٠٩ رقم ٢٠٢٢  
من حديث عمر بن أبى سلمة ؓ.

(٣) انظر : مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٨ هـ ص ٦٣٠ مقال (التيامن فطرة إلهية وأفضلية تاريخية".  
(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأشربة، باب النهى عن التنفس في الإناء ١٠/ ٩٥ رقم ٥٦٣٠،  
ومسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب كراهية التنفس في نفس الإناء واستحباب التنفس ثلاثاً خارج الإناء  
٧/ ٢١٧ رقم ٢٦٧ من حديث أبى قتادة ؓ.

(٥) انظر : فتح البارى، وشرح النووى في الأماكن السابقة.

(٦) السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص ٢٢-٢٤ بنصرف، وانظر : للأستاذ محمد أسد فى  
كتابه "الإسلام على مفترق الطرق" تحليل قيم لما جاءت به السنة من آداب وتقاليد تتعلق بشئون الحياة وعادات  
الناس، وأثرها فى تميز الشخصية المسلمة، ينبغى أن يقرأ ويدرس، ويستفاد منه. الإسلام على مفترق الطرق ترجمة  
الدكتور عمر فروخ، والدكتور مصطفى الخالدي، الفصلين الأخيرين ص ٨٧ - ١١٠.

والتحقيق أنه من الخطأ أن نطلق هذا الإطلاق "السنة غير التشريعية على ما سموه الحاجة البشرية من أكل وشرب، وما سبيله التجارب، والعادة الشخصية أو الاجتماعية من زراعة وطب، ولباس إلى آخره، وكذا ما يصدر عنه ﷺ بوصفه إماماً ورئيساً للدولة المسلمة، أو بوصفه قاضياً فكل هذه الأمور التي أطلقوا عليها، سنة غير تشريعية، منها الواجب شرعاً، ومنها المحرم شرعاً، ومنها المكروه، ومنها المندوب، ومنها المباح، وحتى إذا أردنا كيفية هذه الأمور نجد منها الممنوع شرعاً، كما سبقت الإشارة إليه قريباً<sup>(١)</sup>.

أما القائلون بالمصلحة كمصدر من مصادر التشريع فقد اشترطوا لها ألا تصادم نصاً من الكتاب أو السنة الصحيحة، فهم أخذوا بمراعاة المصالح فيما لم يرد فيه قرآن أو حديث صحيح، أما ما ورد فيه قرآن أو حديث صحيح فالمصلحة فيما جاء به النص<sup>(٢)</sup>.

واعتقد كما قال الدكتور فتحى عبد الكريم : "أن القائلين بالسنة التشريعية، والسنة غير التشريعية قد فاتهم المعنى الدقيق للتشريع الإسلامى، حيث قصر بعضهم وصف التشريع على الواجب، والحرام، ونفاه عن المندوب، والمكروه، والمباح، وأدخل بعضهم المندوب والمكروه فى التشريع، ونفاه عن المباح وحده<sup>(٣)</sup>."

وفى ذلك يقول العلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق - رحمه الله - "هذا وإخراج الأمور الطبيعية من السنة أمر عجيب، وأعجب منه : أن يدعى بعضهم ظهوره، مع إجماع الأئمة المعترين على السكوت عنها، وعدم إخراجها."

ولست أدري : لم أخرجها هؤلاء؟! أأخرجوها : لأنها لا تتعلق بها حكم شرعى؟ وكيف يصح هذا مع أنها من الأفعال الاختيارية المكتسبة، وكل فعل اختياري من المكلف لا بد أن يتعلق به حكم شرعى : من وجوب أو ندب أو إباحة أو كراهة أو حرمة - وفعل النبى الطبعى مثل الفعل الطبعى من غيره، فلا بد أن يكون قد تعلق به واحد من هذه الأحكام؟ وليس هذا الحكم الكراهة، ولا الحرمة، لعصمته وليس

(١) انظر: المزيد من التفصيل فى السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) السنة والتشريع لفضيلة الدكتور موسى شاهين ص ٢٤ .

(٣) السنة تشريع لازم ودائم ص ٤٤، وانظر: دراسات فى السنة وعلوم الحديث للدكتور محمد المنسى ص ٢٢٨ -

الوجوب، ولا التدب : لعدم القربة فيه . فلم يبق إلا الإباحة وهى حكم شرعى . فقد دل الفعل الطبيعى منه ﷺ على حكم شرعى، وهو الإباحة فى حقه، بل وفى حقنا أيضاً : «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»<sup>(١)</sup> . ولقد أجمع الأصوليون فى باب أفعاله ﷺ على أن أفعاله الطبيعية تدل على الإباحة فى حقه ﷺ وفى حق أمته، وكل يحكى الاتفاق على ذلك، عن الأئمة السابقين<sup>(٢)</sup> .

أم أخرجوها : لأنهم ظنوا أن الإباحة ليست حكماً شرعياً؟ وهذا لا يصح أيضاً : فإن الأصوليين مجمعون على شرعيتها - اللهم إلا فريقاً من المعتزلة ذهب إلى عدم شرعيتها : فهما منه : أن الإباحة انتفاء الحرج عن الفعل والترك<sup>(٣)</sup> . وذلك ثابت قبل ورود الشرع، وهو مستمر بعده : فلا يكون حكماً شرعياً، والجمهور ينكرون : أن هذا المعنى ثابت قبل ورود الشرع، وأنه لا يسمى حكماً شرعياً ولكنهم يقولون : ليس هذا هو معنى الإباحة الشرعية، إنما هى خطاب الشارع بالتخيير بين الفعل والترك من غير بدل . ولا شك أن هذا حكم شرعى، وأنه غير ثابت قبل ورود الشرع . ولو التفت هذا الفريق إلى هذا المعنى لم ينازع فيه . فليس هناك خلاف حقيقى بينهما، فالإباحة حكم شرعى يحتاج إلى دليل، والفعل الطبيعى منه ﷺ يدل عليه . ونظرة واحدة فى باب أفعاله ﷺ فى أى كتاب من كتب أصول الفقه - ترشدك إلى الحق فى هذا الموضوع<sup>(٤)</sup> .

وأعلم أن التأسى به ﷺ واجب، وعلى ذلك جمهور الفقهاء والمعتزلة يقول فخرالدين الرازى فى المحصول : "قال جماهير الفقهاء والمعتزلة : التأسى به واجب، ومعناه : أننا إذا علمنا أن الرسول ﷺ فعل فعلاً على وجه الوجوب : فقد تعبدنا أن

(١) الآية ٢١ من سورة الأحزاب .

(٢) انظر : المحصول للرازى ١/ ٥٠١، والإحكام للأمدى ١/ ١٥٩، والموافقات ٤/ ٤٣٧، والإبهاج فى شرح المنهاج ٢/ ٢٦٤، والمعتمد فى أصول الفقه ١/ ٣٣٤، والبرهان للحوينى ١/ ١٨١، والبحر المحيط ٤/ ١٧٦، وفواتح الرحموت ٢/ ١٨٠، وإرشاد الفحول ١/ ١٦٥، ودراسات أصولية فى السنة النبوية للدكتور محمد الحفناوى ص ٦٥، وانظر : حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٧٩ .

(٣) انظر : التقرير والتحجير لابن أمير الحاج ٢/ ١٤٤ .

(٤) انظر : الإحكام للأمدى ١/ ١١٤، والمحصول للرازى ١/ ٢٠، والبرهان للحوينى ١/ ١٠٦-١٠٨، وأصول السرخسى ١/ ١٤، وفواتح الرحموت ١/ ١١٢، والموافقات ١/ ٣٩٥، ١٩٣، ٢٩٣، والمستصفى ١/ ٧٥، والإبهاج فى شرح المنهاج ١/ ٦٠، والبحر المحيط ١/ ٢٤١، ٢٧٥، وإرشاد الفحول ١/ ١٨٦، وأصول الفقه للشیخ محمد الحضرى ص ٦٠، وانظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص ٨٠، وآراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقريماً ص ١٥٢، ٢٥١، ومصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور على حريشة ص ٣٥-٣٨ .

نفعله على وجه الوجوب وإن علمنا أنه تنفل به : كنا متعبدين بالتنفل به، وإن علمنا أنه فعله على وجه الإباحة كنا متعبدين باعتقاد إباحته، وجاز لنا أن نفعله .

وقال أبو علي بن خلاد من المعتزلة : نحن متعبدون بالتأسي به في العبادات، دون غيرها : كالمناكحات، والمعاملات . ومن الناس من أنكر ذلك في الكل، واحتج أبو الحسين محمد ابن علي الطيب المعتزلي : بالقرآن والإجماع : أما القرآن فقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(١)</sup> ولم يفرق الله تعالى بين أفعال الرسول ﷺ : إذا كانت مباحة أو لم تكن مباحة . وقوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> . أمر بالاتباع : فيجب .

أما الإجماع فهو : "أن السلف رجعوا إلى أزواجه في قبلة الصائم"<sup>(٣)</sup>، وفي أن "من أصبح جنباً لم يفسد صومه"<sup>(٤)</sup> وذلك يدل على أن أفعاله لا بد من أن يمتثل فيها طريقه<sup>(٥)</sup>، ونقل الإمام الزركشي عن الكعبي البلخي رأس طائفة المعتزلة الكعبية قوله : "المباح مأمور به، لأن فعله ترك الحرام وهو واجب، فالمباح واجب"<sup>(٦)</sup> .

ويقول الإمام الشاطبي في رده على من قال : "ترك المباح طاعة على كل حال . قال الشاطبي : "بل فعل (المباح) طاعة بإطلاق لأن كل مباح ترك حرام . ألا ترى أنه ترك المحرمات كلها عند فعل المباح، فقد شغل النفس به عن جميعها . وهذا الثاني أولى؛ لأن الكلية هنا تصح، ولا يصح أن يقال كل مباح وسيلة إلى محرم أو منهي عنه بإطلاق، فظهر أن ما اعترض به لا ينهض دليلاً على أن ترك المباح طاعة"<sup>(٧)</sup>، ويشهد لهذا قول الإمام السرخسي في أصوله : "ترك العمل بالحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ حرام كما أن العمل بخلافه حرام"<sup>(٨)</sup> .

(١) الآية ٢١ من سورة الأحزاب .

(٢) جزء من الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

(٣) انظر : حديث عمر بن أبي سلمة ؓ، في صحيح مسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ٤ / ٢٣٣ رقم ١١٠٨، وانظر : نيل الأوطار ٤ / ٢١٠ وما بعدها .

(٤) انظر: حديث عائشة -رضي الله عنها- في صحيح مسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٤ / ٢٣٧ رقم ١١١٠، وانظر: نيل الأوطار ٤ / ٢١٢ .

(٥) المحصول في أصول الفقه ١ / ٥١١، ٥١٢، وقارن بالمعتمد في أصول الفقه ١ / ٣٥٣ - ٣٥٥، والتقريب والتحجير ٢ / ٣٠٣، ونهاية السؤل في شرح مناهج الوصول ٢ / ٥٥ وما بعدها .

(٦) البحر المحيط في أصول الفقه ١ / ٢٤١، ٤ / ١٨٦، والتقريب والتحجير ٢ / ٣٠٧ .

(٧) الموافقات ١ / ١٠٠ .

(٨) أصول السرخسي ٢ / ٧ .

## نقض دليل تقسيم السنة النبوية إلى سنة تشريعية وغير تشريعية

تحت هذا العنوان قال الدكتور فتحى عبد الكريم : "الدليل الأساسى الذى يستند إليه القائلون بتقسيم السنة إلى سنة تشريعية وغير تشريعية هو حديث رسول الله ﷺ الوارد فى قصة تأبير النخل بمختلف رواياته، ومنها قوله ﷺ : "أنتم أعلم بأمر دنياكم" ففى رأى أنصار تقسيم السنة إلى سنة تشريعية وغير تشريعية أنه "لو لم يكن غير هذا الحديث الشريف فى تبين أن سنته ﷺ ليست كلها شرعاً لازماً، وقانوناً دائماً لكفى . ففى نص عبارة الحديث - بمختلف رواياته - تبين أن ما يلزم اتباعه من سنة رسول الله ﷺ، إنما هو ما كان مستنداً إلى الوحي فحسب" (١) . ولقد كان يكفى ما سبق ذكره رداً على نقض هذا الدليل، لأن معنى كون السنة النبوية دليلاً شرعياً عند الأصوليين أنها تفيدنا حكماً من الأحكام الشرعية، أى حكم كان : من وجوب، أو ندب، أو حرمة، أو كراهة، أو إباحة . كان يمكن أن نرد بذلك وينتهى الموضوع، لولا أن وجه الخطورة فى الأمر (٢) : أن فئة ضالة أكثرت من الاستشهاد بهذا الحديث، وأرادت به عزل السنة، عن شئون الحياة العملية كلها!

فالعادات، والمعاملات، وشئون الاقتصاد، والسياسة، والإدارة، والحرب ونحوها، يجب أن تترك للناس ولا تدخل السنة فيها أمرة ولا ناهية ولا موجهة ولا هادية (٣) . فهل يسندهم ذلك الحديث فى تلك الدعوى الخطيرة؟! .

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : فى رده على الدكتور عبد المنعم النمر - رحمه الله تعالى - هذا الحديث (أنتم أعلم بأمر دنياكم) هو عمدة أدلة الباحث فى بحثه : وهذه الجملة (أنتم أعلم بأمر دنياكم) تنقسم إلى ثلاثة مقاطع : أنتم والمراد من المخاطبين. و"أعلم" والمراد من المفضل عليه و"شئون دنياكم" وتحديد المراد منها. وبعبارة أخرى : من؟ أعلم من من؟ وبأى شئ هو أعلم؟ هناك احتمالات فى المراد بهذه الجملة لتصورها ثم نختار منها ما يصلح لأن يكون

(١) مجلة المسلم المعاصر العدد الافتتاحى ص ٣٣ مقال الدكتور محمد العوا "السنة التشريعية وغير التشريعية" .

(٢) السنة تشريع لازم ودائم ص ٣٢، ٣٣ بتصرف .

(٣) انظر : السنة مصدراً للمعرفة والحضارة للدكتور القرضاوى ص ٢٠ .

مراد المشرع الحكيم :

**الاحتمال الأول :** أنتم أيها الذين تلقحون النخل أعلم بما يصلح النخل منى ومن لا علم له بالزراعة، أى أنتم أعلم بشئون دنياكم هذه التى تباشرونها، والتى لم تنجح فيها مشورتى، أعلم منى ومن مثلى، فالحديث على هذا واقعة عين أو واقعة حال، لا يستدل بها على غيرها أصلاً.

**الاحتمال الثانى :** أنتم أيها الذين تلقحون النخل ومن على شاكلتكم من أهل الصناعات والمهارات والخبرات أعلم بصنائعكم منى . ومن ليس من أهل الصناعات، والكلام على التوزيع، على معنى : أن كل أهل صنعة أعلم بها ممن ليسوا من أهلها، كما يقال : أهل مكة أدرى بشعابها .

**الاحتمال الثالث :** أنتم أيها الذين تلقحون النخل بالمدينة أعلم بما يصلح النخل منى ومن غيركم من زارعى النخل فى البلاد والأزمان المختلفة، وهذا الاحتمال واضح البطلان، ففى بعض البلاد، وفى بعض الأزمان، من هم أعلم منهم بذلك .

**الاحتمال الرابع :** أنتم أيها الذين تلقحون النخل بالمدينة أعلم بالخبرات والصناعات المختلفة منى ومن غيرى، حتى من أهل الصناعات أنفسهم، على معنى أنتم أعلم بالطب مثلاً منى ومن الأطباء . وهذا الاحتمال واضح البطلان .

هذه الاحتمالات الأربعة مبنية على أن المراد من شئون الدنيا الصناعات والمهارات والخبرات، فإذا أردنا من شئون الدنيا مصالح كل فرد أو مصالح كل مجموعة من مباحات الدنيا؛ كالمقارنة بين شراء بيت أو شراء سيارة كان الاحتمال الآتى :

**الاحتمال الخامس :** أنتم الذين تلقحون النخل بالمدينة، ومثلكم جميع الناس، أعلم بشئون دنياكم، وما يصلح لكم من غيركم، والكلام على قاعدة : مقابلة الجمع بالجمع، تقتضى القسمة أحاداً، تقول : أعطيت الطلاب كتباً على معنى أعطيت كل طالب كتاباً، فيصبح المعنى كل واحد أعلم من غيره بشئون ومصالح نفسه، وهذا الاحتمال إن صح فى المباحات، لا يصح فى الواجبات والحرمات، فالشرع وحده هو الذى حددها على أنها المصلحة<sup>(١)</sup>، بناء على سبق علم الله الذى خلق . ثم إن هذا الاحتمال لا يتناسب مع قصة الحديث، ومما هو واضح أن الاحتمال الثانى هو المراد، ثم يليه الأول، وعلى كل حال لا يصح الاستدلال بالحديث على إباحة التغيير فى

(١) راجع: ما سبق ذكره من كلام الإمام الشاطبى وغيره فى الجواب عن شبهة عرض السنة على العقل ص ٢٤٩-٢٥٦ .

المعاملات؛ لأن الحديث - كما رأينا - تطرق إليه أكثر من احتمال، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

#### احتمال دخول المعاملات مستبعد :

مع أن احتمال دخول المعاملات في الحديث كأحد الاحتمالات مستبعد أصالة وابتداء<sup>(١)</sup>؛ لأن المعاملات كما يفهم من معناها علاقة الأفراد والجماعات بعضهم ببعض فيما يتعلق بمعاشهم، وهذه العلاقة تحكمها دائماً قواعد وأصول وضوابط، لثلا يحيف بعض الأطراف على بعض، والأهم غير الإسلامية وضعت لذلك قوانين، والإسلام وضع لها أرقى أنواع التشريع وليس من المعقول أن الله ﷻ أنزل أطول آياته في القرآن : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَنْحَسِبْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> وحدد فيها كتابة الدين، ومواصفات الكاتب وواجباته، وحق المدين في الإملاء، وإملاء وليه في حالة عدم صلاحيته، وصفات الشهود، وشروطهم، وواجباتهم، وقال تعالى : ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. ليس من المعقول أن الله الذي اهتم بالدين هذا الاهتمام يترك البيع والشراء وتفصيل الربا، والرهن، والشركة وغيرها من المعاملات دون تشريع.

هل يعقل أن يترك البشرية هملأ يأكل بعضهم مال بعض ظلماً وعدواناً تحت عنوان

"أنتم أعلم بشئون دنياكم"؟

(١) يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "إدخال المعاملات الممنوعة شرعاً تحت هذا الحديث، هو الذي لم نسمع به من قبل، ولم يسبق به الدكتور عبد المنعم النمر على مدى علمي، وأرجو ألا يتبعه في ذلك أحد آ. هـ

انظر : السنة والتشريع ص ٣٤ .

(٢) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

هل يعقل مسلم أن يترك الله تعالى هذه القوانين لمحمد ﷺ دون رقابة أو تصحيح؟ فيخطئ، فتعمل الأمة مجتمعة بالخطأ أربعة عشر قرناً حتى يبعث الله لها من يرعى مصالحها، ويتخالف حكم محمد ﷺ؟ أظن أن العقل المسلم يستبعد ذلك كل الاستبعاد . يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "بقى فى نفسى تساؤل بخصوص حديث تأييد النخل ربما يثور فى نفوس البعض، هو : لماذا ألهم الله رسوله ﷺ أن يشير عليهم بهذه الإشارة مع أنها لم تكن فى مصلحتهم؟ ولماذا جعلهم الله يستسلمون لمجرد الإشارة، وهم المعروفون بالمراجعة والنقاش وكثرة السؤال؟

ولماذا لم يتدارك الله هذه المشورة بالتصحيح قبل أن تنتج شبيصاً للمسلمين يسخر منه اليهود، وأعداء الإسلام حين يصح نخلهم ويسوء نخل المسلمين بسبب مشورة نبيهم ﷺ؟ . وسنحاول تلمس حكمة لهذه الحادثة، فإن حصلت بها قناعة واطمئنان فالحمد لله ، وإلا فنحن مؤمنون أرسخ الإيمان بأن الله ﷻ فى ذلك حكمة، وهو الحكيم الخبير . ولعل الحكمة فى ذلك تدور حول ثلاث أمور :

أولاً : صرف بلاء الأعداء عن المؤمنين الذين لم تقوا شوكتهم بعد . ألم يكن من الجائز أن يطمع الكافرون فى المدينة وتمرها، فيهاجموها من أجل نزول محمد ﷺ فيها؟ فخروج التمر شبيصاً جعلها غير مطمع، وصرف الله بذلك هجوم الكافرين حتى يستعد المؤمنون؟ احتمال .

ثانياً : تعليمهم الأخذ بأسباب الحياة بهذا الدرس العملى الذى كان قاسياً عليهم فتنافسوا بعده فى أسباب الحياة .

ثالثاً : اختبارهم فى صدق إيمانهم، فهذه الحادثة حتى اليوم فى هذا البحث ابتلاء واختبار، وقد نجح الصحابة - رضوان الله عليهم - فى هذا الاختبار القاسى - وهم فى أول الإيمان، نجاحاً باهراً، فقد استمروا فى طاعة أوامره ﷺ، ولم يرد إلينا ردة أحد بسببها، بل لم يرد عتاب أحد منهم لرسول الله ﷺ عليها رغم خسارتها، مما يشهد لهم بالإيمان الصادق المتين<sup>(١)</sup> . ولعل تلك الحكمة الأخيرة هى أوجه الحكم فى هذه

(١) السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص ٣٢ - ٤٧ بتصرف، وانظر : مزيد من بيان المراد بهذا الحديث فى الأنوار الكاشفة لعبد الرحمن اليماني ص ٢٧-٤٠، والسنة تشريع لازم ودائم ص ٣٣ وما بعدها، والسنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص ١٤-١٧ .

الحادثة . والله أعلم بحكمته .

وبعد : إذا كانت عصمة النبي ﷺ دليل على حجية الكتاب، والسنة معاً، فلننتقل إلى الدليل الثاني من أدلة حجية السنة، وهو القرآن الكريم .

## المطلب الثاني

### من أدلة حجية السنة المطهرة القرآن الكريم

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين : لقد اشتدت عناية القرآن الكريم بتلك المسألة فوجه إليها آيات كثيرة تنوعت بين آيات تأمر فى وضوح بوجوب الإيمان به ﷺ، وبين آيات أخرى تأمر بوجوب طاعته، طاعة مطلقة، فيما يأمر به، وينهى عنه، وبين آيات أخرى تنهى عن مخالفته وتحذر من ذلك وتبين جزاء المنافقين المرجفين فى دين الله ﷻ العاملين على هدم كيان السنة النبوية، والذين حصروا معنى الآيات الواردة فى طاعة الرسول ﷺ، فى طاعته فى القرآن الكريم فقط (١).

ونحن لن نستطيع ذكر هذه الآيات كلها - وإلا طال المقام بنا جداً، ولكننا سننبه إلى بعض هذه الآيات فقط، ودلالاتها على حجية السنة النبوية الشريفة ووجوب التمسك بها (٢).

- ١- من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ (٣).
- ٢- وقوله تعالى : ﴿فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٤) فمقتضى ذلك أن تؤمن بالله وبرسوله، والإيمان معناه هنا التصديق والإذعان برسالته ﷺ وبجميع ما جاء به من عند الله ﷻ من كتاب وسنة، بمقتضى عصمته التى توجب التصديق بكل ما يخبر به عن رب العزة. كقوله ﷺ فى حق القرآن: "هذا كلام الله ﷻ، وقوله فى الأحاديث القدسية: "قال رب العزة كذا" أو

(١) انظر : مجلة المنار المجلد ٩ / ٥١٧، ٩٠٨، ٩٢٤ مقال الدكتور توفيق صدقي "الإسلام هو القرآن وحده" والقرآن والحديث والإسلام ص ٧، ٣١، وقرآن أم حديث ص ٢-٥ كلاهما لرشاد خليفة وإنذار من السماء لنيازي عز الدين ص ٥٧٣، ٥٨٠، ٨٥٣، والبيان بالقرآن لمصطفى المهدي ١ / ١٠ وما بعدها، ولماذا القرآن ص ٤٢، ٤٩، والصلاة فى القرآن ص ٤٢، ٦٢ كلاهما لأحمد صبحي منصور، والصلاة لمحمد نجيب ص ٢٧١، ٢٧٨، والسنة وجورها فى الفقه الجديد لجمال البنا ص ١٩٠ وما بعدها، وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين لإسماعيل منصور ص ٢٤، ٢١، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ١٢٩، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٧٧، والخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص ٤٠، ٤١، ١٩٩ ثلاثهم لصالح الورداني.

(٢) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير ص ٤٣ بتصرف.

(٣) الآية ١٣٦ سورة النساء.

(٤) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.

نحو هذه العبارة وقوله ﷺ: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" وقد سبق تفصيل ذلك قريباً في مبحث العصمة<sup>(١)</sup> فالإيمان بالرسول ﷺ جزء من الإيمان بالله تعالى، والشك والارتياب في ذلك الإيمان، شك وارتياب في الإيمان بالله ورسوله معاً، وحينئذ لا يكون هناك إيمان أبداً.

يقول الإمام الشافعي في رسالته: "فجعل كمال ابتداء الإيمان، الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله، فلو آمن عبد به، ولم يؤمن برسوله ﷺ: لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً، حتى يؤمن برسوله معه<sup>(٢)</sup>، ومن هنا وجبت طاعة الرسول ﷺ - بمقتضى هذا الإيمان - في كل ما يبلغه عن ربه، سواء ورد ذكره في القرآن أم لا.

يقول الإمام الشافعي: "وما سنَّ رسول الله فيما ليس الله فيه حكم: فبحكم الله سنّه، وكذلك أخبرنا الله في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد سن رسول الله مع كتاب الله، وسن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب. وكل ما سن فقد ألزماً الله أتباعه، وجعل في أتباعه طاعته، وفي العدول عن أتباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقاً، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله مخرجاً"<sup>(٤)</sup>.

٣- ومن أهم الآيات دلالة على حجية السنة، ووجوب التمسك بها قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٥)</sup> يقول ابن قيم الجوزية: "أقسم سبحانه بنفسه، وأكدته بالنفي قبله على نفي الإيمان عن العباد، حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم، من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرد، حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً، وينقادوا انقياداً"<sup>(٦)</sup>.

ويقول أيضاً في مختصر الصواعق المرسلة: "فقد أقسم الله سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء به الرسول ﷺ، وقد شهدوا هم

(١) راجع: ص ٤٥١ .

(٢) الرسالة ص ٧٥ فقرات رقم ٢٣٩، ٢٤٠ .

(٣) جزء من الآيتين ٥٢، ٥٣ الشورى .

(٤) الرسالة ص ٨٨، ٨٩ الفقرات رقم ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤ .

(٥) الآية ٦٥ من سورة النساء .

(٦) أعلام الموقعين ١/ ٥١، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٢٠ .

على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه، وإن آمنوا بلفظه" (١)، ويقول في موضع آخر: "وفرض تحكيمه، لم يسقط بموته، بل ثابت بعد موته، كما كان ثابتاً في حياته، وليس تحكيمه مختصاً بالعمليات دون العلميات كما يقوله أهل الزيغ والإلحاد" (٢).

٤- ويقول رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣) ودلالة الآية على حجية السنة من عدة وجوه:

أولاً: النداء بوصف الإيمان في مستهل الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ومعنى ذلك أن المؤمنين لا يستحقون أن ينادوا بصفة الإيمان إلا إذا نفذوا ما بعد النداء وهو طاعة الله تعالى، وطاعة رسول الله ﷺ، وأولى الأمر (٤).

ثانياً: تكرار الفعل "أَطِيعُوا" مع الله ﷻ ومع رسوله ﷺ، وتكرار ذلك في آيات كثيرة وأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا (٥) وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٦).

يقول الإمام الشاطبي: "تكراره الفعل "وَأَطِيعُوا" يدل على عموم الطاعة بما أتى به مما في الكتاب، ومما ليس فيه مما هو من سنته" (٧).

وقال العلامة الألوسي: "... وأعاد الفعل: "وَأَطِيعُوا" وإن كان طاعة الرسول مقرونة بطاعة الله ﷻ، اعتناءً بشأنه ﷺ وقطعاً لتوهم أنه لا يجب امتثال ما ليس في القرآن، وإيداناً بأن له ﷻ استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره، ومن ثم لم يعد في قوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ إيداناً بأنهم لا استقلال لهم فيها استقلال الرسول ﷺ (٨)، بل طاعتنا لهم مرتبطة بطاعتهم هم لله ورسوله، فإن هم أطاعوا الله ورسوله فلهم علينا

(١) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ١١٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٢٠.

(٣) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٤) تيسير اللطيف الخبير لفضيلة الدكتور شاهين مروان ص ٤٤.

(٥) الآية ٩٢ من سورة المائدة.

(٦) الآية ٥٦ من سورة النور.

(٧) الموافقات ٣/ ٣٨.

(٨) روح المعاني ٥/ ٦.

حق السمع والطاعة وإلا فلا، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق<sup>(١)</sup>.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن فرض الله ﷻ طاعة رسوله ليست له وحده بل هي حق الأنبياء جميعاً قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.  
فرب العزة جل جلاله يقرر هنا قاعدة: "أن كل رسول جاء من عنده جل جلاله يجب أن يطاع"

ولماذا لا يطاع هذا الرسول الذي جاء بالمنهج الحق الذي يصلح الخلل في تلك البيئة التي أرسل إليها؟ إن عدم الطاعة حيثئذ - هو نوع من العناد والجحود والتكبر. كما أن في عدم الطاعة اتهاماً للرسالة بالقصور، واتهاماً للرسول في عصمته من الكذب في كل ما يبلغ به عن ربه ﷻ من كتاب أخبرنا عنه بقوله "هذا كتاب الله"، ومن سنة مطهرة أخبرنا عنها بقوله: "أوتيت القرآن ومثله معه"<sup>(٣)</sup> وقوله: "وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله"<sup>(٤)</sup>.

٣- ثالث الوجوه دلالة على حجية السنة من آية النساء قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾؛ فالرد إلى الله ﷻ هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته<sup>(٥)</sup>. وعلى هذا المعنى إجماع الناس كما قال ابن قيم الجوزية<sup>(٦)</sup>.

وتعليق الرد إلى الكتاب والسنة على الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني أن الذين يردون التنازع في مسائل دينهم وحياتهم، دقها وجلها، جليها وخفيها - إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، هم فقط المؤمنون حقاً كما وصفتهم بذلك الآية الكريمة، أما غيرهم فلا ينطبق هذا الوصف عليهم.

ثم يحدثنا الله تعالى بعد هذه الآية مباشرة، عن أناس يزعمون أنهم يؤمنون بالله ورسوله. ومقتضى هذا الإيمان أن يحكموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل شئون

(١) أعلام الموقعين ١ / ٤٨ .

(٢) الآية ٦٤ من سورة النساء .

(٣) سبق تخريجه ص ٤٥١ .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٢٨، وانظر: تيسير اللطيف الخبير للدكتور مروان ص ٤٥، ٤٦ .

(٥) قاله ميمون بن مهران فيما رواه عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢ / ١٨٧، وانظر: الرسالة للشافعي ص

٨٠، ٨١ فقرات رقم ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦

(٦) أعلام الموقعين ١ / ٤٩، وانظر: السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ١٥٢ .

حياتهم - ولكنهم - لا يفعلون ذلك وإنما يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت مع أنهم قد أمروا أن يكفروا به قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (١). ففى نهاية الأمر حكم الله تعالى على من يعرض عن حكم الله تعالى ورسوله ويتحاكم إلى الطواغيت بأنهم منافقون (٢)، وصدق رب العزة : ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)، وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤)، وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٥)، أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٦). إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٧). وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٨).

ويتأكد هذا المعنى جلياً فى قول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٩) "فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار يعد قضاءه حل جلاله وقضاء ورسوله ﷺ، ومن تخير بعد ذلك فقد ضل ضلالاً مبيناً" (١٠).

ونختم المطاف مع الآيات الدالة على وجوب طاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة فيما يأمر به، وينهى عنه، بقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١١) وهناك آيات كثيرة لم نتعرض لذكرها خشية الإطالة. فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الآيات التى تحذر من معصية الرسول ﷺ وتنهى عن مخالفته نجدها كثيرة

(١) الآية ٦١ من سورة النساء.

(٢) تيسير اللطيف الخبير للدكتور مروان ص ٤٥، وانظر : أعلام الموقعين ١ / ٥٠.

(٣) الآيات ٤٧-٥٢ من سورة النور، وانظر : تعليق الإمام الشافعى على الآيات فى الرسالة ص ٨٤، ٨٥ فقرات

رقم ٢٧٨ - ٢٨١.

(٤) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

(٥) أعلام الموقعين ١ / ٥١.

(٦) الآية ٧ من سورة الحشر، وقد استدلل بهذه الآية على أن ما جاء به النبى ﷺ حجة ابن مسعود. انظر : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب (وما آتاكم الرسول فخذوه) ٨ / ٤٩٨ رقم ٤٨٨٦، كما استدلل بها أيضاً عمران بن حصين، انظر : دلائل النبوة للبيهقى ١ / ٢٥، ٢٦، وانظر : مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ص ٢١، واستشهد بالآية أيضاً الإمام الشافعى على حجة السنة، وحجية قول الصحابى. انظر : مناقب الإمام الشافعى للإمام فخر الدين الرازى ص ٣٠٤، والفقهاء والمتفقه ١ / ٤٤٥ رقم ٤٦٨.

ونشير أيضاً إلى بعضها قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٢) ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (٣).

وفي سورة التوبة قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (٤) وفي سورة النور قال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥).

أين أمر رسول الله ﷺ في القرآن، لمن زعموا أن آيات طاعة الرسول في القرآن مراد بها طاعته في القرآن فقط؟.

وفي سورة الأحزاب : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٦) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٧) ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٨).

وفي سورة محمد قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٩).

وفي سورة المجادلة قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٠). وفي سورة المجادلة أيضاً قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ (١١) إن الآيات السابقة تصرح بأن مخالفة منهج الله ورسوله، يدخل النار، ويورث الذل، والخزي، والفتنة، والكبت، ويحبط العمل، فليحذر المسلم لنفسه ما يشاء (١٢) أ.هـ.

(١) الآية ١٤ من سورة النساء.

(٢) الآيتان ٤٠، ٤١ من سورة النساء.

(٣) الآية ٦٣ من سورة التوبة.

(٤) الآية ٦٣ من سورة النور.

(٥) الآيات ٦٤-٦٦ من سورة الأحزاب.

(٦) الآية ٣٢ من سورة محمد.

(٧) الآية ٥ من سورة المجادلة.

(٨) الآية ٢٠ من سورة المجادلة.

(٩) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان ص ٤٨ وما بعدها بتصرف. وانظر :

مزيد من الأدلة القرآنية على حجية السنة كتاب حجية السنة للدكتور عبد الغني عبد الخالق ص ٢٩١ : ٣٠٨ .

## المطلب الثالث

### من أدلة حجية السنة، السنة النبوية نفسها

الأحاديث الدالة على حجية السنة كثيرة منها قوله ﷺ : "ألا إني أُوتيتُ القرآن ومِثْلُهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانِ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَلَا لُقْطَةٌ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنَى عَنْهَا صَاحِبُهَا".

وهذا الحديث صحيح ثابت لا مطعن فيه، لا من جهة النقل والرواية، ولا من جهة العقل والدراية<sup>(١)</sup>.

أما النقل والرواية فالحديث صحيح رواه الأئمة أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي في سننهم<sup>(٢)</sup>.

وأما العقل والدراية : فإن بناء الفعل للمجهول "أوتيت" يدل على أن الله تعالى أعطى لرسوله ﷺ القرآن ومثله معه . فما هو المماثل للقرآن الذي تلقاه الرسول ﷺ عن ربه؟ لا يمكن أن يكون هذا المماثل شيئاً غير السنة الشريفة؛ لأن الرسول ﷺ جاءنا بهذين الأصلين معاً القرآن والسنة - ولم يأتنا بشيء غيرهما - علماً بأن الحديث القدسي مندرج في السنة الشريفة<sup>(٣)</sup> . وقد دل على هذا الفهم القرآن الكريم، مما سبق ذكره من الآيات الكريمات الدالة على حجية السنة . ودل على ذلك الفهم أيضاً الأحاديث المتكاثرة التي تؤيد هذا المعنى .

نقول هذا رداً على المرجفين في دين الله ﷻ العاملين على هدم كيان السنة المطهرة، الطاعنين في صحة الحديث، وفي معناه<sup>(٤)</sup>.

أما الأحاديث التي تؤيد المعنى السابق، وتؤكد حجية السنة المطهرة، قوله ﷺ :

(١) دفاع عن السنة للدكتور عماد أبو شهبة ص ٢١٦ .

(٢) سبق التخریج ص ٤٥١ .

(٣) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير ص ٥٧، وانظر : إرشاد الفحول للشوكاني ١/ ١٥٦، ١٥٧ .

(٤) انظر: أضواء على السنة لمحمود أبو رية ص ٥٢، وتبصير الأمة بحقيقة السنة لإسماعيل منصور ص ٣١٨ .

"نضر الله امرءاً منا شيئاً، فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع"<sup>(١)</sup>. ووجه دلالة الحديث على حجية السنة كما يراها كبار العلماء: "أن رسول الله ﷺ نذب إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها... فدل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه، إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا"<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام البيهقي: "لولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال ﷺ في خطبته: 'بعد تعليم من شهد أمر دينهم: ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع'"<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم"<sup>(٤)</sup> وهذا يؤكد قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾<sup>(٥)</sup> وقال ﷺ: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: "من أطاعني؛ دخل الجنة، ومن عصاني؛ فقد أبى"<sup>(٦)</sup>. وهذا يؤكد ما سبق ذكره من الآيات الدالة على أن طاعة رسول الله ﷺ طاعة مستقلة. والأحاديث غير ذلك كثيرة<sup>(٧)</sup>، مرت الإشارة إلى بعضها. كحديث "عليكم بسنتي"<sup>(٨)</sup> وغيره<sup>(٩)</sup> أ.هـ. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) سبق تخريجه ص ٣٩.

(٢) الرسالة للشافعي ص ٤٠٢، ٤٠٣ فقرة رقم ١١٠٣.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٨٢، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ١٩.

(٤) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الفضائل، باب توقيفه ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ٨ / ١٢٠ رقم ١٣٣٧.

(٥) جزء من الآية ٦٣ من سورة النور.

(٦) أخرجه البخاري (شرح فتح الباري) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة النبي ﷺ ١٣ / ٢٦٣ رقم ٧٢٨٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) مزيد من الأحاديث الدالة على حجية السنة، انظر: حجية السنة للدكتور عبدالغنى ص ٣٠٨-٣٢٢.

(٨) سبق تخريجه ص ٤٤.

(٩) راجع: ص ٢٠١، ٢٨٢-٢٨٣.

## المطلب الرابع

### من أدلة حجية السنة النبوية الشريفة الإجماع

أجمعت أمة الإسلام من الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين -، والتابعين، والأئمة المجتهدين، وسائر علماء المسلمين من بعدهم إلى يومنا الحاضر، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ على حجية السنة النبوية، ووجوب التمسك بها، والعض عليها بالنواجذ، والتحاكم إليها، وضرورة تطبيقها، والسير على هديها فى كل جوانب حياة المسلمين، ولم يمار فى هذه الحقيقة الساطعة إلا نفر ممن لا يعتد بخروجهم على إجماع الأمة من الخوارج، والروافض، ومن أحيا مذاهبهم من دعاة الإلحاد فى عصرنا. قال الإمام الشوكانى - رحمه الله - : "إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف فى ذلك إلا من لاحظ له فى دين الإسلام"<sup>(١)</sup>.

فالكتب الإسلامية المعتمدة كلها، تزخر بشتى الأدلة التى تشهد، بأن علماء الأمة الأجلاء متفقون اتفاقاً يقينياً منذ عصر الرسول ﷺ حتى يومنا هذا، على وجوب الاحتكام إلى السنة المطهرة، إن تعذر العثور على الدليل فى القرآن الكريم، وعدم تجاوزها أبداً إلى غيرها من الأدلة الأخرى التى أشار إليها القرآن إن وجد الدليل فيها، بل كان الواحد منهم يرجع عن اجتهاده فوراً وبدون أدنى تردد، حينما يجد حديثاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ يخالف ما أفتى به<sup>(٢)</sup>. وقد دللنا فيما سبق على ذلك، ولا داعى لإعادة الأدلة وهنا أو سرد أكثر مما ذكرنا فى هذا المقام سابقاً<sup>(٣)</sup>.

وعلى ذلك أيضاً تشهد كتب علم الكلام، وعلم الأصول : يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق - رحمه الله - : "لا نجد فى كتب الغزالي، والآمدى، وفخر الدين الرازى، والجوينى، وأبى الحسين المعتزلى، والسرخسى، وجميع من اتبع طرقهم فى

(١) إرشاد الفحول ١/ ١٥٨.

(٢) انظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ١١٨، ١١٩.

(٣) راجع ص ٣٢٣، وانظر : مزيد من الأدلة على تمسك السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة من الأئمة المجتهدين بالسنة. فى كتاب حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص ٢٨٣ - ٢٩١، ٣٤٥ - ٣٨٢، وانظر : قواعد التحديث للقاسمى مبحث (ما روى عن السلف فى الرجوع إلى الحديث) ص ٣٠٢.

التأليف، : من الأصوليين تصريحاً ولا تلويحاً : بأن في هذه المسألة خلافاً. وهم الذين استقصوا كتب السابقين ومذاهبهم، وتبعوا الاختلافات حتى الشاذة منهم، واعتنوا بالرد عليها أشد الاعتناء. بل نجدهم - في هذه المسألة - لا يهتمون بإقامة دليل عليها، وكأنهم قصدوا بعدم التصريح بإقامة دليل عليها : إكبارها وإجلالها، وإعظام شأنها عن أن ينازع فيها منازع، أو يتوقف فيها متوقف<sup>(١)</sup>.

فصاحب المسلم وشارحه يقولان : "إن حجية الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، من علم الكلام، لكن تعرض الأصولي لحجية الإجماع، والقياس؛ لأنهما أكثر فيهما الشغب من الحمقى؛ من الخوارج، والروافض : خذلهم الله تعالى .  
وأما حجية الكتاب والسنة : فمتفق عليها عند الأمة : ممن يدعى التدين كافة فلا حاجة إلى الذكر<sup>(٢)</sup> .

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق وليت شعري، كيف يتصور : أن يكون نزاع في هذه المسألة بين المسلمين، وأن يأتي رجل : في رأسه عقل، ويقول : أنا مسلم، ثم ينازع في حجية السنة بجمليتها؟ مع أن ذلك مما يترتب عليه عدم اعترافه بالدين الإسلامي كله من أوله إلى آخره . فإن أسس هذا الدين هو الكتاب، ولا يمكن القول بأنه كلام الله مع إنكار حجية السنة جملة، فإن كونه كلام الله، لم يثبت إلا بقول الرسول الذي ثبت صدقه بالمعجزة : "إن (هذا كلام الله وكتابه)" وقول الرسول ﷺ (هذا من السنة) التي يزعم : أنها ليست بحجة . فهل هذا إلا إلحاد وزندقة، وإنكار للضروري من الدين : يقصد به تقويض الدين من أساسه؟  
وهل إنكار حجية شيء من أقواله، أو أفعاله، أو تقريراته ﷺ بعد الاعتراف بعصمته التي ذكرناها : إلا القول : بوجود الليل، مع الاعتراف بطلوع الشمس<sup>(٣)</sup>!

(١) وإلى ذلك ذهب الكمال بن الهمام، انظر : تيسير التحرير لمحمد أمين ٣ / ٢٢، والتقريب والتحجير لابن أمير الحاج ٢ / ٢٢٥، وكذا السعد التفتازاني في التلويح في كشف حقائق التنقيح ١ / ٣٨ .  
(٢) فواتح الرحموت ١ / ١٦، ١٧ بتصرف .  
(٣) حجية السنة للدكتور عبد الغنى ٢٤٨-٢٥٢ بتصرف .

## أعداء الإسلام وطعنهم في حجية الإجماع الدال على حجية السنة والرد عليهم

ومما هو جدير بالذكر هنا، أن ذيول الحمقى من الخوارج، والروافض في عصرنا الحاضر، أكثروا من الشغب في حجية الإجماع، وهم يشككون في حجية السنة، ويطعنون في الشريعة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

### دليل حجية الإجماع :

وحجية الإجماع وعدمه، مسألة قتلها علماء الأصول والكلام بحثاً وخلاصة القول كما في فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت : "أن الإجماع حجة قطعاً، ويفيد العلم الجازم عند الجميع من أهل القبلة، ولا يعتد بشرذمة من الحمقى الخوارج، والشيعة، والنظام من المعتزلة، لأنهم حادثون بعد الاتفاق يشككون في ضروريات الدين؛ مثل السوفسطائية في الضروريات العقلية"<sup>(٢)</sup>.

يقول الآمدي : "وقد احتج أهل الحق في ذلك بالكتاب والسنة والمعقول"<sup>(٣)</sup>. أما من الكتاب فقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر : العقيدة والشريعة لجولدتسيهر ص ٦١، وانظر : له أيضاً دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير، نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ / ٤٩٨، وأصول الفقه المحمدي لشاخيت نقلاً عن المصدر السابق العدد ١١ / ٦٤٩، والحديث في الإسلام للمستشرق الفريد غيوم ص ٢٠، ٢٣، نقلاً عن منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزيزة على طه ص ٦٣، والبيان بالقرن لمصطفى المهدي ٢ / ٥٢٢، والإمام الشافعي لنصر أبو زيد ص ٨٥، وإنذار من السماء لنيازي عز الدين ص ١٨٢ وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين لإسماعيل منصور ص ٤٩٢، والخذعة رحلت من السنة إلى الشيعة لصالح الورداني ص ٥٥، ١١٠، ومجلة المنار المجلد ٩ / ٥٢٠، ٩١٨ "مقال الإسلام هو القرآن وحده"، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص ٢٢٧ - ٢٣١، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٢٢٣، والدولة والمجتمع ص ٢٣٥، كلاهما لحمد شحرور، ونحو تطوير التشريع الإسلامي لعبد الله أحمد النعيم ص ٥٠ وما بعدها.

(٢) فواتح الرحموت ٢ / ٢١٣ بتصريف يسير، وانظر : المحصول للرازي ٢ / ٨، والإسهاج في شرح المنهاج ٢ / ٣٥٢، والمستصفى ١ / ١٧٣، وأصول السرخسي ١ / ٢٩٥، والمواقفات ١ / ٣٥، والبحر المحیط للزركشي ٤ / ٤٤٠-٤٤١، والمعتمد في أصول الفقه ٢ / ٤، والرسالة للشافعي فقرات رقم ١١٠٢، ١١٠٥، ١٣٠٩، ١٣٢٠، وإرشاد الفحول ١ / ٢٩٢، ونهاية السؤل في شرح منهاج الأصول للأسنوي ٢ / ١٤٧ وما بعدها، والتقريب والتجوير لابن أمير الحاج ٣ / ٨٠.

(٣) الإحكام للآمدي ١ / ١٨٣.

(٤) الآية ١١٥ من سورة النساء.

وهذه الآية هي أقوى الأدلة وبها تمسك الإمام الشافعي - رحمه الله - ووجه الاحتجاج بها، جمع الله تعالى بين مشاققة الرسول، واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحاً لما جمع بينه وبين المحرم من مشاققة الرسول ﷺ، في التواعد كما لا يحسن التواعد على الجمع بين الكفر وأكل الخبز المباح؛ فثبت أن متابعة غير سبيل المؤمنين محظورة، ومتابعة غير سبيل المؤمنين : عبارة عن متابعة قول أو فتوى غير قولهم، وفتواهم . وإذا كانت تلك محظورة، وجب أن تكون متابعة قولهم وفتواهم واجبة<sup>(١)</sup> .

ومن السنة قوله ﷺ : "إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد ﷺ على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار"<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ : "...عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة؛ فليلزم الجماعة، من سرتة حسنته وساءتة سيئته؛ فذلك المؤمن"<sup>(٣)</sup> .

أما دليل العقل : فيقول إمام الحرمين الجويني : "والدليل على كونه حجة أنا وجدنا العصور الماضية، والأمم المنقرضة متفقة على تبكيث من يخالف إجماع العلماء، علماء الدهر، فلم يزالوا ينسبون المخالف إلى المروق، والمحاد، والعقوب، ولا يعدون ذلك أمر هيناً بل يرون الاجترأ على مخالفة العلماء ضلالاً مبيناً"<sup>(٤)</sup>، ويستحيل أن يكون ذلك إلا لدلالة أو أماراة وإلا استحال اتفاقهم على المنع من مخالفته<sup>(٥)</sup> . أ.هـ .

والله أعلم

(١) الحصول للرازي ١ / ٨ وقارن بالإحكام للآمدي ١ / ١٨٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤ / ٤٠٥ رقم ٢١٦٧ من حديث ابن عمر، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم ١ / ١١٩ أرقام ٣٩١ - ٣٩٧ من طرق عدة، وقال : روى هذا الحديث بأسانيد عن المعتمر ابن سليمان، يصح بحفظها الحديث، ثم ذكر له شواهد من حديث ابن عباس وأنس . ووصف الإمام الغزالي الحديث في المستصفى ١ / ١٧٥ بالتواتر المعنوي، وبذلك قال الشافعي في الموافقات ١ / ٣٩، وانظر : من نفس المصدر ٣ / ٦٤، وانظر : الاعتصام ٢ / ٥١٧ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤ / ٤٠٤، ٤٠٥ رقم ٢١٦٥ من حديث ابن عمر وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب، وقد روى من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ، وأخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم ١ / ١٩٧، ١٩٨ رقم ٣٨٧ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٤) البرهان في أصول الفقه ١ / ٢٦٣، وانظر : التقرير والتحجير لابن أمير الحاج ٣ / ١١٣ .

(٥) الحصول للرازي ١ / ٤٦، وانظر : المستصفى للغزالي ١ / ١٧٣، وللإستزادة في الجواب انظر : مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور علي جريشة ص ٥٢ - ٦٢ .

## المطلب الخامس

### من أدلة حجية السنة المطهرة العقل والنظر

لقد دلّ الاستقراء على أن الكتاب العزيز فرض على الناس فرائضَ مجملة تحتاج إلى تفسير، وشرح وبيان، كأداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، والقيام بمناسك الحج. لذلك، فقد ذهب العلماء، والمحققون (دون اعتبار لقول من شذ من المرجفين في دين الله تعالى، العاملين على هدم كيان السنة النبوية)<sup>(١)</sup> إلى أنه يتحتم شرعاً وعقلاً الرجوع إلى السنة لتفصيل مجمله وبيان كيفية أدائه لوضع الصور التطبيقية لتوجيهاته .  
ومما يستعان به في تأييد ذلك :

١- ما روى أن رجلاً قال لعمران بن حصين رضي الله عنه : لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له عمران: "إنك امرؤ أحمق : أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً لا تجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة، ونحو هذا، ثم قال : "أتجد هذا في كتاب الله مفسراً؟ إن كتاب الله أبهم هذا، وإن السنة تفسر ذلك"<sup>(٢)</sup>.

٢- وروى أن رجلاً قال لمطرف بن عبد الله بن الشخير<sup>(٣)</sup> : لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له مطرف : "والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا".

٣- وفي هذا المعنى قال الأوزاعي : "الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب". قال ابن عبد البر : "يريد أنها تقضى عليه - أى تفصل فيه - وتبين المراد منه"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر : مجلة المنار المجلد ٩ / ٥١٧ مقال الدكتور توفيق صدقي (الإسلام هو القرآن وحده)، والصلاة لمحمد نجيب ص ٢٧٧، ٣٠٦، والصلاة في القرآن لأحمد صبحي منصور ٣٢، وقرآن أم حديث ص ٧، والقرآن والحديث والإسلام ص ٢٠، ٣٣ كلاهما لرشاد خليفة، وتبصير الأمة لإسماعيل منصور ص ١٧، ٣٢٥ وغيرهم مما سبق ذكرهم في شبهة "الاكتفاء بالقرآن وحده".

(٢) أخرجه ابن المبارك في مسنده ص ١٤٣ رقم ٢٢٣، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١٩١ / ٢، والخازمي في الاعتبار في النسخ والنسخ ص ٩٨ .

(٣) مطرف : هو مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري، أبو عبد الله، من كبار التابعين، ثقة عابد فاضل، مات سنة ٩٥ هـ. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١٨٨ / ٢ رقم ٦٧٢٨، ومشاهير علماء الأمصار ص ١١٣ رقم ٦٤٥، وتذكرة الحفاظ ١ / ٦٤، ٦٥ رقم ٥٤، وخلاصة تذهيب الكمال ص ٢٤٩، والكاشف الذهبي ٢ / ٢٦٩ رقم ٥٤٧٨، والثقات للعجلي ص ٤٣١ رقم ١٥٨٦ .

(٤) الآثار السابقة أخرجها ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١٩١ / ٢، والخازمي في الاعتبار ص ١٠٠ .

٤- وقال يحيى بن أبي كثير : "السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب قاضياً على السنة" (١) .

ويوضح الإمام الشاطبي ما يقصد العلماء بقولهم إن السنة قاضية على الكتاب فيقول : "الجواب أن قضاء السنة على الكتاب ليس بمعنى تقدمها عليه، وإطراح الكتاب، بل إن ذلك المعبر في السنة هو المراد في الكتاب، فكأن السنة بمنزلة التفسير، والشرح لمعاني أحكام الكتاب" (٢) .

وهذا ما صرح به الإمام أحمد-رحمه الله-وتحاشا أدياً لفظ (قاضية على الكتاب) عندما سئل عن الأثر السابق فقال: "ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكن السنة تفسر الكتاب وتبينه" (٣) .

## ماذا لو اكتفينا بالإستناد إلى القرآن وحده، ولم نعبأ بالسنة المطهرة

ثم لو سلمنا جدلاً أنه يكفي الاستناد إلى القرآن وحده، ولم نعبأ بالسنة أبداً، وتركنا القرآن يخطئ فيه المخطئون، ويتعمد فيه الكاذبون، ويتلاعب فيه الملحدون الذين طمس الله على قلوبهم وأعمى بصيرتهم، ويخوض فيه المنافقون بما يليه عليهم رؤساؤهم وشياطينهم، ويعبث فيه أهل الأهواء والبدع والضلال، بما تسوله لهم نفوسهم .

هل يزول الخلاف بين الناس أم يزيد؟ مما لا ريب فيه أنه يزيد (٤) لأن هؤلاء الذين يزعمون أنهم قادرون على استنباط كل شيء من القرآن الشريف بدون رجوع إلى بيان صاحب الرسالة ﷺ . نراهم يكثرون من المسائل العجيبة التي استنبطوها بزعمهم من

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١٩١/ ٢، والحازمي في الاعتبار ص ٩٩ .

(٢) الموافقات ٤/ ٣٩٤، ٣٩٥ .

(٣) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٥٠، وانظر : الموافقات ٤/ ٤٠٨، ٤٠٩ .

(٤) منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ١١٩ - ١٢٣ بتصرف واختصار، وانظر : الإسلام على مفترق الطرق ص ٩٧، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم بخش مبحث (منهج القرآنيين في تفسير القرآن الكريم) ص ٢٥٧ وما بعدها .

القرآن، ومن الغرائب أن كثيراً من الأحكام التي يردونها لثبوتها بالسنة نجد أصلها موجوداً في القرآن الكريم عند إمعان النظر، وأغرب من ذلك تناقضهم واختلافهم في ما يستنبطون من القرآن، فكل واحد منهم مستقل بنفسه مخالف للآخر<sup>(١)</sup>. بحيث تراهم في سذاجتهم وتدليسهم يعثون بعقول الناس غاية العبث، يدخلون على الشريعة أموراً ليست منها، ويخرجون منها أموراً هي من أساساتها. ودونك الأمثلة :

**نماذج من المسائل العجيبة التي استنبطها أعداء السنة من القرآن الكريم بدون رجوعهم إلى بيان النبي ﷺ، واستعراض بدائهم عن السنة المطهرة**

الذين يقولون : إن القرآن قد احتوى على كل شئ وفصله تفصيلاً، ولا داعي للسنة، لو أنك واجهتهم بالصلاة، وكيفية أدائها، لرأيت بعضهم يقول : "إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلي في كل وقت من أوقات الصلاة أكثر من ركعة، ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما يشاء" وبعبارة أخرى : إن الإنسان يجب عليه أن يصلي ركعتين على الأقل، وله أن يزيد على ذلك ما شاء أن يزيد بحيث لا يخرج عن الاعتدال والقصد ... وبعد ذلك فللمسلم الاختيار فيما يفعل على حسب ما يجده من نفسه ومن قوته، أما الصلاة المعروفة اليوم بمواقيتها وهيئاتها، فما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أصحابه، وهي غير واجبة على الأمة الإسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة، أو فهي لا تدل على وجوب ما فوق الركعتين"<sup>(٢)</sup>.

وفي موضع آخر يقول : "وإذا فليس عندنا دليل قطعي على وجوب هذه الأعداد - من الصلوات والركعات - والله لا يتعبنا بالظن، وحيث أن هذا الأمر لم يصل إلينا بالتواتر القولي دل ذلك على أن الله لا يريد منا المحافظة على هذه الأعداد والاستماتة عليها وهو المطلوب"<sup>(٣)</sup>.

فإذا كان الدكتور توفيق صدقي لا يؤمن بالصلاة المعروفة اليوم؛ لأنها متواترة عملاً لا قولاً في نظره، نجد آخر على مذهبه يؤمن بالصلاة المعروفة اليوم بمواقيتها وعددها

(١) تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد سليمان الهمداني ص ٤-٥ بتصرف.

(٢) قاله الدكتور توفيق صدقي في مقاله (الإسلام هو القرآن وحده) انظر : مجلة المنار المجلد ٩ / ١٧٠-٢٠٥ بتصرف.

(٣) انظر : مجلة المنار المجلد ٩ / ٩٢٠، ٩٢١ بتصرف.

وهيئتها ... إلخ ويكفيه نقلها بالتواتر العملى<sup>(١)</sup>. وهو ما لم يكف توفيق صدقى!  
وقائل آخر يذهب إلى أن كيفية أداء الصلاة لم تأت مفصلة فى الشريعة الإسلامية  
فى كتاب الله ﷻ، وإنما جاءت مفصلة فى شريعة أخرى، وهى شريعة سيدنا إبراهيم-  
عليه السلام-، فإذا سألت وكيف نقلت إلينا شريعة إبراهيم وأين هى؟! ومن أولئك  
الذين نقلوها؟ قالوا لك : لقد نقلت إلينا جيلاً بعد جيل، وتوارثها الذين نقلوها أبو  
جهل، وأبو لهب، وغيرهم من مشركى قريش، كانوا يؤدون الصلوات الخمس مثلنا  
تماماً ويحجون مثلنا<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان توفيق صدقى يذهب إلى أن عدد الركعات فى كل صلاة لا يقل عن  
ركعتين، وإنما يزيد وأجاز تلك الزيادة على حسب ما يجده الإنسان من وقته. نرى  
آخر يرفض كل ما سبق، ويلزم بأن الصلوات كلها واحدة ركعتين ركعتين<sup>(٣)</sup>.  
وإذا تأملنا فى الصلوات المفروضة عندهم لرأينا ما يضحك ويبكى من التناقض البين  
فيما يستنبطون بفهمهم السقيم من كتاب الله ﷻ فالصلوات المفروضة عند بعضهم  
أربع، وعند آخر ست.

أما من قال هى أربع : فقال : هى طرفى النهار أى فى (أولة) وهى صلاة الصبح،  
وأخر النهار، وهى صلاة المغرب، وطرفى الليل أى فى أوله، وهى صلاة الفجر، وفى  
آخره وهى صلاة العشاء.

أما صلاة الظهر فهى عنده من الفروض التى لا ذكر لها فى القرآن، وهى من  
الفروض التى زادها أعداء الإسلام<sup>(٤)</sup>، هكذا يهذى محمد نجيب فى كتابه  
(الصلاة)<sup>(٥)</sup>.

أما من يقول بأنها ست فيزيد على الصلوات الأربع السابقة صلاتى الظهر والليل،  
أما الظهر؛ فهى تبدأ عنده من ساعة توسط الشمس (كبد) السماء، وإلى أن يصير ظل  
كل شئ مثله!

(١) تبصير الأمة بحقيقة السنة للدكتور إسماعيل منصور ص ١٧، ١٨.  
(٢) قرآن أم حديث ص ٧-١٠، والقرآن والحديث والإسلام ص ٢٠، ٢٣ كلاهما لرشاد الخليفة وانظر : الصلاة  
فى القرآن لأحمد صبحى منصور ص ١٠١.  
(٣) الصلاة لمحمد نجيب ص ٦٥، والبيان بالقرآن لمصطفى المهدوى ١/ ١٢٣.  
(٤) وعليه فمن قال بهذا ممن سيأتى ذكرهم ممن هو على مذهبه الفاسد، بولته الباطلة هو من أعداء الإسلام.  
(٥) الصلاة ص ٦٥٢ - ٦٦٢.

أما صلاة الليل فهي عنده اثنتان صلاة الليل الأولى، وتبدأ من دلوك الشمس إلى (الغسق) باستمرار غير منقطع، والثانية وهي من غياب الشفق إلى منتصف الليل، هذا فضلاً عن صلاة قيام الليل وهي مندوبة عنده<sup>(١)</sup>.

أما أحمد صبحي منصور فيذهب إلى : "أن فرائض الصلاة وركعاتها معروفة للعرب مثل معرفتهم لأيام الأسبوع، فإن القرآن يذكر بعض الفرائض مثل الفجر، والظهر، والعشاء في سياق حديثه عن تشريع آخر قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَ أَذِنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْبُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فتأمل هنا كيف يقر أحمد صبحي، وكذا من سبقه مصطفى المهدوي، بأن الظهر من فرائض الصلاة، وهي عندهم لها دليل من القرآن الكريم، وهو ما ينكره محمد نجيب ويصف، من يقول بذلك بأنه من أعداء الإسلام؟

وعن قبله المسلمين الأولى، والتي لا ذكر لها في القرآن الكريم تراهم يتناقضون في تحديدها حسب استنباط كل منهم من القرآن الكريم.

فيذهب محمد نجيب إلى : أن القبلة الأولى هي بيت الرسول ﷺ، لا بيت المقدس، ويعلل ذلك بأنه : "قد ورد في القرآن الكريم أن الله ﷻ أمر سيدنا موسى وسيدنا هارون باتخاذ بيوتهما قبلة لهما وللمؤمنين عندما يصلون متجهين إليها قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُبُوتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فكان لابد للرسول وللمسلمين معه أن يقتدوا بسيدنا موسى، ويتخذوا من بيت النبي الذي اختاره ليكون قبلة كما اتخذ موسى بيته قبلة<sup>(٤)</sup>، ويذهب إلى أن تلك القبلة لم تنسخ فيقول : "والأمر بالقبلة الأولى ليس أمراً قد انتهى أمره فلا لزوم له في القرآن إذ أنه أمر موجود لاتباعه المسلمون إذا اقتضى الأمر ذلك<sup>(٥)</sup> أ.هـ.

(١) البيان القرآن لمصطفى المهدوي ١/ ١٠٧ - ١١٣، وانظر : الاعتصام للشاطبي حكايته هذا القول عن أهل البدع والأهواء قديماً. الاعتصام ١/ ٦١، وانظر : الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى لفضيلة الدكتور طه حبيشي ص ٥٠٩ وما بعدها.

(٢) الآية ٥٨ من سورة النور، وانظر : الصلاة في القرآن لأحمد صبحي منصور ص ٣٧، ٣٨ .

(٣) الآية ٨٧ من سورة يونس.

(٤) الصلاة لمحمد نجيب ٥١، ٥٢، ٦١٦ .

(٥) المصدر السابق ص ٦١٨ .

هذا في حين نرى مصطفى المهدوي يذهب إلى أن القبلة الأولى منسوخة، ويصرح بأن تلك القبلة الأولى لا علم له بها فيقول: "وكان الله -تبارك وتعالى- قد شاء أن يستقبل رسوله في صلاته قبله أخرى، الله أعلم بها حيث جعلها من سنة نبيه ثم نسخها بقرآن" (١).

أما أحمد صبحي؛ فيقر بتوجه النبي ﷺ، ومن آمن معه نحو بيت المقدس فيقول: فالعرب مسلمون ومشركون كانوا يتوجهون في الصلاة إلى الكعبة، وامتنحهم الله بأن أمرهم بالتوجه نحو القدس، وأطاع النبي والمؤمنون معه، وصبروا على أقاويل السفهاء، وبعد أن نجح النبي، والمؤمنون في الاختبار نزل الوحي يوجب برجاء رسول الله بالعودة إلى التوجه للبيت الحرام (٢) أ.هـ.

ولم يبين لنا أحمد صبحي من أين دليله في توجه النبي ﷺ ومن آمن معه نحو بيت المقدس!!!

ثم إن إقراره بذلك يتناقض مع عدم إيمانه بالنسخ في الشريعة الإسلامية. بمعنى الحذف والإلغاء (٣)، حيث نسخ القرآن الكريم ما ورد في السنة المطهرة من التوجه في الصلاة أول الأمر إلى بيت المقدس.

ومن طرائف أحمد صبحي منصور؛ أنه عندما زعم أن فرائض الصلاة وركعاتها كانت معروفة للعرب وعلينا اتباعها ذهب إلى أن: "تشريع الوضوء والطهارة والغسل والتميم لم يكن معروفاً من قبل (أى في الجاهلية) وجاء بيانه في آيتين في المدينة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْباَ إِلَّا غَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (٤) فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا﴾ (٥) وهذا يعنى أن أهل الجاهلية وهم

(١) البيان بالقرآن ١/ ١٢٠ بتصرف.

(٢) الصلاة في القرآن ص ٣٩.

(٣) انظر كتابه: لا ناسخ ولا منسوخ في القرآن.

(٤) جدنى مصطفى منصور، أحد أتباع أحمد صبحي منصور، أن أحمد صبحي فسر التيمم في الآية بأنك تفرج منديلًا من ثوبك فتمسح به بيدك، فقلت لمصطفى ولكن ربنا ﷻ يقول: ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ والصعيد ما علا الأرض من التراب الطاهر، قال لى ليس هذا شرطًا، وإنما الصعيد ما علا فيكفك أنك تضرب بيدك في الهواء فهو صعيد!

(٥) الآية ٤٣ من سورة النساء، وانظر: الصلاة في القرآن ص ٣٩، ٤٠ هامش.

يعرفون الصلاة بركعاتها وهيئتها ... إلخ كانوا يصلون من غير طهارة!!  
ولأن الدليل الإسلامى على تشريع الوضوء والطهارة ... إلخ مدنى كما فى آية النساء، وكذا آية المائدة<sup>(١)</sup>، فالمسلمون أيضاً طوال الفترة المكية كانوا يصلون من غير طهارة!!

ونقول لهؤلاء جميعاً ما زعمتموه عبثاً من أن الصلوات المفروضة على المسلمين فى اليوم والليلة، إنما هى مرتان أو أربع أو ست، وأن طريقة الصلاة كذا وكذا لا كما يصلونها المسلمون.

فالواجب عليكم أن تثبتوا لنا أن النبى ﷺ، وأصحابه، ما كانوا يصلون فى اليوم والليلة إلا مرتين، أو ست، وأنهم ما كانوا يصلون إلا بالطريقة التى ترعومونها، وأنه بعد تدوين كتب الحديث صار المسلمون يصلون خمس مرات، وزادوا فيه كذا وكذا من الأركان تبعاً للمحدثين، والفقهاء، فإن لم تستطيعوا إثبات ذلك - ولن تستطيعوه إلى يوم القيامة - يكون مآل دعواكم أن النبى ﷺ اخطأ فى فهم الوحي الذى أنزل عليه (حاشاه من ذلك) وأنتم (أيها الأعاجم الجهلة) وفقتم لإصلاح ذلك الخطأ وبيان الصواب.

فهل يمكن لمسلم، بل لعاقل أن يتفوه بهذا الكلام الجنونى؟ أعاذنا الله من ذلك<sup>(٢)</sup>. وعن بقية أركان الإسلام من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومن صيام، وزكاة، وحج، حدث ولا حرج عن شنود ما يستنبطون بما تمليه عليهم نفوسهم المريضة.

فشهادة أن محمداً رسول الله، والتى هى جزء لا يتجزأ من شهادة أن لا إله إلا الله، هذه الشهادة تكررهما بجانب شهادة أن لا إله إلا الله؛ يعد شركاً أكبر<sup>(٣)</sup>.

ويقول المتنبي الكذاب رشاد خليفة عن صيغة التشهد، وما فيها من حمد وتمجيد، لرسول الله ﷺ، وآله : "لقد أمرنا الله ألا نذكر أى اسم فى الصلاة سوى اسمه : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٤)</sup> إلا أن جماهير المسلمين اليوم ابتدعوا بدعة، حمد محمد، وإبراهيم وتمجيدها وهم يصلون لربهم ... لقد أغوى

(١) الآية ٦ من سورة المائدة.

(٢) تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد الندوى ص ٢٧، ٢٨، بتصرف.

(٣) قرآن أم حديث ص ٢٠، ٣٣، والقرآن والحديث والإسلام ص ٣٨، ٤١، ٤٣، كلاهما لرشاد خليفة.

(٤) الآية ١٨ من سورة الجن.

الشیطان المسلمین بترديد بدعة "التشهد"، حيث يمحطون محمداً وإبراهيم بالحمد والتمجيد. أليس هذا شركاً صارخاً؟<sup>(١)</sup>

ويعلل محمد نجيب بأن حمد وتمجيد نبيين (محمد وإبراهيم) -عليهما الصلاة والسلام- دون غيرهما فيه تفريق بين رسل الله<sup>(٢)</sup> وبذلك حدثني مصطفى منصور أحد أتباع أحمد صبحي عن أحمد صبحي أنه قال: "لا يجب تكرار شهادة أن محمداً رسول الله في الآذان حتى لا يكون هناك تفرقة بين رسل الله ﷻ، ولأننا لو قلنا بهذه الشهادة لوجب علينا أن نشهد أيضاً بأن إبراهيم رسول الله، وموسى رسول الله، وعيسى رسول الله... وهكذا وهو أمر يطول.

وتناسى هؤلاء أن الإيمان بمحمد ﷺ وإعلان تلك الشهادة هو إيمان بكل الأنبياء، لأنه ﷺ خاتمهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وما قيل في الصلاة من تناقض، يقال مثله في بقية أركان الإسلام من صيام، وزكاة، وحج، فتلك العبادات جاءت مفصلة في شريعة سيدنا إبراهيم ﷺ يقول المتنبي الكذاب رشاد خليفة: "جميع العبادات بتفاصيلها (عدد الصلوات وعدد الركعات، ومقدار الزكاة، وكيفية الصيام، وكيفية الحج) نزلت على إبراهيم ﷺ أما محمد -عليه السلام- فكانت مهمته الوحيدة هي تبليغ القرآن ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(٤)</sup>. وهكذا نتعلم من القرآن أن الصلاة بتفاصيلها، والزكاة بتفاصيلها، والصيام بتفاصيله، والحج بتفاصيله؛ قد تم تعليمهم لإبراهيم ﷺ، ثم تواترت إلينا جيلاً بعد جيل"<sup>(٥)</sup> أ. هـ.

(١) القرآن والحديث والإسلام لرشاد خليفة ص ٣٨، وانظر: الصلاة في القرآن لأحمد صبحي منصور ص ٥١ -

(٢) الصلاة محمد نجيب ص ٧٨، ٧٩.

(٣) الآية ٨١ من سورة آل عمران.

(٤) الآيتان ٢٦، ٢٧ من سورة الحج.

(٥) قرآن أم حديث ص ١٦، وانظر: القرآن والحديث والإسلام ص ٢٢، ٢٤، ٢٨.

وهذه الشعائر الإسلامية عدم ذكر تفاصيلها في القرآن الكريم في نظر بعض أعداء السنة؛ لأنها متروكة لأولى الأمر لاختيار المناسب منها كل حسب الزمان والمكان.

يقول توفيق صدقي: "إن ربع العشر في الزكاة إذا قام بإصلاح حال الفقراء، والمساكين، وأبناء السبيل، والغارمين، وبالنفقة منه على العاملين على الزكاة، والمؤلفة قلوبهم، وفي سبيل الله، وفي تحرير الرقاب، إذا قام بكل هذه الشئون في زمن أو بلد فليس ضرورياً أن يكون كافياً كذلك في زمن آخر، أو في بلدة أخرى. ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تعيين شيء من ذلك في كتابه تعالى، فما بينته السنة للعرب في ذلك لا يصلح لجميع الأمم في الأوقات المختلفة"<sup>(١)</sup>. ومن قال بذلك محمود محمد طه<sup>(٢)</sup>، وتابعه عبد الله أحمد النعيم<sup>(٣)</sup>، وجمال البنا الذي يصرح بأن الحكمة في عدم ذكر القرآن الكريم تفاصيل الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والشورى ... إلخ؛ أن بيان الرسول ﷺ ليس تشريعاً دائماً ولازماً؛ فتركنا الإسلام لما يستجد في كل زمان ومكان. ولو فصل القرآن لأوقع الحرج على الأجيال الآتية، ولا مانع من تأبد السنة إذا كانت في أخلاق النبي ﷺ وسياسته، وصدقه، وكرمه أو موقفه كقائد ورجل دولة. ولكن عندما يكون الأمر أمر "الأحكام" فلا تأبد للسنة، فهذا ما يتفاعل مع الزمان والمكان ويتأثر بالأوضاع"<sup>(٤)</sup>.

ويقول محمد شحرور: "علينا اعتبار كل الأحاديث المتعلقة بالحلل والحرام والحدود التي لم يرد نص فيها في الكتاب على أنها أحاديث مرحلية قيلت حسب الظروف السائدة"<sup>(٥)</sup> وينكر مصطفى المهدي الحدود في الإسلام زاعماً أنها ما هي

(١) انظر: مجلة المنار المجلد ٩/ ٥٢١، ٥٢٢ مقال (الإسلام هو القرآن وحده) بتصرف، وانظر: المجلد ٩/ ٩٠٩، ٩١٣، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم بخش ص ٣٦٦-٤٣٠.

(٢) محمود محمد طه: واحد من دعاة الفتنة وأدعياء العلم، سوداني الجنسية، ادعى النبوة، وزعم أن الزكاة تشريع مؤقت ملائم للعصور الأولى القاصرة، ولذا لا تصلح لهذا العصر الراقي المتطور، بل يجب أن نترقى في هذا العصر إلى روح الإسلام وهي العدالة الاشتراكية، كما أنكر أحاديث التوحيد. فقد بصل المرء إلى درجة الإلهية، وأحاز إسقاط الصلاة للخواص. أعدهم على زندقته حاكم السودان (جعفر النميري) انظر: المحاضرة الدفاعية عن السنة للدكتور محمد أمان على الجاسي ص ٧ وما بعدها.

(٣) عبد الله أحمد النعيم: كاتب سوداني، حصل على العالمية في القانون من جامعة أدنبره/أسكتلندا، رئيس الجمعية الدولية للدراسات القانونية في العالم الثالث (نيويورك) منذ ١٩٩٠ - حتى الآن. من تلاميذ مسيلمة الكذاب محمود محمد طه، ويدعو إلى فكره. انظر: كتابه نحو تطوير التشريع الإسلامي. وانظر: الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشي ص ٥٧٠ وما بعدها.

(٤) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٩٢، ١٩٣، ٢٠٢.

(٥) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٥٧٢.

إلا الأحكام الشرعية مثل أحكام الصيام، وأحكام الطلاق، وأحكام المواريث<sup>(١)</sup>. وعند ذكره لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال : "إن الله يرحص لأولى الأمر اختيار الجزاء المناسب دون تحديد؛ كالحبس، والغرامة، والتوبيخ، والحرمان من بعض الحقوق المدنية والسياسية"<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

ويتجرأ الدكتور أحمد زكي أبو شادي من مصر : على جواز تبدل الأحكام وفق الظروف والأسباب ليس في السنة النبوية فقط، بل في القرآن الكريم أيضاً فيقول : القرآن الكريم، والأحاديث النبوية مبادئ خلقية وسلوكية مسببة، بحيث أن أحكامها عرضة للتبدل بتبدل الأحوال والأسباب، ففيه شواهد هادئة على ضوئها وأسبابها وظروفها، لا أحكام متزمة لا تقبل التعديل وفقاً لتبدل الأسباب والظروف"<sup>(٤)</sup>.

ولا يقف الأمر عند هؤلاء النابتة الضالة عند هذا الحد، وإنما نجدهم ينكرون من الأمور المتواترة والبدئية ما لا ينكره إلا جاهل مغرور حيث تجد بعضهم ينكر زواج سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بهاجر، ويزعم أن إسماعيل -عليه السلام- ليس ابن إبراهيم يقول مصطفى المهدي : "إننا لا نعرف لإبراهيم -عليه السلام- إلا زوجاً واحدة، هي التي بشرها الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، أما إسماعيل -عليه السلام- فلم يقل أحد أنه ابن إبراهيم من زوج أخرى إلا اليهود في أسفارهم، ومن شايهم في ذلك من المسلمين فيما جاؤوا به من الأساطير"<sup>(٥)</sup>، ثم يذهب المهدي إلى أن هبة إسماعيل لإبراهيم في قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٦)</sup> هذه الهبة هبة عون وتوفيق، كما قال ﷺ في حق سيدنا موسى عليه السلام : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾<sup>(٧)</sup> ولكن ماذا هو قائل في قوله تعالى : ﴿هَذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ

(١) البيان بالقرآن ٢ / ٣٣٥ .

(٢) الآية ٣٣ من سورة المائدة .

(٣) البيان بالقرآن ٢ / ٣٣٩ .

(٤) ثورة الإسلام ص ٥٧ .

(٥) البيان بالقرآن ٢ / ٥٣٨ .

(٦) الآية ٣٩ من سورة إبراهيم .

(٧) الآية ٥٣ من سورة مريم، وانظر : البيان بالقرآن ٢ / ٥٣٩ .

لَذُنْكَ ذُرِّيَّةٌ طَيِّبَةٌ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ<sup>(١)</sup> هل الهبة هنا هبة عون وتوفيق؟

ويؤكد المهدوى ما يهذى به قائلًا: "وليس فى القرآن بينة ظاهرة على أن إسماعيل كان ابنًا لإبراهيم، ولا نعلم له زوجاً غير التى جاءتها البشرى ولا نعلم أن له ابناً غير إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب"<sup>(٢)</sup> وهكذا أعمى الله بصيرته عن البينة الظاهرة فى كتابه بأن إسماعيل كان ابنًا لإبراهيم من زوجته هاجر فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ<sup>(٥)</sup> فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾<sup>(٦)</sup> فالذبيح فى الآية الكريمة: إنما هو ابنه إسماعيل عليه السلام باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، وما حملهم على تحريف الذبيح بأنه إسحاق إلا لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز والذين منهم رسول الله ﷺ فحسدوهم. على أمر الله فى إسماعيل عليه السلام والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به فأرادوا أن يجروا هذا الشرف إليهم، فحرفوا كلام الله وزادوا فيه، وهم قوم بهت، ولم يقرؤا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

ومن أحسن ما استدلل به محمد بن كعب القرظى<sup>(٥)</sup>، على أن الذبيح إسماعيل، وليس إسحاق من قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾<sup>(٦)</sup>. قال فكيف تقع البشارة بإسحاق، وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له؟" (٧) أ. هـ.

ومن العجيب أن المهدوى ذكر قصة ابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بابنه الذبيح ولم يصرح لنا بمن هو الذبيح!!<sup>(٨)</sup> فإن قال هو إسحاق فهذا مما جاء فى أسفار اليهود التى ينكرها وينكر ما جاء فيها أيضاً من زواج سيدنا إبراهيم عليه السلام بهاجر وأن له منها ابنه

(١) الآية ٣٨ من سورة آل عمران.

(٢) البيان بالقرآن ٢ / ٥٤٠.

(٣) الآية ٣٧ من سورة إبراهيم.

(٤) الآيات ١٠٠ - ١٠٢ من سورة الصافات.

(٥) محمد هو: محمد بن كعب بن سليم القرظى أبو حمزة، من عباد أهل المدينة وعلمائهم بالقرآن ثقة حجة مات سنة ١٢٠ هـ وقيل قبل ذلك. له ترجمة فى تقريب التهذيب ٢ / ١٢٨ رقم ٦٢٧٧، والكاشف ٢ / ٢١٣ رقم ٥١٢٩، ومشاهير علماء الأمصار ص ٨٥ رقم ٤٣٦، والثقات للعجلي ٤١١ رقم ١٤٩٥، والبداية والنهاية ٩ / ٢٦٨، وشذرات الذهب ١ / ١٣٦.

(٦) الآية ٧١ من سورة هود.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ١٤-١٩، وانظر: البداية والنهاية ١ / ١٤٤ - ١٥٠.

(٨) البيان بالقرآن ٢ / ٥٤٣ - ٥٤٣.

إسماعيل عليه السلام!! وإن قال الذبيح هو إسماعيل وهو الحق فذلك من السنة المطهرة التي يجحدونها، والتي تصرح، بأن إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - من زوجته هاجر!! فيا ترى من يكون الذبيح عنده!!

ويذهب مصطفى المهدي إلى إنكار زواج النبي ﷺ بأكثر من أربع فيقول : ولا نعلم عدد أزواجه ﷺ، ولكننا نعلم بيقين : أنه لم يكن ليجمع بين أكثر من أربع زوجات في وقت واحد<sup>(١)</sup>!!

ويفرق بين الاحتلام، والجنابة في وجوب الغسل فيقول : "إنه ليس من المنطق في شيء أن نقيس الاحتلام بالجنابة، كما يقول البعض، فيفرض الاغتسال من الاحتلام كما فرض الاغتسال من الجنابة"<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

وليس هذا فقط، بل نجد من شواذ استنباط أعداء السنة من القرآن الكريم تصريح بعضهم بأن لحم الكلب والحمار حلال؛ لاقتصار المحرمات في القرآن الكريم على قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

بل ويحللون الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها في وقت واحد : يقول جمال البنا : "هناك أحاديث جاءت بما لم يأت به القرآن، نحن نحكم عليها في ضوء القرآن فما لا يخالف القرآن يقبل، وما يخالفه يستبعد، فتحريم زواج المرأة على عمتها وخالتها، وتحريم لحم الحمر الأهلية أمور لا نرى مانعاً فيها، ونجد فيها قياساً سليماً"<sup>(٤)</sup>.

وهكذا يفترون على الشريعة بما فهموا ويدينون به ويخالفون الراستخين في العلم

(١) المصدر السابق ٦٢٣/ ٢ وراجع من نفس المصدر ٣٨٥/ ١ - ٣٨٦ .

(٢) البيان بالقرآن ١/ ١١٤ .

(٣) الآية ١٤٥ من سورة الأنعام .

(٤) دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي للدكتور أحمد حجازي السقا ص ٨، ٦١ هامش، وص ١٩٩، وانظر : له أيضاً : حقيقة السنة النبوية ص ٩، وانظر : السنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص ٢٥٤، ولماذا القرآن لأحمد صبحي منصور ص ٦٤، وهؤلاء فيما ذهبوا إليه تبع لأسلافهم من المبتدعة كما حكاه عنهم ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ١٩٤، والشاطبي في كتابه : الاعتصام باب بيان معنى الصراط المستقيم التي اغرفت عنه سبل أهل الابتداع فضلت عن الهدى بعد البيان ٢/ ٥٦٠، والمواقفات ٤/ ٤٢٢، ومن شواذ فكر أعداء السنة، وما يدل على صلتهم بأعداء ديننا وأمتنا، وقولهم بما يحقق أهدافهم، ما حدثني به مصطفى منصور، عن أحمد صبحي منصور، أنه زعم أن المسجد الأقصى ليس في فلسطين وإنما هو في سيناء، فلما قلت له وأين الدليل على ذلك من كتاب الله ﷻ، قال آية الإسراء، وآية التين، ففي آية الإسراء يقول تعالى : ﴿مَسْجِدَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَلْآ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾، الآية ١ من سورة الإسراء، وفي سورة التين يقول تعالى :-

وإنما دخلوا فى ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط<sup>(١)</sup>.

وليت شعرى إذا كان إهمال السنة يؤدى إلى كل هذا الهراء واللغظ فى القرآن الكريم، ألا يكون حفظه وفهمه متوقفاً على حفظها ومستلزماً له؟! نعم الكتاب أحوج إلى السنة، من السنة إلى الكتاب .  
كلمة أخيرة فى بدائل السنة عند أعدائها :

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى بعد أن تعرض للبديل عن السنة النبوية المطهرة فى نظر أعدائها قال : "والقوم قد أرادوا أن يملأوا هذه الساحة بواحدة من ثلاث :

١- أرادوا أن يملأوها بالإبراهيمية .

٢- وأرادوا أن يملأوها بما تعارف عليه الناس .

٣- وأرادوا أن يملأوها بإعادة صياغة المنظومة الإسلامية على ما يريدون، فانتهوا بعد هذا العناء كله إلى نتيجة محددة وهى أنهم قد ملأوا الفراغ بالفراغ، وقبضوا فى أيديهم على الماء والهواء، وشددوا القبضة ظانين أن الهواء لا يتفلى، وأن الماء لا يتسرب، وسوف يفتحون أيديهم يوماً فيجدونها صفراً، وسوف يقدمون على الله يوماً فلا يجدون إلا تحقيق هذا النص الكريم : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَخَسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَةً وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن عبد البر : "أهل البدع أجمع أضربوا عن السنن وتأولوا الكتاب على غير ما بينت السنة، فضلوا وأضلوا، وأخرج بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

«وَطُورَ مِصِينَ وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ» الآيتان ٣، ٢ من سورة التين وقال : فكما ربط بين المسجدين فى سورة الإسراء، ربط هنا بينهما فى سورة التين بين البلد الأمين، وهو المسجد الحرام، وطور سين وهو المسجد الأقصى !!؟ وهذا أيضاً ما كان يقول به مسيلمة الكذاب (محمد رشاد خليفة فى أحاديثه الإذاعية فى مسجد توسان بأريكا، وفى العالم العربى، كما حدثنى بذلك فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى .

(١) انظر : الاعتصام للشاطي، باب فى مأخذ أهل البدع بالاستدلال ١ / ١٩١ .

(٢) الآيتان ٣٩، ٤٠ من سورة النور، وانظر : السنة فى مواجهة أعدائها ص ١٦٠، واللعب الأخير فى مجال إنكار سنة البشير النذير ص ٨٤ .

"ستجدون أقواماً يدعونكم إلى كتاب الله عز وجل وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع، وإياكم والتنطع، وعليكم بالعتيق" (١) أ.هـ.

ويقول الأستاذ محمد أسد مؤكداً ما سبق أن ذكرناه أن غياب السنة يزيد الخلاف بين الناس في فهم تعاليم القرآن الكريم قال : "وفي الحقيقة يجب علينا أن نعتبر أن السنة إنما هي التفسير الوحيد لتعاليم القرآن الكريم والوسيلة الوحيدة لاجتناب الخلاف في تأويل التعاليم وتطبيقها في الحياة العملية" (٢) أ.هـ.

وفي موضع آخر يقول : "من أجل هذا كله نرانا مضطرين إلى أن نعمل بسنة نبينا ﷺ قلباً وقالباً إذا أردنا أن نخلص وجهنا للإسلام" (٣) أ.هـ.

يا أهل الكتاب، ويا أهل الهوى، تعالوا لننظر ماذا يوجد في الحديث، وأى مقدار منه يصلح أن يكون مجالاً للبحث والمناقشة

وأقول للمنكرين لسنة النبي ﷺ المتمسحين كذباً بإيمانهم بكتاب الله ﷻ تعالوا لننظر ماذا يوجد في الحديث، وأى مقدار منه يصلح أن يكون مجالاً للبحث والمناقشة :

١- لا يخفى أن القسم الأعظم من الحديث تاريخي، أعني أنه يشتمل على أخبار الرسول ﷺ، وأصحابه الكرام، ووقائعهم، وبيان جليل أعمالهم، وهذا القسم غير قابل للبحث والمناقشة عند كل ذى عقل سليم، لأنه عبارة عن جزء من تاريخ العالم، مثل سائر تواريخ الأمم، إلا أنه يمتاز عنها بصحة المأخذ وضبط الرواية، وتسلسل الأسانيد، ومطابقتها لأصول النقد. بحيث أن هذا الوصف لا يشاركه فيه تاريخ أمة من الأمم، لا الرومان، ولا الفرس، ولا اليونان، ولا الهند، ولا مصر ... إلخ.

٢- والقسم الثاني : أخلاقي تهديبي، يحتوى على الحكم والآداب والنصائح، مثل مدح الصدق، والعدل، والإحسان، والاتحاد، والتعاون، وسائر الفضائل والحث عليها وذم الكذب، والظلم، والفسق، والفساد، وسائر الرذائل والصد عنها. فهذه الأمور تؤيدها الفطرة الإنسانية، وأصولها موجودة في القرآن فهل فيها شيء يستحق الرد !!!

٣- العقائد : أصول العقائد المذكورة في القرآن (٤)، مثل التوحيد، والصفات الإلهية، والرسالة، والبعث، وجزاء الأعمال. ولا يوجد في الحديث الصحيح إلا ما

(١) جامع بيان العلم وفضله، باب فيمن تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة ٢ / ١٩٣ .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ص ٩٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٣ .

(٤) انظر : الموافقات للشاطبي ٤ / ٣٩٦ المسألة الثالثة "أصول السنة في القرآن" وانظر : في نفس المصدر ٤ / ٤٣٤ ، ومختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية ٢ / ٥٠٨ .

يؤيد هذه الأصول ويوضحها ويقررهما، أو يكون من جزئياتها ونظائرها، ولا يوجد فيها ما يكون مخالفاً لعقائد القرآن، أو زائداً عليها بحيث لا يكون له أصل في القرآن . وكل ما يستشكل من الأحاديث الصحيحة في العقائد تجد مثله في القرآن، ويجرى فيه ما يجرى في القرآن من التفويض أو التأويل، حسب اختلاف مدارك الأفهام والطبائع الإنسانية، فمنها ما يقبل التسليم والتفويض، ومنها ما لا يقنعه إلا التأويل الموافق لعقله والذي يطمئن به قلبه . وأما الأحاديث التي فيها مخالفة للقرآن أو العقل السليم فلا تجدها إلا من الموضوعات والواهيات . ومثلها لا يجوز ذكرها إلا مع بيان وضعها - فضلاً عن التمسك بها . وهذا بإجماع المسلمين .

٤- الأحكام : هذا القسم أكثره ثابت بالأحاديث المستفيضة المشهورة، وهي قد رويت بطرق كثيرة صحيحة، ولكنها لم تبلغ حد التواتر وبعضها من الآحاد ولكنها صحاح . وأما الأحاديث الضعيفة فهي عند الجمهور من المحدثين والفقهاء لا تقبل في الأحكام، والمحققون لا يقبلونها في غير الأحكام أيضاً<sup>(١)</sup> .

فأما الاحتجاج بالخبر المستفيض المشهور فلا يتصور وجود عاقل ينكر ثبوت الحكم بمثل هذا الخبر، ولزوم العمل به لمن يبلغه، وإلا بطل نظام العالم، فهذه قوانين الحكومات إذا نشرت في عدة جرائد معتبرة، أو في الجريدة الرسمية للحكومة يلزم العمل بتلك القوانين لكل أحد من رعايا تلك الحكومة، ولا يسعه الاعتذار بأنها لم تبلغه بالتواتر .

وأما الآحاد الصحاح فكذلك العمل بها جار في سائر أنحاء العالم، مثلاً إذا أتانا رجل معتبر، وبلغنا أن فلاناً يطلبك، فحالاً نلبي طلبه، ولا نسأله أن يأتينا بالشهود على صحة قوله، إلا إذا وجدت هناك قرينة مانعة عن قبول خبره فحينئذ نثبت قبل الذهاب .

وهكذا الأمر في الأحاديث الآحادية الصحيحة : تقبل في الأحكام ويعمل بها ما لم يوجد أمر مانع من قبولها، مثل كونها مخالفة للقرآن أو السنة المتواترة أو المشهورة، أو كونها متروكة العمل في زمن الخلفاء الراشدين والصحابة، ففي هذه الحالة يحق لكل عالم أن يتوقف - وأقول يتوقف ولا يرد ويجحد - العمل بها، وأن يبحث عنها إلى أن يزول الإشكال، ويطمئن إليه خاطر . وأما ترك العمل بالآحاد الصحاح مطلقاً من غير وجود علة مانعة من قبولها فغير معقول، ومخالف لما هو جار في سائر

(١) انظر : تفصيل ذلك في الأهمية الفاضلة للعلامة للكنوى ص ٤٦ - ٥٩ .

المعاملات الدنيوية" (١) أ. هـ.

أما زعمكم بأن أحاديث الأحكام من العبادات (صلاة، وصيام، زكاة، وحج) ومن معاملات وحدود ... إلخ أحاديث غير صالحة لكل زمان ومكان، والأمر فيها متروك لأولى الأمر كل يختار ما يناسب زمانه ومكانه، حتى لو اقتضى الأمر تركها بالكلية والأخذ بما يخالفها من تشريعات وضعية.

فهذا ما لا يقوله مسلم يؤمن بالله رباً، ومحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالإسلام عقيدة وشرعية صالحة لكل زمان ومكان.

لأن أحاديث الأحكام التي توجد في الأحاديث الصحيحة هي مأخوذة ومستنبطة من القرآن الكريم، استنبطها النبي ﷺ من القرآن بتأييد إلهي، ووحى رباني وهذا الاستنباط يسمى في اصطلاح القرآن تارة "تبييناً" وتارة "إراءة" قال الله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢) وقال جل جلاله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (٣).

وأصبح لهذا البيان صفة المبين من حيث وجوب قبوله ووجوب العمل به وصالحيته لكل زمان ومكان، ولا يقول بخلاف هذا مسلم.

ويقول الأستاذ محمد أسد رداً على من يفرقون في الالتزام بين أوامر الرسول في العبادات وبين غيرها من الأوامر التي تنظم حياة المجتمعات : "وإنه لمن الجهل بالإسلام أن يحاول أحدنا أن يفرق بين أوامر للرسول تتعلق بأمور تعبدية روحية خالصة، وبين غيرها من التي تتصل بقضايا المجتمع وقضايا حياتنا اليومية، وإن القول بأننا مجبرون على اتباع الأوامر المتعلقة بالنوع الأول، ولكننا لسنا مجبرين على أن نتبع الأوامر المتعلقة بالنوع الثاني، إنما هو نظر سطحي، وهو فوق ذلك مناهض في روحه للإسلام، مثل الفكرة القائلة بأن بعض أوامر القرآن الكريم قد قصد بها العرب الذين عاصروا نزول الوحي، لا النخبة من الأكياس (الجنّلمان) الذين يعيشون في القرن العشرين. إن هذا بخس شديد لقدر النور النبوي الذي قام به المصطفى ﷺ (٤) أ. هـ.

(١) تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد الندوي، ص ١٤ - ١٧ .

(٢) الآية ٤٤ من سورة النحل .

(٣) الآية ١٠٥ من سورة النساء، وانظر : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للندوي ص ١٨ .

(٤) الإسلام على مفترق الطرق ص ٨٨، ٨٩، وانظر : ما قاله عن الإسلام كدين ودولة ص ١١٠ .

## كلمة أخيرة للمنكرين للسنة النبوية، والقاصرين مهمة الرسول ﷺ على بلاغ القرآن الكريم فقط

ونقول لمن ينكرون هذا البيان النبوي قاصرين مهمة النبي ﷺ على بلاغ القرآن الكريم فقط متبجحين في قولهم: "محمد ممنوع من التفوه بأى تعاليم دينية سوى القرآن"<sup>(١)</sup>، وقولهم: "أمر محمد بتبليغ القرآن فقط بدون أى تغيير، وألا يخلق أى شيء آخر"<sup>(٢)</sup>، وقولهم: "إن مهمة الرسول الوحيدة: هى تبليغ القرآن بدون أى تغيير، أو إضافة، أو اختزال، أو شرح"<sup>(٣)</sup>.

نقول لكم والله ما نبغى بالقرآن بدلاً ولكن أخبرونا كيف نفهم القرآن؟ أو بعبارة أعم من هذه: كيف نفهم مراد القائل من كلامه؟

ولا يخفى أن علم أصول الفقه جل مباحثه تدور حول هذه المسألة، أعنى طريقة فهم معنى الكلام والاستنباط منه؛ فمثلاً إذا وردت في القرآن الكريم كلمة لها معان متعددة عند العرب، أو كلمة لها معنى حقيقى ومعنى مجازى، فكيف نعين المراد بتلك الكلمة؟ أو إذا ورد لفظ عام فكيف نعلم أن المقصود منه جميع أفراده أو بعضها، أو إذا ورد حكم مطلق فكيف نعرف هل هو باق على إطلاقه أم قيد منه شيء؟ إلى غير ذلك من المسائل.

وهناك أمر آخر، وهو أن المعانى المفهومة من الكلام على أنواع: فمنها ما يفهم من ألفاظه صراحة، ومنها ما يفهم منه بطريق الإشارة والكناية، ومنها ما يفهم من سياق الكلام، فلا يقال لشيء منها أن هذا الكلام لا يشمل.

فكذلك الأمر في القرآن، أعنى إذا كان الشيء غير مذكور فيه صراحة ولكنه يفهم من سياقه أو إشاراته، فلا يقال إنه ليس في القرآن مطلقاً. وإذا كان النبي ﷺ مأموراً بتبيين القرآن والحكم بين الناس بما أراه الله ﷻ كما سبق في آيتي النحل، والنساء، ونزلت مثلاً آيات الصيام، ولم يذكر فيها حكم الأكل والشرب بالنسيان في الصوم، فجاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أكلت ناسياً في الصوم. فأفتاه النبي

(١) القرآن والحديث والإسلام لرشاد خليفة ص ٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٣، وانظر من نفس المصدر ص ١٧، ١٨، ٣٣، وانظر: قرآن أم حديث ص ١٦٢، وانظر: الصلاة محمد نجيب ٢٧١، ٢٧٢، ولماذا القرآن ٤٣-٤٨، والمسلم العاصى ص ١٣

﴿بأن صومه صحيح﴾<sup>(١)</sup> لأن الخطأ والنسيان معفو عنهما، مستنبطاً من قوله تعالى :  
﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهل يقال : إن هذا الحديث مخالف للقرآن؛ لأنه ليس فيه أن الصوم لا يفسده الأكل بالنسيان؟ أو يقال : إنه لم يكن للنبي ﷺ أن يستنبط هذا الحكم من الآية الأخرى التي لا تتعلق بالصوم!!؟

وهنا نريد أن نسأل هؤلاء المنكرين لسنة النبي ﷺ : إذا كان يجوز لكم أن تستنبطوا من القرآن كل ما تريدون، وتفسروه كما تفهمون، مع بعدكم عن العصر والمحيط اللذين نزل فيهما القرآن، ومع كونكم أعجماء من غير أهل اللسان أفما كان يحق هذا لمن نزل عليه القرآن، وأمر بتبيينه على الوجوب<sup>(٣)</sup>، وكان أفصح أهل اللسان، بل أحق الناس بالبيان، والاستنباط من القرآن!!؟

### تفاوت الأفهام :

ثم لا يخفى على أحد أن كل الناس ليسوا سواء في الاستعداد والفهم وصفاء الذهن، ولهذا السبب يقرأ القرآن الكريم كل أحد ولكنهم يختلفون في فهم معانيه، فالعالم يفهم منه ما لا يفهمه الجاهل، وقد سبق بيان نماذج من المسائل الشاذة التي استنبطها الشواذ يعقوبهم من القرآن الكريم، وتناقضوا تناقضاً فاضحاً فيما بينهم . فإذا كان العالم يفهم ما لا يفهمه الجاهل، والعلماء أيضاً متفاوتون في الفهم والعلم كما قال رب العزة : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ﴾<sup>(٤)</sup> فأى فهم أولى بالقبول، وبتوحيد كلمة المسلمين، أفهم رسول الله ﷺ أم فهم المنكرين لسنة!!؟

قال تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) ففي الصحيح مرفوعاً : "من نسي وهو صائم، أكل أو شرب، فليتم صومه، فإذا أظفمه الله وسقاه أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصوم باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً ٤ / ١٨٣، ١٨٤ رقم ١٩٣٣، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر ٤ / ٢٩١، رقم ١١٥٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم.

(٢) جزء من الآية ٥ من سورة الأحزاب .

(٣) انظر : البحر المحيط للزركشي ٣ / ٤٨٣ .

(٤) جزء من الآية ٧٦ من سورة يوسف، وانظر : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للنووي ص ٥-٨ بتصرف .

(٥) جزء من الآية ٥٩ من سورة النساء .

(٦) جزء من الآية ٤٣ من سورة النحل .

وقديماً دخل رجل من أهل الكوفة على الإمام أبي حنيفة، والحديث يقرأ عنده، فقال الرجل : دعونا من هذه الأحاديث! فزجره الإمام أشد الزجر، وقال له : لولا السنة ما فهم أحد من القرآن. ثم قال للرجل : ما نقول في لحم القرد؟ وأين دليله من القرآن؟ فأفحم الرجل، فقال للإمام : فما تقول أنت فيه؟ فقال : ليس هو من بهيمة الأنعام (١) أ.هـ.

### علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة :

تبين فيما سبق أن الله ﷻ قد أوكل إلى رسوله ﷺ مهمة بيان ما في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (٣).

ومن هنا نستطيع القول أن علاقة القرآن الكريم بالسنة المطهرة هي علاقة البيان، وهذا البيان له أنواع متعددة، يمكن حصرها في ثلاثة أقسام رئيسية (٤) :

أولاً : أن تأتي السنة مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم ومثبتة له .

ثانياً : أن تأتي السنة مبينة لما في القرآن الكريم ويأتي هذا البيان على أربعة أنواع :

١- تفصيل المجمل ٢- تقييد المطلق

٣- تخصيص العام ٤- توضيح المشكل

ثالثاً : أن تستقل السنة بتأسيس الأحكام من غير أن يسبق لها ذكر في القرآن الكريم :

والأصل في ذلك ما ورد في القرآن الكريم من آيات توجب على المؤمنين طاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة فيما يأمر به، وينهى عنه، وتحذر من مخالفة أمره، وسبق تفصيل ذلك في مبحث الأدلة القرآنية على حجية السنة (٥).

أولاً : تأكيد السنة للقرآن الكريم :

بمعنى أن يأتي ذكر الشيء في القرآن الكريم، ونفس الشيء أيضاً تذكره السنة.

(١) انظر : الميزان للشعراني ١ / ٥٨، وقواعد التحديث للقاسمي ص ٢٩٨، ولحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ أبو غدة ص ٣٢، ٣٣ .  
(٢) الآية ٤٤ من سورة النحل .  
(٣) الآية ١٠٥ من سورة النساء .  
(٤) أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٢ / ٢٨٨ .  
(٥) راجع : ص ٤٧٣-٤٧٨، وانظر : تيسير اللطيف الخبير لفضيلة الدكتور مروان شاهين ص ٣١ بتصرف .

المطهرة والعلاقة الجامعة بينهما - حيثئذ - هو تأكيد السنة لما ورد في القرآن الكريم فمن ذلك مثلاً قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١) ونجد نفس المعنى تقريباً فيما روى عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الله ﻻ يملئ للظالم. فإذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (٢) ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٣) ونجد نفس المعنى في قول النبي ﷺ : "لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط، إلا ثلاث كذبات. ثنتين في ذات الله قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾. وقوله تعالى : ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾. وواحدة في شأن سارة ... الحديث" (٤).

والأمثلة على تأكيد السنة الشريفة للقرآن الكريم كثيرة جداً فيما يتعلق بالعبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، ووسائل ومقدمات تلك العبادات من الطهارة، وكذا تأكيد السنة للقرآن الكريم فيما يتعلق بالمعاملات من البيع، والربا، والقرض، والرهن، والشركة، والوكالة ... إلخ، وكذا تأكيد السنة للقرآن فيما يتعلق بالجنايات، والحدود في الإسلام، وكذا التأكيد فيما يتعلق بالأحوال الشخصية من زواج، وطلاق، وميراث... إلخ وقد استوعب تفصيل ذلك بالأمثلة الأستاذ محمد سعيد منصور في كتابه (منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية) (٥) :

وبالجملة فهذا النوع من البيان النبوي وهو التأكيد، يشمل كل جوانب التشريع القرآني .

(١) الآية ١٠٢ من سورة هود.

(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ٨ / ٢٠٥ رقم ٤٦٨٦، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ٨ / ٣٧٨ رقم ٢٥٨٣ واللفظ له .

(٣) الآية ٨٩ من سورة الصافات .

(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ٦ / ٤٤٧ رقم ٣٣٥٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، وانظر : الموافقات ٤ / ٤٣٦، ٨ / ١٣٤ - ١٣٥ رقم ٢٢٧١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم، وتأويل مختلف الحديث ص ٤٤ وما بعدها .

(٥) انظر : ص ١٢٩ - ٣٣٧ .

ثانياً : بيان السنة لما جاء في القرآن الكريم ولهذا البيان أنواع<sup>(١)</sup> منها :

١ - تفصيل المجمع<sup>(٢)</sup> : بمعنى أن يأتي الشيء في القرآن الكريم مجملاً وموجزاً لا نستطيع أن نفهم المراد منه إلا بعد تفصيله، فتتولى السنة ذلك التفصيل<sup>(٣)</sup>.

من ذلك مثلاً ما ورد في القرآن الكريم عن الصلاة وهي ركن الإسلام الأول بعد الشهادتين، وبها يتحدد الفرق بين المؤمنين وغيرهم، فماذا جاء عن الصلاة في القرآن الكريم؟ لقد جاء الحديث عنها موجزاً ومختصراً، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾<sup>(٤)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾<sup>(٥)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾<sup>(٦)</sup> إن هذه الآيات توضح : أن الله تعالى قد أوجب الصلاة على المؤمنين من غير أن يبين لنا أوقاتها، والفرائض الواجبة علينا، وعدد ركعات كل فرض - وأركان الصلاة وشروطها - وغير ذلك مما يتعلق بالصلاة.

فجاءت السنة الشريفة، وفصلت ذلك المجمع، وعلمت الناس الصلاة، وكل ما يتعلق بتفصيلاتها في قوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"<sup>(٧)</sup> ولولا السنة لما عرفنا كيف نصلي!

ومثل ما قلناه عن الصلاة نقوله عن سائر العبادات من زكاة، وصيام، وحج؛ فقد جاء ذكر كل ذلك مجملاً في القرآن الكريم، وتولت السنة المطهرة تفصيله وبيان المراد منه .

روى الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية في علم الرواية)<sup>(٨)</sup> : "أن عمران بن حصين رضي الله عنه كان جالساً ومعه أصحابه، فقال رجل من القوم : لا تحدثونا إلا بالقرآن .

(١) راجع : مراتب البيان في الرسالة للشافعي ص ٢١ - ٥٣ فقرات من رقم ٥٣ - ١٧٨، وانظر : البرهان في أصول الفقه للحويني ١ / ٣٩ وما بعدها، وإرشاد الفحول للشوكاني ٢ / ٣١ - ٣٥ .

(٢) انظر : في تعريفه لسان العرب لابن منظور ١١ / ١٢٨، وغتار الصحاح للرازي ص ٤٧، وانظر : المعتمد في أصول الفقه ١ / ٢٩٣، وأصول السرخسي ١ / ١٦٨، والإحكام للآمدي ٢ / ١٦٥ .

(٣) وقد يأتي الشيء مجملاً في السنة فيبينه القرآن الكريم مثل قوله ﷺ: "أمروا أن أقاتل الناس" الحديث، ثم فسر الله تعالى ذلك وبينه في سورة براءة بقوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ الآية ٥ من سورة التوبة، وانظر : البحر المحيط للزركشي ٣ / ٤٨٩ .

(٤) الآية ١٠٣ من سورة النساء .

(٥) الآية ٥٦ من سورة النور .

(٦) الآية ٩ من سورة المؤمنون .

(٧) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة ٢ / ١٣١، ١٣٢ رقم ٦٣١، ومسلم (بشرح النووي) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة ٣ / ١٨٧، ١٨٨ رقم ٦٧٤، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه .

(٨) الكفاية ص ٤٨، ودلائل النبوة لليهقي ١ / ٢٥، وانظر : مفتاح اللجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٢١ .

فقال له : أدنه - أى قرب منى - فدنا، فقال : أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً، وصلاة العصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، تقرأ فى اثنتين؟! أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد الطواف بالبيت سبعاً، والطواف بالصفاء والمروة؟ ثم قال : أى قوم - أى : يا قوم-، خذوا عنا فإنكم - والله إن لا تفعلوا لتضلن" وفى رواية من طريق آخر : "أن رجلاً قال لعمران بن حصين : ما هذه الأحاديث التى تحدثونها؟ وتركتم القرآن! قال عمران : أرأيت لو آيت أنت وأصحابك إلا القرآن، من أين كنت تعلم أن صلاة الظهر عدتها كذا وكذا، وصلاة العصر عدتها كذا، وحين وقتها كذا، وصلاة المغرب كذا، والموقف بعرفه، ورمى الجمار كذا، واليد من أين تقطع؟ أمن هاهنا أم هاهنا أم من هاهنا؟ ووضع يده على مفصل الكف، ووضع عند المرفق، ووضع يده عند الكتف، اتبعوا حديثنا ما حدثناكم وإلا والله ضللتكم" (١) أ.هـ.

هاهى أركان الإسلام الأساسية - التى بنى عليها الإسلام - يتوقف القيام بها على السنة المطهرة.

ونستطيع أن نقول : لولا السنة ما تمكن المسلمون من إقامة بنيان الإسلام، ولم يقتصر الأمر على العبادات فقط - بل مقدماتها ووسائلها، من أحكام الطهارة وما يتعلق بها، وكذا المعاملات، والجنايات، والأحوال الشخصية، وغير ذلك (٢).

فكيف تكون حياة الناس مستقيمة لو لم يأت تفصيل كل ذلك فى السنة المطهرة؟! إن هذا النوع فقط من أنواع بيان السنة للقرآن الكريم - وهو تفصيل المحمل - يؤكد فى جلاء ووضوح أن القرآن الكريم محتاج إلى السنة الشريفة، كما يثبت فى يقين؛ أنه لولا السنة لضاع القرآن - بعدم فهمه - وهذا ما يهدف إليه أعداؤنا حينما يشككون فى السنة الشريفة، فما بالناس ببقية الأنواع التى سنوإى ذكرها؟!.

٢- تقييد المطلق (٣) : وذلك بأن يأتى الشئ مطلقاً فى القرآن الكريم، وتقيده السنة مثل قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً

(١) الكفاية ص ٤٨، ٤٩.

(٢) انظر : أسئلة على ذلك فى منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ٣٥١-٣٩٧، وانظر : منزلة السنة فى التشريع الإسلامى للدكتور محمد أمان الجامى ص ٢٢-٣٠.

(٣) انظر فى تعريفه : لسان العرب ١٠/ ٢٢٦ وما بعدها، والمعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وآخرون ٢/ ٥٦٣، والمحصول للرازى ١/ ٤٥٧ وما بعدها، والإتقان فى علوم القرآن ٣/ ٨٢، ٨٣، وفواتح الرحموت ١/ ٣٦٠، والإحكام للأمدى ٢/ ١٦٢، وانظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ٤٢٩ وما بعدها.

مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(١)</sup>. والآية الكريمة لم تقيد قطع اليد بموضع محدد، لأن اليد تطلق على الأصابع، والكف، والرسغ، والساعد، والمرفق، والعضد. ولكن السنة الشريفة بينت ذلك وقيدت القطع بمقدار الكف فقط من يد واحدة. وذلك حينما أتى بسارق إلى النبي ﷺ فقطع يده من مفصل الكف<sup>(٢)</sup> فلولا السنة لما استطعنا إقامة الحد على وجهه الصحيح.

٣- تخصيص العام<sup>(٣)</sup> : وذلك بأن يأتي اللفظ عاماً ينطبق على كثيرين فتأتي السنة الشريفة وتبين أن هذا العموم ليس مراداً، بل المراد بعض أفراد ذلك العام فقط، وليس الجميع، ويكون ذلك تخصيصاً من السنة للجميع، ويكون ذلك تخصيصاً من السنة لما ورد عاماً في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَى﴾<sup>(٤)</sup>.

وهذا عام يثبت في كل أب وأم موروثين ويثبت أيضاً في كل ابن وارث، فجاءت السنة فخصصت المورث بغير الأنبياء وذلك بقوله ﷺ ، "لا نورث ما تركناه صدقة"<sup>(٥)</sup>، وخصصت السنة الوارث أيضاً بغير القاتل وذلك بقوله ﷺ : "ليس لقاتل شيء"<sup>(٦)</sup> كما خصصت السنة الإثنين معاً بقوله ﷺ : "لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم"<sup>(٧)</sup>.

فكان معنى الآية بعد التخصيص هو أن كل مورث من أب وأم يرثه أبناؤه إلا أن

(١) الآية ٢٨ من سورة المائدة.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب السرقة، باب السارق يسرق أولاً فتقطع يده اليمنى من مفصل الكف ٨/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٣) انظر في تعريفه لغة : لسان العرب ١٢/ ٤٢٤، ٤٢٥، ومختار الصحاح ص ١٩١، والمعجم الوسيط ٢/ ٦٢٩ واصطلاحاً انظر : المعتمد في أصول الفقه ١/ ١٨٩، وأصول المرحسي ١/ ١٢٥، والإحكام للأمدى ٢/ ٥٤، والإسهاج في شرح المنهاج ٢/ ٨٢، وانظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ٣٩٨ وما بعدها.

(٤) الآية ١١ من سورة النساء.

(٥) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ لا نورث، ما تركنا صدقة ١٢/ ٨ رقم ٦٧٣٠ ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ لا نورث، ما تركنا صدقة ٦/ ٣١٩، ٣٢٠ رقم ١٧٥٨ من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ كتاب العقول، باب ما جاء في ميراث العقل والتغليب منه ٢/ ٦٦٠ رقم ١٠ من حديث عمر ﷺ.

(٧) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، وإذا أسلم قبل أن يقسم الميراث فلا ميراث له ١٢/ ٥١ رقم ٦٧٦٤، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الفرائض ٦/ ٥٨ رقم ١٦١٤ من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

يكون المورث نبياً، فإن الأنبياء لا يورثون، وإلا أن يكون الوارث قاتلاً لأصله المورث فإنه - في هذه الحالة - لا يرثه وإلا أن يختلف الدين بين المورث والوارث، فإنه لا توارث عند اختلاف الدين<sup>(١)</sup>.

٤- توضيح المشكل<sup>(٢)</sup> : وذلك بأن تكون هناك بعض الألفاظ في القرآن الكريم لا نفهم معناها، فتوضحها لنا السنة الشريفة، مثل ما روى في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : "من حوسب يوم القيامة، عذب" قالت فقلت : أليس قد قال الله ﷻ : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>؟ فقال : "ليس ذاك الحساب . إنما ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب"<sup>(٤)</sup>.

فالسيدة عائشة - رضي الله عنها - أشكل عليها الحساب في قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ . لما سمعت النبي ﷺ يقول : "من حوسب يوم القيامة عذب" فبين لها ﷺ بأن المراد بالحساب في الآية الكريمة العرض، وأنه من نوقش الحساب يوم القيامة عذب.

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين : ليس معنى أن السنة تفصل بمحمل القرآن الكريم، أو تقيده مطلقه، أو تخصص عامه، أو توضح مشكلة أقول : ليس معنى ذلك أن كل عام في القرآن يحتاج إلى تخصيص، وأن كل مطلق يحتاج إلى تقييد، وأن كل محمل يحتاج إلى تفصيل؟ كلا ليس المراد ذلك . فإن كثيراً من عام القرآن باق على عمومه لأن عمومته مراد، وكثيراً من إطلاق القرآن باق على إطلاقه؛ لأن إطلاقه مراد، وهكذا في المحمل.

وإنما المراد : أن ما يحتاج إلى شيء من ذلك - فقط - هو الذي يتولى الرسول ﷺ بيانه بواحد من أنواع البيان - كما ذكرناه سلفاً<sup>(٥)</sup> أ.هـ.

(١) تيسير اللطيف الخبير للدكتور مروان ص ٣١-٣٦، وانظر : نيل الأوطار للشوكاني ٦ / ٧٤ .  
(٢) انظر في تعريفه لغة : المعجم الوسيط ١ / ٤٩١، ومختار الصحاح ص ١٤٥، وانظر : أصول السرخسي ١ / ١٦٨ وتعريفه اصطلاحاً، انظر : أصول السرخسي ١ / ١٦٨، والإتقان للسيوطي ٣ / ٧٢ - ٨١، وانظر : منزلة السنة من الكتاب ص ٣٤٣ وما بعدها.  
(٣) الآية ٨ من سورة الانشقاق .  
(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب عذب ١١ / ٤٠٧ رقم ٦٥٣٧، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب ٩ / ٢٢٥، ٢٢٦ رقم ٢٨٧٦ .  
(٥) تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير ص ٣٨، ٣٩، وللإستزادة في أنواع بيان السنة للقرآن انظر : السنة بياناً للقرآن، الفصل الثالث منهج السنة في تبين القرآن ص ٧٠-٢٥٩ .

## أنواع بيان السنة للقرآن الكريم تسمى نسخاً عند السلف الصالح

مما هو جدير بالذكر هنا أن تفصيل المجل، وتقييد المطلق، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، ونحو ذلك من أنواع بيان السنة - كان يعرف بالنسخ عند السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم حتى الإمام الشافعي. وبين ذلك الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - فيقول: مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ، رفع الحكم بجملة تارة، وهو اصطلاح المتأخرين، ورفع دلالة العام، والمطلق، والظاهر وغيرها تارة، إما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد وتفسيره وتبيينه، حتى أنهم يسمون الاستثناء، والشرط، والصفة، نسخاً لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد<sup>(١)</sup>.

وأكد الإمام الشاطبي هذا المعنى فقال: "يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين، فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً، وعلى بيان المبهم والمجل نسخاً، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً"<sup>(٢)</sup>.

ثم ساق الإمام الشاطبي أمثلة عديدة لما اعتقده السلف أنها قضايا نسخ، وهي في حقيقة الأمر من باب تقييد المطلق أو تخصيص العام، أو بيان المجل ونحو ذلك<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت أنواع بيان السنة للقرآن الكريم تسمى نسخاً عند المتقدمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن سبقوا الإمام الشافعي، رأيت أن الأمر يهون وتختفي معظم الإشكالات، والنزاعات المتشعبة بين العلماء في النسخ بين القرآن والسنة؛ لأن من أنكر نسخ السنة (متواترة كانت أو آحاداً) للقرآن الكريم، جعل المسائل التي قيل فيها نسخ من السنة للقرآن نوع من أنواع بيان السنة للقرآن الكريم، وهذا البيان واجب العمل به. وهذا هو المطلوب في مسألتنا هذه، حيث أن القضية لا تعدو الخلاف في الاصطلاح. فمن سمى البيان نسخاً من المتقدمين، ومن جعل نسخ السنة للقرآن بياناً من المتأخرين كل منهما يعمل بالسنة المطهرة، ويحتج بها ويعرف مكانتها

(١) أعلام الموقعين ١/ ٣٥.

(٢) الموافقات ٣/ ٩٩، ١٠٠.

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٠٠ - ١٠٩.

بالنسبة لكتاب الله ﷻ وللإسلام كله .

يقول الإمام الآمدى : "ثم إننا نرى أنه من الأهمية بمكان أن نقرر أنه لا خلاف بين العلماء المجيزين للنسخ فى جواز نسخ القرآن بالقرآن، ونسخ السنة المتواترة بالسنة المتواترة، ونسخ الآحاد بالآحاد، ونسخ الآحاد بالمتواتر من باب أولى<sup>(١)</sup>، وأن ذلك كله ليس له فى الواقع كبير أثر، إلا فى المسألة التى نحن بصددتها وهى أنواع بيان السنة للقرآن الكريم، أو نسخ الكتاب بالسنة أ.هـ .

### إنكار أعداء الإسلام للنسخ لأنه بيان للسنة وهم يحدونه

إذا عرفنا أن أنواع بيان السنة للقرآن الكريم تسمى نسخاً عند السلف الصالح، أدركنا لماذا ينكر أعداء الإسلام من ملاحدة، ومبشرين، ومستشرقين، النسخ فى الشريعة الإسلامية<sup>(٢)</sup>. وأمعنوا فى هذا النكران بشبهات ساقطة وتأويلات غير سائغة، طعنوا بها فى صدر الدين الحنيف، ونالوا من قدسية القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة<sup>(٣)</sup>. وخلاصة القول فى مسألة النسخ عند أهل الأصول ما قاله الإمام الشوكانى : "أن النسخ جائز عقلاً واقع سمعاً، بلا خلاف فى ذلك بين المسلمين، إلا ما يروى عن "أبى مسلم الأصبهاني"<sup>(٤)</sup> فإنه قال : إنه جائز عقلاً، غير واقع، وإذا صح هذا عنه فهو دليل على أنه جاهل بهذه الشريعة الإسلامية جهلاً فظيلاً، وأعجب من جهله بها حكاية من حكى عنه الخلاف فى كتب الشريعة، فإنه إنما يعتد بخلاف

(١) الإحكام للآمدى ٢/ ٢٦٧، وأصول السرخسى ٢/ ٦٧، والمسودة لآل تيمية ص ٢٠١ وما بعدها  
(٢) انظر : طعون أحمد صبحى منصور فى النسخ فى كتابه (لا ناسخ ولا منسوخ)، والصلاة فى القرآن ص ٣٩، وانظر : مقالات توفيق صدقى فى مجلة المنار المجلد ٩ / ١١٠ - ١١٩، والمجلد ١٠ / ٦٨٣ - ٦٨٩، والمجلد ١١ / ١٤١ - ٢٢٠، ٢٩٢ - ٣٠٢، ٥٩٤ - ٦٩٢، وإنذار من السماء ١٢٢، ٤٣٧، ٥٢٣، ودين السلطان ص ٦٢٩، والأصلان العظيمان ص ١٣٣ وما بعدها، والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١٢، ١٥، والبيان بالقرآن ١ / ١٢، ٢ / ٧٩٣ وغيرهم .

(٣) راجع هذه الشبهات والرد عليها فى مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ٢ / ٢١٤ - ٣٥٣، وانظر : السنة مع القرآن لفضيلة الدكتور سيد أحمد المسير ص ١٨٩ وما بعدها .

(٤) هو : أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني، كان نحويّاً كاتباً بليغاً متكلماً، معتزليّاً، عالماً بالتفسير وغيره، له جامع التأويل لحكم التنزيل، والناسخ والمنسوخ وغيرهما مات سنة ٣٢٢ هـ له ترجمة فى : لسان الميزان ٥ / ٧٣٧ رقم ٧١٣٧، وبغية الوعاة ١ / ٥٩ رقم ١٠٧، والفهرست ص ٢٢٠، ومعجم الأدباء ٥ / ٢٤١، والوافى بالوفيات ٢ / ٢٤٤ رقم ٦٤٦، وطبقات المفسرين للدودى ٢ / ١٠٩ رقم ٤٦٦ .

المجتهدين، لا بخلاف من بلغ من الجهل إلى هذا الغاية.

وأما الجواز : فلم يحك الخلاف فيه إلا عن بعض طوائف اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>، وليس بنا إلى نصب الخلاف بيننا وبينهم حاجة، ولا هذه بأول مسألة خالفوا فيها أحكام الإسلام، حتى يذكر خلافهم في هذه المسألة، ولكن هذا من غرائب أهل الأصول. على أننا قد رأينا في التوراة في غير موضع أن الله سبحانه رفع عنهم أحكاماً لما تضرعوا إليه، وسألوا منه رفعها، وليس النسخ إلا هذا<sup>(٢)</sup>.

والحاصل : أن النسخ جائز عقلاً، واقع شرعاً، من غير فرق بين كونه في الكتاب أو السنة. وقد حكى جماعة من أهل الأصول اتفاق أهل الشرائع عليه فلم يبق في المقام ما يقتضى تطويل المقال<sup>(٣)</sup>.

وما حكى عن أبي مسلم الأصبهاني؛ فالنقل عنه مضطرب، فمن قائل : إنه يمنع وقوع النسخ سمعاً على الإطلاق. ومن قائل : إنه ينكر وقوعه في شريعة واحدة ومن قائل : إنه ينكر وقوعه في القرآن خاصة.

يقول الشيخ الزرقاني - رحمه الله - ورجحت هذه الرواية الأخيرة بأنها أصح الروايات، وبأن التأويلات المنقولة عنه لم تخرج عن حدود ما نسخ من القرآن. وأبعد الروايات عن الرجل هي الرواية الأولى؛ لأنه لا يعقل أن مسلماً، فضلاً عن عالم كأبي مسلم، ينكر وقوع النسخ جملة، اللهم إلا إذا كانت المسألة ترجع إلى التسمية فقط، فإنها تهون حينئذ، على معنى أن ما نسميه نحن نسخاً، يسميه هو تخصيصاً بالزمان مثلاً.

وإلى ذلك ذهب بعض المحققين. قال الشاح السبكي<sup>(٤)</sup> : "إن أبا مسلم لا ينكر

(١) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ٢ / ٢١٨ - ٢٢٣، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤ / ٤٨٢ وما بعدها، وفي الإبهاج بشرح المنهاج لابن السبكي قال : "وأعلم أنه لا يحسن ذكر هؤلاء المتبذعين في وفاق ولا خلاف، ولكن السبب في تحمل المشقة بذكرهم التنبيه على أنهم لم يخالفوا جميعاً في ذلك، أهـ، الإبهاج في شرح المنهاج ٢ / ٢٢٨ .

(٢) راجع ما ذكره العلامة رحمت الله الهندي في كتابه إظهار الحق، وما أثبت من وقوع النسخ في العهد العتيق، وفي الشريعة الموسوية والعيسوية ١ / ٣٧٧ - ٣٩٨ .

(٣) إرشاد الفحول ٢ / ٧٥، ٧٦ بتصرف يسير .

(٤) السبكي هو : الإمام الفقيه، المحدث الحافظ، المفسر الأصول، علي بن عبد الكافي بن يرسف، شيخ الإسلام، قال فيه ولده ليس يعد الذهبي، والمزى، أحفظ منه . مات سنة ٧٥٦ هـ . له ترجمة في : وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٢٥، ٥٢٦ رقم ١١٤٨، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤ / ١٩٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٦ / ١٨٠، وطبقات المفسرين للدوادري ١ / ٤١٦ رقم ٣٦٠ .

وقوع المعنى الذى نسميه نحن نسخاً، ولكنه يتحاشى أن يسميه باسمه، ويسميه  
تخصيصاً<sup>(١)</sup> أ.هـ.

## أهمية علم الناسخ والمنسوخ فى الشريعة الإسلامية

إن معرفة علم الناسخ والمنسوخ، والإحاطة به فى القرآن الكريم، والسنة المطهرة،  
من أولويات ما يجب أن يعرفه كل من يتصدر للقضاء أو الفتيا أو بيان الحلال  
والحرام. إذ لا يمكن استنباط الأحكام من أدلتها من غير معرفة الناسخ والمنسوخ،  
والذى بدونه يوجب الإنسان على نفسه، وعلى عباد الله أمراً لم يوجبه الله ﷻ أو  
يضع عنهم فرضاً أوجبه الله .

وفى ذلك يقول : يحيى بن أكثم<sup>(٢)</sup> : ليس من العلوم كلها علم هو واجب على  
العلماء، وعلى المتعلمين، وعلى كافة المسلمين، من علم ناسخ القرآن ومنسوخه، لأن  
الأخذ بناسخه واجب فرضاً، والعمل به واجب لازم ديانة، والمنسوخ لا يعمل به، ولا  
ينتهى إليه، فالواجب على كل عالم علم ذلك لئلا يوجب على نفسه، وعلى عباد الله  
أمراً لم يوجبه الله أو يضع عنهم فرضاً أوجبه الله<sup>(٣)</sup>.

وقد اهتم السلف الصالح بمعرفة الناسخ والمنسوخ، وأولوه عناية كبيرة منذ عصر  
الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين إلى يومنا هذا.

فعن عبد الله بن حبيب السلمى<sup>(٤)</sup> قال : "مر على بن أبى طالب عليه السلام على قاضٍ

---

(١) رفع الحاجب ص ٢٥١، وانظر : الإبهاج فى شرح المنهاج ٢/ ٢٢٨، ومناهل العرفان ٢/ ٢٢٣، وإلى ذلك  
ذهب الدكتور محمد الحفناوى فى هامش تحقيقه لكتاب الناسخ والمنسوخ لابن شاهين ص ٣٠، وكذلك الدكتور  
شعبان إسماعيل فى هامش تحقيقه لكتاب إرشاد الفحول للشوكانى ٢/ ٧٦، ٧٧، ويقولهم أقول والله أعلم.

(٢) يحيى بن أكثم هو : ابن محمد بن قطن التميمى، المروزى، أبو محمد، القاضى المشهور، فقيه صدوق، إلا أنه  
رمى بسرقة الحديث، ولم يقع ذلك له، وإنما كان يرى الرواية بالإجازة والوحادة، مات سنة ٢٤٣هـ وقيل قبل  
ذلك. له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٢/ ٢٩٧ رقم ٧٥٣، والكاشف الذهبى ٢/ ٣٦١ رقم ٦١٣٣، ولسان  
الميزان ٩/ ٢٨٢ رقم ١٤٨٢٣، وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٠٧ رقم ٦٧٨٨ .

(٣) بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب بيان أنه ليس من العلوم علم واجب إلا العلم بناسخ القرآن ومنسوخه ٢  
٢٨/ .

(٤) هو : أبو عبد الرحمن، عبد الله بن حبيب السلمى الكوفى، متفق على توثيقه مات ٧٣هـ تقريباً. له ترجمة  
فى : تقريب التهذيب ١/ ٤٨٥، ٤٨٦ رقم ٣٢٨٢، والكاشف ١/ ٥٤٤ رقم ٢٦٨١، والنقات للمعلى ص ٢٥٣  
رقم ٧٩٢ .

فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال : لا . قال "هلكت وأهلك" (١) .  
وعن محمد بن سيرين، قال : سئل حذيفة عن شيء فقال : إنما يفتنى أحد ثلاثة :  
من عرف الناسخ والمنسوخ، قالوا : ومن يعرف ذلك؟ قال عمر، أو رجل ولى  
سلطاناً، فلا يجد من ذلك بداً أو متكلف (٢) .  
وعن الضحاك بن مزاحم قال : مر ابن عباس بقاص يقص فركضه برجله، فقال :  
تدري ما الناسخ من المنسوخ؟ قال : لا . قال هلكت، وأهلك (٣) .  
وأقوال أئمة المسلمين في هذا الباب تكثر جداً (٤)، نختار منها قول الإمام القرطبي:  
قال : "معرفة هذا الباب - أى الناسخ والمنسوخ - أكيدة، وفائدته عظيمة، لا يستغنى  
عن معرفته العلماء ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء، لما يترتب عليه من النوازل في  
الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام" (٥) أ. هـ .

---

(١) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ للحازمي ص ٤٨، والناسخ والمنسوخ للزهري ص ١٥ .  
(٢) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ ص ٤٩ .  
(٣) المصدر السابق ص ٥٠، والناسخ والمنسوخ للزهري ص ١٦ .  
(٤) راجع نماذج من أقوالهم في الاعتبار للحازمي ص ٤٤ وما بعدها، وتدريب الراوي ١٨٩/ ٢، وفتح المغيـث  
للسخاوي ٥٧/ ٢، وفتح المغيـث للعراقي ص ٣٣٠، وتوضيح الأفكار للصنعاني ٤١٦/ ٢ .  
(٥) تفسير القرطبي ٦٢/ ٢ .

## بيان رتبة السنة النبوية من القرآن الكريم

قبل أن نتحدث عن النوع الثالث من أنواع بيان السنة للقرآن الكريم وهو: «استقلالها بتشريع الأحكام دون أن يسبق لها ذكر في القرآن الكريم» نبين هنا رتبة السنة الشريفة من القرآن الكريم لما في ذلك من ارتباط بهذا النوع الثالث من أنواع بيان لكتاب الله ﷻ .

يقول الأستاذ محمد سعيد منصور: «لا خلاف بين علماء المسلمين قديماً وحديثاً إلا من شذ من بعض الطوائف المغرضة المنحرفة - من غلاة الشيعة، والخوارج، والروافض، والمستشرقين، وبعض المتكلمين حديثاً ممن يتكلمون بلغتنا ويتسبون إلى أمتنا - في أن كلاً من الكتاب والسنة وحي من عند الله تعالى، وحجة لمعرفة الحلال والحرام، ودليل يجب على المجتهد التمسك به والعمل بمقتضاه، وكذلك لا نزاع بينهم في أن الكتاب الكريم، يمتاز عن السنة، ويفضل عنها ، بأن لفظه من عند الله ﷻ ، متعبد بتلاوته، معجز للبشر عن أن يأتوا بمثله بخلافها فهي دونه منزلة في هذه النواحي»<sup>(١)</sup>.

يقول العلامة الدكتور عبد الغني عبد الخالق - رحمه الله - : ولكن ذلك لا يوجب التفضيل بينهما من حيث الحجية: بأن تكون مرتبتها التأخر عن الكتاب في الاعتبار والاحتجاج، فتهدر ويعمل به وحده، لو حصل بينهما التعارض.

وإنما كان الأمر كذلك : لأن حجية الكتاب إنما جاءت من ناحية أنه وحي من عند الله تعالى، ولا دخل للأمور المذكورة فيها . فلو لم يكن الكتاب معجزاً ولا متعبدًا بتلاوته، وثبتت الرسالة بغيره من المعجزات؛ لوجب القول بحجته؛ كما كان الأمر كذلك في الكتب السابقة والسنة المطهرة مساوية للقرآن من هذه الناحية؛ فإنها وحي مثله. فيجب القول بعدم تأخرها عنه في الاعتبار . ثم إن التحقيق عند علماء الكلام: أن الرسول لا يشترط في رسالته نزول كتاب، بل الشرط: إنما هو نزول شريعة ليبلغها الأمة، وإظهار المعجزة على يده، كما هو بين في شرح العقائد النسفية وحواشيه<sup>(٢)</sup> .

(١) منزلة السنة من الكتاب ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ بتصرف .

(٢) ٥٤ / ١ .

ويدل على ذلك أيضًا : أن الله تعالى أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون؛ ليأمره بالإيمان به ، والاهتداء بهديه، وإرسال بنى إسرائيل معه . ولم يكن قد نزل عليه - في ذلك الحين - التوراة : لأنها إنما نزلت بعد هلاك فرعون، وخروج بنى إسرائيل من مصر - كما هو معلوم - ومع ذلك قامت الحجة على فرعون بهذا الأمر: لما أقام له موسى عليه السلام المعجزة ، فلما خالفه اعتبر عاصيًا ربه، مستحقًا للعنة، والعذاب.

فحجية الوحي الغير المتلو لا تتوقف على ورود المتلو بها : لأن كلا منهما من عند الله . وهذا تثبته المعجزة - قرآنًا أو غيره - المثبتة لعصمة الرسول ﷺ في تبليغ ما جاء به عن الله تعالى .

ولو سلمنا استلزام الفرعية للتأخر مطلقًا ، قلنا : إن ما كان أقل من سورة لم تثبت قرآنيته إلا بقوله ﷺ : هذا كلام الله ، كما تقدم بيانه في مبحث العصمة<sup>(١)</sup> . فعلى هذا يقال : إن الكتاب متأخر عنها في الاعتبار؟

بل الحق : أن كلا منهما معضد للآخر ، ومساو له : في أنه وحي من عند الله ، وفي قوة الاحتجاج به ، وأنه لا يؤثر في ذلك نزول لفظ الكتاب ولا إعجازه ، ولا التعبد بتلاوته ، ولا أنه قد ورد فيه ما يفيد حجيتها .

وحيث إنهما من عند الله : فلا يمكن الاختلاف بينهما في الواقع، ويستحيل أن يوجد كتاب وسنة - كل منهما قطعي الدلالة والثبوت - بينهما تعارض مع الاتحاد في الزمن وغيره ، مما يشترط لتحقيق التعارض في الواقع .

وأما أنهما قد يتعارضان في الظاهر - إذا كانت دلالتها أو دلالة أحدهما ظنية ، أو كانت دلالتها قطعية ولم يتحد الزمن : فهذا أمر جائز واقع كثيرًا . وحينئذ يجب على المجتهد اعتبارهما كما لو كانا آيتين أو سنتين : حيث أنهما متساويات فينسخ المتأخر منهما المتقدم إذا ثبت له تأخره ، ويرجح أحدهما على الآخر بما يصلح مرجحًا ، ويجمع بينهما إن أمكن ، وإلا توقف إلى أن يظهر الدليل فأما أن نقول بإهدار أحدهما مباشرة - بدون نظر في أدلة الجمع والترجيح والنسخ : فهذا لا يصح بحال أن يذهب ذاهب إليه .

ولذلك نجد علماء الأصول، والفقه، والحديث، يقولون: بتخصيص السنة لعام

(١) راجع: ص ٤٥٠ ، ٤٥١ .

الكتاب، وتقييدها لمطلقه، ونسخها له، وأنها تؤوله وتوضح بمحملة، وتبين أن المراد منه خلاف ظاهره . كما يحصل ذلك من الكتاب بالنسبة للسنة .

نعم في بعض هذه المسائل خلافات كثيرة. ولكن يجب أن يعلم أن مرجعها إلى مدارك أخرى وذلك كظنية الطريق في خير الواحد، وقطعية القرآن، وليس مرجعها إلى السنة من حيث ذاتها، ومن حيث أنها متأخرة عن الكتاب، بدليل أن من يمنع نسخ القرآن بخير الواحد مثلاً، يمنع نسخ السنة المتواترة به أيضاً، ويجوز نسخ القرآن بالخير المتواتر وبالعكس. ولو كان المدرك التأخر في الاعتبار لما قال إلا بنسخ السنة بالقرآن.

ومن ذلك كله : تعلم بطلان ما ذهب إليه الإمام الشاطبي في الموافقات<sup>(١)</sup> : من أن رتبة السنة التأخر عن الكتاب في الاعتبار<sup>(٢)</sup> .

ثم ذكر الدكتور عبد الغنى شبه الإمام الشاطبي وردها<sup>(٣)</sup> .

وقد سبق الدكتور عبد الغنى في قوله هذا الإمام الشافعي في الرسالة<sup>(٤)</sup> ، وابن حزم في الأحكام<sup>(٥)</sup> ، وحديثاً الدكتور السباعي<sup>(٦)</sup> .

### بيان أن الخلاف في المسألة لفظي

الحق : أن قول الإمام الشاطبي بتأخر رتبة السنة عن الكتاب في الاعتبار راجعة إلى المدارك التي ذكرها الدكتور عبد الغنى عبد الخالق كظنية الطريق في خير الواحد، وقطعية القرآن، وهو ما عبر عنه الإمام الشاطبي في أول حججه على تأخر رتبة السنة عن الكتاب قال : «أن الكتاب مقطوع به ، والسنة مظنونة<sup>(٧)</sup> . ولو تأملنا في بقية حججه لرأينا أنه ليس فيها ما يدل على التفضيل بين الكتاب والسنة من حيث الحجية،

(١) الموافقات ٤ / ٣٩٢ .

(٢) حجية السنة ص ٤٨٥ - ٤٨٩ بتصرف يسير .

(٣) المصدر السابق ص ٤٨٩ - ٤٩٤ .

(٤) الرسالة ص ٣٣ فقرات رقم ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٥) الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١ / ٩٦ ، ٩٧ .

(٦) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور مصطفى السباعي ص ٣٧٩، وانظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ، ص ٤٧٠ .

(٧) الموافقات ٤ / ٣٩٢ .

ووجوب العمل بهما، بحيث إذا وقع تعارض ظاهري بينهما يعمل الكتاب دون السنة، بدون نظر في أدلة الجمع والترجيح والنسخ. فهذا لا يصح بحال أن يذهب ذاهب إليه، ولا يصح نسبة ذلك إلى الإمام الشاطبي. وما قد يفهم من قوله في السنة الزائدة : «إن لم تكن بياناً فلا يعتبر بها إلا بعد أن لا يوجد في الكتاب»<sup>(١)</sup> فهذا الكلام لا يفهم منه رد الإمام الشاطبي للسنة الزائدة الصحيحة عن النبي ﷺ (وحشاه من ذلك) كل ما في الأمر أنه يذهب إلى أن السنة كلها، بيانية كانت أو زائدة، داخلية في البيان النبوي للقرآن الكريم - كما سنفصله بعد قليل - .

يدل على ذلك ما ذكره في مسألة «أصول السنة في القرآن الكريم»<sup>(٢)</sup> ومسألة: «السنة التشريعية لا يلزم أن يكون لها أصل في الكتاب»<sup>(٣)</sup> .

فكل سنة زائدة عما في القرآن عند من يرى استقلال السنة بالتشريع هي عنده لها أصل في القرآن الكريم ، ويدخلها في السنة البيانية، ولم ينازع في حجيتها ، ووجوب العمل بها خلافاً لمن تأول كلامه في هذه المسألة، ومسألة (استقلال السنة بالتشريع) ونازع في الحجية .

وهنا نرى أنه ليس في حقيقة الأمر! وإنما هو إن صح التعبير، صورة خلاف اعتبارية للمدارك بعيدة كل البعد عن منزلة السنة التشريعية، وحجيتها، ووجوب العمل بها. وتتخلص هذه المدارك فيما كان عليه السلف الصالح إذا عرض عليهم قضاء، يبحثون أولاً في كتاب الله ﷻ ، فإذا لم يجدوا في كتاب الله ﷻ انتقلوا إلى السنة المطهرة<sup>(٤)</sup> .

وهل في ذلك ما يخلش في أصل مسألتنا وهي: أن القرآن والسنة في مرتبة واحدة، في الاحتجاج ووجوب العمل بهما؟

وإلى ذلك ذهب الأستاذ محمد سعيد منصور ثم قال : «وجملة القول: أن السنة إذا صحت تكون منزلتها ومنزلة الكتاب، سواء بسواء في الاعتبار، والاحتجاج عند

(١) المصدر السابق ٤ / ٣٩٣ .

(٢) الموافقات ٤ / ٣٩٦ .

(٣) المصدر السابق ٤ / ٤٣٤ .

(٤) المصدر نفسه ٤ / ٣٩٣ .

المجتهدين عامة»<sup>(١)</sup> أ. ه .

ويقول المستشار الدكتور على جريشة ردًا على من وهن من رتبة السنة المطهرة فجعلها في مستوى المذكرة التفسيرية بالنسبة للقانون، قال : «السنة ليست مذكرة تفسيرية ، لأن المذكرة التفسيرية لا يمكن أن ترتفع إلى نفس مرتبة التشريع، بل وتحتوي أي إلزام ، والسنة غير ذلك ... ترتفع مع الكتاب إلى أن تكون المصدر الرئيسي للشرعية.

ورعما كان مرجع الشبهة أن السنة في جزء كبير منها مبنية للكتاب ...، لكن بيان السنة منه التخصيص، والتقييد، والتأكيد، ثم التفصيل والتفسير ...، إلى جواز السنة الزائدة التي تأتي بأحكام مستقلة ... وفي الجزء المفسر، والمفصل يتوافر الإلزام كما يتوافر للقرآن ... ولا تهبط السنة إلى مستوى عدم الإلزام ، كما تهبط المذكرة التفسيرية للقانون»<sup>(٢)</sup> .

ومما يؤسف له أن بعض علماء المسلمين قد أساءوا فهم الإمام الشاطبي في مسألتنا هذه، ومسألة استقلال السنة بالتشريع، فأنكروا السنة الزائدة ، كما اتخذ أعداء السنة المطهرة من كلام الشاطبي في المسألتين ستارًا ، للتشكيك في حجية السنة النبوية واستقلالها بتشريع الأحكام أ. ه .

### استقلال السنة بتشريع الأحكام

لا يقتصر دور السنة على بيان ما في القرآن فقط، فتؤكد تارة، أو تفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه ، وتوضح مشكله، تارة أخرى.

نقول : لا يقتصر دور السنة على ذلك فقط - رغم أهمية هذا وخطورته، بل لها مهمة أخرى جلية وعظيمة . وهي أنها تؤسس أحكاماً على جهة الاستقلال وهذا ما عيناه بالمهمة الثالثة للسنة في تقسيمنا السابق<sup>(٣)</sup> . إذ أن في السنة أحكاماً كثيرة جديدة لم ترد في القرآن لا نصاً ولا صراحة، ويتفق العلماء وجود تلك الأحكام، ولكنهم يختلفون خلافاً لفظياً حول تسمية تلك الأحكام التي استقلت السنة المطهرة بتأسيسها.

(١) منزلة السنة من الكتاب ص ٤٨١ بتصرف يسير .

(٢) مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) تيسر اللطيف الحبير للدكتور مروان ص ٣٦ ، ٣٧ .

فالجمهور من العلماء يقولون: إن هذا هو الاستقلال في التشريع بعينه؛ لأنه إثبات لأحكام لم ترد في الكتاب .

أما الإمام الشاطبي ومن نحا نحوه: فإنهم مع إقرارهم بوجودها ، إلا أنهم يقولون: إنها ليست زيادة على شيء ليس في القرآن، وإنما هي زيادة الشرح، المستنبط من المشروح بإلهام إلهي، ووحى رباني، وتأييد سماوي<sup>(١)</sup>. وبعبارة أخرى هي داخلية تحت أي نوع من أنواع السنة البيانية، أو داخلية تحت قاعدة من قواعد القرآن الكريم .

يقول الدكتور السباعي : «وأنت ترى هنا أن الخلاف لفظي، وأن كلا منهما يعترف بوجود أحكام في السنة لم تثبت في القرآن ، ولكن أحدهما لا يسمى ذلك استقلالاً ، والآخر يسميه . والنتيجة واحدة<sup>(٢)</sup> ، وهي حجية تلك الأحكام الزائدة ووجوب العمل بها .

### بيان أن الخلاف لفظي مع فريق وحقيقي مع آخر :

لقد ذكر الإمام الشاطبي ستة مآخذ للمخالفين في بيان أن كل ما ورد في السنة مبين في الكتاب، الخمسة الأولى منها أيدها الإمام الشاطبي، وكان الخلاف فيها بين الفريقين خلافاً لفظياً لا يبنى عليه عمل<sup>(٣)</sup> .

أما الذين أثاروا خلافاً حقيقياً حول هذه المسألة؛ فهم أصحاب المآخذ السادس، إذ يقولون فيه: «ومنها - يعني أن جميع السنة بيان للكتاب - النظر إلى تفاصيل الأحاديث، في تفاصيل القرآن ، وإن كان في السنة بيان زائد، ولكن صاحب هذا المآخذ يتطلب أن يجد كل معنى في السنة مشاراً إليه - من حيث وضع اللغة لا من جهة أخرى - أو منصوباً عليه في القرآن<sup>(٤)</sup> .

فهذا هو المآخذ الذي لو تم ، لكان مبطلاً لما اتفق عليه الجميع، من وجود سنة

(١) منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ٤٩٩ .

(٢) النسبة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ٣٧٥ بتصرف .

(٣) انظر : هذه المآخذ في الموافقات ٤ / ٤٠٦ - ٤٢٨ ، وانظر : - إن شئت - مناقشتها والرد عليها في حجية السنة للدكتور عبد الغني ص ٥٢٦ - ٥٣٦ .

(٤) الموافقات ٤ / ٤٢٨ ، وانظر : مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور علي جريشة ص ٢٩ - ٣١ .

جاءت بما لم ينص عليه الكتاب نصًا، ويمكن للمجتهد أن يأخذ به بحسب أوضاع اللغة، ومعانيها الحقيقية والمجازية، ولكنه لن يتم ولا يمكن تطبيقه على جميع ما ورد في السنة، ومحاولة تطبيقه محاولة فاشلة<sup>(١)</sup>.

وقد اعترف الإمام الشاطبي نفسه بذلك بعد أن غاص في عمق أدلة هذا المأخذ، وكانت الغاية التي انتهى إليها الاعتراف ببطلان هذا المأخذ وانحراف أصحابه، إذ يقول تعليقاً على هذا المأخذ: «ولكن القرآن لا يفى بهذا المقصود على النص والإشارة العربية التي تستعملها العرب أو نحوها، وأول شاهد في هذا الصلاة، والحج، والزكاة، والخيض، والنفاس، واللقطة، والقراض، والمساقاة، والديات، والقسمات، وأشبه ذلك من أمور لا تخصي.

فالملتزم لهذا (أي المأخذ السادس) لا يفى بما ادعاه، إلا أن يتكلف في ذلك مأخذ لا يقبلها كلام العرب، ولا يوافق على مثلها السلف الصالح، ولا العلماء الراسخون في العلم، ولقد رام بعض الناس فتح هذا الباب<sup>(٢)</sup> الذي شرع في التنبيه عليه فلم يوف به إلا على التكلف المذكور، والرجوع إلى المأخذ الأول في مواضع كثيرة لم يتأت له فيها نص ولا إشارة إلى خصوصيات ما ورد في السنة، فكان ذلك نازلاً بقصده الذي قصد<sup>(٣)</sup>.

إذاً فهو قول غير صحيح، وبعيد كل البعد عن الحقيقة أ. هـ.

**الإمام الشاطبي ومن أساء فهمه من علماء المسلمين ومن اتخذ**

**كلامه من أعداء السنة ستاراً للتشكيك في حجية**

**السنة، واستقلالها بتشريع الأحكام**

عرفنا فيما سبق أن الإمام الشاطبي عندما قال بتأخر مرتبة السنة عن الكتاب، كان ذلك لمدارك بعيدة كل البعد عن منزلة السنة التشريعية، وحجيتها ووجوب العمل بها.

(١) انظر: حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص ٥٣٥.

(٢) فتحه مصطفى المهدي في كتابه البيان بالقرآن، وكانت المحاولة فاشلة، وصدق فيه ما قاله الإمام الشاطبي هنا.

(٣) الموافقات ٤/ ٤٣١.

فكان الخلاف بينه وبين جمهور العلماء خلافاً لفظياً - كما سبق - .

وعرفنا أيضاً : أنه في مسألة استقلال السنة بالتشريع، أقر بوجود الأحكام التي استقلت بها السنة إلا أنه لم يسم ذلك (استقلالاً) وإنما سماه (بياناً) فهو يرى أن وظيفة السنة البيان بأنواعه، من تفصيل مجمل، وتقييد مطلق، وتخصيص عام، وتوضيح مشكل، وما جاء زائداً في السنة هو في نظره نوع من أنواع البيان، ودخل تحت قاعدة من قواعد القرآن الكريم.

وفي كل الأحوال هذا البيان حجة ويجب العمل به . ومن هنا كان الخلاف بينه وبين جمهور العلماء في تلك المسألة أيضاً خلافاً لفظياً لا يترتب عليه عمل .

للهم إلا أصحاب المأخذ السادس الذين أنكروا ورود السنة بما لم ينص عليه الكتاب . فكان الخلاف بينهم وبين الجمهور خلافاً حقيقياً ، وقد علمت أن الإمام الشاطبي لم تابعهم على ذلك .

إلا أن بعض علماء المسلمين أساء فهم الإمام الشاطبي في المسألتين (تأخر مرتبة السنة في الاعتبار عن القرآن) و (استقلال السنة بالتشريع) التي عنوان لها بـ (أصول السنة في القرآن الكريم)<sup>(١)</sup> . والتي فصلها في عنوان (كيفية رجوع السنة إلى الكتاب)<sup>(٢)</sup> ، حيث فهموا أن الإمام الشاطبي لا يؤمن إلا بالسنة البينانية المفسرة، أما المستقلة فلا، حيث زعموا أنه يرى أن السنة لا تستقل بتشريع أحكام زائدة ، فمهمة الرسول البلاغ والبيان فقط .

ومن فهم ذلك الشيخ محمد عبد العزيز الخولي - رحمه الله - في كتابه (مفتاح السنة) بعد أن استشهد بكلام الشاطبي في أن السنة راجعة في معناها إلى الكتاب ، تفصل بحمله، وتبين مشكله، وتبسط مختصره ، وذكر بيان الشاطبي في كيفية رجوع السنة إلى الكتاب .

قال الأستاذ عبد العزيز الخولي : «وأما ما ورد في السنة من الأحكام، فإن كان مخالفاً لظاهر القرآن مقدم عليه، ويعتبر ذلك طعناً في الحديث من جهة متنه ولفظه، وإن صح سنده، فإن الحديث لا يكون حجة إلا إذا سلم سنده ومتنه من الطعن، ولذلك

(١) الموافقات ٤ / ٣٩٦ .

(٢) المصدر السابق ٤ / ٤٠٦ .

أجاز بعض المسلمين نكاح المرأة على عمتها أو خالتها<sup>(١)</sup> .

وهنا يظهر واضحاً جلياً كيف أساء الشيخ فهم كلام الإمام الشاطبي حتى اتخذ الخولى لنفسه مذهباً في العمل بظاهر القرآن فقط، والذهاب إلى عدم حجية السنة المبينة أيضاً . بدليل أنه بعد أن ذكر نماذج من الأحكام التي استقلت بها السنة، مثل: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، ورجم المحسن - الذي زعم أن الأدلة فيه مضطربة ، ويصح أن تشمل آية ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup> .

بعد أن ذكر ذلك قال : « وإن كان ما في السنة لا يخالف ظاهر القرآن ، فهو اجتهاد من الرسول ﷺ يرجع إلى أصل قرآني عرفه الرسول ، وجهلناه نحن أو عرفناه<sup>(٣)</sup> .

فتأمل قوله في البيان النبوي : (وجهلناه نحن أو عرفناه) إذ العبرة عنده في أول الأمر وآخره ، هي : ظاهر القرآن سواء عرف السنة البيانية، أم جهلها، فهي في حالة معرفته بها لم تضاف جديداً ، وفي هذه الحالة العبرة بالقرآن، وفي حالة استقلالها بتشريع أحكام جديدة، تكون السنة مخالفة لظاهر القرآن ؛ فلا حجة فيها هكذا يزعم!

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق : «وليت شعري إذا لم تكن السنة مبينة، ولا مستقلة فماذا بقي في السنة، مما يكون حجة - إلا المؤكد؟ وكيف يمكن الجمع بين قوله هذا، وبين قوله<sup>(٤)</sup> : « وإن الرسول ﷺ وظيفته البيان ، وتبليغ ما أنزل إليه من ربه<sup>(٥)</sup> .

فلا أدري علام إذن يستشهد بكلام الإمام الشاطبي الذي يقول : بأن السنة بيان للقرآن الكريم، وحتى ما استقلت به السنة داخل في هذا البيان الواجب العمل به!! وإذا كان حقاً فهم مراد الشاطبي من كلامه، فلم لم يؤمن بما آمن به الشاطبي من أن

(١) مفتاح السنة ص ٦ - ١٠ .

(٢) الآية ٣٣ من سورة المائدة .

(٣) مفتاح السنة ص ١١ .

(٤) المصدر السابق ص ٨ .

(٥) حجية السنة ص ٤٨٩ هامش .

الأحكام الزائدة في السنة داخلية في القرآن الكريم في بيانه أو قواعده (١)؟!

تلك الأحكام التي أنكرها الشيخ مع إيمان الإمام الشاطبي بها كما سبق وسنقصه بالأمثلة بعد قليل .

وأعجب من هذا كله زعمه بأن الذي أجاز نكاح المرأة على عمتها أو خالتها بعض المسلمين - وهم في نظره الخوارج والشيعة، والروافض (٢) . فهل هؤلاء مسلمون؟!!

ومن أساء فهم الإمام الشاطبي أيضًا ، وأساء في النقل عنه فضيلة الشيخ عبد الله المشد - رحمه الله - في فتواه المشهورة التي سئل فيها عن حكم من أنكر استقلال السنة بإثبات الإيجاب والتحريم يعد كافرًا أم لا؟ (٣) .

إذ يقول الشيخ مستشهدًا بالإمام الشاطبي: «إن السنة لا تستقل بإثبات الواجب والمحرم، لأن وظيفتها فقط تخصيص عام القرآن، وتقييد مطلقه، وتفسير مجمله، ويجب أن يكون ذلك بالأحاديث المتواترة لا الأحادية .

وقال أيضًا : «وأجاب الشاطبي عما أورده الجمهور عليه من قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٤) بأن المراد من وجوب طاعة الرسول، إنما هو في تخصيصه للعام، وتقييده للمطلق، وتفسيره للمجمل، وذلك بالحديث المتواتر (٥) . وليت شعري من يجرؤ على القول بأن بيان السنة للقرآن أو استقلالها بإثبات الواجب والمحرم، يجب أن يكون بالسنة المتواترة؟

فإذا كان هذا الكلام من زيادات الشيخ على كلام الإمام الشاطبي فأين دليله على ما زعمه؟!!

وإذا كان هذا من كلام الإمام الشاطبي كما يوهمه كلام الشيخ ، فغير صحيح،

---

(١) سيأتي تضعيفه بلا حجة لحديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه .

(٢) صرح بذلك في هامش كتابه مفتاح السنة ص ٧ . انظر : نيل الأوطار للشوكاني ١/ ١٤٨ ، نقل عن القرطبي إجماع المسلمين على التحريم ، واستثنى الخوارج . قال : ولا يعتد بخلافهم لأنهم مرقوا من الدين .

(٣) نقل هذه الفتوى بنصها فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - في كتابه تراثنا الفكري ص ١٧٦ وما بعدها، ونقلها أيضًا أحمد صبحي منصور من الكتاب السابق في كتابه حد الردة ، ونقلها مختومة بتوقيع الشيخ المشد - رحمه الله - في كتابه لماذا القرآن؟

(٤) جزء من الآية ٥٩ من سورة النساء .

(٥) تراثنا الفكري للشيخ محمد الغزالي ص ١٧٨ .

لأن الشاطبي في كلامه عن بيان السنة للقرآن الكريم في أكثر من موضع في كتابه «الموافقات» لم يشترط هذا الشرط لا صراحة ولا إشارة<sup>(١)</sup> .

ويشهد لصحة ما أقول أن الإمام الشاطبي - رحمه الله - في كل مواضع كلامه عن بيان السنة للقرآن استشهد بأحاديث كثيرة كلها آحاد. بما في ذلك الموضع الذي تكلم فيه عن استقلال السنة بتشريع أحكام زائدة عما في القرآن ، من تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها ، وتحريم كل ذي ناب من السباع ، والحرم الأهلية، ونكاح المتعة، وإيجابه حد الردة، والرجم ، وحد شرب الخمر، وغير ذلك الكثير مما ثبت بالسنة إيجاباً وتحريماً، وكانت السنة في كل ذلك آحاداً<sup>(٢)</sup>، ولم يشترط التواتر ، ولا حتى نسب هذا الشرط إلى أحد ممن يعتد به، فلا أدري من أين جاء الشيخ المشد بها الشرط!!؟

كيف والإمام الشاطبي هو القائل: «وأخبار الآحاد هي عمدة الشريعة، وهي أكثر الأدلة»<sup>(٣)</sup> .

وفي كتابه الاعتصام يقول رداً على من طعن في أخبار الآحاد، لأنها تفيد الظن قال: «فعلى كل تقدير: خبر الواحد صح سنده، فلا بد من استناده إلى أصل في الشريعة قطعي، فيجب قوله، ومن هنا قبلناه مطلقاً»<sup>(٤)</sup> .

ويقول في كتابه الموافقات : «الظني الراجع إلى أصل قطعي إعماله أيضاً ظاهر، وعليه عامة أخبار الآحاد ، فإنها بيان للكتاب»<sup>(٥)</sup> أ. هـ .

ولو لم يكن إلا هذا لكفى في الرد على ما نسبته الشيخ المشد إلى الإمام الشاطبي، أو اشترطه هو بغير بينة .

ولكن كيف: والإمام الشاطبي في كل مواضع كلامه عن بيان السنة للقرآن، يحتج بأحاديث آحاد على إثباتها للواجب والمحرم، ويكفي أن تنظر لصحة ما أقول : المسائل

(١) انظر: الموافقات ٣/ ٢٧٤، ٣٠٠، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٨٢، ٣٨٩، ٤/ ٣٩٦، ٤٠٦ .

(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٢٢، ٤٣٢ وما بعدها .

(٣) الموافقات ٣/ ٨٢ مسألة قلة التشابه .

(٤) الاعتصام ١/ ١٩٠، وسيأتي كلامه مفصلاً في الرد على شبه منكري حجية خبر الآحاد انظر: ٢/ ٢٩ .

(٥) الموافقات ٣/ ١٤ .

الآتية في كتابه الموافقات : «من مقاصد الشريعة، عدم التسوية بين المندوب، والواجب»، و«البيان والإجمال في المباح والمكروه والمندوب»، و«البيان والإجمال في المكروه والحرام»<sup>(١)</sup>.

وأعجب مما سبق تضعيف الشيخ المشد لحديث المقدام بن معد يكرب رحمته الله، ونسبته هذا التضعيف إلى الإمام الشاطبي وهو من هذا التضعيف برئ .

يقول الشيخ المشد «وقد رد الشاطبي<sup>(٢)</sup> على ما استدل به الجمهور مما روى عن النبي ﷺ قوله : «يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ﷻ ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله ﷻ » بأن من بين رواة هذا الحديث زيد بن الحباب وهو كثير الخطأ، ولذلك لم يرو عنه الشيخان حديثاً واحداً»<sup>(٣)</sup>.

وسبقه إلى القول بهذا الشيخ محمد عبد العزيز الخول في كتابه (مفتاح السنة)<sup>(٤)</sup> أ. هـ.

والحق أن الحديث صحيح لا مطعن فيه، فقد أخرجه الأئمة أبو داود، والترمذي وقال فيه حسن صحيح، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وحكم بصحته ابن حزم، وغيره من العلماء<sup>(٥)</sup> والحديث في كل الطرق السابقة ليس فيه «زيد بن الحباب» إنما هو في رواية ابن ماجة.

ومع ذلك فقد قال الحافظ ابن حجر في التقریب «زيد بن الحباب» صدوق يخطئ في حديث الثوري<sup>(٦)</sup> ورواية زيد هنا في حديثنا إنما هي من حديث معاوية بن صالح، وليست من حديث سفيان الثوري<sup>(٧)</sup>.

(١) المصدر السابق ٣ / ٢٨٦ - ٣٩٨ .

(٢) انظر : الموافقات ٤ / ٣٩٩ .

(٣) نقلاً عن قرأنا الفكري للشيخ حمد الغزالي ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٤) انظر : مفتاح السنة ص ١٠ .

(٥) راجع : تخريج الحديث ص ٢٢٨ .

(٦) انظر : تقريب التهذيب ١ / ٣٢٧ رقم ٢١٣٠ .

(٧) انظر : سنن ابن ماجة المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ ، والتعليق على من عارضه ١ / ٢٠ رقم ١٢ .

وفي نفس الوقت لم ينفرد ( زيد بن الحباب ) بالرواية عن معاوية بن صالح، فقد أخرجه الحاكم في المستدرک من طريقين عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح، ومن طريق أحمد<sup>(١)</sup> في المسند عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح<sup>(٢)</sup> .

وما نسبته الشيخ المشد من نسبة تضعيف الحديث إلى الإمام الشاطبي يطله قول الإمام الشاطبي: قوله ﷺ : « يوشك الرجل منكم متكئا على أريكته » إلى آخره لا يتبادل ما نحن فيه ( أي مسألة استقلال السنة بتشريع الأحكام ) فإن الحديث إنما جاء فيمن يطرح السنة معتمداً على رأيه في فهم القرآن ، وهذا لم ندعه في مسألتنا هذه، بل هو رأى أولئك الخارجين عن الطريقة المثلى، وقوله ﷺ : « ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله »<sup>(٣)</sup> صحيح أ. ه .

أليس في هذا حكم من الإمام الشاطبي باعتماده صحة الحديث، وأخذه بما حرم رسول الله ﷺ مما هو زائد من الأحكام التي ليست في كتاب الله ﷻ وله حكم ما حرم رب العزة في كتابه العزيز من الحجة، وجوب العمل به، إلا أنه لا يسمى هذا الزائد استقلالاً، وإنما يسميه بياناً، وهو مما لم يستوعبه الشيخ المشد - رحمه الله - حتى ختم فتواه بقوله : « إن الإيجاب والتحريم لا يثبتان، إلا بالدليل اليقيني القطعي الثبوت والدلالة، وهذا بالنسبة للسنة لا يتحقق إلا بالأحاديث المتواترة، وحيث أنها تكاد تكون غير معلومة لعدم اتفاق العلماء عليها فإن السنة لا تستقل بإثبات الإيجاب والتحريم - إلا أن تكون فعلية أو تنضاف إلى القرآن الكريم وعلى هذا فمن أنكر استقلال السنة بإثبات الإيجاب والتحريم، فهو منكر لشئ يختلف فيه الأئمة، ولا يعد مما علم بالضرورة ، فلا يعد كافراً<sup>(٤)</sup> .

وهذه الفتوى تسمح بها دعاة الفتنة وأدعياء العلم، وهو يشككون في حججة السنة

(١) انظر : المسند ٤ / ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) انظر : المستدرک للحاكم كتاب العلم ١ / ١٩١ ، ١٩٢ رقم ٣٧١ .

(٣) الموافقات ٤ / ٤٣٢ ، وانظر : الاعتصام ١ / ٦١ .

(٤) نقلاً عن تراثنا الفكري للشيخ محمد الغزالي ص ١٧٩ . ومما هو جدير بالذكر أنه يلتمس لعلمائنا الأجلاء العذر في عدم إدراك مراد الإمام الشاطبي، لأنه قد عبر عن مذهبه بعبارات موهمة للخلاف الحقيقي مع جمهور العلماء، وأقام الأدلة وطعن في أدلة الجمهور، بدون موجب لذلك كله . أفاده الدكتور عبد الفتى عبد الخالق في كتابه حججة السنة ص ٥٣٧ .

المطهرة ، مثل أحمد صبحي منصور استشهد بها في كتابية «حد الردة»<sup>(١)</sup> ، «ولماذا القرآن»<sup>(٢)</sup> وسعيد العشماوي في كتابيه «الربا والفائدة في الإسلام»<sup>(٣)</sup> ، «وحقيقة الحجاب»<sup>(٤)</sup> ، وجمال البنا في كتابه (كلا لفقهاء التقليد ثم كلا لأدعياء التنوير)<sup>(٥)</sup> .

ومن تغالى في إساءة فهم كلام الإمام الشاطبي واتخذة ستاراً لمذهبه، وهو يشكك في حجية السنة، أحمد حجازي السقا إذ يقول : «اتفقت كلمة علماء المسلمين على أن القرآن مصدر الشريعة، وما عدا القرآن من أقوال النبي ﷺ ، وأفعاله ، وتقريراته ، لم يتفقوا على قبوله كله مصدراً للشريعة كما اتفقوا على قبول القرآن كله . فما كان من أقواله وأفعاله وتقريراته مفسراً ومبيناً وشارحاً وصح سنده . فقد اتفقوا على قبوله مع القرآن . وما كان غير مفسر، ومبين وشارح لم يتفقوا عليه كلهم»<sup>(٦)</sup> .

ولم يبين لنا حقيقة هذا الاختلاف، وقد علمت أنه خلاف لفظي لا ينبغي عليه عمل. ورغم ذلك يضلل أحمد حجازي بقوله عن الأحكام التي استقلت السنة بتأسيسها : «وهذا القسم هو محل النزاع بين العلماء. فمن قائل: إن الأحاديث التي تشرع تشريعات لا ذكر لها في القرآن ترفض، ومن قائل: إنها تقبل»<sup>(٧)</sup> .

وعلى عادته لم يسم لنا من العلماء المعتد بهم الذي قال أن التشريعات التي لا ذكر لها في القرآن ترفض .

ثم يفترى كذبا بنسبة ذلك الرفض ، والخلاف إلى الفقهاء بقوله: «إن الأحاديث المستقلة بتشريع عن القرآن هي محل نظر، وبحث، وأخذ، ورد، بين الفقهاء ، وهي التي ميزت المذاهب الفقهية عن بعضها، ووسعت دائرة الخلاف بين المسلمين، ويجب على علماء المسلمين أن يقبلوا من السنة : ( أ ) النوع المفسر ، ( ب ) النوع الموافق. وذلك لتقليل الخلافات بين المسلمين»<sup>(٨)</sup> .

(١) حد الردة ص ٩٥ - ٩٨ .

(٢) لماذا القرآن ص ١٥٥ - ١٥٧ .

(٣) الربا والفائدة في الإسلام ص ٨ .

(٤) حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص ٩٦ وما بعدها .

(٥) كلاهم كلا ص ٦٨ - ٧١ .

(٦) حقيقة السنة النبوية ص ٧، وانظر : أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو رية ص ٣٩ وما بعدها .

(٧) حقيقة السنة النبوية ص ٩ .

(٨) المصدر السابق ص ١٥ .

ولم يسم لنا من هم المسلمون الذين اختلفوا ؟

ونفس هذا الكذب رده في كتابه (دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي) إذ يقول :  
«إذا كانت الآية القرآنية تدل على حكم . ووجد في الأحاديث :

أ - حديث موافق للآية .

ب - وحديث غير موافق .

ففي هذه الحالة يجب على الفقيه أن يأخذ الموافق للآية . ويترك الحديث غير الموافق للآية، وإن كان صحيح السند من رواية مسلم بن الحجاج (١) .

وهو في كل هذا الذي يزعمه كذباً يتمسح بكلام الإمام الشاطبي في الموافقات،  
موهما بأن الإمام الشاطبي يقول بكذبه (٢) .

### تمسح دعاة الفتنة وأدعياء العلم بإيمانهم بالسنة البيانية وبيان مرادهم وهدفهم من ذلك

التمسح بالإيمان بالنسبة البيانية بالمفهوم الذي قال به أحمد حجازي السقا رده  
دعاة على أبواب جهنم) ممن هم جلدتنا، ويتكلمون بلغتنا ، ويتسبون إلى أمتنا  
الإسلامية . مثل إسماعيل منصور إذ يقول : «إن السنة الحقة هي سنة واحدة، سنة الله  
ﷻ وليست هناك سنة أخرى غيرها، وإنما للرسول ﷺ ، بيان نبوي للقرآن الكريم  
«نرفعه على العين والرأس متى ثبت تحقيقاً ، لا يخالف - بأى حال - أحكام  
ومدلولات القرآن الكريم» (٣) فنقبله كبيان فحسب وليس تشريعاً مستقلاً» (٤) .

ثم يصف قيمة السنة البيانية بقوله: «إنها للاستئناس لا للاستدلال، وللبيان لا  
للإثبات ، الأمر الذي يجعل الآخذين بها والرافضين لها - أمام الشرع - على حد سواء.  
فلا إلزام لأي طرف منهما على قبول رأي الآخر، بها فعله مقبول ، والرافض لها فعله

(١) دفع الشبهات ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) انظر: حقيقة السنة ص ١٠ ، ودفع الشبهات ص ٦٠ هامش .

(٣) بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين ص ٢١ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٤ ، وانظر: مجلة المنار المجلد ٩ / ٩٠٨ ، ٩٢٤ مقال الدكتور توفيق صدقي (الإسلام هو القرآن وحده) .

مقبول كذلك»<sup>(١)</sup> .

ويقول الرافضي صالح الورداني: «القرآن هو المصدر الوحيد الذي نتمسك به بين أيدينا وليس محل خلاف، وما دونه من المصادر هي محل خلاف بين المسلمين، وعلى رأسها مصدر السنة أو الأحاديث، وحيث إن السنة هي تبين للقرآن فإن هذا التبيين إنما يكون في حدود القرآن ولا يتجاوزه، إذا ما تبين لنا أن مهمة الرسول ﷺ هي تبليغ ما يوحى إليه من ربه فلا يجوز للرسول أن يضيف أحكاماً فوق أحكام القرآن، فمهمته تنحصر في تبليغ القرآن، وتبيينه للناس، وتنتهي هذه المهمة بوفاته»<sup>(٢)</sup> .

ويقول أيضاً: «إن الرسول إنما كان يدعو دائماً إلى التمسك بهدى القرآن وحكمه، لا يهديه وحكمه هو . فهو وظيفته التبيين والتبليغ فقط»<sup>(٣)</sup> . ثم أخذ يحدد ما استقلت بتأسيسه السنة من أحكام .

مثل تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وحد الردة، ونكاح المتعة، وغير ذلك الكثير مما استقلت به السنة<sup>(٤)</sup> .

وللمنكرين حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام نقول لهم ما قاله العلامة الشوكاني: «إن ثبوت حجية السنة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في دين الإسلام»<sup>(٥)</sup> .

### نماذج من الأحاديث التي استقلت السنة النبوية بتشريعها

أسهب الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في أعلام الموقعين، في ذكر الأحكام المستقلة الثبوت بالسنة<sup>(٦)</sup>، وقال: «أحكام السنة التي ليست في القرآن إن لم تكن أكثر منها، لم تنقص عنها، فلو ساغ لنا رد كل سنة زائدة كانت على نص القرآن لبطلت سنن رسول الله ﷺ كلها إلا سنة دل عليها القرآن، وهذا الذي أخبر النبي ﷺ بأنه سيقع ولا بد من وقوع خبره»<sup>(٧)</sup> .

(١) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٦٦٣ .

(٢) الخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص ٤٠، ٤١ بتصرف، وانظر: له أيضاً أهل السنة شعب الله المختار ص ٨٠، ٧٩ .

(٣) دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ١٢٩ .

(٤) انظر: المصادر السابقة في نفس الأماكن .

(٥) إرشاد الفحول ١ / ١٥٨ .

(٦) انظر: أعلام الموقعين ٢ / ٢٨٧ - ٢٩٠ .

(٧) انظر: المصدر السابق ٢ / ٢٩٠ .

ومن أمثلة ما استقلت السنة المطهرة بتشريعه، وأنكره أعداء الإسلام، والسنة المطهرة:

١- تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها<sup>(١)</sup>، وتحريم الخمر الأهلية<sup>(٢)</sup> وكل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير<sup>(٣)</sup>، وأنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب<sup>(٤)</sup> وأنه لا يقتل مسلم بكافر<sup>(٥)</sup>. وحد شارب الخمر<sup>(٦)</sup>، وحد الرجم<sup>(٧)</sup>، وحد الردة<sup>(٨)</sup>، والنهي عن زواج المتعة<sup>(٩)</sup>. وغير ذلك الكثير والكثير، مما استقلت السنة المطهرة بتشريعه، وجاء متواتراً<sup>(١٠)</sup>.

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٣. وانظر: نيل الأوطار ٦/ ١٤٦، وسبل السلام ٣/ ٩٩٨ ومنزلة السنة من الكتاب ص ٣٠٤، ومن التوجيهات النبوية للأسرة لفضيلة الأستاذ الدكتور سعيد صوابي ص ١٠ - ٥٤.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٥١. وانظر: نيل الأوطار ٨/ ١١٣، وسبل السلام ١/ ٤٩، ٣/ ١٠٠٢، ٤/ ١٣٨٧.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٥١. وانظر: نيل الأوطار ٨/ ١١٥، وسبل السلام ٤/ ١٣٨٥، ١٣٨٦.

(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب النكاح، باب (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) ٩/ ٤٣ رقم ٥١٠٠، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الرضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة ٥/ ٢٧٨ رقم ١٤٤٧ من حديث ابن عباس - رضی الله عنهما - وانظر: نيل الأوطار ٦/ ٣١٧، وسبل السلام ٣/ ١١٥١، والموافقات ٤/ ٤٢٣، ومنزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ٢٩٥ - ٢٩٧.

(٥) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجهاد، باب فكاك الأسيرة وغيره ٦/ ١٩٣، رقم ٣٠٤٧ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وانظر: نيل الأوطار ٧/ ٨، وسبل السلام ٣/ ١٨٨.

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في سننه كتاب الخمر، باب ما جاء من شرب الخمر فاجلدوه ومن عاد في الرابعة فاقتلوه ٤/ ٣٩ رقم ١٤٤٤ من حديث معوية وجابر - رضی الله عنهما - وانظر: نيل الأوطار ٧/ ١٣٨، وسبل السلام ٤/ ١٣١١ وما بعدها، ومنزلة السنة من الكتاب ص ٢٨٦.

(٧) الحديث سبق تخريجه ص ٢٢٨. وسيأتي دفاع الشاطبي عن المنكرين للحد قريبا، وانظر: نيل الأوطار ٧/ ٨٦، وسبل السلام ٤/ ١٢٦٧ وما بعدها، ومنزلة السنة من الكتاب ص ٢٧٣ وما بعدها.

(٨) الحديث أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله ٦/ ١٧٣ رقم ٣٠١٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنه، نيل الأوطار ٧/ ١٩٠. ومنزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ٢٨٩ وما بعدها.

(٩) ففي الحديث عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى، عن نكاح المتعة، يوم خيبر، وعن لحوم الخمر الأهلية» أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧/ ٥٤٩ رقم ٤٢١٦. ومسلم (بشرح النووي) كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيع ثم نسخ ثم أبيع ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ٥/ ١٩٨، ١٩٩ رقم ١٤٠٧، وانظر: نيل الأوطار ٦/ ١٣٣، وسبل السلام ٣/ ١٠٠١، والموافقات ٣/ ٩٦.

(١٠) انظر: في تواتر الأحاديث السابقة، نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، وأحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع في نظم المتناثر لعبد العزيز الغماوي، ضمن مجموعة الحديث الصديقية.

## ماذا قال الإمام الشاطبي في الأحكام

### التي استقلت السنة بتأسيسها؟

أحب هنا أن نذكر كلام الإمام الشاطبي في بعض الأحاديث السابقة، وكيف أقر بتأسيس السنة أحكاماً زائدة على ما في القرآن الكريم، ولكنه لم يسم ذلك استقلالاً كما سماه الجمهور، وإنما سماه بياناً، وأدخله تحت قواعد القرآن الكريم وأقر بحجته، ووجوب العمل به، وهو ما نازع فيه من استشهد بكلامه. مما يؤكد ما سبق أن ذكرناه أن بعض علمائنا الأجلاء أساء فهم كلام الإمام الشاطبي، كما اتخذ بعض أعداء السنة المطهرة كلامه ستاراً للتشكيك في حجية السنة، ومكانتها التشريعية.

يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - : «إن الله تعالى حرم الجمع بين الأم وابنتها في النكاح، وبين الأختين، وجاء في القرآن : ﴿وَأَحِلُّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾<sup>(١)</sup> فجاء نهيهِ ﷺ عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من باب القياس، لأن المعنى الذي لأجله ذج الجمع بين أولئك موجود هنا : وقد روى في هذا الحديث : «فإنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم» والتعليل بشعر بوجه القياس»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً في كتابه الاعتصام باب بيان معنى الصراط المستقيم الذي انخرفت عنه سبل أهل الابتداع فضلت عن الهدى بعد البيان. قولهم<sup>(٣)</sup> : «إن الحديث جاء بأن المرأة لانكح على عمتها، ولا على خالتها، وأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، والله تعالى لما ذكر المحرمات لم يذكر من الرضاع إلا الأم والأخت، ومن الجمع إلا الجمع بين الأختين، وقال بعد ذلك ﴿وَأَحِلُّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾<sup>(٤)</sup> فافتضى أن المرأة تنكح على عمتها وعلى خالتها، وإن كان رضاع سوى الأم والأخت حلالاً.

وهذه الأشياء من باب تخصيص العموم لا تعارض فيه على كل حال»<sup>(٥)</sup>.

فتأما كيف سمي ذلك الحكم الزائد في السنة تخصيصاً لعموم القرآن الكريم، ولم يسمه استقلالاً كما سماه جمهور العلماء؛ فكان الخلاف لفظياً.

(١) جزء من الآية ٢٤ من سورة النساء.

(٢) الموافقات ٤ / ٤٢٢ وما بعدها، وانظر: نيل الأوطار ٦ / ١٤٨.

(٣) يحكي الإمام هذا الكلام عن أهل الابتداع قديماً، وتابعهم حديثاً أحمد حجازي السقا في كتابه حقيقة السنة النبوية ص ٩، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ٧، ٦٠، ١٩٨، والسنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص ٢٥٤، والخدعة لصالح الورداني ص ٤١، وانظر له أيضاً أهل السنة شعب الله المختار ص ٨٠، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ١٣٠، ١٣١، ولماذا القرآن لأحمد صبحي منصور ص ٦٢-٦٦، ودين السلطان لنيازي عز الدين ص ٩٠٨ وما بعدها.

(٤) جزء من الآية ٢٤ من سورة النساء.

(٥) الاعتصام ٢ / ٥٦٠، وفي كتابه الموافقات قال : «أن ما يحرم من الرضاع يحرم من النسب» بيان نبوي ملحق بقوله تعالى : ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ﴾ جزء من الآية ٢٣ من سورة النساء فألحق بهاتين سائر القربات من الرضاغة التي يحرم من النسب كالعمه، أو الخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت، وأشبهاء ذلك.

أ. هـ انظر: الموافقات ٤ / ٤٢٤.

وانظر كيف أخذ بهذا الحكم الزائد، ولم يأخذ به من استشهد بكلامه موهماً أنه لا يأخذ به، فأساء في فهم كلام الإمام، وأساء في النقل عنه كما مر .  
وعن الأحكام الزائد في السنة المطهرة، مثل تحريم الحمر الأهلية، وكل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطير .

قال عن الأحكام السابقة : "إن الله تعالى أحل الطيبات وحرم الخبائث، وبقي بين هذين الأصلين أشياء يمكن لحاقها بأحدهما، فين (١) ﷺ، في ذلك ما اتضح به الأمر، فنهى عن أكل كل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطير، ونهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية، وقال إنها رجس (٢) : وسئل ابن عمر عن القنفذ فتلا قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ (٣) فقال له شيخ عنده سمعت أبا هريرة : يقول ذكر عند النبي ﷺ : فقال : "خبثة من الخبائث" فقال ابن عمر : إن كان قال رسول الله ﷺ هذا فهو كما قال ما لم ندر (٤) .

وعن حديث على بن أبي طالب مرفوعاً "لا يقتل مسلم بكافر" يقول الإمام الشاطبي : "وأما أن لا يقتل مسلم بكافر" فقد انتزعها العلماء من الكتاب، كقوله تعالى : ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (٥) ... ويمكن أن يؤخذ حكم المسألة مأخذ القياس، لأن الله تعالى قال : ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ (٦) فلم يقده من الحر للعبد، والعبودية من آثار الكفر فأولى أن لا يُقَادَ من المسلم للكافر (٧) .

(١) انظر : كيف آمن بهذا الحكم الزائد بياناً وأنكره المبتدعة . أمثال جمال البنا في السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٢٥٤ ، وأحمد حجازي السقا في دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ٧ ، ٦١ ، ١٩٨ ، وحقيقية السنة النبوية ص ٩ ، ونبازي عز الدين في دين السلطان ص ٩٠٥ وما بعدها .

(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧ / ٥٣٤ رقم ٤١٩٨ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) الآية ١٤٥ من سورة الأنعام .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأطعمة، باب في أكل حشرات الأرض ٣ / ٣٥٤ رقم ٣٧٩٩ ، وانظر : الموافقات ٤ / ٤١٤ - ٤١٥ ، ونيل الأوطار ٨ / ١١٧ ، وسبل السلام ٤ / ١٣٩٣ .

(٥) الآية ١٤١ من سورة النساء .

(٦) جزء من الآية ١٧٨ من سورة البقرة .

(٧) الموافقات ٤ / ٤٣٢ ، وانظر : فرائح الرحموت ١ / ٢٩٨ ، والتقريب والتحجير ١ / ٢٣٢ ، ونيل الأوطار ٧ / ٨ ، وسبل السلام ٣ / ١١٨٨ ، وقال الإمام الزركشي : "إن حديث عدم قتل المسلم بالذمي متواتر عند الشافعية دون الحنفية" وما تواتر عند الكافة، وعند أهل الصناعة، منكروه معاند كافر كمنكر القرآن" انظر : البحر المحيط في أصول الفقه ٤ / ٢٤٧ .

فانظر كيف أخذ بالسنة الزائدة على أنها بيانية على قاعدته ومصطلحه .  
ورغم ذلك وجد من يطعن فى الحديث<sup>(١)</sup> بحجة مخالفته للقرآن : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ  
فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾<sup>(٢)</sup> .

ويقول الإمام الشاطبى فى حد الرجم : "قولهم<sup>(٣)</sup> : هذا مخالف لكتاب الله ﷻ ،  
لأنه قضى بالرجم والتغريب ، وليس للرجم ولا للتغريب فى كتاب الله ذكر ، فإن كان  
الحديث باطلاً فهو ما أردنا ، وإن كان حقاً فقد ناقض كتاب الله بزيادة الرجم  
والتغريب .

يقول الإمام الشاطبى رداً على دعوى المخالفة : فهذا اتباع للمتشابه ، لأن الكتاب  
فى كلام العرب ، وفى الشرع يتصرف على وجوه منها الحكم ، والفرض كقوله تعالى :  
﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى :  
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾<sup>(٦)</sup> ، فكان المعنى : لأقضي بينكما بكتاب الله ،  
أى بحكم الله الذى شرع لنا ، ولا يلزم أن يوجد هذا الحكم فى القرآن ، كما أن  
الكتاب يطلق على القرآن ، فتخصيصهم الكتاب بأحد المحامل ، من غير دليل اتباع لما  
تشابه من الأدلة"<sup>(٧)</sup> .

ثم قال الإمام الشاطبى : "وقول من زعم<sup>(٨)</sup> أن قوله تعالى فى الإماماء : ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ

(١) انظر : البيان بالقرآن لمصطفى المهدوى ١ / ٤٣٢ ، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالى لأحمد حجازى السقا  
ص ١٥١ وما بعدها .

(٢) جزء من الآية ٤٥ من سورة المائدة .

(٣) يحكى الإمام هذا الكلام عن أهل الابتداع قديماً ، وحديثاً تابعهم رشاد خليفة فى "القرآن والحديث والإسلام"  
ص ٣٩ . وأحمد حجازى السقا فى دفع الشبهات عن الشيخ الغزالى ص ١٠٨ ، وغيرهم ممن سيأتى ذكرهم  
قريباً .

(٤) جزء من الآية ٢٤ من سورة النساء .

(٥) جزء من الآية ١٨٣ من سورة البقرة .

(٦) جزء من الآية ٧٧ من سورة النساء .

(٧) الاعتصام ١ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢ / ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ومزيد من الرد انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص  
٨٨ ، ١٧٧ ، ومع الشيعة الاثنى عشرية فى الأصول والفروع للدكتور على السالوس ١ / ٩٦ ، ١١٥ ، وضلالات  
منكرى السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حيشى ص ٢٩٥ وما بعدها ، والسنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولى  
ص ٢٣ وما بعدها .

(٨) حكاية منه عن أهل الابتداع قديماً ، وتابعهم حديثاً . توفيق صدقى فى مقاله "الإسلام هو القرآن وحده" ،  
انظر : مجلة المنار المجلد ٩ / ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، وأحمد حجازى السقا فى كتابيه إعجاز القرآن ص ٧٩ ، ودفع الشبهات  
ص ١٠٨ ، والسيد صالح أبو بكر فى الأضواء القرآنية ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، ومصطفى المهدوى فى البيان بالقرآن ١ /  
٣٣٤ ، ٣٥٦ ، ونيازى عز الدين فى دين السلطان ص ٩٤٨ وما بعدها ، وأحمد صبحى منصور فى لماذا القرآن  
ص ١١٢ وغيرهم .

بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ»<sup>(١)</sup> لا يعقل مع ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ رجم، ورجمت الأمة بعده؛ لأنه يقتضى أن الرجم ينتصف، وهذا غير معقول، فكيف يكون نصفه على الإمام؟

هذا ذهباً منهم إلى أن المحصنات هن ذوات الأزواج، وليس كذلك، بل المحصنات هنا المراد بهن الحرائر، بدليل قوله أول الآية : «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ»<sup>(٢)</sup> وليس المراد هنا إلا الحرائر؛ لأن ذوات الأزواج لا تنكح<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

وبعد

إن الأحكام التي انفردت بها السنة كثيرة. وكلها تعطى الدليل الأكيد على أن السنة لها صلاحية تأسيس الأحكام على سبيل الاستقلال - فهي في ذلك مثل القرآن الكريم، وما شرعته السنة حجة يجب العمل به مثل القرآن الكريم تماماً، وعلى هذا انعقد إجماع من يعتد به من علماء الأمة قديماً وحديثاً.

والذى يقبل عن رسول الله ﷺ فإنما يقبل أيضاً عن الله تعالى لأن الله تعالى؛ هو الذى أوجب طاعة رسوله ﷺ حيث قال سبحانه : «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»<sup>(٤)</sup>.

يقول الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعى - فى كتابه الرائع «الرسالة» بأسلوبه الفصيح البليغ : "وما سن رسول الله فيما ليس لله فيه حكم : فبحكم الله سنه. وكذلك أخرنا الله فى قوله : «وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»<sup>(٥)</sup> صِرَاطِ اللَّهِ»<sup>(٥)</sup> وقد سن رسول الله مع كتاب الله، وسن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب، وكل ما سن فقد ألزمتنا اتباعه"<sup>(٦)</sup>، والانتهاى إلى حكمه. فمن قبل عن رسول الله فيفرض الله قبل"<sup>(٧)</sup> أ.هـ.

(١) جزء من الآية ٢٥ من سورة النساء.

(٢) الآية ٢٥ من سورة النساء.

(٣) الاعتصام ٢ / ٥٠٩، ٥٦٠، وانظر : نظرة القرآن إلى الجريمة والعقاب للدكتور محمد عبد المنعم القيى، وعقوبة الحد فى ضوء القرآن الكريم وأثرها فى إصلاح المجتمع للدكتور محمد زواوى عبد الله، ومنهاج السنة فى الحنود وأثره فى صلاح المجتمع للدكتور عبد المنعم عطية.

(٤) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٥) جزء من الآيتين ٥٢، ٥٣ من سورة الشورى.

(٦) الرسالة للشافعى ص ٨٨ فقرات رقم ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤.

(٧) المصدر السابق ص ٢٢ فقرة رقم ٥٨.

## مضار إنكار السنة النبوية

إن الاعتداء على السنة النبوية بإنكارها والتشكيك في حجيتها يفتح أبواب شر تقوض بنيان الإسلام وذلك لما يلي :

**أولاً :** أن الأحكام الشرعية العلمية الأصولية "العقائد" يتوقف بانيانها وتفصيلها على السنة النبوية بعدد، ومع القرآن الكريم، فإنكار السنة النبوية يهدد العقائد بالبر والإيهام، فيمس ما يتعلق بالإلهيات، والنبوات، والسمعيات، وما سوى ذلك من مسائل العقائد...، فهل يقام دين على عقائد مبتورة مبهمة؟

**ثانياً :** القضاء على أصول الأحكام الشرعية العملية "أصول الفقه الإسلامي" لأن هذا العلم يتصدى للأدلة التي تبنى عليها الأحكام، وقد أجمع الأصوليون على أن السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وعلى هذا فإنكار السنة النبوية يجعل الفقه الإسلامي في مهب الرياح لعدم ارتكازه على أدلة ولافتقاره إلى أسس.

**ثالثاً :** تحطيم فقه الفروع (المذهبي والمقارن)؛ لأن جل المسائل الفقهية والوقائع تستند إلى السنة النبوية إما بالبيان والإيضاح كمواقيت وأعداد وهيآت الصلوات المفروضة. وإما بالاستقلال مثل كفارة من أفسد صوم رمضان، وعقوبتي شارب المسكر والمترد، وأسس الجهاد، والآداب والسلوكيات وفضائل الأعمال وغير ذلك مما سبق ذكره.

**رابعاً :** تشويه علوم القرآن الكريم لاستنادها في كثير من قضاياها على السنة النبوية، وتهديد علم التفسير لارتكازه في جل ما يعرض له على السنة النبوية وهكذا : بإنكار السنة النبوية تسمى الأمة بغير تشريع واضح المعالم قوى الدلالة، فقد تعرض أصول التشريع، وفروعه للاهتراء وللإجتراء.

إن إنكار السنة النبوية يمهّد السبل للتشكيك في القرآن نفسه، وتعطيل الآيات التي تحث وتحض على اتباع رسول الله ﷺ واتخاذة قدوة وتحكيمه والرضا بحكمه وإيثار طاعته على ما سواه<sup>(١)</sup>.

إن الطعن في السنة النبوية هدم للإسلام في عقائده، وعباداته، ونظمه، وأخلاقه، وهدم لوحده وسبب في تخلف المسلمين عن ركب الحضارة "، يقول الأستاذ محمد أسد : "لقد كانت السنة مفتاحاً لفهم النهضة الإسلامية منذ

(١) السنة النبوية للدكتور أحمد محمود كريمة ص ٢٧، ٢٨ .

أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فلماذا لا تكون مفتاحاً لفهم انحلالنا الحاضر؟ إن العمل بسنة رسول الله ﷺ هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام<sup>(١)</sup>، وهذا ما يخطط له أعداء الإسلام سواء الظاهرون العدوة له المتظاهرون عليه أو اللابسون عباءته بهتاناً وزوراً! أ.هـ.

### حكم منكر السنة النبوية

يقول الإمام محمد بن الحسين الآجري<sup>(٢)</sup> في كتابه الشريعة : "جميع فرائض الله ﷻ التي فرضها الله جل وعلا في كتابه، لا يعلم الحكم فيها، إلا بسنن رسول الله ﷺ هذا قول علماء المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام، ودخل في ملة الملحدين"<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام ابن حزم : "ولو أن امرءاً قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر؛ لأن ذلك هو : أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حد للأكثر في ذلك. وقائل هذا أو نحوه كافر مشرك، حلال الدم والمال، وإنما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة ممن قد اجتمعت الأمة على كفرهم"<sup>(٤)</sup>.

وقال الحافظ السيوطي : "فاعلموا رحمكم الله أن من ينكر كون حديث رسول الله ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء من فرق الكفرة"<sup>(٥)</sup> أ.هـ.

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

(١) الإسلام على مفترق الطرق للأستاذ محمد أسد ص ٨٧ .

(٢) الآجري هو : الإمام، الحافظ، المحدث، القنوة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، صاحب الشريعة - في السنة - و"الأربعين" كان عالماً عاملاً صاحب سنة ديناً نقة. مات سنة ٣٦٠ هـ. له ترجمة في : طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٧٩ رقم ٨٥٦، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٣٦ رقم ٨٨٨، والبداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٨٨، والعرق ٢/ ٣١٨، ووفيات الأعيان ١/ ٤٨٨، والفهرست ص ٣٦٠ .

(٣) الشريعة ص ٥٠ .

(٤) الأحكام في أصول الأحكام ٢/ ٢١٤ بتصرف يسير .

(٥) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ١٤، ورغم كل هذه الأقوال وغيرها كثير ترى أحمد حجازي السقا في كتابه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي يذهب إلى أن إنكار الأحاديث كلها لا يكفر" انظر : دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ٧٧، والاستزادة في حكم منكر السنة انظر : جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/ ٣٣، والسنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ١٤٩ - ١٥١، وحجية السنة للدكتور عبد الغني ص ٢٥٢ - ٢٥٥، والسنة النبوية للدكتور أحمد كريمة ص ٧٩ .

# فهرسُ الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء .....
٧	تقديم .....
٩	المقدمة .....
١٣	أسباب اختيار الموضوع .....
١٤	خطة البحث .....
١٧	منهجى فى البحث .....
٢١	تمهيد، وفيه خمسة مباحث : .....
	المبحث الأول : كلمة فى الاصطلاح ، معرفة الفوارق
٢٣	بين المعانى فى اللغة والمعانى الاصطلاحية .....
	تركيز أعداء السنة فى تعريفهم بالسنة على
٢٤	معانيها اللغوية .....
٣١	المبحث الثانى : التعريف بالسنة فى مصطلح علمائها .....
٣٣	المطلب الأول : التعريف "بالسنة" و"الحديث" فى اللغة ...
	المطلب الثانى : التعريف "بالسنة" و"الحديث" فى
٤١	الاصطلاح .....
٤٢	السنة النبوية وعمل الصحابة .....
٥٠	المطلب الثالث : شبهة حول التسمية والرد عليها .....
	المبحث الثالث : الحديث النبوى بالسند المتصل من خصائص الأمة
٥٤	الإسلامية .....
٥٦	المبحث الرابع : الحديث النبوى تاريخ الإسلام .....
٥٧	المبحث الخامس : دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم .....
	<b>الباب الأول</b>
	<b>التعريف بأعداء السنة النبوية</b>
	<b>ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول</b>
٦٣	تمهيد وفيه التعريف بأعداء لغة وشرعاً .....

الفصل الأول : أعداء السنة من أهل الأهواء والبدع قديماً (الخوارج،	
الشيعة، المعتزلة) .....	٦٧
تمهيد وفيه بيان المراد بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع .....	٦٩
المبحث الأول : أهمية دراسة الفرق في التأريخ للسنة المطهرة .....	٧٢
المبحث الثاني : التعريف بالخوارج وموقفهم من السنة المطهرة .....	٧٥
الخوارج وهل كان فيهم أحد من الصحابة أو أصحابهم .....	٧٥
مصادر الخوارج في العقائد والأحكام .....	٧٩
وجوه إخراج أصحاب الصحيح للمبتدعة في	
صحابهم .....	٨١
عقيدة الخوارج في الصحابة <small>عليهم السلام</small> وأثر ذلك على السنة	
المطهرة .....	٨٢
هل كان الخوارج يكذبون في الحديث .....	٨٣
المبحث الثالث : التعريف بالشيعة وموقفهم من السنة النبوية .....	٨٧
موقف الشيعة من الصحابة .....	٩٠
موقف الشيعة من الأمة الإسلامية .....	٩٢
أثر موقف الشيعة من الصحابة على القرآن الكريم .....	٩٣
أثر موقف الشيعة من الصحابة على السنة النبوية .....	٩٥
أساليب الشيعة في العبث بالسنة المطهرة .....	٩٨
المبحث الرابع : التعريف بالمعتزلة وموقفهم من السنة النبوية .....	١٠٣
خلاف المعتزلة حول أصولهم .....	١٠٥
شرح أصول المعتزلة الخمسة .....	١٠٦
من فوارق الأصول عند المعتزلة أن سنة رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	
ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى، ولا تحالف ظاهر	
القرآن .....	١١٠
من فوارق الأصول عند المعتزلة، تولى الصحابة،	
والاختلاف في سيدنا عثمان <small>رضي الله عنه</small> بعد الأحداث، والبراءة	
من معاوية وعمرو بن العاص -رضي الله عنهما- .....	١١٠
موقف المعتزلة من السنة المطهرة .....	١١١

١١٢	موقفهم من الخبر المتواتر .....
	المعتزلة أول الفرق التي اشترطت في قبول الأخبار العدد،
١١٢	وتناقضوا في نسبه .....
	الجواب عما نسب إلى بعض أصحاب الحديث من
١١٤	اشتراط العدد في الرواية .....
١١٥	موقفهم من خبر الآحاد .....
١١٦	تناقض المعتزلة في العدد المطلوب لقبول خبر الآحاد .....
١١٧	شروط المعتزلة في الاحتجاج بخبر الواحد .....
١١٨	موقف المعتزلة من الصحابة وأثر ذلك على السنة النبوية .
١٢٥	المبحث الخامس : من الفرق إلى السنة الجامعة .....
١٢٩	الفصل الثاني : أعداء السنة النبوية من المستشرقين .....
١٣١	المبحث الأول : التعريف بالاستشراق لغة واصطلاحاً .....
١٣٣	المبحث الثاني : منهج المستشرقين في دراسة الإسلام .....
١٤٠	المبحث الثالث : المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية .....
١٤٢	المبحث الرابع : موقفنا من الحركة الاستشراقية والمستشرقين .....
	الفصل الثالث : أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع حديثاً،
١٥٣	العلمانية، البهائية، القاديانية .....
	المبحث الأول : التعريف بأعداء السنة من أهل الأهواء والبدع
١٥٥	حديثاً وبيان خطرهم .....
	المبحث الثاني : موقف أهل الأهواء والبدع حديثاً من السنة
١٦١	النبوية .....
١٦٢	المطلب الأول : العلمانيون وموقفهم من السنة النبوية .....
١٦٣	المطلب الثاني : البهائيون وموقفهم من السنة النبوية .....
١٦٨	المطلب الثالث : القاديانيون وموقفهم من السنة النبوية .....
	الفصل الرابع : أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً في الكيد للسنة
١٧٢	النبوية .....

## الباب الثانى

## وسائل أعداء السنة قديماً وحديثاً فى الكيد للسنة النبوية

١٨٥	تمهيد .....
١٨٧	الفصل الأول : شبهات حول حجية السنة النبوية الشريفة .....
١٨٩	المبحث الأول : شبهات بنيت على آيات من القرآن الكريم .....
	المطلب الأول : شبهة الاكتفاء بالقرآن الكريم وعدم الحاجة .....
١٩٠	إلى السنة النبوية والرد عليها .....
	المطلب الثانى : شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله .....
٢٠٣	ب حفظها والرد عليها .....
٢١٧	المبحث الثانى : شبهات بنيت على أحاديث من السنة النبوية .....
٢١٩	تمهيد : .....
	المطلب الأول : شبهة عرض السنة النبوية على القرآن .....
٢٢١	الكريم والرد عليها .....
	المطلب الثانى : شبهة عرض السنة النبوية على العقل والرد .....
٢٤٠	عليها .....
	المطلب الثالث : وفيه الشبه الآتية :
٢٦٥	أولاً : شبهة النهى عن كتابة السنة المطهرة، والرد عليها .....
٢٦٦	استعراض الشبهة وأصحابها والرد عليها بما يلى .....
	نماذج من الأحاديث والآثار الواردة فى النهى عن كتابة .....
٢٧١	السنة المطهرة .....
٢٧٩	درجة الأحاديث الواردة فى النهى عن كتابة السنة .....
	الجواب عن زعم أعداء السنة بأن النهى عن كتابة السنة .....
٢٨٢	يدل على عدم حجيتها .....
	علة النهى عن كتابة السنة كما وردت فى الأحاديث .....
٢٨٨	والآثار التى استشهد بها خصوم السنة على شبهتهم .....
	علة النهى عن كتابة السنة عند أعدائها والرد على .....
	مزاعمهم الآتية :
	١- أن النهى عن كتابة السنة يدل على أن النبى ﷺ

- وأصحابه ﷺ أرادوا ألا يكون مع كتاب الله ﷻ كتاب آخر ..... ٣٠٢
- ٢- الجواب عن شبهة أن النهى عن كتابة السنة يدل علي أن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ أرادوا ألا تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم ..... ٣٠٦
- ٣- استعراض شبهة أن النهى عن الإكثار من التحديث دليل على أن الصحابة ﷺ كانوا يجتهدون في مقابلة السنة الشريفة ولا يأخذون بها والرد عليها ..... ٣١٥
- ٤- الجواب عن شبهة نهى الصحابة عن الإكثار من الرواية، وامتناع بعضهم عن كثرة التحديث دليل على عدم حجية السنة ..... ٣٢٥
- الجواب عن شبهة النهى عن الإكثار من التحديث اتهام من أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- للصحابة بالكذب ..... ٣٤٣
- ثانياً : شبهة التأخر في تدوين السنة النبوية (استعراض الشبهة وأصحابها) والرد عليها ..... ٣٤٦
- الفرق بين الكتابة، والتدوين، والتصنيف ..... ٣٥٠
- نماذج من أشهر ما كتب من السنة النبوية في حياة النبي ﷺ وبعده إلى زمن التدوين الرسمي ..... ٣٥٣
- هم عمر ﷺ بتدوين السنة فيه أبلغ حجة على غلاة الشيعة بأن أهل السنة وفي مقدمتهم أبى بكر وعمر كانوا من أنصار منع تدوين السنة ..... ٣٥٤
- نقد قاعدة شاخت "السكوت عن الحديث في موطن الاحتجاج به دليل على عدم وجوده" ..... ٣٥٩
- الجواب على ما يزعمه بعض غلاة الشيعة بأن لهم فضل السبق في التدوين ..... ٣٦٨
- الجواب على ما يزعمه بعض الرافضة أن أهل السنة وفي مقدمتهم أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- أضاعوا

٣٧٠	سنة نبهم ﷺ .....
٣٧٥	ثالثاً : شبهة رواية الحديث بالمعنى والرد عليها .....
٣٨٥	الاحتجاج بالسنة والاستشهاد بها فى قواعد النحو واللغة .....
٣٩٥	رابعاً : شبهة أن الوضع وكثرة الوضاعين للحديث أضعفت الثقة بالسنة والرد عليها .....
٣٩٥	استعراض الشبهة وأصحابها .....
٣٩٩	الجواب عن الشبهة إجمالاً بتمهيد .....
٤٠٠	التعريف بالحديث الموضوع لغة واصطلاحاً .....
٤٠١	بداية الوضع فى الحديث وبراءة الصحابة ﷺ منه .....
٤٠٢	الجواب عن زعم أعداء السنة أن بداية الوضع كانت زمن النبوة، ووقعت من صحابته الكرام .....
٤٠٤	نماذج من جراءة الصحابة فى حفظ الشريعة .....
٤٠٦	ألفاظ التكذيب على السنة بعض الصحابة تعنى التخطئة والوهم فى الكلام لا حقيقة لفظ الكذب .....
٤٠٩	الرد على زعم أعداء السنة المطهرة بأن لفظة "متعمداً" فى حديث "من كذب على" مختلفة .....
٤١٢	جهود حملة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة المسلمين فى مقاومة حركة الوضع فى السنة النبوية .....
٤٢٤	شبهة أن حملة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم كانوا جنوداً للسلاطين والملوك فى العصر الأموى، والعباسى والرد عليها .....
٤٢٤	استعراض الشبهة وأصحابها .....
٤٢٧	أولاً : الجواب عن الطعن فى صحة إسلام سيدنا معاوية ؓ، وأنه فتح باب الوضع فى السنة النبوية .....
٤٣٢	ثانياً : الجواب عن اتهام رواة السنة بأنهم كانوا كذابين وفقهاء سلطة .....

٤٣٥	..... نماذج لما كان عليه سلفنا الصالح من جراءة في الحق مع خلفائهم وملوكهم وأمرائهم
٤٣٦	..... صلة علماء المسلمين بالملوك والأمراء
٤٣٩	..... ثالثاً : الجواب عن اتهام الملوك والأمراء الأمويين والعباسيين، في دينهم، ودعوى استغلالهم لعلماء المسلمين لوضع ما يثبت ملكهم
٤٣٩	..... حال الملوك والأمراء الأمويين والعباسيين من الدين
٤٤٣	..... رابعاً : الجواب عن طعن أعداء السنة في أحاديث طاعة أولى الأمر، وأحاديث الفتن
٤٤٨	..... المبحث الثالث : أدلة حجية النبوة المطهرة
٤٤٩	..... المطلب الأول : العصمة
٤٥٠	..... دلالة العصمة على حجية القرآن والسنة
٤٥١	..... الوحي قسمان كتاب معجز، وما ليس بكتاب وهو قسمان حديث قدسي، وحديث نبوي
٤٥٢	..... أقسام الوحي بالنسبة للحديث النبوي
٤٥٢	..... القسم الأول : قسم أوحى الله تعالى بمعناه إلى رسول الله ﷺ، وهو الأعم الأغلب من السنة النبوية
٤٥٢	..... القسم الثاني : ما قاله النبي ﷺ باجتهاده وأقره الله ﷻ عليه
٤٥٧	..... اجتهاد النبي ﷺ، وتشكيك بعض دعاة الفتنة وأدعياء العلم، في أن السنة المطهرة كلها وحى
٤٥٩	..... اجتهاد النبي ﷺ، وتقسيم بعض علماء المسلمين السنة إلى سنة تشريعية ملزمة، وسنة غير تشريعية غير ملزمة
٤٦١	..... اجتهاد النبي ﷺ في الشريعة الإسلامية كله وحى من عند الله ﷻ
٤٦٣	..... الجواب على من قسموا السنة إلى تشريع وغير تشريع
٤٦٨	..... نقض دليل تقسيم السنة النبوية إلى سنة تشريعية وغير تشريعية

- المطلب الثاني : من أدلة حجية السنة المطهرة القرآن الكريم ..... ٤٧٣
- المطلب الثالث : من أدلة حجية السنة، السنة النبوية نفسها ..... ٤٧٩
- المطلب الرابع : من أدلة حجية السنة الشريفة، الإجماع ..... ٤٨١
- أعداء الإسلام وطعنهم فى حجية الإجماع الدال على .....  
حجية السنة والرد عليهم ..... ٤٨٣
- المطلب الخامس : من أدلة حجية السنة المطهر العقل والنظر ..... ٤٨٥
- ماذا لو اكتفينا بالاستناد إلى القرآن وحده، ولم نعبأ .....  
بالسنة المطهرة ..... ٤٨٦
- نماذج من المسائل العجيبة التى استنبطها أعداء السنة من .....  
القرآن الكريم بدون رجوعهم إلى بيان النبى ﷺ، .....  
واستعراض بدائلهم عن السنة المطهرة ..... ٤٨٧
- كلمة أخيرة فى بدائل السنة عند أعدائها ..... ٤٩٧
- يا أهل الكتاب، ويا أهل الهوى، تعالوا لننظر ماذا يوجد .....  
فى الحديث، وأى مقدار منه يصلح أن يكون مجالاً .....  
للبحث والمناقشة ..... ٤٩٨
- كلمة أخيرة للمنكرين للسنة النبوية، والقاصرين مهمة .....  
الرسول ﷺ على بلاغ القرآن الكريم فقط ..... ٥٠١
- علاقة القرآن الكريم بالسنة النبوية ..... ٥٠٣
- أنواع بيان السنة المطهرة للقرآن الكريم ..... ٥٠٣
- تأكيد السنة للقرآن الكريم ..... ٥٠٣
- تفصيل المحمل ..... ٥٠٥
- تقييد المطلق ..... ٥٠٦
- تخصيص العام ..... ٥٠٧
- توضيح المشكل ..... ٥٠٨
- أنواع بيان السنة للقرآن الكريم تسمى نسخاً عند .....  
السلف الصالح ..... ٥٠٩
- إنكار أعداء الإسلام للنسخ لأنه بيان للسنة وهم .....  
يجعلونه ..... ٥١٠

- النسخ جائز عقلاً، واقع شرعاً، من غير فرق بين كونه  
 ٥١١ ..... فى الكتاب أو السنة  
 ٥١٢ ..... أهمية علم النسخ والمنسوخ فى الشريعة الإسلامية  
 ٥١٤ ..... بيان رتبة السنة النبوية من القرآن الكريم  
 ٥١٨ ..... استقلال السنة بتشريع الأحكام  
 الإمام الشاطبى ومن أساء فهمه من علماء المسلمين، ومن  
 اتخذ كلامه من أعداء السنة ستاراً للتشكيك فى حجية  
 ٥٢٠ ..... السنة، واستقلالها بتشريع الأحكام  
 تمسح دعاة الفتنة وأدعياء العلم بإيمانهم بالسنة البيانية  
 ٥٢٨ ..... وبيان مرادهم وهدفهم من ذلك  
 ٥٢٩ ..... نماذج من الأحاديث التى استقلت السنة النبوية بتشريعها.  
 ماذا قال الإمام الشاطبى فى الأحكام التى استقلت السنة  
 ٥٣١ ..... بتأسيسها  
 ٥٣٥ ..... مضار إنكار السنة النبوية  
 ٥٣٦ ..... حكم منكر السنة النبوية

# السِّيَرُ النَّبَوِيُّ

فِي كِتَابَاتِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ  
مُنَاقَشَتَهَا وَالرَّدَّ عَلَيْهَا

الجزء الثاني

عَمَادُ السِّيَرِ الشَّرْبِينِي

وَالْمَرْيُومِيُّ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣م - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠١ / ١٤١٨٥

الترقيم الدولي

977-336-052-0

دار اليقين للنشر والتوزيع

الإدارة: المنصورة - ش. عبد السلام عارف

الكرتون الخارجى لسوق الجملة

بجوار مقارن الشريف - ت: ٢٥٥٢٤١

المكتبة: مساكن الشناوي - سور مسجد التوحيد

تلفون: ٢١١٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

## الفصل الثاني

### وسيلتهم في التشكيك في حجية خبر الآحاد

وتحتة تمهيد وأربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالمتواتر، وبيان كثرة وجوده ودرجة ما يفيد من العلم، وحكم العمل به، وحكم جاحده .

المبحث الثاني : التعريف بالآحاد، وبيان درجة ما يفيد من العلم، وحجيته، ووجوب العمل به .

المبحث الثالث : منكروا حجية خبر الواحد قديماً وحديثاً استعراض شبههم والرد عليها .

المبحث الرابع : شروط حجية خبر الواحد، ووجوب العمل به عند المحدثين والرد على شروط المعتزلة ومن قال بقولهم قديماً وحديثاً .

## مَهْيَدٌ

إذا كان الذين ينكرون حجية السنة عامة، قلة قليلة خالفت المسلمين أجمع، وأنكرت ما هو معلوم من الدين بالضرورة - فإن خطورتهم من أجل هذا لم تكن كبيرة، ولم تكن مثل خطورة من أنكروا أخبار الآحاد، فهم أكثر منهم عدداً، ولهم شبههم، التي اتخذوها وسيلة للطعن في حجية السنة عامة، وشبههم في هذه الوسيلة من الممكن أن تنطلي على كثير من الناس لو تركت وشأنها. وقبل أن نتعرض لتفنيد شبهاتهم. نذكر أولاً ما اصطلح عليه جمهور العلماء من تقسيم السنة من حيث السند، وعدد الرواة في كل طبقة إلى متواتر<sup>(١)</sup>، وآحاد<sup>(٢)</sup> معرفين بكل قسم لغة، واصطلاحاً، ودرجة ما يفيد من العلم، وحجيته، ووجوب العمل به.

فإلى بيان ذلك في المباحث التالية :

(١) يطلق عليه الإمام الشافعي (علم العامة) أو (علم الإحاطة) انظر: الرسالة ص ٤٧٨ فقرة رقم ١٣٢٩

(٢) يسميه الشافعي (علم الخاصة) انظر: الرسالة ص ٤٧٨ فقرة رقم ١٣٣٠ .

## المبحث الأول

### التعريف بالمتواتر وبيان كثرة وجوده، ودرجة ما يفيد من العلم، وحكم العمل به، وحكم جاحده

أولاً : التعريف بالمتواتر لغة واصطلاحاً :

المتواتر لغة: مجئ الواحد إثر الواحد بفترة بينهما، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾<sup>(١)</sup>. أى متتابعين رسولاً بعد رسول بينهما فترة. فالمتواترة المتابعة، ولا تكون بين الأشياء إلا إذا وقعت بينها فترة، وإلا فهي مداركة ومواصلة<sup>(٢)</sup>. والخلاصة أن التواتر هو: التسابع مع التراخي، أو بدون التراخي، والأول أقوى.

أما في الاصطلاح : فقد عرفه العلماء قديماً وحديثاً تعريفات كثيرة، ولعل من أجمعها وأمنعها ما عرفه به فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى أمين التازي - رحمه الله - بقوله : "هو ما رواه جمع كثير، يحيل العقل اتفاقهم على الكذب عادة أو صدوره منهم اتفاقاً، عن مثلهم، في كل طبقة من طبقاته، وأن يكون مستند انتهائهم الحس، ويصحب خبرهم إفادة العلم بنفسه لسامعه"<sup>(٣)</sup>.

ثانياً : اختلاف العلماء في وجود المتواتر :

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور (مصطفى التازي) - رحمه الله - : "لا خلاف في أن الأخبار المتواترة تقع كثيراً في حياة دنيا الناس اليومية، ففي كل يوم نسمع عن حادثة تقع في ناحية من النواحي النائية، أو نسمع بتصريح يصدر عن مسئول في بلد من البلاد فتطير به وكالات الأنباء وتذيعه جميع الإذاعات في أنحاء العالم فينتشر الخبر بين الناس ويعلم به القريب والبعيد على سواء، ثم لا يكذب من أحد، فيحصل به العلم الجازم عند سامعيه، بصحة الخبر ونسبته إلى قائله، ولا شك أن هذا من الأخبار المتواترة التي استوفت شروط التواتر، وإنما الخلاف بين العلماء في وجود الخبر المتواتر

(١) الآية ٤٤ من سورة المؤمنون.

(٢) انظر: القاموس المحيط ٢/ ١٥٠، ١٥١، ومختار الصحاح ص ٧٠٧، ٧٠٨، والمصباح المنير ٢/ ٦٤٧.

(٣) مقاصد الحديث في القديم والحديث ٧/ ٢ وانظر : نزهة النظر لابن حجر ص ١٧، والإحكام للآمدى ٢ / ١٤، والبحر المحيط ٤ / ٢٣١، وإرشاد الفحول ١ / ٢٠٠، والإبهاج في شرح المنهاج ٢ / ٢٨٥، والحصول

للازى ٢ / ١٠٨، وانظر: قواعد التحديث للقاسمي ص ١٤٦.

في السنة النبوية، وقد ذهبوا في هذا الخلاف إلى ثلاثة مذاهب :

١- المذهب الأول : وعليه ابن حبان والحازمي وغيرهما أن الحديث المتواتر في السنة المستوفى لشروط التواتر لا وجود له بالمرّة، وإنما الموجود منه هو الحديث الآحاد الذي قد يبلغ درجة الاستفاضة والشهرة<sup>(١)</sup>.

٢- المذهب الثاني : أن الحديث المتواتر في السنة نادر قليل يعز وجوده، وعليه الحافظ أبو عمرو المعروف بابن الصلاح حيث يقول في مقدمته علوم الحديث : "ومن سئل عن إبراز مثال لذلك فيما يروى من الحديث أعياه تطلبه"<sup>(٢)</sup>.

٣- المذهب الثالث : وهو مذهب الجمهور أن الحديث المتواتر في السنة له وجود كثير، وأيد ذلك بأنه يوجد بالفعل أحاديث متواترة كثيرة في كتب الحديث المشهورة، مثل الكتب الستة والمسانيد، وغيرها، وهذه الكتب قد انتشرت واشتهرت بين أهل العلم وقطعوا بصحة نسبتها إلى أصحابها الذين صنّفوها وألفوها، وكثيراً ما تجتمع هذه الكتب، وتتفق على إخراج أحاديث قد تعددت طرقها في كل طبقات رواتها تعدداً يحيل العقل تواطؤهم على الكذب عادة أو صدورهم منهم اتفاقاً، وقد انتهت إلى قول من أقوال الرسول، أو فعل من أفعاله، أو بيان حالة من حالاته.

وقد أفادنا اجتماعها العلم بصحة نسبة هذه الأحاديث إلى قائلها، ولا شك أن ذلك هو الحديث المتواتر المستوفى لشروطه التي سبق ذكرها.

وقد نص على هذا الحافظ ابن حجر فقال في شرحه على نخبة الفكر : "ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجوداً وجود كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفها إذا اجتمعت على إخراج حديث، وقد تعددت طرقه تعدداً يحيل العادة تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط أفاد العلم اليقيني بصحته إلى قائله، ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير"<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

وقد رد الجمهور على أصحاب المذهبين الأولين القائلين بعدم وجود الحديث المتواتر، أو بعزّة وجوده، بأن قولهما إنما نشأ من الآتي :

(١) شروط الأئمة الخمسة للحازمي ص ٣١، ٣٢، ٣٧ .

(٢) علوم الحديث ص ١٦٢ .

(٣) نزهة النظر ص ١٩، وانظر : ترتيب الراوي ٢ / ١٧٨ - ١٧٩، والبحر المحيط ٤ / ٢٤٨، والمدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهيدي عبد القادر ص ٣٣١ .

- ١- عدم معرفة طرق الأحاديث وعدم الوقوف على أحوال روايتها وصفاتهم.
  - ٢- وإما لعدم إطلاعهم عليها.
  - ٣- وإما لعدم استيعابهم ذلك، وقصر باعهم عن الوقوف عليها.
- ولو عرفوا ذلك لعلموا أن هناك أحاديث كثيرة ينطبق عليها شروط التواتر<sup>(١)</sup>.
- ويمكن الجمع بين هذه المذاهب الثلاثة بما يلي :
- أولاً : أن القائلين بعدم وجود الحديث المتواتر إنما أرادوا المبالغة في بيان قلته وندرة وجوده، وبذلك عاد أصحاب المذهب الأول إلى المذهب الثاني.
- ثانياً : يجمع بين المذهب الثاني القائل بعزلة وجود الحديث المتواتر، ومذهب الجمهور القائل بكثرة وجوده، بأن القائلين بعزته إنما أرادوا الأحاديث المتواترة تواتراً لفظياً، وأن القائلين بكثرته إنما أرادوا الأحاديث المتواترة تواتراً معنوياً، وهذا حق؛ لأن المتواتر لفظاً قليل، وأهل الحديث لا يكادون يتفقون إلا على القليل منه، والمتواتر معنى كثير<sup>(٢)</sup> ١٠ هـ.

### ثالثاً : ما يفيد المتواتر من العلم :

قام الإجماع على أن الخبر المتواتر يفيد العلم، وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، لا لاعتقاد المعتقد، وشذ عن الإجماع بعض الفرق؛ مثل البراهمة<sup>(٣)</sup> والسُّمَنِيَّة<sup>(٤)</sup>، والنظام من المعتزلة على ما حكاه عنه البغدادى في أصول الدين<sup>(٥)</sup>.

فزعموا أن الأخبار ليست طريقاً لإفادة العلم، وإنما العلم سبيله؛ إما الحسن، وإما أن

(١) انظر : طعن فضيلة الشيخ شلتوت - رحمه الله - في هذا الرأي تحت عنوان "الإسراف في وصف الأحاديث بالتواتر وأسبابه" الإسلام عقيدة وشريعة ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) وبذلك قال شارح مسلم الثبوت ١ / ١٢٠ وما بعدها، وانظر : مقاصد الحديث في القديم والحديث ٢ / ١٩ - ٢٢، ودراسات أصولية في السنة ص ١٦١، وانظر : أمثلة على الأحاديث المتواترة في الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر للكثاني، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة للسيد عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري، ضمن مجموعة الحديث الصديقية .

(٣) البراهمة: قوم ينكرون الرسالة، ويعبدون الله عبادة مطلقة، لا من حيث إرسال نبي، ولا رسول معين، وينكرون الأنبياء والمرسلين مطلقاً، يزعمون أنهم أولاد إبراهيم عليه السلام، ومنهم جماعة في الهند يعبدون الأوثان. انظر : كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٢١٥، وفواتح الرحموت ٢ / ١١٣ .

(٤) السُّمَنِيَّة: بضم السين وفتح الميم، نسبة إلى "سومان" وهم قوم من عبدة الأصنام، يقولون بالتناسخ، وبأنه لا طريق للعلم سوى الحسن. انظر : كشاف اصطلاحات الفنون ٤ / ٥٢، وكشف الأسرار ٢ / ٢٦٢، وفواتح الرحموت ٢ / ١١٣ . وانظر : في الرد على شبهاتهم فواتح الرحموت ١ / ١١٣، وتوجيه النظر ص ٥٧، ٦٤، ومقاصد الحديث في القديم والحديث ٢ / ٢٤- ٢٨ .

(٥) أصول الدين ص ٢٠ .

يكون من الضروريات، وهو زعم باطل، ورأى فاسد لا يعتد به، قام الدليل على خلافه.

وقد تعرض للرد عليهم الإمام الآمدي في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام" فقال: "اتفق الكل على أن الخير المتواتر يفيد العلم خلافاً للسُّمينة والبراهمة، في قولهم لا علم في غير الضروريات إلا بالحواس دون الأخبار وغيرها. ودليل ذلك ما يجده كل عاقل من نفسه من العلم الضروري بالبلاد النائية، والأمم السالفة، والقرون الخالية، والملوك، والأنبياء، والأئمة، والفضلاء المشهورين والوقائع الجارية بين السلف الماضين، بما يرد علينا من الأخبار حسب وجداننا كالعلم بالحواس عند إدراكنا لها بالحواس. ومن أنكر ذلك فقد سقطت مكالته وظهر جنونه أو مجاحدته" (١).

ويقول الإمام الشوكاني: "واعلم أنه لم يخالف أحد من أهل الإسلام، ولا من العقلاء في أن خير التواتر يفيد العلم الضروري، وما روى من الخلاف في ذلك عن السُّمينة، والبراهمة فهو خلاف باطل، لا يستحق قائله الجواب عليه" (٢).

وهذا ما نقوله لأهل الزيغ والإلحاد المنكرين للمتواتر القولي من السنة النبوية (٣) وجوداً، وحجية، قاصرين دعواهم كذباً ونفاقاً على الإيمان بالسنة العملية المتواترة (٤).

نقول لهم: سقطت مكالتكم وظهر جنونكم ومجاحدتكُم ولا تستحقون الجواب عليكم.

#### رابعاً: حكم العمل بالحديث المتواتر:

الخبر المتواتر عن النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً أو تقريراً يفيد علم اليقين والقطع (٥)، ويجب العمل به بلا خلاف؛ لأنه يفيد القطع بثبوت نسبة الحديث إلى النبي ﷺ من غير

(١) الإحكام للآمدي ١٥/٢، وانظر: مقاصد الحديث للدكتور مصطفى التازي ٢/٢٢.

(٢) إرشاد الفحول ١/٢٠٢.

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ٢/٥٢٠.

(٤) انظر: "مقال الإسلام هو القرآن وحده" للدكتور توفيق صدقي في مجلة المنار المجلد ٩/٥١٧، ٩١٢، ٩٢٤، ومقال النسخ في الشرائع الإلهية المجلد ٩/٦٨٧، ٦٨٨، وأضواء على السنة لمحمود أبو ربة ص ٣٩، ٤٢، والأصلان العظيمان ص ٣٠٣ وما بعدها، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص ١٣٧ كلاهما بحمال البناء. وتبصير الأمة بحقيقة السنة لإسماعيل منصور ص ١٨، وعذاب القبر والثعبان الأقرع لأحمد صبحي ص ٩، ١٦، ١٧، والإمام الشافعي لنصر أبو زيد ص ١٠٧، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص ٢١٠، ٢٣٨ وغيرهم.

(٥) لأن درجة علم المتواتر ضرورية على ما رجحه الحافظ ابن حجر، ورد على من قال بأن درجة العلم نظرية. انظر: نزعة النظر ص ١٧، ١٨.

حاجة إلى البحث عن أحوال الرواة...، ولذلك لم يذكره من المحدثين، في أبحاث علم الحديث دراية إلا القليل كالحاكم، والخطيب في أوائل الكفاية<sup>(١)</sup>، وابن عبر البر<sup>(٢)</sup>، وابن حزم<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الصلاح : إن أهل الحديث لا يذكرونه باسمه الخاص المشعر بمعناه الخاص، وإن كان الخطيب قد ذكره ففي كلامه ما يشعر بأنه اتبع فيه غير أهل الحديث، ولعل ذلك كونه لا تشمله صناعتهم<sup>(٤)</sup>.

يقول فضيلة الدكتور مصطفى التازي : "ووجهتهم في ذلك أن هذا العلم إنما يبحث عن أحوال الراوى والمروى ليعرف المقبول من الحديث فيعمل به، والمردود منه فلا يعمل به، والحديث المتواتر مقبول قطعاً مفيد للعلم يجب الأخذ به بدون توقف<sup>(٥)</sup>، وأجاب من ذكره في أبحاث علم الحديث دراية بأنه ليس مقصوداً بالذات، وإنما ذكر لبيان الحكم عليه بالقبول، ووجوب العمل به<sup>(٦)</sup>، ولا شك أن من أهداف هذا العلم الحكم على الحديث بالقبول أو الرد، ولأن معرفة الحديث الأحاد إنما تكمل بذكر ما يقابله من الحديث المتواتر؛ فيتميز كل منهما عن الآخر، ويعرف حكمه.

#### خامساً : حكم منكر المتواتر :

واعلم أن من أنكر حديثاً متواتراً انعقد الإجماع على تواتره يخرج عن جماعة المسلمين<sup>(٧)</sup>، وإن لم ينعقد الإجماع على تواتره بل وقع الخلاف فيه يكون منكره من الفاسقين<sup>(٨)</sup>.

يقول الحافظ ابن عبد البر : "وأما أصول العلم فالكتاب، والسنة، وتنقسم السنة قسمين : أحدهما : إجماع تنقله الكافة عن الكافة فهذا من الحجج القاطعة للأعذار إذا

(١) الكفاية، باب الكلام في الأخبار وتقسيمها ص ٥٠ .

(٢) جامع بيان العلم ٢ / ٣٣ .

(٣) الإحكام في أصول الأحكام تقسيم الأخبار عن الله تعالى ١ / ١٠٢ .

(٤) علوم الحديث ص ١٦٢، وانظر : فتح المغيب للسخاوي ٣ / ٣٧ .

(٥) مقاصد الحديث في القديم والحديث ٢ / ٢٤، وانظر : نزهة النظر ص ١٥، والمكانة العلمية لعبد الرزاق في الحديث النبوي لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار ١ / ٢٨-٣٣، وانظر : شلوذ الدكتور أحمد حجازي السقا في كتابه "دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي"، وزعمه أنه ليس من إجماع على العمل بالخير المتواتر، دفع الشبهات ص ١١٣ .

(٦) انظر : نزهة النظر ص ١٥، ومقاصد الحديث في القديم والحديث ٢ / ٢٤ .

(٧) انظر : البحر المحيط للزركشي ٤ / ٢٤٧، وأصول السرخسي ١ / ٢٨٣، والمنهج الإسلامي في الجرح والتعديل للدكتور فاروق حمادة ص ٣٦٢، وخير الواحد في السنة للدكتورة سهير رشاد ص ١٥ .

(٨) مقاصد الحديث في القديم والحديث للدكتور مصطفى التازي ٢ / ٢٣، ٢٤ .

لم يوجد هناك خلاف، ومن رد إجماعهم فقد رد نصاً من نصوص الله، يجب استتابته عليه، وإراقة دمه إن لم يتب، لخروجه عما أجمع عليه المسلمون، وسلوكه غير سبيل جميعهم<sup>(١)</sup> أ.هـ.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٣٣، ٣٤ .

## المبحث الثاني التعريف بالآحاد وبيان درجة ما يفيد من العلم، وحجيته ووجوب العمل به

أولاً : التعريف بالآحاد لغة واصطلاحاً :

الآحاد لغة : جمع أحد بمعنى الواحد<sup>(١)</sup>، وينطبق المعنى اللغوي لخبر الواحد على حقيقة اسمه فهو ما رواه فرد واحد .

واصطلاحاً : هو ما لم يجمع شروط التواتر<sup>(٢)</sup>، أو هو ما كان من الأخبار غير منته إلى حد التواتر<sup>(٣)</sup> . والتعريفان بمعنى واحد، ومثلهما أيضاً تعريف فضيلة الدكتور مصطفى التازي قال : "هو ما رواه واحد أو أكثر، ولم يصل في الكثرة إلى حد التواتر، أو وصل ولكن فقد شرطاً من شروطه"<sup>(٤)</sup> .

وينقسم الحديث الآحاد باعتبار عدد الرواة في كل طبقة من طبقات إسناده إلى ثلاثة أقسام : (١) مشهور (٢) عزيز (٣) غريب<sup>(٥)</sup> .

وعلى هذا التقسيم الجمهور من المحدثين والفقهاء والأصوليين، إلا الحنفية فقد جعلوا المشهور قسماً للآحاد<sup>(٦)</sup> وليس قسماً منه كما يرى الجمهور .

وعليه فالسنة عند الأحناف من حيث السند تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

(١) متواتر (٢) مشهور<sup>(٧)</sup> (٣) آحاد<sup>(٨)</sup> .

والمشهور عند الأحناف يفيد علم الطمأنينة لا علم اليقين<sup>(٩)</sup>، وهذه المرتبة دون

(١) انظر : القاموس المحيط ١ / ٣٤٠، وختار الصحاح ص ٧١١ .

(٢) نزهة النظر لابن حجر ص ٢٢ .

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢ / ٣١ .

(٤) مقاصد الحديث في القديم والحديث ٢ / ٣٧ .

(٥) انظر : في التعريف بهذه الأقسام الثلاثة عند جمهور المحدثين المصدر السابق ص ٣٨ - ٥٠، وانظر : نزهة

النظر لابن حجر ص ١٩ - ٢٤، ودراسات أصولية في السنة النبوية للدكتور محمد الحفناوي ص ١٦٥ - ١٦٨ .

(٦) انظر : مقارنة بين المشهور والحنفي، وخبر الآحاد عند الجمهور في كتاب "هذا عهد نبينا ﷺ إلينا خبر الآحاد"

للأستاذ مصطفى محمد سلامة ص ٢٥ - ٢٣ .

(٧) انظر : في التعريف به والأمثلة له عند الأحناف، في المصدر السابق ص ٢٥ - ٢٣، ٣٥ .

(٨) انظر : مقارنة بينة عند الأحناف، وعند الجمهور في المصدر نفسه ص ٤٨ .

(٩) انظر : هذا عهد نبينا ﷺ إلينا خبر الآحاد ص ٢٩ وقال الأستاذ مصطفى محمد سلامة وهذا قول عامة الحنفية،

ولهذا قالوا إن جاحده فقط بضلل (المصدر السابق ص ٤٠، ٣٣)، وانظر : أصول السرخسي ١ / ٢٩٣، أما الجصاص

في جماعه من الحنفية فقالوا، إنه يفيد العلم اليقيني وجاهده كافر، المصدر السابق ص ٣٢، ٤٠ . ورغم إجماع الحنفية

على حجية المشهور، إلا أن عيسى بن أبان، أبى إلا أن يشد، فقال، هو حجة بشرط عدم مخالفته للقياس . انظر هذا

عهد نبينا ﷺ إلينا ص ٣٢ .

المتواتر<sup>(١)</sup>، وفوق الآحاد.

وهو عندهم فى درجة المتواتر من حيث صلاحيته لبيان القرآن الكريم بكل أنواع البيان السابقة، بما فى ذلك الزيادة على القرآن فهى مقبولة عندهم بالاتفاق، ولكن الأحناف يعتبرون الزيادة نسخاً للنص القرآنى<sup>(٢)</sup> وهم لا يرفعون الآحاد إلى هذه الدرجة فى علاقته بالقرآن الكريم.

### ما يفيد خبر الآحاد من العلم عند الجمهور

عرفنا فيما سبق أن الخبر المتواتر يفيد اليقين والقطع، فهو مقطوع بصحة نسبته إلى رسول الله ﷺ، وهو فى نفس الوقت يوجد فى النفس العلم الضرورى. مضمون الخبر، فلا يحتاج بعد ذلك إلى نظر واستدلال.

وهذا رأى هو ما اتفق عليه العلماء جميعاً إلا من لا يعتد بخلافه. ولكن الخلاف جرى بين العلماء فى الحديث المقبول من الآحاد بأقسامه الثلاثة المشهور، والعزیز، والغريب، ومحل الخلاف بين العلماء هو : هل حديث الآحاد يفيد العلم أو الظن؟ وإذا كان يفيد العلم، فما هى الدرجة التى يفيدها؟ هل يفيد العلم القطعى أو النظرى؟  
**للعلماء فى ذلك مذاهب شتى، نوجزها فيما يلى :**

١- ذهب أكثر أهل العلم، وجمهور الفقهاء من الحنفية، والشافعية، والمالكية، والمعتزلة، والخوارج إلى أنه لا يفيد العلم مطلقاً أى سواء بقرينة، أو بغير قرينة<sup>(٣)</sup> واختاره الإمام النووى حيث قال معقلاً على ما قاله ابن الصلاح، ومن شايعه، بأنه يفيد العلم إذا احتفت به قرينة قال : "وخالفه المحققون والأكثر" فقالوا : يفيد الظن<sup>(٤)</sup> ما لم يتواتر<sup>(٥)</sup>.

ويتعقب الحافظ ابن حجر الإمام النووى، فيما ذهب إليه، فيقول : "ما ذكره

(١) انظر : الفرق بين المتواتر، والمشهور عند الأحناف، فى هذا عهد نبينا ﷺ إلينا ص ٣٤ .

(٢) انظر : أصول السرخسى ٢ / ٨٢، والمعتمد فى أصول الفقه ٢ / ٤٢٦، والإحكام فى أصول الأحكام للآمدى ١٥٥ / ٣ .

(٣) انظر : المستصفى ١ / ١٤٥، ودراسات أصولية فى السنة النبوية ص ١٦٩، وغير الواحد فى السنة وأثره فى الفقه الإسلامى للدكتور سهير رشاد مهنا ص ٢٣ .

(٤) سيأتى بيان مراد أئمة المسلمين بالظن، وكيف أساء فهمه أعداء السنة ليطعنوا به فى حجية خبر الواحد انظر ص ٢٩ - ٣٢ .

(٥) تدريب الراوى ١ / ١٣٢ .

النووى، مسلم من جهة الأكثرين، أما المحققون فلا، فقد وافق ابن الصلاح أيضاً محققون<sup>(١)</sup>، وهم من أصحاب القول الثالث.

٢- ذهب قوم من أهل الحديث إلى أنه يفيد العلم النظرى بنفسه سواء بقرينة، أو بغير قرينة، متى توافرت فيه شروط الصحة والقبول - من اتصال السند، وعدالة الراوى، وضبطه، وعدم الشذوذ، وعدم العلة، وحكى هذا رأى ابن الصباغ عن قوم من أهل الحديث<sup>(٢)</sup>، وبه قال الإمام ابن حزم فى الإحكام وقال: "وهو قول الحارث بن أسد المحاسبى، والحسين بن على الكرابيسى، وأبو الوليد سليمان بن خلف المالكي المعروف بالباجى. وعزاه لأحمد بن حنبل فى إحدى الروايتين عنه<sup>(٣)</sup>، وذكره ابن خوير منداد عن مالك بن أنس<sup>(٤)</sup>، وإن نازعه فيه المازرى بعدم وجود نص له فيه، وحكاه ابن حزم عن داود الظاهرى<sup>(٥)</sup>، وحكاه ابن قيم الجوزية فى مختصر الصواعق المرسلة عن الإمام الشافعى - رحمه الله -<sup>(٦)</sup>.

٣- وذهب بعض أهل الحديث، ومعهم بعض أهل الأصول والفقه، إلى أن خير الآحاد إذا احتفت به قرينة خارجية تدل على مزيد من صحة ثبوت الخبر إلى من أخبر به، يفيد العلم النظرى اليقيني<sup>(٧)</sup>.

وبهذا رأى قال ابن الصلاح ودافع عنه دفاعاً شديداً فى مقدمته، وبه قال جماعات من أئمة الأصول والفقه، منهم الآمدى<sup>(٨)</sup>، والسبكي<sup>(٩)</sup>، وابن الحاجب<sup>(١٠)</sup>، واختاره المحققون من أهل الحديث منهم ابن حجر<sup>(١١)</sup>، وابن قيم الجوزية<sup>(١٢)</sup>، وابن كثير وقال:

(١) المصدر السابق ١/ ١٣٣.

(٢) تدريب الراوى ١/ ٧٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ٧٥، وانظر: الإحكام للآمدى ٢/ ٣٢، والبحر المحيط ٤/ ٢٦٢، وصحح الإمام ابن قيم الجوزية الرواية عن أحمد بأنه يفيد العلم، وضعف ما رواه الأئمة عن أحمد بخلاف ذلك. انظر: مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٣٣.

(٤) الإحكام لابن حزم ١/ ١٠٩.

(٥) تدريب الراوى ١/ ٧٥.

(٦) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٢٨، ٥٣٠.

(٧) انظر: المحصول ٢/ ١٤١، والإحكام للآمدى ٢/ ٣٢، والبحر المحيط ٤/ ٢٦٥، ومقاصد الحديث فى القديم والحديث للدكتور مصطفى التازى ٢/ ٥٢، ودراسات أصولية فى السنة ص ١٨٦.

(٨) الإحكام ٢/ ٣٢ وعزاه إلى النظام من المعتزلة، وكذا عزاه ابن قيم الجوزية فى مختصر الصواعق ٢/ ٥٣٥، والسرعى فى أصوله ١/ ٣٣٠.

(٩) الإنهاج فى شرح المنهاج ٢/ ٢٩٩.

(١٠) شرح عضد الملّة والدين على مختصر المنتهى لابن الحاجب ٢/ ٥٥.

(١١) نزهة النظر ص ٢٢.

(١٢) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٢٣ - ٥٦٣.

"وأنا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وأرشد إليه، والله أعلم، ثم وقفت بعد هذا على كلام لشيخنا العلامة ابن تيمية، مضمونه : أنه نقل القطع بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول عن جماعات من الأئمة: منهم القاضي عبدالوهاب المالكي، والشيخ أبو حامد الإسفرائيني، والقاضي أبو الطيب الطبري، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي من الشافعية، وابن حامد، وأبو يعلى بن الفراء، وأبو الخطاب، وابن الزاغوني، وأمثالهم من الحنابلة، وشمس الأئمة السرخسي من الحنفية: قال: "وهو قول أكثر أهل الكلام من الأشعرية وغيرهم : كأبي إسحاق الإسفرائيني، وابن فورك .

قال وهو مذهب أهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة" (١) وهو معنى ما ذكره ابن الصلاح استنباطاً . فوافق فيه هؤلاء الأئمة" (٢) .

وانتصر لابن الصلاح أيضاً البلقيني فقال : "ما قاله النووي وابن عبد السلام، ومن تبعهما ممنوع، فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين مثل قول ابن الصلاح" (٣) ثم ذكر ما نقله ابن كثير عن شيخه ابن تيمية .

ويمكن الجمع بين تلك المذاهب الثلاثة بما قاله الحفاظ ابن حجر في نزهة النظر قال: "والخلاف في التحقيق لفظي، لأن من جوز إطلاق العلم قيده بكونه نظرياً، وهو الحاصل على الاستدلال بواسطة القرائن، ومن أبى الإطلاق خص لفظ العلم بالمتواتر، وما عداه عنده كله ظني . بمعنى العلم أيضاً، كما في قوله تعالى ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ (٤) . أى ظنتموهن، فالعلم قد يطلق ويراد به الظن (٥) وهم لا ينفون أن ما احتفت به القرائن أرجح مما خلا عنها" (٦) .

واليك بعض هذه القرائن التي تجعل خبر الآحاد مفيداً للعلم النظري عند من يقول به:  
١- إخراج الشيخين البخاري ومسلم للحديث في صحيحهما، أو إخراج أحدهما

(١) ونص على ذلك أيضاً الإمام ابن دحية على ما سيأتي في حجية خبر الواحد ووجوب العمل به، وانظر : الباعث الحديث للشيخ أحمد محمد شاكر ص ٢٩، ٣٠، والحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام للألباني ص ٥٧-٦٠ .

(٢) وقال بذلك أيضاً أبو الحسن البصري المعتزلي في "المعتمد في أصول الفقه" ٢ / ٨٤، ويشذ الشاذ عبد الجواد ياسين ويصف هذا بأنه مذهب فاسد . وانظر : السلطة في الإسلام ص ٢٥٨، وانظر : ما قاله حسن السقاف في مقدمة كتاب ابن الجوزي دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص ٥٥ وما بعدها .

(٣) تدريب الراوي ١ / ١٣٢ .

(٤) جزء من الآية ١٠ من سورة الممتحنة .

(٥) الإحكام للأمدى ٢ / ٣٢ .

(٦) نزهة النظر ص ٢٢ بتصرف، وانظر : البحر المحيط ٤ / ٢٦٤، ٢٦٦، ومقاصد الحديث في القديم والحديث ٢ / ٥٣/

له مما قام الإجماع على تسليم صحته بأن لم يعترض عليه أحد من الحفاظ . وذلك لجلالة قدر الشيخين، وثبوت أقدامهما في هذا الشأن، وتقدمهما على غيرهما في معرفة الخير الصحيح وتمييزه عن غيره .

ولتلقى الأمة لكتابيهما بالقبول اعتقاداً وعملاً، وهذا التلقى وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر، ومن صرح بأن هذه القرينة تجعل خبر الآحاد مفيداً للعلم النظري، من سبق ذكرهم من الأئمة الأعلام الذين ذكرهم ابن كثير نقلاً عن شيخه ابن تيمية<sup>(١)</sup>، وبهذه القرينة قال أيضاً الحافظ ابن حجر في نزهة النظر<sup>(٢)</sup>، وزاد من القرائن على ما ذهب إليه ابن الصلاح ومن نقل عنهم .

٢- شهرة الحديث عند علماء الحديث لمجيئه من طرق متعددة متباينة مع سلامتها من ضعف الرواة وخلوها من العلل القادحة، ومن صرح بأن هذه القرينة تجعل خبر الآحاد يفيد العلم النظري أبو بكر بن فورك، وأبو منصور البغدادى وغيرهما .

٣- تسلسل الخبر بالأئمة المتقنين، والحفاظ الضابطين، كالحديث الذى يرويه الإمام أحمد وغيره عن الإمام الشافعى، ويرويه الإمام الشافعى، وغيره عن الإمام مالك ... إلخ .

فإن هذه القرينة تجعل خبر الآحاد مفيداً للعلم النظري عند سامعه، وذلك لجلالة قدر هؤلاء الرواة للحديث من الأئمة الأعلام، والفقهاء العظام، إذ فى كل واحد منهم من الصفات اللائقة بالموجبة لقبول خبره ما لا يوجد فى غيره، مما تجعل الواحد منهم أمة وحده، يقوم مقام العدد الكثير والجسم الغفير<sup>(٣)</sup> .

والذى أرجحه من ذلك كله هو ما ذهب إليه ابن حزم، وابن الصلاح، وابن حجر، وغيرهم - من أن ما رواه الشيخان أو أحدهما أو ما احتفت به قرائن أخرى - كما ذكر ابن حجر أو ما استوفى شروط الصحة الخمسة، المتفق عليها بين علماء الأمة، مقطوع بصحته، ويفيد العلم النظري .

وإلى ذلك ذهب الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله تعالى - : حيث يقول بعد أن

(١) مقاصد الحديث فى القديم والحديث ٢ / ٥٣، ٥٤ .

(٢) نزهة النظر ص ٢٢، وقال بذلك الأستاذ محمد رشيد رضا - رحمه الله - فى مجلة المنار وأيد ما قاله الحافظ ابن حجر، انظر : مجلة المنار المجلد ٣٤٨ / ١٩، ٣٤٩ .

(٣) مقاصد الحديث فى القديم والحديث ٢ / ٥٤، ٥٥، وانظر : نزهة النظر ص ٢٣، وعلم الحديث لابن تيمية ص ١٥٥، وإرشاد الفحول ١ / ٢١٢، ٢١٣، ودراسات أصولية فى السنة ص ١٧٧-١٨١، وانظر : قرائن الشيعة فى إفادة خبر الواحد للعلم فى كتاب أصول الحديث للدكتور عبد الهادى الفضلى ص ٨٣-٨٧ .

استعرض آراء العلماء فى ذلك : "والحق الذى ترجحه الأدلة الصحيحة، ما ذهب إليه ابن حزم، ومن قال بقوله من أن الحديث الصحيح، مقطوع بصحته، ويقيد العلم اليقيني النظرى، سواء كان فى أحد الصحيحين أم فى غيرهما، وهذا العلم اليقيني نظرى برهاني، لا يحصل إلا للعالم المتبحر فى الحديث، العارف بأحوال الرواة والعلل<sup>(١)</sup>، المميز بين صحيحه وسقيمه، وغثه وثمينه، وأصيله ودخيله، أما من ليس من أهل هذا الشأن، فإن هذه القرائن ولو كثرت، لا تفيدهم علماً، فمثلهم لا يعتد به فى هذا المقام، ولا تبنى عليه هنا الأحكام<sup>(٢)</sup>."

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر : "وأكد أوقن أنه هو مذهب من نقل عنهم البلقيني ممن سبق ذكرهم من الأئمة الأعلام، وأنهم لم يريدوا بقولهم ما أراد ابن الصلاح من تخصيص أحاديث الصحيحين بذلك، وإلا فالأمة قد تلقت غيرهما من كتب السنة من السنن، والمسانيد والمصنفات، بالقبول، مع تصريح كل من الإمامين البخارى ومسلم بأنهما لم يستوعبا كل الصحيح فى صحيحهما."

وهذا العلم اليقيني النظرى يبدو ظاهراً لكل من تبحر فى علم من العلوم وتيقنت نفسه بنظريته، واطمئن قلبه إليها، ودع عنك تفريق المتكلمين فى اصطلاحاتهم بين العلم والظن، فإنما يريدون بهما معنى غير ما نريد<sup>(٣)</sup>."

وبعد

إن الكلمة الفصل والأخيرة، فى كل مسألة علمية على أهلها، إذ لا ينبك مثل خبير . وفى المثل : الخيل أعلم بفرسانها .

فالقول الفصل لأهل اللغة إذا كان المتعلق لغوياً، وللفقهاء إذا كانت المسألة فقهية، وللمحدثين إذا كان الكلام يتعلق بصحة الحديث، وهذه مسلمات لا يختلف فيها اثنان .

لهذا فإن معرفة كون الدليل قطعياً أو ظنياً من أحكام أهل الحديث، لمعرفة طرقهم وتشعبها، ولا تعويل على غيرهم من المتكلمين والأصوليين، كما قال ابن قيم الجوزية فى مختصر الصواعق المرسلة<sup>(٤)</sup> والله أعلم .

(١) الباعث الخبيث ص ٣٠، وانظر : المكانة العلمية لعبد الرزاق فى الحديث النبوى لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار ١ / ٣٣ - ٤٢، مبحث : "إفادة تعبير الواحد العلم".

(٢) مقاصد الحديث فى القديم والحديث ٢ / ٥٥ .

(٣) الباعث الخبيث ص ٣٠، ٣١ بتصرف .

(٤) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٥٣٧، ٥٦١ .

## ثانياً : حجية خبر الواحد ووجوب العمل به :

اهتم علماء الإسلام فى القديم والحديث بالبحث فى مسألة وجوب العمل بخبر الواحد وصحة الاحتجاج به، فأطالوا فى شأنها، واعتنوا بتحقيقها، وما قيل فيها، وكل ما يتعلق بها - وما مر وما سيأتى - إلا نذر يسير من ذلك، فقد ألف فى هذه المسألة كثير من أهل الحديث، وأئمة الفقه، وأصحاب الأصول، فكتبوا فيها أبواباً مطولة، وفصولاً مطبقة، وكان أقدم من ألف فى ذلك فيما بلغنا أماننا الشافعى - رحمه الله تعالى - حيث وضع باباً طويلاً فى كتابيه الأم<sup>(١)</sup> والرسالة<sup>(٢)</sup> أجاد القول فيه وأحسن الرد على سائل يسأله الدليل على طلب العمل بخبر الواحد، كما كتب فى هذه المسألة أيضاً الإمام النووى فى شرحه على صحيح مسلم<sup>(٣)</sup>، والحافظ ابن حجر العسقلانى فى شرحه فتح البارى على صحيح البخارى<sup>(٤)</sup> كما كتب غيرهما لا سيما أهل الأصول<sup>(٥)</sup> فى كتبهم.

وسر كل هذا الاهتمام بهذه المسألة وحكمته، أن هذه المسألة من أهم قواعد الدين وأشدها عند علماء المسلمين إذ يبنى عليها معظم أحكام الشرع، ويتوقف على إثباتها كثير من معرفة الحلال والحرام، كما يترتب على إثباتها طلب العمل بالأوامر والنواهي النبوية التى لم تثبت أغلبها إلا عن طريق خبر الواحد<sup>(٦)</sup>.

وإذا كان هناك خلاف بين العلماء فى الدرجة التى يفيدها خبر الواحد من علم أو ظن، فإن هذا الخلاف لم يوجد بين من يعتد بهم - فى حجية خبر الواحد، ووجوب العمل به، حتى من قال منهم بأن درجة خبر الآحاد الظن.

فالذى عليه السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وأصحاب الحديث، والفقه

(١) انظر : الأم ٧ / ٢٨٨ .

(٢) انظر : الرسالة، باب خبر الواحد ص ٣٦٩ - ٤٧١ فقرات رقم ٩٩٨ - ١٣٠٨ .

(٣) انظر : صحيح مسلم (شرح النووى) المقدمة، باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن ١ / ١٧٠ .

(٤) انظر : فتح البارى، كتاب أخبار الآحاد ١٣ / ٢٤٤ - ٢٥٨ .

(٥) انظر : الإحكام للأمدى ٢ / ٣٠ - ٧٠، والإبهاج فى شرح المنهاج ٢ / ٢٩٩ - ٣٤٨، والإحكام لابن حزم ١ / ٩٥ - ١٤٣، والبحر المحيط ٤ / ٢٥٥ - ٢٦٧، والمعتمد فى أصول الفقه ٢ / ٩٢ - ١٤٠، وأصول السرخسى ١ / ٣٢١، والمستصفى للغزالي ١ / ١٤٥ - ١٥٥، وفواتح الرحموت ٢ / ١٢١ وما بعدها، والبرهان للجوينى ١ / ٢٢٢ وما بعدها، والمحصول للرازى ٢ / ١٧٠ - ١٩٣، وإعلام الموقعين ١ / ٣١ وما بعدها، وإرشاد الفحول ١ / ٢٠٧ - ٢٣٢ .

(٦) مقاصد الحديث فى القديم والحديث ٢ / ٥٥، ٥٦، وانظر : المدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدي مبحث (الآحاد هو الموعول عليه فى الإسلام) ص ٢٧٣ .

والأصول، أن خبر الواحد حجة من حجج الشرع يحتاج به، ويلزم من بلغه العمل به، ولو لم يحتف بقرائن خارجية، تدل على تأكيد طلب العمل به، إذا كان هذا الخبر عند أهل الحديث مقبولاً، بأن تحققت فيه الشروط الخمسة المتفق عليها لصحة الحديث، من اتصال السند، وعدالة الراوى، وضبطه، وعدم الشذوذ، وعدم العلة<sup>(١)</sup>.  
وهالك بعض أقوال أهل العلم فى حجية خبر الواحد، ووجوب العمل به، متى صح.

قال شمس الأئمة السرخسى: "خبر الواحد حجة باعتبار أنه كلام رسول الله ﷺ، وقوله حجة موجبة للعمل، ولكن امتنع بشبوت العلم به لشبهة فى النقل"<sup>(٢)</sup>.  
وقال أيضاً: "قال فقهاء الأمصار - رحمهم الله -، خبر الواحد حجة للعمل به فى أمر الدين، ولا يثبت به علم اليقين، وقال بعض من لا يعتد بقوله: خبر الواحد لا يكون حجة فى الدين أصلاً"<sup>(٣)</sup>.

وقل ابن حزم: "القسم الثانى من الأخبار ما نقله الواحد عن الواحد، فهذا إذا اتصل برواية العدول إلى رسول الله ﷺ وجب العمل به، ووجب العلم بصحته أيضاً"<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو الحسين محمد بن على الطيب المعتزلى: "ذهب جل القائلين بأخبار الآحاد إلى قبول الخبر، وإن رواه واحد"<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام النووى: "الذى عليه جماهير المسلمين، من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء، وأصحاب الأصول: أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع، يلزم العمل بها، ويفيد الظن، ولا يفيد العلم، وأن وجوب العمل به، عرفناه بالشرع لا بالعقل"<sup>(٦)</sup>.

وقال الإمام ابن دحية<sup>(٧)</sup>: "وعلى قبول خبر الواحد الصحابة والتابعون وفقهاء

(١) مقاصد الحديث فى القديم والحديث ٢ / ٥٦ .

(٢) أصول السرخسى ١ / ٢٩٨ .

(٣) المصدر السابق ١ / ٣٢١ .

(٤) الإحكام لابن حزم ١ / ١٠٦، ١٣٥ .

(٥) المعتمد فى أصول الفقه ٢ / ١٣٨ .

(٦) انظر: المنهاج شرح مسلم، المقدمة، باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن ١ / ١٧٠ .

(٧) ابن دحية: هو أبو الخطاب، عمر بن الحسن أبو الخطاب بن دحية الأندلسى المحدث، يلقب بذي النسيين، نسبة إلى دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ، وإلى الحسين بن على ﷺ. كان بصيراً بالحديث معتنياً به معروفاً -

المسلمين، وجماعة أهل السنة يؤمنون بخير الواحد، ويدينون به في الاعتقادات" (١) .  
أ.هـ.

وقال الحافظ ابن عبد البر : "والضرب الثاني من السنة خير الآحاد الثقات الأثبات المتصل الإسناد؛ فهذا يوجب العمل عند جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقُدوة، ومنهم من يقول : إنه يوجب العلم والعمل جميعاً" (٢) .

ويقول الشيخ محمد الخضري (٣) : "إنه تواتر عن الصحابة في وقائع لا تحصى، العمل بخير الواحد، وبمجموع هذه الوقائع تفيد إجماعهم على إيجاب العمل بأخبار الآحاد، وكثيراً ما كانوا يتركون آراءهم التي ظنوها باجتهادهم، إذا روى لهم خير عن رسول الله ﷺ" (٤) .

وبعد

فهذه بعض أقوال علماء المسلمين قديماً وحديثاً، وغيرها كثير، في حجية خير الواحد، ووجوب العمل به، أما الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة فهي متوافرة، وسنذكر بعضها بحسبة الله تعالى، في ردنا على شبهات من أنكروا حجية خير الواحد .

وإذا كان إجماع من يعتد به منعقد على كفر من رد حديثاً متواتراً انعقد الإجماع على تواتره، ولا يقولون بكفر من رد حديث آحاد لشك في ثبوته، "فمما لا شك فيه أن من شك وطعن في جميع أحاديث الآحاد ولم يأخذ بها يكون منكراً للسنة ويكفر" (٥) .  
أ.هـ.

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

---

=بالضبط، له حظ وافر من اللغة . من مصنفاته : الانتهاج في أحاديث المعراج، والعلم المشهور في فضائل الأيام والشهور . وغير ذلك مات سنة ٦٣٣هـ . له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٢٠ رقم ١١٣٦ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٠١ رقم ١١٠٢ ، ولسان الميزان ٥ / ١٦٣ ، رقم ٦٠٨٦ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٤٤٨ رقم ٤٩٧ ، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٤ / ٢٠٢ رقم ١١٥ .

(١) انظر : الانتهاج في أحاديث المعراج ص ٧٨ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٣٤ .

(٣) الخضري : هو محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري، من علماء الشريعة، والأدب، وتاريخ الإسلام، مصري، تخرج بمدرسة دار العلوم، من مصنفاته، أصول الفقه، وتاريخ التشريع الإسلامي . مات سنة ١٣٤٥هـ . له ترجمة في : الأعلام ٧ / ١٥١ .

(٤) أصول الفقه ص ٢٨٠ ، وانظر : اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث للدكتور عبد الله شعبان على ص ٢٢٤-٢٢٥ .

(٥) السنة المفترى عليها للمستشار سالم البهنساوي ص ١٦١ ، وانظر : من نفس المصدر، بحث "استحالة العمل بغير اعتقاد" .

## المبحث الثالث منكروا حجية خبر الواحد قديماً وحديثاً استعراض شبههم والرد عليها

### تمهيد :

إذا كان علماء الأمة من المحدثين، والفقهاء، والأصوليين، اصطلمحوا على تقسيم السنة باعتبار عدد الرواة في كل طبقة إلى متواتر وآحاد، أو إلى متواتر ومشهور وآحاد كما قسم الأحناف، فإن هذه التقسيمات لم تكن في عصر الصحابة أو التابعين، وإنما دعت الحاجة إلى هذا التقسيم بعد شيوع الفتن وبدء تمحيص السنة وتحديد مراتبها، وكان لهذا التقسيم آثاره بين جمهور الفقهاء في تخصيصهم لعموم الكتاب، وتقييدهم لمطلقه، وتوضيحه لمشكله بخبر الآحاد، خلافاً للأحناف الذين اشتراطوا في أنواع البيان السابقة، أن يكون الخبر فيها مشهوراً، على ما سبق تفصيله عند التعريف بالآحاد.

وأهم أثر لتقسيم الأحاديث إلى متواتر وآحاد هو في أمر من رد الحديث، فمن أخذ باصطلاح المتواتر والآحاد - وهم أغلبية الفقهاء - لا يقولون بكفر من رد الأحاديث؛ لأنها ظنية الثبوت بينما يرون كفر من رد الأحاديث المتواترة. ومن قال: "إن التواتر والآحاد قطعي الثبوت يقولون بكفر من رد شيئاً من الأحاديث سواء كانت بطريق التواتر أو الآحاد"<sup>(١)</sup>.

وقبل أن يصطلمح علماء الأمة على التقسيم السابق، كان جميع أهل الإسلام على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ، يجري على ذلك كل فرقة في علمها، كأهل السنة، والخوارج، والشيعة، والقدرية<sup>(٢)</sup>، حتى بدأت فتنة التشكيك في خبر الآحاد على أيدي متكلمي المعتزلة بعد القرن الثاني الهجري، فعرفوا خبر الآحاد بأنه: ما لا يعلم كونه صدقاً ولا كذباً<sup>(٣)</sup>.

(١) السنة المفترى عليها للمستشار سالم البهناوي ص ١٣٩، ١٤٠، وانظر: البحر المحيط ٤ / ٢٦٦، ودراسات أصولية في السنة ص ١٨١.

(٢) ورغم هذه الحقيقة يضلل أحمد حجازي، القارئ في كتابه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي "بزعمه أن الصدر الأول للإسلام، وفيه كان الخوارج والشيعة... ولم تكن فيه سنة بأخبار آحاد!!" انظر: دفع الشبهات ص ٦٤.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٧٦٩.

واشترطوا العدد فى الرواية كما فى الشهادة، فخالفوا الإجماع فى ذلك .  
 "وكان قصدهم من ذلك رد الأخبار وتعطيل الأحكام، وتلقف ما قالوه بعضُ  
 الفقهاء الذين لم يكن لهم فى العلم قدمٌ ثابتة، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول"  
 وبذلك صرح ابن قيم الجوزية فى مختصر الصواعق المرسلة<sup>(١)</sup>.

ويدل على كل ما سبق ما قاله ابن حزم فى الإحكام، قال : "فإن جميع أهل  
 الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ، ويمر على ذلك كل فرقة  
 فى علمها، كأهل السنة، والخوارج، والشيعة، والقدرية، حتى حدث متكلموا المعتزلة  
 بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع فى ذلك، ولقد كان عمرو بن عبيد (ت سنة  
 ١٤٤هـ) يتدين بما يروى عن الحسن ويفتى به، هذا أمر لا يحمله من له أقل علم<sup>(٢)</sup>.

ويقول الحافظ أبو بكر الحازمى : "ولا أعلم أحداً من فرق الإسلام القائلين بقبول  
 خبر الواحد اعتبر العدد سوى متأخرى المعتزلة، فإنهم قاسوا الرواية على الشهادة،  
 واعتبروا فى الرواية ما اعتبروا فى الشهادة، وما مغزى هؤلاء إلا تعطيل الإحكام كما  
 قال أبو حاتم ابن حبان"<sup>(٣)</sup>.

وطعن أيضاً فى خبر الواحد طوائف من الشيعة فذهبوا إلى أن خبر الواحد لا يكون  
 حجة أصلاً فى الدين، فلا يوجب العلم ولا العمل، وينسب هذا رأى إلى الشريف  
 المرتضى (ت ٤٣٦هـ) من الشيعة، فهو يقول : "لا بد فى الأحكام الشرعية من طريق  
 يوصل إلى العلم ... ولذلك أبطلنا العمل بأخبار الآحاد، لأنها لا توجب علماً ولا  
 عملاً، وأوجبنا أن يكون العمل تابعاً للعلم، لأن راوى خبر الواحد إذا كان عدلاً فغاية  
 ما يقتضيه الظن بصدقه، ومن ظننت صدقه يجوز أن يكون كاذباً"<sup>(٤)</sup>.

وحكى هذا رأى أيضاً الإمام الغزالي فى المستصفى عن جماهير القدرية، ومن

(١) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ٥٥٨، وما قاله ابن قيم الجوزية قاله شيخه ابن تيمية فى كتابه الفتاوى بمعناه قال :  
 "كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول  
 له أو عملاً به، أنه يوجب العلم، وهذا الذى ذكره المصنفون فى أصول الفقه من أصحاب أبى حنيفة، ومالك،  
 والشافعى، وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين، اتبعوا فى ذلك طائفة من أهل الكلام"، انظر: مجموع الفتاوى ١٣ /  
 ٣٥١، وانظر : السنة المفترى عليها ص ١٦٦ .

(٢) الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ١/ ١١٠، وحكاها الشاطبى عنهم فى الاعتصام ١/ ١٨٧ .

(٣) شروط الأئمة الخمسة ص ٤٧ . وراجع موقف المعتزلة من السنة ١/ ١١٠-١١٧ .

(٤) أصول الفقه للمظفر ١/ ٧٠، نقلاً عن توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى للدكتور رفعت فوزى ص ٩٠،  
 وحكاها الرازى أيضاً عن المرتضى اختصاراً فى المحصول ٢/ ١٨٨ .

تابعهم من أهل الظاهر كالفاساني حيث ذهبوا إلى تحريم العمل بخبر الواحد سماعاً<sup>(١)</sup>،  
وحكاة أيضاً الآمدى<sup>(٢)</sup>، عن القاساني<sup>(٣)</sup> والرافضة وابن داود<sup>(٤)</sup>.

وبالجملة من مآخذ أهل البدع بالاستدلال نفى أخبار الآحاد جملة. والاقتصار على  
ما استحسنته عقولهم في فهم القرآن<sup>(٥)</sup>.

وتابع هذه الفرق الضالة في الطعن في حجية خبر الآحاد من على شاكلتهم من  
أهل الزيغ والهوى في عصرنا.

فوجدنا منهم من يقول: "وجوب عدم الاعتداد بمحدث الآحاد بالكلية إذ الأصل  
فيها الكذب والاستثناء هو الصدق<sup>(٦)</sup>".

ووجدنا من يقول: "الضرب الثاني من أفعاله وأقواله ﷺ مما لم يصل إلى الناس  
بطريق التواتر المستفيض، فلا يستطيع عاقل أن يدخله في دائرة الوحي الثابت ثبوتاً لا  
شك فيه، ومن ثم فهو ليس ضرورياً لقيام الدين<sup>(٧)</sup>".

ووجدنا من يقول: "فما يؤمنكم أن خبر الواحد ليس من يهودى مثل ابن سبأ؟  
ورواية الواحد أوجدت في الدين أموراً سيئة منها:

أولاً: التعارض في المعنى والتعارض يحير الناس في معرفة الحق.

ثانياً: أوجدت أحاديث الآحاد تفرقة واختلافاً في صفوف المسلمين. إذ هي التي

(١) المستصفى من علم الأصول ١/ ١٤٨.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ١/ ٤٨. وانظر البرهان في أصول الفقه للجويني ١/ ٢٢٨، والتقرير والتجيب  
٢/ ٢٧٢-٢٧٥.

(٣) القاساني هو: أبو بكر محمد بن إسحاق القاساني: نسبة إلى "قاسان" بلدة قريبة من "أصهبان" غالب أهلها  
من الروافض، وعامة العلماء يقولون "القاساني" بالشين بالمعجمة، والصواب ما أثبتناه كما ضبطه ابن حجر في  
تبصير المنتبه بتحريم المشتبه" وكان القاساني أحد أعلام أهل الظاهر، تعلم على داود الظاهري، وخالفه في كثير من  
المسائل الأصولية من مؤلفاته "كتاب الرد على الداود الظاهري في إبطال القياس" توفي بعد الثلاثمائة للهجرة. له  
ترجمة في: طبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٧٦، وتبصير المنتبه بتحريم المشتبه ٣/ ١١٤٧، والفهرست ص ٣٥٧.

(٤) ابن داود هو: محمد بن داود على بن خلف الظاهري، كان فقيهاً، أدبياً، مناضراً، شاعراً. له تصانيف كثيرة  
منها "الوصول إلى معرفة الأصول" واختلاف مسائل الصحابة و"الإنفال" و"الإعذار" توفي سنة ٢٩٧هـ. له ترجمة  
في: تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٦ رقم ٢٧٥، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٧١، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٧٥،  
وشذرات الذهب ٢/ ٢٢٦، والفهرست ص ٣٦٤.

(٥) الاعتصام للشاطبي ١/ ١٨٧، وحكى ذلك أيضاً عنهم ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث ص ٨٤ وما  
بعدها.

(٦) قاله إسماعيل منصور في كتابه تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٣٦٠، ٦٥٢.

(٧) قاله عبد الجواد ياسين في كتابه السلطة في الإسلام ص ٢٤٦، ٢٤٧.

فرقتهم إلى سنيين، وشيعية، يضرب بعضهم رقاب بعض. وهى التى فرقتهم إلى السلف والخلف... فيها أيها السلفيون: هذه نتائج أحاديث الآحاد فى المجتمعات الإسلامية وقد أمرنا الله تعالى بأن نحتاط للدين، وبأن نكون أمة واحدة، وبأن نسمع ونعقل. فابتعدوا عن أحاديث الآحاد" (١).

## استعراض شبه منكري حجية خبر الواحد قديمًا وحديثًا والرد عليها

أقوى ما شغب به من أنكر قبول خبر الواحد أن نزع بقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٢) وقالوا العمل بخبر الواحد اقتفاء لما ليس لنا به علم، وشهادة وقول بما لا نعلم. لأن العمل به موقوف على الظن قال تعالى : ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٣). وقالوا قد ذم الله من اتبع الظن، وبين أنه لا غناء له فى الحق. فكان على عمومته (٤).

وبهذه الآيات وما فى معناها استدل أهل الزيغ والبدع قديمًا (٥)، وتابعهم حديثًا أهل الزيغ والإحاد ممن أنكروا حجية السنة كلها، واتخذوا الطعن فى خبر الواحد، وسيلة من وسائلهم؛ للتشكيك فى حجية السنة النبوية المطهرة (٦).

(١) قاله أحمد حجازى السقا فى كتابه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالى ص ٣٨-٤١، وانظر : ما قاله محمود أبو رية فى أضواء على السنة ص ٤١، ٤٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٦٣ وما بعدها. وما قاله جمال البنا فى كتابيه الأعلان ص ٢٩٩، والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١١٠ وغيرهم ممن سبق ذكرهم.

(٢) الآية ٣٦ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ٢٨ من سورة النجم.

(٤) المعتمد فى أصول الفقه ١٢٤/ ٢، وانظر : المحصول للرازى ١٨٦/ ٢، ١٩٢، ٢٠٥، والإحكام للأمدى ٢ / ٣٥، وأصول السرخسى ١ / ٣٢١.

(٥) حكاه عنهم أهل الأصول السابق ذكرهم فى الأماكن السابقة، وحكاها الإمام الشاطبى قتلاً : "ورما احتج طائفة من نابتة المبتدعة على رد الأحاديث بأنها إما تفيد الظن، انظر : الاعتصام ١ / ١٨٩.

(٦) انظر : مجلة المنار المجلد ٩ / ٩١٢ - ٩١٣ مقال "الإسلام هو القرآن وحده" للدكتور توفيق صدقي، وقرآن أم حديث ص ٣٢، ٥٥، والقرآن والحديث والإسلام ص ٧ كلاهما لرشاد خليفة، وحد الردة ص ٩٢، وعذاب القبر ص ١٠، ١٦، ١٧، والصلاة فى القرآن ص ٤٣ ثلاثهم لأحمد صبحى منصور، والأعلان العظيم ص ٢٩٧، ٣٠٩، والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١١١ كلاهما لجمال البنا، ونقد الحديث فى علم الرواية والدراية للدكتور حسين الحاج حسين ١ / ٥٢٢، والسلطة فى الإسلام لعبد الجواد ياسين ص ٢٨٥، وغيرهم ممن سبق ذكرهم فممن أنكروا حجية السنة كلها.

ومما استدلل به المعتزلة في رد خبر الواحد من الأحاديث والآثار :

١- قصة ذي الـيدين<sup>(١)</sup>، وتوقف النبي ﷺ في خبره، حتى تابعه عليه غيره .

روى عن أبي هريرة ؓ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي . إما الظهر وإما العصر . فسلم في ركعتين . ثم أتى جذعاً في قبلة المسجد فاستند إليه مغضباً، وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يتكلما، وخرج سرعاناً الناس . قُصِرَت الصلاة، فقام ذو الـيدَينِ فقال : يا رسول الله! أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً . فقال : "ما يقول ذو الـيدَينِ؟" قالوا : صدق لم تصل إلا ركعتين . فضلى ركعتين وسلم، ثم كبر ثم سجد، ثم كبر فرفع، ثم كبر وسجد، ثم كبر ورفع وسلم<sup>(٢)</sup> .

٢- وقصة أبي بكر حين توقف في خبر المغيرة بن شعبة، في ميراث الجدة حتى تابعه محمد بن مسلمة .

روى عن قبيصة بن ذؤيب<sup>(٣)</sup> ؓ قال : "جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال : مالك في كتاب الله ﷻ من شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله ﷺ شيئاً فارجمي حتى أسأل الناس، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله ﷺ أعطاه السلس، فقال أبو بكر : هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة<sup>(٤)</sup> فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة فأنفذه لها أبو بكر، ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب ؓ تسأله ميراثها، فقال : مالك في كتاب الله تعالى

(١) ذو الـيدَينِ: هو الخرباق بن عمرو السلمى، يقال له ذو الـيدَينِ، لأنه كان في يديه طول، وقيل أنه كان قصير الـيدَينِ، وهو صحابي حليل: له ترجمة في الإصابة : ١/ ٤٨٩ رقم ٢٢٤٣، وتاريخ الصحابة لابن حبان ص ٩١ رقم ٣٨٩، والاستيعاب ٢/ ٤٥٧ رقم ٦٨٨، واسد الغابة ٢/ ١٦٢ رقم ١٤٣٣ .

(٢) أخرجه البخاري (شرح فتح الباري) كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إحالة خبر الواحد الصدوق في الأذان، والصلاة، والصوم، والفرائض، والأحكام ١٣/ ٢٤٥ رقم ٧٢٥٠، ومسلم (بشرح النووي) كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له ٦٦/ ٣ رقم ٥٧٣ واللفظ له .

(٣) قبيصة هو : قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكعبي، أبو سعيد، من فقهاء أهل المدينة وعبادهم، من أولاد الصحابة، كان مولده يوم الفتح، وله رؤية مات سنة ٨٦ هـ . له ترجمة في: تقريب التهذيب ٢/ ٢٦ رقم ٥٥٢٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٦٠ رقم ٤٧، والثقات للعجلي ص ٣٨٨ رقم ١٣٧٧، وطبقات الحفاظ ص ٢٨ رقم ٤٥، والثقات لابن حبان ٥/ ٣١٧، والعبر ١/ ١٠١ .

(٤) محمد بن مسلمة : صحابي حليل له ترجمة في : الإصابة ٣/ ٣٨٣ رقم ٧٨٢٢، وتاريخ الصحابة ص ٢٢٦ رقم ١٢١٣، والاستيعاب ٣/ ١٣٧٧ رقم ٢٣٤٤، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٠ رقم ٩٣، واسد الغابة ٥/ ١٠٦ رقم ٤٧٦٨ .

كان القضاء الذى قضى به إلا لغيرك، وما أنا بزائد فى الفرائض، ولكن هو ذلك السلس، فإن اجتمعما فيه فهو بينكما، وأيتكما خلت به فهو لها" (١).

٣- وقصة عمر رضي الله عنه وتوقفه فى خبر أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه فى الاستئذان حتى تابعه أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه :

روى عن أبى سعيد قال : كنا فى مجلس عند أبى بن كعب (٢)، فأتى أبو موسى الأشعرى مُغَضَّباً حتى وَقَفَ . فقال : أَنْشِدْكُمْ الله هل سمع أحدٌ منكم رسول الله ﷺ يقول : "الاستئذان ثلاثاً . فإن أذن لك . وإلا فارجع" قال أبى بن كعب . وما ذاك؟ قال : أستاذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات . فلم يؤذن لى فرجعت . ثم جئت اليوم فدخلت عليه، فأخبرته أنى جئت أمس فسلمت ثلاثاً ثم انصرفت، قال : قد سمعناك ونحن حينئذ على شغل . فلوما استأذنت حتى يؤذن لك؟ قال : استأذنتُ كما سمعتُ رسول الله ﷺ . قال : فوالله لأوجعنَّ ظهرك وبطنك أو لتأتينَّ بمن يشهد لك على هذا . فقال أبى بن كعب : فوالله ! لا يقوم معك إلا أحدنا سناً . قم . يا أبا سعيد فقمْتُ حتى أتيتُ عُمرَ فقلتُ : قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هَذَا (٣).

قالوا فقيماً سبق بيان أن الصحابة كانوا لا يقبلون خبر الواحد، وكانوا يعتبرون لطمأينة القلب عدد الشهادة كما كانوا يعتبرون لذلك صفة العدالة، ومن بالغ فى الاحتياط فقد اعتبر فى قبول الخبر أقصى عدد الشهادة أربع لأن ما دون ذلك محتمل للعلم (٤).

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الفرائض، باب فى الجدة ٣/ ١٢١، ١٢٢ رقم ٢٨٩٤ واللفظ له، والترمذى فى سننه كتاب الفرائض، باب ما جاء فى ميراث الجدة ٤/ ٣٦٦ رقم ٢١٠١ قال أبو عيسى : وفى الباب عن بُرَيْدَةَ وهذا أحسن وهو أصح من حديث ابن عيينة .

(٢) أبى بن كعب : صحابى جليل له ترجمة فى اسد الغابة ١/ ١٦٨ رقم ٣٤، والإصابة ١/ ١٩ رقم ٣٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٧ رقم ٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٩ رقم ٣١، وتاريخ الصحابة ص ٢٩ رقم ٢١ . والاستيعاب ١/ ٦٥ رقم ٦ .

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً ١١/ ٢٨ رقم ٦٢٤٥، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الآداب، باب الاستئذان ٧/ ٣٨٧ رقم ٢١٥٣ .

(٤) انظر : المعتمد فى أصول الفقه ٢/ ١١٥، وأصول السرخسى ١/ ٣٣١، والمحصل للرازى ٢/ ١٨٦، والإحكام للأمدى ٢/ ٣٥، ٦٠، وتدريب الراوى ١/ ٧٣، واستشهد بذلك حديثاً محمود أبو رية فى أضواء على السنة ص ٥٧، ٥٨، وأحمد أمين فى فجر الإسلام ص ٢١٠، وأحمد حجازى السقا فى دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ١١٣، وجمال البنا فى كتابيه الأعلان العظيمان ص ٢٩٩، ٣٠٠، والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١١٢، ١١٣، وإسماعيل منصور فى تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٣٦٧ وغيرهم، وانظر : ما كتبه حسن السقاف فى تقليده لكتاب ابن الجوزى دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص ٢٧-٤٥ .

كما استشهد بعض خصوم السنة برد عمر خير فاطمة بنت قيس في المطلقة ثلاثاً، بأنه لا سكنى لها ولا نفقة لمخالفته لقوله تعالى : ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ (١).

ورد عائشة - رضى الله عنها - لخبر عمر وابنه عبد الله - رضى الله عنهما - في "تعذيب الميت ببعض بكاء أهله عليه" لمخالفته في رأيها لقوله تعالى : ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (٢). وغير ذلك مما استشهد به خصوم السنة، وسيأتى تخريجه والرد عليه في الجواب عما اشترطوه لصحة قبول خبر الواحد.

### الرد على شبه منكرى حجية خبر الآحاد

إن ما ذكره أهل الزيغ والابتداع قديماً من أدلة على عدم حجية خبر الواحد، وتبعهم فيها أهل الزيغ والهوى في عصرنا، ما ذكروه من أدلة لا حجة لهم فيها، بل هو حجة لنا عليهم فما زعموه من أن العمل بخبر الواحد اقتفاء ما ليس لنا به علم استناداً إلى قول رب العزة ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٣).

فهذه الآية حجة لنا عليهم في هذه المسألة، لأننا لم نقف ما ليس لنا به علم، بل قد صح لنا به العلم من اتباع الرسول ﷺ خبر الواحد، ومن انعقاد إجماع من يعتد به على حجية خبر الواحد ووجوب العمل به، والإجماع قاطع فاتباعه لا يكون اتباعاً لما ليس لنا به علم، ولا اتباعاً للظن (٤).

قال الشوكاني : "ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم، لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول ... ومن هذا القسم أحاديث صحيحى البخارى ومسلم - رحمهما الله تعالى (٥) - فسقط اعتراضهم بهذه الآية.

أما ما ضلل به أهل الزيغ والهوى من ربط ظنية خبر الآحاد، بالظن الوارد في قوله

(١) الآية ١ من سورة الطلاق.

(٢) الآية ٣٨ من سورة النجم.

(٣) الآية ٣٦ من سورة الإسراء.

(٤) انظر : الأحكام للأمدى ١/ ٣٥، ٤٦، والأحكام لابن حزم ١/ ١١١.

(٥) إرشاد الفحول للشوكاني ١/ ٢١٢، ٢١٣.

تعالى : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾<sup>(٢)</sup> وقوله ﷺ : "ياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"<sup>(٣)</sup>.

هذا الإطلاق والربط من أفرى، الفرى لأن الظن الوارد فى الآيات السابقة، والحديث الشريف وارد فى معرض ترك الحق الثابت باليقين، واتباع للهوى الذى لا دليل عليه، وليس كذلك الظن المنسوب إلى أحاديث الآحاد.

فإطلاق كلمة "الظن" على أحاديث الآحاد وهى فى حقيقتها أكثر السنة النبوية، وربطها بالمعنى الوارد فى الآيات السابقة، والحديث النبوى، وقول بعض الأئمة إن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن، ثم نتيجة هذا الربط بأن خبر الآحاد من أكذب الحديث ولا يغنى من الحق شيئاً هذا الربط ونتيجته ضلال مبين.

يقول المستشار سالم البهنساوى : "وأعظم من ذلك تلقين أكثر مدرسى الفقه الإسلامى بالجامعات الإسلامية هذه الظنية فى نفوس الطلاب دون بيان حقيقة المراد بهذه الكلمة، مما يسر اقتناع الطلاب بالتيارات الإلحادية المنحرفة التى تشكك فى حجية السنة، أو ترد بعض الأحاديث الصحيحة فى العقائد أو المعاملات أو غير ذلك بحجة أن الحديث آحاد، والآحاد يفيد الظن، والظن لا يغنى من الحق شيئاً، ومن ثم تصبح هذه الأقوال جناية ضد السنة النبوية، لأنها خلعت من بيان المقصود من هذه الظنية، وأنه لا أثر لها على حجية السنة، ووجوب العمل بها، فى العبادات والمعاملات والحدود ... إلخ"<sup>(٤)</sup>.

إن الظن الوارد فى هذه الآيات غير الظن الذى يتحدث عنه أهل الكلام، غير الظن الذى وصف به خبر الآحاد على لسان أئمة المسلمين من الفقهاء، والمحدثين، والأصوليين. وبالتالي من الخطأ البين حصر معنى الظن فيما استدلوا به. وإليك المراد بحقيقة هذه الكلمة عند علماء الأمة.

(١) الآية ٢٣ من سورة النجم.

(٢) الآية ٢٨ من سورة النجم.

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأدب، باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ١٠ / ٤٩٩ رقم ٦٠٦٦، ومسلم (بشرح النووى) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتجاش، وغيرها ٨ / ٣٦١ رقم ٢٥٦٣ من حديث أبى هريرة ؓ.

(٤) السنة المفترى عليها للمستشار البهنساوى ص ١٤٨، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٠ بتصرف.

## التعريف بالظن لغة واصطلاحاً :

قال الفيروزآبادي : "الظن التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم"<sup>(١)</sup>، قال الأستاذ محمد رشيد رضا : وهو تعريف مأخوذ من اصطلاح علماء المعقول كالمناطقة والفلاسفة<sup>(٢)</sup>، ومثله قول الجرجاني : الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، وقيل الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان، ويستعمل في اليقين والشك<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا صار أهل الأصول في تعريفهم للظن<sup>(٤)</sup>.

فمن استعملاته في اليقين قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَادُّنَ اللَّهُ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ﴾<sup>(٦)</sup>. ويطلق اليقين على الظن كما في قوله تعالى: ﴿فَبِإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾<sup>(٧)</sup> أى ظننتموهن.

"وليس معنى ذلك أن كل يقين ظن، وإنما المراد أن الظن على مراتب، منها ما يرادف اليقين، ومنها ما هو دونه فيبينهما العموم والخصوص بإطلاق"<sup>(٨)</sup>.

فخير الأحاد وإن كان ظنياً "بمعنى احتمال الخطأ والوهم والكذب على الراوى" فإن هذا الاحتمال بعد الثبوت والتأكد من عدالة الراوى، ومقابلة روايته بروايات أقرانه من المحدثين، يصبح الاحتمال بخطأه ووهمه - ضعيفاً - فيفيد الخبر العلم اليقيني، ولا سيما إذا احتفت به قرينة من القرائن السابق تفصيلها.

وحتى مع القول بأن خبر الواحد يفيد الظن الراجح بصدق الخبر، فإن هذا الظن يستند إلى أصل قطعي وهو القرآن الكريم.

يقول الشاطبي : "وهذه هي الظنون المعمول بها في الشريعة أينما وقعت، لأنها استندت إلى أصل معلوم، فهي من قبيل المعلوم جنسه ... فعلى كل تقدير : خير واحد صح سنده فلا بد من استناده إلى أصل في الشريعة قطعي، فيجب قبوله، ومن هنا قبلناه

(١) القاموس المحيط ٤ / ٢٤١، وانظر : مختار الصحاح ص ٤٠٦ .

(٢) انظر : مجلة المنار المجلد ١٩ / ٣٤٣ .

(٣) التعريفات ص ١٨٧ رقم ٩٣٤، وانظر : كشف اصطلاحات الفنون ٤ / ٩٣٩، ٩٤٠ .

(٤) انظر : الإحكام للأمدى ١ / ٣١، والبحر المحيط للزركشى ١ / ٧٤ .

(٥) جزء من الآية ٢٤٩ من سورة البقرة .

(٦) جزء من الآية ٢٤ من سورة ص .

(٧) جزء من الآية ١٠ من سورة الممتحنة .

(٨) انظر : مجلة المنار المجلد ١٩ / ٣٤٤ .

مطلقاً، كما أن ظنون الكفار غير مستندة إلى شيء فلا بد من ردها<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور السباعي : ثم إن الشرع الحنيف قد جاء بتخصيص القطعي بظني، كما في الشهادة على القتل والمال باثنين، مع أن حرمة المال والدم مقطوع بهما، وقد قبلت فيهما شهادة الاثنين وهي ظنية<sup>(٢)</sup>.

أما قياسهم الرواية على الشهادة في اعتبار العدد بحجة أن الرواية شرع عام والشهادة شرع خاص ولم يقبل فيها رواية الواحد، فلأن لا تقبل في حق كل الأمة من باب أولى.

هذا الكلام منقوض بسائر الأمور التي هي معتبرة في الشهادة لا في الرواية كالخبرية، والذكورية والبصر، وعدم القرابة<sup>(٣)</sup>، وقد حرر الحافظ السيوطي في التدريب الفرق بين الرواية والشهادة فيما يقرب من إحدى وعشرين فرقاً، فانظرها؛ فإنها مهمة<sup>(٤)</sup>.

ثم إن القول بظنية سنة الآحاد لا تنطبق على جميع السنة، بل على ما كان منها ضعيفاً أو الأحاديث التي حدث كلام في صحتها، لاسيما وقد ذهب المحققون من أهل الحديث والأصول، والفقهاء، إلى إفادة الخبر العلم فيما تلقته الأمة بالقبول كأحاديث الصحيحين أو ما احتفت به قرينة من القرائن الخارجية السابق ذكرها.

وكذلك فإن الحكم على كون الدليل قطعياً أو ظنياً من الأمور النسبية : يقول ابن قيم الجوزية : "كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي يختلف باختلاف المدرك المستدل، ليس هو صفة للدليل في نفسه، فهذا أمر لا ينازعه فيه عاقل، فقد يكون قطعياً عند زيد، ما هو ظني عند عمرو، فقولهم إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لا تفيد العلم، بل هي ظنية هو إخبار عما عندهم، إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم<sup>(٥)</sup>. ولمعرفتهم بذلك فالكلمة الفصل والأخيرة في المسألة لهم ولا تعويل على غيرهم

(١) الاعتصام ١/ ١٩٠، وانظر : الموافقات ٣/ ١٤ وما بعدها.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ١٥٢، وانظر : الإحكام للآمدي ٢/ ٦٢، والمحصل للرازي ٢/ ١٩٣، والمدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٠.

(٣) المحصول للرازي ٢/ ٢٠٦، وانظر : الإحكام لابن حزم ١/ ١١١، ١٢٧.

(٤) تدريب الرازي ١/ ٣٣١ - ٣٣٤.

(٥) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٧٦.

كالمتكلمين.

ويقول الدكتور صالح أحمد رضا: "وأين الدليل على أن الله ﷻ منعنا بالعمل بالظن، وأمرنا دائماً وأبداً باليقين؟

إن الله تعالى لم يطالبنا إلا بالظن الذى يغلب صدقه، أما الوصول إلى اليقين القاطع الذى ليس معه أى احتمال، فهذا لا يطلب من الإنسان المسلم، إذ ليس فى مقدوره أن يصل إلى اليقين، ولهذا عندما تكلم العلماء عن القرآن الكريم قالوا: إن بعضه قطعى الثبوت قطعى الدلالة، وبعضه قطعى الثبوت ظنى الدلالة، وقد قال تعالى فى محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١) فالراسخون فى العلم هم الذين يعودون بالمتشابهة إلى المحكم، ويفهمون بذلك الجميع، ومن يطلع على علم أصول الفقه يتبين الفروق بين العموم والخصوص، ودلالات الألفاظ على المعانى ودرجة تلك الدلالة مما جرى فيه اختلاف العلماء فى كل زمان، وفهمهم من كتاب الله تعالى، مما يدل على أننا لسنا متعبدين باليقين ....

فقد أوجب الله تعالى علينا قبول قول شاهدين والعمل بمقتضى شهادتها فى إثبات الحقوق، والدماء، ولا شك أن خبر الشاهدين هو خير آحاد ومع ذلك فخيرهما معتبر شرعاً (٢).

أما ما استدلوا به من الأخبار والآثار المرفوعة والموقوفة على عدم حجية خبر الواحد فهو أيضاً حجة عليهم لا لهم.

لأن الأخبار والآثار السابقة قبلها من توقف فيها، بموافقة راوى آخر، ولم تبلغ بذلك رتبة التواتر، ولا خرجت عن رتبة الآحاد.

فانضمام أبى بكر وعمر وغيرهما، مع خبر ذى اليمين عمل بخير آحاد، وكذلك الحال فى قصة أبى بكر وعمر، فانضمام محمد بن مسلمة إلى المغيرة بن شعبه لم يجعل حديث الجدة ينتقل من خبر آحاد إلى خبر متواتر.

(١) الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٢) ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها للدكتور صالح أحمد رضا ص ٥٨ - ٦٠.

وكذلك انضمم أبى سعيد الخدرى إلى أبى موسى الأشعرى عليه السلام لم ينقل الحديث إلى رتبة التواتر.

قال الإمام الآمدى : "فعلم من ذلك أن ما رده من الأخبار أو توقفوا فيه لم يكن لعدم حجية خبر الآحاد عندهم، وإنما كان لأمر اقتضت ذلك من وجود معارض، أو فوات شرط؛ لا لعدم الاحتجاج بها فى جنسها، مع كونهم متفقين على العمل بها، ولهذا أجمعنا على أن ظواهر الكتاب والسنة حجة، وإن جاز تركها والتوقف فيها لأمر خارجة عنها<sup>(١)</sup>."

١- فتوقف النبى صلى الله عليه وسلم فى خبر ذى اليدين لتوهم غلطه لانفراده بذلك السؤال دون من صلى معه صلى الله عليه وسلم، مع كثرتهم، فاستبعد الرسول صلى الله عليه وسلم حفظه دونهم، فحيث وافقه الباقون على ذلك، ارتفع توهم غلط ذى اليدين، وعمل بموجب خبره، فلم يلزم من ذلك رد خبر الواحد مطلقاً<sup>(٢)</sup>.

وهذه كتب الآثار طافحة بأمثلة عديدة تؤيد اعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم لخبر الواحد حجة فقد "بعث رسله واحداً واحداً إلى الملوك، ووفد عليه الآحاد من القبائل فأرسلهم إلى قبائلهم، وكانت الحجة قائمة بإخبارهم عنه صلى الله عليه وسلم مع عدم اشتراط التعدد<sup>(٣)</sup>." وهو القائل صلى الله عليه وسلم : "نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع"<sup>(٤)</sup>.

٢- وقل مثل ذلك فى قصة أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فتوقف أبى بكر فى خبر المغيرة بن شعبة فى ميراث الجدة. هذا ليس منه مطرداً، فهو يريد مزيداً من التثبت والتحوط لا اتهاماً للمغيرة باعتباره راوياً فرداً، ولا طعناً فى حجية خبر الواحد.

بدليل أنه قبل خبر عائشة وحدها فى أن النبى صلى الله عليه وسلم مات يوم الاثنين وقبل أيضاً خبرها وحدها فى قدر كفن النبى صلى الله عليه وسلم فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : دخلت على أبى بكر صلى الله عليه وسلم فقال : فى كم كفتتم النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فى ثلاثة أثواب

(١) الإحكام للآمدى ٢ / ٦١ .

(٢) الإحكام للآمدى ١ / ٦٢، وانظر : فتح البارى ١٣ / ٢٥٠ رقم ٧٢٥٤ - ٧٢٦٠ .

(٣) تدريب الراوى ١ / ٧٣ .

(٤) سبق تخريجه ١ / ٣٩ .

بيض سحولية ليس فيها قميص، ولا عمامة، وقال لها في أى يوم توفى رسول الله ﷺ؟ قالت يوم الاثنين. قال : فأى يوم هذا؟ قالت يوم الاثنين. قال : أرجوا فيما بيني وبين الليل ... الحديث" (١).

٣- وأما قصة عمر رضي الله عنه وتوقفه في خبر أبي موسى في الاستئذان، فإن أبا موسى أخبره بذلك الحديث عقب إنكاره عليه رجوعه بعد الثلاث، وتوعده، فأراد التثبت خشية أن يكون دافع بذلك عن نفسه (٢). يدل على ذلك ما جاء في إحدى طرق الحديث أن أبي بن كعب قال لعمر: "سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك يا ابن الخطاب! فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ قال سبحان الله! إنما سمعت شيئاً. فأحببت أن أتثبت" (٣).

وفى رواية: "والله إن كنت لأمینا على حديث رسول الله ﷺ، ولكن أحببت أن أتثبت" (٤)، وفى رواية: "أما إنى لم أتهمك، ولكن خشيت أن يتقوّل الناس على رسول الله ﷺ" (٥).

### وقد قبل عمر رضي الله عنه أخبار آحاد كثيرة دون توقف:

١- فقد قبل خبر عبد الرحمن بن عوف وحده في أخذ الجزية من المجوس. فيما روى عنه رضي الله عنه أنه ذكر المجوس، فقال : ما أدرى كيف أصنع في أمرهم. فقال : عبد الرحمن بن عوف : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : "سنوا بهم سنة أهل الكتاب" (٦).

٢- ومر قبوله خبر الضحك بن سفيان في توريث امرأة أشيم من دية زوجها (٧).

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجنائز، باب موت يوم الاثنين ٣ / ٢٩٧ رقم ١٣٨٧ .  
(٢) انظر : تدريب الراوى ١ / ٧٣، والرسالة للشافعي ص ٤٣٣ فقرات رقم ١١٨٩، ١١٩٦ .  
(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الآداب، باب الاستئذان ٧ / ٣٨٧ رقم ٧٢٥٤ .  
(٤) انظر : فتح الباري ١١ / ٣٢٢ رقم ٦٢٤٥ .  
(٥) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الاستئذان، باب الاستئذان ٢ / ٧٣٤ رقم ٣٠، وانظر : شرح الزرقاني ٤ / ٤٢٥ - ٤٢٧، والرسالة للشافعي ص ٤٣٥، ٤٣٦ فقرات رقم ١١٩٥ - ١٢٠٠ .  
(٦) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجزية، باب الجزية والمواذعة مع أهل الذمة والحرب ٦ / ٢٩٧ رقم ٣١٥٦، ٣١٥٧، وأخرجه مالك في الموطأ كتاب الجزية، باب جزية أهل الكتاب والمجوس ١ / ٢٣٣ رقم ٤٢ واللفظ له، وانظر : الرسالة للشافعي ص ٤٣١ رقم ١١٨٥ .  
(٧) راجع : ١ / ٣٢٤ .

٣- ومر حديث تناوبه هو وجار له من الأنصار في سماع الوحي<sup>(١)</sup>، ٠.أ.هـ والله أعلم.

## أدلة حجية خبر الآحاد

سبق وأن ذكرنا أن علماء المسلمين من أهل الحديث، وأئمة الفقه، وأصحاب الأصول - في القديم والحديث - اهتموا بهذه المسألة وكتبوا فيها أبواباً مطولة وفصولاً مطنبة، وفصلوا فيها الأدلة المستمدة من القرآن، والسنة، وعمل الصحابة، والتابعين، على حجية خبر الآحاد ووجوب العمل به.

وخلاصة القول في هذه الأدلة مسلكين على ما اختاره القاضي البيضاوي وعصبته كإمام الحرمين، والغزالي، والسبكي وولده، وفخر الدين الرازي، وغيرهم.

١- المسلك الأول : يستند إلى أمر متواتر، لا يمارى فيه إلا جاحد، ولا يدرؤه إلا معاند، وذلك أنا نعلم باضطرار من عقولنا أن الرسول ﷺ كان يرسل الرسل، ويحملهم تبليغ الأحكام، وتفصيل الحلال والحرام، وربما كان يصحبهم الكتب، وكان نقلهم أوامر رسول الله ﷺ على سبيل الآحاد، ولم تكن العصمة لازمة لهم، فكان خيرهم في مظنة الظنون، وجرى هذا مقطوعاً به، متواتراً لا اندفاع له، إلا بدفع التواتر، ولا يدفع التواتر إلا مباهت<sup>(٢)</sup>.

إلا أن المعارضين على قبول خبر الواحد قد أثاروا شبهة حول هذا المسلك وذلك بقولهم : "إن إرسالهم «أى الرسل والمبعوثون» إنما كان لقبض الزكاة والفتيا ونحو ذلك"<sup>(٣)</sup>.

وقد تولى الإجابة عن هذه الشبهة الحافظ ابن حجر فبين أن هذا الاعتراض "مكابرة" لأن العلم حاصل بأن إرسال الأمراء كان لأعم من قبض الزكاة، وإبلاغ الأحكام، وغير ذلك، ولو لم يشتهر من ذلك إلا تأمير معاذ بن جبل ﷺ وقوله له : إنك تقدم على قوم أهل كتاب . فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ﷻ فإذا

(١) راجع : ١ / ٣٤٣ .

(٢) انظر : البرهان للجويني ١ / ٢٢٨، والإبهاج في شرح المنهاج ٢ / ٣٠٧، ٣٠٨، والمستصفى ١ / ١٥١،

١٥٢، والمحصل للرازي ٢ / ١٨٠ .

(٣) القائل ذلك أبو الحسين البصري المعتزلي في المعتمد ٢ / ١٢١، ١٢٢ .

عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم<sup>(١)</sup>. لو لم يكن إلا هذا الحديث لكان فيه الغناء.

مع العلم أن "الأخبار طافحة بأن أهل كل بلد منهم، كانوا يتحاكمون إلى الذي أمر عليهم، ويقبلون خبره، ويعتمدون عليه من غير التفات إلى قرينة"<sup>(٢)</sup>.  
وقديماً استدل الإمام الشافعي بهذا المسلك في الرسالة فقال: "بعث رسول الله ﷺ سراياه وعلى كل سرية واحد، وبعث رسله إلى الملوك إلى كل ملك واحداً، ولم تزل كتبه تنفذ إلى ولاته بالأمر والنهي فلم يكن أحد من ولاته يترك إنفاذ أمره، وكذا كان الخلفاء من بعده<sup>(٣)</sup>. وبهذا المسلك أيضاً استدل الإمام البخاري في صحيحه في كتاب إخبار الآحاد باب ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحداً بعد واحد<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عباس: بعث النبي ﷺ دحية الكلبي<sup>(٥)</sup> بكتابه إلى عظيم بصرى أن يدفعه إلى قيصر<sup>(٦)</sup>.

والأمثلة على أمراء السرايا والبعوث، وأمراء البلاد، ورسله إلى الملوك، كتب السير والتاريخ، ودواوين السنة زاخرة بها<sup>(٧)</sup>.

**٢- المسلك الثاني:** إجماع الصحابة رضي الله عنهم على قبول خبر الواحد، وذلك في وقائع شتى لا تنحصر، وأحاديثها إن لم تتواتر فالجموع منها متواتر، ولو أردنا استيعابها

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٧/ ٦٦١ رقم ٤٣٤٧، ومسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٢٢٨ رقم ١٩.

(٢) انظر: فتح الباري ١٣/ ٢٤٧، ٢٤٨ رقم ٧٢٥٨ - ٧٢٦٠.

(٣) الرسالة ص ٤١٢ - ٤١٩ فقرات رقم ١٢٢٨، ١١٤٥ - ١١٤٧، ١١٥١، وانظر: فتح الباري ١٣/ ٢٥٤ رقم ٧٢٦٤ - ٧٢٦٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) ١٣/ ٢٥٤.

(٥) دحية الكلبي صحابي جليل له ترجمة في: الاستيعاب ٢/ ٤٦١ رقم ٧٠١، واسد الغابة ٢/ ١٩٧ رقم ١٥٠٧، والإصابة ١/ ٤٧٣ رقم ٢٣٩٥، ومشاهير علماء الأمصار ٧٢ رقم ٣٨٠، وتاريخ الصحابة ٩٤ رقم ٤٠٤.

(٦) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب بدء الوحي ١/ ٤٢، ٤٣ رقم ٧.

(٧) انظر: فتح الباري ١٣/ ٢٥٥، ٢٥٤ رقم ٧٢٦٥ - ٧٢٦٤، وطبقات ابن سعد ١٦/ وما بعدها، وزاد المعاد ٣/ ٥٩٥ - ٦٩٧، وسيرة ابن هشام ٤/ ٦٠٠، ٦٠٦، ٦٠٧ - ٦٥٠.

لطالت الأنفاس وانتهى القرطاس، فلا وجه لتعدادها إذ نحن على قطع بالقدر المشترك منها وهو رجوع الصحابة إلى خير الواحد إذا نزلت بهم المضلات، واستكشافهم عن أخبار النبي ﷺ عند وقوع الحادثات، وإذا روى لهم تسرعوا إلى العمل به<sup>(١)</sup>، فهذا ما لا سبيل إلى جحده ولا إلى حصر الأمر فيه<sup>(٢)</sup>.

وعلى ما أجمع عليه الصحابة ﷺ "أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت حجية خير الواحد، والانتفاء إليه في وجوب العمل به"<sup>(٣)</sup>.

وفي كتاب الله ﷻ، أدلة لا حصر لها تدل على : صحة المسلكين السابقين . ففي القرآن الكريم قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾<sup>(٤)</sup> . وقال : ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾<sup>(٥)</sup> . وقال : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾<sup>(٦)</sup> . وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿إِنَّا إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ﴾<sup>(٧)</sup> . وقال ﷻ ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٨)</sup> . فلو كان خير الواحد غير مقبول لتعذر إبلاغ الشريعة إلى الكل ضرورة، لتعذر خطاب جميع الناس شفاهاً، وكذا تعذر إرسال عدد التواتر إليهم، وهو مسلك جيد<sup>(٩)</sup>، ينضم إلى المسلكين السابقين وبه قال الإمام الشافعي في الرسالة<sup>(١٠)</sup>.

وقال الإمام الشافعي بعد ذكره قوله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>(١١)</sup> : ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾<sup>(١٢)</sup> . قال : فظاهر الحجج عليهم باثني ثم ثالث، وكذا أقام الحجة

(١) راجع : ١ / ٣٢٤ وما بعدها، وانظر : الرسالة للشافعي ص ٤٢٢-٤٣١ فقرات رقم ١١٦١-١١٨٣ .  
(٢) الإبهاج في شرح المنهاج ٢ / ٣٠٦، وانظر : البرهان للجويني ١ / ٢٢٩، والمستصفي ١ / ١٤٨-١٥٠، والمحصل ٢ / ١٨٠، والرسالة ص ٤٢٠ فقرة رقم ١١٥٧، والتقرير والتحبير ٢ / ٢٧٢-٢٧٥ .  
(٣) انظر : الرسالة ص ٤٥٧ رقم ١٢٤٨ .  
(٤) الآية الأولى من سورة نوح .  
(٥) الآية ٦٥ من سورة الأعراف .  
(٦) الآية ٧٢ من سورة الأعراف .  
(٧) الآية ١٦٣ من سورة النساء .  
(٨) الآية ٢٠ من سورة يس .  
(٩) انظر : فتح الباري ١٣ / ٢٤٨ رقم ٧٢٥٨ - ٧٢٦٠ .  
(١٠) الرسالة ص ٤٣٥ فقرة رقم ١٢٠١ .  
(١١) الآيتان ١٣، ١٤ من سورة يس .

على الأمم بواحد، وليس الزيادة فى التأكيد مانعة أن تقوم الحجة بالواحد إذ أعطاه الله ما يُبين به الخلق غير النبيين" (١) .

وبالجملة فكل خير واحد فى القرآن الكريم، وفى السنة المطهرة، يشهد بحجية خير الواحد ووجوب العمل به (٢) أ. هـ .

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

---

(١) الرسالة ص ٤٣٧ فقرة رقم ١٢١٣ .

(٢) انظر: ما استدلل به ابن قيم الجوزية على ذلك فى مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٥٥٠-٥٥٨، وانظر : الأحكام لابن حزم ١ / ١١٥، والمدخل إلى السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالمهدى ص ٢٨٤، ٢٨٦ .

## المبحث الرابع

**شروط حجية خبر الواحد ووجوب العمل به عند المحدثين  
والرد على شروط المعتزلة ومن قال بقولهم قديماً وحديثاً**

**شروط حجية خبر الواحد عند المحدثين :**

اتفق أهل الحديث أجمع على : أنه يشترط لصحة الحديث، وحجيته، ووجوب العمل به خمسة شروط : (١) اتصال السند (٢) عدالة الراوى (٣) ضبط الراوى (٤) عدم الشذوذ (٥) عدم العلة .

يقول ابن الصلاح : "أما الحديث الصحيح فهو الحديث المسند الذى يتصل استاده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذاً ولا معللاً" (١) أ هـ .  
والشرطان الآخران (عدم الشذوذ، وعدم العلة) من الشروط المعتبرة فى صحة المتن عند المحدثين، ولم يصرح بهما أئمة الفقه والأصول، لأن أكثر العلل التى يعلل بها المحدثون لا تجرى على أصول الفقهاء، فنراهم يأخذون بالحديث . وإن كان فيه بعض كلام للمحدثين بناء على أصولهم التى أصلوها وقواعدهم التى ارتضوها (٢) .

قال الحافظ السيوطى فى التدريب : "قال العراقي (٣) : وأما السلامة من الشذوذ والعلة فقال ابن دقيق العيد فى الاقتراح : إن أصحاب الحديث زادوا ذلك فى حد الصحيح قال : وفيه نظر على مقتضى نظر الفقهاء، فإن كثيراً من العلل التى يعلل بها المحدثون لا تجرى على أصول الفقهاء .

قال الحافظ العراقي : والجواب أن من يصنف فى علم الحديث؛ إنما يذكر الحديث

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٥، ١٦ .

(٢) والتى منها أن الفقيه قد يعلم صحة الحديث إذا لم يكن فى مسنده كذاب بموافقة آية من كتاب الله أو بعض أصول الشريعة فيحمله ذلك على قبوله والعمل به - كما يذهبون إلى صحة الحديث إذا تلقاه الناس بالقبول، وإن لم يكن له إسناده صحيح، كما قال ابن عبد البر فى حديث البحر (هو الظهور ماؤه الحل ميتته) انظر : تدريب الراوى ١/ ٦٧، ٦٨، والأجوبة الفاضلة ٢٢٨ - ٢٣٧، وانظر : ما قيل فى حديث البحر من علل والجواب عنها فى نيل الأوطار ١/ ١٤، وانظر : اختلافات المحدثين والفقهاء فى الحكم على الحديث للدكتور عبد الله شعبان على ص ٢٢١-٢٢١٨ .

(٣) العراقي هو : الحافظ الإمام الكبير، أبو الفضل، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، من أئمة المسلمين، وحفاظ الحديث، له مؤلفات كثيرة منها "الكافية" فى علوم الحديث و"نكت ابن الصلاح" و"المراسيل" وغير ذلك مات سنة ٨٠٦ هـ له ترجمة فى طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٤٣ رقم ١١٧٥، وحسن المحاضرة ١/ ٣٦٠ وإنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ٢/ ٢٧٥، وشذرات الذهب ٧/ ٥٥ .

عند أهله لا عند غيرهم من أهل علم آخر، وكون الفقهاء، والأصوليين، لا يشترطون في الصحيح هذين الشرطين<sup>(١)</sup>؛ لا يغير الحد عند من يشترطهما<sup>(٢)</sup>.

ولذلك قال ابن الصلاح بعد أن حد تعريف الحديث الصحيح في الشروط الخمسة السابقة قال: "فهذا هو الحديث الذي يحكم له بالصحة بلا خلاف بين أهل الحديث"<sup>(٣)</sup>.

وهذه الشروط كافية ومطمئنة للتأكد من ثبوت نسبة الحديث إلى قائله، سواء كان الحديث مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً.

يقول فضيلة الدكتور محمد أبو شعبة -رحمه الله تعالى- : على أنه لا ينبغي أن يغيب عن ذهن القارئ الفطن أن الرواية في الإسلام بشروطها من اتصال الأسانيد، ونقل العدول الضابطين، عن مثلهم إلى آخر السند، والحفظ واليقظة وعدم الغفلة، ضمانات كافية لترجيح الصدق والصواب، ترجيحاً قوياً على الكذب والخطأ، وترجيح الحفظ والضبط على جانب الغفلة والسهو<sup>(٤)</sup>.

هذا وهناك شروطاً أخرى مختلف فيها، بعضها أجاب عنها العلماء بأنها داخلة في نفس الشروط الخمسة السابقة، من ذلك اشتراط أن يكون الراوى مشهوراً بطلب الحديث، واشتراط أن يكون الراوى معروفاً بالفهم والمعرفة والمذاكرة، وكثرة السماع.

وأجاب عن ذلك الحافظ ابن حجر : بأن اشتراط شهرة الطلب يغنى عنها شرط ضبط الراوى، واشتراط أن يكون معروفاً بالفهم والمعرفة يغنى عن ذلك شرط عدم العلة؛ لأن العلة لا تعرف إلا بما ذكر من الفهم والمعرفة والمذاكرة وغيرهما<sup>(٥)</sup>.

وهناك شروطاً أخرى اشترطها بعض الأئمة، ولم يتفق عليها جمهور الفقهاء، والمحدثين، وأصحاب الأصول. من ذلك اشتراط فقه الراوى.

---

(١) تعرض أئمة الأصول لهذين الشرطين. مصطلحهم في مباحث (ضبط المتن) كما في أصول السرخسى ١ / ٣٥٥، وفي المحصول للرازي ٢ / ٢١٠ بعنوان (البحث في الأمور العائدة إلى المخبر عنه).

(٢) تدريب الراوى ١ / ٦٤، ٦٥.

(٣) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٦.

(٤) الإسماء والمعراج لفضيلة الدكتور أبو شعبة ص ٢١، وانظر : المدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الدكتور عبد المهدي ص ٣٠٠، مبحث (شروط المحدثين مطمئنة).

(٥) تدريب الراوى ١ / ٧٠.

وأجاب عن ذلك الرازي في الحصول بقوله : "لا يشترط كون الراوى فقيهاً سواء كانت روايته موافقة للقياس، أو مخالفة له : خلافاً لأبى حنيفة - رحمه الله - فيما يخالف القياس، ولنا الحجة فى ذلك من الكتاب، والسنة، والعقل .

أما الكتاب : فقوله تعالى ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾<sup>(١)</sup> . فوجب أن لا يجب التبين فى غير الفاسق، سواء كان عالماً أو جاهلاً .

وأما السنة فقوله ﷺ : "نضر الله امرأً سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه"<sup>(٢)</sup> .

وأما العقل : فهو أن خير العدل يفيد ظن الصدق؛ فوجب العمل به، لما تقدم من أن العمل بالظن واجب"<sup>(٣)</sup> .

وهناك شروطاً أخرى اشترطها بعض فقهاء الأحناف والمالكية لحجية خبر الواحد ووجوب العمل به .

ويهمنا هنا من هذه الشروط، الشروط المشتركة بين المعتزلة والأحناف، والتي قال بها بعضهم متأثراً بالمعتزلة .

وكانت تلك الشروط وسيلة من وسائل أهل الزيغ والهوى فى الطعن فى حجية السنة عامة، وفى حجية خبر الأحاد خاصة .

ومن هنا وجب التنويه على ذلك، وبيان أشهر تلك الشروط المختلف فيها، والتي خالف فيها المعتزلة ومن تأثر بهم، جمهور علماء الأمة من المحدثين والفقهاء والأصوليين، بل وناقضوا أنفسهم بالعمل بخلاف ما اشترطوا!!  
شروط المعتزلة لصحة خبر الواحد :

١- من هذه الشروط ما اشترطه متأخروا المعتزلة من العدد فى الرواية كما فى الشهادة، وكانوا أول من اشترطوا ذلك مخالفين كل فرقة فى علمها من السنة والخوارج والشيعة والقدريّة كما قال ابن حزم، وأبو بكر الحازمي وغيرهما، وكان غرضهم من ذلك، رد الأخبار وتعطيل العمل بخبر الأحاد كما جزم بذلك الأئمة الحازمي، وابن قيم، وعبد القادر البغدادي، وقلدهم فى ذلك الشرط بعض الفقهاء<sup>(٤)</sup>،

(١) جزء من الآية ٦ من سورة الحجرات .

(٢) سبق تقريره ١ / ٣٩ .

(٣) الحصول ٢ / ٢٠٨ .

(٤) انظر : شرح الأصول ص ٧٦٩، وأصول السرخسى ١ / ٣١٣ .

ولم يقفوا على مقصودهم من ذلك كما سبق من قول الإمام ابن قيم الجوزية .  
 ٢- واشترطوا أيضاً لصحة قبول خبر الواحد ألا يخالف ظاهر كتاب الله ﷻ فإذا ورد مخالفاً له؛ كان دليلاً على عدم صحته، وعلى الزيادة فيه كما يعبر السرخسي<sup>(١)</sup> .  
 ٣- واشترطوا ألا يكون خبر الواحد زائداً عن النص القرآني، وإلا كان نسخاً، ولا يثبت نسخ ما يوجب علم اليقين إلا بمثل ما يوجب علم اليقين من متواتر أو مشهور، أما أحاد فلا<sup>(٢)</sup> .

٤- واشترطوا ألا يكون في الحدود؛ لأنها تسقط بالشبهة، وخبر الواحد يحتمل أن راويه كذب أو سها أو أخطأ، فكان ذلك شبهه في درء الحد . وهو قول الكرخي<sup>(٣)</sup> من الحنفية، وأبي عبد الله البصري المعتزلي<sup>(٤)</sup> في أحد قوله<sup>(٥)</sup> .

٥- واشترطوا ألا يكون في العقائد، لأن خبر الواحد ظني، والعقيدة قطعية . وهو قول السرخسي الحنفي، وأبي الحسين البصري المعتزلي، وطوائف من أهل الكلام<sup>(٦)</sup> .  
 ٦- واشترطوا ألا يثبت به حكم شرعي (فخبر الواحد لا يثبت به فرض ولا تحريم)، وهو قول السرخسي من الحنفية، وأبي الحسين البصري من المعتزلة<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) أصول السرخسي ١/ ٣٦٥، وراجع : موقف المعتزلة من السنة ١/ ١١٠-١١٧ .  
 (٢) أصول السرخسي ١/ ٢٩٢، وانظر : أعلام الموقعين ٢/ ٢٨٩، والاعتصام ٢/ ٥٥٨ وما بعدها .  
 (٣) الكرخي هو : عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دهم، أبو الحسن الكرخي الحنفي، كان شيخ الحنفية بالعراق . من مؤلفاته "المختصر" و"شرح الجامع الكبير" و"شرح الجامع الصغير" . توفي سنة ٣٤٠هـ له ترجمة في شذرات الذهب ٢/ ٣٥٨، وتاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا ص ٣٩، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ١٣٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٥٣ رقم ٥٥٠٧، ولسان الميزان ٤/ ٥٢٨ رقم ٥٤٤٢ .  
 (٤) البصري هو : الحسين بن علي، أبو عبد الله البصري الحنفي، شيخ المتكلمين، وأحد شيوخ المعتزلة توفي سنة ٣٦٩ . له ترجمة في تاريخ بغداد ٨/ ٧٣ رقم ٤١٥٣، والفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي ص ٦٧، وطبقات المفسرين للدودي ١/ ١٥٩ رقم ١٥١، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ١٠٥، ولسان الميزان ٢/ ٥٥٩ رقم ٢٧٩٧ .  
 (٥) المعتمد في أصول الفقه ٢/ ٩٦، ٩٨، وفواتح الرحموت ٢/ ١٣٦، والبحر المحيط ٤/ ٣٤٨، وإرشاد الفحول ١/ ٢٣١، وانظر : مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٧٨ .  
 (٦) أصول السرخسي ١/ ٣٢٢، والمعتمد في أصول الفقه ٢/ ١٠٢، ٥٤٩ ومختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٨٦، وشرح الأصول الخمسة ص ٧٦٩، والمختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار ضمن رسائل العدل والتوحيد للدكتور محمد عمارة ١/ ٢٦٨، والنص والاحتجاج لعبد الحسين شرف الدين ص ٣٣٥، وراجع إن شئت موقف المعتزلة من السنة ١/ ١١٠-١١٧ . هذا وتأثر فضيلة الشيخ شلتوت -رحمه الله- بهذا الشرط وبالفهم بمكايته الإجماع إذ يقول : "إن أحاديث الأحاد لا تفيد عقيدة، ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغييات، قول بجمع عليه، وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء!!" انظر : الإسلام عقيدة وشريعة ص ٦١ . وهو مما حكاه أيضاً محمود أبو رية قائلاً : "ومما اتفق عليه جميع النظار أن أحاديث الأحاد لا يؤخذ بها في العقائد مهما قويت أسانيدُها وتعددت طرقُها"، انظر : أضواء على السنة ص ٢٤ .  
 (٧) أصول السرخسي ١/ ٣٣٤، ٣٣٥، والمعتمد في أصول الفقه ٢/ ٩٧، ٩٨ وأصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص ١١٦ . وقال بهذا الشرط فضيلة الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- في قوله : "إن خبر الواحد لا ينهض على إثبات حرمة أو إثبات فريضة"، انظر : مائة سؤال عن الإسلام ١/ ٢٤٩ .

تلك هي أشهر الشروط التي اشترطها المعتزلة، وقال بها بعض فقهاء الأحناف متأثرين بهم، والسرفى هذا التأثير يبدو طبيعياً في نشأتهم في بغداد، بيئة المعتزلة، وغيرهم من الفرق التي كانت مصدراً للفتن والحركات الثورية في العالم الإسلامي.

ويقصص لنا الإمام الزركشى<sup>(١)</sup> عن سر اشتراط الأحناف للشروط السابقة وغيرها بقوله: "قال الأستاذ أبو منصور عبد القادر البغدادي: وهذه أصول مهدوها من أجل أخبار احتج بها أصحابنا عليهم في مواضع عجزوا عن دفعها فردوها من هذه الوجوه التي ذكرنا. وقالوا بأشغالها في الضعف مع مخالفتها للقرآن الكريم"<sup>(٢)</sup>.

قلت: وهذا هو السر أيضاً في اشتراط الشروط السابقة من المعتزلة، فقد أرادوا بها محاجة خصومهم من أهل السنة. وإلا (فلو أنصف أهل الفرق من الأمة لأقروا بحجة خير الواحد وجوب العمل به. فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما ينهب إليه بخير الواحد.

ترى أصحاب القدر يستدلون بقوله ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه"<sup>(٣)</sup>.

وبقوله ﷺ في الحديث القدسي: "... وإني خلقت عبادي حنفاء. كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين؛ فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً"<sup>(٤)</sup>.

وترى أهل الإرجاء يستدلون بقوله ﷺ: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك؛ إلا دخل الجنة - قيل: وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق"<sup>(٥)</sup>.

(١) الزركشى هو: محمد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله الزركشى، الشافعي، الفقيه الأصولي المحدث، من مؤلفاته "البحر المحيط" و"شرح جمع الجوامع" توفي سنة ٧٩٤هـ له ترجمة في شذرات الذهب ٦/ ٣٣٥، والفتح المبين في طبقات الأصوليين لعبد الله مصطفى المراغي ٢/ ٢٠٩.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٣٤٩.

(٣) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام ٣/ ٢٦٠، رقمي ١٣٥٨، ١٣٥٩، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار، وأطفال المسلمين ٨/ ٤٥٨ من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٩/ ٢١٤، رقم ٢٨٦٥ من حديث عياض بن حماد المجاشعي ؓ.

(٥) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ٣/ ١٣٢ رقم ١٢٣٧، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار ١/ ٣٧٠، رقم ٩٤ من حديث أبي هريرة ؓ.

وترى الرافضة يحتجون بقوله ﷺ : "ليردن على الخوض رجال من صاحبي. حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلى، اختلجوا دوني. فلاقولن : أى رب أصيحابي • أصيحابي. فليقالن لى : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" (١).

وترى الخوارج يستدلون بقوله ﷺ : "سباب المسلم، فسوق، وقتاله، كفر" (٢).  
وبقوله : "لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن" (٣). إلى غير ذلك من الأحاديث التى يستدل بها أهل الفرق، وهى كلها خير آحاد (٤).

إن الشروط التى اشترطها بعض فقهاء الأحناف والمالكية لقبول خير الآحاد، وبالأخص الشروط التى اشترطها المعتزلة، وتأثر بها بعض الأحناف والتى سبق ذكرها؛ اتخذها أهل الزيغ والهوى وسيلة للتشكيك فى حجية السنة المطهرة عامة، وخير الآحاد خاصة (٥).

ووجدنا بعضهم فى عصرنا يردد الشروط السابقة بأشد التعبيرات وأوسعها فى المعنى:

١- فوجدنا من يقطع بأن : أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها فى العقائد مهما قويت أسانيدھا وتعددت طرقھا (٦).

٢- ووجدنا من يقول: إن كل مسلم يبنى عقيدته على دليل ظنى؛ يكون قد ارتكب جرماً وإثماً .

٣- ووجدنا من يقول : إن أحاديث الآحاد لا تصلح فى العقوبات لخطورتھا .

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب إثبات حوض النبی ﷺ وصفاته ٨ / ٦٦ رقم ٢٣٠٤ من حديث أنس بن مالك ﷺ .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ١ / ١٣٥ رقم ٤٨، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان قول النبی ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ١ / ٣٣٠ رقم ٦٤ من حديث ابن مسعود ﷺ .

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المظالم، باب النهى بغير إذن صاحبه ٥ / ١٤٣ رقم ٢٤٧٥، وأخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفى كماله ١ / ٣١٧ رقم ٥٧ من حديث أبى هريرة ﷺ .

(٤) مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٥٥٨، ٥٥٩ .

(٥) انظر : أصول الفقه المحمدى لشاىخنا الفصل الرابع (الأحاديث فى مدارس الفقه القديمة - ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلا عن مجلة كلية الدعوة الإسلامية بليبيا العدد ١١ ص ٦٧١ - ٦٨٧ . وانظر : أضواء على السنة محمود أبو رية ص ٣٦٥، ٣٦٩ - ٣٩٨، والأصطلان العظيمان ص ٢٩٧، والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص ٩٦، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٣٦٣ وغيرهم .

(٦) انظر : أضواء على السنة لمحمود أبو رية ص ٢٤ .

٤- ووجدنا من يقول: إن خير الآحاد لا يصلح فى الأمور الدستورية والسياسية لأهميتها<sup>(١)</sup>.

٥- ووجدنا من يقول: إن أحاديث سنة (الآحاد) لا يعمل به فى الأمور الاعتقادية، فلا يعتبر ما ورد فيه فرضاً دينياً، أو واجباً دينياً، بل يؤخذ به فى أمور الحياة على سبيل الاستئناس والاسترشاد<sup>(٢)</sup>.

ومما هو جدير بالذكر: أن الإمام الشافعى قد أفاض فى مناقشة شروط الأحناف والمالكية، وفندها فى كتابيه (الأم) و(الرسالة).

ومن مهارة الإمام فى دفاعه وتقنيده حجج الأحناف والمالكية فيما اشترطوه من شروط زائدة على ما اشترطه أهل الحديث - لصحة خير الواحد طعن اعداء الإسلام فى دفاع الإمام الشافعى وعابوه.

ومن سلك هذا المسلك جوزيف شاخ فى الثلاثة فصول الأولى من كتابه (أصول الفقه المحمدى)<sup>(٣)</sup> وتابعه نصر أبو زيد فى كتابه (الإمام الشافعى وتأسيس الأيدولوجية الوسطية)<sup>(٤)</sup>، وجمال البنا فى كتابيه الأصول<sup>(٥)</sup>، والسنة ودورها فى الفقه الجديد<sup>(٦)</sup>، وإسماعيل منصور فى تبصير الأمة بحقيقة السنة<sup>(٧)</sup>، ومحمد شحرور فى الدولة والمجتمع<sup>(٨)</sup> وغيرهم.

والحق: أن الإمام الشافعى لم يكن وحده فى الميدان يدافع عن رأى جمهور علماء

---

(١) كالدكتور عبد الحميد متولى فى كتابه مبادئ نظام الحكم فى الإسلام، والدكتور محمد سعاد، وغيرهم. انظر: مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور على جريشة، وانظر: السنة المفترى عليها للمستشار البهنساوى ص ١٥٤، ٣٤١، ٣٥٨، ٣٥٩.

(٢) حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص ٩٥، ١٠٥، والربا والفائدة فى الإسلام ص ٨ كلاهما لسعيد العشماوى، وانظر: أضواء على السنة لمحمود أبو ربه ص ٣٧٨ والسنة ودورها فى الفقه الجديد لجمال البنا ص ١٥٠، وتبصير الأمة بحقيقة السنة لإسماعيل منصور ص ٣٦٩ وغيرهم.

(٣) انظر: الفصل الأول منه بعنوان (النظرة التقليدية للفقه الإسلامى) والفصل الثانى بعنوان (مدارس الفقه القديمة وموقف الشافعى منها)، والفصل الثالث بعنوان "الشافعى والأحاديث الفقهية" وغير ذلك فى أماكن متفرقة من كتابه. ترجمه الأستاذ الصديق بشير نقلا عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١١ ص ٦٤٨ - ٦٦٧.

(٤) انظر: الإمام الشافعى وتأسيس الأيدولوجية الوسطية ص ٥-١٤٦.

(٥) انظر: الأصول العظيمان ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٦) انظر: السنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١٥، ٦١، ٩٦.

(٧) انظر: تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٣٧٥.

(٨) انظر: الدولة والمجتمع ص ٢٣٥.

الأمة ضد شروط الأحناف والمالكية، وإنما كان هناك غيره على ما حكاه الإمام ابن أبي حاتم الرازي في كتابه آداب الشافعي<sup>(١)</sup>، إلا أنه - رحمه الله - أفاض في الدفاع أكثر من غيره، وارتضى علماء الأمة من بعده دفاعه وصوبوه ودافعوا عنه<sup>(٢)</sup>.

يقول الاستاذ عبد الحليم الجندى دفاعاً ضد أعداء الإسلام فيما اتهموا به الإمام الشافعي من وضعه أصول خالف فيها بزعمهم من سبقه، قال: "وإنك لترى - بادئ الرأي - أن الأصول التي عرضتها "الرسالة" أصول مسلمة لا شبهة فيها، تسليم الكشوف العلمية، وأنها قواعد عملية قبل أن تكون فلسفية أو نظرية، ولهذا عبرت العصور عصرًا، بعد عصر، عماداً للعلماء في حقول الفكر، وأنها ولدت كاملة، إذ كانت وليدة الاستقراء الشامل، فعدت، منذ وجدت، من المسلمات يتتابع عليها الفقهاء في شتى المذاهب. مما فيهم رافضوا القياس الذين يعتمدون على النصوص وحدها<sup>(٣)</sup>."

(١) انظر: آداب الشافعي لابن أبي حاتم ص ١٦٩.

(٢) ومن هؤلاء الأئمة الأعلام الذين أفاضوا في ذلك بعد الإمام الشافعي الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين ٢/ ٢٧١ وما بعدها. هذا فضلاً عن تحقیقات أئمة أصول الفقه في مباحثهم في غير الآحاد. أما ما ينسب من تلك الشروط السالفة إلى الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة المقبولين عند الأئمة قبولاً عاماً. فقد دافع عن ذلك ابن تيمية في كتابه رفع الملام عن الأئمة الأعلام، وصحة أصول مذهب أهل المدينة، انظر: أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٢/ ٢٢٩، والإنصاف في بيان سبب الاختلاف في الأحكام الفقهية للعلامة أحمد الدهلوی ص ١٦-٤٣، والسنة المطهرة بين أصول الأئمة وشبهات صاحب فجر الإسلام وضحاها، والسنة مع القرآن كلاهما لفظة الأستاذ الدكتور سيد أحمد المسير، وكيف نتعامل مع السنة النبوية للدكتور يوسف القرضاوی مبحث (جميع الفقهاء يتكلمون إلى السنة) ص ٥٤، ٥٥.

(٣) الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول ص ٢١٥، والإنصاف في بيان سبب الاختلاف للدهلوی ص ١٦، ٣٦، وانظر للاستزادة: نقض كتاب نصر أبو زيد، ودحض شبهاته للدكتور رفعت فوزی، ونقض مطاعن نصر أبو زيد في القرآن والسنة والصحابة وأئمة المسلمين للدكتور إسماعيل سالم، ومناقب الشافعي للرازي، وآداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم، ومناقب الشافعي لليهقي، والمداخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية للدكتور شعبان محمد إسماعيل ٢/ ٤١٠ - ٤١٧، وأصول الفقه الإسلامي للدكتور طه جابر العلونی ص ١٥ - ٢٥.

## الجواب

### عن الشروط السابقة ومن قال بها قديماً وحديثاً

أولاً : ما اشترطوه من العدد لصحة قبول خبر الآحاد :

فقد مر قريباً الرد على ما احتجوا به في اشتراط العدد من قصة توقف رسول الله ﷺ في خير ذي اليمين، وتوقف عمر في خير أبي موسى الأشعري، وغير ذلك.

والحق أن اشتراط العدد لصحة قبول خبر الآحاد [بدعة ضالة منكرة يابها واقع الصحابة والرسول ﷺ]، ويرفضها العقل والمنطق السليمان المجردان من الهوى والزيغ، فيستحيل في الواقع أن يسير الرسول ﷺ في كل أحيائه مع كوكبة من أصحابه تبلغ حد التواتر، لا يتركونه في حله، أو في ترحاله، أو في يقطته، أو في فراش نومه حتى يتم التصديق بما جاء عنه من آحاد الصحابة، ويستحيل في عرف العقل والمنطق أن يتقاعس المسلمون عن الدعوة، وينفضوا أيديهم عن مقومات حياتهم ووجودهم من تجارة وزراعة ونحوها، فلا يرحلون المدينة، ولا يتجاوزون رسولهم (، إلى غيره، ليتفرغوا جميعاً. لنقل ما يصدر عنه حتى يتم تصديق الأصحاب فيما يبلغونه عنه، فالواقع، والعقل، والمنطق كلهم يرفض ذلك ويزدريه، ويرثى على المتمسكين بشرط العدد، بحافاتهم للعقل والمنطق، وعدم إدراكهم لواقع الأشياء، فقد كان بعض الصحابة يشغلهم الصنف في الأسواق، وكان بعضهم يشغله الجهاد في سبيل الله ﷻ، وكان منهم من يلازم الرسول ﷺ، على ملء بطنه، يحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون، من أجل ذلك كان يروى عنه الواحد، والإثنان، والثلاثة، والأكثر، ومن أجل ذلك أيضاً كانت إحدى نسائه تروى عنه بعض ما يحدث منه في البيت مما تفرد عنه أصحابه، وما يحدث بين المرأة وزوجها من أمور تشريعية<sup>(١)</sup>، هذا فضلاً عن أنه لم يشترط عدداً يلزمه، أو عدداً يحضر عند تحديثه.

ويقول الحافظ ابن حجر : "وأما من شرط العدد، فهو قول شاز مخالف لما عليه الجمهور، بل تقبل رواية الواحد إذا جمع أوصاف القبول"<sup>(٢)</sup>.

(١) السنة النبوية بين دعاء الفتنة وأدعاء العلم لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الموجود عبد اللطيف ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) أنظر : لسان الميزان ١ / ٢٦، ٢٧.

ويقول فضيلة الدكتور أبو شهبه : "ثم ما هذه البدعة السيئة، بدعة أن الخير ما دام لم يتواتر لا يقبل ولا يؤخذ به ولو أن كل مسألة من مسائل العلم والمعرفة لم نكتف فيها إلا بالتواتر لما سلم لنا من المعارف إلا القليل، بل لو أننا طبقنا هذه القاعدة على علم التاريخ والآداب لما سلم لنا منها إلا شيء أقل من القليل" (١).  
ومع كل هذا فإن المحدثين لم يهملوا العدد، وإنما اعتبروه في تقسيمهم لخبر الآحاد إلى غريب، وعزيز، ومشهور.

والترجيح بكثرة العدد عند التعارض، وما أنت قد سمعت آنفاً ما ذكره أئمة الحديث وجهابذته من أن الحديث المتواتر يوجد بكثرة في كتب الحديث المشهورة مثل الكتب الستة والمسانيد وغيرها (٢).

### ثانياً : ما اشترطوه لصحة قبول خبر الواحد :

١- بألا يخالف ظاهر كتاب الله ﷻ فقد استدلوا لذلك بأدلة منها ما روى عن رسول الله ﷺ، "تكثُر الأحاديث لكم بعدى، فإذا روى لكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى، فما وافقه فاقبلوه، واعلموا أنه منى، وما خالفه فردوه، وأعلموا أنى منه برى" (٣).

٢- واستدلوا أيضاً بما روى عن أبى بكر وعمر وعائشة وغيرهم من الصحابة رضوا الله عنهم في ردِّهم خبر فاطمة بنت قيس (٤) -رضى الله عنها-، فيما روى عنها عن النبي ﷺ، في المطلقة ثلاثاً قال: "ليس لها سكنى ولا نفقة" فرد ذلك عمر رضي الله عنه، بقوله: "لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ، لقول امرأة لا ندرى لعلها حفظت أو نسيت". لها السكنى والنفقة قال الله ﷻ: ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ (٥).

٣- واستدلوا أيضاً ببرد عائشة (رضى الله عنها) حديث عمر وابنه عبد الله -

(١) الإسرائء والمعراج لفضيلة الدكتور محمد أبو شهبه ص ٢١ .

(٢) راجع : إن شئت ص ٨-٦ .

(٣) الأم ٧ / ٣٠٧-٣٠٨، وأصول السرخسى ١ / ٣٦٥، والمعتمد فى أصول الفقه ٢ / ٨٠ .

(٤) فاطمة بنت قيس: صحابية جلييلة لها ترجمة فى: الإصابة ٤ / ٣٨٤ رقم ١١٦٠٨ والاستيعاب ٤ / ١٩٠١ رقم ٤٠٦٢، وتاريخ الصحابة ص ٢٠٩ رقم ١١١٤، واسد الغابة ٧ / ٢٢٤ رقم ٧١٩٣ .

(٥) الآية الأولى من سورة الطلاق، والحديث أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ٥ / ٣٠٦ رقم ١٤٨٠، وانظر : رقم ١٤٨١ .

رضى الله عنهما- فى تعذيب الميت ببعض بكاء أهله عليه، فردت ذلك عائشة بقولها "يرحم الله عمر لا والله ما حدث رسول الله ﷺ : "إن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد" ولكن قال : "إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه" حسبكم القرآن: ﴿أَلَا تَوَرُّوْا وَزَّرْ أُخْرَى﴾ (١).

٤- واستدلوا برد على بن أبى طالب ﷺ خير معقل بن سفيان ﷺ فيما روى عن ابن مسعود ﷺ؛ أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً، ولم يدخل بها حتى مات. فقال ابن مسعود : لها مثل صداق نساءها . لا وكس ولا شطط . وعليها العدة ولها الميراث . فقام معقل بن سنان الأشجعي (٢)، فقال : قضى رسول الله ﷺ، فى بروع بنت واشق، امرأة منا . مثل الذى قضيت . ففرح بها ابن مسعود (٣) فرد ذلك على بن أبى طالب ﷺ بقوله : "لا ندع كتاب ربنا لقول أعرابى بوال على عقبه" (٤) . واستدل بالأحاديث السابقة أو بعضها كل من محمود أبو رية فى (أضواء على السنة) (٥)، وأحمد أمين فى (فجر الإسلام) (٦)، وأحمد حجازى السقا فى كتابه (دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي) (٧)، وجمال البنا فى (السنة ودورها فى الفقه الجديد) (٨)، وإسماعيل منصور فى (تبصير الأمة بحقيقة السنة) (٩)، ونيازى عز الدين فى (دين

(١) الآية ٣٨ من سورة النجم، والحديث أخرجه البخارى (بشوح فتح البلى) كتاب الجنائز، باب قول النبى ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إن كان النوح من سنته ٣ / ١٨١ رقمى ١٢٨٧، ١٢٨٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ٣ / ٥٠٣، رقمى ٩٢٧، ٩٢٩ .

(٢) معقل بن سنان الأشجعي : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة ٣ / ٤٤٦ رقم ٨١٥، واسد الغابة ٥ / ٢٢١ رقم ٥٠٣٣، والاستيعاب ٣ / ١٤٣١ رقم ٢٤٦٠، وتاريخ الصحابة ٢٣٩ رقم ١٣١١، ومشاهير علماء الأمصار ص ٥٧ رقم ٢٨١ .

(٣) أخرجه أبو داود فى سنته كتاب النكاح، باب فىمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات ٢ / ٢٣٧ رقم ٢١١٤، والترمذى فى سنته كتاب النكاح، باب ما جاء فى الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها ٣ / ٤٥٠ رقم ١١٤٥، وقال : وفى الباب عن الجراح . وحديث ابن مسعود حسن صحيح . واللفظ للترمذى .

(٤) هذه الزيادة أخرجه سعيد بن منصور فى سنته ١ / ٢٣٢ رقم ٩٣١، وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ٦ / ٢٩٣ . قال الشوكاني فى هذه الزيادة (لم يثبت عنه من وجه صحيح ولو سلم ثبوته فلم ينفرد بالحديث معقل المذكور بل روى من طريق آخر غيره، بل معه الجراح كما وقع عند أبى داود، والترمذى وناس من الشجع، انظر : نيل الأوطار ٦ / ١٧٣ . وقال الصنعاني فى سبل السلام "وأما الرواية عن على ﷺ - فقال فى البدر المنير لم يصح عنه، انظر : سبل السلام ٣ / ١٠٤٥ .

(٥) انظر : أضواء على السنة ص ٧٣، ٧٤ .

(٦) انظر : فجر الإسلام ص ٢١٦، ٢١٧ .

(٧) انظر : دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ١٠٤، ١٠٥، ١٥٦، ١٩٣ .

(٨) انظر : السنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١١٣ .

(٩) انظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٣٠٥، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٩، ٤١٩ .

السلطان<sup>(١)</sup> وغيرهم.

وتأثر بهذا الشرط والمنهج، فضيلة الشيخ محمد الغزالي - غفر الله له وزاد في إحسانه وتجاوز عن سيئاته - في كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) إذ يقول معقباً على قول عائشة -رضي الله عنها- (حسبكم القرآن) يقول الشيخ : وعندي أن ذلك المسلك الذي سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم<sup>(٢)</sup>.

والجواب : إن ما استدلل به على رد خير الآحاد إذا كان زائداً على النص القرآني لا حجة لهم فيه فحديث (عرض السنة على القرآن) سبق تخريجه وبيان وضعه<sup>(٣)</sup>. وبقية الأخبار التي جاء فيها رد بعض الصحابة لبعض الأخبار لمجرد تعارضها الظاهري مع القرآن لا حجة لهم فيها أيضاً. والحق مع الخير وهو موافق لكتاب الله ﷻ.

وقد أفاض في الدفاع عن خير فاطمة ابن قيم الجوزية في زاد المعاد<sup>(٤)</sup>. وقال الشوكاني ما قيل في الخير من أنه مخالف للقرآن فوهم<sup>(٥)</sup>. ومما هو جدير بالذكر أن أبا حنيفة النعمان -رحمه الله- قال بخير فاطمة<sup>(٦)</sup>. وكذلك الحال في خير تعذيب الميت ببعض بكاء أهله عليه، الحق مع الخير، ولا مخالفة فيه لكتاب الله ﷻ، كما هو واضح من ترجمة الإمام البخاري لباب الحديث (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إن كان النوح من سنته)<sup>(٧)</sup>. أما ما قاله علي بن أبي طالب عليه السلام رداً على خير معقل بن سنان عليه السلام؛ فقد سبق من قول الشوكاني وغيره أن هذا لم يصح عنه، ولو سلمت صحته فلم ينفرد به معقل، والجمهور مع الخير فهو أيضاً صحيح موافق لكتاب الله ﷻ<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر : دين السلطان ص ٩٤١ .

(٢) انظر : السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص ٢٣ .

(٣) راجع : ٢٢٣-٢٢٦ .

(٤) انظر : زاد المعاد ٥٢٢/ ٥ - ٥٤٢ .

(٥) نيل الأوطار ٦/ ٣٠٣ .

(٦) المنهاج شرح مسلم للنووي ٥/ ٣٥٩، وانظر : نيل الأوطار ٦/ ٣٠٣، وسبل السلام ٣/ ١١٢٦ .

(٧) انظر : صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) ٣/ ١٨١، وانظر : نيل الأوطار ٤/ ١٠٢، ١٠٦، والإجابة لايراد ما استدركه عائشة على الصحابة للإمام الزركشي ص ١٠٢، ١٠٣ .

(٨) انظر : نيل الأوطار ٦/ ١٧٣، وسبل السلام ٣/ ١٠٤٥، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢١٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ١٩٧، ومنهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي للدكتور الأدلبي ص ١٣٥ .

ومع أن الجمهور مع الأخبار التي توقف فيها بعض الصحابة لتعارضها الظاهري مع القرآن الكريم فقد حملوا هذا التوقف من الصحابة على التثبت والاحتياط، ولم يكن ذلك منهم مسلكاً مطرداً بدليل ما سبق ذكره من حالهم في احتجاجهم بخبر الواحد والعمل به .

ومما هو جدير بالذكر أن من اشتراطوا هذا الشرط من الأحناف، خالفوه، وقبلوا أخباراً بأسانيد ضعيفة مع مخالفتها للقرآن الكريم، وقد أكثر من تفصيل ذلك ابن قيم الجوزية<sup>(١)</sup> .

**ثالثاً :** ما زعموه أن زيادة خبر الواحد على النص القرآني تعد نسخاً؛ فقد أفاض في الرد على ذلك الامام ابن قيم الجوزية، مبيناً المراد بالنسخ في السنة الزائدة على القرآن الكريم، قائلاً : " ما تعنون بالنسخ الذي تضمنته الزيادة بزعمكم؟ أتعنون أن حكم المزيد على القرآن من الإيجاب، والتحريم، والإباحة بطل بالكلية، أم تعنون به تغير وصفه بزيادة شيء عليه من شرط أو قيد أو مانع أو تخصيص أو ما هو أعم من ذلك؟

فإن عنيتم الأول فلا ريب أن زيادة خبر الواحد لا تتضمن ذلك، فلا تكون ناسخة . وإن عنيتم الثاني، فهو حق، ولكن لا يلزم منها بطلان حكم المزيد عليه، ولا رفعه، ولا معارضته، بل غاية الزيادة بخبر الواحد كالشروط، والموانع، والقيود، والمخصصات، وشيء من ذلك لا يكون نسخاً يوجب إبطال الأول ورفع رأساً .

وإن كان نسخاً بالمعنى العام الذي يسميه السلف نسخاً، وهو رفع الحكم الظاهر في القرآن بتخصيص أو تقييد أو توضيح ... إلخ، فهذا كثير من السلف يسميه نسخاً . حتى سمي الاستثناء نسخاً، فإن أردتم هذا المعنى، فلا مشاحة في الاسم، ولكن ذلك لا يسوغ رد السنن الناسخة للقرآن بهذا المعنى، ولا ينكر أحد ممن يعتقد به نسخ القرآن بالسنة بهذا المعنى بل هو متفق عليه بين الناس، وإنما تنازعوا في جواز نسخ القرآن بالسنة، النسخ الخاص الذي هو رفع أصل الحكم وجملة بحيث يبقى بمنزلة ما لم يشرع البتة<sup>(٢)</sup> .

(١) أعلام الموقعين ٢ / ٢٨٨ وما بعدها .

(٢) أعلام الموقعين ٢ / ٢٩٧ بتصرف، وانظر : البحر المحيط ٤ / ٣٤٨، والإحكام لابن حزم ١ / ١١٣، والسنة مع القرآن لفضيلة الدكتور سيد أحمد المسير ص ٥٢ - ٦٤ .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الأحناف مع قولهم بعدم قبول خير الواحد إذا كان زائد على القرآن، فقد قبلوا أحكاماً كثيرة زائدة على ما في القرآن بعضها من السنة المشهورة كحد الرجم، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، وغير ذلك من الأحكام الزائدة على ما في القرآن وقبلوها لأنها ثبتت بسنة مشهورة تفيد عندهم علم طمأنينة القلب<sup>(١)</sup>.

هذا في حين أن أهل الزيغ والهوى عندما يستدلون بمذهب الأحناف وبشرطهم يتجاهلون هذا إما عن عمدٍ للتضليل، وإما عن جهل بشرطهم، وهو جعلهم المشهور قسماً للمتواتر في إفادة العلم، وقبول ما أثبتته زائدة على النص القرآني. وهو ما رفضه أعداء السنة في خير الرجم، والجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها... وغير ذلك بالرغم من استشهادهم بشرط الأحناف بعدم قبولهم خير الواحد إذا كان زائد على القرآن الكريم.

فتأمل كيف استغلوا ذلك الشرط للتشكيك في حجية خير الواحد، والطعن في الأحكام التي استقلت السنة بتشريعيها!!

**واعلم:** أن من اشترط ذلك الشرط؛ فقد اشترطه على هوى في نفسه، حيث طبقه حيث اشتهى، ورفضه أيضاً حيث اشتهى، وقد أكد ذلك غير واحد من الأئمة بعد ذكرهم أمثلة كثيرة على مخالفتهم لما اشترطوه، وقبولهم أحكاماً زائدة على ما في القرآن.

يقول ابن حزم: "فمن أين جوزتم أخذ الزائد على ما في القرآن كما ذكرنا حيث اشتهيتم، ومنعتم منه حيث اشتهيتم، وهذا ضلال لا خفاء به، وكل ما وجب العمل به في الشريعة فهو واجب أبداً في كل حال"<sup>(٢)</sup>.

**رابعاً:** أما ما اشترطوه في صحة خير الواحد بالآ يكون في الحدود؛ فقد رد ذلك أئمة الأصول يقول الإمام الآمدي: "اتفقت الشافعية، والحنابلة، وأبو يوسف<sup>(٣)</sup>، وأبو بكر الرازي<sup>(٤)</sup> من أصحاب أبي حنيفة، وأكثر الناس على قبول خير الواحد فيما

(١) انظر: الأم للشافعي ١١/٧ وما بعدها.

(٢) الإحكام لابن حزم ١١٤/١، وانظر: الأم ١٥/٧، وأعلام الموقعين ٢/٢٨٩، ٢٩٣ وما بعدها.

(٣) أبو يوسف هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، أبو يوسف، صاحب أبي حنيفة، تولى القضاء لثلاثة من الخلفاء، المهدي، والهادي، والرشيد، وهو أول من وضع الكتب على مذهب أبي حنيفة مات سنة ١٨٢هـ. له ترجمة في: وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/٢١١، وتاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطولوغا ص ٨١.

(٤) أبو بكر الرازي هو: أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص، الفقيه الحنفي، من أهل الرأى، سكن بغداد، وانتهت إليه رئاسة الحنفية، توفي سنة ٣٧٠هـ. له ترجمة في الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي ١/٢١٤، والجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر محمد القرشي ١/٨٤.

يوجب الحد، وفي كل ما يسقط بالشبهة، خلافاً لأبي عبد الله البصري، والكرخي .  
ودليل ذلك أنه يغلب على الظن، فوجب قبوله لقوله ﷺ : "إنكم تختصمون إليّ،  
ولعل بعضهم أن يكون ألحن بحجته من بعض. فأقضى له على نحو مما أسمع منه. فمن  
قطعت له من حق أخيه شيئاً؛ فإنما أقطع له به قطعة من النار" (١).

ولأنه حكم يجوز إثباته بالظن، بدليل ثبوته بالشهادة، وبظاهر الكتاب، فجاز إثباته  
بخبر الواحد كسائر الأحكام ظنية، والمسألة الظنية، فكان الظن كافياً فيها .  
وسقوطه بالشبهة لو كان، لكان مانعاً من الأعمال، والأصل عدم ذلك، وعلى من  
يدعيه بيانه .

**فإن قيل :** خبر الواحد مما يدخله احتمال الكذب، فكان ذلك شبهة في درء الحد،  
لقوله ﷺ : (ادرءوا الحدود بالشبهات) (٢) فهو باطل بإثباته بالشهادة، فإنها محتملة  
للكذب، ومع ذلك ثبت بها" (٣) .

**خامساً :** ما اشترطوه بألا يكون خبر الواحد في العقيدة . فقد سبق وأن ذكرنا أن  
أصول العقائد مذكورة في القرآن الكريم، مثل التوحيد، والصفات الإلهية، والرسالة،  
والبعث، وجزاء الأعمال، ولا يوجد في الحديث الصحيح إلا ما يؤيد هذه الأصول  
ويوضحها ويقررها، وكل ما يستشكل من الأحاديث الصحيحة في العقائد تجد مثله  
في القرآن، ويجرى فيه ما يجري في القرآن من التفويض أو التأويل، ولا يوجد فيها ما  
يكون مخالفاً لعقائد القرآن، أو زائداً عليها بحيث لا يكون له أصل في القرآن (٤) .

وحتى مع التسليم جداً بأن أحاديث العقائد زائدة عما في القرآن الكريم . فالقول  
بأن خبر الواحد ظني، والعقائد قطعية فلا تؤخذ إلا من الأدلة القطعية . هذا القول غير

(١) أخرجه البخاري بشرح (فتح الباري) كتاب المظالم، باب إثم من خصم في باطل وهو يعلمه ٥ / ١٢٨ رقم  
٢٤٥٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الأفضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ٦ / ٢٤٥ رقم ١٧١٣ .  
واللفظ له من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - .

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه كتاب الحدود والديات ٣ / ٨٤ رقم ٩، وفيه المختار بن نافع، قال البخاري: وهو  
منكر الحديث قال : وأصح ما فيه حديث سفيان الثوري عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود "قال  
ادرءوا الحدود بالشبهات، ادفعوا القتل عن المسلمين ما استطعتم" وروى عن عتبة بن عاصم، ومعاذ، وغير واحد  
من الصحابة، موقوفاً عليهم، ورواه ابن حزم في كتاب الاتصال عن عمر موقوفاً عليه . قال الحافظ : وإسناده  
صحيح . انظر : نيل الأوطار ٧ / ١٠٥ .

(٣) الإحكام للأمدى ٢ / ١٠٦، ١٠٧، وانظر : البحر المحيط ٤ / ٣٤٨، وغواتح الرحموت ٢ / ١٣٦، والتقريب  
والتجريب ٢ / ٢٧٦، وإرشاد الفحول ١ / ٢٣١ .

(٤) راجع : ١ / ٤٩٨ - ٤٩٩ .

صحيح، لأنه مع فرض أن خبر الآحاد فى العقائد ظنى، فهو خبر ظنى راجع إلى أصل قطعى وهو القرآن الكريم، فيجب العمل به.

يقول الإمام الشاطبى : "الظنى الراجع إلى أصل قطعى إعماله أيضاً ظاهر، وعليه عامة أخبار الآحاد، فإنها بيان للكتاب لقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (١).

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية : "الذين قالوا لا يحتج بخبر الواحد فى العقائد من التوحيد، والصفات الإلهية، والبعث قالوا : الأخبار قسمان متواتر وآحاد، فالمتواتر وإن كان قطعى السند لكنه غير قطعى الدلالة، فإن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين، وبهذا قدحوا فى دلالة القرآن على الصفات وقالوا : الآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها. فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته، وأفعاله من جهة الرسول ﷺ. وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية، وبراهين نقلية، وهى فى التحقيق كما قال الله تعالى : ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعٍ يَخْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٢).

إن هذه التفرقة بين العقائد والأحكام فى العمل بخبر الآحاد، لا تعرف عن أحد من الصحابة، ولا عن أحد من التابعين، ولا من تابعهم، ولا عن أحد من أئمة الإسلام، وإنما يعرف عن رعوس أهل البدع ومن تبعهم" (٣).

(١) الآية ٤٤ من سورة الحل، وانظر : الموافقات ٣ / ١٤ .

(٢) الآية ٣٩ من سورة النور، وانظر : مختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية ٢/٥٠٦، وقارن بشرح العقيدة الطحاوية ٢ / ٧٩، ٨٠، وتأثر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت بهذا المنطق الفلسفى الذى يرى أن دليل العقل يفيد اليقين، أما الأدلة النقلية فلا، وينسب ذلك إلى كثير من العلماء فيقول : "وقد اتفق العلماء على أن الدليل العقلى الذى سلمت مقدماته، وانتهت فى أحكامها إلى الحس أو الضرورة يفيد ذلك اليقين ويحقق الإيمان المطلوب. أما الأدلة النقلية فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تفيد اليقين، ولا تحصل الإيمان المطلوب، ولا تثبت بها وحدها عقيدة... والذين ذهبوا إلى أن الدليل النقلى يفيد اليقين، وبثبت العقيدة شرطوا فيه أن يكون قطعياً فى ورود، قطعياً فى دلالته، انظر : الإسلام عقيدة وشريعة ص ٥٣ .

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٥٧٨، وقارن بالسنة المفترى عليها للبهنساوى ص ١٦٨، ١٧٢، وانظر : البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى ٤ / ٢٦١، ٢٦٢ مسألة (إثبات أسماء الله بأخبار الآحاد) ومسألة (إثبات العقيدة بخبر الآحاد). وانظر : فتوى الشيخ محمد رشيد رضا (أحاديث الآحاد يحتج بها فى العقائد) فى مجلة المنار المجلد ١٩ / ٣٤٢ وما بعدها. وانظر : الإبانة عن أصول الديانة للأشعرى ص ٢٧-٢٩، ومذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطى ص ١٠٥، وموقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ١٦٣، والابتهاج فى أحاديث المعراج لابن دحية ص ٧٨، وراجع قوله السابق ص ٥٥٣، وانظر : المدخل إلى السنة النبوية للأستاذ الدكتور عبدالمهدى ص ٢٩١ مبحث (حجية الآحاد فى العقائد)، والحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام للأستاذ الألبانى ص ٤٥-٦٥ .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن بعض الحنفية ممن قال بهذا الشرط نقضه بنفسه بقبوله الآثار المروية في عذاب القبر ونحوها، لأن بعضها مشهور، وبعضها آحاد أيضاً كما يصرح السرخسي بقوله : "فأما الآثار المروية في عذاب القبر ونحوها فبعضها مشهور، وبعضها آحاد وهي توجب عقد القلب عليه" (١).

ونفس الشيء وقع فيه المعتزلة يقول القاضي عبد الجبار : "فإن قال : أفتجوزون ما ورد في الأخبار من عذاب القبر، ومنكر ونكير، والمساءلة، والمحاسبة، والميزان، والصراط، وغير ذلك؟ قيل له نعم، نؤمن بجميع ذلك على الوجه الذى يجوز له لا على ما يظنه الحشو من أنه يعذبهم وهم موتى في قبورهم، ولا كما تقوله المجرة من أنه لا أصل لعذاب القبر، وقد تظاهرت الأخبار بذلك، ولا يمتنع أن يتولى ذلك من يلقب من الملائكة بمنكر ونكير، ليكون أعظم في التعذيب، وكذلك المسألة، والمحاسبة، وغير ذلك... فنحن نؤمن بما جاء في ذلك من الأخبار، ولا خلاف بين الأمة في ذلك" (٢).  
فهلا آمن أهل الزيغ والهوى بما آمن به من استدلووا بشرطهم (٣)؟  
أم كفاهم شرطهم ليكون وسيلة لهم للتشكيك في حجية خبر الآحاد في العقائد !!!؟

سادساً : أما شرطهم لصحة قبول خبر الواحد بالألا يثبت به حكم شرعى من فرض أو تحريم، فيقول رداً على ذلك الإمام ابن قيم الجوزية بقوله : "إن خبر الواحد لو لم يفد العلم لم يثبت به الصحابة التحليل والتحريم، والإباحة، والفروض، ويجعل ذلك ديناً يدان به في الأرض إلى آخر الدهر، فهذا الصديق ﷺ زاد في الفروض التي في القرآن فرض الجدة، وجعله شريعة مستمرة إلى يوم القيامة، بخبر محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة فقط، وجعل حكم ذلك الخير في إثبات هذا الفرض حكم نص القرآن في إثبات فرض الأم، ثم اتفق الصحابة والمسلمون بعدهم على إثباته بخبر الواحد... وأثبت عمر بن الخطاب ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الضحاك بن سفيان الكلبي وحده، وصار ذلك شرعاً مستمراً إلى يوم القيامة وأثبت شريعة عامة

(١) أصول السرخسي ١ / ٣٢٩ .

(٢) المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد للدكتور محمد عمارة ١ / ٢٧٧، ٢٧٨، وانظر : شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٠ .

(٣) انظر: تعميم أحمد صبحي منصور في قوله: "أمور الغيبات لا تؤخذ إلا من القرآن والحديث المتواتر هو قول علماء الأصول" وقد علمت أنه قول المعتزلة، ومن تأثر بهم من فقهاء الأحناف . انظر: عذاب القبر والتعبدان الأقرع ص ١٦، وشفاء الصدر ينفي عذاب القبر لإسماعيل منصور .

فى حق المجوس بخير عبد الرحمن بن عوف وحده<sup>(١)</sup>.

وهذا أكثر من أن يذكر، بل هو إجماع معلوم منهم، ولا يقال على هذا إنما يدل على العمل بخير الواحد فى الظنيات، ونحن لا ننكر ذلك لأننا قد قدمنا أنهم أجمعوا على حجيته والعمل بموجبه، ولو جاز أن يكون خير الواحد كذباً أو غلطاً فى نفس الأمر لكانت الأمة مجمعة على قبول الخطأ والعمل به وهذا قدح فى الدين والأمة<sup>(٢)</sup>.

سابعاً : ما ذهب إليه البعض من إسقاط الشرعية من خير الأحاد فى المجال الدستورى والسياسى :

فيقول رداً على ذلك المستشار الدكتور على جريشة : (أسقط البعض الشرعية) عن أحاديث الأحاد فى المجال الدستورى، فقال إنها لا تصلح مصدراً لهذا اللون من الأحكام<sup>(٣)</sup>، ومن قبل هذا رفض الخوارج والمعتزلة العمل بها، ولقد كانت حجة ذلك البعض القول بأهمية الأحكام الدستورية، وعلى الجانب الآخر عدم يقينية أحاديث الأحاد، وعدم شهرتها، الذى استدلووا منه على عدم صحتها، ثم مسلك بعض الصحابة منها إذ اشترطوا اليمين أو راوياً آخر.

وفى رد هادئ على هؤلاء نقول بعون الله : إن الأحكام الدستورية ليست إلا فرعاً من فروع القانون العام، إلى جواره فروع أخرى فى ذلك القسم من القانون، ثم قسم آخر بفروعه هو قسم القانون الخاص . ونحن لا نوهن من أهمية الأحكام الدستورية... ولكننا فى الوقت نفسه لا نرتفع بها فوق أحكام السنة فى جزءها الأكبر (أحاديث الأحاد).

وما نرى الأحكام الدستورية إلا جزءاً من الأحكام العملية التى اتفق الفقهاء فى المذاهب الأربعة على العمل بأحاديث الأحاد فيها .

ولئن كانت الأحكام الدستورية تقابل فى اصطلاحاتنا الفقهية مباحث الإمامة، فإن مباحث الإمامة عند الفقهاء من أهل السنة ليست سوى أحكام فروع لا ترتفع إلى مرتبة الأصول ... ولم يفعل ذلك إلا الغلاة من الشيعة؟

أما اشتراط اليقينية ... فلم يشترطها أحد من الفقهاء فى أحكام الفروع وإن

(١) الآثار السابقة التى استشهد بها ابن قيم الجوزية سبق تفريغها ١/ ٣٢٤، ٣٤٣ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٥٦، ٥٥٧ بتصرف .

(٣) قال بذلك الدكتور عبد الحميد متولى فى كتابه (مبادئ نظام الحكم فى الإسلام) ص ١٨٩، ١٩١، ١٩٦، ١٩٧ . وفى كتابه ترديد لكثير مما قاله على عبد الرازق فى كتابه الإسلام وأصول الحكم .

اشتراطتها الأكثرية في مجال الاعتقاد باعتباره مبنياً على اليقين.

أما القول بأن عدم شهرة أحاديث الآحاد دليل عدم صحتها، فإنه لا ارتباط بين الشهرة والصحة، كما أنه لا ارتباط بين الحق والواقع، فقد يكون الحق واقعاً وقد يكون غير واقع، كما قد يكون الواقع حقاً، وقد يكون غير حق ... كذلك قد يكون المشهور صحيحاً أو غير صحيح، وقد يكون الصحيح مشهوراً أو غير مشهور.

أما مسلك بعض الصحابة منها فقد قدمنا أن أحداً منهم لم يرفض حديث آحاد ما دام صحيحاً، أما ما اشتراطوه من حلف أو راو آخر فقد قدمنا أنه لا يخرج الحديث عن مرتبة الآحاد<sup>(١)</sup> أ.هـ.

ولم يقف خصوم السنة المطهرة في عصرنا على ما اشتراطه المعتزلة ومن تأثر بهم من بعض فقهاء الأحناف.

فلم يكتفوا في شروطهم لقبول خير الواحد بعرضه على القرآن الكريم، ولا إلى عرضه على العقل، ولا ما سبق من الشروط، وإنما اشتراطوا أيضاً لقبول خير الواحد عرضه على العلم التجريبي فما وافقه قبل وإلا فلا<sup>(٢)</sup>.

واشتراطوا عرضه على التوراة والإنجيل، والفلسفات الحديثة فما خالفهم قبل وإلا فلا، وزعموا أنه من الإسرائيليات<sup>(٣)</sup>.

أما ما اشتراطوه من عرض السنة النبوية على العهد القديم والجديد فما وافقهما كان دليلاً على أنه من الإسرائيليات.

فيقول رداً على ذلك الدكتور محمد أبو شهبة - رحمه الله - : "ليس من الإنصاف في شيء أن نقول : إن ما وجد في الدين الإسلامي، ووجد في اليهودية أو النصرانية أن يكون مأخوذاً منها، فقد توافق القرآن الكريم الذي لا شك في تواتره، وصونه عن

(١) راجع : إن شئت ما سبق في الرد على شبه منكرى حجية خبر الآحاد ص ٣١-٣٤، وانظر : مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية للمستشار الدكتور على جريشة ص ٣٤، ٣٥

(٢) انظر : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة للدكتور موريث بوكاي ص ١٢-٢٩٠-٣٠٢، وفجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢١٧، ٢١٨، وانظر : له أيضاً ضحي الإسلام ١/ ٢، ١٣٢، والسنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص ٢٦٤، ودين السلطان لنيازی عز الدين ص ٤٦٠-٤٦٧، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص ١٢٣، وسيأتي الجواب عن ذلك إجمالاً في الباب الثالث مبحث (شبهة الطاعتين في أحاديث الطب والرد عليها) ص ٣٣٥-٣٤١.

(٣) انظر : العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٥١، ١٤٨، ١٥٣، ومذاهب التفسير الإسلامي ص ١٩٠، ودراسات عممية ص ٥٢٠ ثلاثهم لجولدتسيهر، وانظر : ضحي الإسلام ١/ ٣٤٠، والبيان بالقرآن لمصطفى المهدي ٢ / ٦٤٥، ودين السلطان لنيازی عز الدين ص ١٦٦، وأضواء على السنة لمحمد أبو رية ص ١٤٥ - ١٩١.

أى تحريف، والتوراة والإنجيل فى بعض التشريعات، والأخلاقيات والقصص، فهل معنى هذا أنه مأخوذ منها؟ أعتقد أن الجواب بالنفى .

ومما ينبغى أن يعلم أن الشرائع السماوية مردها إلى الله سبحانه، وأن العقائد، والفضائل الثابتة، والضروريات التى لا تختلف باختلاف الأزمان، ولا باختلاف الرسالات أمور مقررة فى كل دين . وصدق الله ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (١) لكن هذه الأصول، والفضائل، والأخلاقيات، والضروريات جاءت فى الدين الاسلامى أوفى ما تكون وأكمل ما تكون، وأصلح ما تكون، لكل زمان ومكان . ولما كان الأمر كذلك فليس فى العقل، ولا فى الشرع ما يمنع أن تتوافق فى بعض التشريعات، وفى بعض الأخلاقيات، وما حرف من : الكتب السماوية السابقة لم يحرف جميعه . وقد كان القرآن الكريم - بحكم أنه سلم من التحريف والتبديل، وتوافرت الدواعى والأسباب لوصوله إلى الأمة الإسلامية كما أنزله الله تبارك وتعالى . مهيمناً أى شاهداً على الكتب السماوية السابقة، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه فهو باطل قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٢) أ هـ .

ومن الأحاديث التى زعم أعداء السنة المطهرة أنها من الإسرائيليات لموافقتها ما عند أهل الكتاب . حديث "النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة" . قال محمود أبو ريه : "روى هذا الحديث أبو هريرة، وقد أخذه من كعب الأحبار، القائل : "أربعة أنهار الجنة، وصفها الله ﷻ فى الدنيا، النيل نهر العسل فى الجنة، والفرات نهر الخمر فى الجنة، وسيحان نهر الماء فى الجنة، وجيحان نهر اللبن فى الجنة" (٣) .

واستدل نيازى عز الدين بما استدل به محموداً أبو ريه : وقال نيازى : "لنسمع التوراة ماذا تقول فى "سفر التكوين"، الإصحاح الثانى الفقرات من ١٠ - ١٤ وكان

(١) الآية ١٣ من سورة الشورى .

(٢) الآية ٤٨ من سورة المائدة ، وانظر : دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ والحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص ١٨٥ ، والسنة النبوية فى مواجهة التحدى للدكتور أحمد عمر هاشم ص ٣٩ - ٤١ .

(٣) نهاية الارب للتويرى ١٠ / ٢٢٠ وانظر : أضواء على السنة، ص ٢٠٨ ، وشيخ المضيرة ص ١٠٣ .

نهر يخرج من عدن يسقى الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس اسم الواحد (فيثون) وهو المحيط بأرض الحويلة حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيداً.

يقول نيازى عز الدين عن حديث "النيل، وسيحان، وجيحان، والفرات، من أنهار الجنة"، وأسلوب الحديث كما تلاحظون تواترياً وهذا ما قصدت إليه، وهكذا فإن معرفة كتب أهل الكتاب ضرورية من أجل نقد الأحاديث كما رأيتم<sup>(١)</sup>.

### والجواب :

إن الحديث الذى رواه أبو هريرة : صحيح غاية الصحة، وهو فى صحيح مسلم بلفظ: "سيحان، وجيحان، والفرات، والنيل كلها من أنهار الجنة"<sup>(٢)</sup>. وفى الحديث الصحيح أيضاً؛ أنه ﷺ "رأى ليلة المعراج عند سدره المنتهى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت : يا جبريل ما هذه الأنهار؟ قال أما النهران الباطنان فهريان فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات"<sup>(٣)</sup>.

وفى رواية : "بينما رسول الله ﷺ فى السماء الدنيا إذ بنهرين يطردان، فقال : ما هذان يا جبريل؟ قال : هذا النيل والفرات عنصرهما"<sup>(٤)</sup>.

والحديث ليس على حقيقته كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء، وإنما الكلام على سبيل التشبيه، وأن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة فى صفتها وعذوبتها، وكثرة خيراتها ونفعها للناس، وهو تأويل مقبول ومستساغ لغة وشرعاً ومن تتبع كلام العرب فى

(١) دين السلطان نيازى عز الدين ص ١٦٨، وانظر : قراءة فى صحيح الإمام البخارى لأحمد صبحى منصور ص ٣٧.

(٢) أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب ما فى الدنيا من أنهار الجنة ٩/ ١٩٣ رقم ٢٨٣٩، وقال الإمام النووى فى شرحه على مسلم ٩/ ١٩٣ "اعلم أن سيحان، وجيحان غير سيحون، وجيحون، فأما سيحان وجيحان المذكوران فى هذا الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فى بلاد الأرمن، فجيحان نهر المصبغة، وسيحان نهر إذنة، وهما نهران عظيمان جداً. وأما قول الأزهري فى صحيحه جيحان نهر بالشام فقط... واتفقوا كلهم على أن جيحون بالواو نهر وراء خرسان عين بلخ، واتفقوا على أنه غير جيحان، وكذا سيحون غير سيحان، ثم أنكر الإمام النووى على القاضى عياض تسويته بين سيحان وجيحان، وسيحون وجيحون.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٦/ ٣٤٨، ٣٤٩ رقم ٣٢٠٧، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ ١/ ٤٩٠، ٤٩١ رقم ١٦٤، واللفظ لمسلم.

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب التوحيد، باب ما جاء فى قوله ﷺ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ١٣/ ٤٨٦ رقم ٧٥١٧.

الجاهلية، وصدر الإسلام يجد من أمثال ذلك الشيء الكثير<sup>(١)</sup>.

وقيل : إن في الكلام حذفاً، والتقدير "من أنهار أهل الجنة" ففيه تبشير من النبي ﷺ أن الله سينجز له وعده، وسينصره، وسيظهر له دينه على الأديان كلها حتى يبلغ مواطن هذه الأنهار الأربعة وغيرها - إذ ذكرها على سبيل التمثيل لا الحصر - وهذا ما كان فلم يمضى قرن من الزمان حتى امتد سلطان الإسلام من المحيط الأطلسي إلى بلاد الهند<sup>(٢)</sup>.

وذهب بعض العلماء إلى أن الحديث على ظاهره وفي ذلك يقول الحافظ ابن دحية: "قرأت في تفسير القرآن العظيم، عند قول الله الكريم ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أنهما النيل والفرات، أنزلاً من الجنة من أسفل درجة منها على جناح جبريل، فأودعهما بطون الجبال، ثم إن الله سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع القرآن، وذهاب الإيمان، فلا يبقى على الأرض خير، وذلك قوله جل من قائل : ﴿فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. ذكره النحاس في "معاني القرآن العزيز" له بآتم من هذا، وأسندته فاختصرته<sup>(٥)</sup>.

وقال الحافظ ابن دحية : "فإن قيل كيف طريق الجمع بين رواية إن النيل والفرات عند سدرة المنتهى أصلهما في السماء السابعة، ورواية أنهما في السماء الدنيا لذكره عنصرهما، وهو أصلهما.

قلنا طريق الجمع بين الحديثين أن رسول الله ﷺ رأى في أصل سدرة المنتهى أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسأل عنهما جبريل فقال : "أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات".

ثم في حديث شريك عن أنس عن النبي ﷺ "فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان"، فقال : ما هذان النهران يا جبريل؟ قال : هذا النيل والفرات، عنصرهما.

ولنا في التأويل وجهان سديدان :

إحدهما : أن يكون محمولاً على ظاهره، ويكون معناه أنه لما رأى عند سدرة

(١) انظر : الإسراء والمعراج ص ٦١، ودفاع عن السنة ص ١٢٧ كلاهما للذكور محمد أبو شهبة.

(٢) دفاع عن السنة للذكور أبو شهبة ص ١٢٧، وانظر : السنة ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة ٢ / ٨٨٨.

(٣) الآية ١٨ من سورة المؤمنون.

(٤) جزء من الآية ١٨ من سورة المؤمنون.

(٥) معاني القرآن للإمام أبي جعفر النحاس ٤ / ٤٥٠، ٤٥١، وانظر : الانتهاج في أحاديث المعراج ص ١٤٨.

المنتهى هذين النهرين مع نهري الجنة، وذلك في السماء السابعة، ورأى في السماء الدنيا هذين النهرين دون نهري الجنة، كان لاختصاصهما بسماء الدنيا معنى، سمي ذلك الاختصاص عنصرًا، ولا يمتنع أن يكون لجميع الأربعة الأنهر أصل واحد هو عند سدة المنتهى، ثم يكون لاختصاص هذين النهرين بسماء الدنيا أصل من حيث الاختصاص وهو الامتياز لهما دون نهري الجنة، سمي ذلك الامتياز والاختصاص عُصْرًا، أي عنصر امتيازهما، واختصاصهما، فهذا وجه سديد.

**والوجه الثاني :** أن يكون عنصرهما مبتدأ يتعلق به خبر سابق، لم يتقدم له ذكر من حيث اللفظ، لكن من حيث العهد، ويكون معناه : هذا النيل والفرات، فيتم الكلام، ثم يكون عنصرهما ما كنت رأيت عند سدة المنتهى يا محمد، فاكتمى بالعهد السابق عن إعادة الكلام. وهذا وجه سديدًا أيضًا.

وقد صح الجمع بين الحديثين، فلم يتعارضوا، ولم يتناقضا، وأما قوله ﷺ : في صحيح مسلم "سيحان، وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة"، فأسنده الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "فجرت أربع أنهار من الجنة : الفرات، والنيل، وسيحان وجيحان" (١). قال الحافظ ابن دحية : "وسند أحمد كالشمس في صحته" (٢)، وزيادة لفظ فجرت "وهو مفيد".

والكلام على معنى هذا الحديث يأخذ طرفاً مما تقدم، وهو أن هذه الأنهار لها مزية تشريف على سائر الأنهار التي بالأرض، وذلك التشريف هو كونها في الجنة، على معنى أنها فجرت منها، كما نص عليه في حديث أحمد ثم ينتقل الكلام إلى كونها بالأرض جارية، ولا بعد في ذلك، فإن الأنهار المذكورة إذا كان تفجيرها من الجنة، والجنة في السماء كما قال تعالى : ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (٣). وقوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤). على مذهب أهل الحق في أن الجنة مخلوقة، وأنها لا تبديد من بين سائر المخلوقات.

هذا قول جميع العلماء في الجنة والنار، وأنهما لا تبديدان، ولم يخالف في ذلك سوى

(١) المسند ٢ / ٢٦٠، ٢٦١ .

(٢) الابتهاج في أحاديث المعراج ص ١٥١ .

(٣) الآية ١٥ من سورة النجم .

(٤) جزء من الآية ١٣٣ من سورة آل عمران .

طائفة من أهل البدع والأشرار .

فتكون الأنهار المذكورة من الجنة تفجرت، أى جرى أصلها؛ لأن التفجير يليق بهذا المعنى، ومنه سمي "الفجر" لأنبثات النور الساطع . كذلك هذه الأنهار لما كان لها أنبثات وجريان سمي تفجيراً، وإليه الإشارة بقوله: "من الجنة" أى كان هذا التفجير فى الأصل من الجنة، ثم انبثت فى الأرض فهذا ما يحمل عليه هذا المعنى ولا معارضة فيه، لما تقدم" (١) أ.هـ .

وأما ما ذكره محمود أبو رية عن كعب الأحبار؛ فقد عزاه إلى نهاية الأرب، وهو لا يعتمد عليه فى ثبوت الأحاديث، وكلامه وإن ثبت؛ فهو محمول أيضاً على التشبيه، وبقليل من التأمل يتبين لنا أن إدعاء تأثر أبى هريرة فيما رواه بكعب بعيد، ولا يعدو أن يكون تظناً وتخميناً، فالحديثان متغايران والأقرب أن يكون كلام كعب تفسيراً لحديث أبى هريرة على ضوء ما فهمه من قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (٢) .

وأما ما زعمه نيازى عز الدين من ورود ذلك الحديث فى التوراة فى "سفر التكوين"؛ فقد سبق وأن بينا أنه ليس فى العقل، ولا فى الشرع ما يمنع أن تتوافق فى بعض التشريعات، وما حرف ما الكتب السماوية السابقة لم يحرف جميعه، والقرآن الكريم بحكم أنه سلم من التحريف، والتبديل، هو المهيمن على الكتب السماوية السابقة، فما وافقه منها؛ فهو حق، وما خالفه فهو باطل، وليس العكس كما يزعم أعداء السنة الشريفة .

يقول فضيلة الدكتور أبو شهبه : "وأياً كان التأويل فالحديث مستساغ لغة وشرعاً، وقد كان الصحابة بذكائهم، وصفاء نفوسهم، وإحاطتهم بالظروف والملابسات التى قيل فيها هذا الحديث وأمثاله، يدركون ما يريد النبى ﷺ من مثل هذا الحديث الذى قد يشكل ظاهره على البعض، ولذلك لم يؤثر عن أحد منهم - على ما كانوا عليه من حرية الرأى والصراحة فى القول - استشكال مثل هذا الحديث" (٣) أ.هـ .

(١) الابتهاج فى أحاديث المعراج ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(٢) الآية ١٥ من سورة محمد، وانظر : دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبه ص ١٢٧، ١٢٨ .

(٣) دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبه ص ١٢٧ .

وبعد

[فإن خير الآحاد متى ثبت على شرط المحدثين، صار أصلاً من أصول الدين، ولا يحتاج عرضه إلى أصل آخر، لأنه إن وافقه فذاك، وإن خالفه لم يجوز رد أحدهما، وليس سائر الأصول أولى بالقبول منه، ولا يجوز أن تتنافى أصول الدين، حاشا لله من هذا] (١) أ.هـ.

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

---

(٢) انظر الأحكام لابن حزم ١/ ١١٤، وقواعد التحديث للقاسمي ص ٩٨ وراجع إن شئت ما سبق تفصيله في الجواب عن (شبهة عرض السنة على العقل) و(شبهة عرض السنة على القرآن) ١/ ٢٣٥-٢٣٩، ٢٤٧-٢٦١ .

## الفصل الثالث

### وسيلتهم في الطعن في رواية السنة المطهرة

وتحتة مبحثان :

- ١- المبحث الأول : طعنهم في عدالة الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-.
- ٢- المبحث الثاني : طعنهم في عدالة أهل السنة من المحدثين والفقهاء الأصوليين وسائر أئمة المسلمين -رضوان الله عليهم أجمعين-.



## المبحث الأول

### طعنهم في عدالة الصحابة ﷺ

وفيه تمهيد وستة مطالب :

التمهيد ويتضمن :

- أ- هدف أعداء الإسلام من طعنهم في الصحابة ﷺ .
- ب- وحكم أئمة المسلمين فيمن ينتقص صحابة رسول الله ﷺ .
- المطلب الأول : التعريف بالصحابة لغة واصطلاحاً .
- المطلب الثاني : التعريف بالعدالة لغة واصطلاحاً .
- المطلب الثالث : أدلة عدالة الصحابة .
- المطلب الرابع : شبهات حول عدالة الصحابة والرد عليها .
- المطلب الخامس : سنة الصحابة ﷺ حجة شرعية .
- المطلب السادس : أبو هريرة ﷺ راوية الإسلام رغم أنف الحاقدين .



## مَهَيِّدٌ

وفيه هدف أعداء الإسلام من طعنهم في الصحابة عليهم السلام ، وحكم أئمة المسلمين فيمن ينتقص صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أولاً : هدف أعداء الإسلام من طعنهم في صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

الطعن في عدالة رواة السنة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والتابعين فمن بعدهم إلى الأئمة أصحاب المصنفات الحديثية، من وسائل أعداء الإسلام - من غلاة المبتدعة الرافضة، والخوارج، والمعتزلة، والزنادقة<sup>(١)</sup> - في الطعن في السنة المطهرة .

وغرضهم من ذلك تحطيم الوسيلة التي وصلت السنة النبوية بها، وإذا تحطمت الوسيلة يصبح الأصل معتمداً على لا شيء فيصبح لا شيء .

وقديماً صرح بذلك أحد الزنادقة فيما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي داود السجستاني قال : "لما جاء الرشيد بشاكر - رأس الزنادقة ليضرب عنقه - قال : أخبرني، لم تعلمون المتعلم منكم أول ما تعلمونه الرفض - أي الطعن في الصحابة - ؟ قال : إنا نريد الطعن على الناقلة، فإذا بطلت الناقلة أوشك أن نبطل المنقول"<sup>(٢)</sup> .

وبذلك صرح ذيل (شاكر) محمود أبو ريه في كتابه أضواء على السنة قائلاً : "إن عدالة الصحابة تستلزم ولا ريب الثقة بما يروون، وما روه قد حملته كتب الحديث بما فيه من غثاء، وهذا الغثاء هو مبعث الضرر وأصل الداء"<sup>(٣)</sup> .

ثانياً : حكم أئمة المسلمين فيمن ينتقص صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

وما أصدق قول الإمام الحافظ أبي زرعة الرازي<sup>(٤)</sup> - رحمه الله - : "إذا رأيت

(١) حكاها عنهم الشاطبي في الاعتصام ١/ ١٨٦، والبغدادي في أصول الدين ص ١٩، وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٢٨ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ٤/ ٣٠٨ .

(٣) أضواء على السنة ص ٣٤٠ .

(٤) أبو زرعة الرازي هو : عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد القرشي المحزبي، أحد الأئمة الأعلام، وحفاظ الإسلام، وفوائده أكثر من أن تعد، مات سنة ٢٦٤هـ . له ترجمة في تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٧ رقم ٥٧٩، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٢٥٣ رقم ٥٦١، والعبر ١/ ٣٧٩ رقم ٢٦٤، وخلاصة تهذيب الكمال للبخاري ص ٢١٣، والإرشاد للخليلي ص ٢٢٦، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٧٥ رقم ٣٢١، وأبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية للدكتور سعدى الهاشمي ١/ ٤٥-٢٤٢ .

الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن، والسنن، أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة" (١).

وعن عبد الله بن مصعب (٢) قال : قال المهدي : ما تقول فيمن ينتقص الصحابة؟ فقلت زنادقة، لأنهم ما استطاعوا أن يصرحوا بنقص رسول الله ﷺ فتنقصوا أصحابه، فكانهم قالوا : كان يصحب صحابة السوء (٣).

وصدق شمس الأئمة السرخسي : "الشريعة إنما بلغتنا بنقلهم فمن طعن فيهم فهو ملحد منابذ للإسلام دواؤه السيف إن لم يتب" (٤).

نعم إن الصحابة رضي الله عنهم هم حجر الزاوية في بناء الأمة المسلمة، عنهم قبل غيرهم تلقت الأمة كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ فالغض من شأنهم والتحقيق لهم، بل النظر إليهم بالعين المجردة من الاعتبار، لا يتفق والمركز السامي الذي تبوعوه، ولا يوائم

(١) رواه الخطيب في الكفاية ص ٩٧، والحافظ ابن حجر في الإصابة ١/ ١٠.

(٢) هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، ولي للرشد إمرة المدينة، وقال فيه الخطيب: كان محموداً في ولايته، جميل السيرة مع جلالة قدره، وثقة ابن حبان مات سنة ١٨٤هـ. له ترجمة في: تعجيل المنفعة ص ٢٧١ رقم ٥٨٣، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٧٣ رقم ٥٣١٣، والثقات لابن حبان ٧/ ٥٦، وميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٥ رقم ٤٦٠٩، والتاريخ الكبير للبخاري ٥/ ٢١١ رقم ٦٧٨.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٠/ ١٧٥، ونقله الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة، ترجمة عبد الله بن مصعب ص ٢٧١ رقم ٥٨٣.

(٤) أصول السرخسي ٢/ ١٣٢. وتكفير ساب الصحابة ذهب إليه فريق من أهل العلم من الحنفية والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية. انظر الشرح والإبانة لابن بطة ص ١٦٢، والنهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص ٢٣، وفتاوى السبكي ٢/ ٥٨٠، والصارم السلول على شاتم الرسول ص ٥٧٠، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ١٤٩، وأصول السرخسي ٢/ ١٣٢ وما بعدها. وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن سب الصحابة لا يكفر بسبهم، بل يفسق ويضلّل، ولا يعاقب بالقتل، بل يكفى بتأديبه، وتعزيزه تعزيراً شديداً حتى يرجع. وإن لم يرجع تكرر عليه العقوبة حتى يظهر التوبة. انظر: الشفا للقاضي عياض ٢/ ٥٤ وما بعدها. نقل من ذهب إلى هذا القول من أهل العلم. وإذا كان لكل فريق أدلته علم ما ذهب إليه. فالقول الذي تطعن إليه النفس ويرتاح إليه القلب أن من أبغضهم جميعاً أو أكثرهم أو سبهم سباً يقدح في دينهم، وعدائهم، فإنه يكفر بهذا، لأن هذا يؤدي إلى إبطال الشريعة بكاملها لأنهم هم الناقلون لها، "أما من سب أحداً من الصحابة فهو فاسق، ومبتدع بالإجماع، إلا إذا اعتقد إنه مباح أو يترتب عليه ثواب كما عليه بعض الشيعة أو اعتقد كفر الصحابة فإنه كافر بالإجماع" كذا قال الملا علي القارئ انظر : مجموعة رسائل ابن عابدين كتاب تنبيه الولاة والإحكام ١/ ٣٢٧. وقال القاضي عياض - رحمه الله - : "وكذلك نقطع بتكفير كل قاتل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة، وتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ إذ لم تقدم علياً، وكفرت علياً إذ لم يتقدم، ويطلب حقه في التقديس، فهو لاء قد كفروا ... لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها" الشفاء ٢/ ٢٨٦، ومزيد من حكم ساب الصحابة وعقوبته انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة المذكور ناصر على الشيخ ٢/ ٨٥٦-٨٧٠.

المهمة الكبرى التي انتدبوا لها ونهضوا بها .

كما أن الطعن فيهم والتجريح لهم، يزلزل بناء الإسلام، ويقوض دعائم الشريعة، ويشكك في صحة القرآن، ويضيع الثقة بسنة سيد الأنعام! لذلك عنى علماء الإسلام قديماً وحديثاً بالدفاع عن عدالة الصحابة، لأنه - كما رأيت - دفاع عن الإسلام، ولم يكن ذلك الدفاع نزوة هوى، ولا عصبية بل كان نتيجة لدراسات تحليلية، وأبحاث تاريخية، وتحقيقات بارعة واسعة، أحصتهم عدداً، ونقدتهم فرداً فرداً، وعرضتهم على أدق موازين الرجال مما تباهى به الأمة الإسلامية كافة الأمم والأجيال .

وبعد هذا التحقيق والتدقيق، خرج الصحابة رضي الله عنهم من بوتقة هذا البحث، وإذا هم خير أمة أخرجت للناس، وأسمى طائفة عرفها التاريخ، وأنبل أصحاب نبي ظهر على وجه الأرض، وأوعى وأضبط جماعة لما استحفظوا عليه من كتاب الله، وهدى رسول الله ﷺ وقد اضطر أهل السنة والجماعة، أن يعلنوا رأيهم هذا كعقيدة، فقرروا أن الصحابة كلهم عدول. ولم يشذ عن هذا الرأي إلا المبتدعة والزنادقة قبحهم الله <sup>(١)</sup>.

وطعون المبتدعة والزنادقة قديماً وحديثاً في صحابة رسول الله ﷺ كثيرة سبق ذكر بعضها من الطعن في اجتهادهم <sup>(٢)</sup>، والطعن في صدقهم واتهامهم بالكذب <sup>(٣)</sup>. وسوف نتناول هنا بمشيئة الله تعالى نماذج من الطعون والشبهات التي طعنوا بها في عدالة الصحابة، واتخذها أهل الزيغ والإلحاد قديماً وحديثاً، وسيلة للتشكيك في حجية السنة، ومكائنها التشريعية .

على أن نفرد أيضاً ترجمة لراوي الإسلام الأول أبو هريرة رضي الله عنه لتتعرف على مكانته في الإسلام، وإلى أي مدى انحط أعداء الإسلام بالطعن فيه وصولاً للطعن في السنة المطهرة هذا بعد أن نعرف بالصحابة والعدالة لغة واصطلاحاً، وثبت عدالتهم من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وإجماع الأمة على ذلك . فإلى بيان ذلك .

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد الزرقاني ١ / ٣٣٤، ٣٣٥ .

(٢) راجع : ١ / ٣٢٥-٣٢٥ .

(٣) راجع : ١ / ٣٤٠-٣٤٠ .

## المطلب الأول

### التعريف بالصحابة لغة واصطلاحاً

الصحابة في اللغة : يقال استصحبه أى دعاه إلى الصحبة ولازمه، وكل شئ لازم شيئاً فقد استصحبه<sup>(١)</sup>.

وقال أبو بكر الباقلاني : "لا خلاف بين أهل اللغة فى أن القول "صحابى" مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً ... يقال صحبت فلاناً حولاً، ودهراً، وسنة، وشهراً، ويوماً، وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيرة.

وذلك يوجب فى حكم اللغة: إجراء هذا على من صحب النبى ﷺ ولو ساعة من نهار<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن تيمية : "والأصحاب جمع صاحب، والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه، وذلك يقع على قليل الصحبه وكثيرها"<sup>(٣)</sup>. وعلى هذا التعريف اللغوى جرى أصحاب الحديث فى تعريفهم بالصحابى اصطلاحاً : فذهبوا إلى إطلاق (الصحابى) على كل من صحب النبى ﷺ، ولو ساعة واحدة فما فوقها.

#### الصحابة فى الاصطلاح :

قال الإمام بدر الدين الزركشى - رحمه الله - : "ذهب الأكثرون إلى أن الصحابى من اجتمع - مؤمناً - بمحمد ﷺ وصحبه ولو ساعة، روى عنه أو لا، لأن اللغة تقتضى ذلك، وإن كان العرف يقتضى طول الصحبة وكثرتها ... وهو ما ذهب إليه جمهور الأصوليين ، أما عند أصحاب الحديث فيتوسعون فى تعريفهم لشرف منزلة النبى ﷺ<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن حزم : "فأما الصحابة ﷺ فهم كل من جالس النبى ﷺ ولو ساعة، وسمع

(١) لسان العرب ١/ ٥١٩، والقاموس المحيط ١/ ٩١، والصحاح للجوهري ١/ ١٦٢، ومختار الصحاح ص ٣٥٦.

(٢) انظر : الكفاية ص ١٠٠، واسد الغابة ١/ ١١٩، ١٢٠.

(٣) الصارم المسلول ص ٥٢٥، وانظر : الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم لابن الوزير اليماني ١/ ٥٧.

- ٦٠ قرر بتوسع واستدل أن تسمية يسير المخالطة (صحبة) ثابت بالكتاب والسنة، وعبارات الأئمة أ.هـ.

(٤) البحر المحيط فى أصول الفقه ٤/ ٣٠١.

منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عليه السلام أمراً يعيه" (١).  
 والتعريفات التي وضعها العلماء للصحابة (اصطلاحاً) كثيرة، ولكن التعريف  
 الصحيح المعتمد هو ما قرره الحافظ ابن حجر بقوله: "وأصح ما وقفت عليه من ذلك  
 أن الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة على  
 الأصح.

ثم شرح التعريف فقال: "فيدخل فيمن لقيه" من طالت مجالسته له، أو قصرت،  
 ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية، ولو لم يجالسه، ومن  
 لم يره لعارض كالعمى.

ومن هنا كان التعبير باللقى أولى من قول بعضهم: "الصحابي من رأى النبي ﷺ"  
 لأنه يخرج حينئذ ابن أم مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد.  
 ويخرج "بقيد الإيمان" من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة  
 أخرى.

وقولنا "به" يخرج من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه مؤمناً من مؤمنى أهل الكتاب قبل  
 البعثة.

ويدخل في قولنا "مؤمناً به" كل مكلف من الجن والإنس....  
 وخرج بقولنا "ومات على الإسلام" من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردة  
 والعياذ بالله - كعبيد الله بن جحش، وابن خطل، ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى  
 الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، كالأشعث بن قيس فإنه  
 كان ممن ارتد وأتى به إلى أبي بكر الصديق أسيراً، فعاد إلى الإسلام فقبل منه، وزوجه  
 أخته، ولم يتخلف أحد عن ذكره في الصحابة، ولا عن تخريج أحاديثه في المسانيد  
 وغيرها.

وهذا هو الصحيح المعتمد، ووراء ذلك أقوال شاذة أخرى كقول من قال لا يعد  
 صحابياً إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة:

من طالت مجالسته، أو حفظت روايته، أو ضبط أنه غزا معه، أو استشهد بين يديه،  
 وكذا من اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم، أو المجالسة ولو قصرت" (٢).

(١) الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٥ / ٨٦.

(٢) انظر: الإصابة ١ / ١٠ - ١٢، ونزهة النظر ص ٥١، ٥٢.

قال الحافظ السيوطي مؤيداً ابن حجر "وهو المعتمر" (١)،  
 وذهب إليه الجمهور من الأصوليين، منهم الآمدي في الإحكام (٢)، وابن عبد  
 الشكور في فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت (٣)، والزرکشی في البحر المحیط (٤)،  
 والشوکانی في إرشاد الفحول (٥) وغيرهم.  
 ويقول الحافظ السخاوي مؤيداً رأي شيخه ابن حجر "والعمل عليه عند المحدثين  
 والأصوليين" (٦).

### السر في التعميم في تعريف الصحابي :

التعميم في تعريف الصحابي نظراً إلى أصل فضل الصحبة، ولشرف منزلة النبي  
 ﷺ، ولأن لرؤية نور النبوة قوة سريان في قلب المؤمن، فتظهر آثارها على جوارح  
 الرائي في الطاعة والاستقامة مدى الحياة، ببركته ﷺ ويشهد لهذا قوله ﷺ : "طوبى  
 لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رأي، ولمن رأى من رأي من رأي من رأي وآمن  
 بي" (٧).

وفي ذلك يقول الإمام السبكي : "والصحابي هو كل من رأى النبي ﷺ مسلماً،  
 وقيل : من طالت مجالسته، والصحيح الأول، وذلك لشرف الصحبة، وعظم رؤية النبي  
 ﷺ، وذلك أن رؤية الصالحين لها أثر عظيم، فكيف رؤية سيد الصالحين؟! فإذا رآه  
 مسلم ولو لحظة، انطبع قلبه على الاستقامة، لأنه بإسلامه متهيئ للقبول، فإذا قابل  
 ذلك النور العظيم، أشرق عليه وظهر أثره في قلبه وعلى جوارحه" (٨).

يقول الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله - : "فالتعميم في تعريف

(١) تدريب الراوي ٢ / ٢١٦ .

(٢) انظر : الإحكام للآمدي ٢ / ٨٤، ٨٥ .

(٣) انظر : فواتح الرحموت ٢ / ١٥٨ .

(٤) انظر : البحر المحیط ٤ / ٣٠٢، ٣٠٥ .

(٥) انظر : إرشاد الفحول ١ / ٢٧٩، ٢٨٠ .

(٦) انظر : فتح المغيب للسخاوي ٣ / ٨٥ .

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين ٤ / ٩٦،  
 من حديث عبد الله بن بسر ﷺ، وقال الحاكم هذا حديث قد روى بأسانيد قريبة عن أنس بن مالك ﷺ بما علونا  
 في أسانيد منها، وأقرب هذه الروايات إلى الصحة ما ذكرناه، وقال الذهبي (جميع بن ثوب) واه . والقول ما قاله  
 الحاكم، انظر : مجمع الزوائد ١٠ / ٢٠ .

(٨) الإسهاج في شرح النهاج ١ / ١٥، وانظر : البحر المحیط للزرکشی ٤ / ٣٠١، وفتح الباری ٧ / ٩، رقم  
 ٣٦٥١ حديث (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم - الحديث).

(الصحابي رضي الله عنه نظراً إلى أصل فضل الصحبة، وأما تفاوت من يشملهم هذا اللقب في الفضل والدين وسائر خصال الخير ... فهذا أمر وراء ذلك" (١) أ.هـ.

**طريق معرفة الصحبة :**

**ثبت الصحبة بأمر متعدد منها :**

- ١- التواتر كأبي بكر الصديق المعنى بقوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٢) وسائر العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم.
- ٢- أو باشتهار قاصر عن التواتر وهو الاستفاضة كعكاشة بن محصن، وضمام بن ثعلبة وغيرهما، أو بتواتر بها .
- ٣- أو بقول صاحب آخر معلوم الصحبة، إما بتصريح بها كأن يجيء عنه أن فلاناً له صحبة مثلاً أو نحوه، كقوله : كنت أنا وفلان عند النبي ﷺ أو دخلنا على النبي ﷺ بشرط أن يعرف إسلام المذكور في تلك الحالة .
- ٤- وكذا تعرف بقول آحاد ثقات التابعين على الراجح من قبول التزكية من عدل واحد" (٣).

(١) لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ص ٥١ .

(٢) جزء من الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٣) انظر : فتح المغيث للسخاوي ٣ / ٨٨، ٨٧، وتدريب الراوي ٢ / ٢١٣، ٢١٤، والكفاية ص ٩٨-١٠١ .

## المطلب الثانى

### التعريف بالعدالة لغة واصطلاحاً

**العدالة لغة :** العدل ضد الجور، يقال عدل عليه فى القضية فهو عادل، وبسط الوالى عدله ومعدلته ومعدلته، وفلان من أهل المعدلة، أى : من أهل العدل، ورجل عدل، أى : رضا ومقنع فى الشهادة .

**والعدالة :** وصف بالمصدر معناه ذو عدل، قال تعالى : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوْيَ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> ويقال : رجل عدل ورجلان عدل، ورجال عدل، وامرأة عدل، ونسوة عدل، كل ذلك على معنى رجال ذوو عدل، ونسوة ذوات عدل، فهو لا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث، فإن رأيتَه مجموعاً، أو مثنى أو مؤنثاً، فعلى أنه قد أجرى مجرى الوصف الذى ليس بمصدر، وتعديل الشئ تقويمه، يقال عدلته فاعتدل، أى قومته فاستقام<sup>(٢)</sup> أ.هـ

فمن هذه التعاريف اللغوية يتبين أن معنى العدالة فى اللغة الاستقامة فى الدين، والعدل هو المتوسط فى الأمور من غير إفراط فى طرفى الزيادة والنقصان، ومنه قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾<sup>(٣)</sup> أى عدلاً فالوسط والعدل بمعنى واحد<sup>(٤)</sup> .

**والعدالة اصطلاحاً :** تنوعت فيها عبارات العلماء من محدثين وأصوليين وفقهاء، إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أنها : ملكة أى صفة راسخة فى النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة .

**والتقوى ضابطها :** امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات من الكبائر ظاهراً وباطناً من شرك أو فسق أو بدعة .

**والمروءة ضابطها :** آداب نفسية تحمل صاحبها على التحلى بالفضائل والتخلى عن

(١) جزء من الآية ٢ من سورة الطلاق .

(٢) انظر : لسان العرب ١١ / ٤٣٠، والصحاح للجوهري ٥ / ١٧٦٠ - ١٧٦١، ومختار الصحاح ٥ / ٤١٥، ٤١٦، والقاموس المحيط ٤ / ١٣، والمصباح المنير ٢ / ٣٩٧ .

(٣) الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

(٤) الأحكام للأمنى ٢ / ٦٩، ومقاصد الحديث فى القديم والحديث لفضيلة الدكتور التازى ٢ / ٦٤ .

الردائل، وترجع معرفتها إلى العرف .

وليس المراد بالعرف هنا سيرة مطلق الناس بل الذين نفتدى بهم، وقد سبق بيان ما يخل بها<sup>(١)</sup>، وبجمله الاحتراز عما يذم به العدل عرفاً .

ولا تتحقق العدالة في الراوى إلا إذا اتصف بصفات خمسة : الإسلام - والبلوغ والعقل والسلامة من أسباب الفسق وخوارم المروءة<sup>(٢)</sup> .

وليس المقصود من العدل أن يكون بريئاً من كل ذنب، وإنما المراد أن يكون الغالب عليه التدين، والتحرى في فعل الطاعات .

وفى ذلك يقول الإمام الشافعى : "لو كان العدل من لا ذنب له لم نجد عدلاً، ولو كان كل مذهب عدلاً لم نجد مجروحاً، ولكن العدل من اجتنب الكبائر وكانت محاسنه أكثر من مساويه"<sup>(٣)</sup> .

ويعبر أبو يوسف عن هذا الاتجاه حين يقول : "من سلم أن تكون منه كبيرة من الكبائر التى أوعده الله تعالى عليها النار ، وكانت محاسنه أكثر من مساوته فهو عدل"<sup>(٤)</sup> .

ونخلص مما سبق فيما يخص عدالة الصحابة عليهم السلام "أن المنافقين الذين كشف الله ورسوله - سترهم، ووقف المسلمون على حقيقة أمرهم، المرتدين الذين ارتدوا فى حياة النبى وبعد وفاته عليه السلام، ولم يتوبوا ويرجعوا إلى الإسلام، وماتوا على ردتهم، هم معزل من شرف هذه الصحبة، وبالتالي معزل عن أن يكونوا من المرادين بقول جمهور العلماء والأئمة إنهم عدول، وفى تعريف العلماء للصحبة ما ينفى عنها هؤلاء وأولئك .

ومعنى عدالة الصحابة : "أنهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله عليه السلام، لما اتصفوا به من قوة الإيمان، والتزام التقوى، والمروءة، وسموا الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور .

وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون من المعاصى أو من السهو أو الغلط فإن ذلك

(١) راجع : ص ٤١٧ / ١

(٢) انظر : فتح المغيب للسبخاوى ٣ / ٣١٥ - ٣١٧، وتوضيح الأملكار للصنعانى ٢ / ١١٤ - ١١٨، ومقاصد الحديث فى القديم والحديث للدكتور التازى ٢ / ٦٥، ٦٦ .

(٣) انظر : الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم لابن الوزير اليماني ١ / ٢٨ .

(٤) نقلاً عن توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى للدكتور رفعت فوزى ص ١٢٩ .

لم يقل به أحد من أهل العلم.

ومما ينبغي أن يعلم أن الذين قارفوا إثماً ثم حدوا - كان ذلك كفارة لهم، وتابوا وحسنت توبتهم، التي لو وزعت على سبعين من أهل المدينة لوستعهم، وهم في نفس الوقت قلة نادرة جداً لا ينبغي أن يغلب شأنهم وحالهم على حال الألواف المؤلفة من الصحابة الذين ثبتوا على الجادة والصراط المستقيم، وجانبوا المآثم، والمعاصي ما كبر منها وما صغر، وما ظهر منها وما بطن، والتاريخ الصادق أكبر شاهد على هذا<sup>(١)</sup> أ.هـ.

ويؤكد ما سبق الإمام الأبياري<sup>(٢)</sup> بقوله: "وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم، واستحالة المعصية عليهم، وإنما المراد: قبول روايتهم من غير تكلف بحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية، إلا أن يثبت ارتكاب قاذح، ولم يثبت ذلك، والله الحمد، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ، حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير، فإنه لا يصح، وما صح فله تأويل صحيح"<sup>(٣)</sup> انتهى.

(١) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهية ص ٩٢، ٢٤٤ بتقديم وتأخير وانظر: الحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهر ص ١٥٠ وما بعدها، وتدريب الراوى ٢/ ٢١٦ هامش.

(٢) الأبياري هو: علي بن إسماعيل بن علي بن عطية الأبياري، نسب إلى "إيبار" بلدة بمديرية الغربية، وهي بفتح الهمزة وبعدها ياء مشاة من تحت وبعدها ألف، ثم راء مهملة، وبعضهم يصحفها بانباء بنون بعد الهمزة - وهو من العلماء الأعلام، وأئمة الإسلام، فقيه مالكي محدث أصولي. من مؤلفاته "شرح البرهان" لإمام الحرمين في الفقه مات سنة ٦١٨هـ. له ترجمة في: الديباج المذهب ٣٠٦ رقم ٤٠٩، وحسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٤٥٤، ومعجم المؤلفين ٣٧٧، وشجرة النور الزكية ١/ ١٦٦ رقم ٥٢٠.

(٣) انظر: فتح المغيب للسبخاري ٣/ ٩٦، وفتح الباقي على ألفية العراقي للإمام زكريا الأنصاري ٣/ ١٤، والبحر المحيط للركشي ٤/ ٣٠٠، وارشاد الفحول ١/ ٢٧٨، والشفاء للقاضي عياض ٢/ ٥٢.

## المطلب الثالث

### أدلة عدالة الصحابة

إن العدالة التي نثبتها لصحابة رسول الله ﷺ - لم نعطيها هبة لهم من عند أنفسنا - فنحن أقل من ذلك فضلاً عن أننا لا نملك ذلك، وإنما العدالة ثابتة لهم جميعاً بنص الكتاب والسنة الشريفة - سواء منهم من تقدم إسلامه ومن تأخر، ومن هاجر ومن لم يهاجر، ومن اشترك في الغزوات ومن لم يشترك، ومن لابس الفتنة ومن لم يلبسها<sup>(١)</sup>. فهذه العدالة لهم جميعاً تضافرت عليها الأدلة من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة.

أولاً : دلالة القرآن الكريم على عدالة الصحابة ﷺ :

لقد وصف رب العزة صحابة رسول الله ﷺ بالعدالة وأثنى عليهم في آيات يطول ذكرها منها :

١- قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة ﷺ أن وسطاً بمعنى "عدولاً خياراً"<sup>(٣)</sup>، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة<sup>(٤)</sup>. وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن المراد به الخصوص، وقيل : "إنه وارد في الصحابة دون غيرهم"<sup>(٥)</sup>.

٢- وقوله تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(٦)</sup> ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة ﷺ أنها

(١) انظر : تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان ص ٩٥ بتقديم وتأخير .

(٢) الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

(٣) انظر : جامع البيان للطبري ٢ / ٧، وتفسير الرازي ٤ / ٩٧، والجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٥٤، وتفسير القرآن العظيم ١ / ١٩٠ .

(٤) ويؤيد ذلك ما أخرجه الترمذي في سننه عن بهز عن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال ( إنكم تسمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله ) . هـ أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران ٥ / ٢١١ رقم ٣٠٠١، وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

(٥) انظر : الكفاية ص ٩٣ .

(٦) الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول، وهم الصحابة الكرام ﷺ، وذلك يقتضى استقامتهم فى كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله ﷻ بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك؟ كما أنه لا يجوز أن يخبر الله تعالى بأنه جعلهم أمة وسطاً - أى عدولاً - وهم على غير ذلك، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أى عدول بإطلاق" (١).

وهكذا سائر الآيات التى جاءت بمدحهم قال تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً وَرَسُولُهُ أَوْلَيْكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢) فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر أبو بكر الصديق، هاتين الكلمتين، من الآيتين، حيث قال فى خطبته يوم السقيفة مخاطباً الأنصار: "إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾" (٣).

فهذه الصفات الحميدة فى هاتين الآيتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، واتصفوا بها، ولذلك ختم الله صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون، وختم صفات الذين آزرهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون.

وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول" (٤).

وحتى الآيات التى جاء فيها عتاب لهم أو لبعضهم شاهدة بعدالتهم حيث غفر الله

(١) الموافقات ٤ / ٤٥٠ - ٤٥٢ بتصرف، وانظر : عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة للدكتور ناصر على الشيخ ٢ / ٨٠١، ٨٠٢ .

(٢) الآيتان ٩، ٨ من سورة الحشر .

(٣) الآية ١١٩ من سورة التوبة وانظر : العواصم من القواصم لابن العربى ص ٦٢، والبداية والنهاية ٥ / ٢١٧ وما بعدها .

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة ٢ / ٨٠٧ .

لهم ما عاتبهم فيه وتاب عليهم قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٨) فَكُلُوا مِنْمَا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) وتأمل ختام العتاب ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهل بعد مغفرة الله ﷻ من شيء؟! .

وقال تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ وتأمل ختام الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) .

وغير ذلك من الآيات الشاهدة بمغفرة الله ﷻ لهم لما ارتكبوا من بعض المعاصي - وسيأتى ذكر بعضها فى الرد على الشبهات حول عدالة الصحابة .

إن تلك الآيات التى جاء فيها عتاب للصحابة أو لبعضهم لارتكابهم بعض المعاصي لخير دليل شاهد على ما سبق ذكره، من أن المراد بعدالتهم جميعاً عصمتهم من الكذب فى حديث رسول الله ﷺ وليس معنى عدالتهم عصمتهم من المعاصي أو من السهو أو الغلط، فهذا لم يقل به أحد من أهل العلم . وحتى مع ارتكاب بعضهم لبعض الذنوب، فقد امتن الله ﷻ عليهم بالتوبة والمغفرة لذنوبهم .

وما هذه المنة من ربهم ﷻ إلا بيان لعباده مؤمنهم وكافرهم إلى قيام الساعة . بعظم مكانة من اختارهم لصحبة سيد أنبيائه ورسله ﷺ، وأن التجريح والقدح فى تلك المكانة والعدالة إنما هو تجريح و قدح فيمن بوأهم تلك المكانة، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس !!! نعوذ بالله ﷻ من الخذلان .

ثانياً : دلالة السنة المطهرة على عدالة الصحابة ﷺ :

لقد وصف النبى ﷺ أصحابه بالعدالة، وأثنى عليهم فى أحاديث يطول تعدادها منها :

١- قوله ﷺ : "ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب" (٣) "ففى هذا الحديث أعظم دليل

(١) الآيات ٦٧ - ٦٩ من سورة الأنفال .

(٢) الآية ١١٨ من سورة التوبة .

(٣) سبق ترجمته ص ٢٨٢ / ١ .

على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح، ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل، لاستثنى في قوله ﷺ وقال: "ألا ليبلغ فلان منكم الغائب" فلما أجمعهم في الذكر بالأمر بالتبليغ لمن بعدهم، دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفاً" (١).

٢- وقال ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته" (٢) وهذه الشهادة بالخيرية مؤكدة لشهادة رب العزة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٣).

٣- وقوله ﷺ: "النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبَت النجوم، أتى السماء ما تُوعَدُ، وأنا أمانة لأصحابي. فإذا ذهبَت أتى أصحابي ما يُوعَدُونَ، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يُوعَدُونَ" (٤).

٤- وقال ﷺ: "إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة أبا بكر، وعمر وعثمان، وعلياً ﷺ فجعلهم أصحابي قال في أصحابي كلهم خير، واختار أمتي على الأمم، واختار من أمتي أربعة قرون، القرن الأول والثاني والثالث، والرابع" (٥).

وهذا الحديث مؤكد لقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَتَعَوَّنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٦).

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١/ ٩١.

(٢) البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ٧/ ٥٠١ رقم ٣٦٥١، ومسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٨/ ٣٢٤ رقم ٢٥٣٣ من حديث ابن مسعود ﷺ واللفظ للبخاري.

(٣) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة ٨/ ٣٢٢ رقم ٢٥٣١ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٥) أخرجه البزار في مسنده انظر: كشف الأستار كتاب المناقب، باب مناقب أصحاب النبي ﷺ ١/ ٨٨، وقال الحافظ الميثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦ رواه البزار ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف.

(٦) الآية ٢٩ من سورة الفتح.

ويؤكد ابن مسعود رضي الله عنه ما سبق من الآية والحديث قائلاً: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم يقاتلون عن دينه" (١).

يقول الإمام الآمدي: "واختيار الله لا يكون لمن ليس بعدل" (٢).

٥- وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي. لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي: فوالذي نفسي بيده! لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرك مدَّ أحدِهِم، ولا نصيفُهُ" (٣).

يقول الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو (٤)، أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم لما سمع رجلاً من أهل الكوفة يسب رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "... والله لمشهد شهده رجل يغير فيه وجهه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل من عمل أحدكم، ولو عمر عمر نوح عليه السلام" (٥).

يقول فضيلة الشيخ محمد الزرقاني - رحمه الله - "فأنت ترى من هذه الشهادات العالية في الكتاب والسنة، ما يرفع مقام الصحابة إلى الذروة، وما لا يترك لطاعن فيهم دليلاً، ولا شبهة دليل.

والواقع أن العقل المجرد من الهوى والتعصب، يحيل على الله في حكمته ورحمته، أن يختار لحمل شريعته الختامية، أمة مغموزة، أو طائفة ملموزة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومن هنا كان توثيق هذه الطبقة الكريمة طبقة الصحابة، يعتبر دفاعاً عن الكتاب، والسنة، وأصول الإسلام من ناحية، ويعتبر إنصافاً أدبياً لمن يستحقونه من ناحية ثانية،

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٧٩/ ١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٨، رواه أحمد ورجاله موثقون. ورواه ابن عبد البر في مقدمة الاستيعاب ١/ ١٢، ١٣.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢/ ٨٢.

(٣) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب فضائل الصحابة، باب قوله صلى الله عليه وسلم "لو كنت متخذاً خليلاً" ٧/ ٢٥٠ رقم ٣٦٧٣، ومسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ٨/ ٣٣٢ رقم ٢٥٤٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم.

(٤) له ترجمة في: الاستيعاب ٢/ ٦١٤ رقم ٩٨٢، واسد الغابة ٢/ ٤٧٦ رقم ٢٠٧٦، والإصابة ٢/ ٤٤ رقم ٣٢٧١، وتاريخ الصحابة ص ٢٥ رقم ٨، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٣ رقم ١١.

(٥) أخرجه أبو داود في مسنده كتاب السنة، باب في الخلفاء ٤/ ٢١٢ رقم ٤٦٥٠، وأخرجه أحمد في مسنده ١/ ١٨٧، واللفظ له، وصحح إسناده الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على المسند ٣/ ١٠٨.

ويعتبر تقديرًا لحكمة الله البالغة في اختيارهم لهذه المهمة العظيمة من ناحية ثالثة .  
كما أن تَوْهِينَهُم والنيل منهم، يعد غمزاً في هذا الاختيار الحكيم، ولمزاً في ذلك  
الاصطفاء والتكريم، فوق ما فيه من هدم الكتاب، والسنة، والدين<sup>(١)</sup> أ.هـ .

ثالثاً : دلالة إجماع الأمة على عدالة الصحابة ﷺ :

أجمعت الأمة - إلا من شذ من لا يعتد بخلافهم<sup>(٢)</sup>، على ما سبق من تعديل الله  
ﷻ ورسوله ﷺ للصحابة أجمع، والنقول في هذا الإجماع كثيرة عن علماء الأمة، من  
المحدثين، والفقهاء، والأصوليين .

يقول الخطيب البغدادي : "إنه لو لم يرد من الله ﷻ ورسوله ﷺ فيهم شيء مما  
ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج،  
والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين : القطع  
على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين  
يحيئون من بعدهم أبد الأبد . هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من  
الفقهاء"<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن الصلاح : "للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد  
منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب،  
والسنة، وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة"<sup>(٤)</sup> .

وقال العراقي : "إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلبس الفتن منهم وأما من  
لبس الفتن منهم وذلك حين مقتل عثمان ﷺ فأجمع من يعتد به أيضاً في الإجماع  
على تعديلهم إحساناً للظن بهم، وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد"<sup>(٥)</sup> .

وقال الإمام الغزالي : "والذي عليه سلف الأمة، وجمهير الخلق، أن عدالتهم معلومة  
بتعديل الله ﷻ وإياهم وثنائه عليهم في كتابه، فهو معتقدنا فيهم، إلا أن يثبت بطريق  
قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لا يثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٢) راجع أقوالهم في : تدريب الراوي ٢ / ٢١٤، وفواتح الرحموت ٢ / ١٥٥ - ١٥٦، والبحر المحيط ٤ / ٢٩٩،  
٣٠٠، وإرشاد الفحول ١ / ٢٧٤ - ٢٧٨ .

(٣) الكفاية ص ٩٦ .

(٤) علوم الحديث ص ١٧٦ .

(٥) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة للعراقي ٣ / ١٣، ١٤ .

- ثم ذكر بعض ما دل على عدالتهم من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ثم قال :  
فأى تعديل أصح من تعديل علام الغيوب - سبحانه - وتعديل رسوله ﷺ كيف ولو لم  
يرد الثناء لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم في الهجرة، والجهاد، وبذل المهج،  
والأموال، وقتل الآباء والأهل، في موالاته رسول الله ﷺ، ونصرته، كفاية في القطع  
بعدالتهم" (١).

فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة وغيرها كثير . كلها فيها بيان  
واضح، ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً بلا استثناء، أمر مفروغ منه،  
ومسلم به .

فلا يبقى لأحد شك، ولا ارتياب بعد تعديل الله ﷻ ورسوله ﷺ وإجماع الأمة  
على ذلك" (٢).

"وإذا تقرر لك عدالة جميع من ثبتت له الصحبة، علمت أنه إذا قال الراوى عن  
رجل من الصحابة، ولم يسمه كان ذلك حجة، ولا يضر الجهالة، لثبوت عدالتهم على  
العموم" (٣).

قال الإمام الجويني : "ولعل السبب في قبولهم من غير بحث عن أحوالهم، والسبب  
الذى أتاح الله الإجماع لأجله، أن الصحابة هم نقلة الشريعة، ولو ثبت توقف في  
رواياتهم، لانحصرت الشريعة على عصر رسول الله ﷺ، ولما استرسلت على سائر  
الأعصار" (٤).

أولئك آبائي فجتني بمثلهم  
غمرهم الله برحمته ورضوانه ... آمين .

(١) المستصفى ١/ ١٦٤، وانظر : الإحكام للآمدي ٢/ ٨١، ٨٢، والبحر المحيط للزركشي ٤/ ٢٩٩

(٢) انظر : المكنانة العلمية لعبد الرزاق الصنعاني في الحديث النبوي لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار ١ /  
٢٩١ مبحث (لا يستثنى في ثبوت العدالة أحد من الصحابة)، وانظر : توضيح الأفكار ٢/ ٤٧٠، ٤٧١، وعقيدة  
أهل السنة والجماعة في الصحابة للدكتور ناصر الشيخ ٢/ ٨١٤ .

(٣) إرشاد الفحول للشوكاني ١/ ٢٧٨، وانظر : فتح المغيث للسخاوي ٣/ ٩٧ .

(٤) البرهان في أصول الفقه ١/ ٢٤٢، وانظر : إرشاد الفحول ١/ ٢٧٥ .

## المطلب الرابع

### شبهات حول عدالة الصحابة والرد عليها

إن لأهل الزيغ والإلحاد قديماً وحديثاً شبهات كثيرة يطعنون بها في عدالة الصحابة، وأساس تلك الشبهات الرافضة الذين فاقوا اليهود والنصارى في حصلتين كما قال الشعبي - رحمه الله - فيما رواه عنه ابن الجوزي في الموضوعات قال : "... فضلت الرافضة على اليهود والنصارى بخصلتين . سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب موسى عليه السلام وسئلت النصارى فقالوا أصحاب عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا حوارى محمد، وأمرؤا بالاستغفار لهم فسبوههم" (١).

فمن مطاعنهم في عدالة الصحابة : ما استدلوا به من :

١- قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ (٢) وقالوا نزلت في أكثر الصحابة الذين انفضوا عن رسول الله ﷺ إلى العير التي جاءت من الشام، وتركوه وحده في خطبة الجمعة، وتوجهوا إلى اللهو، واشتغلوا بالتجارة، وذلك دليل على عدم الديانة (٣).

٢- واستدلوا أيضاً بما ورد في القرآن الكريم من آيات تتحدث عن النفاق والمنافقين، وحملوها على أتقى خلق الله، وأطهرهم (رضوان الله عليهم أجمعين) كقوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (٤).

وأيدوا ذلك بما جاء في السنة المطهرة من أحاديث يطلق فيها لفظ الصحابة على المنافقين.

(١) الموضوعات ١ / ٣٣٩ .

(٢) الآية ١١ من سورة الجمعة .

(٣) مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٧١ - ٢٧٢، وانظر الصافي في تفسير القرآن للكاشاني ٢ / ٧٠١، وتفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ٢ / ٣٦٧، ومجمع البيان للطبرسي ٥ / ٢٨٧، ٢٨٨، وتفسير فرائد الكوفي لفراء بن إبراهيم ص ١٨٥، وأعيان الشيعة لحسن الأمين ١ / ١١٤، وأضواء على السنة لمحمود أبو ربة ص ٣٥٩، وركبت السفينة لمروان خليفات ص ٢٢٣، والإنصاح في إمامة علي بن أبي طالب لمحمد بن النعمان العكبري ص ٣٧ .

(٤) الآية ١٠١ من سورة التوبة .

مثل حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : "أتى رجلٌ رسول الله صلى الله عليه وآله بالجعرانة مُنصرَفَهُ من حُنين. وفي ثوب بلال فِضةٌ ورسول الله صلى الله عليه وآله يقبض منها. يعطى الناس. فقال: يا محمد! اعدل! قال "ويلك ومن يعدل! إذا لم أكن أعديل؟ لقد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل!" فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق. فقال : "معاذ الله! أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي. إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوزُ حناجرهم. يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية" (١).

٣- واستدلوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ (٣) وقالوا. الفرار من الزحف من أكبر الكبائر (٤).

٤- واستدلوا من السنة المطهرة : بقوله صلى الله عليه وآله : "... ألا وإنه سيجاءُ برجال من أمتي فيؤخذُ بهم ذات الشمال، فأقول : يا ربُّ أصحابي، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (٥) فيقال : إن هؤلاء لا يزالوا مُرتدِّين

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٤ / ١٧٠، ١٧١ رقم ١٠٦٣، وانظر : الفصول المهمة في تأليف الأمة لعبد الحسين الموسوي ص ٢٠٣، والصحابة في نظر الشيعة الإمامية لأسد حيدر ص ٣١ - ٣٢، ومقدمة مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول لمرتضى العسكري ١ / ٨، ومعالم المدرستين له أيضاً المجلد ١ / ١٣٠، وأضواء على السنة محمود أبو رية ص ٣٥٤، ٣٥٦، والحسبة ص ٦٠ وما بعدها، ولماذا القرآن ص ٨٢ - ٨٤ كلاهما لأحمد صبحي منصور، وانظر : له أيضاً مقاله (الصحابة بين القداسة والتكفير) مجلة روزاليوسف العدد ٣٥٦٤ ص ٢٢-٢٤، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين ص ٣٣٥، ٣٣٦، وركبت السفينة لمروان خليفات ص ٢١٩ - ٢٢٣، ومساحة للحوار لأحمد حسين يعقوب ص ١٣١، ١٦٩، ١٧١، ونظرية عدالة الصحابة له أيضاً ص ٣٩، وأهل السنة شعب الله المختار لصالح الورداني ص ٣٧، ١٠٢، ومع الدكتور موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح للدكتور علاء الدين القزويني ص ١٥١، ١٥٣، والإنصاح في إمامة علي للشيخ محمد العسكري ص ٣٧، ٣٩، والخلافة المقتضية لإدريس الحسيني ص ٤٥، ٩١، والشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني ص ٢٨٥ .

(٢) الآية ١٥٥ من سورة آل عمران .

(٣) الآية ٢٥ من سورة التوبة .

(٤) مختصر التحفة الإنشائية عشرية ص ٢٧٣، وانظر : تفسير الصافي للكاشاني ١ / ٦٩١، وتفسير القمي لعلي إبراهيم القمي ١ / ٢٨٧، والميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي ٩ / ٢٢٦، وركبت السفينة لمروان خليفات ص ٢٣٠، والإنصاح في إمامة علي بن أبي طالب لمحمد بن النعمان العسكري ص ٣٦، ٤١، ولقد شيعني الحسين لإدريس الحسيني ص ٣٥٠ .

(٥) جزء من الآية ١١٧ من سورة المائدة .

على أعقابهم منذ فارقتهم" (١).

٥- واستدلوا بقوله ﷺ: "لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (٢) وقالوا: تقاتل الصحابة في صفين والجمل (٣).

واستدل آخرون بالطعن في عدالة الصحابة بما تمليه عليهم عقولهم الضالة من فهم أعوج لسيرة الصحابة، وتاريخهم المجيد، كما فعل مفتى الماركسية خليل عبد الكريم (٤) في كتابه "مجتمع يثرب العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخلفي" فقد صور مجتمع المدينة المنورة بقيادة رسول الله ﷺ، وخلفائه الراشدين، وصحابته الأطهار، تصويراً شائناً قبيحاً، وجعله أشبه بمجتمع الحيوانات التي لا هم لها إلا إشباع الغرائز الجنسية بأي شكل، وبغير ضابط من دين أو خلق، غير مكترئين بالنصوص الدينية التي تمنعهم من هذا الهبوط" (٥).

كما أصدر كتاباً آخر بعنوان "شدو الرابية بأحوال مجتمع الصحابة" وهو من ثلاثة أسفار، الأول بعنوان "محمد والصحابة" والثاني "الصحابة والصحابة" والثالث الصحابة والمجتمع" تناول فيها المؤلف تاريخ الصحابة، وسيرتهم بأسلوب فج قبيح يبيئ

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا ذُفِتْ فِيهِمْ﴾ ١٣٥/٨ رقم ٤٦٢٥، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٩/٢١٠ رقم ٢٨٦٠ من حديث ابن عباس، واللفظ للبخاري وانظر: مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٧٢، وشبهات حول الشيعة لعباس الموسوي ص ١١٥، ١١٦، ثم اهتديت لمحمد التيجاني ص ١١٩، ١٢٠، وأعيان الشيعة لمحسن الأمين ١/١١٧، ومعالم المدرستين: لمرتضى العسكري المجلد ١/١٣٢، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين ص ٣٢٧، وركبت السفينة ٢٢٤ - ٢٢٨، ونظرية عدالة الصحابة ص ٥٣ - ٥٤، والخذعة رحلتني من السنة إلى الشيعة ٩٨، ومع الدكتور موسى الموسوي للدكتور علاء الدين القزويني ص ١٥٢، ١٥٣ - ١٥٩، والإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ص ٣٠، ٣١، والخلافة المقتضية ص ١٩٣، ولقد شيعني الحسين ص ٣٤٩، وأضواء على السنة ص ٣٥٤ - ٣٥٦، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٣٧.

(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض (٣) بعض ١٣/٢٩ رقم ٧٠٨٠، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ١/٣٣٢ رقم ٦٥ من حديث جرير بن عبد الله.

(٣) أضواء على السنة ص ٣٥٤، وانظر: نظرية عدالة الصحابة لأحمد حسين يعقوب ص ٥٣، والخلافة المقتضية لأديس الحسيني ص ٩٣، والفتنة الكبرى (عثمان) لطلح حسين ص ١٧٠ - ١٧٣، دين السلطان لنيازي عز الدين ص ٣٤، ١٠٣، ١١٠، ١٢٤، ٧٩٥، والسلطة في الإسلام لعبد الجواد ياسين ص ٢٤١، ٢٦٠، ٢٦٧، والصلاة لمحمد نجيب ٣٢ - ٣٧، وحوار ومناقشة كتاب عائشة لهشام آل قطيط ص ٣١٢ وغيرهم.

(٤) خليل عبد الكريم: كاتب مصري معاصر، حاصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد الأول - جامعة القاهرة حالياً. أطلق عليه "مفتي الماركسية" أونة، "والشيوعي الملثحي" أونة أخرى. انظر: السنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص ١٦٣.

(٥) انظر: مجلة الأزهر مقال "لا تسبوا أصحابي" لفضيلة الشيخ عبد المقصود عسكر عدد ربيع الأول ١٤١٨ هـ - يولييه ١٩٩٧ ص ٣٨٤.

عن سوء فهمه، وجهله، وحقده الدفين، ضد صحابة رسول الله ﷺ، وكذلك فعل سعيد العشماوى<sup>(١)</sup> وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

## الجواب عن الشبهات السابقة حول عدالة الصحابة ﷺ

إن ما استدل به الرافضة ومن تابعهم طعناً فى عدالة الصحابة لا حجة لهم فيه لما يلى:  
أولاً: قصة انفضاض أكثر الصحابة عن رسول الله ﷺ إلى غير القادمة من الشام، وتركهم خطبة الجمعة، إنما وقع ذلك فى بدء زمن الهجرة، ولم يكونوا إذ ذاك واقفين على الآداب الشرعية كما ينبغي، كما أن كبار الصحابة كأبى بكر وعمر كانوا قائمين عنده، كما ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة.

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: بينما النبى ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً إذ قدمت غير المدينة، فابتدروها<sup>(٣)</sup> أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق منهم إلا اثني عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر ونزلت الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾<sup>(٤)</sup>، ولذا لم يشفع عليهم، ولم يوعدهم سبحانه وتعالى بعذاب ولم يعاتب الرسول ﷺ أيضاً<sup>(٥)</sup>.

ورد آخر على هذه القصة وهو: أنه ورد فى بعض الأخبار أنها وقعت لما كان النبى ﷺ يقدم الصلاة على الخطبة يوم الجمعة، وانفضاضهم وقع فى الخطبة، وليس فى الصلاة كما هو الظاهر من بعض الروايات، والتي ركز عليها بعض الرافضة، كمحمود

(١) انظر: له الخلافة الإسلامية، وأصول الشريعة، وحصاد العقل وغير ذلك.

(٢) سبق ذكر من طعن فى الصحابة باتهامهم بالكذب. وانظر: فيمن طعن فى عدالة الصحابة بحجة أنهم بشر لا عصمة لهم. نقد الحديث فى علم الرواية والدراية لحسين الحاج ١/ ٣٥٠، ٣٥١، وإنذار من السماء ص ٣٩، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، وتبصير الأمة بمحقيقة السنة ص ٣٩٦-٤٢٦، والدولة واجتمع محمد شحور ١٦٠ وما بعدها، والإمام الشافعى لنصر أبو زيد ص ٥٦، ٥٧، والأصلان العظيمان ص ٢٨٤ - ٢٨٨ والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص ٢٤ - ٢٨، ٣٠، ٦٥، ٨٥، ٢٦١.

(٣) ابتدروها: أى أسرعوا إليها. لسان العرب ٤/ ٤٨٨.

(٤) الآية ١١ من سورة الجمعة، والحديث أخرجه البخارى (شرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب تفسير "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا" ٣/ ٤١٥ رقم ٨٦٣ واللفظ له.

(٥) مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٧٢ بتصرف، وانظر: روح المعانى للأوسى ٢٨/ ١٠٧.

أبو رية<sup>(١)</sup>، ومروان خليفات<sup>(٢)</sup>، وغيرهم.

ويدل على أن الانفضاض كان في الخطبة ما جاء في رواية مسلم السابقة : بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً.

يقول الحافظ ابن حجر : "ترجيح كون الانفضاض وقع في الخطبة لا في الصلاة، هو اللاتق بالصحابة تحسیناً للظن بهم، وعلى تقدير أن يكون في الصلاة حمل على أن ذلك وقع قبل النهي كآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وقبل النهي عن الفعل الكثير في الصلاة ونزول قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ويؤيد ذلك : ما رواه أبو داود في المراسيل أن هذه القصة كانت لما كان رسول الله ﷺ يصلي الجمعة قبل الخطبة، مثل العيدين، فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس في ترك الجمعة شيء، فأنزل الله ﷻ : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ فقدم النبي ﷺ الخطبة يوم الجمعة وأخر الصلاة<sup>(٥)</sup>. وهو ما رجحه أيضاً النووي في شرحه على مسلم<sup>(٦)</sup>.

وعلى كل تقدير أنه في الصلاة، فلم يكن تقدم لهم نهى عن ذلك، فلما نزلت آية الجمعة، وفهموا منها ذم ذلك، اجتنبوه<sup>(٧)</sup>.

يقول الألويسي : "ورواية أن ذلك وقع منهم مراراً" إن أريد بها رواية البيهقي في شعب الإيمان<sup>(٨)</sup> عن مقاتل بن حيان<sup>(٩)</sup> أنه قال : بلغني والله أعلم أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات، فمثل ذلك لا يلتفت إليه، ولا يعول عند المحدثين عليه، وإن أريد بها

(١) أضواء على السنة ص ٣٥٩ .

(٢) ركب السفينة ص ٢٢٣ .

(٣) الآية ٣٣ من سورة محمد .

(٤) الآية ٢ من سورة المؤمنون وانظر : فتح الباري ٢ / ٤٩٣ رقم ٩٣٦ بتصرف يسير .

(٥) المراسيل ص ٥٠ رقم ٦١ .

(٦) المنهاج شرح مسلم ٣ / ٤١٦، ٤١٧ رقم ٨٦٣، وانظر : تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٦٧ .

(٧) انظر : فتح الباري ٢ / ٤٩٣ رقم ٩٣٦ .

(٨) الرواية لأوردها السيوطي في الدر المنثور : ٨ / ١٦٦، ولم يعزها لغيره .

(٩) هو : مقاتل بن حيان البجلي، أبو بسطام البلخي، صدوق فاضل، اخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعاً كذبه، إنما

كذب مقاتل بن سليمان . مات قبيل الخمسين بأرض الهند . له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢ / ٢١٠ رقم ٦٨٩١،

وتذكرة الحفاظ ١ / ١٧٤ رقم ١٦٨، وطبقات المفسرين للداودي ٢ / ٣٢٩، وخلاصة تهذيب الكمال ص ٣٣٠،

ولسان الميزان ٩ / ١٩٨ رقم ١٤٥٤٨ .

غيرها فليبين، ولتثبت صحته، وأنى بذلك؟

وبالجملة : الطعن فى الصحابة بهذه القصة التى كانت من بعضهم فى أوائل أمرهم، وقد أعقبها منهم عبادات لا تخصى، سفه ظاهر، وجهل وافر<sup>(١)</sup>.  
ثانياً : أما نسبة النفاق إلى خيار هذه الأمة بدعوى أنه كان فى المدينة منافقين، وأن النبى ﷺ أطلق لفظ الصحابة عليهم : "معاذ الله! أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى".

هذه الشبهة أوهى من بيت العنكبوت، وهى فرية واضحة لا تثبت لها قدم.  
أولاً : لأن إطلاق لفظ الصحابة على المنافق كما جاء فى الحديث هذا الإطلاق لغوى، وليس اصطلاحى نظير قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾<sup>(٣)</sup>، إضافة صحبة النبى ﷺ إلى المشركين والكافرين إنما هى صحبة الزمان والمكان لا صحبة الإيمان، وذلك كقوله تعالى فى حق سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالصحبة فى الحديث الشريف، بمعناها اللغوى كما فى الآيات السابقة، وليست الصحبة الاصطلاحية، فتعريفها السابق يخرج المنافقين والمرتدين.

ثم كيف يكون المنافقون من الصحابة بالمعنى الاصطلاحى وقد نفاه عنهم رب العزة بقوله : ﴿وَيُخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.  
ثم إن المنافقين لم يكونوا مجهولين فى مجتمع الصحابة الكرام ﷺ، ولم يكونوا هم السواد الأعظم، والجمهور الغالب فيهم، وإنما كانوا فئة معلومة آل أمرهم إلى الخزى

(١) روح المعانى للأوسى ٢٨ / ١٠٧.

(٢) الآية ١٨٤ من سورة الأعراف.

(٣) الآية ٢ من سورة النجم، وفى هذه الآية وما فى معناها بطلان لسؤال الرافضى مروان خليفات ومن قال بقوله. قال : قال تعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا يَتْلُمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ الآية ١٠١ من سورة التوبة، قال : فصنت الآية على أن هناك منافقين لا يعلمهم إلا الله فمن هم حتى تتجنب أخذ الأحاديث عنهم.  
أ-هـ انظر : وركبت السفينة ص ٢٣٠، ٢٣١، ونسى خليفات على فرض التسليم بزعمه، ما أفاض فيه رب العزة من ذكر أوصائهم فى سورة التوبة، وغيرها من سائر سور القرآن، كما تناسى وعد الله المذكور فى ختام الآية، وهو فضحهم فى الدنيا، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم : ﴿لَنَحْنُ نَعْلَمُهُمْ مَسْعَدَتُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ وإلا فالخطاب للنبى ﷺ كان فى بدء الأمر ثم أعلمه رب العزة بأسمائهم، فضلاً عما ذكر فى القرآن من صفاتهم، ويؤكد هذا أخبار النبى ﷺ لحذيفة بن اليمان ﷺ بأسمائهم، وسيأتى قريباً ذكر الحديث.

(٤) الآية ٣٩ من سورة يوسف.

(٥) الآية ٥٦ من سورة التوبة.

والفضيحة، حيث علم بعضهم بعينه، والبعض الآخر منهم علم بأوصافه، فقد ذكر الله في كتابه العزيز من أوصافهم، وخصوصاً في سورة التوبة، ما جعل منهم طائفة متميزة منبوذة، لا يخفى أمرها على أحد، كما لا يخفى على أحد حالهم في زماننا.

فأين هذه الفئة المنافقة ممن أثبت الله لهم في كتابه نقيض صفات المنافقين، حيث أخبر عن رضاه عنهم، من فوق سبع سموات، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس<sup>(١)</sup>. ويدل على ما سبق من قلة المنافقين في المجتمع الإسلامي، وأنهم فئة معلومة تكفل رب العزة بفضحهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

ما رواه حذيفة بن اليمان<sup>(٢)</sup> ﷺ صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين. قال: قال النبي ﷺ في أمتي - وفي رواية - في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط. ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة، سراج من النار، يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم<sup>(٣)</sup>. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة من حجره، وعنده نفر من المسلمين قد كان يقلص عنها الظل، قال: سيأتيكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان فلا تكلموه، فدخل رجل أزرق، فقال رسول الله ﷺ على ما تسبني أنت وفلان وفلان، لقوم دعا بأسمائهم، فانطلق إليهم فدعاهم فحلفوا واعتذروا فأنزل الله ﷻ ﴿يَوْمَ يَنْعُثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخَلِّفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

أما ما استدلل به محمود أبو رية من قول "أسيد بن حضير، لسعد بن عباد إنك منافق تجادل عن المنافقين" وقوله فهو لاء البدريون منهم من قال لآخر منهم: "إنك منافق ولم يكفر النبي لا هذا ولا ذاك"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة للدكتور ناصر الشيخ ٩٦٣/ ٣.

(٢) له ترجمة في: الاستيعاب ١/ ٣٣٤ رقم ٤٩٢، واسد الغابة ١/ ٧٠٦ رقم ١١١٣، والإصابة ١/ ٣١٧ رقم ١٦٥٢، وتاريخ الصحابة ٧٣ رقم ٢٦٧، ومشاهير علماء الأمصار ص ٥٥ رقم ٢٦٧.

(٣) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفات المنافقين ٩/ ١٣٦، رقم ١٣٧. ٢٧٧٩.

(٤) الآية ١٨ من سورة المجادلة، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب التفسير، باب تفسير سورة المجادلة ٢/ ٥٢٤ رقم ٣٧٩٥، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٨٢، ٢٨٣ واللفظ له.

(٥) أضواء على السنة ص ٣٥٩.

هذا الذى يزعمه الرافضى محمود أبو ربه من فرط جهله، وتضليله وبتره لسبب ذلك القول.

وهو كما جاء فى الصحيحين فى قصة الإفك لما قال ﷺ وهو على المنبر : "يا معشر المسلمين من يعلننى من رجل قد بلغ أذاه فى أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً. ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً. وما كان يدخل على أهلى إلا معى" فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال : أنا أعذك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه. وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت عائشة - رضى الله عنها - فقام سعد بن عبادة<sup>(١)</sup>، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً. ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ : كذبت لعمر الله ! لا تقتله، ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير<sup>(٢)</sup>، وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ! لنقتله فإنك منافق تجادل عن المنافقين ..."<sup>(٣)</sup>.

فكما هو واضح من قصة الحديث أن قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة "فإنك منافق" وقع منه على جهة المبالغة، فى زجره عن القول الذى قاله حمية للخزرج، ومجادلته عن ابن أبى، وغيره.

ولم يرد أسيد بإطلاقه "فإنك منافق" لم يرد به نفاق الكفر، وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس، ثم ظهر منه فى هذه القصة، ضد ذلك فأشبه حال المنافق؛ لأن حقيقته إظهار شيء وإخفاء غيره.

ولعل هذا هو السبب فى ترك إنكار النبى ﷺ<sup>(٤)</sup> وهو أقوى دليل على الخصم. ومع كل هذا فقد تقرر أن العدالة لا تعنى العصمة من الذنوب، أو السهو، أو الخطأ، ومن فضل الله عليهم ﷺ أن وعدهم بالمغفرة، ولا سيما أهل بدر، وهم من أهلها فعن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ كتب حاطب بن أبى بلتعة إلى

(١) سعد بن عبادة صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة ٢ / ٣٠١ رقم ٣١٧٣، والاستيعاب ٢ / ٥٩٤ رقم ٩٤٤، وأسد الغابة ٢ / ٤٤١ رقم ٢٠١٢، ومشاهير علماء الأمصار ١٥ رقم ٢٠.

(٢) أسيد بن حضير صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة ١ / ٤٩ رقم ١٨٥، وتاريخ الصحابة ص ٣٠ رقم ٢٥، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٠ رقم ٣٦، والاستيعاب ١ / ٩٢ رقم ٥٤، وأسد الغابة ١ / ٢٤٠ رقم ١٧٠.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب "الولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ... إلى قوله هم الكاذبون" ٨ / ٣٠٦-٣٠٨ رقم ٤٧٥٠ ومسلم (بشرح النووي) كتاب التوبة، باب فى حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٩ / ١١٥، ١١٨ رقم ٢٧٧٠.

(٤) فتح البارى ٨ / ٣٣٠ رقم ٤٧٥٠ بتصرف، وانظر : منهاج السنة لابن تيمية ٣ / ١٩٢.

أهل مكة فأطلع الله تعالى عليه نبيه ﷺ فبعث علياً والزبير في أثر الكتاب فأدركا امرأة على بعير فاستخرجاه من قرن من قرونها، فأتيا به نبي الله ﷺ فقرأ عليه، فأرسل إلى حاطب فقال "يا حاطب إنك كتبت هذا الكتاب؟" قال نعم : يا رسول الله قال : فما حملك على ذلك؟ قال : يا رسول الله، إني والله لنا صح لله ، ولرسوله ﷺ، ولكني كنت غريباً في أهل مكة وكان أهلي بين ظهرائهم، فخشيت عليهم، فكتبت كتاباً لا يضر الله ورسوله شيئاً، وعسى أن يكون فيه منفعة لأهلي . قال عمر : فاحتزطت سيفي وقلت : يا رسول الله أمكني منه فإنه قد كفر فأضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : "يا ابن الخطاب وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل هذه العصابة من أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فأني قد غفرت لكم" (١) أ.هـ .

ثالثاً : أما ما استدلوأ به من فرار بعض الصحابة يوم الزحف في غزوتي أحد وحينئذ ، ما استدلوأ به حجة عليهم .

ففي عتاب الفرار يوم أحد قال ﷺ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ ثم ختم العتاب بقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢) .

ولا تعبير بعد عفو الله تعالى عن الجميع (٣) .

وفي عتاب الفرار يوم حنين قال ﷺ : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ ثم امتن رب العزة عليهم بقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (٤) .

وهل تنزل السكينة إلا على قوم مؤمنين؟!

نعم تنزل السكينة على قوم مؤمنين ليزدادوا بها إيماناً مع إيمانهم، وصدق رب العزة : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٥) ويقول ﷺ : ﴿إِذْ جَعَلَ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب معرفة الصحابة، باب ذکر أهل بدر ٤ / ٨٧ رقم ٦٩٦٦، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

(٢) الآية ١٥٥ من سورة آل عمران .

(٣) روح المعاني للألوסי ٤ / ٩٩، وانظر : مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٧٣ .

(٤) الآية ٢٦ من سورة التوبة .

(٥) الآية ٤ من سورة الفتح .

الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَانْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١﴾.

وهل بعد تلك الشهادات العلا لهم بالإيمان والتقوى من تعيير؟!  
 رابعاً : أما استدلالهم بحديث الحوض، وما جاء فيه من وصف الصحابة بالردة .  
 فهذا من زندقة الرافضة، ومن تلبيسهم، وتضليلهم .

فإن المراد بالأصحاب هنا ليس المعنى الاصطلاحي عند علماء المسلمين، بل المراد بهم مطلق المؤمنين بالنبي ﷺ المتبعين لشريعته، وهذا كما يقال لمقلدى أبي حنيفة أصحاب أبي حنيفة، ولمقلدى الشافعي أصحاب الشافعي وهكذا، وإن لم يكن هناك رؤية واجتماع، وكذا يقول الرجل للماضين الواقفين له في المذهب : "أصحابنا" مع أن بينه وبينهم عدة من السنين، ومعرفة ﷺ لهم مع عدم رؤيتهم في الدنيا بسبب أمارات تلوح عليهم يعرفها النبي ﷺ .

فمن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ : "إن حوضي لأبعد من أيلة من عدن<sup>(٢)</sup>، والذي نفسى بيده إني لأزود عنه الرجال كما يزود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه"، قالوا: يا رسول الله! أو تعرفنا؟ قال : "نعم تردون على غراً مُحَجَّلِينَ من آثار الوضوء. ليست لأحد غيركم"<sup>(٣)</sup>.

ولو افترضنا أن المراد بالأصحاب في الحديث، الأصحاب في زمنه ﷺ .  
 فالمراد بهم : الذين صاحبه صحبة الزمان والمكان مع تفاقهم، كما سبق من قوله تعالى : ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا فالمراد بالمرتدين من أصحابه في الحديث هم الذين ارتدوا من الأعراب على عهد الصديق ﷺ .

وقد علمت أن التعريف الاصطلاحي للصحابة يخرج من ارتد ومات على رده -

(١) الآية ٢٦ من سورة الفتح .

(٢) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر حالياً) مما يلي الشام . معجم البلدان ١ / ٣٤٧، وعدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن . معجم البلدان ٤ / ١٠٠، وبحر الهند يسمى الآن المحيط الهندي .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ٢ / ١٣٧ رقم ٢٤٨ . وانظر : مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٧٢ .

(٤) الآية ٢ من سورة النجم .

والعياذ بالله - .

وفى الحديث ما يؤيد المعانى السابقة، كقوله ﷺ "أصحباني" بالتصغير، كما جاء فى بعض الروايات، قال الخطابى : "فيه إشارة إلى قلة عدد من وقع لهم ذلك، وإنما وقع لبعض جفاة الأعراب، ولم يقع من أحد من الصحابة المشهورين" (١). وفى قوله ﷺ : "فيقال" : هل شعرت ما عملوا بعدك" "فيه إشارة إلى أنه لم يعرف أشخاصهم بأعيانها، وإن كان قد عرف إنهم من هذه الأمة" (٢).

أما حمل الحديث على أصحاب رسول الله ﷺ بالمعنى الاصطلاحي - فهذا ما لا يقوله مسلم!! وهو ما يدحضه ما سبق ذكره من تعديل الله ﷻ، ورسوله ﷺ، وإجماع الأمة على ذلك أ.هـ.

خامساً : أما ما احتجوا به من حديث "لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" والزعم بأن الصحابة استحل بعضهم دماء بعض فى صفين والجمل. فالحق أن هذه التشبهة من أخطر التشبه التى احتج بها الرافضة الزنادقة، وأذياهم من دعاة العلمانية، الذين اتخذوا من تلك الفتن مادة دسمة، طعنوا بها فى عدالة الصحابة، وفتنوا بذلك عوام المسلمين، ومن لا علم له، بضربهم على (الوتر الحساس) وهو : دعوى ظلم الصحابة لآل بيت رسول الله ﷺ فى تلك الفتن .

وهذا ما فعله طه حسين فى كتابه "الفتنة الكبرى - عثمان بن عفان ﷺ" (٣). وقال بقوله محمود أبو رية (٤)، وغير واحد من دعاة الرافضة واللا دينية (٥).

حتى وجدنا من يجهر من الرافضة قائلاً : "معاوية بن أبى سفيان ﷺ" - كافر ابن كافر - ولعنة الله على معاوية، فقد بغى على الحق، وخرج على طاعة الإمام على، وشنت شمل المسلمين، وفرق كلمتهم، فأساس فرقة المسلمين إلى الآن هو معاوية الذى خرج عن طاعة الإمام على بن أبى طالب ﷺ" (٦).

(١) انظر : فتح البارى ٨ / ١٣٥، ١٣٦ رقم ٤٦٢٥، وانظر : تأويل مختلف الحديث ص ٢١٣-٢١٥ .

(٢) فتح البارى ١١ / ٤٨٤ رقم ٦٥٩٣، ومختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٧٣ .

(٣) انظر : الفتنة الكبرى ص ١٧٠ - ١٧٣ .

(٤) انظر : أضواء على السنة ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

(٥) انظر : دين السلطان لنيازى عز الدين ص ٣٤، ١٠٣، ١١٠، ١٢٤، ٧٩٥، والسلطة فى الإسلام لعبد الجواد ياسين ص ٢٦٠ وما بعدها .

(٦) قال ذلك الرافضى حسن شحاته (قبحه الله تعالى) انظر : مجلة روز اليوسف العدد ٣٥٦٢ ص ٣٥ .

والجواب عن هذا الإفك يطول<sup>(١)</sup>، وهو بحاجة إلى تحقيق دقيق<sup>(٢)</sup>، نكتفى هنا بملخصة القول.

وهو أنه لا حجة لهم في الحديث، ولا في الفتن التي وقعت بين سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم أجمعين-، والتي أشعلها سلفهم من الخوارج، والرافضة، والزنادقة.

فقوله: "لا ترجعوا بعدى"، بصيغة النهي والتحذير من قتال المؤمن. وإطلاق الكفر على قتال المؤمن مبالغة في التحذير من ذلك، لينزجر السامع عن الإقدام عليه وليس ظاهر اللفظ مراداً، أو أنه على سبيل التشبيه لأن ذلك فعل الكافر<sup>(٣)</sup>.

والمعنى لا تفعلوا فعل الكفار فتشبهوهم في حالة قتل بعضهم بعضاً<sup>(٤)</sup>. وقيل: المعنى كفاراً بجرمة الدماء، وحرمة المسلمين، وحقوق الدين، وقيل: كفاراً بنعمة الله، وقيل المراد ستر الحق، والكفر لغة الستر، لأن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويعينه، فلما قاتله كأنه غطى على حقه الثابت له عليه، وقيل: إن الفعل المذكور يفرض إلى الكفر، لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شؤم ذلك إلى أشد منها فيخشى أن لا يحتسب له بخاتمة الإسلام، وقيل: اللفظ على ظاهره للمستحل قتال أخيه المسلم، وقيل غير ذلك<sup>(٥)</sup>.

وما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من قتال لم يكن عن استحلال له حتى يحمل الحديث على ظاهره وأن قتالهم كفر، كما استدلل الخوارج ومن شايعهم بقوله رضي الله عنهم: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"<sup>(٦)</sup>.

كيف والقرآن الكريم يكذبهم في هذا الفهم السطحي قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ

(١) راجع إن شئت ما سبق من الجواب في الطعن في صحة إسلام سيدنا معاوية رضي الله عنه ١/ ٤٢٧-٤٣٢.

(٢) ممن حقق في تلك الفتن الإمام ابن العربي في العواصم من القواصم، وابن تيمية في منهاج السنة. وغيرهما والأمر في حاجة إلى مزيد من التحقيق. والله أعلم.

(٣) انظر: فتح الباري ١٣/ ٣٠ أرقام ٧٠٧٦ - ٧٠٨٠.

(٤) انظر: المصدر السابق ١/ ٢٦٢ رقم ١٢١.

(٥) المصدر نفسه ١٢/ ٢٠١، ٢٠٢ رقم ٦٨٦٨، ١٣/ ٣٠ أرقام ٧٠٧٦ - ٧٠٨٠.

(٦) سبق تخريجه ص ٤٣.

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١﴾.

فسماهم أخوة، ووصفهم بأنهم مؤمنون، مع وجود الاقتتال بينهم، والبغى من بعضهم على بعض.

يقول الحافظ ابن كثير: "وبهذا استدلل البخارى (٢) وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم، وهكذا ثبت في صحيح البخارى من حديث الحسن (٣)، عن أبى بكره (٤) قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن على إلى جنبه - وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (٥).

فكان كما قال ﷺ، أصلح الله تعالى به بين أهل الشام، وأهل العراق، بعد الحروب الطويلة، والواقعات المهولة (٦).

يقول الإمام ابن تيمية: "والذين قاتلوا الإمام على ﷺ لا يخلوا: إما أن يكونوا عصاة، أو مجتهدين مخطئين أو مصيبين، وعلى كل تقدير، فهذا لا يقدح فى إيمانهم، ولا فى عدالتهم، ولا يمنعهم الجنة، بما سبق من تصريح القرآن الكريم، من تسميتهم إخواناً، ووصفهم بأنهم مؤمنون، وتأكيد النبى ﷺ ذلك بما سبق من رواية الحسن بن على عن أبى بكره ﷺ.

(١) الآيتان ٩، ١٠ من سورة الحجرات.

(٢) صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الإيمان، باب المعاصى من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقوله ﷺ لأبى ذر: "إنك امرؤ فبك جاهلية" وقول الله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. وباب ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلَا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَجَاهِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ فسماهم مؤمنين ١/١٠٦ رقمى ٣٠، ٣١.

(٣) الحسن هو: ابن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - صحابى جليل له ترجمة فى: الإصابة ١/ ٣٢٨ رقم ١٧١٩، والاستيعاب ١/ ٣٨٣ رقم ٥٥٥، وأسد الغابة ٢/ ١٣ رقم ١١٦٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٢ رقم ٦.

(٤) أبو بكره هو: نفع بن مسروح بن كلده، صحابى جليل، له ترجمة: فى الإصابة ٣/ ٥٧١ رقم ٨٧٩٣، وأسد الغابة ٥/ ٣٣٤ رقم ٥٢٨٩، وتاريخ الصحابة ص ٢٤٩ رقم ١٣٧٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ٤٨ رقم ٢٢٠ والاستيعاب ٤/ ١٦١٤ رقم ٢٨٧٧.

(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الصلح، باب قول النبى ﷺ للحسن بن على ﷺ: "إن ابني هذا سيد... الحديث" وقوله حل ذكره (فأصلحو بينهما) ٥/ ٣٦١ رقم ٢٧٠٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢١١.

ولهذا اتفق أهل السنة على أنه لا تفسق واحدة من الطائفتين، وإن قالوا في إحداهما أنهم كانوا بغاة<sup>(١)</sup> والبغى إذا كان بتأويل كان صاحبه مجتهداً، والمجتهد المخطئ لا يكفر، ولا يفسق وإن تعمد البغى فهو ذنب من الذنوب، والذنوب يرفع عقابها بأسباب متعددة كالنوبة، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وشفاعاة النبي ﷺ ودعاء المؤمنين، وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا القول إجماع الأمة من علمائها.

يقول الإمام الآمدي: "فالواجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، وإن كان ذلك إنما لما أدى إليه اجتهد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين."

وإلا فجمهور الصحابة وسادتهم تأخروا عن تلك الفتن والخوض فيها كما قال محمد بن سيرين: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضر منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين" وإسناد هذه الرواية كما قال ابن تيمية أصح إسناد على وجه الأرض<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا فالذى خاض في تلك الفتن من الصحابة إما أن يكون كل مجتهد مصيباً، أو أن المصيب واحد، والآخر مخطئ في اجتهداه مأجور عليه. وعلى كلا التقديرين، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة، إما بتقدير الإصابة فظاهر، وإما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالإجماع<sup>(٤)</sup>.

يقول الإمام الجويني: "أما التوقف في تعديل كل نفر من الذين لا بسوا الفتن، وخاضوا المحن، ومتضمن هذا، الانكفاف عن الرواية عنهم، فهذا باطل من دين الأمة،

(١) ويعنون بهذه الطائفة التي بغت طائفة معاوية ﷺ ودليلهم في ذلك قوله ﷺ لعمار "تقتلك الفئة الباغية" أخرجه مسلم "بشرح النووي" كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه ٩ / ٢٦٦ رقم ٢٩١٦، من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - وكان عمار ﷺ يقاتل مع الإمام على ﷺ والوصف بالبغى هنا لا ينفي عنهم العدالة كما تشهد بذلك آية الحجرات في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

(٢) منهاج السنة ٢ / ٢٠٥ بتصرف وانظر: أصول الدين للبيهقي ص ٢٨٩ وما بعدها.

(٣) منهاج السنة ٣ / ١٨٦.

(٤) الإحكام للآمدي ٢ / ٨٢ بتصرف وانظر: فواتح الرحموت ٢ / ١٥٥، ١٥٦، والبحر المحيط ٤ / ٢٩٩، وإرشاد الفحول ١ / ٢٧٥، والباعث الخثيث ص ١٥٤، وعقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ مبحث (الحرب التي دارت بين علي بن أبي طالب، وبعض الصحابة - رضي الله عنهم - وموقف أهل السنة منها ٢ / ٧٠٠ - ٧٤٨، وانظر: الرد القويم على الهرم الأثيم للشيخ التويجري ص ١٨٢ - ١٨٤.

وإجماع العلماء على تحسين الظن بهم، وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر بالسبيل السابقة، وهذا من نفائس الكلام" (١) أ.هـ.

وأخيراً : دع عنك - أخى المسلم - ترهات المبتدعة الذين يجادلون فى عدالة الصحابة جميعاً - وينفون العدالة عن بعضهم - اتباعاً للهوى أو انقياداً للشيطان . وأشدّ سخفاً من ذلك، ما يتجرأ به البعض فى زماننا هذا حينما يتحدثون عن الصحابة بأسلوب غير لائق، وينصب نفسه حكماً فيما شجر بينهم من خلاف، ويقبل رواية هذا، ويرفض رواية ذلك، وهو لا يملك سبباً واحداً من أسباب ذلك كله" (٢).

واعلم أن أمثال هؤلاء لهم خبيثة سوء، ومتهمين فى دينهم، يدل على ذلك ما روى عن الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله أنه سئل عن رجل تنقص معاوية، وعمرو بن العاص أيقال له رافضى؟ فقال : إنه لم يجزئ عليهما إلا وله خبيثة سوء، ما انتقص أحداً واحداً من الصحابة إلا وله داخله سوء". وفى رواية أخرى قال : "إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام" (٣).

ويسئل الإمام النسائي عن معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنهما - فيقول : إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن أذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب - أى نقبه - إنما يريد دخول الدار، قال : فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة (٤).

وصدق عمر بن عبد العزيز "تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا تخضب بها السنتنا" (٥) أ.هـ.

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

(١) البرهان فى أصول الفقه ١ / ٢٤١، ٢٤٢ .

(٢) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشر النذير لفضيلة الدكتور مروان شاهين ص ٩٥ .

(٣) البداية والنهاية ٨ / ١٤٢ .

(٤) تهذيب الكمال للحافظ للزمى ١ / ٣٣٩ ترجمة الإمام النسائي .

(٥) انظر : فتح المغيث للسحوى ٣ / ٩٦ .

## المطلب الخامس

### سنة الصحابة ﷺ حجة شرعية

إذا كان أعداء الإسلام يشككون في عدالة الصحابة ﷺ فهم أيضاً يشككون في سنتهم، وسنة الخلفاء الراشدين .

يقول محمد شحرور : " فإذا سألتني سائل الآن ألا يسعك ما وسع الصحابة في فهم القرآن؟ فجوابي بكل جرأة ويقين هو : كلا لا يسعني ما وسعهم، لأن أرضيتي العلمية تختلف عن أرضيتهم، ومناهج البحث العلمي عندي تختلف عنهم، وأعيش في عصر مختلف تماماً عن عصرهم والتحديات التي أواجهها تختلف عن تحدياتهم" (١) .

والحق أن هذا كلام من يرى الشريعة الإسلامية قرآناً وسنة غير صالحة لكل زمان ومكان، فكلامه هو وغيره من أعداء السنة المطهرة في سنة الصحابة لا قيمة له .

لأن سنة الصحابة وهي ما جاء عنهم من قول أو فعل أو تقرير إذا كان مما لا يقال من قبل الرأي، ومما لا مجال للاجتهاد فيه، فله حكم المرفوع المسند تحسناً للظن بهم، وجزم بذلك الرازي في المحصول، وغير واحد من أئمة الأصول والحديث (٢) .

وإذا كانت سنتهم في غير ذلك، فقد اختلف العلماء في ذلك .

والراجح من هذا الخلاف (٣) أن سنتهم كسنة الرسول يعمل بها، ويرجع إليها، وانتصر لهذا الرأي غير واحد من أئمة الأصول، منهم الشاطبي - رحمه الله - فبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على عدالتهم قال : " فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أي عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به .

(١) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٥٦٧، وانظر : منع تلويح الحديث لعلى الشهرستاني ١٣٣، ١٤٢، ١٦٦، ٢٤٩، ٣٣٤-٣٤٠، ٥٠٣، وركبت السفينة لمروان خليفات ص ٢٨٠، ونظرية عدالة الصحابة لأحمد حسين يعقوب ٥٦-٥٨، والإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب محمد العكبري ص ١٤٠، ١٤١، والخلافة المغتصبة لأدريس الحسيني، وغيرهم ممن طعنوا في عدالة الصحابة .

(٢) انظر : المحصول ٢/ ٢٢١، والإحكام للأمدى ٢/ ٨٧، وأعلام الموقعين ٤/ ١٢٣، وفتح المغيث للسخاوي ١/ ١٤٤، وتدريب الراوي ١/ ١٩٠، ١٩١، وتوضيح الأفكار ١/ ٢٨٠ .

(٣) انظر : الأدلة المختلف فيها وأثرها في الفقه الإسلامي للدكتور عبد الحميد أبو المكارم ص ٣٠٣، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، باب ما جاء في قول الواحد من الصحابة ١/ ٤٣٧ .

ثم استدلل الشاطبي لما رجع بأدلة منها :

١- ما جاء فى الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم فى طلب الاتباع كسنة النبى ﷺ لقوله ﷺ : "فعلیکم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسکوا بها وعضوا علیها بالنواجذ" (١) .

٢- أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبى بكر وعمر حجة ودليلاً، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلاً، وبعضهم يعد قول الصحابي على الإطلاق حجة ودليلاً، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء - وإن ترجح عند العلماء خلافها - ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلى هو المعتمد فى المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجدد هذا المعنى فى علوم الخلاف الدائرة بين الأئمة المعترين، فتحدهم إذا عينوا مذاهبهم قوَّرها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا فى أنفسهم وفى مخالفيهم من تعظيمهم، وقوة ما أخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم فى الشريعة، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلاً عن النظر معهم فيما نظروا فيه .

ويؤيد هذا ما جاء عن السلف الصالح، من تركيتهم والحث على متابعتهم .

فغن ابن مسعود ﷺ قال : "من كان مستتاً فليستن" (٢) بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" (٣) .

وقال عمر بن عبد العزيز : "سن رسول الله ﷺ، وولاية الأمر بعده سنتاً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتدي، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيراً .

(١) سبق تخريجه ١/ ٤٤ .

(٢) ذهب الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة إلى أن هذا هو الأصح فى بداية الأمر، وأن ابن قيم الجوزية، وابن عبد البر، تأولاه (من كان متأسياً) انظر: لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ص ٣٨ .

(٣) أخرجه البغوى فى شرح السنة كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء ١/ ٢١٤، وأخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ٩٧، وذكره ابن قيم الجوزية فى أعلام الموقعين ٤/ ١٣٩ .

وفى رواية بعد قوله -وقوة على دين الله - ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر فى رأى خالفها، من احدى بها مهتد ... الحديث<sup>(١)</sup>، فقال مالك فأعجبني عزم عمر على ذلك<sup>(٢)</sup> والآثار فى هذا المعنى يكثر إيرادها، وقد استوعب كثيراً منها الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين<sup>(٣)</sup>.

ويقول الإمام الشاطبى فى موضع آخر من كتابه ميبناً أن بيان الصحابى حجة، قال: "وأما بيان الصحابة، فإن أجمعوا على ما بينوه، فلا إشكال فى صحته أيضاً، كما أجمعوا على الغسل من الثقاء الختائين المبين لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾<sup>(٤)</sup> وهذا الإجماع حجة موجبة للعلم، ولا يعتد بخلاف من خالفهم، كما حكاه السرخسى<sup>(٥)</sup>، عن أبى حازم القاضى<sup>(٦)</sup>.

وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بيانهم حجة أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل. ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم فى البيان، من وجهين :

أحدهما : معرفتهم باللسان العربى، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف فى فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.

ثانيهما : مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد فى فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف فى المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية<sup>(٧)</sup>.

ويقول فى كتابه الاعتصام : "الصحابة هم المتقلدون لكلام النبوة، المهتدون

(١) سبق تخريجه ١/ ٤٤ .

(٢) الموافقات ٤/ ٤٥٢ - ٤٥٥، وانظر : الاعتصام ٢/ ٥١٩ .

(٣) أعلام الموقعين ٤/ ١١٨ - ١٥٦، وانظر : الرسالة للشافعى ص ٥٩٦ فقرات رقم ١٦٨٢، ١٨٠٥ - ١٨١١ .

(٤) جزء من الآية ٦ من سورة المائدة.

(٥) أصول السرخسى ١/ ٣١٧، وانظر : علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى للشيخ أحمد إبراهيم ص ٢٤، ٢٥ .

(٦) أبو حازم هو : سلمة بن دينار المخزومى، عالم المدينة، وقاضيه، وشيخه، قال فيه ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث مات سنة ١٤٠هـ . له ترجمة فى : تقريب التهذيب ١/ ٣٧٦ رقم ٢٤٩٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٣٣ رقم ١١٩، وشنرات الذهب ١/ ٢٠٨، والعيبر ١/ ١٨٩، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٦٠ رقم ١١٧ .

(٧) الموافقات ٣/ ٣٠٠، ٣٠١ .

للشريعة، الذين فهموا أمر دين الله بالتلقى من نبيه مشافهة على علم، وبصيرة بمواطن التشريع، وقرائن الأحوال، بخلاف غيرهم : فإذا كل ما سنوه، فهو سنة، من غير نظير فيه، بخلاف غيرهم، فإن فيه لأهل الاجتهاد مجالاً للنظر رداً وقبولاً" (١).

سنة الصحابة مصدراً للأحكام الدستورية :

يقول المستشار الدكتور على جريشة بعد أن رد اعتراضات المنكرين لحجية مذهب الصحابي (٢)، قال : وسنة الصحابة يمكن أن تكون مصدراً للأحكام الدستورية : ولقد كان نظام الخلافة وليد اجتهاد الصحابة فضرورة البيعة - وهى مظهر رضا المسلمين - كانت عليها سنة الصحابة، فلم يل أحدهم دون بيعة، ولم يكن الاستخلاف بالنسبة لمن استخلفوا إلا ترشيحاً، واستمرار الخلافة مدى حياة الخليفة... كان سنة للصحابة، تحقق بها ميزات عجز عنها كل من النظام الجمهورى، والنظام الملكى على السواء، فقد وفرت الثبات الذى ينقص الأنظمة الجمهورية، ونفت التوارث الذى يعيب الأنظمة الملكية.

وهكذا يتبين أن سنة الخلفاء كانت مصدراً لكثير من الأحكام الدستورية على غير ما يذهب إليه بعض "المجتهدين" "المحدثين" (٣) أ.هـ.

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

(١) الاعتصام ٢ / ٥١٩ .

(٢) مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية ص ٤٢ - ٤٨ .

(٣) كالأستاذ الدكتور عبد الحميد متولى فى كتابه مبادئ نظام الحكم فى الإسلام ص ٢٦٣، وفى كتابه ترديد لكثير مما قاله على عبد الرازق فى كتابه (الإسلام وأصول الحكم)، انظر : مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية ص ٤٩ .

## المطلب السادس

### أبو هريرة رضي الله عنه راوية الإسلام رغم أنف الحاقدين

لهج أعداء الإسلام ، قديماً وحديثاً، وشغفوا بالطعن في أبي هريرة وتشكيك الناس في إسلامه، وفي صدقه وروايته، وما إلى ذلك أرادوا! وإنما أرادوا أن يصلوا إلى التشكيك في راوية السنة الأولى، وأحفظ من رواها في دهره، فأبو هريرة رضي الله عنه على رأس السبعة المكثرين من الرواية الذين عناهم من أنشد :

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا \*\*\* من الحديث عن المختار خير مضر  
أبو هريرة، سعد، جابر، أنس \*\*\* صديقة، وابن عباس، كذا ابن عمر  
فأبو هريرة هو أكثرهم حديثاً فقد روى (٥٣٧٤) حديثاً، ثم عبد الله بن عمر  
روى (٢٦٣٠) حديثاً، ثم أنس بن مالك روى (٢٢٨٦) حديثاً، ثم عائشة أم المؤمنين  
روت (٢٢١٠) حديثاً، ثم ابن عباس روى (١٦٦٠) حديثاً، ثم جابر بن عبد الله  
روى (١٥٤٠) حديثاً، ثم أبو سعيد الخدري (سعد بن مالك) روى (١١٧٠) حديثاً<sup>(١)</sup>.

وما اتهم به أبو هريرة رضي الله عنه، من أكاذيب وافتراءات من قبل أرباب الأهواء قديماً وحديثاً، سندهم فيه إما روايات مكدوبة أو ضعيفة، وإما روايات صحيحة لم يفهموها على وجهها، بل تأولوها تأويلاً باطلاً يتفق وأهواءهم.

وقد تصدى للرد على تلك الطعون رهط من علماء الإسلام. على رأسهم أبي هريرة نفسه، وصدق على دفاعه - على ما سيأتى - كبار الصحابة، والتابعين، فمن بعدهم من أئمة المسلمين، منهم الحاكم في المستدرک، وابن عساكر في تاريخه، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث، وعبد المنعم صالح العلي في كتابه دفاع عن أبي هريرة، والدكتور محمد السماحي في كتابه "أبو هريرة في الميزان"، والمنهج الحديث في علوم الحديث، والدكتور السباعي في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع، والدكتور عجاج الخطيب في كتابه السنة قبل التدوين، وأبو هريرة راوية الإسلام، والشيخ عبد الرحمن المعلمي في كتابه (الأنوار الكاشفة)،

(١) انظر: تدريب الراوي ٢/ ٢١٦-٢١٨، وفتح المغيب للسخاوي ٣/ ٩٧، وشذرات الذهب ١/ ٦٣.

والدكتور أبو زهو في الحديث والمحدثون، والدكتور أبو شهبة في دفاع عن السنة، والدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف في كتابه "المختصر في علم رجال الأثر" وفي مقدمة كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي وغيرهم.

ونكتفي هنا بترجمة للصحابي الجليل نتعرف بها على مكانته في الإسلام، وبرأته مما نسب إليه من أكاذيب. وذلك بعد أن نتعرف على أصناف الطاعنين فيه، والذين ذكرهم الإمام ابن خزيمة<sup>(١)</sup> بقوله: "إنما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار".

١- إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم الذي هو كفر، فيشتمون أبا هريرة، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه، ثمويهاً على الرعاء، والسفل أن أخباره لا تثبت بها الحجة.

٢- وإما خارجي يرى السيف على أمة محمد ﷺ، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام، إذا سمع أخبار أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ خلاف مذهبهم الذي هو ضلال لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان، كان مفزعة الواقعة في أبي هريرة.

٣- أو قدرى اعتزل الإسلام وأهله، وكفر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى، وقضاها قبل كسب العباد لها، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي ﷺ في إثبات القدر لم يجد حجة يؤيد صحة مقالته التي هي كفر وشرك، كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبي هريرة، لا يجوز الاحتجاج بها.

٤- أو جاهل يتعاطى الفقه، ويطلبه من غير مظانة، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتنب مذهب، وأخباره تقليداً بلا حجة ولا برهان، تكلم في أبي هريرة، ودفع أخباره التي تخالف مذهب، ويحتج بأخباره على مخالفته إذا كانت أخباره موافقة لمذهب، وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخباراً لم يفهموا معناها<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن خزيمة هو: الحافظ الكبير، أبو بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري، انتهت إليه الإمامة، والحفظ في عصره بخراسان، قال فيه ابن حبان: ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح وزيادتها حتى كأن السنن نصب عينيه إلا ابن خزيمة قط. ومصنفاته: تزيد على مائة وأربعين كتاباً، منها صحيحة في السنن، مات سنة ٣١١هـ. له ترجمة في: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠ رقم ٧٣٤، والبداية والنهاية ١١/ ١٤٩، والوافي بالوفيات للصفدي ٢/ ١٩٦، وشذرات الذهب ٢/ ٢٦٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٠٩.

(٢) مستدرک الحاكم ٣/ ٥٨٧.

قلت : والله إن من يتكلم فى أبى هريرة فى عصرنا لا يخرج فى عقيدته، ومذهبه عما ذكرهم الإمام ابن خزيمة - رحمه الله تعالى - .

## أبو هريرة رضي الله عنه

إسلامه وصحته :

قدم أبو هريرة مهاجراً من اليمن إلى المدينة ليالى فتح خيبر فى المحرم سنة سبع من الهجرة، وكان قد أسلم على يد الطفيل بن عمرو<sup>(١)</sup> فى اليمن، وشهد هذه الغزوة مع رسول الله ﷺ، ولأزمه إلى آخر حياته بخدمة، ويتلقى العلم عنه ﷺ، ويتحدث هو عن ذلك لما سأله مروان بن الحكم قائلاً له : " إن الناس قد قالوا إنك أكثرت على رسول الله ﷺ الحديث، وإنما قدمت قبل وفاة النبي ﷺ بيسير، فقال أبو هريرة : نعم! قدمت ورسول الله ﷺ بخير سنة سبع، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات، وأقيمت معه حتى توفى، أدور معه فى بيوت نسائه وأخدمه، وأنا والله يومئذ مقل (أى فقير)، وأصلى خلفه، وأحج، وأغزو معه، فكنت والله أعلم الناس بحديثه، قد والله سبقنى قوم بصحبته والحجرة إليه من قریش والأنصار، وكانوا يعرفون لزومى له فيسألونى عن حديثه، منهم عمر، وعثمان، وعلى، وطلحة والزبير، فلا والله ما يخفى على كل حديث كان بالمدينة.

قال: فوالله ما زال مروان يقصر عن أبى هريرة، ويتقيه بعد ذلك، ويخافه، ويخاف جوابه<sup>(٢)</sup> .

وفيما سبق رد على دعوى الرافضة ومن قال بقولهم : "إن أبا هريرة لم يصاحب النبي ﷺ إلا سنة وتسعة أشهر<sup>(٣)</sup>، فالمعروف أن أبا هريرة أسلم عام خيبر، وخير كانت فى جمادى الأولى سنة سبع<sup>(٤)</sup> . وبين خيبر ووفاة النبي ﷺ أربع سنوات، إلا

(١) الطفيل بن عمرو : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة ٢/ ٢٢٥ رقم ٤٢٥٤، وتاريخ الصحابة ص ١٤٥ رقم ٧٠٥، والاستيعاب ٢/ ٧٥٧ رقم ١٢٧٤، واسد الغابة ٣/ ٧٧ رقم ٢٦١٣ .

(٢) البداية والنهاية ٨/ ١١١، ١١٢، وانظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٧٧١ رقم ٣٢٠٨ .

(٣) انظر : شبهات حول الشيعة لعباس الموسوى ص ١٤١، وشيخ المفصلة ص ١٣٥، وأضواء على السنة ص ٢٠٠ كلاهما لمحمود أبو ربه، والسلطة فى الإسلام لعبد الجواد ياسين ص ٢٤١، والشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجانى السملوى ص ٢٢٠ .

(٤) انظر : طبقات ابن سعد ٢/ ٨١ .

شهرين تقريباً فإن الوفاة كانت في ربيع الأول سنة ١١هـ<sup>(١)</sup> .  
خلقه وتقواه :

كان ﷺ صادقاً للهجة، خفيف الروح محبباً إلى الصحابة، وكان ﷺ تقياً ورعاً كثير التعبّد، شديد الخشية لله تعالى، وكان يقول: "وأيم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بشئ أبداً، ثم يتلو قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾" <sup>(٢)</sup> .

وكان صواماً قواماً يتناوب قيام الليل، هو وزوجته، وخادمه، فيما رواه عنه أبو عثمان النهدي<sup>(٣)</sup> ﷺ قال : "تضيفت أبا هريرة سبعة، فكان هو وامرأته، وخادمه يتعقبون الليل أثلاثاً : يصلى هذا، ثم يوقظ الآخر فيصلّى، ثم يوقظ الثالث"<sup>(٤)</sup> .  
وقد أرسله النبي ﷺ مع العلاء بن الحضرمي<sup>(٥)</sup> إلى البحرين لينشر الإسلام، ويفقه المسلمين في الدين<sup>(٦)</sup> .

كما استعمله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على البحرين فترة ثم عزله، وبعد ذلك دعاه عمر ليؤليه فلم يقبل أبو هريرة وقال : "أخشى أن أقول بغير علم، وأقضى بغير حلم، وأن يضرب ظهري وينزع مالي، ويشتم عرضي"<sup>(٧)</sup> .  
يقول الإمام الجويني : "وهذا مما يتمسك به في أبي هريرة ﷺ فعمر مع تنزهه عن المداراة والمداجاة والمداهنة، اعتمده وولاه في زمانه أعمالاً جسيمة، وخطوباً عظيمة، وكان يتولى زماناً على الكوفة وكان يبلغه روايته عن رسول الله ﷺ، فلو لم يكن من أهل الرواية، لما كان يقرره عمر ﷺ مع العلم بإكثاره"<sup>(٨)</sup> .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٨٩ - ٥٩٠ .

(٢) الآية ١٥٩ من سورة البقرة .

(٣) أبو عثمان النهدي هو : عبد الرحمن بن مل، مخضرم، ثقة ثبت عابد، مات سنة ٩٥هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٩٢٢ رقم ٤٠٣١، وتذكرة الحفاظ ١ / ٦٥ رقم ٥٦، وشذرات الذهب ١ / ١١٨، وطبقات ابن سعد ٧ / ٦١ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ٨ / ١١٣، وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٦ .

(٥) العلاء بن الحضرمي : صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب ٣ / ١٠٨٥ رقم ١٨٤١، واسد الغابة ٤ / ٧١ رقم ٣٧٤٥، وتاريخ الصحابة ص ١٨٤ رقم ٩٥٤، ومشاهير علماء الأمصار ص ٧٥ رقم ٤٠٠، والإصابة ٢ / ٤٩٧ رقم ٥٦٤٢ .

(٦) البداية والنهاية ٨ / ١١٦، وانظر : زاد المعاد ٣ / ٦٩٢، ٦٩٣ .

(٧) البداية والنهاية ٨ / ١١٤، ١١٥ .

(٨) البرهان في أصول الفقه ١ / ٢٤٠ .

ولم يشترك أبو هريرة في الفتن التي حدثت بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بل اعتزلها. ولم يفارق الحجاز منذ استعمله عمر على البحرين ثم عزله. ولم يزل يسكن المدينة، وبها كانت وفاته.

وفى هذا رد على الرافضة الزنادقة ومن قال بقولهم. من اشتراك أبي هريرة في الفتنة بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- "فكان يأكل مع معاوية فإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي رضي الله عنه، فإذا قيل له في ذلك قال: مضيرة<sup>(١)</sup> معاوية أדם، والصلاة خلف علي أفضل"<sup>(٢)</sup>.

فهذه القصة التي بنى عليها الرافضي محمود أبو رية تسمية كتابه "شيخ المضيرة أبو هريرة" هذه القصة لا يصدقها عاقل، والأحداث التاريخية تكذبها.

يقول الدكتور محمد أبو شهبة: "كيف يصح هذا في العقول، وعلى كان بالعراق، ومعاوية كان بالشام، وأبو هريرة كان بالحجاز، إذ الثابت أنه بعد أن تولى إمارة البحرين في عهد عمر رضي الله عنه لم يفارق الحجاز"<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام ابن عبد البر: استعمله عمر على البحرين ثم عزله، ثم أراد على العمل، فأبى عليه، ولم يزل يسكن المدينة وبها كانت وفاته<sup>(٤)</sup>.

وبهذا يتبين لنا كذب ادعاءاتهم، ويظهر لنا مدى حقدهم، اللهم إلا إذا كانت الشيعة ترى أن أبا هريرة أعطى بساط سليمان أو كانت الأرض تطوى له طياً!!<sup>(٥)</sup>. وعودة إلى خلقه وتقواه رضي الله عنه: فقد اشتهر رضي الله عنه بالتواضع، والمرح، فكان يداعب الأطفال، ويمزح الناس ويلطفهم، ومن ذلك أنه كان يمر في السوق، يحمل الحزمة من الخطب على ظهره - وهو يومئذ أمير مروان على المدينة فيقول: أوسعوا الطريق للأمرير<sup>(٦)</sup>.

(١) شيخ المضيرة لمحمود أبو رية ص ٦١ وانظر له أيضاً: أضواء على السنة ص ١٩٧-١٩٩، وشبهات حول الشيعة لعباس الموسوي ص ١٤٤.

(٢) المضيرة: مريقة تطبخ بلبن وأشياء، وهي عند العرب أن تطبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذي قد حذى اللسان حتى ينضج اللحم. لسان العرب ٥/ ١٧٨.

(٣) دفاع عن السنة ص ٩٩.

(٤) الاستيعاب ٤/ ١٧٧١.

(٥) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص ٩٩، وانظر: الشيعة والصحابة للدكتور عمر الفرملاوي ص ٩٧، ٩٨.

(٦) انظر: ما قاله الدكتور السباعي دفاعاً ضد من طعن في مزاح أبي هريرة رضي الله عنه في السنة ومكانتها في التشريع ص ٣٢٧-٣٤١، وانظر: دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبة ص ١٠٦-١٠٨.

فمعاوية رضي الله عنه استعمله في عهده على المدينة ثم عزله وولى عليها مروان، ثم استخلفه مروان عليها حين توجه إلى الحج<sup>(١)</sup>.

### قوة ذاكرته ورواياته :

لقد لازم أبو هريرة رسول الله منذ قدم عليه مهاجراً، ينهل من علمه، ويتلقى عنه أحاديثه ويحفظها، واجتهد في ذلك حتى صار أحفظ أصحابه، وأكثرهم رواية للحديث، فقد روى (٥٣٧٤) خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً نبوياً - كما في مسند بقي ابن مخلد - اتفق الشيخان البخاري ومسلم على (٣٢٥) ثلاثمائة وخمسة وعشرين حديثاً منها، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين، ومسلم بمائة وتسعة وثمانين<sup>(٢)</sup>، وقيل غير ذلك.

وهذه الروايات التي زادت على خمسة آلاف هي بالمكرر.

وذكر الدكتور الأعظمي في كتابه : أبو هريرة في ضوء مروياته<sup>(٣)</sup> أن أحاديثه في المسند والكتب والسنة هي ١٣٣٦ حديثاً فقط، وذلك بعد حذف الأسانيد المكررة. وهذا القدر يستطيع طالب عادي أن يحفظه في أقل من عام، فما بالك بمن كان حفظه من معجزات النبوة<sup>(٤)</sup>.

ويقول الدكتور أبو شهبه : "وأحب ألا يعزب عن بالنا أن هذه الخمسة آلاف والثلاثمائة والأربعة والسبعون حديثاً، الكثير منها لا يبلغ السطرين أو الثلاثة، ولو جمعها كلها لما زادت عن جزء فأى غرابة في كثرة مروياته مع حداثة صحبته، مع أن السنين الأربع ليست بالزمن القصير في عمر الصحبة<sup>(٥)</sup>، ولا سيما ما توافر له دون غيره من الصحابة من أمور كانت سبباً في تفوقه في الرواية وكثرة مروياته منها :

### أسباب كثرة مروياته :

أولاً : شدة ملازمته للنبي ﷺ منذ قدم مهاجراً إليه سنة سبع من الهجرة يدور معه في بيوت نسائه يخدمه، ويصلي خلفه، ويحج، ويغزو معه كما حدث عن نفسه، ومما

(١) البداية والنهاية ٨/ ١١٦، ١١٧ .

(٢) تدريب الراوي ٢/ ٢١٦، ٢١٧، وانظر : سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٣٢ .

(٣) أبو هريرة في ضوء مروياته ص ٧٦، نقلاً عن (مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع) للدكتور علي السالوس ٣/ ٧٧ .

(٤) مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع ٣/ ٧٧ .

(٥) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبه ص ١٠٣، ١٠٤ .

أعانه على التفرغ لذلك أنه كان فقيراً، ولم تكن له زوجة، ولا أولاد حينئذ - ونحو ذلك مما يشغل، مع شدة حرصه على تلقي الحديث عن النبي ﷺ، وشهد له النبي ﷺ بهذا الحرص ومن الآثار الدالة على ذلك : ما جاء في الصحيح عنه ﷺ قال : يقولون : إن أبا هريرة قد أكثر والله الموعد . ويقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك : إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيتهم . وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق . وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملئ بطني فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله ﷺ يوماً : "أيكم يسيط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لن ينس شيئاً سمعه، فبسطت بردة على حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به . ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (١).

ثانياً : دعاء رسول الله ﷺ له بالحفظ وعدم النسيان، ومما يدل على ذلك الرواية السابقة، وما رواه الحاكم في المستدرک عن زيد بن ثابت، أن رجلاً جاء إليه فسأله عن شيء فقال له زيد : عليك بأبي هريرة، فإنه بينما أنا وأبو هريرة في المسجد وفلان في المسجد ذات يوم ندعوا الله تعالى، ونذكر ربنا خرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا قال : فجلس وسكتنا . فقال : عودوا للذي كنتم فيه، قال زيد : فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل رسول الله ﷺ يؤمن على دعائنا قال : ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم إني أسألك مثل الذي سألك صاحباي هذان وأسألك علماً لا ينسى، فقال رسول الله ﷺ : آمين "فقلنا يا رسول الله ونحن نسأل الله علماً لا ينسى فقال : "سبقكما بها الدوسي" (٢).

(١) الآيتان ١٥٩، ١٦٠ من سورة البقرة، والحديث أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب العلم، باب حفظ العلم ١ / ٢٥٨ رقم ١١٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من أبي هريرة ٨ / ٢٩٠، ٢٩٢ رقم ٢٤٩٢ واللفظ له .

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى كتاب العلم، باب مسألة علم لا ينسى ٣ / ٤٤٠ رقم ٥٨٧٠، والحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة الدوسي ﷺ ٢ / ٥٨٢ رقم ٦١٥٨ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي في التلخيص بقوله فيه حماد بن شعيب ضعيف، وكذا قال في سير أعلام النبلاء ٢ / ٦٠٠، وفي موضع آخر من السير ٢ / ٦١٦ ذكر الخبر بإسناد آخر فيه الفضل بن العلاء بدلاً من حماد، ثم قال : تفرد به الفضل بن العلاء وهو ضيق، وقال : ابن حجر في الإصابة ٤ / ٢٠٨ سند النسائي جيد . وانظر : تهذيب التهذيب ١٢ / ٢٦٦ .

ثالثاً : إن أبا هريرة تميز بقوة ذاكرته وحفظه وحسن ضبطه، خاصة بعد أن دعا له الرسول بالحفظ وعدم النسيان - كما سبق - فكان حافظاً متقناً ضابطاً لما يرويه .  
ويدل على ذلك قصة امتحان مروان له فيما رواه الحاكم عن أبي الزُّعَيْرَةِ (١)  
كاتب مروان بن الحكم، أن مروان بن الحكم دعا أبا هريرة فأقعدني خلف السرير،  
وجعل يسأله وجعلت أكتب حتى إذا كان عند رأس الحول، دعا به فأقعدته وراء  
الحجاب فجعل يسأله عن ذلك، فما زاد ولا نقص، ولا قدم ولا آخر" (٢) وقد نقل  
هذه القصة الذهبي في سير أعلام النبلاء ، ثم عقب بقوله : "قلت هكذا فليكن  
الحفظ" (٣) .

وهذه القصة نقلها أيضاً ابن حجر في الإصابة (٤)، وابن كثير في البداية (٥)، وهي  
تدل على قوة حفظه وإتقانه، كما شهد له بذلك الصحابة، والتابعون فمن بعدهم من  
أئمة المسلمين إلى يومنا هذا على ما سيأتي بعد قليل .  
وكان ﷺ يراجع ما يسمعه من النبي ﷺ تأكيداً لحفظه، فقد روى عنه أنه قال :  
جزأت الليل ثلاثة أجزاء: ثلثاً أصلى ، وثلثاً أنام ، وثلثاً أذكر فيه حديث رسول الله  
ﷺ (٦) .

رابعاً : أدرك أبو هريرة كبار الصحابة، وروى عنهم كثيراً من الأحاديث فتكامل  
علمه بها واتسع أفقه فيها .

خامساً : امتداد عمره ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ، حيث عاش بعده نحو سبعة  
وأربعين عاماً، واحتياج الناس إليه فكان يحدثهم ويبث بينهم ما يحفظه من أحاديث،  
وأعانه على ذلك : ابتعاده عن الفتن وغيرها من المشاغل ووجوده في المدينة، والناس

(١) ابن الزعيرة : ذكره بالدولابي في الكنى فقال : "أبو زعيرة كاتب مروان" ص ١٨٣، ثم ذكره باسم أبي  
الزعيرة، وذكر له نبأ عن مروان الكنى انظر ص ١٨٤، روى عن مكحول، وعمرو بن عبيد الأنصاري، والنضر  
بن محرز . قال أبو حاتم : مجهول، وقال الذهبي : أبو الزعيرة عن مكحول لا يكاد يعرف . عده في الشاميين  
انظر : الجرح والتعديل ٩ / ٣٧٥ رقم ١٧٣٤، وميزان الاعتدال ٤ / ٥٢٥ رقم ١٠٢٠٠، ولسان الميزان ٧ / ٦٥٥  
رقم ٩٩٨٥ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة ٣ / ٥٨٣ رقم ٦١٦٤، وقال .  
صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٩٨ .

(٤) الإصابة ٤ / ٢٠٥ .

(٥) البداية والنهاية ٨ / ١٠٦ .

(٦) المصدر السابق ٨ / ١١٣ .

يفدون إليها، وكانت له حلقة في مسجد الرسول يحدث الناس فيها بالأحاديث النبوية، فساعد ذلك على انتشار مروياته وتداولها، وكثرة أتباعه وتلاميذه، حتى بلغوا نحو ثمانمائة من الصحابة والتابعين كلهم يحلون به ويتقون به ويتنون عليه على ما سيأتي بعد قليل .

قال الإمام البخارى - رحمه الله - : "روى عنه نحواً من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم، من الصحابة والتابعين وغيره"<sup>(١)</sup>. ومن أشهر من روى عنه من الصحابة : زيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وعائشة، وأبو أيوب الأنصارى . ومن أشهر من روى عنه من التابعين : مروان بن الحكم، والحسن البصرى، وسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وعروة ابن الزبير، وهمام بن منه - وقد كتب عنه الصحيفة المشهورة<sup>(٢)</sup> . وغيرهم كثير .

## شهادة الرسول والصحابة ومن بعدهم من أهل العلم بقوة

### حفظه وإتقانه وكثرة سماعه وحرصه على الحديث

١- روى عنه ﷺ أنه قال ذات يوم : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه"<sup>(٣)</sup>.

٢- وعن ابن عمر -رضى الله عنهما- أنه مر بأبي هريرة -رضي الله عنه، وهو يحدث عن النبي ﷺ: من تبع جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان أعظم من أحد . فقال ابن عمر : يا أبا هريرة انظر ما تحدث عن رسول الله ﷺ، فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق إلى عائشة -رضى الله عنها- فقال لها : يا أم المؤمنين أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول : "من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط، وإن شهد دفنها فله

(١) انظر : تهذيب التهذيب ١٢/٢٦٥، والبداء والنهاية ٨/١٠٧، وتذكرة الحفاظ ١/٣٣ .

(٢) الإصابة ٧/٢٠١، ٢٠٢، وتهذيب التهذيب ١٢/٢٦٣ - ٢٦٥، وتذكرة الحفاظ ١/٣٢، ٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢/٤١٨ - ٤٣٦، وانظر : من كتب عنه في دراسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي / ٩٧ - ٩٩ .

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب العلم، باب الحرص على الحديث ١/٢٣٣ رقم ٩٩ .

قيراطان؟ فقلت : اللهم نعم، فقال أبو هريرة : إنه لم يكن يشغلنا عن رسول الله ﷺ عرس ولا صنفق بالأسواق، إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمة يعلمنيها أو أكلة يطعمنيها .

فقال ابن عمر : يا أبا هريرة كنت ألزمتا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه (١) .  
وكان ابن عمر يترحم عليه في جنازته ويقول : "كان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله ﷺ" (٢) .

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : قال رجل لابن عمر : إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ فقال ابن عمر : أعيذك بالله أن تكون في شك مما يجيء به، ولكنه اجترأ وجبنا (٣) ومعنى "اجترأ" هنا أى على سؤال النبي ﷺ والتعلم منه، في حين كانوا يهابون سؤال النبي ﷺ .

يدل على ذلك ما رواه الحاكم عن أبي بن كعب ﷺ قال : كان أبو هريرة جريئاً على النبي ﷺ يسأله عن أشياء لا نسأله عنها (٤) .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : "نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيب الرجل من أهل البادية العاقل . فيسأله ونحن نسمع ... الحديث" (٥) .

٣- وعن مالك بن أبي عامر قال : كنت عند طلحة بن عبيد الله فدخل عليه رجل فقال : يا أبا محمد والله ما ندرى هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم، تقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل - يعنى أبا هريرة - فقال طلحة : والله ما يشك أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، إنا كنا قوماً أغنياء لنا بيوت وأهلون كنا نأتى نبي الله ﷺ طرفى النهارى ثم نرجع، وكان أبو هريرة ﷺ مسكيناً لا مال له، ولا أهل ولا ولد وإنما كانت يده مع يد النبي ﷺ وكان يدور معه حيثما دار، ولا نشك أنه قد علم ما لم نعلم، وسمع ما لم نسمع، ولم يتهمه أحد منا، أنه تقول على

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک کتاب معرفة الصحابة، باب ذکر أبی هريرة ٣ / ٥٨٤ رقم ٦٦٦٧ وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) طبقات ابن سعد ٤ / ٣٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٦٠٤، والبداية والنهاية ٨ / ١١١، وفتح الباری ١ / ٢٥٨ رقم ١١٨ .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرک کتاب معرفة الصحابة، باب ذکر أبی هريرة اللوسى ٣ / ٨٣ رقم ٦٦٦٥، وسكت عنه الحاكم والذهبي .

(٤) أخرجه الحاكم فى الأماكن السابقة ٣ / ٥٨٤ رقم ٦٦٦٦، وسكت عنه الحاكم، والذهبي .

(٥) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام ١ / ٢٠١ رقم ١٢

رسول الله ﷺ ما لم يقل" (١).

وهذا الخبر ذكره ابن حجر في الإصابة وزاد في قوله طلحة : "قد سمعنا كما سمع، ولكنه حفظ ونسينا" (٢).

٤- وقال ابن خزيمة : وقد روى عن أبي هريرة أبو أيوب الأنصاري مع جلالة قدره، ونزول رسول الله ﷺ عنده، ولما يقبل له : تحدث عن أبي هريرة وأنت صاحب منزلة عند رسول الله ﷺ؟ فقال : إن أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع، وإني إن أحدث عنه أحب إلي من أن أحدث عن رسول الله ﷺ يعني ما لم أسمع منه (٣).

٥- وعن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (٤) أنه قعد في مجلس فيه أبو هريرة، وفيه مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن النبي ﷺ بالحديث، فلا يعرفه بعضهم، ثم يتراجعون فيه، فيعرفه بعضهم ثم يحدثهم بالحديث، فلا يعرفه بعضهم، ثم يعرفه، حتى فعل ذلك مراراً. قال : فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله ﷺ (٥).

٦- ولم يكن أبو هريرة ﷺ من أهل الحفظ فقط وإنما كان من أهل الفقه وشهد له بذلك الصحابي الجليل ابن عباس ﷺ.

يقول الحافظ السخاوي: "ولا عبرة برد بعض الحنفية روايات سيدنا أبي هريرة ﷺ، وتعليههم بأنه ليس فقيهاً، فقد عملوا برأيه في الغسل ثلاثاً من ولوغ الكلب وغيره، وولاه عمر ﷺ الولايات الجسيمة.

وقال ابن عباس له كما في مسند الشافعي (٦)، وقد سئل عن مسألة "أفته يا أبا هريرة

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة ٣ / ٥٨٥ رقم ٦١٧٢، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي على شرط مسلم.

(٢) الإصابة ٤ / ٢٠٩.

(٣) انظر : المستدرک للحاكم كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة ٣ / ٥٨٦ رقم ٦١٧٥، وانظر : البداية والنهاية ٨ / ١٠٩.

(٤) هو : محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، أبو مالك المدني، له رؤية وليس له سماع إلا من الصحابة قتل يوم الحرة سنة ٦٣ هـ. له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢ / ١١٨ رقم ٦٢٠٢، والكاشف ٢ / ٢٠٦ رقم ٥٠٨١، وطبقات ابن سعد ٥ / ٧١.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة ٣ / ٥٨٥ رقم ٦١٧١، وسكت عنه هو والذهبي. وانظر : سير أعلام النبلاء ٢ / ٦١٧، وفتح الباري ١ / ٢٥٩ رقم ١١٨.

(٦) انظر : مسند الشافعي ص ٤٥٠ رقم ١٢٩٢، وأخرجه أيضاً الإمام مالك في الموطأ كتاب الطلاق، باب طلاق البكر ٢ / ٤٤٧ رقم ٣٩، والبيهقي في السنن كتاب الخلع والطلاق، باب ما جاء في إمضاء الطلاق الثلاث وإن كن مجموعات ٧ / ٣٣٥.

فقد جاءتك معضلة، فأفتى، ووافقه على فتياه" (١).

٧- وعن أبي صالح السمان (٢) قال : "كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يكن بأفضلهم" (٣).

وفى هذا رد على من يحاول الربط بين المنزلة في الدين وكثرة الرواية، فالربط بينهما ليس من التحقيق العلمي في شيء (٤).

وقال الإمام الشافعي : "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره" (٥).

وقال الإمام الذهبي : "أبو هريرة إليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول ﷺ، وأدائه بحروفه" (٦).

وقال أيضاً : "وكان من أوعية العلم، ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة، والعبادة، والتواضع" (٧).

١٠- وقال شمس الأئمة السرخسي : "إن أبا هريرة ممن لا يشك أحد في عدالته، وطول صحبته مع رسول الله ﷺ.

إن كل هذه النقول وغيرها كثير تبين لنا مدى افتراء الرافضة، والمستشرقين، وضعفاء الإيمان الذين اتهموا أبا هريرة بالكذب، والخيانة، في رواية الحديث، بسبب كثرة أحاديثه مع قلة صحبته.

واعتقد أنه ليس هناك ما يدعو إلى اتهام أبي هريرة بتلك الافتراءات، وقد تهيأت له الأسباب السابقة التي أعانته على هذا التفسوق في الرواية، وشهد له بذلك رسول الله ﷺ وكبار الصحابة ﷺ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين السابق ذكرهم (٨).

وأى غرابة في حفظ أبي هريرة أحاديث لم تبلغ خمسة آلاف وخمسمائة ومعلوم أن العرب قد اشتهروا وامتازوا بقوة حفظهم، ووجد في الصحابة والتابعين ومن بعدهم من كان آية عجباً في قوة الذاكرة، وسرعة الحفظ؛ كابن عباس، وأبي هريرة، وقتادة،

(١) فتح المغيث للسخاوي ٣/ ٩٦ .

(٢) أبو صالح السمان هو : ذكوان أبو صالح السمان الزيات، المدني، روى عن سعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وغيرهم، وعنه منصور، والأعمش، وسهيل ابنه، متفق على توثيقه، مات سنة ١٠١هـ. له ترجمة في: تقريب التهذيب ٢٨٧/ ١ رقم ١٨٤٦، والكاشف ١/ ٣٨٦ رقم ١٤٨٩، والثقات للعجلي ١٥٠ رقم ٤٠٤ .

(٣) البداية والنهاية ٨/ ١٠٩، ١١٠ .

(٤) دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبه ص ١٠٥ .

(٥) الرسالة للشافعي ص ٢٨١ رقم ٧٧٢، والبدية والنهاية ٨/ ١١٠ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٢/ ٦١٩ .

(٧) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣ .

(٨) أصول السرخسي ١/ ٣٤٠ .

وأحمد بن حنبل، والبخارى، وأبو زرعة، وأشباههم، كان كل واحد منهم يحفظ عشرات الألوف من الأحاديث بأسانيدھا" (١).

يقول الدكتور السباعي دفاعاً عن أبي هريرة : "إن صحابياً يظل يحدث الناس سبعا وأربعين سنة بعد وفاة الرسول ﷺ على مسمع من كبار الصحابة، وأقرب الناس إليه من زوجته وأصحابه، ثم لا يلقى إلا تجلة وإعظاماً، يرجع إليه في معرفة الأحاديث، ويهرع إليه التابعون من كل جانب ... ويبلغ الآخذون عنه ثمانمائة من أهل العلم ... وكلهم يجمعون على جلالة وثقة به ... وتقر هذه القرون وكلها شهادات صدق في أحاديثه وأخباره ... ويأتي اليوم من يزعم أن المسلمين جميعاً ... لم يعرفوه على حقيقته، وأنه في الواقع كان يكذب ويفترى، إن موقفاً كهذا يقفه بعض الناس من مثل هذا الصحابي العظيم، لجدير بأن يجلب لأهله والقائلين به الاستخفاف، والازدراء بعلومهم، وعقولهم جميعاً" (٢).

إن حب هذا الصحابي الجليل لعلامة على الإيمان وبغضه لعلامة على النفاق وهذا تصديقاً لدعوة النبي ﷺ لما سأله أبو هريرة بأن يدعو الله له بأن يحبه هو وأمه إلى عبادة المؤمنين. ويحبهم إليهما، فقال رسول الله ﷺ : "اللهم حب عبيدك هذا - يعني أبا هريرة- وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحب إليهم المؤمنين" يقول أبو هريرة فما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا أحبني" (٣).

يقول الحافظ ابن كثير: "وهذا الحديث من دلائل النبوة، فإن أبا هريرة محبب إلى جميع الناس، وقد شهر الله ذكره بما قدره أن يكون من روايته من إيراد هذا الخير عنه على رؤوس الناس في الجوامع المتعددة في سائر الأقاليم في الإنصات يوم الجمعة بين يدي الخطبة، والإمام على المنبر، وهذا من تقدير الله العزيز العليم، ومحبة الناس له ﷺ (٤) أ.هـ.

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور على أحمد السالوس : [هذا أبو هريرة وعاء العلم، فكيف نجد في عصرنا من ينسب نفسه للإسلام ويعرض عن قول رسول الله ﷺ، والصحابة والتابعين، والأئمة الأعلام الهداة المهديين، ويأخذ بقول الضالين المضلين؟! (٥).

(١) السنة ومناهج الحديثين للدكتور رجب صقر ص ٦٦ بتصرف.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع ص ٣١٩ بتصرف يسير.

(٣) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ ٨ / ٢٩٠ رقم ٢٤٩١.

(٤) البداية والنهاية ٨ / ١٠٨ .

(٥) قصة المحرم على السنة للدكتور على السالوس ص ٨٨ .

هذا المسلك يفسره العلامة المرحوم الشيخ أحمد شاكر فيقول : "وقد لحج أعداء السنة، أعداء الإسلام، في عصرنا، وشغفوا بالطعن في أبي هريرة، وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته. وما إلى ذلك أرادوا، وإنما أرادوا أن يصلوا -زعموا- إلى تشكيك الناس في الإسلام، تبعاً لسادتهم المبشرين، وإن تظاهروا بالقصد إلى الاختصار على الأخذ بالقرآن، أو الأخذ بما صح من الحديث في رأيهم، وما صح من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم، وما يتبعون من شعائر أوروبا وشرائعها. ولن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن، إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن، ليوافق تأويلهم هواهم وما إليه يقصدون!!".

وما كانوا بأول من حارب الإسلام من هذا الباب، ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديماً. والإسلام يسير في طريقه قديماً، وهم يصيحون ما شاءوا، لا يكاد الإسلام يسمعهم، بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم، وإما يدمرهم تدميراً.

ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون، يكاد يرجع في أصوله ومعناه إلى ما قال أولئك الأقدمون! بفرق واحد فقط : أن أولئك الأقدمين، زائغين كانوا أم ملحدين، كانوا علماء مطلعين أكثرهم ممن أضله الله على علم!! أما هؤلاء المعاصرون، فليس إلا الجهل والجرأة، وامتضاع ألفاظ لا يحسنوها، يقلدون في الكفر، ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم!!<sup>(١)</sup>.

وبعد

فإن صحابة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة هم خير جيل عرفته البشرية، وهم أبرز وجوه حضارتنا، وأكثرها إشراقاً، وأخلدها ذكراً، وأنبلها أخلاقاً، وهم بشر، ولكنهم في القمة ديناً وخلقاً رغم أنف الحاقدين.

رضي الله عن صحابة رسول الله ، وعلى الخلفاء علينا شرائع الدين أبي هريرة ؓ وجعلنا الله ﷻ من محبيه، وجمعنا معه في واسع جنته<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

(١) انظر : مسند الإمام أحمد بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ١٢ / ٨٤ - ٨٥ هامش.

(٢) انظر ترجمته في : الإصابة ٧ / ٤٢٥ - ٤٤٥ رقم ١٠٦٧٤، وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٢ رقم ١٦، واسد الغابة ٦ / ٣١٣ رقم ٦٣٢٦، والاستيعاب ٤ / ١٧٦٨ رقم ٣٢٠٨، وتحرير أسماء الصحابة ٢ / ٢٠٩، وتاريخ الصحابة ص ١٨١ رقم ٩٤٠، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢١ رقم ٤٦، وغير ذلك من المراجع السابقة.

## المبحث الثانى طعنهم فى عدالة أهل السنة

وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

التمهيد ويتضمن :

موقف أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً من أهل السنة، وأئمة المسلمين، وأساليبهم فى الطعن فى أهل السنة .

المطلب الأول : بيان المراد بأهل السنة .

المطلب الثانى : سلامة طريقة أهل السنة فى فهم الشريعة الإسلامية وبيان تحقيق النجاة لهم .

المطلب الثالث : شرف أصحاب الحديث .

المطلب الرابع : الجواب عن دعوى تقصير المحدثين فى تقديمهم للمتن .



## مَهْيَدٌ

ويتضمن موقف أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً من أهل السنة، وأئمة المسلمين وأساليبهم في الطعن في أهل السنة.

ليس في الدنيا مبتدع، ولا من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع، إلا وهو يطعن في أهل السنة من المحدثين، والفقهاء، والمفسرين... إلخ وينظر إليهم بعين الحقدارة ويسمونهم بأسماء هم أولى بها منهم، فالجهمية يسمونهم مشبهة ونابته، والقدرية يسمونهم بحيرة، والزنادقة يسمونهم الحشوية، والمعتزلة يسمونهم زوامل أسفار، والرافضة يسمونهم نواصب... إلخ. وكل ذلك عصبية، وغياظ لأهل السنة، ولا اسم لهم إلا اسم واحد وهو "أصحاب السنة".

ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع كما لم يلتصق بالنبى ﷺ تسمية كفار مكة ساحراً، وشاعراً، ومجنوناً، ولم يكن اسمه عند الله، وعند ملائكته، وعند انسه، وجنه، وسائر خلقه، إلا رسولاً نبياً برياً من العاهات كلها قال تعالى : ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾<sup>(١)</sup>.

فالوقعة في أهل السنة من علامات أهل البدع والزيغ قديماً وحديثاً.

فالشيعية الرافضة، والخوارج كفرو أهل السنة لأنهم ضبطوا آثار الصحابة، وقاسوا فروعهم على فتاوى الصحابة<sup>(٢)</sup>. فمن وثق الصحابة الذين كفروهم وأخذ بسنتهم فهو مثلهم في الكفر.

والمعتزلة ردوا فتاوى أهل السنة وقبحوها في أسماع العامة، لينفروا الأمة من اتباع السنة وأهلها<sup>(٣)</sup>.

ويروى في ذلك ابن قتيبة عن عمرو بن النضر. قال : مررت بعمرو بن عبید فجلست إليه، فذكر شيئاً، فقلت : ما هكذا يقول أصحابنا. قال : ومن أصحابك لا أبا لك؟

(١) الآية ٤٨ من سورة الإسراء، وانظر : قواعد التحديث للقاسمي ص ٥٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨٢، وانظر : أهل السنة شعب الله المختار لصالح الورداني ص ٥٤، ٥٥، والشيعية هم أهل السنة للذكور محمد التيجاني ص ١٥٩-١٦٣ .

(٣) الاعتصام ١/ ١٨٦ .

قلت : أيوب، وابن عون، ويونس، والتميمي . فقال : أولئك أرجاس أنجاس أموات غير أحياء<sup>(١)</sup> . يقول ابن قتيبة معلقاً على ما قاله عمرو بن عبيد : "وهؤلاء الأربعة الذين طعنهم، غرة أهل زمانهم في العلم، والفقه، والاجتهاد في العبادة، وطيب المطعم، وقد درجوا على ما كان عليه من قبلهم من الصحابة والتابعين . وهذا يدل على أن أولئك أيضاً عنده أرجاس أنجاس<sup>(٢)</sup> .

وذكر الشاطبي عن عمرو بن عبيد أنه قال : " ما كلام الحسن البصري، وابن سيرين عندما تسمعون إلا خرقه حيضة ملقاة"<sup>(٣)</sup> .

وحكى الذهبي وابن كثير عن عمرو بن عبيد أنه روى له حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً . ثم يكون في ذلك علة مثل ذلك . ثم يكون في ذلك مُضغة مثل ذلك . ثم يُرسل المَلَكُ فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ... الحديث"<sup>(٤)</sup> .

فقال : "لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبه، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت ليس على هذا أخذت ميثاقنا"<sup>(٥)</sup> .  
ويروى الحاكم عن الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- أن أحمد بن الحسن<sup>(٦)</sup> قال له يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال : أصحاب الحديث

(١) تأويل مختلف الحديث ص ٨٢، ورواه ابن حبان في المجروحين ١/ ٨٣، وذكره الشاطبي في الاعتصام ١/ ١٨٧ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٨٢ بتصرف يسير، وانظر : ما حكاه ابن حبان عن أبي حاتم في المجروحين ١/ ٨٤ .  
(٣) الاعتصام ١/ ١٨٧ .

(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب القدر، باب ١١ / ٤٨٦ رقم ٦٥٩٤، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القدر، باب كيفية الخلق آدمي، في بطن أمه، وكتابه رزقه وعمله وشقاوته وسعادته ٨ / ٤٤٠ رقم ٢٦٤٣ .  
(٥) تاريخ بغداد ١٢ / ١٧٢ وميزان الاعتدال ٣ / ٢٧٨، وانظر : البداية والنهاية ١٠ / ٨١، ٨٢، يقول ابن كثير بعد حكايته ذلك عنه قال : "وهذا من أقبح الكفر، لعنه الله إن كان قال هذا، وإن كان مكذوباً عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه" ١٠ هـ البداية والنهاية ١٠ / ٨٢ . هذا وقد كذب بهذا الحديث وزعم أنه من وضع جنود السلطان من الفقهاء والمحدثين - نيازى عز الدين في كتابه دين السلطان ص ٦٥٠، ٦٥١ مؤيداً في ذلك فكر عمرو بن عبيد المعتزلي، في أنه لا قدر والأمر أنف أ. هـ .

(٦) أحمد بن الحسن : هو أحمد بن الحسن بن حنيدب، أبو الحسن الترمذي، ثقة حافظ، سمع أحمد بن حنبل، وعنه البخاري، والترمذي، وخلق، مات سنة ٢٤٢ هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ١ / ٣٢ رقم ٢٥، والكاشف ١ / ١٩٢ رقم ٢٠، والجمع بين رجال الصحيحين ١ / ٩ رقم ١٣، والفتاوى لابن حبان ٨ / ٢٧، والجرح والتعديل ٢ / ٤٧ رقم ٣٣ .

قوم سوء، فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه، فقال : زنديق! زنديق! زنديق! ودخل البيت<sup>(١)</sup>.

وقال أحمد بن سنان القطان<sup>(٢)</sup> : "ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو ييغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل نزع حلالة الحديث من قلبه"<sup>(٣)</sup>.  
يقول أبو عبد الله الحاكم : "وعلى هذا عهدنا في أسفارنا، وأوطاننا، كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع، لا ينظر إلى الطائفة المتصورة، إلا بعين الحقارة، ويسمئها الحشوية"<sup>(٤)</sup>.

قلت: وما قاله الإمام الحاكم وغيره، هو ما عهدناه في زماننا ممن ينتسب إلى نوع من الإلحاد والبدع. صاروا على درب أسلافهم ييغضون أهل الحديث، وينظرون إليهم بعين الحقارة، ويسمونهم كما سماهم أهل الزيف قديماً، حشوية، وزوامل أسفار... إلخ، ويطعنون في عدالتهم.

فما قاله قديماً ابن أبي فتيحة في أصحاب الحديث بأنهم قوم سوء، قاله في زماننا نيازى عز الدين في كتابيه "دين السلطان"<sup>(٥)</sup>، و"إنذار من السماء" إذ يقول : "فإما أن نختار طريق آبائنا، وأجدادنا، ومشايخنا السالف، الذي قد عرفنا قبل قليل بالبرهان القاطع أننا ضللنا به، حين تركنا منهج القرآن، وتركناه حتى نسج عليه العنكبوت خيوطه"<sup>(٦)</sup>.

ويقول : "أهل الحديث ورواته، كانت مهنتهم رواية الأحاديث وكتابتها، فهم يرتزقون مما يرددون ويكتبون. وقالوا : إن ما كتبوه بأيديهم (وحي آخر) من عند الله مثل القرآن، وقالوا : إن كتاب الله هو القرآن، وما معهم من الروايات والأقاويل كتاب الحكمة، ظناً وظلماً، فهم قالوا عن أكاذيبهم إنها من عند الله، تماماً كما فعل

(١) معرفة علوم الحديث ص ٤ .

(٢) أحمد بن سنان هو : أحمد بن سنان بن أسد بن حيان، أبو جعفر، القطان الواسطي، متفق على توثيقه مات سنة ٢٥٩ هـ وقيل قبلها. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٣٥ رقم ٤٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٢١ رقم ٥٣٨، وطبقات الحفاظ ص ٢٣١ رقم ٥١٦، وشذرات الذهب ٢/ ١٣٧، والعبر ٢/ ١٦، والجمع بين رجال الصحيحين ٧/ ٥ .

(٣) معرفة علوم الحديث ص ٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٤ .

(٥) دين السلطان ص ١١، وانظر من نفس المصدر ص ١١٤، ١١٧، ١١٩، ١٥٣، ١٥٤ .

(٦) إنذار من السماء ص ١٣٤، وانظر من نفس المصدر: ص ١٢٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٦٥ .

أهل الكتاب من قبلهم في تحريفاتهم. وهم أيضاً يظنون أن الله سبحانه وتعالى لا يقصدهم في هذه الآية ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾<sup>(١)</sup> بينما هي تنطبق عليهم الانطباق التام<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً طاعناً في عدالة وجهاد من أيد الله به الدين يوم المحنة، قال: "لذلك نجد الإمام أحمد بن حنبل الذي كان صديقاً حميماً لرؤساء المحفل السري الخفي، لم يرض أن يقول بخلق القرآن فجعله المأمون، لأنه وجد جلده أرحم من قتله على يد أصدقائه إن قال بعكس تعليماتهم كلها"<sup>(٣)</sup>.

ونفس هذا الهراء نسبته إلى أبي حنيفة النعمان قائلاً: "أبو حنيفة النعمان كان صديقاً لأحبار اليهود الذين ادعوا أنهم أحبار الإسلام بإعلانهم إسلامهم، أمثال: يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي، الذي كان من أكبر أصحاب أبي حنيفة"<sup>(٤)</sup>.

وانظر إلى ما يقوله إسماعيل منصور متفوقاً على سلفه ابن أبي فتيحة في طعنه في رموز الإسلام القائلين بحجية السنة.

يقول: "ونحن نشفق على قائله وهم أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وكذلك البخاري ومسلم - رحمهم الله جميعاً - لأنهم "عفا الله عنهم" يستحقون الشفقة والدعاء لهم بالعفو، فإن الله تعالى لو أخذهم بما قالوا (يعني حجية السنة) لكان أخذه تعالى لهم أليماً شديداً لمخالفتهم لكلامه تعالى (مخالفة صريحة) ... فإنهم قد استدرجوا إلى مكيدة إبليس اللعين (بحسن نية منهم) فأخذوا بمنهج التبديل في الروايات والحكايات، وتركوا كتاب الله تعالى وهم لا يشعرون، حتى أصلوا ظاهرة التحول عن كلام الله، إلى كلام غيره من البشر، وعلموا الناس أن يتركوا ظاهر القرآن الكريم، إلى قول زيد، وعبيد، من الرواة، وهي خطة إبليس اللعين "عليه اللعنة إلى يوم الدين" وهذا واضح تمام الوضوح"<sup>(٥)</sup>.

ويقول أيضاً واصفاً أهل السنة بالخرافة و... و...، وأن في اتباعهم خسران الدنيا والآخرة قال: "يا أفراد عش الوطاويط (الخفافيش) أخرجوا إلى النور (نور القرآن الكريم) ولا تظلوا حبيسي الظلام" ظلام الأقوال البشرية، والروايات القصصية ...

(١) الآية ١١ من سورة الطور.

(٢) إنذار من السماء ص ٧٠٥.

(٣) دين السلطان ص ١٥٣.

(٤) دين السلطان ص ١٥٤، ونفس هذه الطعون قال بها أحمد صبحي منصور، وطمع بها المحدثين، والفقهاء، وخص بطعونه من المحدثين الإمام البخاري - رحمه الله - انظر: كتيبه التالية: حد الردة، والحسبة، ولا ناسخ ولا منسوخ، ولماذا القرآن، والصلاة في القرآن، وعذاب القبر والتعبد الأقرع، وقراءة في صحيح البخاري.

(٥) بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين ص ٤٧٥، ٤٧٦.

يا أتباع مملكة الوهم، وضحايا التأليف في الدين، وصرعى الروايات والقصص والظنون والأوهام، أفيقوا من سباتكم الغبيط وانهضوا من رقادكم الطويل، وطهروا أنفسكم وعقيدتكم بألا تساوا كلام البشر بكلام الله رب العالمين<sup>(١)</sup>.

ماذا تقولون لنا يا أهل الخرافة من الروايات والحكايات والقصص والحزبيات؟؟ ماذا تقولون؟؟

إن من يتبعكم سيخسر الدنيا والآخرة لا محالة؟؟ سيخسر الدنيا؛ لأنه يعيش في غير نصرة الله تعالى : "كما يعيش أكثر المسلمين الآن"، ويخسر الآخرة لأنه سيموت على هذا الضلال المين "يعنى الإيمان بحجية السنة" فلا يكون له في الآخرة من خلاق<sup>(٢)</sup> .  
أ.هـ.

إن هذا الهراء ما كنت لاستحل حكايته إلا لبيان أن من أساليب الطعن في حجية السنة من الزنادقة قديماً وحديثاً بغض أهل السنة، والطعن في عدالتهم، وفي علومهم، لتفجير الأمة من اتباع السنة وأهلها.

ولنتأمل كيف فاق زنادقة يومنا، زنادقة الأمس بالطعن في أهل السنة.  
إن طعون الحاقدين من المستشرقين، وأهل الزيغ في أهل السنة كثيرة، وقد سبق ذكر بعضها والجواب عنها كزعمهم أن المحدثين، والفقهاء، كانوا وضاعين ذهبوا إلى تأييد كل ذراى يروونه صالحاً ومرغوباً فيه بحديث يرفعونه إلى النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وكزعمهم أن المحدثين والفقهاء في العصر الأموى، والعباسى، كانوا فقهاء سلطة<sup>(٤)</sup> ونكفنى هنا بالرد على دعواهم تقصير المحدثين في تقديمهم للمتن، وذلك بعد بيان عدالة أهل السنة، وأنهم الجماعة، والجمهور، والسواد الأعظم، لهذه الأمة الإسلامية لسيرهم على طريقة النبي ﷺ وأصحابه الأخيار -رضوان الله عليهم أجمعين- ولا عبرة بمن خالفهم من أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً. لخروجهم على طريقة النبي ﷺ وتكفيرهم أصحابه، والطعن في عدالة من قال بعدالتهم<sup>(٥)</sup> وبيان ذلك في الأربعة مطالب الآتية :

(١) المصدر السابق ص ١٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٧٧، وانظر : له تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ١٣٥ - ١٤٠ .

(٣) راجع إن شئت ١ / ٤٢٤ - ٤٣١ .

(٤) راجع إن شئت ١ / ٤٣٩ - ٤٤٧ .

(٥) انظر : فيمن طعن في أهل السنة . أعضاء على السنة ٦٢، وشيخ المضيرة ص ٣٣، وإعادة تقييم الحديث ص ١١٦، والبيان بالقرآن ٢ / ٥١٤، ٨٠٥، وحد الردة ص ٦٧، ٧٤، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص ١٣، ١٤، ١٦، ٩٥، ٢٦٢، ٢٦٩ وأهل السنة شعب الله المختار ٣١ وما بعدها، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٣٢، والخدعة رحلتني من السنة إلى الشيعة ص ١١١، ٢٩ وما بعدها . وغير ذلك من المراجع السابق ذكرها فيمن طعن في حجية السنة أو عدالة الصحابة .

## المطلب الأول

### بيان المراد بأهل السنة

عندما نتحدث عن عدالة أهل السنة فإننا لا نعنى بهم أهل الحديث فقط، وإنما مرادنا بهم الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الإمام عبد القادر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق من : (١) علماء التوحيد (٢) علماء الفقه (٣) علماء الحديث (٤) علماء النحو (٥) علماء القراءات والتفسير (٦) الزهاد الصوفية . الذين لم يخلط كل صنف منهم علمه بشئ من بدع أهل الأهواء الضالة، ومن مال منهم إلى شئ من الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة، ولا كان لقوله حجية في عمله .

٧- والصنف السابع : المجاهدون في سبيل الله، يحمون حمى المسلمين، ويذبون عن حريمهم وديارهم، ويظهرون في ثغورهم مذاهب أهل السنة والجماعة .

٨- والصنف الثامن منهم : عامة البلدان الذين اعتقدوا تصويب علماء السنة، ورجعوا إليهم في معالم دينهم، وقلدوهم في فروع الحلال والحرام، ولم يعتقلوا شيئاً من بدع أهل الأهواء الضالة .

قال الإمام عبد القادر البغدادي : فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة، ومجموعهم أصحاب الدين القويم، والصراط المستقيم<sup>(١)</sup> أ.هـ .

ويقول الدكتور ناصر الشيخ معرفاً بهم في نص جامع قال : أهل السنة هم المتمسكون بما جاء في الكتاب والسنة، والتزموا بما فيهما قولاً وعملاً، وكان معتقدهم موافقاً لما جاء فيهما، وموافقاً لما كان عليه السلف الصالح من الصحابة الكرام<sup>(٢)</sup>، والتابعين لهم بإحسان، وأتباعهم من أئمة الدين ممن شهد لهم بالإمامة، وعرف عظم شأنهم في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف .

دون من رمى ببذعة، أو شهر بلقب غير مرضي، كالخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء<sup>(٣)</sup> أ.هـ .

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٧٦ - ٢٧٩ بتصرف واختصار .

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة ١ / ٢٩ .

## المطلب الثانى

### سلامة طريقة أهل السنة فى فهم الشريعة الإسلامية

#### وبيان تحقيق النجاة لهم

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة".

هذا الحديث أخرجه جماعة من الأئمة منهم أبو داود<sup>(١)</sup>، والترمذى وصححه<sup>(٢)</sup>، وابن ماجه<sup>(٣)</sup>، والحاكم وصححه<sup>(٤)</sup>، وله شواهد عن جماعة من الصحابة كأَنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأبى بن كعب، وأبى الدرداء، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم<sup>(٥)</sup>.

وجاء فى هذه الشواهد تفسير للفرقة الناجية بأسانيد تقام بها الحجة فى تصحيح هذا الحديث<sup>(٦)</sup>، كما قال الحاكم فى المستدرک ووافقه الذهبى<sup>(٧)</sup>.

من هذه الشواهد حديث معاوية وأنس - رضى الله عنهما - مرفوعاً : "إن أهل الكتاب تفرقوا فى دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وتفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين كلها فى النار إلا واحدة، وهى الجماعة"<sup>(٨)</sup>.

(١) سنن أبى داود كتاب السنة، باب شرح السنة ٤ / ١٩٧، ١٩٨ رقم ٤٥٩٦ .

(٢) سنن الترمذى كتاب الإيمان، باب ما جاء فى افتراق الأمة ٥ / ٢٥ رقم ٢٦٤٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سنن ابن ماجه كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ٢ / ٤٩٢ رقم ٣٩٩١ .

(٤) المستدرک كتاب العلم، باب تفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار إلا واحدة ١ / ٢١٧ رقم ٤٤١ وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى .

(٥) قال بتواتر الحديث الكتانى، وعبد الله الغمارى، وعبد العزيز الغمارى، انظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٤٥ رقم ١٨، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة فى نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص ١٨٥ .

(٦) خلافاً لمن ذهب إلى عدم صحة الحديث . انظر : الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية للدكتور محمد عمارة ص ١٢٩ وما بعدها .

(٧) المستدرک ١ / ٢١٨ .

(٨) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب شرح السنة ٤ / ١٩٨ رقم ٤٥٩٧، والحاكم فى المستدرک كتاب العلم، باب تفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار إلا واحدة ١ / ٢١٨ رقم ٤٤٢، كلاهما من حديث معاوية رضي الله عنه، وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ٢ / ٤٩٢ رقم ٣٩٩١ من حديث أنس رضي الله عنه، وقال البوصيرى فى مصباح الرجاحة ٣ / ٢٣٩ "هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات".

وفى حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً : "إن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين كلهم فى النار إلا ملة واحدة، قالوا : ومن هى يا رسول الله قال : "ما أنا عليه وأصحابى" (١).

يقول الإمام الشاطبى : "إن الجماعة - فى الحديث الشريف - هى الصحابة على الخصوص فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً، وقد يمكن فيمن سواهم ذلك، ... ولفظ الجماعة وتفسيره هنا مطابق للرواية الأخرى فى قوله ﷺ : "ما أنا عليه وأصحابى" (٢).

يقول الإمام عبد القادر البغدادى مبيناً صحة طريقة أهل السنة فى فهم الشريعة الإسلامية وتحقيق النجاة لهم بنص الحديث السابق. قال : "إن النبى ﷺ لما ذكر افتراق أمته بعده ثلاثاً وسبعين فرقة، وأخبر أن فرقة واحدة منها ناجية، سئل عن الفرقة الناجية، وعن صفتها، فأشار إلى الذين هم، على ما عليه هو وأصحابه.

ولسنا نجد اليوم من فرق الأمة من هم على موافقة الصحابة ﷺ غير أهل السنة والجماعة، من مجتهدى الأمة وعلمائها أهل الشريعة العاملين بها، دون الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، وجميع أهل البدع والأهواء، فهم غير داخلين فى لفظ الجماعة قطعاً، لخروجهم على طريقة النبى ﷺ وطريقة أصحابه ﷺ.

ثم كيف يكون الرافضة، والخوارج، والقدرية، وسائر أهل البدع موافقين للصحابة؟ وهم بأجمعهم لا يقبلون شيئاً مما روى عن الصحابة فى أحكام الشريعة، لا متناهم من قبول روايات الحديث، والسير، والمغازى، من أجل تكفيرهم للصحابة، ولأصحاب الحديث الذين هم نقلة الأخبار والآثار، ورواة التواريخ والسير، ومن أجل تكفيرهم فقهاء الأمة الذين ضبطوا آثار الصحابة، وقاسوا فروعهم على فتاوى الصحابة.

ولم يكن بحمد الله ومنه فى الخوارج، ولا فى الروافض، ولا فى القدرية، ولا فى سائر أهل الأهواء الضالة إمام فى الفقه، ولا إمام فى رواية الحديث، ولا إمام فى اللغة والنحو، ولا موثوق به فى نقل المغازى والسير والتواريخ، ولا إمام فى الوعظ

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الإيمان، باب ما جاء فى افتراق الأمة ٥ / ٢٦ رقم ٢٦٤١، وقال: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب العلم، باب تفرق هذه الأمة ... ١ / ٢١٨ رقم ٤٤٤ .

(٢) الاعتصام ٢ / ٥١٨، ٥١٩ بتصرف.

والتذكير، ولا إمام في التأويل والتفسير، وإنما كان أئمة هذه العلوم، على الخصوص والعموم، من أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup>.

وأهل الأهواء الضالة إذا ردوا الروايات الواردة عن الصحابة في أحكامهم وسيرهم لم يصح اقتداؤهم بهم.

وبان من هذا أن المقتدين بالصحابة من يعمل بما قد صح بالرواية الصحيحة في أحكامهم وسيرهم، وذلك سنة أهل السنة دون ذوى البدعة، وصح بصحة ما ذكرناه، صحة وسلامة طريقتهم في فهم الشريعة الإسلامية، وتحقيق نجاتهم لحكم النبي ﷺ بنجاة المقتدين بأصحابه<sup>(٢)</sup>. والحمد لله على ذلك<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - : "فعلى هذا القول فمن خرج عن جماعة أهل السنة، فهم الذين شذوا، وهم نهبه الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لما عليه النبي ﷺ وأصحابه.

فمن خرج عن جماعة أئمة العلماء المجتهدين من أهل السنة مات ميتة جاهلية، لأن جماعة الله العلماء، جعلهم الله حجة على العالمين، وهم المعنيون بقوله ﷺ : "إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة"<sup>(٤)</sup>.

فهم جماعة أهل الإسلام والسواد الأعظم، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم. ومن شذ شذ إلى النار"<sup>(٥)</sup> فإن قيل : "فإن أهل المقالات المختلفة، يرى كل فريق منهم أن الحق فيما اعتقده، وأن مخالفه على ضلال وهوى، وكذلك أصحاب الحديث، فيما انتحلوا، فمن أين علموا علماً يقيناً، أنهم على حق؟ قيل لهم : إن أهل المقالات، وإن اختلفوا، ورأى كل صنف منهم أن الحق فيما دعا إليه، فإنهم مجمعون لا يختلفون. على أن من اعتصم بكتاب الله ﷻ، وتمسك بسنة رسول الله ﷺ، فقد استضاء بالنور، واستفتح باب الرشده، وطلب الحق من مظانته. وليس يدفع أهل السنة عن ذلك إلا ظالم لأنهم لا يردون شيئاً من أمر الدين، إلى

(١) راجع : بيان فضائل أهل السنة، وأنواع علومهم وأمتهم، وبيان آثارهم في الدين والدنيا، في: الفرق بين الفرق ص ٣٢١ - ٣٢٥، وانظر : الاعتصام للشاطبي ٢/ ٥٠٩ وما بعدها.

(٢) راجع : الفرق بين الفرق فصل عصمة الله أهل السنة من تكفير بعضهم بعضاً أو تكفير سلفهم والظعن فيهم ص ٣٢٠ - ٣٢١.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٧٩ - ٢٨٣ بتصرف، وانظر : الاعتصام للشاطبي ٢/ ٥١٥ - ٥٢٣.

(٤) سبق تخريجه ١/ ٤٨٤.

(٥) الاعتصام ٢/ ٥١٧ - ٥١٩ بتصرف.

استحسان، ولا إلى قياس ونظر، ولا إلى كتب الفلاسفة المتقدمين، ولا إلى أصحاب الكلام المتأخرين<sup>(١)</sup> أ.هـ.

**فإن قالوا :** فإنه يلزمكم أن تقولوا إن نقله الأخبار الشرعية التي قالها رسول الله ﷺ معصومون في نقلها، وأن كل واحد منهم معصوم في نقله من تعمد الكذب . قلنا لهم نعم . هكذا نقول، وبهذا نقطع ونبت . وكل عدل روى خيراً أن رسول الله ﷺ قاله في الدين أو فعله ﷺ، فذلك الراوى العدل معصوم من تعمد الكذب - مقطوع بذلك عند الله تعالى - لما تقدم من تعهد رب العزة بحفظ جميع الشريعة من كتاب وسنة<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا رد على الدجالين الزاعمين، بأنهم في ردهم للسنة المطهرة، والأحاديث الصحيحة لا يردون قول النبي ﷺ وإنما يردون قول رواة السنة من الصحابة، والتابعين فمن بعدهم إلى أصحاب المصنفات الحديثية!!! .

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٨٢ بتصرف يسير . وانظر: ما قاله ابن قيم في مختصر الصواعق المرسلة إجابة على هذا السؤال، وبيان الفرق بين أهل السنة وأهل الأهواء ٢ / ٥٧١-٥٧٦ .  
(٢) الإحكام لابن حزم ١ / ١٢٦ .

## المطلب الثالث

### شرف أصحاب الحديث

إذا كان الحديث بعد القرآن هو عمدة كل صنف من الأصناف السابقة من أهل السنة، وإذا كانت دواوين أصحاب الحديث، بعد القرآن دعائم الإسلام التي قامت عليها صروحه .

فإن ذلك يدلنا على عظم مكانة المحدثين بين علماء أهل السنة جميعاً فهم بحق يصدق فيهم قول سفيان الثوري - رحمه الله - : "الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض" (١).

ويقول يزيد بن زريع (٢) : "لكل دين فرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد" (٣).

ويقول أبو حاتم الرازي - رحمه الله - : "لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم، أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة . فقال له رجل : يا أبا حاتم ربما رووا حديثاً لا أصل له، ولا يصح؟ فقال : علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة، ليتبين لمن بعلمهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها" (٤).

وإذا تقرر أنه لا قيام للإسلام بدون سنة صدق فيهم ما قاله الإمام أبو داود الطيالسي (٥) : "لولا هذه العصابة لا ندرس الإسلام" يعنى أصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار (٦).

(١) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ٩١ رقم ٨٠ .

(٢) يزيد بن زريع هو : يزيد بن زريع، بتقديم الرازي، مصغراً، البصري، أبو معاوية، متفق على توثيقه . مات سنة ١٨٢هـ . له ترجمة في : تقريب التهذيب ٢ / ٣٢٤ رقم ٧٧٤١، والكشاف ٢ / ٣٨٢ رقم ٦٣٠١، والفتاوى للعللي ٤٧٨ رقم ١٨٤١، والجمع بين رجال الصحيحين ٢ / ٥٧٣، ٥٧٤ رقم ٢٢٣٧، ورجال صحيح البخاري للكلايذي ٢ / ٨٠٧ رقم ١٣٥٥ .

(٣) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ٩١ رقم ٨١ .

(٤) المصدر السابق ص ٨٩ رقم ٧٧ .

(٥) أبو داود الطيالسي هو : سليمان بن داود بن الجارود البصري، أحد الأئمة الأعلام، وحفاظ الإسلام مات سنة ٢٠٣هـ . له ترجمة في تذكرة الحفاظ ١ / ٣٥١ رقم ٣٤٠، وتقرير التهذيب ١ / ٣٨٤ رقم ٢٥٥٨، وطبقات الحفاظ السيوطي ص ١٥٣ رقم ٣٢٧، والفتاوى للعللي ٢٠٢، ٢٠٩ رقم ٦٠٩، وشذرات الذهب ٢ / ١٢، والتقييد لمعركة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة ص ٢٧٧ رقم ٣٤٣، وتهذيب الكمال للمزي ١١ / ٤٠١ رقم ٢٥٠٧ .

(٦) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ١٠١ رقم ١٠١ .

ويقول الإمام الخطيب البغدادي : "وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، ... قبلوا شريعته قولاً وفعلاً، وحرسوا سنته حفظاً ونقلًا حتى ثبتوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها، وكم ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ما ليس منها، والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفاظ لأركانها.

وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأياً تعكف عليه، سوى أصحاب الحديث ، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول ﷺ فثمتهم، وإليه نسبتهم، لا يرجعون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يقبل منهم ما روي عن الرسول، إذا اختلف في حديث، كان إليهم الرجوع، فما حكموا به، فهو المقبول المسموع.

ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر، من كادهم قصمه الله ، ومن عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسيير، وإن الله على نصرهم لقدير" (١).

ورحم الله هارون الرشيد القائل : "طلبت أربعة فوجدتها في أربعة : طلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث وطلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته مع المعتزلة" (٢) . هـ .  
رضى الله عن تلك الأنفس التي نهضت لحفظ الدين، ورضى الله عن أحياء آثارهم من اللاحقين "أمين".

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٢٨ - ٣١ بتصرف وتقديم وتأخير، وانظر : ما قاله الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ٢-٤، وجمال الدين القاسمي في قواعد التحديث ص ٦٠، والسنة بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الموجود ص ١١ .

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ١٠٨ رقم ١٠٤ .

## المطلب الرابع

### الجواب عن دعوى تقصير المحدثين

#### فى نقدهم للمتن

إن دعوى تقصير المحدثين فى نقدهم للمتن واعتمادهم على السند، أطلقها بعض المستشرقين<sup>(١)</sup> الحاقدين للنيل من ديننا، ومن هذا العلم الشريف الذى خص الله به هذه الأمة على سائر الأمم، وهى دعوى باطلة تبناها من سار على هديهم من دعاة اللادينية<sup>(٢)</sup>، وتأثر بها بعض المسلمين<sup>(٣)</sup>.

يقول الأستاذ الصديق بشير : "وسبب فساد هذا الزعم لو أحسنا الظن بقائله من المستشرقين؛ أن المنهج النقدي للأخبار عند الغربيين منصب على المتن وحده، ولم ينل السند عندهم كبير نصيب لأنهم لا يعولون عليه، وإن تكلموا عن السند فلا يتعدى بعض المفاهيم النظرية التى ليس لها رصيد فى واقعهم النقدي وذلك مخالف للمنهج النقدي عند المسلمين فقد طبق عملياً بشكل واسع ومنقطع النظير، وهى قفزة عريضة لم يصلها الأوروبيون حتى اليوم، وأنى لهم ذلك وأخبارهم القديمة منقطعة الأسانيد قد يتسوا أن يصلوها<sup>(٤)</sup>."

ورحم الله ابن حزم إذ يقول : "نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبى ﷺ مع الاتصال، خص الله به المسلمين دون سائر الملل، وأما مع الإرسال والإعضال، والطرق المشتملة

---

(١) انظر : العقيدة والشريعة ص ٥٠، ودراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ ص ٥٠٨، وانظر : دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٣٥-٣٣٧ .

(٢) أضواء على السنة ص ٢٨٨ وما بعدها، وإعادة تقييم الحديث ص ١١٨ وما بعدها، والسلطة فى الإسلام ص ٢٥٩، وحقيقة الحجاب وحجية الحديث ص ٩١، ودليل المسلم الحزين ص ٥٩، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص ١٧٣، ١٨٠، ٣٥٢، ٣٨٤، ٦٥٥، والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١١٧، والإسلام والعقلانية لجمال البنا ص ٣٧ وما بعدها، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٢٤، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ١٣، ٣٣، والخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص ٨١ وما بعدها وغير ذلك .

(٣) انظر : فجر الإسلام ٢١٧، ٢١٨، وضحى الإسلام ١٣٠/ ٢، ١٣٢، وظهر الإسلام ٤٨/ ٢، وانظر : حياة محمد للدكتور محمد هيكى ص ٥٥، ومصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ص ٢١ وغيرهم .

(٤) ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٣٩، ٤٠ .

على كذاب أو مجهول الحال، فكثير فى نقل اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>، وغيرهم من أهل الملل الأخرى وأهل البدع والأهواء.

ويبدو تهافت دعوى تقصير المحدثين فى تقديمهم للمتن بما اشترطه أصحاب الحديث لصحة الخبر، وبما وضعوه من علامات يعرف بها وضع الخبر. وكيف يهتمون بضبط المتن وما قام علم الحديث دراية إلا لخدمة علم الحديث رواية!! وتعبير آخر ما كانت علوم الحديث بأسرها إلا لضمان ضبط المتن، والتأكد من صحة نسبته إلى النبى ﷺ.

ولا نبالغ إذا قلنا أن الشروط الخمسة التى وضعها علماء الحديث لصحة الخبر كلها شروط لضبط المتن، وما يبدو من ظاهرها شروط لضبط السند هو فى حقيقة الأمر يتعلق بالمتن ظاهراً وباطناً.

فالشروط الثلاثة الأولى لصحة الخبر وهى اتصال السند، وعدالة الراوى، وضبط الراوى هى فى الظاهر شروط خاصة بضبط السند. وفى الحقيقة أن فقدان أى شرط منهم يخل بضبط المتن.

١- لأن عدم اتصال السند ينتج عنه أنواع من الحديث الضعيف : المنقطع، والمعضل، والمعلق، والمذلل، والمرسل، وكلها تخل بصحة المتن.

٢- وفقدان عدالة الراوى ينتج عنها من الحديث الضعيف المخل بضبط المتن. الموضوع، والمزك، والمنكر.

٣- وفقدان ضبط الراوى ينتج عنه من أنواع الضعيف المخل بضبط المتن : المدرج، والمقلوب، والمضطرب، والمصحف، والمخرف، وغير ذلك.

فماذابقى من شروط صحة الخبر سوى شرطى عدم الشذوذ، وعدم العلة، وفقداهما ينتج عنهما الحديث الشاذ، والمعلل، وهما يخلان بضبط المتن.

فأين من كل هذا ما يفترى كذباً على المحدثين من عدم اهتمامهم بنقد المتن عشر معشار السند!!

إن علماءنا لم يفرقوا هذا التفريق الظاهر بين تقديمهم لسند الحديث، وتقديمهم للمتن وليس أدل على ذلك ما قرروه من أنه لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن.

فصحة السند لا يلزم منها صحة المتن، إذ قد يكون شاذاً أو معللاً أو موضوعاً معناه

(١) الفصل فى الملل والنحل ٢ / ٨١ - ٨٤ بتصرف، وانظر : تدريب الراوى ٢ / ١٥٩ .

باطلاً، كما أنه لا يلزم من ضعف السند، ضعف المتن إذ يجيء بسند آخر صحيح .  
ومن هنا قيدوا في حكمهم على الحديث بالصحة أو بالحسن أو بالضعف بالإسناد  
دون متن الحديث فيقولون : إسناد صحيح دون حديث صحيح، وإسناد حسن، أو  
إسناد ضعيف، دون حديث حسن، أو حديث ضعيف .  
والحاصل أنه لا تلازم بين الإسناد والمتن، إذ قد يصح السند أو يحسن لاستجماع  
شرائطهما، ولا يصح المتن لشذوذ أو علة وقد لا يصح السند، ويصح المتن، من طرق  
أخرى" (١) .

يقول الدكتور صبحي الصالح مؤكداً عدم تفرقة المحدثين بين السند والمتن في  
حكمهم على الحديث : "على أننا لن نرتكب الحماقة التي لا يزال المستشرقون،  
وتلامذتهم المخدوعون بعلمهم "الغزير" يرتكبونها كلما عرضوا للحديث النبوي، إذ  
يفصلون بين السند والمتن مثلما يفصل بين خصمين لا يلتقيان أو ضرتين لا تجتمعان،  
فمقاييس المحدثين في السند لا تفصل عن مقاييسهم في المتن إلا على سبيل التوضيح  
والتبويب والتقسيم .

والإلا فالغالب على السند الصحيح أن ينتهي بالمتن الصحيح، والغالب على المتن  
المعقول المنطقي الذي لا يخالف الحسن أن يرد عن طريق سند صحيح (٢) .

وليبيان أن المحدثين لم يفرقوا بين السند والمتن التفريق الظاهر في مباحثهم، وأن  
كلامهم على السند هو كلام عن المتن ومن أجله، نذكر بعض الأمثلة على ذلك :  
١ - منها زيادة الثقات فهي كما لا يخفى ترتبط بالمتن لأنها زيادة تطرأ عليه من راي  
ثقة . قال ابن حجر : "وزيادة راويهما - أي الصحيح والحسن - مقبولة ما لم تقع  
منافيه لرواية من هو أوثق ممن لم يذكر تلك الزيادة، لأن الزيادة إما أن تكون لا تنافي  
بينها، وبين رواية من لم يذكرها، فهذه تقبل مطلقاً؛ لأنها في حكم الحديث المستقل  
الذي ينفرد به الثقة، ولا يرويه عن شيخه غيره .

وإما أن تكون منافية بحيث يلزم من قبولها، رد الرواية الأخرى فهذه التي يقع  
الترجيح بينها، وبين معارضها، فيقبل الراجح، ويرد المرجوح" (٣) . ومثل لذلك بحديث

(١) توضيح الأفكار للصنعاني ١ / ٢٣٤ .

(٢) علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٨٣ .

(٣) نزهة النظر ص ٣٠ .

ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ أى العمل أفضل؟ قال الصلاة لوقتها<sup>(١)</sup> زاد الحسن بن مكرم، وبندار بن بشار فى روايتهما : فى أول وقتها، وصحتها الحاكم<sup>(٢)</sup> وغيره . وهى مقبولة فهل الكلام على السند هنا إلا لضبط المتن وأجله .

٢- ومنه "المصحف" وهو الذى وقع فيه تصحيف، ويكون فى الإسناد والمتن . ومن الثانى حديث : "احتجج النبي ﷺ فى المسجد"<sup>(٣)</sup> . أى اتخذ حجراً، صحيفة بعضهم بقوله : "احتجج" وهذا القسم من تصحيف اللفظ، وقد يكون فى المعنى كمن سمع خطيباً يروى حديث : "لا يدخل الجنة قتات"<sup>(٤)</sup>، فبكى وقال : ما الذى أصنع، وليست لى حرفة سوى بيع الفت؟ يعنى الذى يعلف الدواب"<sup>(٥)</sup> .

يقول الأستاذ الصديق بشير : "ولعل من أوسع المباحث المتعلقة بنقد المتن والنسب تفوق فيها علم الحديث، على منهج النقد الغربى للمضمون والمتن مبحث "تحرى النص، والجحى باللفظ" . وهذه كما يقول أسد رستم : "مأثرة أخرى من مآثر علماء الحديث فإنهم قالوا بالأمانة فى نقل الحديث، وفرضوا وجوب تحرى النص لأجل الوقوف على اللفظ الأصلى، ومنهم من أبى أن يقوم اللحن أو أن يصلح الخطأ واكتفى بإبداء رأيه على الهامش"<sup>(٦)</sup> .

وأسد رستم يشير بذلك إلى ما اشترطه أرباب هذا الفن فى عدم جواز الرواية بالمعنى "إن لم يكن الراوى عالماً بالألفاظ ومدلولاتها ومقاصدها، خبيراً بما يحيل معانيها، بصيراً بمقادير التفاوت بينها .

ففى هذه الحالة يتعين على الراوى الرواية باللفظ الذى سمعه، ولا يجوز له الرواية

---

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها ١٢/ ٢ رقم ٥٢٧ ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ١/ ٣٥٠، ٣٥١ رقم ١٣٧ .  
(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب الصلاة، باب فى مواقيت الصلاة ١/ ٣٠٠ رقمى ٦٧٤، ٦٧٥ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وانظر: تدريب الراوى ١/ ٢٤٨ .

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأذان، باب صلاة الليل ٣/ ٢٥١ رقم ٧٣١، ومسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة فى بيته ٣/ ٣٢٥، ٣٢٦ رقم ٧٨١ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأدب، باب النعمة من الكبار ١٠/ ٤٨٧ رقم ٦٠٥٦، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب غلط تحريم النعمة ١/ ٣٨٩ رقم ١٦٩ من حديث حذيفة رضي الله عنه .

(٥) فتح المغيث للسخاوى ٣/ ٦٩، وانظر: علوم الحديث للدكتور صبحى الصالح ص ٢٥٤-٢٦٢ .

(٦) مصطلح التاريخ ص ٣٣، وانظر : ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٤٦ .

بالمعنى بلا خلاف" (١).

وهل كل ذلك إلا حفاظاً من المحدثين على سلامة المتن؟

وليس أدل على عناية المحدثين بنقد المتن من جعلهم من أمانة الحديث الموضوع، مخالفته للعقل، أو المشاهدة والخس، مع عدم إمكان تأويله تأويلاً قريباً محتملاً، وأنهم كثيراً ما يردون الحديث لمخالفته للقرآن، أو السنة المشهورة الصحيحة، أو التاريخ المعروف مع تعذر التوفيق" (٢).

ومن نماذج سير المحدثين المتن في تقديمهم للحديث خير وضع الجزية عن يهود خيبر، وهو ما حكاه غير واحد من العلماء؛ كالحافظ السبكي (٣)، وابن كثير (٤)، والسخاوي (٥) "أن بعض اليهود أظهروا كتاباً، وادعوا أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة بعض الصحابة رضي الله عنهم، وذكروا أن خط علي عليه السلام وحمل الكتاب في سنة سبع وأربعين وأربعمائة إلى رئيس الرؤساء أبي القاسم علي بن الحسن وزير القائم بأمر الله الخليفة العباسي، فعرضه رئيس الرؤساء، على الحافظ الخطيب البغدادي، فتأمله ثم قال : هذا مزور .

ف قيل له : من أين لك هذا؟ قال : فيه شهادة معاوية، وهو إنما أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة، وفتح خيبر كان في سنة سبع، ولم يكن معاوية مسلماً في ذلك الوقت، ولا حضر ما جرى في خيبر، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وهو قد مات في سنة خمس، في يوم بنى قريظة، قبل فتح خيبر بستين، فاستحسن ذلك منه رئيس الرؤساء، واعتمده وأمضاه، ولم يجز اليهود على ما في الكتاب لظهور تزويره وبطلانه .

وقد سبق الحافظ الخطيب البغدادي إلى كشف كذب هذا الكتاب وتزويره : الإمام

---

(١) تدريب الراوي ٢ / ٩٨، وراجع : إن شئت ما سبق في الجواب على شبهة رواية الحديث بالمعنى ١ / ٣٧٦، ٣٧٥ .

(٢) دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبة ص ٣١، ولزيد في الرد على هذه الشبهة انظر : منهج النقد عند علماء الحديث، والسنة المطهرة والتحديتات كلاهما للدكتور نور الدين عتر، ومنهج نقد المتن عند علماء الحديث للدكتور صلاح الدين الأديلي، واهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً وممتناً، ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم للدكتور محمد لقمان السلفي .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ٣٥ .

(٤) البداية والنهاية ١٢ / ١٠٨ - ١٠٩ .

(٥) الإعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ ص ٢٤، ٢٥ .

ابن جرير الطبري، كما حكاه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية<sup>(١)</sup>،  
وتعرض الحافظ ابن قيم الجوزية لهذا الكتاب المزور بأيدي اليهود في كتابيه "أحكام  
أهل الذمة"<sup>(٢)</sup>، و"المنار المنيف في الصحيح والضعيف"<sup>(٣)</sup>، وبين كذبه وتزويره من  
عشرة وجوه، ثم قال وأحضر هذا الكتاب بين يدي شيخ الإسلام ابن تيمية، وحوله  
اليهود يزفونه ويجلونه، وقد غشى بالحرير والديباج، فلما فتحه وتأمله بزق عليه وقال :  
هذا كذب من عدة أوجه . وذكرها، فقاموا من عنده بالذل والصغار<sup>(٤)</sup>،  
بكل ما سبق تسقط دعوى تقصير المحدثين في تقديمهم للمتن أ.هـ .

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

(١) البداية والنهاية ١٢ / ١٠٩ .

(٢) أحكام أهل الذمة ١ / ٧-٩ .

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ١٠٢ - ١٠٥، وانظر : لمحات من تاريخ السنة للأستاذ عبد الفتاح  
أبو غدة ص ١٧٠ - ١٧٢ .

(٤) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ١٠٥ .

## الفصل الرابع

### وسيلتهم في الطعن في الإسناد وعلوم الحديث

وتحته تمهيد ومبحثان :

التمهيد ويتضمن :

بيان أن الإسناد دليلنا على صحة الكتاب والسنة .

وهدف أعداء الإسلام من الطعن في الإسناد .

المبحث الأول : شبه الطاعنين في الإسناد والرد عليها .

المبحث الثاني : أهمية الإسناد في الدين، واختصاص الأمة الإسلامية به عن سائر الأمم



# مَهْدٌ

ويتضمن بيان أن الإسناد دليلنا على صحة الكتاب والسنة، وهدف أعداء الإسلام من الطعن في الإسناد.

الطعن والتشكيك في الإسناد كان ولا يزال، هدفاً من أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً، للتشكيك في الوحي الإلهي - قرآنًا وسنة -.

فالإسناد دليلنا على صحة كتاب ربنا ﷺ، وسنة نبينا ﷺ، فمن المعلوم أن لصحة أى قراءة من القرآن وقبولها؛ لا بد أن يتوافر فيها ثلاثة شروط :

١ - صحة إسنادها .

٢ - موافقتها للغة العربية ولو بوجه .

٣ - موافقتها للرسم العثماني ولو احتمالاً .

وإذا احتل أى ركن من هذه الأركان كانت القراءة شاذة، ولا تعد قرآنًا حتى ولو كانت من القراءات السبع وفي ذلك أنشد صاحب الطيبة فقال :

وكل ما وافق وجه النحو \*\*\* وكان للرسم احتمالاً يحوى

وصح إسناداً، هو القرآن \*\*\* فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت \*\*\* شذوذه لو أنه في السبعة<sup>(١)</sup>

أليس فى هذا دليل على أن القرآن الكريم منقول بالإسناد أيضاً؟ كالحديث؟

نعم هناك فرق بين القرآن وبين الحديث فى عدد الرواة النقلة؛ فالقرآن منقول بالتواتر، والحديث منقول برواية رجال معدودين، ولكنهم ليسوا مجاهيل بل هم رجال مشهورون، أحوالهم معلومة، وأسانيدهم محفوظة .

وهذا الفرق يقتضى التفاوت فى درجات اليقين والثوق، لا فى نفس القبول والاعتبار<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان القرآن منقولاً بالرواية، فالطعن فى الإسناد طعن فى الدين، وإبطال للكتاب والسنة وهو ما صرح به (شاكر) - رأس الزنادقة فى عصره - عندما سئل عن

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن ١ / ٤١٦، وانظر : فتح البارى ٩ / ٦٤٩ رقم ٤٩٩١ .

(٢) تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للسيد سليمان الندوى ص ١٠ ، ١١ .

سر تعليمهم المتعلم فيهم أول ما يعلمونه الطعن في الصحابة، وهم أول رجال السند قال : "إنا نريد الطعن على الناقله فإذا بطلت الناقله أوشك أن نبطل المنقول".  
وصدق الإمام أبو زرعة الرازى -رحمه الله- : "... هؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة<sup>(١)</sup>".  
ومن هنا كان أهل الإلحاد قديماً وحديثاً يجرصون على الطعن والتشكيك في الإسناد الذى هو خصيصة فاضلة لهذه الأمة ولم يكن هناك شئ أثقل عليهم من سماع الحديث وروايته بإسناد.

يدل على ما سبق ما رواه الحاكم فى معرفة علوم الحديث قال : "سمعت الشيخ أبا بكر أحمد ابن إسحاق الفقيه<sup>(٢)</sup> وهو يناظر رجلاً، فقال الشيخ : حدثنا فلان . فقال له الرجل : دعنا من حدثنا إلى متى حدثنا . فقال له الشيخ : قم يا كافر، ولا يحل لك أن تدخل دارى بعد هذا، ثم التفت إلينا فقال : ما قلت قط لأحد لا تدخل دارى إلا لهذا"<sup>(٣)</sup>.

وروى الحاكم أيضاً عن أحمد بن سلام الفقيه قال : "ليس شئ أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناد"<sup>(٤)</sup>.  
وتابع هؤلاء السلف خلفهم من المستشرقين ودعاة اللادينية، فذموا الإسناد، وذموا المحدثين لاهتمامهم به، وطعنوا فى بداية استعمال الأسانيد فى الأحاديث النبوية، وزعموا أن الأسانيد مختلقة من قبل المحدثين، إلى غير ذلك من طعونهم التى نستعرضها ونجيب عليها فى المبحث التالى :

(١) راجع : ٦٨، ٦٧ / ٢ .

(٢) أحمد بن إسحاق : هو أبو بكر، أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغى الفقيه، كان عالماً بالحديث والرجال، والجرح والتعديل، وفى الفقه كان المشار إليه فى وقته، ثقة مأمون . سمع منه كبار الحفاظ، منهم أبو عبد الله الحاكم، وكلما روى عنه وجمع بينه وبين جماعة يقول: أبو بكر هو الإمام المقدم . له ترجمة فى: الإرشاد فى معرفة علماء الحديث للحافظ الخليل القزوينى ص ٣١٨، ٣١٩ .

(٣) معرفة علوم الحديث ص ٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٤ .

## المبحث الأول شبه الطعنين فى الإسناد والرد عليها

ذهب بعض أعداء الإسلام من المستشرقين إلى التشكيك فى بداية استعمال الأسانيد فى الأحاديث النبوية .

فذهب "شاخت" إلى أن الفتنة المذكورة فى قول محمد بن سيرين "لم يكونوا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة ..."<sup>(١)</sup> هي فتنة الخليفة الأموى الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ .

يقول شاخت : "ويروى عن التابعى ابن سيرين أن الناس لم يكونوا يسألون عن الإسناد حتى كانت الفتنة، وسوف نرى فيما بعد أن الفتنة التى اندلعت بمقتل الخليفة الأموى الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ، قبيل نهاية الحكم الأموى تتفق فى الزمن مع نهاية خير القرون التى سادت فى أثنائها السنة النبوية ، وحيث أن ابن سيرين توفى سنة (١١٠هـ) فلنا أن نستنتج من ذلك أن هذه العبارة موضوعة عليه . وعلى أية حال ليس هنالك ما يدعوا إلى افتراض أن استعمال الإسناد بشكل منتظم قد حدث قبل بداية القرن الثانى للهجرة<sup>(٢)</sup> .

وينهتج مستشرق آخر وهو "روبسون" إلى أن الفتنة المقصودة فى كلام ابن سيرين هي فتنة عبد الله بن الزبير سنة (٧٢هـ) عندما أعلن نفسه خليفة، بحجة أن تاريخ هذه الفتنة يتوافق مع مولد ابن سيرين، ووجود كلمة الفتنة فى موطأ الإمام مالك التى تشير إلى فتنة ابن الزبير<sup>(٣)</sup> .

وهدفهم من ذلك كما صرح شاخت، التشكيك فى الجزء الأعظم من الأسانيد الموجودة فى كتب السنة المطهرة، وأنه قد اختلقها المحدثون فى القرن الثانى الهجرى، بل وفى القرن الثالث أيضاً .

والنتيجة أن متون تلك الأسانيد مختلفة أيضاً، وتلك هي غايتهم من الطعن فى بداية

(١) سبق تفريجه ١/ ١٢٥ .

(٢) أصول الفقه المسمى ترجمة الأستاذ الصديق البشر نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١١ ص ٦٨٩، ٦٩٩ .

(٣) نقلاً عن دارسات فى الحديث النبوى للدكتور الأعظمى ٢/ ٣٩٥، وضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشرى ص ٦٤ .

استعمال الأسانيد في الأحاديث النبوية .

ويذهب جولدتسيهر إلى أن أسانيد الأحاديث مخترعة من قبل المحدثين فيقول : هناك بعض الناس لا يشعرون بأي تردد في اختراع أسماء جديدة يخدمون بها المستمعين السذج، وفي القرن الذي ألف فيه ابن عدي كتابه "الكامل في معرفة الرجال" كان هنالك أبو عمرو لاحق بن الحسین، يخلق أسماء يضعها في أسانيد مثل : طفرال، وطربال، وكركدن، ويعزو إليهم أحاديث<sup>(١)</sup> .

وهذا الذي قاله جولدتسيهر قاله غير واحد من المستشرقين<sup>(٢)</sup> ودعاة اللادينية . يقول عبد الجواد ياسين : " ولم يكن من العسير على من اختلق "المتن" أن يختلق الإسناد" فكم من أحاديث مختلفة -باعترا ف علماء الحديث- تم تركيبها على أسانيد مقبولة عندما أصبحت الأسانيد المقبولة جواز مرور رسمي للحديث<sup>(٣)</sup> .

ويقول أحمد حجازي السقا : "السلسلة الذهبية للحديث، وهي أعلى سلسلة في السند قد عمل الضعفاء والمتروكون مثلها، والأسانيد الصحيحة، قد عملوا مثلها"<sup>(٤)</sup> . وتتابع دعاة اللادينية في ذم الإسناد، وذم المحدثين لاهتمامهم به .

فوجدنا من يصف أهل الحديث بأنهم "عبيد الأسانيد"<sup>(٥)</sup> و"أسرى الأسانيد"<sup>(٦)</sup> . ووجدنا من يصف الإسناد بأنه نوع من التزمت<sup>(٧)</sup> .

ووجدنا إسماعيل منصور يقول : "إن هذا التعلق غير الطبيعي بالسند، والمبالغة في الاعتداد به وربط الأحكام الشرعية به -واعتباره بالدرجة الأولى- أساساً لصحة الحديث كل ذلك مجتمعاً قد أثمر افتراقاً كبيراً بين المسلمين، وصيرورتهم فرقاً وشيعاً وأحزاباً يعارض بعضها بعضاً، وقاتل بعضها بعضاً، ويكيد بعضها لبعض على مر السنين"<sup>(٨)</sup> .

(١) دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ ص ٥٠٥، ٥٠٦، والعقيدة والشرعية في الإسلام ص ٥٤ وما بعدها .

(٢) كالمتشرق (ربرسون) زعم أن الأسانيد العائلية اخترعت لنشر الأحاديث الموضوعة . انظر : دراسات في الحديث النبوي للدكتور الأعظمي ٢ / ٤٣٥ .

(٣) السلطة في الإسلام ص ٢٦٠ .

(٤) دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي ص ١٠٩، وانظر : من نفس المصدر ص ١٠٢، ١٢٦ .

(٥) أضواء على السنة لمحمود أبو ربه ص ٦٢ .

(٦) السنة ودورها في الفقه الجديد لجمال الدين ص ١٢، ١٥، ٨٤ .

(٧) ظهر الإسلام لأحمد أمين ٣ / ٨٦، ٨٨ .

(٨) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٣٧٧ .

ويقول طاعناً فى علوم الحديث كلها : "ما أقامه البعض من أهل هذا العلم من إنشاء ما يسمى بعلم الحديث ، إنما هو بالحياة المطلق ، وَهْمٌ لا يثبت، وظن لا يستقيم" (١).

ويجيب على هذه الشبه بما يلي :

بادئ ذى بدء نحب أن نقول للطاعنين فى الإسناد، كلمة مهمة قالها العلامة السيد سليمان الندوى، وهو يتحدث عن تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها. قال تحت عنوان: (الرواية أمر ضرورى) : "لا مندوحة لعلم من العلوم، ولا لشأن من شؤون الدنيا عن النقل والرواية؛ لأنه لا يمكن لكل إنسان أن يكون حاضراً فى كل الحوادث، فإذا لا يتصور علم الوقائع للغائبين عنها إلا بطريق الرواية شفاهاً أو تحريراً، وكذلك المولدون بعد تلك الحوادث لا يمكنهم العلم بها إلا بالرواية عن قبلهم.

هذه تواريخ الأمم الغابرة والحاضرة، والمذاهب والأديان، ونظريات الحكماء والفلاسفة، وتجارب العلماء واختراعاتهم، هل وصلت إلينا إلا بطريق النقل والرواية؟ فهل كان الدين الإسلامى بدعاً من الحوادث حتى لا تنقل أحكامه وأخباره بهذا الطريق؟ أم كان الواجب اتخاذ طريق آخر لنقل أقوال الرسول ﷺ وأخباره غير الرواية؟!

لنفرض أن هؤلاء المنكرين علينا رواية الأحاديث -بالأسانيد- أصبحوا زعماء لمن كان على شاكلتهم، فهل هناك طريقة -غير الرواية- لتبليغ استنباطهم، وتحقيقاتهم لأفراد جماعتهم البعيدين عن حلقات دروسهم، أو الذين سيولدون بعدهم (٢)؟!

حرى بالمشككين فى الإسناد وعلوم الحديث الإمساك عن لغوهم.

وإلا فأين أسانيدهم المتصلة إلى أممهم البائدة؟

بل أين أخبارهم الصحيحة عن أنبيائهم وعظمائهم؟

بل أين الضوابط التى تثبت صحة أخبارهم فيما سبق؟!

أما ما زعمه شاخت من حملة الفتنة المذكورة فى كلام محمد بن سيرين على فتنة مقتل الوليد بن يزيد سنة (١٢٦هـ) علماً بأن وفاة ابن سيرين كانت سنة (١١٠هـ)

(١) المصدر السابق ص ٦٥٦، وانظر : من نفس المصدر ص ١٤٥، ١٦٥، ١٧٦، وانظر : حد الردة لأحمد صبحي منصور ٨٧، ٩١، والقرآن والحديث والإسلام ل محمد رشاد خليفة ص ٤٠ .

(٢) تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها ص ٩، ١٠ .

كما ذكر هو أيضاً.

فيقول رداً على ذلك الدكتور همام عبد الرحيم : "ولو أنصف شاخنت وفكر بنزاهة وموضوعية لما قال إن ابن سيرين يتحدث عن فتنة وقعت بعد وفاته بست عشرة سنة!"<sup>(١)</sup>.

وزعمه بأن ذلك الخبر مكذوب على ابن سيرين فهو ما لا دليل عليه، ويكذبه إخراج الإمام مسلم له في مقدمة صحيحه<sup>(٢)</sup>، والترمذي<sup>(٣)</sup>، والدارمي<sup>(٤)</sup> .  
أما ما زعمه "رويسون" من حملة الفتنة المذكورة في كلام ابن سيرين على فتنة ابن الزبير، فهو زعم بعيد؛ لأن عبارة ابن سيرين تقول : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد"، ولم يقل : "كنا لا نسأل عن الإسناد" وهذه العبارة التي استخدمها تفيد؛ أنه يتكلم عن شيوخه من الصحابة رضي الله عنهم<sup>(٥)</sup>.

ويقول الدكتور أكرم ضياء العمري : "ما استند إليه رويسون غير صحيح فإن تقدير عمر محمد بن سيرين للإفادة منه في تفسير كلامه لا يمكن الاعتماد عليه فابن سيرين قد يتكلم عن أحداث بعيدة عن عصره معتمداً على دراسته لتاريخ الحديث الذي عنى به كثيراً"<sup>(٦)</sup>.

والذي يؤكد هذا الرأي قول عبد الله بن عباس وهو من صغار الصحابة<sup>(٧)</sup>، لما جاءه بشير بن كعب العدوي فجعل يحدث ويقول : "قال رسول الله ﷺ فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال : يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع! فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول قال : رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"<sup>(٨)</sup>.

(١) الفكر المنهجي عند المحدثين ص ٥٩ .

(٢) مسلم (بشرح النووي) في المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين ١ / ١١٩ .

(٣) الترمذي في كتاب العلل بآخر السنن ٥ / ٦٩٥ .

(٤) الدارمي في المقدمة، باب في الحديث عن الثقات ١ / ١٢٣ رقم ٤١٦ .

(٥) الفكر المنهجي عند المحدثين ص ٥٩ .

(٦) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٥ - ٥٢ .

(٧) ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفي الرسول ، وقيل ابن خمس عشرة سنة .

انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٣ / ٩٣٣ رقم ١٥٨٨ .

(٨) سبق تخريجه ١ / ٣٣٤ .

فكانه ﷺ أراد أن يقول : إنه لما دخل في هذا الأمر من هم ليسوا من أهله، صار الإعراض عن سماعهم، والنظر فيه أولى، فكان بذلك الإذن في التحرج من قبول مطلق الأخبار مجردة من أسانيدها" (١).

ثم إن الفتنة إذا أطلقت فهي الفتنة الكبرى التي عصفت بالخلافة الراشدة . وإذا قيل: الفتنة بالتعريف (بأل) التي هي للعهد، فهي الفتنة المعهودة التي لا يجهلها أحد (٢) .

والحق -الذى لا مرأى فيه- أن اشتراط السند، والبحث عن الإسناد، بدأ مع زمن النبوة المباركة .

وفي ذلك يقول الحاكم : "طلب الإسناد العالي سنة صحيحة" ثم ذكر حديث أنس ابن مالك في مجي الأعرابي (٣) وقوله : "يا محمد أتانا رسولك فزعم كذا ... الحديث" (٤) . فقد استنبط الحاكم من هذا الحديث أصل طلب الإسناد والعلو فيه؛ لأنه سمع أركان الإسلام من رسول الله ﷺ، وآمن وصدق، ولكنه أراد أن يسمع ذلك من رسول الله ﷺ مشافهة (٥) .

ولو كان طلب الإسناد والعلو فيه غير مستحب لأنكر عليه المصطفى ﷺ سؤاله إياه عما أخبره رسوله عنه ولأمره بالاعتصار على ما أخبره الرسول عنه (٦) .

واستمر طلب الإسناد والبحث عنه مع زمان الصحابة، ودليل ذلك سؤال عمر رضي الله عنه أبا موسى الأشعري -وغيره (٧)- أن يأتوا بشاهد على صحة ما رويوا من الأحاديث . وهذا طلب أشد من عموم السند، إذ هو طلب لإثبات نسبة الكلام إلى النبي ﷺ،

(١) ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٦٥ .

(٢) الفكر المنهجي عند المحدثين ص ٥٩ .

(٣) هو الصحابي الجليل ضمام بن ثعلبة كما جاء صريحاً في رواية أنس عند الحاكم في المستدرک کتاب المغازی والسير ٣/ ٥٥، ٥٦ رقم ٤٨٣٠ وقال : صحيح ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ ١/ ١٧٩ رقم ٦٣، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام ١/ ٢٠١ رقم ١٢ .

(٥) فتح الباري ١/ ١٨٣ رقم ٦٣، وانظر : تدريب الراوي ٢/ ١٦٠، ١٦١ .

(٦) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٦ بتصرف يسير .

(٧) انظر : المصدر السابق ص ١٤، ١٥، وانظر : ما ساقه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ٧ على رحلة غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم، في طلب الإسناد، وانظر : تدريب الراوي ٢/ ١٦٠، ١٦١، والسنة المطهرة والتحديات للدكتور نور الدين عتر ص ٣٦، ٣٧ .

وكلام ابن سيرين دليل لهذا التقدم في طلب الإسناد<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت بداية الإسناد متواضعة في حياة النبي ﷺ، وفي حياة الصحابة للبعد عن الكذب، إلى زمن الفتنة، فإن هذا العلم اشتد الأخذ به بعد الفتنة، حتى ما قارب القرن الأول نهايته، حتى بلغ علم الإسناد مبلغاً عظيماً<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

أما ما زعمه بعض دعاة الفتنة، وأدعياء العلم من المستشرقين، ومن قال بقولهم، من أن الأسانيد اخترعت من قبل الضعفاء والكذابين، وركبت على المتون المختلفة، وإيهامهم بأن ذلك التمس على المحدثين.

ف نقول نعم : اخترعت الأسانيد وركبت عليها المتون المختلفة ولكن هذا لم يخفى على جهازة المحدثين وأئمة الجرح والتعديل - فلقد تنبهوا إلى هذا قبل أن يدعى أدعياء العلم بأكثر من ألف سنة، ولم يخف عليهم ذلك، كما يحاول الإيهام بذلك أهل الزيغ والهوى.

ولذلك نجد علماء الحديث كما سبق وأن قلنا - يقررون عدم التلازم بين صحة السند وصحة المتن، وينبهون على الكذابين المخلقين للأسانيد.

وفى ذلك يقول ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) وهو يبين أصناف الوضاعين.

**القسم الرابع :** قوم استجازوا وضع الأسانيد لكل كلام حسن، ومن هؤلاء محمد ابن سعيد<sup>(٣)</sup> القائل : "لا بأس إذا كان كلاماً حسناً أن نضع له إسناداً"<sup>(٤)</sup>. وفى ذلك أيضاً يقول ابن عراق فى كتابه<sup>(٥)</sup> (تنزيه الشريعة) وهو يبين أصناف الوضاعين.

**الصنف السادس :** "قوم حملهم الشره وحببة الظهور على الوضع، فجعل بعضهم

(١) الفكر المنهجي عند المحدثين ص ٦٠ .

(٢) دراسات فى الحديث النبوى للدكتور الأعظمى ٣٩٢/ ٢ بتصرف، وللمزيد من الرد على هذه الشبهة انظر : المصدر نفسه ٣٩٧/ ٢ - ٤٣٣ .

(٣) هو : محمد بن سعيد بن حسان بن قيس الأسدى، الشامي المصلوب، ويقال له : ابن أبى عتبة، أو ابن أبى قيس، أو ابن الطبرى، وقيل إنهم قبلوا اسمه على مائة وجه ليخفى، كذبوه، وقال أحمد : قتله المنصور على الزندقة . له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٧٩/ ٢ رقم ٥٩٢٦، والكشاف ١٧٤/ ٢ رقم ٤٨٧١، والجروحين لابن حبان ٢ / ٢٤٧، والضعفاء والمتروكين للنسائى ص ٢١٣ رقم ٥٤٣، والجرح والتعديل ٧ / ٢٦٢ رقم ١٤٣٦، ولسان الميزان ١٠٥/ ٩ رقم ١٤٢٢٥ .

(٤) الموضوعات لابن الجوزي ١ / ٤١، ٤٢ .

(٥) ابن عراق هو أبو الحسن، سعد الدين على بن محمد بن على بن عراق، الكشاني الدمشقي، له مؤلفات نافعة من أهمها كتابة تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، مات سنة ٩٦٣هـ . له ترجمة فى : شذرات الذهب ٨/ ٣٢٧، والرسالة المستطرفة ص ١٥٠، والإعلام ١٢/ ٥ .

لذى الإسناد الضعيف إسناداً صحيحاً مشهوراً، وجعل بعضهم للحديث إسناداً غير  
إسناده المشهور ليستغرب ويطلب .

قال الحاكم أبو عبد الله : ومن هؤلاء إبراهيم بن اليسع، وهو ابن أبي دحية كان  
يحدث عن جعفر الصادق، وهشام بن عروة، فركب حديث هذا، على حديث ذاك،  
لتستغرب تلك الأحاديث بتلك الأسانيد، قال : ومنهم حماد بن عمرو النصيبى،  
وبهلول بن عبيد، وأصرم بن حوشب .

قال الحافظ ابن حجر : وهذا داخل فى قسم المقلوب، ... وقال الأستاذ  
الإسفرائينى : "إن : من قلب الإسناد ليستغرب حديثه، ويرغب فيه، يصير دجالاً  
كذاباً تسقط به جميع أحاديثه، وإن رواها على وجهها" (١) .

وفى حديث: "إن الله ﻻ يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة، ويتجلى لك خاصة يا  
أبا بكر"

يقول الحافظ الخطيب : "لا أصل له وضعه محمد بن عبد سندا، ومتناً" (٢) .  
وكذلك تنبه جهابذة المحدثين إلى الأسانيد العائلية وانتقدوها كثيراً، ولم يغفلوا  
عنها، كما زعم "رويسون" وغيره، بل قبلوا منها ما يستحق القبول، ورفضوا منها ما  
يستحق الترك والرفض، وكانوا منصفين فى حكمهم، فأعطوا كل ذى حق حقه،  
وأصلوا فى ذلك علماً يعرف بـ "رواية الآباء عن الأبناء وعكسه" (٣) .

فمن أمثلة ما قبلوه على الراجح : سند عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وبهز  
بن حكيم، عن أبيه، عن جده (٤) .

ومن أمثلة ما ردوه : سند كثير بن عبد الله بن عمرو، عن أبيه، عن جده (٥)،  
وسند موسى بن مطير، عن أبيه (٦)، وغيرهم كثير ممن امتثلت بهم كتب المجروحين  
والمزركين، مما يبين أن علماء الحديث لم يغفلوا عنهم كما يزعم دعاة الفتنة وأدعياء  
العلم .

(١) انظر : تنزيه الشريعة ١/ ١٥، والموضوعات ١/ ٤١ - ٤٣ .

(٢) انظر : اللآلئ المصنوعة ١/ ٢٦٣، والموضوعات ١/ ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٣) صنف فيه غير واحد من المحدثين منهم ابن أبى خيثمة، والمزرى، وغيرهم، ومن أجمع المصنفات فيه ما صنفه  
الحافظ العلامى فى كتابه "الوشى المعلم فىمن روى عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ" .

(٤) انظر : تدريب الراوى ٢/ ٢٥٧-٢٥٩، وفتح المغيث للسرخاوى ٣/ ١٥٤ - ١٥٦، وفتح المغيث للعراقى  
ص ٣٨١-٣٨٣، والباعث الخئبث ١٧١-١٧٣، ومعرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للذهبى ص ٧٦  
رقم ٥٥، وسؤالات مسعود بن على السجزي للحاكم ص ١٤٧ رقم ١٥٠ .

(٥) انظر : المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٢١ - ٢٢٢، وميزان الاعتدال للذهبى ٣/ ٤٠٦ .

(٦) انظر : المجروحين ٢/ ٢٤٢، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٢٣ وإن شئت مزيد من الرد انظر : دراسات فى الحديث

النبوى للدكتور الأعظمى ٢/ ٤٣٥ - ٤٣٦ .

## المبحث الثانى أهمية الإسناد فى الدين واختصاص الأمة الإسلامية به عن سائر الأمم

الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص الأمة الإسلامية، لم يؤتها أحد من الأمم قبلها، وبه حفظ الدين من عبث العابثين، فكان الدعائم التى حفظ بها الدين قرآناً وسنة، ولذلك كان جزءاً من الدين، فهو الطرق التى أوصلت لنا الأخبار والآثار، صحيحة لا تشوبها شائبة .

وقد تكاثرت فى بيان شأن الإسناد، وأهميته، وفضله، كلمات العلماء، وتعددت وتنوعت أقوالهم فى تعظيم أمره .

ومن خيرها وأدقها تشخيصاً لموقع الإسناد كلمة الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله قال: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، فإذا قيل له من حدثك؟ بقى <sup>(١)</sup> أى بقى حيران ساكناً، وقال أيضاً: "بيننا وبين القوم -أى المتدعة والكذبة- القوائم يعنى الإسناد" <sup>(٢)</sup> .

وقال سفيان الثورى: "الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شيء يقاتل؟" <sup>(٣)</sup> .

وقال الإمام الشافعى: "مثل الذى يطلب الحديث بلا سند كمثل حاطب ليل" <sup>(٤)</sup> وسبق قول ابن حزم: "نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبى ﷺ مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل، أما مع الإرسال والإعصال ... والنقل بالطريق المشتملة على كذاب، أو مجهول الحال فكثير من نقل اليهود والنصارى..." <sup>(٥)</sup> .

لكل ما سبق اهتم المسلمون بالإسناد "وقد نشأ عن اهتمامهم به ووضوح أهميته

---

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) فى المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين ١ / ١٢٠، والترمذى فى كتاب العلل الملحق بآخر السنن ٥ / ٦٩٥ واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووى) للمقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين ١ / ١٢٠ .

(٣) أخرجه ابن حبان فى المحروحين ١ / ٢٧، والخطيب فى شرف أصحاب الحديث ٨٨ رقم ٧٦ .

(٤) ذكره الزرقانى فى شرح المواهب اللدنية ٥ / ٤٥٣، والمنائى فى فيض القدير ١ / ٤٣٣ .

(٥) الفصل فى الملل والنحل ٢ / ٨١ - ٨٤ بتصرف، وانظر: تدريب الراوى ٢ / ١٥٩، ولزبد من معرفة فضل الإسناد انظر: فتح المغيث للسجواى ٣ / ٥-٧، وتدريب الراوى ٢ / ١٥٩، ١٦٠، ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٦، والأجوبة الفاضلة للكنزى ص ٢١، ٢٢ .

فى تلقى المنقول : أن اشترط "الإسناد" فى تلقى سائر العلوم الإسلامية، كالتفسير، والفقه، والتاريخ، والرجال، والأنساب، واللغة، والنحو، والأدب، والشعر، والحكايات، حتى دخل فى سياق الكلمة الواحدة من أخبار الحمقى والمغفلين، وأخبار المضحكين...، كما دخل فى سياق الكلمة الواحدة فى التفسير، كما تراه فى "تفسير الإمام ابن جرير الطبرى" وكما تراه فى كتاب الخطيب البغدادى : "التطفيل وحكايات الطفيليين" و"البخلاء" وكتب ابن الجوزى : "أخبار الحمقى والمغفلين"، و"أخبار الأذكياء"، و"ذم الهوى"، و"اللقط فى حكايات الصالحين"، فتراه فى هذه الكتب يسوق سنداً طوله ثلاثة أسطر أو أكثر، من أجل نقل جملة صغيرة أو كلمة واحدة عن قائلها<sup>(١)</sup>.

"ومن علامات الاهتمام بالإسناد، وأماراته تلك التصانيف الضخمة التى ألقت فى الرجال، فنشأ بذلك علم مستقل من علوم الحديث، وهو علم الرجال، وهذا علم واسع تقطع فيه الأنفاس، فمنه كتب معرفة الصحابة، وكتب الطبقات، وكتب الجرح والتعديل، وكتب الأسماء والكنى والألقاب، وكتب المؤلف والمختلف، وكتب المتفق والمفترق والمتشابه، وكتب الوفيات، وهى فى مجموعها تدل دلالة عظيمة على الجهد المبذول فى نقد الأخبار، وليس الأمر كما يتوهم الكثيرون ممن لا علم لهم بهذا الأمر"<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

ومن علامات الاهتمام بالإسناد "علم الجرح والتعديل" وهو كسائر علوم الحديث مما تفردت به الأمة الإسلامية عن سائر الأمم، وتميزت بتأسيسه، وإنشائه، والتفنن فيه، وقد أداها إلى إبداعه : الحفاظ على سنة المصطفى ﷺ من القول والدخيل، والمكافحة للدجالين والمشعوذين والخراصين، فكان هو من أكبر النتائج النافعة التى تولدت عن تلك الحملة الصارعة على السنة المطهرة.

قَصِدَتْ مَسَائِى فَاَجْتَلَيْتَ مَسَرَّتِى \*\*\* وَقَدْ يُحَسِّنُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ لَا يَذَرِى  
فنشأ هذا العلم من عهد النبوة المباركة برعماً لطيفاً، ثم نما وازداد، وقوى واشتد فى القرن الأول، والثانى، وامتد واتسع وبدأ يتكامل فى القرن الثالث، والرابع، وهكذا

(١) لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبدالفتاح أبو غدة ص ١٤٣، ١٤٤ بتصرف يسير.

(٢) ضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير ص ٧١، ٧٢، وانظر: من نفس المصدر ص ٢١٢ وما بعدها.

حتى اكتمل في القرن التاسع من الهجرة الشريفة، فكثرت فيه الكتب، وتنوعت فيه المؤلفات، ثم درست فيه في عصرنا بعض المسائل والجزئيات والشخصيات دراسة خاصة، فقارب التُّضج والاحتراق، وإن كان هذا العلم ليس له غاية ولا نهاية.

وبهذا العلم العظيم الذي لم تكن فيه محابة لأحد مهما كان لا أباً، ولا ابناً، ولا أخاً، ولا صديقاً، ولا أستاذاً، تمكّن السلف والخلف من كشف العلل في كل علم منقول حديثاً نبوياً، أو كلاماً عادياً، أو شعراً أو نثراً أدبياً، أو تاريخاً شخصياً أو سياسياً... فكان هذا العلم مجهرًا صادقاً، ونظارة صافية، تعزل للناظر بها: الصحيح عن القريح، وتميز له الزين من الشين، والصدق من الكذب، وتزن له المحامد والمثالب، بالقسطاس المستقيم<sup>(١)</sup> أ. هـ.

وإذا كانوا قديماً قالوا: الحق ما شهد به الأعداء فلننظر إلى ما قاله المستشرق شيرنجر" في مقدمته الإنجليزية على كتاب الإصابة في أحوال الصحابة لابن حجر، قال: "لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا يوجد الآن أمة من الأمم المعاصرة، أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر، الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشئونهم"<sup>(٢)</sup> أ. هـ.

ويقول الأستاذ محمد أسد عن علوم الحديث: "إنه علم تام الفروع على أشد ما يمكن أن يكون من الدقة، غايته الوحيدة البحث في معاني أحاديث الرسول ﷺ، وشكلها وطريقة روايتها"<sup>(٣)</sup> أ. هـ.

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

(١) لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص ١٨٩ بتصرف يسير.

(٢) نقلاً عن الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي ص ٦٢، وانظر شهادة الدكتور مورييس بوكاي في دراسة الكتب المقدسة ص ٢٩٠، رغم أنه لم يدافع عن السنة بل كان متحاملاً عليها ومخالفها لها، كما سبق بيانه في موقفنا من الحركة الاستشراقية.

(٣) الإسلام على مفترق الطرق ص ٩٢ - ٩٣ بتقديم وتأخير.

## الفصل الخامس

وسيلتهم في الطعن والتشكيك في كتب السنة المطهرة

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : أساليب أعداء السنة في الطعن في المصادر الحديثية .

المبحث الثاني : الجواب عن زعم أعداء السنة أن استدراكات الأئمة على الصحيحين

دليل على عدم صحتها .



## المبحث الأول أساليب أعداء السنة في الطعن في المصادر الحديثية

من وسائل أعداء السنة - أعداء الإسلام - في الطعن في حجية السنة المطهرة طعنهم في المصنفات الحديثية، وأساليبهم في ذلك كثيرة ومكررة فكما طعنوا في عدالة الصحابة عموماً وخصوصاً بالطعن رموزهم من الخلفاء الراشدين، وأكثرهم رواية أبو هريرة رضي الله عنه وطعنوا في عدالة أئمة المسلمين من الفقهاء والمحدثين وطعنوا في رموزهم، كابن شهاب الزهري أشهر راوي في التابعين وأكثرهم حديثاً<sup>(١)</sup>، كما طعنوا في الأئمة الأربعة وغيرهم من حفاظ الإسلام وأئمة الدين، إذ يفقدان الثقة بهم تفقد بغيرهم من باب أولى . وهكذا هم هنا يسلكون نفس الأسلوب في طعنهم في كتب السنة :

- ١ - فتارة يوجهون سهامهم المسمومة إلى كتب السنة عموماً طعناً وسخرية . يقول إسماعيل منصور : "يجب أن تعرف الأمة في جميع بقاع الأرض بحقيقة كتب الحديث والسنة عند جميع فرق المسلمين وهي أنها أقوال ظنية منسوبة إلى رواة ينسبونهم بدورهم إلى رسول الله وليست هي أقواله صلى الله عليه وسلم بالضرورة"<sup>(٢)</sup> . ويسخرون من كتب السنة المطهرة بوصفها بـ "كتب صفراء"<sup>(٣)</sup>، و"طراش ديني"<sup>(٤)</sup>، و"زبالة"<sup>(٥)</sup> .
- ٢ - وتارة يشككون في كتب الأصول الستة، وفي كتب السنن، والمسانيد، والمعاجم، والمصنفات، وغير ذلك بحجة أن في تلك المصنفات الحديثية الصحيح، والحسن، والضعيف، والمنكر والمتروك ...<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر : دفاع الدكتور السباعي عنه في السنة ومكانتها ص ٢٠٦ - ٢٢٦ .

(٢) تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٤٣٢ ، ٦٥٨ .

(٣) انظر : دراسات معمّدية لجولدتسيهر ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ ص ٥٦٧ ، والمسلم العاصي لأحمد صبحي منصور ص ٢٩ وانظر له أيضاً الصلاة في القرآن ص ٦٣ ، وانظر : إنذار من السماء لنيلازي عر الدين ص ٦٧٧ .

(٤) قالها أحمد صبحي منصور انظر : جريدة آفاق عربية عدد ربيع الآخر لسنة ١٤١٨ هـ .

(٥) سمعت هذا منه في نقلة بدار ابن خلدون بالدراسات الإنشائية بالمقطم - عليه من الله ما يستحق - .

(٦) انظر : أضواء على السنة لمحمود أبو ربه ص ٣١٧ - ٣٣٠ .

هكذا يطلقون الكلام والحكم على عوانه إيهاماً للقارئ بأن ذلك موجود في المصنفات الحديثية بدون تمييز أو حكم للأئمة عليها .

٣- وتارة يشككون في أصح المصنفات الحديثية، ويركزون هجومهم عليها إذ بسقوطها واهتزاز الثقة بها تهتز الثقة ببقية كتب السنة من باب أولى . وبذلك يصرحون .

قال عبد الجواد ياسين : "ولأن البخارى ومسلم يجبان ما دونهما من الكتب في مفهوم أهل السنة فسوف نحاول التركيز على مروياتهما في هذا الصدد" (١) .

وهو ما قاله محمود أبو ريه وهو يتكلم عن مسند أحمد ظعنأ فيه قال : "على أننا قد رأينا أن نتكلم عن مسند أحمد الذى هو أشهرها لنين للمسلمين حقيقته، ونكشف عن درجته بين كتب الحديث ليقاس عليها درجة سائر المسانيد ويفيننا ذلك عن الكلام في غيره" (٢) .

ويهمنا هنا من الوسائل السابقة فى طعنهم فى كتب الحديث ما يحرصون عليه دائماً وأبداً من التشكيك والطعن فى أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ صحيحى البخارى ومسلم، ولا يخرج طعنهم فيهما عن مسلكين :

أولهما : استدلالهم على عدم صحتهما بأحاديث تخالف فى فكرهم المريض ظاهر القرآن، أو العقل، أو العلم، أو كما يزعمون تطعن فى سيرة الرسول ﷺ أو توافق ما فى التوراة والإنجيل مما يدل فى نظرهم أنها إسرائيلية (٣) . وغير ذلك من القواعد

(١) السلطة فى الإسلام ص ٢٩٢، وانظر : دين السلطان ص ١٠٣ - ١١٣ .

(٢) أضواء على السنة ص ٢٢٣، وانظر : فى الرد عليه كتاب الحافظ ابن حجر "القول المسدد فى الذب عن المسند" .

(٣) أضواء على السنة ص ٢٩٩-٣١٦، وانظر : الأضواء القرآنية فى اكساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخارى منها للسيد صالح أبو بكر ٢/ ١٢٣، وفجر الإسلام ٢١٨، وضحي الإسلام ١/ ٣٤٠، ٢/ ١٢٢، ١٣٠ - ١٣٢، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي لأحمد حجازى السقا ص ٢٤، ٣١، والبيان بالقرآن ١/ ١٠ وما بعدها، والصلاة فى القرآن ص ٦٣، ولماذا القرآن ص ٨٠-١٥٤، والقرآن والحديث والإسلام ص ٤٠، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص ١٢٤، ١٢٧، ٢٤٧، ٤٣٢، ٦٥٨، والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص ٢٨، ٢٣٧، والسلطة فى الإسلام ٢٩٢-٣٤٨، والإسلام بدون حجاب ص ٢٥-٣٠، وتأملات فى الحديث عند السنة والشيعة ص ٢٢٤-٢٢٥، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٢٣ وما بعدها، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٣٤-٣٢٦، وحوار ومناقشة كتاب عائشة أم المؤمنين لهشام آل قطيط ص ١٧ فى الهامش، وهناك عزا إلى مراجع أخرى شيعية، ودين السلطان لنيازي عز الدين، وهو من أكبر الكتب التى تناولت الطعن فى الصحيحين بهذا المسلك، والكتاب يقرب من ألف صفحة، وانظر له أيضا : إنذار من السماء ص ٦٩٦، ٧١٣ .

التي سلكوها للحكم على الحديث بالصحة وسبق بيان بطلانها<sup>(١)</sup> وسيأتى فى الباب الثالث نماذج من هذه الأحاديث والرد عليها.

ثانيهما : استدلالهم باستدراكات الأئمة على الصحيحين بأنها دليل على عدم صحتها.

يقول جولدتسيهر : "إنه من الخطأ اعتقاد أن مكانة هذين الكتابين مردها لعدم التشكيك فى أحاديثهما أو نتيجة لتحقيق علمى. وسلطان هذين الكتابين يرجع لأساس شعبى لا صلة له بالتدقيق الحر للنصوص، وهذا الأساس هو إجماع الأمة، وتلقى الأمة لهما بالقبول يرفعهما إلى أعلى المراتب، وبالرغم من أن نقد هذين الكتابين غير لائق وغير مسموح به، وبرغم التقدير العام للصحيحين فى الإسلام صنف الدارقطنى (ت ٣٨٥هـ) كتابه "الاستدراكات والتبعية" فى تصنيف مائتى حديث مشتركة بينهما"<sup>(٢)</sup> أ. هـ.

وهذه الاستدراكات من بعض الأئمة على الصحيحين اتكأ عليها جولدتسيهر، وغيره وهم يطعنون فى الصحيحين ومكانتهما، ولا حجة لهم فى ذلك، لما يلى فى المبحث الثانى.

---

(١) راجع : إن شئت / ١ - ٢٢٠ - ٢٦١ ، ٢ / ٤٠ - ٥٧ .

(٢) دراسات محمدية ص ٢٣٦ نقلاً عن ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٣٩٢، ومن قال به جمال البنا فى السنة ودورها فى الفقه الجديد ص ٢٥ ، ١٣١ ، ١٥٩ وغيرهم ممن سبق ذكرهم .

## المبحث الثاني الجواب عن زعم أعداء السنة أن استدراكات الأئمة على الصحيحين دليل على عدم صحتها

إن صحيحى البخارى ومسلم لم يؤخذا قضية مسلمة أبعدت عنهما بحث النقاد وتوثيقهم لهما، وإنما الذى حدث هو العكس فقد درس الأئمة كلاً من الكتابين سنداً ومتناً، وعرضوهما على أدق المقاييس النقدية الصحيحة التى التزمها صاحبها الصحيحين فى كتابيهما، فنظر الأئمة فيما اشترطه كل منهما هل وفى به أم أخلا؟

فكانت النتيجة أن "استدرك جماعة من الحفاظ على البخارى ومسلم عدة أحاديث رأوا أنها أخلا فيهما بشرطهما، وأنهما لا تبلغ فى صحتها مبلغ ما غلب عليهما إخراجها، وتكلموا فى هذه الأحاديث من جهة أسانيدها، ومن جهة متونها، ولا يصل استدراكهم أو تكلمهم فى هذه الأحاديث إلى حد النزول بها إلى درجة الوضع، بل ولا حتى إلى درجة الضعف الذى لا يحتمل. غاية ما هناك أنهم رأوا قصورها عن درجة ما دأب عليه الشيخان وما التزمه من إخراج أصح الصحيح" (١).

يدل على ذلك ما قاله الحافظ العقيلي: "لما صنف البخارى كتاب الصحيح عرضه على ابن المدينى، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم؛ فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة، إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة (٢)".

قال الإمام النووى: "قد استدرك جماعة على البخارى ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ما التزمه، ... وقد ألف الإمام الحافظ الدارقطنى فى بيان ذلك كتابه المسمى بالاستدراكات والتتبع، وذلك فى مائتى حديث مما فى الكتابين، ولأبى مسعود الدمشقى أيضاً عليهما استدراك، ولأبى الغسانى الجيانى فى كتابه تقييد المهمل فى جزء العلل منه، استدراك أكثره على الرواة عنهما، وفيه ما يلزمهما، وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره (٣)".

(١) انظر: الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد محرم ٢ / ٢٢٢ .

(٢) هدى السارى ص ٩، ٥١٤ .

(٣) انظر: صحيح مسلم (بشرح النووى) مقدمة الشارح، فصل فى الأحاديث المستدركة على البخارى ومسلم ٤٩ / ١ .

وإذا كان الإمام النووى فى شرحه على مسلم دفع ما أورد على الإمام مسلم، فقد جاء بعده الإمام الحافظ ابن حجر وتبع المواضع المتقدمة على البخارى تفصيلاً فأجاد فى ذلك فى مقدمته "هدى السارى" مقدمة فتح البارى.

والتى يقول العلماء فى شأنها : أنها لو كتبت بماء الذهب ما استوفيت حقها . ففيها فضلاً عن الرد على الطعون التى وجهت إلى صحيح البخارى، مجموعة من الفصول الهامة تتعلق بدراسة الصحيح، وصاحبه، وتراجمه، ومناسباته وغير ذلك من المباحث الهامة المتعلقة بالصحيح .

وقد مكث ابن حجر فى كتابتها أربع سنوات تقريباً، فهدى بها فعلاً كل من يريد أن يدرس صحيح الإمام البخارى . ويعرف مكانته بين كتب السنة حيث هو على رأسها .

والإمام ابن حجر فى هدى السارى لم يدافع عن صحيح الإمام البخارى فقط . وإنما دافع عن الصحيحين معاً إجمالاً فقال :

"والجواب عنه على سبيل الإجمال أن نقول : لا ريب فى تقديم البخارى ومسلم على أهل عصرهما، ومن بعده من أئمة هذا الفن فى معرفة الصحيح والمعلل؛ فإنهم لا يختلفون فى أن على بن المدينى كان أعلم أقرانه بعلم الحديث وعنه أخذ البخارى ذلك حتى كان يقول : ما استصغرت نفسى عند أحد إلا عند على بن المدينى، ومع ذلك فكان على بن المدينى إذا بلغه ذلك عن البخارى يقول : دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه، وكان محمد بن يحيى الذهلى أعلم أهل عصره بعلم حديث الزهرى وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعاً. وروى الفربرى عن البخارى قال : "ما أدخلت فى الصحيح حديثاً إلا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته .

وقال مكى بن عبد الله سمعت مسلم بن الحجاج يقول : عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته .

فإذا عرف أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له، أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما، فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضاً لتصحيحهما، ولا ريب فى تقديمهما فى ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة<sup>(١)</sup> .

(١) هدى السارى ص ٣٦٤، ٣٦٥ .

ثم ذكر الحافظ - رحمه الله - المواضع المنتقدة وأجاب عنها من حيث التفصيل وأجاد في ذلك<sup>(١)</sup>. وظهر له أن أكثر المواضع المنتقدة الجواب فيها قوى، وأن النادر اليسير هو ما تكلف فيه الجواب<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا قال الأستاذ الدكتور أبو شهبه - رحمه الله - : "ولعل من هذه الأحاديث التي وقع فيها التكلف في الجواب والحق فيها مع الناقد "المنصف" حديث "شريك بن أبي نمر عن أنس في الإسراء" وهو حديث طويل، فقد خالف فيه شريك أصحاب أنس في إسناده ومنتنه بالتقديم والتأخير، وزيادته المنكرة وأشد أوهامه قوله - شريك - : "إن الإسراء كان قبل أن يوحى إليه"<sup>(٣)</sup>، وقد أنكرها الخطابي، وابن حزم، وعبد الحق، والقاضي عياض، والنووي وغيرهم، واعتبروا ذلك غلطاً من شريك، وشريك ليس بمتهم بالكذب، وقصارى أمره أنه غلط والتبس عليه الأمر<sup>(٤)</sup>.

ومما يعتذر به عن البخاري، ويجعل النقد ليس ذا أثر أن البخاري أخرج الروايات الصحيحة في الإسراء<sup>(٥)</sup>، وهو بصنيعة هذا ينبهنا من طرف خفي لا يخفى على اللبيب ما في رواية شريك من الأغلاط. فله در البخاري فكم له من إشارات وتلميحات<sup>(٦)</sup>.

يقول الدكتور رفعت فوزي وهو يدفع الطعون التي وجهت إلى أحاديث الإسراء والمعراج : "وأنه مما يستفاد في نقد هذه الرواية، النقد العلمي البناء الذي يحرص على

(١) المصدر السابق ص ٢٦٦، ٣٦٤-٤٠٢، وانظر : تدريب الراوي ١/ ١٣٥-١٤٠ .

(٢) انظر : هدى الساري ص ٣٦٦، ٤٠٢ .

(٣) انظر : صحيح البخاري بشرح (فتح الباري) كتاب التوحيد، باب قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ١٣/ ٤٨٦، رقم ٧٥١٧ وأشار إليه مسلم في صحيحه (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وغرض الصلوات ٤٨٨/ ١ رقم ١٦٢ .

(٤) انظر دفاع ابن حجر عنه في فتح الباري ١٣/ ٤٩٤، رقم ٧٥١٧، وانظر : في ترجمته : تقريب التهذيب ١/ ٤١٨ رقم ٢٧٩٦، والثقات للعجلي ص ٢١٧ رقم ٦٦٣، والثقات لابن حبان ٤/ ٣٦٠، والكاشف ١/ ٤٨٥، رقم ٢٢٧٧، ومعرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للذهبي ص ١١٦ رقم ١٥٥ .

(٥) الحديث أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن من صحيحه منها كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٦/ ٣٤٨، رقم ٣٢٠٧، وكتاب مناقب الأنصار، باب المعراج ٧/ ٢٤١، رقم ٣٨٨٧ .

(٦) أعلام المحدثين ص ١٤٠، ١٤١، وانظر : في رحاب السنة الكتب الصحاح الستة ص ٧١، وانظر : فتح الباري ١٣/ ٤٨٨، ٤٨٩، رقم ٧٥١٧، وانظر دفاع الدكتور رفعت فوزي في كتابه "أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية" ورده على السيد صالح أبو بكر وغيره ممن حاولوا إنكار السنة جميعها من خلال الهجوم على أحاديث الإسراء والمعراج، وانظر : الإيهاج في أحاديث المعراج للإمام ابن دحية تحقيق الدكتور رفعت فوزي، وانظر : الإسراء والمعراج للدكتور أبو شهبه .

جلاء الحقيقة دون اعتبار لمكانة البخارى ومكانة كتابه، كما يتجلى كذلك أن نقادنا قديماً وحديثاً، لم يغفلوا - كما زعم بعض الجاهلين - تناول متن الحديث بالنقد والتمحيص، وعرضه على القرآن الكريم، وعلى السنة الصحيحة، حتى ينفوا عنه الدخيل والموضوع" (١).

### الجواب عن تكلم فيه من رجال الصحيحين :

فى الصحيحين جماعة جرحهم بعض المتقدمين، وبلغ عدد من تكلم فيه من رجال البخارى ثمانون، ومسلم مائة وستون رجلاً (٢)، منهم عكرمة مولى ابن عباس، وعمرو بن مرزوق وسويد بن سعيد وغيرهم (٣).

قد اتخذ أعداء السنة - أعداء الإسلام - من تكلم فيه من رجال البخارى ومسلم مدخلاً للطعن والتشكيك فى مكانة الصحيحين (٤).

ولا حجة لهم فى ذلك؛ لأن من تكلم فيهم من رجال الصحيحين ليس مجتمعاً على جرحهم غاية أمرهم : أنه جرحهم وقدح فيهم جماعة بينما عدلهم ومدحهم آخرون، فيكون قد ترجح عند صاحب الصحيح تعديلهم على الأقل فيما أخرجه من حديثهم، وربما أخرج لهم فى المتابعات والشواهد، وإن أخرج لهم فى الأصول فمقصوده أنهم شاركوا غيرهم من الثقات الأثبات؛ فالصحة حاصلة برواية الجميع" (٥).

قال الحافظ ابن حجر : "ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راوٍ كان مقتضياً لعدالته عنده، وصحة ضبطه، وعدم غفلته، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه فى الصحيح؛ فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيها .

هذا إذا خرج له فى الأصول، فأما إن خرج له فى المتابعات، والشواهد، والتعليق، فهذا بتفاوت درجات من أخرج له منهم فى الضبط وغيره، مع حصول اسم الصدق

(١) أحاديث الاسراء والمعراج دراسة توثيقية للدكتور رفعت فوزى ص ٩١، ٩٢ بتصرف .

(٢) انظر : هدى السارى ص ١٣ .

(٣) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٤١ - ١٤٢، وانظر : تدريب الراوى ١ / ٣٠٥ وفتح المغيث للسخاوى ١ / ٣٣٤ .

(٤) انظر : حد الردة لأحمد صبحى منصور ص ٨٥ - ٨٧ .

(٥) الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين لفَضيلة الأستاذ الدكتور أحمد محمد ٢ / ٢٢٩ .

لهم، وحيث إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعناً فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام، فلا يقبل إلا مبين السبب مفسراً بقادح يقدر في عدالة هذا الراوى وفي ضبطه مطلقاً أو في ضبطه لخبر بعينه؛ لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدر، ومنها ما لا يقدر.

وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول في الرجل الذى يخرج عنه فى الصحيح، هذا جاز القنطرة؛ يعنى بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه، قال الشيخ أبو الفتح القشيرى فى مختصره وهكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه، إلا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد فى غلبة الظن على المعنى الذى قدمناه، من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما<sup>(١)</sup> أ. هـ.

وقصارى القول وحماذاه أن صاحب الصحيح أعرف بما رواه، وليس التكلم فى بعض الرواة بمقدم على توثيق صاحب الصحيح لهم، ولو سلم جرح كل جارح وقبل على إطلاقه ما قبل خبر ولا روى أثر. فأين ذاك الذى سلم من الطعن؟ ومتى كان الطعن مستنداً إلى حجة؟<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: "واعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن فى جماعة بسبب اختلافهم فى العقائد فينبغى التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق، وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا فى أمر الدنيا فضعفهم لذلك، ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط"<sup>(٣)</sup> أ. هـ.

ومن كل ما سبق يظهر فساد ادعاء جولدتسيهر ومن قال بقوله "إن سلطان هذين الكتابين يرجع لأساس شعبى لا صلة له بالتدقيق الحر للنصوص، وهذا الأساس هو إجماع الأمة، وتلقى الأمة لهما بالقبول يرفعهما إلى أعلى المراتب".

فهذا الكلام فاسد من أساسه، بما سبق بيانه من دراسة الأئمة لكل من الكتابين سنداً ومتناً، وعرضهما على أدق المقاييس النقدية الصحيحة التى اشترطها كل من البخارى ومسلم فى صحيحهما، وظهر من سير الأئمة وفاء البخارى ومسلم

(١) هدى السارى ص ٤٠٣.

(٢) الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين ٢ / ٢٣٢.

(٣) هدى السارى ص ٤٠٤، وانظر: دفاعه عن الرجال المطعون فيهم ص ٤٠٥ - ٤٩٣، وانظر: البيان والتوضيح لمن أعرج له فى الصحيح ومن يضرب من التحريج للحافظ العراقى، ومعرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للإمام الذهبى.

بشرطهما، سوى أحاديث قليلة، والقول فيها قول البخارى ومسلم، وهى صحيحة .  
 فظهر من ذلك الصحيحين ليسا جهد أفراد وإنما جهد أمة، وهم طائفة المحدثين،  
 وهم المستغلون بهذا الشأن وأعرف الناس به، وهم نقاد الأخبار الذين يتوقف على  
 قولهم قبول الآثار النبوية أو ردها . وهم المعنيون بإجماع الأمة على صحة الكتابين،  
 وتلقيهما بالقبول . وهو إجماع معصوم لا يقدر فيه إلا جاحد مغرور<sup>(١)</sup> .  
 أما قول جولدتسيهر: " بالرغم من أن نقد هذين الكتابين غير لائق، وغير مسموح  
 به... إلخ .

يتناقض مع آخر كلامه من أن الدارقطنى قد صنف فى نقدهما كتابه  
 (الاستدراكات والتتبع) . ودعواه أن نقد هذين الكتابين لا يجوز أو غير لائق أو غير  
 مسموح به يكذبه الواقع، بما سبق من استدراك الأئمة الدارقطنى، والدمشقى،  
 والغسانى، وفات هذا المستشرق وغيره من الطاعنين فى مكانة الصحيحين أن الخطورة  
 لا تكمن فى تعرض الكتابين للنقد، ولكنها تكمن فى سلامتهما من الانتقادات أو  
 الطعون التى وجهت إلى بعض أحاديثهما، فليس كل انتقاد يعول عليه، كما أن النقد  
 أو الاستدراك قد يوجه لحالة معينة فيحسب من لا دراية له بهذا الموضوع أن النقد قد  
 شمل كل أحوال الكتاب، كما هو الحال مع استدراكات الأئمة .

وقد بين نقاد الحديث أن هذه الاستدراكات غير قاذرة<sup>(٢)</sup> فى صحة الصحيحين،  
 ومكانتهما، خلافاً لأعداء السنة الذين يوهمون القارئ بخلاف ذلك .

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد محرم : إن نسبة الوهم إلى بعض الرواة ممن روى  
 لهم البخارى ومسلم، تقتضى الدقة فى التفرقة بين نسبة الوهم إلى بعض الرواة  
 لشواهد تنصب على ذلك، وبين نسبة الضعف أو الوضع إلى الصحيحين لا بحجة أو  
 برهان، وإنما متابعة للشيطان وموافقة للهوى .

وكن على حذر من مكمن الخطر فى التقليل من منزلة الصحيحين أو محاولة إنزالهما  
 من عليائهما<sup>(٣)</sup> .

(١) يقول ابن خلدون : "... ولا تقولن - بضعف أو سوء حفظ - يتطرق إلى رجال الصحيحين فإن الإجماع قد  
 اتصل فى الأمة على تلقيهما بالقبول، والعمل بما فيهما، وفى الإجماع أعظم حماية وأحسن دفعا" أ. هـ، انظر :  
 المقدمة ص ٣٤٥ .

(٢) ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٣٩٣، ٣٩٤ بتصرف .

(٣) الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين ٢ / ٢٢٨ .

فالصحيحان هما أصح ما ألفه المحدثون، وقد أدى مؤلفاهما إلى الدين، وإلى الأمة الإسلامية خدمة جليلة لا تنكر، بل تذكر بالإكبار فتشكر، نسأله ﷻ أن يجزل ثوابهما ما استفاد من الكتاين مستفيد<sup>(١)</sup> أ.هـ.

ونختتم كلامنا عن الصحيحين بكلمة جامعة للشيخ أحمد شاكر - رحمه الله تعالى - نرى أنها عين الحق وندين لله بمضمونها ونلقاه مطمئنين على اعتقاد ما فيها من اليقين قال رحمه الله : "الحق الذى لا مريه فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين، ومن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر، أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها ليس فى واحد منها مطعن أو ضعف، وإنما انتقد الدارقطنى وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث، على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ فى الصحة الدرجة العليا التى التزمها كل واحد منهما فى كتابه، وأما صحة الحديث فى نفسه، فلم يخالف أحد فيها، فلا يهولنك إرجاف المرجفين، وزعم الزاعمين أن فى الصحيحين أحاديث غير صحيحة، وتتبع الأحاديث التى تكلموا فيها، وانقلدها على القواعد الدقيقة التى سار عليها أئمة أهل العلم، واحكم على بينة، والله الهادى إلى سواء السبيل<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

(١) فى رحاب الكتب الستة ص ٩٧، ولزيد من الدفاع عن الصحيحين انظر : الحديث والمحدثون للدكتور أبو زهو ص ٣٩٩ - ٤٠٣، وكتب السنة دراسة توثيقية للدكتور رفعت فوزى.

(٢) الباحث الحديث ص ٢٩، وانظر : فى رحاب الكتب الستة ص ٧٢ .

## إِفْضَالُ السَّائِلِ

وسيلتهم في الاعتماد على مصادر غير معتبرة  
في التاريخ للسنة ورواتها

ويتضمن بيان

أساليب دعاة الفتنة وأدعياء العلم في الطعن في السنة النبوية من خلال ثلاثة أنواع  
من المصادر :

النوع الأول : مصادر غير معتبرة، وعليها جل اعتمادهم في الحكم على السنة  
المطهرة .

النوع الثاني : مصادر معتبرة حديثة، وهدفهم من ذلك تضليل القارئ .

النوع الثالث : مصادر معتبرة غير حديثة، واعتمادهم ما ورد فيها من أحاديث  
مكذوبة .



## الفصل السادس

### وسيلتهم في الاعتماد على مصادر غير معتبرة في التأريخ للسنة ورواتها

إن من القواعد المعلومة الكلية أن كل علم له مصادره المعتمدة التي تعرف بها حقائقه وقضاياها، فمن عرف بحقائق وقضايا علم ما، واعتمد في ذلك على مصادر غير معتمدة ولا موثوقة لم يكن لبحثه أية قيمة علمية، ولا لمن يفعل ذلك مكان بين العلماء المحترمين<sup>(١)</sup>.

وهذا ما يفعله دعاة الفتنة، وأدعياء العلم من المستشرقين، ودعاة الإلحاد في أمتنا الإسلامية، تراهم وهم يتحدثون عن قضايا السنة النبوية المطهرة من تدوينها، وحجيتها، ومكانتها التشريعية، ورواتها من الصحابة والتابعين فمن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين، يعتمدون في حديثهم عن القضايا السابقة ثلاثة أنواع من المصادر :

١- النوع الأول : مصادر غير معتبرة وعليها جل اعتمادهم في الحكم على السنة النبوية .

٢- النوع الثاني : مصادر معتبرة حديثة وهدفهم من ذلك تضليل القارئ على ما سيأتى .

٣- النوع الثالث : مصادر معتبرة غير حديثة، واعتمادهم ما ورد فيها من أحاديث مكتوبة .

أما النوع الأول مصادرهم غير المعتمدة فتتنوع إلى ما يلي :

١- كتب خصوم السنة وأهلها من الخوارج، والرافضة، والمعتزلة، والباطنية، كالأصفهاني<sup>(٢)</sup>؛ صاحب كتاب الأغاني<sup>(٣)</sup> . وما كتبه أعداء الإسلام من المستشرقين

(١) انظر : السنة ومكانتها للدكتور السباعي ص ٢٨ .

(٢) الأصفهاني هو : علي بن الحسين بن المهدي الأموي، أبو الفرج الأصفهاني، كان شاعراً، مصنفاً، أديباً، قال الذهبي : والعجب أنه شيعي وهذا نادر في أموي، وقال ابن الجوزي : إنه ومثله لا يوثق بروايته فإنه يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوى شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، من مؤلفاته : الأغاني والأخبار والنوادر، وأخبار الطفيليين وغير ذلك . مات سنة ٣٥٦ هـ . له ترجمة في : لسان الميزان ٥ / ١٣ رقم ٥٨٣٧، والبدایة والنهاية ١١ / ٢٨٠، والفهرست ص ١٨٣، ١٨٤، ووفيات الأعيان ٣ / ٣٠٧ رقم ٤١٧، وميزان الاعتدال ٣ / ١٢٣ رقم ٥٨٢٥، وتنزيه الشريعة لابن عراق ١ / ٨٧ رقم ٣٠٤ .

(٣) انظر : خطورة هذا الكتاب، وكيف اتكأ عليه أكثر من مستشرق، هو وكتاب ألف ليلة وليلة، في طعنهم في رواة السنة، وفتاوى الأئمة، وآراء الفقهاء، وتاريخ المسلمين، وأوعز إلى المستغربين من أبناء أمتنا بالاعتماد عليه =

بروح الحق، والتعصب الأعمى ضد الإسلام والمسلمين في "دوائر معارفهم - غير الإسلامية" وغير ذلك من كتبهم المسمومة.

٢- كتب لا صلة بينها وبين علوم السنة ككتب الأدب، واللغة، والنحو، والشعر، والتاريخ لغير المحدثين.

٣- كتب من وضع الزنادقة، ولا يعرف لها مؤلف كآلف ليلة وليلة<sup>(١)</sup>. وحتى لا يقال إن في هذا الكلام إجحاف وتجن على أصحاب المنهج العلمي - المزعوم- "وأهل التحقيق والتمحيص" ننظر في المصادر التي اعتمد عليها الصنم الأكبر للمستشرقين "جولدتسيهر" وهو يهاجم السنة المطهرة في كتابه "دراسات محمدية"<sup>(٢)</sup>.

نقل جولدتسيهر من كتب السنة الستة وموطأ مالك، وسنن الدارمي، ومصابيح السنة للبخاري، وهو وغيره في هذه الكتب المعتمدة، يخذعون قارئهم على ما سيأتي. أما المصادر التي يعتمدونها غالباً في إصدار أحكامها فهي :

١- حياة الحيوان الكبرى للدميري.

٢- أدب القاضى للخصافى.

٣- الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني.

٤- معجم الأدباء لياقوت الحموى.

٥- سيرة سيف بن ذى يزن.

٦- سيرة عنترة بن شداد.

٧- كتاب الخراج لأبى يوسف.

٨- فهرس ابن النديم.

٩- كشف الظنون لحاجى خليفة ... إلخ.

وهذا غير المراجع التي قدمها نظراؤه من المستشرقين، وكتبت بلا إنصاف، واعتمدت على مثل ما اعتمد عليه من المصادر<sup>(٣)</sup>.

فى التاريخ لتاريخنا الإسلامى المجيد، انظر فى تفصيل ذلك أصالة الفكر الإسلامى فى مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربى للأستاذ أنور الجندى ص ٤١٠-٤١٦، وانظر له أيضاً : مقلدات العلوم والمناهج ١ / ٣٦٩، ٤ / ١٨٨، ١٨٨، وانظر : المستشرقون والراث للدكتور عبد العظيم الديب ص ١٩-٢٢.

(١) انظر : أصالة الفكر الإسلامى ص ٤١٠-٤١٦، والمستشرقون والراث ص ١٩-٢٢.

(٢) هذا على سبيل المثال فى كتابه هذا، وقس على ذلك فى بقية كتبه "العقيدة والشريعة فى الإسلام" و"مذاهب التفسير الإسلامى" كما قس على ذلك غيره من المستشرقين. انظر : المستشرقون والراث ص ١٩-٢٢.

(٣) انظر : ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٣٠٦ - ٣١٣ بتصرف.

ولننظر في مصادر محمود أبو ربه في كتابه "أضواء على السنة" (١)، والتي اعتمد عليها في تحقيقه العلمي المزعوم. فهو كسابقه اعتمد أيضاً على كتب السنة الستة والموطأ، والدارمي وغير ذلك من مصادر معتمدة وكان الهدف من ذلك خداع القارئ وإيهامه بأهمية البحث - كما سيأتي مفصلاً بعد قليل .

أما المصادر التي اعتمد عليها في إصدار أحكامه على السنة المطهرة ورواتها فهي:

- ١- تاريخ التمدن الإسلامي لجرجى زيدان .
- ٢- العرب قبل الإسلام لجرجى زيدان .
- ٣- دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين .
- ٤- تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان .
- ٥- المسيحية في الإسلام للنس إبراهيم لوقا .
- ٦- العقيدة والشرعة في الإسلام لجولدتسيهر .
- ٧- أحاديث عائشة للسيد مرتضى العسكري .
- ٨- ابن سبأ للسيد مرتضى العسكري .
- ٩- أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين .
- ١٠- أصل الشيعة وأصولها محمد الحسين آل كاشف .
- ١١- البيان والتبيين للجاحظ .
- ١٢- والحيوان للجاحظ ... إلخ .

وبهذه اللمحة السريعة في مصادر بعض الطاعنين في السنة المطهرة : يتضح بشكل جلي عدم نفعها في أي دراسة للحديث الشريف، إما لبعدها عن بعضها عن الحديث الشريف، أو لأن البعض الآخر منها لا ينفع، لتحامل أصحابها، وجلهم من المستشرقين، وغلاة الشيعة (٢) .

أما النوع الثاني من مصادر أعداء السنة فمصادر معتبرة في الحديث، والتفسير، والفقه، وعلوم القرآن، والسنة، وكتب الدفاع عنها، وقصدوا من وراء ذلك إيهام القارئ بأهمية بحوثهم، وأن تلك المصادر تنتهي إلى ما انتهوا إليه في بحوثهم، والحق

---

(١) هذا على سبيل المثال في كتابه هذا وقس على ذلك في كتابه شيخ المضيئة أبو هريرة، وقس على مصادر أبي ربه غيره من أعداء السنة .

(٢) انظر : ضوابط الرواية عند المحدثين، ص ٣١١ .

أنها كلها تكذيبهم في دعواهم .

وإلا فهل هناك عاقل يجرؤ على القول بأن ما ذكره محمود أبو رية من مصادر معتبرة تنتهي في نتيجتها إلى ما انتهى إليه من طعن في حجية السنة المطهرة، ورواتها الثقات الأعلام : كالمصادر التالية :

- ١- تذكرة الحفاظ للذهبي .
- ٢- شروط الأئمة الستة والخمسة للمقدسى والحازمي .
- ٣- مقدمة ابن الصلاح .
- ٤- قواعد التحديث للقاسمي .
- ٥- شرح القارئ على نخبة الفكر لابن حجر .
- ٦- تقييد العلم للخطيب البغدادي .
- ٧- الموافقات والاعتصام للشاطبي .
- ٨- الإحكام للأمدى .
- ٩- الإحكام لابن حزم .
- ١٠- ومنهاج السنة لابن تيمية .
- ١١- جامع بيان العلم وفضله .
- ١٢- البداية والنهاية لابن كثير .
- ١٣- والعواصم من القواصم للقاضي ابن العربي .
- ١٤- وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .

فهل يجرؤ عاقل على القول: بأن تلك المصادر المعتمدة التي ذكرها محمود أبو رية وغيرها يقول أصحابها بمثل قوله الخبيث أو تنتهي إلى ما انتهى إليه "سبحانك هذا بهتان عظيم" .

وقس على ذلك سائر دعاة الفتنة وأدعياء العلم من المستشرقين ودعاة اللادينية عندما يستشهدون في هجومهم على السنة المطهرة بمصادر معتمدة، فالأمر لا يخرج عن إيهام القارئ وتضليله بأن أصحاب تلك المصادر الموثوقة ينتهون إلى ما انتهوا إليه . أما إذا ذكروا من تلك المصادر المعتمدة حقائق مسلماً بها عند أهل العلم فلا يخرج حالهم في هذه الحالة عن ثلاثة أمور :

أولها : الاستشهاد بتلك الحقائق المسلم بها في غير موضعها إيهاماً للقارئ بأن

أصحاب تلك المصادر المعتمدة التي ذكرت تلك الحقائق يلتقون معهم في فكرتهم ومقصدهم، ومن ذلك ما سبق في شبهة الوضع، وكثرة الوضعيين، واستشهادهم بكلام الأئمة في أسباب الوضع وأصناف الوضعيين بأن ذلك أضعف الثقة بالسنة وبحجيتها<sup>(١)</sup> هذا في حين ذكر علماء المسلمين أسباب الوضع وأصناف الوضعيين في مصادرهم لبيان جهود المحدثين في كشف الكذابين، وأنه لم يخف أمرهم على حفاظ السنة، وأنها خرجت سليمة معافاة من فتنة الوضعيين فذكروا كل هذا كميزة وفضيلة<sup>(٢)</sup>.

إلا أن أعداء السنة نقلوا من مصادر علماء المسلمين تلك الميزة واستشهدوا بها في غير موضعها ونشروها على أنها نقيصة.

فتأمل كيف ينشرون مميزات السنة على أنها عيوب.

ومن ذلك أيضاً ما سبق في مسألة (استقلال السنة المطهرة بتشريع الأحكام) واتخاذ أعداء السنة كلام الإمام الشاطبي في تلك المسألة ستاراً للتشكيك والظعن في حجية السنة ومكانتها التشريعية<sup>(٣)</sup>.

ثانيها : الاستشهاد من المصادر المعتمدة بحقائق مسلم بها لكنها "مبتورة" فيكتفون بذكر ما يشهد لدعواهم، ويفضون الطرف عما يفهمهم.

ومن ذلك مما سبق في "شبهة النهي عن كتابة السنة" حيث نقلوا من المصادر المعتمدة المؤرخة لذلك، الباب الذي يؤيدهم في دعواهم كـ "باب الآثار والأخبار الواردة عن كراهة كتاب العلم"، وغضوا الطرف عن بقية الأبواب الواردة في نفس المصادر المعتمدة التي استشهدوا بها، والتي ترد على شبهتهم، كـ "باب وصف العلة في كراهية كتابة الحديث"، و"باب الآثار والأخبار الواردة عن إباحة كتابة العلم"<sup>(٤)</sup>.

ثالثها : الاستشهاد من المصادر المعتمدة بتحريف النصوص عن مواضعها وهذا من مأخذ أهل البدع بالاستدلال (تحريف الأدلة عن مواضعها) كما قال الشاطبي<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك ما سبق في "شبهة الاكتفاء بالقرآن، وعدم الحاجة إلى السنة المطهرة"،

(١) راجع : إن شئت ما سبق في الجواب عن شبهة الوضع ١ / ٣٩٩ .

(٢) راجع : إن شئت جهود حملة الإسلام في مقاومة حركة الوضع والوضعيين ١ / ٤١٢-٤٢٣ .

(٣) راجع : ١ / ٥٢٠-٥٣٤ .

(٤) راجع : ١ / ٢٦٩، ٢٦٨ .

(٥) الاعتصام ١ / ٢٠٢ .

وتحريف أحمد صبحي منصور، وجمال البنا لكلام الحافظ ابن حجر في شرحه للمراد من حديث عبد الله بن أبي أوفى في وصية النبي ﷺ بالاعتصار على الكتاب. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "الاعتصار على الوصية بالكتاب لكونه أعظم وأهم، ولأن فيه تبيان كل شيء إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبي ﷺ به لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١)".

أما أحمد صبحي منصور فاستشهد بكلام الحافظ ونقل كلامه هذا مبتوراً محرفاً بخدشه لفظه (النبي ﷺ) فصارت العبارة: "فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به".

وكذلك صنع جمال البنا استشهد بكلام الحافظ مبتوراً محرفاً فقال: "أى التمسك به "يعنى القرآن" والعمل بمقتضاه إشارة إلى قوله: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تصلوا كتاب الله" (٢) وترك بقية كلام الحافظ ابن حجر أن عمل الناس بالكتاب يقتضى العمل بكل ما أمرهم النبي ﷺ به لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٣).

أما النوع الثالث من مصادر أعداء السنة فمصادر معتبرة غير حديثة، يستشهدون بما فيها من أحاديث ضعيفة أو موضوعة تشهد لدعواهم.

ومن ذلك استشهداهم بحديث عرض السنة على القرآن: "إذا روى لكم عن حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فاقبلوه، وإلا فردوه" (٤) واعتمادهم صحة الحديث لمجرد وروده في بعض كتب الفقه أو الأصول كالمحصل في أصول الفقه (٥)، وأصول السرخسي (٦)، والمعتمد في أصول الفقه (٧).

وقد نقل غير واحد من أهل الزيغ والهوى هذا الحديث من مصادر معتبرة غير

(١) جزء من الآية ٧ من سورة الحشر.

(٢) سبق تخريجه ١/ ٢٠١، وانظر: المستشرقون والراث للدكتور الديب ص ٢٨ - ٤١.

(٣) راجع إن شئت ١/ ٢٠١.

(٤) سبق تخريجه وبيان وضعه انظر: ١/ ٢٢٣-٢٢٨.

(٥) المحصول ٢/ ٢١٥.

(٦) أصول السرخسي ١/ ٣٦٥.

(٧) المعتمد في أصول الفقه ٢/ ٨٠.

حديثية موهماً أن أصحاب تلك المصادر يقولون بعرض السنة على القرآن، بمفهومهم القائم على رد الحديث بمجرد التعارض الظاهري حتى مع إمكان الجمع والتأويل .

ومن فعل ذلك أحمد حجازي السقا في كتابه "دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي" عزاً حديث "عرض السنة على القرآن" إلى المحصول للرازي، موهماً أن الرازي، والفقهاء يقولون بالحديث<sup>(١)</sup>، في حين أن الرازي يحكي مخالفة عيسى بن أبيان للجمهور علماء المسلمين بإيجابه عرض خير الآحاد على القرآن الكريم<sup>(٢)</sup> .

ويجاب عن استشهادهم بأحاديث مكنوبة وردت في مصادر معتبرة غير حديثية بما هو مقرر عند أهل الحديث وهو :

أنه لا يكفي بعزو الحديث إلى من ليس من أهله دون بيان : وإن جل كعظماء المفسرين، والفقهاء، والمتصوفة، والمؤرخين، وغيرهم، بل لابد من معرفة تعقبات المحدثين على ما أورده في كتبهم وذكره عند العزو إليها، ما لم يكونوا من أئمتهم، أو دراسة أسانيدھا ومتونها - إذا كانت خالية من تعقبات المحدثين ولم يكونوا من أئمتهم دراسة دقيقة فاحصة لمتبحر في الحديث وعلومه، للوصول من وراء ذلك إلى الحكم بصحة الحديث أو ضعفه أو الحكم عليه بالوضع<sup>(٣)</sup> كما في حديث عرض السنة على القرآن .

وفى ذلك يقول الإمام عبد الرعوف المناوي<sup>(٤)</sup> : "فلا أعزوا إلى شيء منها" أى المصادر "ولا أكتفى بعزوه إلى من ليس من أهله وإن جل كعظماء المفسرين ... فكتب التفسير مشحونة بالأحاديث الموضوعة، وكأكابر الفقهاء" أى غير الأئمة الأربعة "فإن الصدر الأول من أتباع المجتهدين لم يعتنوا بضبط التخريج وتمييز الصحيح من غيره، فوقعوا في الجزم بنسبة أحاديث كثيرة إلى النبي ﷺ وفرعوا عليها كثيراً من الأحكام مع ضعفها، بل ربما دخل عليهم الموضوع "نسياناً أو غلطاً دون عمد"<sup>(٥)</sup> .

(١) دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ١١٠ .

(٢) المحصول ٢ / ٢١٥ .

(٣) كشف اللثام عن أسرار تفريج أحاديث سيد الأنام ١ / ٣١ .

(٤) هو : الإمام المحافظ عبد الرعوف بن تاج الدين المناوي، بضم الميم الشافعي القاهري، من مؤلفاته: فيض القدير بشرح الجامع الصغير، والجامع الأزهر، وغير ذلك، مات سنة ١٠٣١هـ . له ترجمة في : هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا ١ / ٥١٠، ٥١١، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للمحاجي خليفة ١ / ٥٦١، والرسالة المستطرفة للكتاني ص ١٨٤ .

(٥) فيض القدير ١ / ٢٠، ٢١ بتصرف، وانظر : قواعد التحديث للقاسمي ص ١٨٢، ١٨٣ ومن الأمثلة على -

ومثل هذه الأخطاء الحديثية لهؤلاء العلماء الأجلاء وهم غير متخصصين في الحديث وعلومه - لا تقدح في منزلتهم العلمية، ولا في مؤلفاتهم ولا في سلامة الأغراض التي من أجلها ألفوا كتبهم<sup>(١)</sup>.

قال الإمام المناوي : "وهذا لا يقدح في جلالته، بل ولا في اجتهد المجتهدين إذ ليس من شرط المجتهد الإحاطة بحال كل حديث في الدنيا"<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

قال العلامة للكنوي : فإن قال قائل : فما بالهم أوردوا في تصانيفهم الأحاديث الموضوعة - مع جلالتهم ونباهتهم - ولم لم ينقدوا الأسانيد مع سعة علمهم؟ قلت : لم يُوردوا ما أوردوا : مع العلم بكونه موضوعاً، بل ظنوه مروباً وأحالوا نقد الأسانيد على نقاد الحديث، لكونهم أغنوه عن الكشف الحثيث، إذ ليس من وظيفتهم البحث عن كيفية رواية الأخبار، إنما هو من وظيفة حملة الآثار، فلكل مقام مقال، ولكل فن رجال"<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

وبعد

فإن وسائل أعداء السنة في الكيد لها لا تقف عند حد، وصدق الإمام الشاطبي - رحمه الله - : "ومن نظر إلى طريق أهل البدع في الاستدلالات عرف أنها لا تنضب، لأنها سيالة لا تقف عند حد"<sup>(٤)</sup>.

وبحسب كل مسلم أن يتنبه إلى القواعد الكلية التي ينطلقون منها للكيد للسنة المطهرة، ويعرف بطلان تلك القواعد، وأنه لا أساس لها فهي كمثل بيت العنكبوت . قال تعالى : ﴿وَإِنْ أَوْهَنْ الْيُسُوفُ لَيَبُتِ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وهذا ما حرصت على تفصيله في الفصول السابقة، ونؤكد في الباب الثالث بذكر نماذج من الأحاديث الصحيحة التي طعن فيها أهل الزيغ والهوى، والجواب عنه. فيألي بيان ذلك.

---

سذلك حديث : "من قضى صلاته من الفرائض في آخر جمعة من رمضان، كان ذلك جابراً لكل صلاة فاتت في عمره إلى سبعين سنة" قال العلامة ملا على القاري باطل قطعاً ولا عبرة بنقل صاحب النهاية وغيره من بقية شراح الهداية، فإنهم ليسوا من المحدثين، ولا أسئلوا الحديث إلى أحد من المخرجين" انظر : الموضوعات الكبرى ص ٢٤٢ رقم ٩٥٣، وانظر : الأجوبة الفاضلة ص ٢٩ - ٣٥ .

(١) كشف اللثام ١ / ٣٣

(٢) فيض القدير ١ / ٢١ .

(٣) الأجوبة الفاضلة للكنوي ص ٣٥، وانظر : قواعد التحديث للقاسمي ص ١٨٣ .

(٤) الاعتصام ١ / ٢٣٢ .

(٥) الآية ٤١ من سورة العنكبوت .

## البَابُ الْأَوَّلُ

نماذج من الأحاديث الصحيحة المطعون فيها

والجواب عنها

وتحته تمهيد وعشرة فصول :

التمهيد ويتضمن بيان :

أ- طبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها .

ب- طبيعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها .

الفصل الأول : حديث "إنما الأعمال بالنيات" .

الفصل الثاني : حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف" .

الفصل الثالث : أحاديث "رؤية الله ﷻ" و"مخاجة آدم موسى عليهما السلام" و"الشفاعة" .

الفصل الرابع : أحاديث ظهور "المهدي" وخروج "الدجال" و"نزول المسيح عليه السلام" .

الفصل الخامس : حديث "عذاب القبر ونعيمه" .

الفصل السادس : أحاديث "خلوة النبي ﷺ بامرأة من الأنصار" و"نوم النبي ﷺ عند

أم سليم أم حرام" وحديث "سحر النبي ﷺ" .

الفصل السابع : حديث "رضاعة الكبير" .

الفصل الثامن : حديث "وقوع الذباب في الإناء" .

الفصل التاسع : ثمرات ونتائج الحديث الصحيح .

الفصل العاشر : مضار رد الأحاديث النبوية الصحيحة .



## تمهيد

ويتضمن بيان

أ- طبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها.

ب- طبيعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها.

يحرص أعداء السنة - أعداء الإسلام - في عصرنا على تناول الأحاديث الصحيحة، وخاصة صحيحي البخاري ومسلم بالنقد والتجريح، المزور الباطل، وذلك كي يصلوا في النهاية إلى التشكيك في السنة جميعها وصرف المسلمين عنها، ويركزون على الصحيحين لأنه بسقوط الرأس يسقط الجسد كله. وقد عرفنا منذ قليل أن الصحيحين وهما أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ ليسا جهد أفراد، وإنما هما جهد أمة، من جهابذة المحدثين، تناولوا الكتابين بالنقد والدراسة، وأسفرت تلك الدراسة عن صحة الكتابين صحة لا يشوبها أدنى شك، سوى أحرف يسيرة لا يصل الحال بها أبداً إلى درجة الوضع، بل ولا حتى إلى درجة الضعف الذي لا يحتمل، وإنما غاية هذه الأحرف قصور شروط الصحة فيها عما التزمه الشيخان من إخراج أصح الصحيح.

وقد عرفنا أيضاً أن المحدثين لم يقصروا في نقد المتن، كما يزعم من عميت بصيرتهم، وكيف يقصرون! وهل قام علم الحديث دراية بجميع أنواعه إلا لخدمة علم الحديث رواية؟ وكيف يقصرون وما وضعوه من شروط لصحة الحديث من اتصال السند، وعدالة الراوي، وضبطه، وعدم الشذوذ، وعدم العلة - إلا لضمان سلامة المتن، والتأكد من صحة نسبته إلى النبي ﷺ.

وعرفنا كيف أن ما يبدوا ظاهراً من الشروط الخمسة من اختصاصه بالسند هو في الحقيقة متعلق بالمتن ظاهراً وباطناً.

أ- طبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها :

إن هؤلاء النابتة من أعداء ديننا وأمتنا، اتخذوا من تحكيم عقولهم الزائغة القاصرة، المقياس الأول والأخير في تقديمهم للأحاديث والحكم عليها، ويتخذون من ذلك ذريعة إلى إنكار الأحاديث، وتخطئة علماء السنة، وتخطئة الجمة من المسلمين الذين اهتموا بهديهم وعلمهم، وساروا على دربهم، يدفعهم إلى ذلك عمى بصيرة، وحقد دفين على سنة رسول الله ﷺ كما يهدفون إلى أن يتعد الناس عن نور النبوة المباركة وهديها المستقيم، وهم يطوون حقدهم وأهدافهم وراء تناول بعض الأحاديث التي

تحتاج إلى فهم خاص، يتلاءم مع مبادئ الإسلام، والفهم الصحيح لتعاليمه وقيمه<sup>(١)</sup>،  
مثل حديث (رضاعة الكبير) وسيأتى ذكره والجواب عنه بإذن الله تعالى .

#### ب- طبيعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها :

طبيعة الأحاديث التي اتخذها دعاة الفتنة وأدعياء العلم وسيلة للنيل من سنة رسول  
الله ﷺ والنيل من رواتها الثقات الأعلام من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين فمن  
بعدهم من أئمة المسلمين أصحاب المصنفات الحديثية - شملت أبواب السنة كلها من  
العقائد، والعبادات، والمعاملات، والفتن، والرقائق، والطب، والسيرة ... إلخ . وهم  
يحرصون دائماً وهم يطعنون فى الأحاديث الصحيحة، أن تكون تلك الأحاديث من  
الأصول، والعقائد لزعزعة قلوب المؤمنين بعقائدهم حتى يصلوا إلى غايتهم قال تعالى :  
﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾<sup>(٢)</sup> .

وسوف نذكر نماذج من تلك الأحاديث الصحيحة التي طعنوا فيها فى ثمانية  
فصول .

(١) انظر : كتب السنة دراسة توثيقية للدكتور رفعت فوزى ص ١٠٨ ، ١٠٩ بتصرف .

(٢) الآية ٨٩ من سورة النساء .

# الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

## حديث "إنما الأعمال بالنيات"

وتحته مبحثان :

- المبحث الأول : شبه الطاعنين في حديث "إنما الأعمال بالنيات" والرد عليها .
- المبحث الثاني : مكانة حديث "إنما الأعمال بالنيات" .



## المبحث الأول

### شبه الطلعين في حديث "إنما الأعمال بالنيات"

#### والرد عليها

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن علقمة بن وقاص الليثي<sup>(١)</sup> قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى : فمن كانت هجرته إلى دينا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه".

هذا الحديث الذي يمثل أصلاً من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده طعن فيه الصنم الأكبر للمستشرقين - جولدتسيهر - وضربه مثلاً على ما ذهب إليه من أن الحديث نتيجة للتطور الديني خلال القرون الأولى، وقال : "وقد ارتفع شأن هذا الحديث إلى أن صار فكرة تسيطر على كل الأعمال الدينية يقول الله تعالى : "لاقوني بنياتكم ولا تلاقوني بأعمالكم" وهو حديث متأخر ظهر كصدى لاقتناع المؤمنين بذلك، وعلامة على قيمة أعمالهم الدينية"<sup>(٢)</sup>.

وتابع طعناً في صحة الحديث دعاء اللادينية، يقول نيازى عز الدين : "إن هذا الحديث أحد ثلاثة أحاديث خطيرة افترأها جنود السلطان لقلب دين الله الذي في القرآن؛ إلى دين السلطان الموجود في أحاديث جنوده"<sup>(٣)</sup>.

وبهذا الحديث استحل في نظره - أئمة المسلمين ورواة السنة الثقات - جنود السلطان عنده - استحلوا بهذا الحديث التحايل في دين الله، وحجته في ذلك افتتاح الإمام البخاري به كتاب الحيل من صحيحه قال : حديث "إنما الأعمال" أول حديث يفتح به البخاري في صحيحه كتاب الحيل لأنه حجر الزاوية بالنسبة لكل تلك

(١) علقمة بن وقاص الليثي المدني، ثقة ثبت، اخطأ من زعم أنه له صحة. وقيل إنه ولد في عهد النبي ﷺ روى عن عمر، وعائشة، وعنه ابنه، ومحمد بن إبراهيم التيمي، والزهري مات في خلافة عبد الملك بن مروان. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/ ٦٨٧ رقم ٤٧٠١، والكاشف ٢/ ٣٥ رقم ٣٨٧٧، والجرح والتعديل ٦/ ٤٠٥ رقم ٢٢٥٩، والثقات للعجلي ص ٣٤٤ رقم ١١٦٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٣ رقم ٣٥، ومشاهير علماء الأمصار ص ٨٩ رقم ٤٥٩.

(٢) العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٥٣، ودراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير، نقلًا عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١١/ ٥٤٤.

(٣) دين السلطان ص ٥٦٠.

الأحاديث المفتراه على الله والرسول، فوضعها لنا في أول جملة من كتابه، حتى يدل من كان يريد أن يعرف أن ذلك الحديث، كان المفتاح الذهبي لكل أبواب الاحتيال في دين السلطان، التي فتحت كل تلك الأبواب على مصراعيها لجنود السلطان من أجل، تأليف فقه دين السلطان" (١) أ.هـ.

ويجيب على ما سبق بما يلي :

أولاً : حديث "إنما الأعمال بالنيات" صحيح متفق على صحته (٢)، قال الحافظ ابن حجر : "إن هذا الحديث متفق على صحته، أخرجه الأئمة المشهورون إلا الموطأ" (٣).

ثانياً : هنالك كثير من نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة التي جاءت في معنى هذا الحديث، تحث على الإخلاص وتذم الرياء مثل قوله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٤) والآية تخاطب أهل الكتابين، وفي ذلك اشتراط النية في صحة الأعمال للأمر السابقة (٥) وقال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا نَفْسٌ لِنَفْسٍ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسُونَ﴾ (١٥) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النارُ وَحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦) وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٧) ومن الأحاديث : حديث عائشة -رضي الله عنها - مرفوعاً : "يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأولهم وآخرهم. قالت . قلت : يا رسول الله كيف يُخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم

(١) المصدر السابق ص ٥٦٠، وانظر من نفس المصدر : ص ٢٠٦، ٦٧٢، وانظر : إنذار من السماء ٦٩٧، وتبصير الأمة بحقيقة السنة إسماعيل منصور ص ٣٥٣، والسنة ودورها في الفقه الجديد جمال البنا ص ١٥٨ .

(٢) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" في عدة أماكن من صحيحه منها، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١٥/ ١ رقم ١، ومسلم "شرح النووي" كتاب الإمامة، باب قوله ﷺ "إنما الأعمال بالنية" ٦١/ ٧ رقم ١٩٠٧، وأخرجه مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن في باب النواذر ص ٣٤١ رقم ٩٨٣ .

(٣) ظن الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١/ ١٧، وفي التلخيص الحبير أن البخاري ومسلم أخرجا الحديث عن مالك وليس في الموطأ، وقد نبه الحافظ السيوطي على خطئه في كتابه "متهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال" أ.هـ أفاده فضيلة الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف على هامش الموطأ برواية الشيباني ص ٣٤١ .

(٤) الآية ٥ من سورة البينة .

(٥) انظر : فتح الباري ١/ ١٦ .

(٦) الأيتان ١٥، ١٦ من سورة هود .

(٧) الآية ١١٠ من سورة الكهف .

ومن ليس منهم؟ قال : يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يعيشون على نياتهم" (١) وفي الحديث أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (٢).

والأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة جداً في تأييد معنى الحديث . ولكن جولدتسيهر ومن قال بقوله لم يطعن في هذا الحديث من فراغ، فقد كان يعلم قدره وعظمته ومكانته في الإسلام، وبذلك صرح في كتابه دراسات محمدية قائلاً : "ويعد كلام النبي هذا واحداً من أعظم مبادئ الإسلام، ويعد واحداً من أربعة مبادئ أساسية عليها مدار الإسلام" (٣).

وهنا يظهر تناقض جولدتسيهر حيث يذهب بأن الحديث من وضع الفقهاء، ونتيجة للتطور الديني للإسلام، كما زعم في كتابه العقيدة والشريعة، وهنا في كتابه دراسات محمدية، يقر بأن الحديث من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وروى في عهود مبكرة في المدينة، ولم يقل وضعه الفقهاء وإنما قال : "وقد طبق الفقهاء هذه العبارة لكونها مبدأ أسمى في معالجة المسائل الدينية والشرعية" (٤).

وعلى كل حال فدعواؤه بأن الحديث متأخر، قد ظهر لك بطلانها من نص الحديث حيث خطب به الفاروق عمر رضي الله عنه وأسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وصدق عليه من سمعه، وهم جمهور كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الإمام العيني أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطب به لما قدم المدينة (٥).

أما قول جولدتسيهر : "لاقوني بنياتكم ولا تلاقوني بأعمالكم" فهذا خلاف ما دل عليه الحديث، فإن الحديث لم ينف الأعمال، بل شرط لصحتها النية، إذ العمل مطلوب شرعاً كما قال سبحانه : ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦)

(١) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق ٤/ ٣٩٧ رقم ٢١١٨ واللفظ له، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يوم البيت ٩/ ٢٣٣ رقم ٢٨٨٤ .

(٢) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٦/ ٣٣، ٣٤ رقم ٢٨١٠، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ٧/ ٥٦، ٥٧ رقم ١٩٠٤ واللفظ لمسلم .

(٣) دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ١٠ ص ٥٤٤، ٥٤٥ .

(٤) دراسات محمدية نقلاً عن المصدر السابق ص ٥٤٥، ٥٤٦ .

(٥) انظر : عمدة القاري ١/ ١٧ .

(٦) الآية ٧٢ من سورة الزخرف .

وقرئته بالإيمان في أكثر من آية : ﴿وَالْعَصْرُ﴾ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣). وقال ﷺ : "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (٤) أ.هـ.

أما ما زعمه بعض النكرات أن أئمة المسلمين وضعوا حديث "إنما الأعمال"، واستحلوا به التحايل في دين الله بحجة افتتاح الإمام البخارى للحديث في كتاب الحيل من صحيحه فهذا من تضليله وجهله.

أما تضليله فهو عدم ذكره اسم الباب الذى ذكر الإمام البخارى الحديث تحته وهو باب بعنوان "في ترك الحيل وأن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها".

وواضح من عنوان الباب إبطال زعم النكرة أن الحديث دليل على استحلال الحيل. أما جهله فهو قلة عقله في استيعاب فقه الإمام البخارى في تراجمه في أبوابه، وأنى له إدراك ذلك، وتلك "التراجم حيرت الأفكار، وأدهشت العقول والأبصار، ولقد أجاد القائل : أعى فحول العلماء حل رموز ما أبداه في الأبواب من أسرار" (٥).

فالإمام البخارى رحمه الله تعالى افتتح كتابه الحيل بحديث "إنما الأعمال بالنيات" وعنون للباب قبل ذكر الحديث بباب في ترك الحيل... (٦) فأدخل كلمة "الترك" لئلا يتوهم أحد من أدعياء العلم من ترجمة الكتاب "كتاب الحيل" إجازة الحيل.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لعنوان الباب قال : قوله : "باب ترك الحيل" قال ابن المنير : أدخل البخارى الترك في الترجمة، لئلا يتوهم أى من ترجمة الكتاب "كتاب الحيل" إجازة الحيل عموماً، فإن القول بجوازها عموماً بإبطال حقوق وجبت، وإثبات حقوق لا تجب، فتحرى فيها لذلك.

قال ابن حجر قلت : وإنما أطلق أولاً "كتاب الحيل" للإشارة إلى أن من الحيل ما يشرع فلا يترك مطلقاً، فضابطها إن كانت للفرار من الحرام، والتباعد من الإثم فحسن، وإن كانت لإبطال حق مسلم فلا بل هي إثم وعدوان" (٧).

وقال ابن قيم الجوزية : "الحيل نوعان : نوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى

(١) سورة العصر.

(٢) أخرجه مسلم "بشرح النووي" كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم ٨ / ٣٦٣ رقم ٢٥٦٤ من حديث أبى هريرة ؓ وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ٢ / ٤٨، ٤٩.

(٣) انظر : هدى السارى ص ١٦، وتيسر اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص ١٥٢.

(٤) انظر : صحيح البخارى "بشرح فتح البارى" ١٢ / ٣٤٢ رقم ٦٩٥٣.

(٥) فتح البارى ١٢ / ٣٤٢، ٣٤٣ بتقديم وتأخير.

به، وترك ما نهى عنه والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغى، فهذا النوع محمود يثاب فاعله . ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالماً، والظالم مظلوماً والحق باطلاً والباطل حقاً، فهذا النوع الذى اتفق السلف على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض<sup>(١)</sup> . فإذا كان من النوع الباطل إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب الحق باطلاً، والباطل حقاً . فهل هناك مسلم يجرؤ على القول بأن أئمة المسلمين ورواة السنة الثقات استحلوا أكبر الكبائر بالكذب على رسول الله ﷺ ينسبه شيء لم يقله، وجعله شرعاً إلى يوم الدين؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

يقول ابن قيم الجوزية : "إن هذه الحيل المحرمة لا تجوز أن تنسب إلى إمام، فإن ذلك قدح فى إمامته، وذلك يتضمن القدح فى الأمة حيث إئتمت بمن لا يصلح للإمامة، وهذا غير جائز، ولو فرض أنه حكى عن واحد من الأئمة بعض هذه الحيل المجمع على تحريمها فيما أن تكون الحكاية باطلة، أو يكون الحاكي لم يضبط لفظه ...، ولو فرض وقوعه منه فى وقت ما فلا بد أن يكون قد رجع عن ذلك، وإن لم يحمل الأمر على ذلك لزم القدح فى الإمام، وفى جماعة المسلمين المؤمنين به، وكلاهما غير جائز، ولا خلاف بين الأئمة؛ أنه لا يجوز الإذن فى التكلم بكلمة الكفر لغرض من الأغراض، إلا المكره إذا اطمأن قلبه بالإيمان، ثم إن هذا على مذهب أبى حنيفة وأصحابه أشد<sup>(٢)</sup>، فإنهم لا يأذنون فى كلمات وأفعال دون ذلك بكثير، ويقولون : إنها كفر، حتى قالوا: لو قال الكافر لرجل : "إنى أريد أن أسلم" فقال له : "أصبر ساعة" فقد كفر، فكيف بالأمر بإنشاء الكفر؟ وقالوا : لو قال "مسيحداً" أو صغر لفظ المصحف كفر . فعلمت أن الأئمة أعلم بالله ورسوله، ودينه، وأتقى له من أن يجيزوا، فضلاً عن أن يستحلوا - الحيل التى هى كفر أو حرام<sup>(٣)</sup>، ولا ينسب ذلك إليهم إلا مارق ضال محتال .

قال الحافظ ابن حجر : وقول البخارى : "وإن لكل امرئ ما نوى فى الإيمان وغيرها" من تفقه المصنف لا من الحديث قال ابن النير : اتسع البخارى فى الاستنباط، والمشهور عند النظار حمل الحديث على العبادات فحمله البخارى عليها، وعلى

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٣٥٤ .

(٢) يقول ابن قيم هذا فى حقهم، دفاعاً عما نسب إلى الإمام وأصحابه من تجويز الحيل والفتوى بها .

(٣) أعلام الموقعين ٣/ ١٩٠، ١٩١ يتصرف بسير، وللمزيد من الرد على تحريم الحيل، والرد على المجوزين لها انظر : ما كتبه الإمام الفذ ابن قيم فى كتابه أعلام الموقعين، وإغاثة اللهفان فقد أفاض وأجاد فى تفصيل ذلك .

المعاملات، وتتبع مالكاً في القول بسد الذرائع، واعتبار المقاصد، فلو فسد اللفظ، وصح القصد ألغى اللفظ، وأعمل القصد، تصحيحاً وإبطالاً، قال : والاستدلال بهذا الحديث على سد الذرائع، وإبطال التحيل، من أقوى الأدلة<sup>(١)</sup>.

واستدل بذلك أيضاً ابن قيم الجوزية على تحريم الخيل . فقال حديث : "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" الحديث أصل في إبطال الخيل ويكفي وحده في إبطال الخيل، ولهذا صدر به حافظ الأمة محمد بن إسماعيل البخاري كتاب الخيل من صحيحه<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

فأين من كل هذا ما استدل به بعض النكرات أن افتتاح الإمام البخاري بهذا الحديث في كتاب الخيل، دليل على استحلالها، واستحلال الكذب على رسول الله ﷺ .

---

(١) فتح الباري ١٢ / ٣٤٣، وانظر : بحث "تجريم الخيل يناقض سد الذرائع" في أعلام الموقعين ٣ / ١٧١، وإغاثة اللفهان ١ / ٣٨٥ .

(٢) انظر : إغاثة اللفهان ١ / ٣٦٢، وأعلام الموقعين ٣ / ١٧٦ .

## المبحث الثاني

### مكانة حديث "إنها الأعمال بالنيات"

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : "قد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث" (١). قال الحافظ العراقي : "هو قاعدة من قواعد الإسلام" (٢). وقال الإمام أحمد "أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث : حديث عمر : "الأعمال بالنيات"، وحديث عائشة : "من أحدث في أمرنا ما ليس منه، فهو رد" (٣) وحديث النعمان بن بشير (٤) : "الحلال بين، والحرام بين" (٥).

قال الإمام ابن تيمية : "هو أصل عظيم من أصول الدين، بل هو أصل كل عمل، ولهذا قالوا : مدار الإسلام على ثلاثة أحاديث، فذكروه منها، وذكر قول الإمام أحمد الذي سبق، وقال : والذي أمر الله به نوعان :

أحدهما : العمل الظاهر، وهو ما كان واجباً أو مستحباً.

والثاني : العمل الباطن، وهو إخلاص الدين لله ؛ فقوله ﷺ : "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" : ينفي التقرب إلى الله بغير ما أمر الله به، أمر إيجاب أو أمر استحباب. وقوله ﷺ : "إنما الأعمال بالنيات" إلى آخره يبين العمل الباطن، وأن التقرب إلى الله إنما يكون بالإخلاص في الدين لله، كما قال الفضيل في قوله تعالى : ﴿لِيَتْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٦). قال : أخلصه وأصوبه (٧).

(١) فتح الباري ١/ ١١٠.

(٢) طرح التريب ٢/ ٥٠.

(٣) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٥ / ٣٥٥ رقم ٢٦٩٧، ومسلم "شرح النووي" كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد مخدّات الأمور ٦ / ٢٥٦، ٢٥٧ رقم ١٧١٨.

(٤) النعمان بن بشير : صحابي جليل له ترجمة في : الإصابة ٣/ ٥٥٩ رقم ٨٧٢٨، والاستيعاب ٤ / ١٤٩٦ رقم ٢٦١، وامد الغاية ٥ / ٣١٠ رقم ٥٢٣٧، وتاريخ الصحابة ص ٢٤٨ رقم ١٣٦٧، ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٥ رقم ٣٣٢.

(٥) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١ / ١٥٣ رقم ٥٢، ومسلم "شرح النووي" كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٦ / ٣١ رقم ١٥٩٩ وانظر : فتح الباري ١ / ١١، وطرح التريب ٢/ ٥٠، وجامع العلوم والحكم ١ / ٦١.

(٦) الآية ٢ من سورة الملئ.

(٧) انظر : جامع العلوم والحكم ١/ ٧٢، وتفسير البغوي ٤ / ٣٦٩، وتفسير القرطبي ١١ / ٦٩ - ٧٢، وتفسير ابن كثير ٣ / ١٠٨ - ١١٠، وفتح القدير ٣ / ٣٢٢ - ٣٢٣.

قال ابن تيمية : فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة النبوية، وعلى هذا دل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup> وإن هذين الأصلين الإخلاص وصواب العمل؛ هما دين الإسلام الذي ارتضاه الله<sup>(٢)</sup>.

ويقول أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي : "لو صنفت كتاباً بدأت في أول كل باب منه بحديث "إنما الأعمال"، وأوصى بذلك فقال : من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث"<sup>(٣)</sup>.

وحسبنا من هذه الأقوال بياناً لمكانة هذا الحديث، وإذا عرفت هذه المكانة، فهمت أن أعداء الإسلام لم يطعنوا في هذا الحديث من فراغ، فقد علموا قدره وعظمته ومكانته في الإسلام، فإذا سهل لهم أن يقدحوا فيه فغيره أولى بالقدح. ولكن الأمر على خلاف ما يظنون ويأملون.

(١) الآية ١١٠ من سورة الكهف.

(٢) الفتاوى لابن تيمية ٨ / ٢٤٩ - ٢٥٠ بتصرف، وانظر : النبوات له ص ١٢٦ .

(٣) انظر : سنن الترمذي كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء ٤ / ١٥٤ عقب حديث "إنما الأعمال" رقم ١٦٤٧، والأذكار للنووي ص ٦، وعمدة القاري ١ / ٢٢، واللائي السنيات في شرح حديث "إنما الأعمال بالنيات" للدكتور إبراهيم على سعدة.

## الفصل الثاني

### حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف"

وتحتة أربعة مباحث :

- المبحث الأول: شبه الطاعتين في حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف والرد عليها
- المبحث الثاني : معنى نزول القرآن على سبعة أحرف .
- المبحث الثالث : الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع .
- المبحث الرابع : بقاء الأحرف السبعة في المصاحف .



## المبحث الأول

### شبه الطاعنين في حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف والرد عليها

حديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف طعن فيه الرافضة قديماً، وزعموا بأنه ثبتت كفر الصحابة بوقوع التحريف اللفظي في القرآن الكريم، وهم كفار بذلك مشركون عند جميع أهل الإسلام<sup>(١)</sup>.  
وقديماً كان الإمام ابن حزم يرد على مزاعم وطعون قساوسة النصارى بأن القرآن فيه تحريف ونقص، وضاع كثير من أصوله وقراءاته باعتراف المسلمين من الشيعة الرافضة.

فيجيبهم ابن حزم بقوله: "إن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولا على المسلمين، لأن الشيعة غير مسلمين... إنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد للإسلام، وهي طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر"<sup>(٢)</sup>.  
ومن طعون الرافضة، استدلل إخوانهم من المستشرقين، وتكلموا كثيراً في موضوع القراءات بالأحرف السبعة محاولين إثبات أن هذه القراءات ليست من الوحي أساساً، وإنما نجمت عن "القراءة بالمعنى"، فلم يكن نص القرآن بحروفه بالنسبة لبعض المؤمنين هو المهم، ولكن المهم هو روح النص، ودليلهم ما جاء في بعض الروايات وفيها "كلها شاف كاف، ما لم تحتّم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب، نحو قولك: تعال وأقبل، وهلم، واذهب، وأسرع، وعجل"<sup>(٣)</sup>.

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١/ ٩٤.

(٢) الفصل في الملل والنحل ٢/ ٧٨، وانظر: مختصر التحفة الإثني عشرية ٣٠، ٥٠، ٨٢، والكاظمي للكليني ١/ ٣٤١ - ٤٥٣، وفصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي ص ١٥٦ - ١٥٧، و فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها ١/ ٢٣١، والخطوط العريضة ص ٢٧ - ٣٠، والشيعة والسنة للأستاذ حسين المكي ظهير ص ٦٥ - ١٣٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٤١، ٥٢، ١١٤، ١٢٢، من حديث أبي بكره رضي الله عنه قال الميثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥١، ورواه أحمد والطبراني نحوه إلا أنه قال واذهب وأدبر، وفيه على بن زيد بن جدعان، وهو سعي الحفظ، وقد تويع، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح هـ. انظر: المعجم الكبير ١٠/ ١٨٢ رقم ١٠٢٧٣ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ولعل أول من ذهب إلى ذلك من المستشرقين جولدتسيهر، في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي" حيث ذهب إلى أن اختلاف القراءات القرآنية راجع إلى خلوص المصاحف العثمانية من النقط والشكل إذ يقول وهو يتحدث عن اختلاف القراءات القرآنية: "وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في الحصول الموحد الغالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات، في نص لم يكن منقوفاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه" (١). وردد هذا الرأي المستشرق الاسترالي الأصل "آرثر جفرى" وذكره في مقدمة تحقيقه لكتاب "المصاحف" لابن أبي داود قال: "وكانت هذه المصاحف التي بعثها عثمان إلى الأمصار؛ كلها خالية من النقط والشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط، ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات" (٢).

ونتيجة ذلك كله هي القول بحدوث تغيير في النص القرآني (٣). وقد تابع هذين المستشرقين بعض العلماء العرب، من الجامعيين وغيرهم، وأذاعوه في كتبهم. يقول الدكتور طه حسين (٤): "إن القرآن تلى بلغة واحدة، ولهجة واحدة هي لغة قریش ولهجتها، لم يكدها يتناولها القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته، وتعددت اللهجات فيه، وتباينت تبايناً كثيراً... إلى أن يقول: "والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير، وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولا معتمراً في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها، للناس أن يجادلوا فيها وأن ينكروا بعضها ويقبلوا بعضها" (٥).

(١) انظر: مذاهب التفسير الإسلامي لجولدتسيهر ص ٨، ٥٣ وما بعدها.

(٢) المصاحف لابن أبي داود تحقيق آرثر ص ٧، وانظر: إعادة قراءة القرآن لحاك بيرك ص ٨٤، ٨٩.

(٣) انظر: الاستشراق لفضيلة الدكتور محمود حمدي زقزوق ص ١٠٩، ١١٠، ومجلة الوعي الإسلامي مقال الدكتور حسن عزوزي آليات المنهج الاستشراقي في دراسة مصنفات علوم القرآن العدد ٣٩٦ ص ٣٨ - ٤٢.

(٤) طه حسين: هو طه حسين بن علي بن سلامة بدأ حياته في الأزهر، ثم الجامعة المصرية القديمة، وهو أول من نال شهادة منها سنة ١٩١٤م، وحصل على العالمية من فرنسا، وعمل أستاذاً بكلية الآداب، فعميداً للكلية، فمديراً للجامعة المصرية، فوزيراً للمعارف. من مؤلفاته: مستقبل الثقافة في مصر، والشعر الجاهلي، وفي الأدب الجاهلي، والفتنة الكبرى، وغير ذلك من مؤلفاته التي تحمل سموم الاستشراق مات سنة ١٩٧٣م، له ترجمة في الأعلام ٣ / ٢٣١، وانظر: رجال اختلف فيهم الرأي للأستاذ أنور الجندى.

(٥) في الأدب الجاهلي ص ٩٤، ٩٥، ومن قال بقوله المستشمار سعيد العشماوى في كتابه حصاد العقل ص ٧٢، ٧٣، والدكتور محمد أركون في كتابه الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ص ٧٧-٩٩، والدكتور نصر أبو زيد في كتابه "نقد الخطاب الديني" ص ٥٣، "والإمام الشافعي" ص ٥٩-٦٢، والمستشار مصطفى المهدي في كتابه البيان بالقرآن ١ / ٢٣، وانظر: رد الدكتور محمد محمد حسين على بحث جامعي في كتابه "حصوننا مهددة من داخلها" ص ٢٥١-٢٧٠.

ويقول الدكتور أحمد حجازى السقا بعد ذكره حديث عمر رضي الله عنه فى نزول القرآن على سبعة أحرف قال : "هذه الرواية التى اتفق عليها البخارى والمحدثون، وشبهها كثير تثبت التحريف اللفظى فى القرآن، فإن هذه الرواية وشبهها يكونون من الروايات الكاذبة التى وضعها المحدثون عمداً فى كتبهم للطعن فى القرآن الكريم" (١).

ويجيب على ما سبق بالآتى :

أولاً : حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف" جاء متواتراً عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم فأورده الحافظ السيوطى فى الأزهار المتناثرة من حديث عمر، وعثمان، وأبى بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمره بن جندب، وسليمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعمر بن أبى سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبى بكرة، وأبى جهم، وأبى سعيد الخدرى، وأبى طلحة، وأبى هريرة، وأم أيوب (٢)، وزاد الكتانى حديث ابن عمر، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو ابن العاص (٣)، فهؤلاء أربع وعشرون صحابياً، ما منهم إلا رواه وحكاه.

ونكتفى هنا بسرد بعض الروايات عن بعضهم.

روى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن ابن عباس - رضى الله عنهما -؛ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : "أقرأنى جبريل على حروف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف" (٤). زاد مسلم : "قال ابن شهاب : بلغنى أن تلك السبعة فى الأمر الذى يكون واحداً لا يختلف فى حلال ولا حرام" (٥).

وفى الصحيحين أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : سمعت هشام بن حكيم (٦) يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو

(١) دفع الشبهات عن الشيخ الغزالى ص ١٤٨ .

(٢) الأزهار المتناثرة ص ٤٩، ٥٠ رقم ٥٩ وانظر : تدريب الراوى ٢ / ١٧٩، ١٨٠، وتوجيه النظر ص ٤٩، وفتح البارى ٩ / ٦٤٣ رقم ٤٩٩١، ٤٩٩٢، وفواتح الرحموت ٢ / ١٥٠ .

(٣) نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٧٣ رقم ١٩٧، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة فى نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة عبدالعزيز الغمارى، ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص ٢١٢ .

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٨ / ٦٣٩ رقم ٤٩٩١ .

(٥) مسلم (بشرح التورى) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ٣ / ٣٦٠ رقم ٨١٩ .

(٦) هشام بن حكيم : صحابى جليل له ترجمة فى : الإصابة ٣ / ٦٠٣ رقم ٨٩٦٣، والاستيعاب ٤ / ١٥٣٨ رقم ٥٣٧٤، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٥ رقم ١٣٤ .

يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئها رسول الله ﷺ، فكادت أساوره في الصلاة، فانتظرت حتى سلم، ثم لبسته بردائه، فقلت : من أقرأك هذه السورة؟ قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ. قلت له : كذبت فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان. فقال رسول الله ﷺ : أرسله يا عمر : اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها. قال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله ﷺ : "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه" (١).

وروى مسلم بسنده عن أبي بن كعب ؓ قال : "كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ، فحسن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنا انظر إلى الله ﷻ فرقاً فقال لي : يا أباي أرسل إليّ : أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه : أن هون على أمتي، فرد إلى الثانية : أقرأه على حرفين فرددت إليه : أن هون على أمتي، فرد إلى الثالثة : أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألينها. فقلت : "اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام" (٢) أ.هـ.

ومن هذه الروايات المتفق على صحتها يظهر إفك من زعم بأن روايات نزول القرآن على سبعة أحرف مكذوبة، كما يظهر إفك من زعم أن القرآن نزل بحرف واحد فقط.

وظهر في الروايات السابقة : "أن اختلاف القراء إنما حدث في حياة الرسول ﷺ" فيما تلاه عليهم وسمعه منه مشافهة، ولم يأت هذا الخلاف نتيجة النظر في المصحف

(١) البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٦٣٩/ ٨ رقم ٤٩٩٢، ومسلم (بشرح النووي) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه ٣/ ٣٥٩ رقم ٨١٨.

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه ٣/ ٣٦٠ رقم ٨٢٠.

المكتوب المقروء الخالي من النقط والشكل، كما زعم جولدتسيهر، وآرث جفري ومن قال بقولهم.

ثانياً : لو كان خلو المصاحف من الشكل والإعجام سبباً في تنوع القراءات واختلافها، لكان القارئ الذي يقرأ الكلمة وفق رسم معين، يلتزمه في أمثاله ونظائره حيث وقع في القرآن الكريم، ولم يحدث هذا، وإليك مثلاً واحداً.

قوله تعالى في فاتحة الكتاب ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup> وقوله سبحانه ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى في سورة الناس ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup>. فلو تأملت المواضع الثلاثة في المصحف لوجدت الكلمة فيها كلها هكذا "ملك" بالميم واللام والكاف فقط، ولكن حفصاً يقرأ عن عاصم، في الفاتحة "مالك" بالألف بعد الميم، وكذلك يقرأ آية آل عمران، أما في سورة الناس فيقرأ "ملك" من دون الألف كان حفص يقرأ وفق رسم المصحف لقرأ في المواضع الثلاثة "ملك"، ولكنه يقرأ بالرواية المتواترة عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وكذلك قد تختلف القراءات أحياناً لغة ونحواً، وهكذا يبدو للناس في ظاهر الأمر، ولكن الاختلاف في الحقيقة راجع إلى التلقي والرواية، لا إلى القاعدة اللغوية أو النحوية. وهذا مثال واحد : قال الله تعالى : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾. جاءت هذه الآية في موضعين<sup>(٥)</sup> ويقرأ القراء جميعاً "كلًا" بالنصب في الآيتين، لكن ابن عامر يقرأ آية النساء بالنصب؛ كسائر القراء، أما آية الحديد فيقرأها وحده "وكل" بالرفع، وللنحويين في توجيه الرفع والنصب كلام.

فلو كان ابن عامر يقرأ وفق القاعدة النحوية لقرأ الآيتين بالرفع، ولكنه قرأ بالرواية التي تلقاها هو بالتواتر عن سيدنا رسول الله ﷺ : مرة بالنصب، ومرة بالرفع، مع أن تركيب الآية واحد في الموضعين.

ومثال ثان : الإمالة ظاهرة صوتية، وهي "ان تنجى بالألف نحو الياء، فيلزم أن تنجى بالفتحة قبلها نحو الكسرة"، وهي لغة بعض القبائل العربية، وقد قرأ بها بعض القراء، والتزموها حيث وجدت دواعيها في القرآن الكريم، لكن حفصاً الذي يقرأ

(١) الآية ٤ من سورة الفاتحة.

(٢) الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٢ من سورة الناس.

(٤) انظر: القراءات في نظر المستشرقين والمحدثين لفضيلة الشيخ عبدالفتاح القاضي ص ٤٩-٥٣.

(٥) جزء من الآية ٩٥ من سورة النساء، وجزء من الآية ١٠ من سورة الحديد.

بقراءته، كثير من المسلمين الآن بروايته عن عاصم، لم يقرأ بالإمالة إلا فى موضع واحد من الذكر الحكيم وهو قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَفُرْسَاَهَا﴾ (١).

وهكذا يختلف القراء ويتفقون بحسب الرواية والتلقى، وليس بحسب رسم المصحف أو الوجه النحوى أو اللغوى، صحيح أن هذين فى الاعتبار، ولكن بعد ثبوت الرواية بالتواتر، والسند الصحيح إلى رسول الله ﷺ، وموافقة الرسم العثمانى، وأن يكون للقراءة وجه صحيح من العربية.

فإذا سمعت قراءة مسندة لواحد من القراء السبعة أو العشرة؛ كأن يقال : قراءة نافع أو عاصم أو الكسائى، فلا تظن أنها من اختراعه أو ابتداعه، ولكنها اختياره الذى ارتضاه من طريق الرواية المسندة الصحيحة.

ولذلك أثر عن أبى عمرو بن العلاء وهو أحد القراء السبعة قوله "لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قرئ به لقرأت كذا وكذا. وذكر حروفاً".

ويريد أبو عمرو أن القراءة سنة واتباع وأثر، ولا دخل فيها للسليقة أو الاستحسان اللغوى أو الترجيح النحوى أو رسم المصحف. ومن ثم يرى كثير من العلماء أن ترجيح قراءة متواترة على قراءة متواترة لا يجوز. يقول أبو العباس ثعلب "إذا اختلف الإعراب فى القرآن عن السبعة، لم أفضل إعراباً على إعراب فى القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام، كلام الناس فضلت الأقوى" (٢).

#### قراءات ربانية :

يقول الدكتور محمود الطنحى : "ثبت إذن أن القراءات القرآنية كلها بوجوهها المختلفة من عند الله، ولا دخل لخط المصحف فيها، ولا للوجوه النحوية أو اللغوية فيها كذلك، وثبت أيضاً أن اختلاف القراءات القرآنية إنما هو اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد" (٣) أ.هـ.

واعلم أن معنى قول "أبى بن كعب ؓ فسقط فى نفسى من التكذيب إلخ" أن الشيطان ألقى إليه من وساوس التكذيب ما شوش عليه حاله، حين رأى النبى ﷺ، قد حسن القراءتين وصوبهما على ما بينهما من اختلاف، وكانت فى سورة واحدة هى سورة النحل على ما رواه الطبرى. وكأن الذى مر بخاطره وقتئذ أن هذا الاختلاف

(١) جزء من الآية ٤١ من سورة هود.

(٢) انظر: الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلى ١/ ٤٨، ٤/ ٥٦٣.

(٣) انظر : مجلة العربى العدد ٤٨٠ لسنة ١٩٩٨، ص ١١٤ - ١١٩.

فى القراءة ىنافى أنه من عند الله . لكنه كان خاطراً من الخواطر الرديئة التى لا تنال من نفس صاحبها منالاً، ولا تفتتها عن عقيدة، ولا يكون لها أثر باق، ولا عمل دائم . ومن رحمة الله بعباده؛ أنه لا يؤاخذهم بهواجس النفوس وخلجات الضمائر العابرة، ولكن يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم، حين يفتح الإنسان للشبهة صدره، ويوجه إليها اختياره وكسبه، ثم يعقد عليها فؤاده وقلبه .

قال القرطبى : "فكان هذا الخاطر الذى سقط فى نفس أبى من قبيل ما قال فيه النبى ﷺ حين سأله : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : أو قد وجدتموه؟ قالوا: نعم . قال ذلك صريح الإيمان" (١) . أ. هـ .

ومن هنا تعلم أن ما خطر لسيدنا أبى بن كعب ؓ، لا يمس مقامه، ولا يصادم إيمانه، ما دام قد دفعه بإرشاد رسول الله ﷺ سريعاً حتى قال أبى نفسه : "ففضت عرقاً، وكأنى انظر إلى الله ﷻ فرقاً" (٢) . أ. هـ .

أضف إلى ما ذكرنا أن خصومة أبى بن كعب، وعمر وغيرهم من الصحابة فى أمر اختلاف القراءة على هذا النحو، إنما كانت قبل أن يعلموا أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فهم وقتئذ كانوا معذورين، بدليل أنهم لما علموا بذلك، واطمأنت إليه نفوسهم، عمل كل منهم بما علم، وصاروا مراجع مهمة من مراجع القرآن الكريم على اختلاف رواياته .

يدل على ذلك ما روى عن أبى ابن كعب ؓ قال : لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين : منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل، الذى لم يقرأ كتاباً قط، قال : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف" (٣) .

أما ما زعمه دعاة اللادينية أن القراءات ليست من الوحي، ومصدرها لهجات القبائل المختلفة، فهذا كذب آخر .

يبطله أن المختلفين فى الخبر المذكور الذى أوردناه آنفاً كل منهما قرأ سورة الفرقان

(١) أخرجه مسلم (بشرح النوى) كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة فى الإيمان وما يقوله من وجدها ١ / ٣٤٠ رقم ١٣٢ من حديث أبى هريرة ؓ .

(٢) مناهل العرفان ١ / ١٤٣ - ١٤٤ . وانظر : فتح البارى ٩ / ٦٤٠، ٦٤١، والمنهاج شرح مسلم للنوى ٣ / ٣٦٤ .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف ٥ / ١٧٨، ١٧٩ رقم ٢٩٤٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح، وقد روى من غير وجه عن أبى بن كعب . وانظر : مناهل العرفان ١ / ١٤٤ وما بعدها .

بحرفين مختلفين، كانا جميعاً بنى عم قرشين، من قريش البطاح، من قبيلة واحدة، جاران ساكنان فى مدينة واحدة، وهى مكة، لغتهما واحدة، وهما عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قريط بن رزاح بن عدى بن كعب، وهشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن كلاب بن مرة بن كعب، ويجمعان جميعاً فى كعب بن لؤى، بين كل واحد منهما، وبين كعب بن لؤى، ثمانية آباء فقط.

فظهر كذب من ادعى أن اختلاف الأحرف، إنما كان لاختلاف لغات قبائل العرب. وأبى ربك إلا أن يحقق الحق، ويطل الباطل، ويظهر كذب الكاذب، ونعوذ بالله العظيم من الضلال والعصية للخطأ" (١) أ. هـ.

---

(١) الإحكام لابن حزم ٥/ ٥٧١، ٥٧٢ .

## المبحث الثانى

### معنى نزول القرآن على سبعة أحرف

قوله ﷺ : "أنزل القرآن على سبعة أحرف" أى على سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها .

وليس المراد أن كل كلمة أو جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات فى الكلمة الواحدة إلى سبعة .  
فإن قيل فإننا نجد بعض الكلمات يقرأ على سبعة أوجه .  
فالجواب أن غالب ذلك إما لا يثبت الزيادة، وإما أن يكون من قبيل الاختلاف فى كيفية الأداء كما فى المد والإمالة ونحوهما<sup>(١)</sup> .

قال الشيخ الزرقانى -رحمه الله- : "وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على سبعة أوجه : إذا لقى ﷺ "إن هذا القرآن أنزل سبعة أحرف" بحذف لفظ "على" .  
بل المراد ما علمت من أن هذا القرآن أنزل على هذا الشرط وهذه التوسعة، بحيث لا تتجاوز وجوه الاختلاف سبعة أوجه، مهما كثر ذلك التعدد والتنوع فى أداء اللفظ الواحد، ومهما تعددت القراءات، وطرقها فى الكلمة الواحدة . فكلمة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup> التى ورد أنها تقرأ بطرق تبلغ السبعة أو العشرة، وكلمة ﴿وَعَبْدَ الطَّاغُوتِ﴾<sup>(٣)</sup> التى ورد أنها تقرأ باثنتين وعشرين قراءة، وكلمة ﴿أَف﴾ من قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾<sup>(٤)</sup> والتى أوصل الرمانى لغاتها إلى سبع وثلاثين لغة . وكل أولئك وأشباه أولئك، لا يخرج التباين فيه على كثرته عن وجوه سبعة<sup>(٥)</sup> .

وعلى هذا فالمراد بالأحرف فى الأحاديث السابقة وجوه فى الألفاظ وحدها لا محالة، بدليل أن الخلاف الذى صورته لنا الروايات المذكورة كان دائراً حول قراءة الألفاظ لا تفسير المعانى، مثل قول عمر : "إذ هو يقرؤها على حروف كثيرة لم

(١) فتح البارى ٨ / ٦٤٠ رقم ٤٩٩١ .

(٢) الآية ٤ من سورة الفاتحة .

(٣) جزء من الآية ٦٠ من سورة المائدة .

(٤) جزء من الآية ٢٣ من سورة الإسراء .

(٥) مناهل العرفان ١ / ١٥٦ .

يقرئها رسول الله ﷺ ثم حكم الرسول أن يقرأ كل منهما، وقوله ﷺ: "هكذا أنزلت" وقوله: "أى ذلك قرأتم فقد أصبتم" ونحو ذلك، ولا ريب أن القراءة أداء الألفاظ، لا شرح المعاني<sup>(١)</sup>.

إن القراءات كلها على اختلافها كلام الله، لا مدخل لبشر فيها، بل كلها نازلة من عنده تعالى، مأخوذة بالتلقى عن رسول الله ﷺ، يدل على ذلك أن الأحاديث الماضية تفيد أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرجعون فيما يقرأون إلى رسول الله ﷺ يأخذون عنه ويتلقون منه كل حرف يقرأون عليه، انظر قوله ﷺ في قراءة كل من المختلفين "هكذا أنزلت" وقول المخالف لصاحبه: "أقرأنيها رسول الله ﷺ".

ثم أضف إلى ذلك أنه لو صح لأحد أن يغير ما شاء من القرآن بموافقة أو غير مرادفة، لبطلت قرآنية القرآن، وأنه كلام الله، ولذهب الإعجاز، ولما تحقق قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما يهدف إليه دعاة اللادينية في قولهم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" أى أنه أنزل على سبع لغات مختلفة في لفظها ومادتها. يفسر ذلك القول ابن مسعود: إنما هو كقولك هلم وتعال وأقبل<sup>(٣)</sup>.

ويجاب عن ذلك فضلاً عما سبق أن التبديل والتغيير مردود من أساسه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّكَ بَقْرَةٌ غَيْرُ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup> قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ<sup>(٥)</sup>.

أما ما جاء في حديث أبي الدرداء، وقراءته على قراءة ابن مسعود مرفوعاً: "والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأُنثى"<sup>(٥)</sup>.

فأجاب عن ذلك الإمام المازري<sup>(٦)</sup> فقال: "يجب أن يعتقد في هذا الخير وما في

(١) المصدر السابق ١/ ١٥٤ وانظر المراد بالوجه السبعة التي لا تخرج عنها القراءات في المصدر السابق ١/

١٥٦، وفتح الباري ٨/ ٦٤٠.

(٢) الآية ٩ من سورة الحجر.

(٣) في الأدب الجاهلي ص ٩٥.

(٤) الآيات ١٥، ١٦ من سورة يونس.

(٥) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات ٣/ ٣٧٠ رقم ٨٢٤.

(٦) المازري هو: الإمام العلامة محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، أبو عبد الله، من فقهاء المالكية، كان محدثاً، فقيهاً، أصولياً، أدبياً، وله دراية بالطب، من مصنفاته المعلم بفوائد شرح مسلم، وإيضاح المحصول من برهان الأصول، وغير ذلك توفي عام ٥٣٦هـ. له ترجمة في: الديباج المذهب ص ٢٧٤ رقم ٥٠٨، وسير أعلام النبلاء-

معناه أن ذلك كان قرآنًا ثم نسخ، ولم يعلم من خالف النسخ فبقى على النسخ، ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه، المحذوف منه كل منسوخ، وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن بأحد منهم أنه خالف فيه<sup>(١)</sup>.

قال ابن حزم مؤيداً ذلك: "لأن قراءة عاصم المشهورة" المأثورة عن زر بن حبیش عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، وقراءة ابن عامر مسندة إلى أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ فيهما جميعاً ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾<sup>(٢)</sup> فهي زيادة لا يجوز تركها"<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

وأما ابن مسعود ﷺ فرويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عند أهل النقل، وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه، فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس من القرآن، وكان لا يعتقد تحريم ذلك، وكان يراه، كصحيفة يثبت فيها ما يشاء، وكان رأى عثمان والجماعة، منع ذلك لئلا يتطاول الزمان ويظن ذلك قرآنًا.

قال المازري: فعاد الخلاف إلى مسألة فقهية، وهي أنه هل يجوز إلحاق بعض التفاسير في أثناء الصحف؟ قال: ويحتمل ما روى من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن، وكتب ما سواهما وتركهما لشهرتهما عنده وعند الناس"<sup>(٤)</sup> أ.هـ.

يقول ابن حزم: "ومن العجب أن جمهرة من المعارضين لنا، وهم المالكيون، قد صح عن صاحبهم مالك بن أنس أنه قال: اقرأ عبد الله بن مسعود رجلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ﴾<sup>(٥)</sup> طَعَامُ الْأَثِيمِ" فجعل الرجل يقول: طعام اليتيم، فقال له ابن مسعود طعام الفاجر. قال ابن وهب قلت لمالك: أترى أن يقرأ كذلك؟ قال نعم أرى ذلك واسعاً، فقل لمالك: أفترى أن يقرأ بمثل ما قرأ عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله؟ قال مالك: ذلك جائز... إلخ.

قال ابن حزم: "فكيف يقولون مثل هذا؟ أيجيزون القراءة هكذا! فلعمري لقد

= ١٢٩/ ١٢٧، ووفيات الأعيان ١/ ٤٨٦، وشذرات الذهب ٤/ ١١٤، والوفاء بالوفيات ٤/ ١٥١، وشجرة النور الزكية ١/ ١٢٧ رقم ٣٧١.

(١) المنهاج شرح مسلم للنووي ٣/ ٣٧١.

(٢) الآية ٣ من سورة الليل.

(٣) الإحكام لابن حزم ٥/ ٥٧٣.

(٤) المنهاج شرح مسلم ٣/ ٣٧١ وانظر: الإتيان ١/ ٢١٣، ٢١٤، وتأويل مشكل القرآن ص ٤٧-٤٩، وبحوث في القرآن والسنة للأستاذ عبد الله كتون ص ٩٤-٩٦.

(٥) الأيتان ٤٣، ٤٤ من سورة الدخان.

هلكوا وأهلكوا، وأطلقوا كل بائقة فى القرآن، أو يمنعون من هذا، فيخالفون أصحابهم فى أعظم الأشياء، وهذا إسناد عنه فى غاية الصحة وهو مما أخطأ فيه مالك مما لم يتدبره، لكن قاصداً إلى الخير، ولو أن امرأً ثبت على هذا وجازه بعد التنبيه له على ما فيه، وقيام حجة الله تعالى عليه فى ورود القرآن بخلاف هذا لكان كافراً، ونعوذ بالله من الضلال (١) أ.هـ.

وهاك برهاناً آخر ذكره صاحب التبيان فى آداب حملة القرآن - على فساد مزاعم أعداء الإسلام من المستشرقين وأذيانهم من جواز "قراءة القرآن بالمعنى".

يقول الإمام النووى : "إن النبى ﷺ علم البراء بن عازب دعاء فيه هذه الكلمة ونبىك الذى أرسلت" فلما أراد البراء أن يعرض ذلك الدعاء على رسول الله ﷺ قال: "ورسولك الذى أرسلت" فلم يوافق النبى ﷺ على ذلك، بل قال له : "لا. ونبىك الذى أرسلت" (٢). وهكذا نهاه ﷺ أن يضع لفظة "رسول"، موضع لفظة "نبى" مع أن كليهما حق لا يحيل معنى، إذ هو ﷺ رسولٌ ونبىٌ معاً.

ثم قال : فكيف يسوغ للجهال المغفلين أن يقولوا : إنه ﷺ كان يجوز أن يوضع فى القرآن الكريم مكان عزيز حكيم، غفور رحيم، أو سميع عليم. وهو يمنع من ذلك فى دعاء ليس قرآنًا، والله يقول مخبراً عن نبيه ﷺ : ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدُلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ (٣)، ولا تبديل أكثر من وضع كلمة، مكان أخرى (٤) أ.هـ.

ويقول فضيلة الأستاذ الدكتور زقزوق رداً على مزاعم المستشرقين فى ترويحهم لفكرة "قراءة القرآن بالمعنى" : "إن الواقع الذى عليه المسلمون منذ أربعة عشر قرناً هو تمسكهم الشديد بالمحافظة على الوحى القرآنى لفظاً ومعنى، ولا يوجد مسلم يستبيح لنفسه أن يقرأ القرآن بأى لفظ شاء ما دام يحافظ على المعنى.

وليبحث المستشرقون اليوم فى أى مكان فى العالم عن مسلم يستبيح لنفسه مثل ذلك وسيعيهم البحث.

فلماذا إذن هذا التشكيك فى صحة النص القرآنى وهم يعلمون مدى حرص المسلمين فى السابق واللاحق على تقديس نص القرآن الكريم لفظاً ومعنى؟

(١) الأحكام لابن حزم ٥ / ٥٧٤ .

(٢) سبق تخريجه ١ / ٣٦٧ .

(٣) الآية ١٥ من سورة يونس .

(٤) انظر : مناهل العرفان ١ / ١٩١ .

إنهم يبحثون دائماً - كما سبق أن أشرنا - عن الآراء المرحوحة والأسانيد الضعيفة لينبؤوا عليها نظريات لا أساس لها من التاريخ الصحيح، ولا من الواقع.

فنحن المسلمون قد تلقينا القرآن الكريم عن الرسول ﷺ، وهو بدوره تلقاه وحياً من الله ولم يحدث أن أصاب هذا القرآن أى تغيير أو تبديل على مدى تاريخه الطويل، وهذه ميزة فريدة انفرد بها القرآن وحده من بين الكتب السماوية كافة، الأمر الذى يحمل فى طياته صحة هذه الشريعة التى ختم بها الله ﷻ دينه الذى بعث به جميع أنبيائه، ورسله من لدن آدم إلى خاتمهم ﷺ.

وفى هذا الصدد نورد ما ذكره "رودى بارت" فى مقدمة ترجمته الألمانية للقرآن - وكأنه يرد على زملائه الذين راحوا يشككون فى صحة النص القرآنى - يقول "بارت": "ليس لدينا أى سبب يحملنا على الاعتقاد بأن هناك آية فى القرآن كله لم ترد عن محمد ﷺ (١) أ.هـ.

---

(١) الاستشراق للدكتور محمود حمدي زفروني ص ١١١، ١١٢ بتصرف يسير.

## المبحث الثالث الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع

إن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، لا تعنى القراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة<sup>(١)</sup>، ومن زعم ذلك أخطأ من وجهين :

أحدهما : أن الأحرف التي نزل بها القرآن، أعم من تلك القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة القراء عموماً، وأن هذه القراءات أخص من تلك الأحرف السبعة النازلة خصوصاً مطلقاً، ذلك لأن الوجوه التي أنزل الله عليها كتابه، تنتظم كل وجه قرأ به النبي ﷺ، وأقرأه أصحابه، وذلك ينتظم القراءات السبع المنسوبة إلى هؤلاء الأئمة السبعة القراء، كما ينتظم ما فوقها إلى العشرة، وما بعد العشرة، وما كان قرأناً، ثم نسخ، ولم يصل إلى هؤلاء القراء جميعاً، ولهذا نصوا في المذهب المختار على أنه يشمل كل وجوه القراءات : صحيحها وشاذها ومنكرها<sup>(٢)</sup>.

وقال مكى بن أبى طالب<sup>(٣)</sup> : "هذه القراءات التي يقرأ بها اليوم، وصحت رواياتها عن الأئمة، جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن"... قال ومن ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع، وعاصم، هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطاً عظيماً، قال : ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم، ووافق خط المصحف أن لا يكون قرأناً<sup>(٤)</sup>.

(١) القراء السبعة المعروفون هم :

- ١- عبد الله بن عامر (ت ١١٨هـ).
- ٢- عبد الله بن كثير الداربي (ت ١٢٠هـ).
- ٣- أبو بكر عاصم بن أبى النجود الأسدي (ت ١٢٧هـ).
- ٤- أبو عمرو زيان بن العلاء البصري (ت ١٥٤هـ).
- ٥- حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ).
- ٦- نافع بن عبد الرحمن (ت ١٦٩هـ).
- ٧- علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ). انظر : مناهل العرفان ١/ ٤٥٣ - ٤٥٩، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ٨٢ وما بعده، وغاية النهاية لابن الجزرى ١/ ٢٦١ وما بعدها.

(٢) مناهل العرفان ١/ ١٩٣.

(٣) مكى بن أبى طالب هو : مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسي، كان من أهل التبحر في علوم القرآن، والعربية، كثير التأليف في علوم القرآن، محسناً لذلك، من مصنفاته "الإيجاز" و"الموجز في القراءات" و"الهداية في التفسير" وغير ذلك توفي سنة ٤٣٧هـ. له ترجمة في : الديباج المذهب ص ٤٢٤ رقم ٥٩٥، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٠، وشذرات الذهب ٣/ ٢٦٠، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٣١ رقم ٦٤٣، وطبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ٣٠٩.

(٤) فتح الباري ٨/ ٦٤٨، وانظر : الإقناع للسيوطي ١/ ٢١٥ فقرة رقم ١٠٩٧، والأحرف السبعة في القرآن ومنزلة القراءات منها للدكتور حسن ضياء الدين مبحث "شواهد من أقوال العلماء في بيان أن القراءات بعض الأحرف" ص ٢٢٦.

وفى هذا رد على طه حسين ومن قال بقوله : "إن القراءات ليست من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن" (١) أ.هـ.

ثانيهما : أن السبعة لم يكونوا قد خلقوا، ولا وجدوا حين نطق الرسول ﷺ، بهذا الحديث الشريف . ومحال أن يفرض الرسول على نفسه، وعلى أصحابه، ألا يقرأوا بهذه الأحرف السبعة النازلة إلا إذا علموا أن هؤلاء القراء السبعة قد اختاروا القراءة بها، على حين أن بين العهدين بضعة قرون (٢)، وعلى حين أن هؤلاء القراء وسواهم إنما أخذوا عن النبي ﷺ، من طريق أصحابه، ومن أخذ عنهم، إلى أن وصلوا إليهم .

ثم إن القول بأن الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ما هى إلا تلك القراءات السبع المعروفة الآن، يستلزم أن يبقى قول الرسول ﷺ : "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف" عارياً عن الفائدة، غير نافذ الأثر، حتى يولد القراء السبعة المعروفون وتؤخذ القراءة عنهم . وذلك باطل أيضاً يكذبه الواقع من قراءة النبي ﷺ، وقراءة أصحابه وتابعيه بالأحرف السبعة من قبل أن يولد القراء السبعة المعروفون .

قال المحقق ابن الجزرى : "فلو كان الحديث منصرفاً إلى قراءات السبعة المشهورين أو سبعة غيرهم من القراء الذين ولدوا بعد التابعين، لأدى ذلك إلى أن يكون الخير عارياً عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء السبعة، فتؤخذ عنهم القراءة، وأدى أيضاً إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به، وهذا باطل، إذ طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثقة، لفظاً عن لفظ، إماماً عن إمام، إلى أن يتصل بالنبي ﷺ (٣) .

وقال أبو شامة (٤) : "ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل" (٥) أ.هـ .

(١) انظر : فى الأدب الجاهلى لطلح حسين ص ٩٥ .

(٢) اشتهرت هذه القراءات السبع على رأس المائتين فى الأمصار الإسلامية، ولم تأخذ مكانها من التدوين إلا فى خاتمة القرن الثالث، حين قام الإمام ابن مجاهد أحمد بن موسى بجمع قراءات هؤلاء الأئمة السبعة أ.هـ، انظر : مناهل العرفان ١/ ١٩٣ هامش .

(٣) مناهل العرفان ١/ ١٩٣ - ١٩٤ .

(٤) أبو شامة هو : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو شامة المقدسى، الإمام الحافظ المحدث المجتهد الشافعى، المقرئ، النحو، تولى مشيخه الإقراء، والحديث بدمشق . من مؤلفاته : "شرح الشاطبية" و "مختصر تاريخ دمشق" وغير ذلك مات سنة ٦٦٥ هـ . له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٦٠ رقم ١١٥٧، وطبقات المفسرين للداوردي ١ / ٢٦٨ رقم ٢٥٤، وطبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٣٦٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٨ / ١٦٥، وشذرات الذهب ٥ / ٣١٨ .

(٥) فتح البارى ٨ / ٦٤٧، وانظر : الإتيقان ١ / ٢١٥ فقرة رقم ١٠٩٣ .

## المبحث الرابع بقاء الأحرف السبعة في المصاحف

يقول الإمام ابن حزم رداً على من زعم أن سيدنا عثمان رضي الله عنه أسقط ستة أحرف من جملة الأحرف السبعة المنزلة بها القرآن من عند الله تعالى. قال : تلك "عظيمة من عظام الإفك والكذب، ويعيد الله تعالى عثمان رضي الله عنه من الردة بعد الإسلام.

ولقد أنكر أهل التعسف على عثمان رضي الله عنه أقل من هذا، مما لا نكره فيه أصلاً، فكيف لو ظفروا له بمثل هذه العظيمة. ومعاذ الله من ذلك، وسواء عند كل ذي عقل، إسقاط قراءة أنزلها الله تعالى، أو إسقاط آية أنزلها الله تعالى، ولا فرق، وتعالى الله عن أن أجاز هذا غافلاً، ثم وقف عليه، وعلى برهان المنع من ذلك وأصر، فإنه خروج عن الإسلام لا شك فيه، لأنه تكذيب لله تعالى في قوله الصادق لنا : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup> وفي قوله الصادق : ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾<sup>(٢)</sup> فإذا قرأناه فاتبع قرآنه<sup>(٣)</sup> (١٨) ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانُهُ<sup>(٤)</sup> فالكل مأمورون باتباع قرآنه الذي أنزله الله تعالى عليه. فمن أجاز خلاف ذلك فقد أجاز خلاف الله تعالى وهذه ردة صحيحة لا مرية فيها، وما رامت غلاة الروافض وأهل الإلحاد الكائدون للإسلام<sup>(٥)</sup> إلا بعض هذا<sup>(٦)</sup> أ.هـ.

يقول الشيخ الزرقاني : "ونحن إذا رجعنا بهذه الأوجه السبعة إلى المصاحف العثمانية وما هو مخطوط بها في الواقع ونفس الأمر، نخرج بهذه الحقيقة التي لا تقبل النقص، ونصل إلى فصل الخطاب في هذا الباب، وهو أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها. ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلاً أو بعضاً، بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأساً"<sup>(٧)</sup>.

ويدل على ذلك خطة سيدنا عثمان رضي الله عنه في جمعه للقرآن الكريم وقوله للرهط

(١) الآية ٩ من سورة الحجر.

(٢) الآيات ١٧-١٩ من سورة القيامة.

(٣) انظر : في الأدب الجاهلي لطفه حسين ص ٩٦-٩٩ وبقية المصادر السابقة ص ٧٢٤ .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام ٤ / ٥٦٥، ٥٦٦ .

(٥) مناهل العرفان ١ / ١٧١، وانظر : فتح الباري ٨ / ٦٢٦ - ٦٣٨ أرقام ٤٩٨٦ - ٤٩٨٨ .

القريشيين الثلاثة : عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام : "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم" ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصه، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق<sup>(١)</sup> فدل ذلك على ما هو مجمع عليه، أن سيدنا عثمان رضي الله عنه كتب مصاحف متعددة متفاوتة في إثبات، وحذف، وبدل وغيرها، لأنه رضي الله عنه قصد اشتغالها على الأحرف السبعة، وجعلوها خالية من النقط والشكل، تحقيقاً لهذا الاحتمال أيضاً، فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه عند تجردها من النقط والشكل نحو ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من قوله تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾<sup>(٢)</sup> فإنها تصلح أن تقرأ "فتثبتوا" عند خلوها من النقط، والشكل، وهي قراءة أخرى، أما الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوها من النقط والشكل مع أنها واردة بقراءة أخرى أيضاً، فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية كقراءة "وصى" بالتضعيف و"أوصى" بالهمز، وهما قراءتان في قوله سبحانه ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

إن الأحرف السبعة باقية كما كانت إلى يوم القيامة، مثبتة في القراءات المشهورة من المشرق إلى المغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، فما بين ذلك، لأنها من الذكر المنزل الذي تكفل الله تعالى بحفظه، وضمان الله تعالى لا يخيس أصلاً، وكفالاته تعالى لا يمكن أن تضيع.

ومن البرهان على كذب أهل الجهل وأهل الإفك على عثمان ( في هذا ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup> . قال : قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال : يا ابن أخي : لا أُغَيِّرُ شَيْئاً مِنْهُ

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٨/ ٦٢٧ رقم ٤٩٨٧ .

(٢) الآية ٦ من سورة الحجرات .

(٣) جزء من الآية ١٣٢ من سورة البقرة، وانظر : مناهل العرفان ١/ ٢٥٧ وما بعدها .

(٤) الآية ٢٣٤ من سورة البقرة .

من مكانه" (١).

وبعد

إن القراءات كلها على اختلافها كلام الله، لا مدخل لبشر فيها، بل كلها نازلة من عنده تعالى، مأخوذة بالتلقى عن رسول الله ﷺ وحفظها سيدنا عثمان رضي الله عنه في جمعه لكتاب الله، ومعاذ الله أن يسقط منها شيئاً، وهي مثبتة في القراءات المشهورة في مشارق الأرض ومغاربها.

لا يجوز أن نجعل اختلاف القراءات معركة جدال ونزاع وشقاق، ولا مثار تردد وتشكيك وتكذيب، ولا سلاح عصبية وتنطع وجمود. على حين أن نزول القرآن على سبعة أحرف إنما كانت حكمته من الله التيسير، والتخفيف، والرحمة، والتهوين على الأمة، فما يكون لنا أن نجعل من هذا اليسر عسراً، ومن هذه الرحمة نقمة؟! يرشد إلى ذلك قوله ﷺ: "الجدال في القرآن كفر" (٢) وكذلك تغير وجهه الشريف عند اختلافهم وقوله لهم: "إنما أهلك من قبلكم الاختلاف" (٣). وضربه في صدر أبي بن كعب رضي الله عنه، حين جال بخاطره حديث السوء في هذا الموضوع الجليل. الذي زلت فيه بعض الأقدام، وكثر فيه القيل والقال، إلى حدٍ كاد يطمس أنوار الحقيقة" (٤) أ.هـ.

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

(١) البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب ﴿وَالَّذِينَ يَعْتَدُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٤١/ ٨ رقم ٤٥٣٠، ٤٥٤٦، وانظر: الأحكام لابن حزم ٥/ ٥٦٨.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن ٤/ ١٩٩ رقم ٤٦٠٣، والحاكم في المستدرک کتاب التفسير ٢/ ٢٤٣ رقم ٢٨٨٢، ٢٨٨٣ من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وانظر: الأحرف السبعة في القرآن ومنزلة القراءات منها للدكتور حسن ضياء الدين مبحث "الأحرف السبعة خصيصة لأمة محمد ﷺ" ص ١٤٥، ١٤٦، ومبحث "الأحرف السبعة ميزة للقرآن على الكتب السماوية" ص ١٤٦، وانظر: الكواكب النيرات في أثر السنة النبوية على القراءات للدكتور غلام بن محمد بن علام ص ١٦، ٧٢، ٧٣، وأثر القراءات في الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم على ص ٧٧-٢٠٠.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب التفسير ٢/ ٢٤٣ رقم ٢٨٨٥، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وانظر: الشريعة للأخرى ص ٦٧ وما بعدها.

(٤) انظر: مناهل العرفان ١/ ١٤٠-١٤٥، ومزيد من الدفاع عن الطعون الموجهة إلى الحديث انظر: الشيعة الإثني عشرية ومنهجهم في التفسير لفضيلة الدكتور محمد العسال، ص ١٣١-١٤٠، والقرآن والقراءات والأحرف السبعة الحقيقة - العلاقة - صحة النقل لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الغفور محمود جعفر، ورسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات الكريم للدكتور عبد الفتاح شلبي، والقراءات في نظر المستشرقين والملحدین للشيخ عبد الفتاح القاضي، وأثر القراءات في الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم على ص ٩ - ٧٣.

## الفصل الثالث

أحاديث (رؤية الله ﷻ)  
(ومحاجة آدم موسى عليهما السلام) و(الشفاعة)

وتحته ستة مباحث :

- المبحث الأول: موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث الصفات والرد عليهم .
- المبحث الثاني : شبه الطاعنين في حديث الرؤية والرد عليهم .
- المبحث الثالث : موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث القدر والرد عليهم .
- المبحث الرابع : شبه الطاعنين في حديث محاجة آدم موسى عليهما السلام، والرد عليها .
- المبحث الخامس: موقف المبتدعة قديماً وحديثاً من أحاديث المغفرة لمرتكب الكبيرة والرد عليهم .
- المبحث السادس : شبه الطاعنين في حديث الشفاعة والرد عليها .



## المبحث الأول موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث الصفات

أحاديث العقائد مثل أحاديث التوحيد، وصفات الله ﷻ، وأحاديث عقيدة القدر طعن فيها المبتدعة من المعتزلة، والجهمية، وغيرهم من أهل الكلام.  
وكان أول من يذكر عنه أنه تكلم في صفات الله تعالى في الإسلام، وابتدع القول بنفيها وتعطيلها هو "الجعد بن درهم"<sup>(١)</sup>، ثم أخذ عنه ذلك تلميذه الجهم بن صفوان الترمذى<sup>(٢)</sup>، وتولى كبر نشر تلك المقالة فكثر أتباعه. فلما ظهرت المعتزلة أخذت عن جهم بن صفوان قوله في نفي الصفات، وجعلوها عقيدة يتدينون لله بها<sup>(٣)</sup>.  
وقد أجمع المعتزلة على نفي صفات الله تعالى الأزلية، سواء منها ما كان من صفات الذات<sup>(٤)</sup>، أو صفات الأفعال<sup>(٥)</sup>.

وزعموا بأنه ليس له سبحانه علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر، ولا غير ذلك من الصفات<sup>(٦)</sup>. واتفقوا على أن صفاته سبحانه هي إثبات لذاته<sup>(٧)</sup> كما

(١) الجعد بن درهم : هو مؤدب مروان الحمار، من الموالي، يعد من التابعين. زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى، وابتدع القول بخلق القرآن، وكان زنديقاً. قتله خالد القسرى يوم النحر. له ترجمة في : ميزان الاعتدال ١ / ٣٩٩ رقم ١٤٨٢، والبداية والنهاية ٩ / ٣٦٤، ولسان الميزان ٢ / ١٨٦ رقم ١٩٦٤، والأنساب المتفقة في الخط لابن القيسراني لابن القيسراني ص ٤٦-٤٧ رقم ٤٨، والضعفاء الكبير للعقيلي ١ / ٢٠٦ رقم ٢٥٤.

(٢) الجهم بن صفوان : هو أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي، الكاتب المتكلم الضال المبتدع، رأس الجهمية، كان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، وإن الله في الأمكنة كلها، والإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر قتل بمرور عام ١٢٨ هـ بعد أن زرع شراً عظيماً. له ترجمة في : تاريخ الطبري ٧ / ٢٢٠، والكامل في التاريخ ٥ / ٣٤٢-٣٤٤، وميزان الاعتدال ١ / ٤٢٦ رقم ١٥٨٤، وسير أعلام النبلاء ٦ / ٢٦ رقم ٨، ولسان الميزان ٢ / ٢٥٧ رقم ٢١٦٥، والوفاء بالوفيات ١١ / ٢٠٧ رقم ٣٠٥.

(٣) انظر : الملل والنحل ١ / ٤٠، وفتح الباري ١٣ / ٣٥٧-٣٥٩، وجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي للأستاذ خالد العلي ص ٧٢ - ٧٣.

(٤) الصفات الذاتية : هي الصفات الأزلية الثابتة لله تعالى التي لا تنفك عنه كصفة النفس، والعلم، والحياة، والقدرة، والسمع. انظر : الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للأستاذ عبد العزيز السلطان ص ٤٢٩.

(٥) الصفات الفعلية : هي الصفات الناتجة لله تعالى التي تتعلق بالمشيئة، والقدرة، وهي قديمة النوع حادثة الآحاد كصفة الاستواء، والنزول، والضحك، والنجى. انظر : المصدر السابق ص ٤٢٩، ٤٣٠.

(٦) الفرق بين الفرق ص ١١٢، وانظر : العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد للدكتور محمود خفاجي ص ٢٤٤.

(٧) العقيدة الإسلامية للدكتور خفاجي ص ٢٤٤.

اتفق جمهورهم على أن الله تعالى عالم، قادر، حى، بذاته، لا يعلم، وقدرة، وحياة، فهي صفات ومعاني قائمة به<sup>(١)</sup>.

والذى دفعهم إلى نفى صفات الله تعالى، الخوض فى ذلك بعقولهم والاعتماد عليها فى معرفة الله سبحانه وصفاته<sup>(٢)</sup>، وذهبوا إلى أن الاستدلال بالسمع على ذلك غير ممكن<sup>(٣)</sup>، ومن هنا أولوا آيات القرآن الكريم التى تثبت صفات الله تعالى فهي آيات متشابهة كما يزعمون، فيجب أن تقول لموافقة الأدلة القاطعة وهى أدلة العقول؛ لأنها موهمة للتشبيه، ولأنها محتملة الدلالة، وأما العقل فلا احتمال فى دلالة. وما وقع التشبيه فى الأمة إلا بسبب التعلق بالآيات المتشابهة، وترك تأولها على ما يوافق دليل العقل، والآيات المحكمة<sup>(٤)</sup>.

### موقف المعتزلة من آيات الصفات :

قال القاضى عبد الجبار : "إذا ورد فى القرآن آيات تقتضى بظاهرها التشبيه، وجب تأويلها؛ لأن الألفاظ معرضة للاحتمال، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال"<sup>(٥)</sup>، ويورد أبو الحسين عدداً من آيات الصفات ثم يقول : "فكل هذه الآيات وما أشبهها من الآيات، فإنما يريد **تعالى** ذاته، لا أن ثم نفساً ووجهاً ويداً، وعيناً ويمناً سواء"<sup>(٦)</sup>.

### موقف المعتزلة من أحاديث الصفات :

إذا كان هذا موقفهم من آيات الصفات الواردة فى القرآن الكريم تأويلها بما يوافق العقل.

فقد ذهبوا إلى عدم الاحتجاج بالأحاديث الواردة فى الصفات مهما كانت درجة صحته، ما دام يعارض عقولهم فى إثبات صفة لله تعالى.

وقعد عبد الجبار فى ذلك قاعدة عامة، تكشف عن موقف المعتزلة من أحاديث

(١) المصدر السابق ص ٣٩٩ .

(٢) المحيط بالتكليف ص ٣٣، ٣١، ٣٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٠ .

(٤) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضى عبد الجبار ص ١٤٩ .

(٥) المحيط بالتكليف ص ٢٠٠، وانظر : شرح الأصول ص ٢١٢، وفضل الاعتزال ص ١٤٩، ١٥٢، وموقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ١٧١ - ١٧٥ .

(٦) رسائل العدل والتوحيد ليحيى بن الحسين ص ١١٥ .

الصفات فقال : "ومما يتعلقون به أخبار مروية عن النبي ﷺ وأكثرها يتضمن الجبر، والتشبيه، فيجب القطع على أنه ﷺ لم يقله، وإن قال؛ فإنه قاله حكاية عن قوم، والراوى حذف الحكاية، ونقل الخبر" (١).

وتارة يردون الأحاديث في هذا الباب، بحجة أنها آحاد تفيد الظن، ولا يصلح في هذا الباب إلا الدليل اليقيني (٢)، وهو العقل فارس هذا الميدان فلا منافس له ألبتة، ولا مشارك له. ويشهد لذلك تأويلهم لآيات القرآن، وردهم لأحاديث متواترة في هذا الباب كحديث "رؤية رب العزة في الآخرة" وسيأتي الدفاع عنه.

ويُعدّ نفى الصفات، هو الأصل الأول من أصولهم الخمسة، وهو التوحيد الذى يعد من أهم أصولهم، فمن ثم نسب إليهم وسماؤا أنفسهم بـ "أهل التوحيد" وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفى الصفات الإلهية لاعتقادهم أن إثباتها يستلزم التشبيه، ومن شبه الله بخلقه أشرك (٣). وينى المعتزلة على هذا الأصل عدة أمور منها :

أ- تعطيل الصفات ب- القول بخلق القرآن ج- إنكار الرؤية  
فرأس النفاة المعتزلة والجهمية ...، ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان (٤)، ومن تبعه من الرافضة والكرامية. فإنهم بالغوا فى ذلك حتى شبهوا الله تعالى بخلقه. تعالى عما يقولون علواً كبيراً (٥).

حكم المعتزلة على من خالفهم فى أصلهم التوحيد :  
المعتزلة يكفرون من خالفهم فى هذا الأصل اعنى "التوحيد".  
قال القاضي عبد الجبار : "أما من خالف فى التوحيد، ونفى عن الله ما يجب إثباته، وأثبت ما يجب نفيه عنه، فإنه يكون كافراً" (٦).

(١) شرح الأصول ص ٢٦٨، وانظر : دين السلطان ص ٦١٨، وإنذار من السماء ص ٤١٩، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٤٣ .

(٢) شرح الأصول ص ٧٦٩ .

(٣) فتح البارى ١٣ / ٣٥٧ .

(٤) هو : مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخرساني أبو الحسن البلخي المفسر كذوبه وهجروه، ورمى بالتجسيم. مع أنه كان من أدعية العلم بحراً فى التفسير. من مؤلفاته "التفسير الكبير" و"متشابه القرآن" و"الناسخ والمنسوخ" وغير ذلك مات سنة ١٥٠ هـ له ترجمة فى : ميزان الاعتدال ٤ / ١٧٣ رقم ٨٧٤١، ووفيات الأعيان ٥ / ٢٥٥-٢٥٧ رقم ٧٢٣، والمجروحين لابن حبان ٣ / ١٤ - ١٦، وطبقات المفسرين للدوادى ٢ / ٣٣٠ - ٣٣١ رقم ٦٤٢، وتقريب التهذيب ٢ / ٢١٠ رقم ٦٨٩٢، ولسان الميزان ٩ / ١٩٨ رقم ١٤٥٤٩ .

(٥) فتح البارى ١٣ / ٣٥٩ .

(٦) شرح الأصول ص ١٢٥، وانظر : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير ص ٤٤ - ٤٧ .

هذا فضلاً عن طعنهم فى أهل السنة لإثباتهم صفات الله ﷻ فقالوا : إنهم مشبهة غير موحدين لله، ولا يعرفون ربهم؛ لأنهم وصفوه بالأعضاء، والزوال، والاستواء، ويلزم من ذلك أن يكون جسماً<sup>(١)</sup>.

وعلى درب المعتزلة صار أسلافهم، من دعاة اللادينية، ردوا أحاديث الصفات تارة بحجة مخالفتها للعقل لما فى ظاهرها من التشبيه والتجسيم، وتارة بحجة مخالفتها لكتاب الله ﷻ، وتارة ثالثة. بحجة أنها آحاد تفيد الظن، والعقائد بابها اليقين والقطع الحاصل بالتواتر.

ومدح أعداء الإسلام من المستشرقين، طريقة المعتزلة فى تأويلهم القرآن، وردهم للأحاديث الواردة فى باب الصفات، ودموا أهل السنة؛ لعدم سلوكهم مسلكهم<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

**موقف السلف الصالح من أحاديث الصفات والرد على أهل البدع قديماً وحديثاً:**  
الكلام عن صفات الله ﷻ له أهمية عظيمة بالنسبة للفرد المسلم؛ وذلك لأن الإيمان بالله الذى هو الركن الأول من أركان الإيمان، لا يتحقق إلا إذا وصف الله سبحانه بما يستحقه من صفات الكمال اللاتقة به، ونزاهه عن صفات النقص التى نفاها عن نفسه جل جلاله، بل لا يكون العبد موحداً لله إلا إذا أقر بأسماء الله وصفاته تحقيقاً لأحد أقسام التوحيد الثلاثة<sup>(٣)</sup>، التى لا ينفك بعضها عن بعض، ولوضوح هذا التوحيد - توحيد الأسماء والصفات - لم يقع خلاف بين صحابة رسول الله ﷺ فيه، ولم يتنازع اثنان منهم فى أمر واحد منه، بل الجميع كانوا على اتفاق تام بالإقرار به، والتسليم بما جاء فى القرآن والحديث منه<sup>(٤)</sup>.

وقد ظلت القرون الخيرية تنهج نهج صحابة رسول الله ﷺ، فى إثبات صفات الله والإقرار بها، إلى أن نجم التهجم فى الأمة، وابتدع القول بنفى صفات الله، فاحتضن أهل الاعتزال تلك المقالة، وجعلوها عقيدة يدينون لله بها<sup>(٥)</sup>.

(١) فضل الاعتزال ص ١٩٦-١٩٧، وانظر: موقف المدرسة العقلية من السنة ١/ ١٧٥، وانظر: ما كتبه حسن السقاف فى مقدمته، وتعليقه على كتاب ابن الجوزى "دفع شبهة التشبيه بأكف التنزيه".

(٢) انظر : العقيدة والشرعية لجلولتسيهر ص ١٢٥ .

(٣) وهى توحيد : الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات .

(٤) انظر : فتح البارى ١٣ / ٤٠٢ رقم ٧٤٠٨، ١٣ / ٤١٨ رقم ٧٤١٨، ٧٤٢٨ .

(٥) انظر : الملل والنحل ١ / ٨٦ .

وأما أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة فإنهم أثبتوا لله تعالى ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ، من أسمائه الحسنی، وصفاته العليا، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكليف، ولا تمثيل. كما نفوا عنه ما لا يليق به من صفات النقص التي نفاهما عن نفسه سبحانه، ونفاهما عنه رسوله ﷺ، مستنديين في كل ذلك إلى كتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ.

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(١)</sup> وقال بعد أن ذكر منها عدة أسماء في آخر سورة الحشر : ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> والأسماء المذكورة فيها بلغة العرب صفات، ففي إثبات أسمائه إثبات صفاته لأنه إذا ثبت أنه حي مثلاً فقد وصف بصفة زائدة على الذات، وهي صفة الحياة، ولولا ذلك لوجب الاختصار على ما ينبئ عن وجود الذات فقط، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فنزه نفسه عما يصفونه به من صفة النقص، ومفهومه أن وصفه بصفة الكمال مشروع.

وقد قسم البيهقي وجماعة من أئمة السنة جميع الأسماء المذكورة في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة إلى قسمين :

أحدهما صفات ذاته : وهي ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال .  
وثانيهما صفات فعله : وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل، قال ولا يجوز وصفه إلا بما دل عليه الكتاب، والسنة الصحيحة الثابتة أو أجمع عليه . ثم منه ما اقترنت به دلالة العقل كالحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام من صفات ذاته، ومنه ما ثبت بنص الكتاب والسنة كالوجه، واليد، والعين، من صفات ذاته، وكالاستواء، والنزول، والمجيء، من صفات فعله، فيجوز إثبات هذه الصفات له لثبوت الخبر بها على وجه ينفي عنه التشبيه، فصفة ذاته لم تنزل موجودة بذاته ولا تنال، وصفة فعله ثابتة عنه ولا يحتاج في الفعل إلى مباشرة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup> . ولولا إخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن

(١) جزء من الآية ١٨٠ من سورة الأعراف .

(٢) جزء من الآية ٢٤ من سورة الحشر .

(٣) الآية ١٨٠ من سورة الصافات .

(٤) الآية ٨٢ من سورة يس، وانظر : فتح الباري ١٣ / ٣٦٩، ٣٧٠ أرقام ٧٣٧١ - ٧٣٧٥ .

يجوم حول ذلك الحمى<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا اتفاق الفقهاء فى مشارق الأرض ومغاربها قال محمد بن الحسن الشيبانى: "اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن، وبالأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ، فى صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبى ﷺ، وأصحابه وفارق الجماعة، لأنه وصف الرب بصفة لا شيء.

وقال ابن عبد البر: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة فى الكتاب والسنة ولم يكتفوا شيئاً منها"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشافعى - رحمه الله - : "لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا الرؤية والفكر، فثبتت هذه الصفات ونفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه، فقال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾"<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو حنيفة - رحمه الله - : "لا يشبه بشيء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه... وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا"<sup>(٤)</sup>.

والذى نرتضيه رأياً وندين لله به عقيدة ما قاله الحافظ ابن حجر : "اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فى إثبات أسماء الله وصفاته وعدم تأويلها، ولو كان تأويلها حتماً لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتبع، وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث، وهم فقهاء الأمصار، كالثورى، والأوزاعى، ومالك، والليث، ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون بشهادة

(١) انظر : فتح البارى ١٣ / ٤٠٢ رقمى ٧٤٠٧، ٧٤٠٨ .

(٢) انظر : فتح البارى ١٣ / ٤١٨ أرقام ٧٤١٨ - ٧٤٢٨ .

(٣) جزء من الآية ١١ من سورة الشورى، وانظر : سير أعلام النبلاء ١٠ / ٧٩ - ٨٠ .

(٤) انظر : شرح الفقه الأكبر لأبى منصور الحنفى ص ١٠٣ - ١١٢، وشرح ملا على القارى على الفقه الأكبر ص ١٥ - ٣٢، وموقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ١٩٧ .

صاحب الشريعة ﷺ (١) أ.هـ.

أما رد أهل البدع قديماً وحديثاً لأحاديث العقائد من أسماء الله، وصفاته، بحجة أنها آحاد.

فهذا من تضليلهم لأن القضية ليست قضية متواتر وآحاد كما يزعمون، وإنما قضية عقل قدسوه وعبدوه من دون الله، وطوعوا النصوص من الكتاب والسنة لهذا الإله "إله الهوى": ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (٢).

وجعلوا من عقولهم أصلهم الأول "المقلس" وهو التوحيد القائم على نفى الصفات، وطبقوا هذا الأصل على المتواتر نفسه، وهو القرآن الكريم، فأولوا ما فيه من إثبات أسماء وصفات الله ﷻ كما سبق من قول عبد الجبار وغيره. هذا من جهة.

ومن جهة ثانية فإن ما جاءت به السنة الصحيحة - حتى ولو كانت آحاداً - من أحاديث في أسماء الله، وصفاته لم تكن السنة في ذلك بدعاً، وإنما جاءت بمثل ما جاء به القرآن الكريم، ولا يوجد في أحاديث العقائد ما يكون مغالفاً لعقائد القرآن، أو زائداً عليها بحيث لا يكون له أصل في القرآن. وكل ما يستشكل من الأحاديث الصحيحة في العقائد تجد مثله في القرآن، ويجرى فيها ما يجرى في القرآن من إثباته بلا تعطيل ولا تشبيه.

وقد حرص الإمام الجليل أبو عبد الله إسماعيل البخاري على بيان ذلك في تراجم أبواب كتاب التوحيد من جامعه الصحيح، قبل أن يذكر أحاديث الباب وما فيها من دلالة على صفات الله ﷻ، يعنون للباب بالآيات القرآنية التي جاءت بمثل ما جاءت به أحاديث الباب وهو بذلك يؤكد ما سبق، من أن ما جاءت به السنة المطهرة من أحاديث في الصفات لم تكن في ذلك بدعاً وإنما جاءت مؤيدة ومقررة، وموضحة لما جاء في القرآن الكريم.

وهاك نماذج من صنيعه :

"باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (٣) وقوله جل ذكره ﴿تَعْلَمُ مَا فِي

(١) انظر: فتح الباري ١٣ / ٤١٨ أرقام ٧٤١٨-٧٤٢٨، وانظر: الإبانة للأشعري ١٢٤-١٤٢، ومجالس ابن الجوزي في التشابه من الآيات القرآنية ص ١١-١٦، وقرن معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها ٢ / ٨٧٨-٩١٠.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الجاثية، وللإستزادة في الجواب انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ١٧٦-٢١٢.

(٣) جزء من الآية ٢٨ من سورة آل عمران.

نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ»<sup>(١)</sup>. وتحت هذا الباب ذكر من الأحاديث ما يوافقه مثل قوله ﷺ : "لما خلق الله الخلق كتب في كتابه - وهو يكتب على نفسه ... الحديث"<sup>(٢)</sup> وقوله ﷺ، يقول الله تعالى : "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي" الحديث<sup>(٣)</sup>، وباب قول الله ﷻ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>(٤)</sup>، وتحت حديث جابر مرفوعاً : "أعوذ بوجهك" لما نزل عليه : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ... الحديث"<sup>(٥)</sup> وباب قول الله تعالى : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي﴾<sup>(٦)</sup> وتحت أحاديث منها قوله ﷺ : "يد الله مملوءة لا يفيضها سحابة الليل والنهار، قال أرايتم ما انفق منذ خلق الله السماوات والأرض فإنه لم يفيض ما في يده. وقال عرشه على الماء، ويده الأخرى الميزان يخفض ويرفع"<sup>(٧)</sup>، وقوله ﷺ : "إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات يمينه ثم يقول أنا الملك"<sup>(٨)</sup> وحديث يقر فيه ﷺ الحبر اليهودي في قوله : "يا أبا القاسم إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر والنثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول أنا الملك أنا الملك".

يقول ابن عمر "فرايت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. ثم قرأ : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾"<sup>(٩)</sup>.

(١) جزء من الآية ١١٦ من سورة المائدة.

(٢) صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿وَيَخْلُقُكُمْ اللَّهُ نَفْسًا﴾ ١٣ / ٣٩٥ رقم ٧٤٠٤ من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) المصدر السابق في نفس الأماكن السابقة ١٣ / ٣٩٥ رقم ٧٤٠٥.

(٤) جزء من الآية ٨٨ من سورة القصص.

(٥) صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ١٣ / ٤٠٠ رقم ٧٤٠٦ من حديث أبي هريرة ؓ.

(٦) جزء من الآية ٧٥ من سورة ص.

(٧) انظر : صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي﴾ ١٣ / ٤٠٤ رقم ٧٤١١ من حديث أبي هريرة ؓ.

(٨) انظر : المصدر السابق نفس الكتاب والباب ١٣ / ٤٠٤ رقم ٧٤١٢ من حديث ابن عمر ؓ.

(٩) الآية ٦٧ من سورة الزمر، وانظر : صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي﴾ ١٣ / ٤٠٤، ٤٠٥ رقم ٧٤١٥ من حديث ابن عمر ؓ وانظر في كل ما سبق الشريعة للأجري ص ٣١٦ - ٣٢٨، وانظر الانتهاج في أحاديث المعراج لابن دحية ص ٩٣ - ١٠١.

فكل هذه الأحاديث، وما فى معناها، والمثبتة لله ﷻ الصفات من النفس، والوجه، واليد، ونحو ذلك من العين، أو الاستواء، والنزول، والمجى، والضحك، والغضب ... إلخ.

أصول هذه الصفات مذكورة فى القرآن الكريم، ولا يوجد فى الحديث الصحيح الأحاد إلا ما يؤيد هذه الأصول ويوضحها ويقررها، أو يكون من جزئياتها ونظائرها. فردها بحجة أنها آحاد هو رد للقرآن نفسه.

وعدل القول فى هذه الأخبار ما قاله الإمام ابن قتيبة قال: "أن تؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها، فنؤمن: بالرؤية والتجلى، وأنه يعجب، وينزل إلى السماء، وأنه على العرش استوى، وبالنفس، واليد، من غير أن نقول فى ذلك بكيفية أو بجدٍ أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت. فترجو: أن نكون فى ذلك القول والعقد، على سبيل النجاة غداً، إن شاء الله تعالى".

ويقول أيضاً: "فنحن نقول كما قال الله، وكما قال رسوله، ولا نتجاهل، ولا نحملنا ما نحن فيه: من نقي التشبيه، على أن ننكر ما وصف به نفسه، ولكننا لا نقول: كيف البيان؟ وإن سئلنا: نقصر على جملة ما قال، ونمسك عما لم يقل" (١). وما يستشكل من الأحاديث الصحيحة فى هذا الباب تجد مثله فى القرآن الكريم، وقد صنف غير واحد من الأئمة فى توضيح هذا المشكل.

منهم الإمام ابن قتيبة فى كتابه "تأويل مشكل القرآن" و"تأويل مختلف الحديث" والإمام الطحاوى فى كتابه "مشكل الحديث وبيانه" على تكلف منه، هو والإمام ابن قتيبة فى تأويل مشكل الضعيف، والموضوع فى أحاديث الصفات، ولو استعمل كل منهما الصنعة الحديثية لكانا فى غنى عن هذا التكلف. وغيرهم من الأئمة (٢) أ.هـ.

وصفوة القول فى موقف أهل السنة من آيات الصفات، وأخبارها، وواجب المسلم نحوها ما قاله فضيلة الأستاذ الدكتور طه حيشى: "الواجب على المسلم السامع للآيات والأخبار المتعلقة بالصفات تقديسها باعتقاده فى كل آية أو خبر صح معنى يليق بجلال الله تعالى: وعليه الإيمان والتصديق بما قاله رب العزة ورسوله ﷺ، على

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ٥٦، ٥٧، وتأويل مختلف الحديث ص ١٩٢، وانظر: العقيدة الصحيحة فى الله وما نار حولها من مشكلات للحافظ عبد الغنى النابلسى ص ٢٠، ٢١، وانظر: مجالس ابن الجوزى فى التشابه من الآيات القرآنية لابن الجوزى ٦-١١.

(٢) انظر: التوحيد وإثبات صفات الرب للإمام ابن عزيمة و"الأسماء والصفات" للإمام البيهقى وغيرهم.

مراد الله، ومراد رسول الله، وعليه الاعتراف بالعجز عن إدراك مراد الله، ومراد رسوله ﷺ، وعليه السكوت، والإمساك عن التصرف في الألفاظ الواردة، وكف الباطن عن التفكير في ذلك، واعتقاده أن ما خفى عنه لم يخف عن الرسول ﷺ، ولا عن الصديق، ولا عن أكابر الصحابة ﷺ، أجمعين (١) أ.هـ.

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

---

(١) انظر : الحقائق الجليلة في الرد على ابن تيمية فيما أورده في الفتوى الحموية ص ٤٦، ١٢١، بتصرف واختصار.

## المبحث الثاني شبه الطلعين في حديث رؤية الله تعالى والرد عليها

لقد أجمعت المعتزلة، وسائر الفرق المبتدعة من الجهمية، والخوارج، والروافض، وغيرهم على القول بنفى رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة، وقد نص المعتزلة أنفسهم على هذا الإجماع، كما أشارت كثير من كتب الفرق إليه<sup>(١)</sup>. يقول القاضي عبد الجبار: "لا أحد يدعى أنه يرى الله سبحانه إلا من اعتقده جسماً مصوراً بصورة مخصوصة، أو يعتقد فيه أنه يحل في الأجسام"<sup>(٢)</sup>.

وليس هذا منتهى قولهم في نفى الرؤية، بل زعموا أنه يستحيل أن يرى نفسه؛ لأنه يستحيل في ذاته أن يرى، فذاته لا ترى<sup>(٣)</sup>.

وهل يرى غيره؟ فهذا موضع اختلاف بينهم، أجازة قوم، ومنعه آخرون<sup>(٤)</sup>. كما اختلفوا في رؤيته بالقلوب، فقال أبو الهذيل، وأكثر المعتزلة: نرى الله بقلوبنا. بمعنى أننا نعلمه بقلوبنا، وأنكر بعضهم ذلك<sup>(٥)</sup>.

وقد صرحوا بأن إثبات الرؤية لا يمكن الاستدلال عليه بالسمع، أى بالقرآن والسنة، لأن الاستدلال بذلك يبنى على أنه تعالى عدل حكيم لا يظهر المعجز على الكذابين، ومن لا يقول بذلك فلا يمكنه الاستدلال بالسمع على شيء أصلاً<sup>(٦)</sup>. بل "لا سمع ورد مصرحاً بأنه سبحانه يرى بالأبصار"<sup>(٧)</sup>، "ولا في كتاب الله ﷻ ذكر الرؤية فكيف يصح أن يدعى أنه تعالى سمى نفسه بأنه يرى، أو ورد السمع به"<sup>(٨)</sup>.

ولذا كان عمدة أدلتهم في نفى الرؤية العقل، وإن كانوا قد أتبعوا ذلك بأدلة نقلية

(١) انظر: المغنى ٤ / ١٣٩، ومقالات الإسلاميين ١ / ٢٣٨، والفرق بين الفرق ص ١١٣، والملل والنحل ١ / ٤٥، والإبانة ص ١٤، والانتصار ٣٥، ٩٤، والاعتصام للشاطبي ٢ / ٥٧٠، والإنصاف للباقلاني ص ١٧٦، ١٧٧.

(٢) المغنى ٤ / ٩٩، وانظر: شرح الأصول ص ٢٧٦.

(٣) انظر: المغنى ٤ / ٩٤ - ٩٥.

(٤) الفرق بين الفرق ص ١١٣، وانظر: أصول الدين ص ٩٧ وما بعدها.

(٥) مقالات الإسلاميين ١ / ٢٣٨.

(٦) انظر: شرح الأصول ص ٢٦٢.

(٧) المغنى ٤ / ١٣٧.

(٨) المرجع السابق ٤ / ١٣٨.

من الكتاب والسنة تأولوها على ما يوافق أصلهم الأول "التوحيد" القائم على نفى الصفات وزعموا تعارض حديث الرؤية مع القرآن والسنة .

قال القاضي عبد الجبار متأولاً لحديث الرؤية قال : "ثم نتناوله نحن على وجه يوافق دلالة العقل، فنقول : المراد به سترون ربكم يوم القيامة، أى ستعلمون ربكم يوم القيامة كما تعلمون القمر ليلة البدر . وعلى هذا قال : "لا تضامون فى رؤيته" أى لا تشكون فى رؤيته فعقبه بالشك، ولو كان بمعنى رؤية البصر لم يميز ذلك . والرؤية بمعنى العلم مما نطق به القرآن، وورد به الشعر" (١) .

قال الزنجشیری : "سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هى فى الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى" (٢) فحمل الرؤية على المعرفة، بينما حملها عبد الجبار على العلم .

ويقول عبد الجبار فى أحاديث الرؤية : "ومما يتعلقون به، أخبار مروية عن النبى ﷺ، وأكثرها يتضمن الخبر والتشبيه، فيجب القطع على أنه ﷺ، لم يقله وإن قال فإنه قاله حكاية عن قوم، والراوى حذف الحكاية ونقل الخبر" (٣) .

ويقول المعتزلة قال نابتة من المنحرفين بتعارض الحديث مع القرآن، والسنة، والعقل، وصرحوا بوضع الحديث" (٤) .

## الجواب عن شبهات المعتزلة ومن قال بقولهم فى إنكار رؤية رب العزة جل جلاله

أولاً : إن الأحاديث التى دلت على ثبوت الرؤية تبلغ حد التواتر أخرجها أصحاب الصحاح والسنن والمسائيد واعتنى بجمعها أئمة من العلماء كالدارقطنى، وأبى نعيم الأصبهاني، وأبى بكر الأجرى وغيرهم الكثير (٥) .

(١) شرح الأصول ص ٢٧٠ .

(٢) الكشف ٩٢/ ٢ .

(٣) شرح الأصول ص ٢٦٨، وانظر : آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويم ص ٨٣، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص ١٢٧ .

(٤) انظر : أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين ص ٦٨، وما بعدها، وأضواء على السنة ص ٢٣١، والأضواء القرآنية ٢٩٩/ ٢، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ٤٠، ٤٢، ١٦٣، ٢١٩، والسنة ودورها فى الفقه الجديد ص ٢٣٩، ودين السلطان ص ١٧٧ وما بعدها وغيرهم .

(٥) انظر : بيان تليس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ١ / ٣٤٨ .

وقد نص على تواتر أحاديث الرؤية جماعة من العلماء، منهم الحافظ ابن تيمية<sup>(١)</sup>، وابن قيم<sup>(٢)</sup>، وابن كثير<sup>(٣)</sup>، وابن أبي العز<sup>(٤)</sup>، وعبد العزيز الغماري<sup>(٥)</sup> وغيرهم . قال الحافظ ابن حجر : "جمع الدارقطني طرق الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على العشرين، وتتبعها ابن قيم الجوزية في حادى الأرواح فبلغت الثلاثين، وأكثرها جواد، وأسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال : "عندى سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح"<sup>(٦)</sup> .

وفى تواتر حديث الرؤية رد على المعتزلة، ومن قال بقولهم من أعداء السنة بوجوب القطع على أنه ﷺ لم يقل حديث الرؤيا وأنه مكذوب عليه"<sup>(٧)</sup> . كما أن فى تواتر حديث الرؤيا بيان أن القضية مع أعداء السنة ليست قضية متواتر يؤخذ به فى العقائد، وأحاد لا يؤخذ به، كلا، القضية، قضية عقولهم وأصولهم الإلحادية التى قدموها على النصوص . كتاب وسنة، وإلا فلو صدقوا فى زعمهم بأن العقائد تؤخذ من الدليل اليقيني الحاصل بالتواتر، فلم لم يأخذوا بحديث الرؤية هنا مع تواتره<sup>(٨)؟!!</sup>

ثم ألا يكفى ثبوت الرؤيا بكتاب الله المتواتر؟! ويصبح حديث الرؤيا على فرض أنه آحاد دليل ظنى راجع إلى دليل قطعى وهو القرآن، ومبين له، وبالتالي يجب العمل بالظن هنا كما سبق من قول الإمام الشاطبى<sup>(٩)؟!</sup>

ثانياً: لقد تظاهرت أدلة الكتاب، والسنة، والعقل، وأجمع الصحابة، والذين من بعدهم من سلف هذه الأئمة وأئمتها من أهل السنة والجماعة على أن الله ﷻ يرى فى الدار الآخرة، يراه المؤمنون رؤية حقيقية ، تليق به سبحانه وتعالى ، من غير إحاطة،

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٣ / ٣٩٠ .

(٢) حادى الأرواح ص ٢١٩ - ٢٥١ .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢ / ١٦١ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١ / ٢٤٣ .

(٥) انظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٢٣٩ رقم ٣٠٧، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٦) انظر : فتح البارى ١٣ / ٤٤٣، والمهاج شرح مسلم للنووى ٢ / ٢٠، رقمى ١٨٠، ١٨١ .

(٧) شرح الأصول ص ٢٦٨، وراجع : المصادر المسمومة السابقة ص ٢٢٠ .

(٨) انظر : شرح الأصول ص ٢٦٩ .

(٩) راجع : ١ / ٥٢٤ ، ٢ / ٣٠٢٩ .

ولا كيفية<sup>(١)</sup>.

كما اتفقوا على أنه لا يراه أحد بعيني رأسه في الدنيا، وذلك لقوله تعالى لموسى  
العليه السلام: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾<sup>(٢)</sup>، ولقول النبي ﷺ: "تعلموا أنه لن يورى أحد منكم ربه ﷻ  
حتى يموت"<sup>(٣)</sup> وهي وإن كانت جائزة عقلاً وليست بمستحيلة، إلا أن البشر لا  
يطبقون رؤيته في هذه الدار لعجز أبصارهم وضعفها.

ولذا من ادعى رؤية الله في الدنيا بعيني رأسه فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة  
والجماعة وهو ضال<sup>(٤)</sup>.

وإنما الخلاف في رؤية نبينا ﷺ لربه ﷻ بعينه في الدنيا، فأثبت ذلك قوم ونفاه  
آخرون. والجمهور أنه لم يره بعينه لقوله في حديث أبي ذر ﷺ: "نور أنى أراه"  
وفي رواية: "رأيت نوراً"<sup>(٥)</sup> ومن قال رآه بعيني رأسه ليلة المعراج، قال رآه كما  
سيراه المؤمنون يوم الآخرة، رؤية حقيقية تليق به ﷺ من غير إحاطة ولا كيفية<sup>(٦)</sup>.  
وهذه بعض النصوص التي تدل على إثباتها من القرآن، والسنة، والعقل، وأقوال  
سلفنا الصالح.

#### أ- القرآن الكريم :

١- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي أُنْظُرْ إِلَيْكَ  
قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ  
لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ  
الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة :

(١) انظر: المنهاج شرح مسلم للنووي ٢٠/ ٢ رقمي ١٨٠، ١٨١، والإنصاف للباقلاني ص ١٧٦، ١٨١،  
والفصل في الملل والنحل ٣/ ٤، وفتح الباري ١٣/ ٤٣٤-٤٤٢ أرقام ٧٤٤٥-٧٤٤٩ .

(٢) جزء من الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد ٢٧٩/ ٩ رقم ٢٩٣١ من  
حديث بعض أصحاب النبي ﷺ . وانظر: الابتهاج في أحاديث المعراج لابن دحية ص ٨٤ .

(٤) انظر : بيان تليس الجهمية ١/ ٣٥٨، ومجموع الفتاوى ٣/ ٣٨٩، وشرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٤٥،  
والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٥٥، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/ ٢٨٥، وانظر : موقف المدرسة العقلية من  
السنة ١/ ٢٣٠ .

(٥) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: "نوراً أنى أراه" وفي قوله "رأيت نوراً" ٢ /  
١٥ رقم ١٧٨ .

(٦) الإنصاف للباقلاني ص ١٧٦، وانظر: الإسراء والمعراج للدكتور أبو شهبة ٦٧-٦٩، وزاد المعاد ٣/ ٣٦-٣٨

(٧) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

**الوجه الأول :** إنه لا يظن بكليم الرحمن، ورسوله الكريم عليه، أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال .

**الوجه الثاني :** إن الله سبحانه لا ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالاً لأنكره عليه . ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله . ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال : ﴿إِنِّي أَعْظُمُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (١) .

**الوجه الثالث :** إنه إجابة بقوله : ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ولم يقل لا ترانى ولا إنى لست بمرى، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله . وهذا يدل على أنه ﷺ يرى، ولكن موسى لا تحتل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى .

**الوجه الرابع :** قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف .

**الوجه الخامس :** إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بمتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته . بل لو كانت محالاً لكان ذلك نظير أن يقول : إن استقر الجبل فسوف أكل وأشرب وأنام .

**الوجه السادس :** قوله سبحانه وتعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يتجلي للجبل الذى هو جهاد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف بمتنع أن يتجلي لأنبياؤه ورسله، وأوليائه في دار كرامته ويريههم نفسه؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف .

**الوجه السابع :** إن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه، وخاطبه، وناجاه، وناداه، ومن جاز عليه التكليم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى

(١) الآية ٤٦ من سورة هود .

بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم<sup>(١)</sup>.

٢- قوله تعالى : ﴿وَجُودَةُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ استدل بهذه الآية ابن عباس - رضى الله عنهما - وجماعة من التابعين منهم الحسن البصرى، وعكرمة مولى ابن عباس على جواز الرؤية، وكذا استدل بها مالك والشافعى رحمهما الله<sup>(٢)</sup> وهو قول المفسرين من أهل السنة والجماعة<sup>(٣)</sup>.

٣- قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥٠) الحسنى : هى الجنة، والزيادة هى النظر إلى وجه الله الكريم، بذلك فسرهما رسول الله ﷺ فى قوله ﷺ : "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال : يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ ثم تلا هذه الآية : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٦٠).

٤- قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (٧) قال الرازى : فإن إحدى القراءات فى هذه الآية فى ﴿مُلْكًا﴾ بفتح الميم وكسر اللام، وأجمع المسلمون على أن ذلك الملك ليس إلا الله تعالى، وعندى أن التمسك بهذه الآية أقوى من التمسك بغيرها<sup>(٨)</sup>.

٥- قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (٩) ففى هذه الآية

---

(١) حادى الأرواح ص ٢١٢ - ٢١٣ بتصرف، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ١ / ٢٤١، ٢٤٢، والانصاف للباقلانى ص ١٧٧ .

(٢) الآيتان ٢٢، ٢٣ من سورة القيامة .

(٣) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكاتى ٢ / ٤٦٤ .

(٤) انظر : شرح الطحاوية ١ / ٢٣٩، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٥٠، والعقيدة الصحيحة فى الله وما ثار حولها من مشكلات للمحافظ النابلسى ص ٢٩ .

(٥) الآية ٢٦ من سورة يونس .

(٦) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ٢ / ١٩، ٢٠ رقم ١٨١، والبيهقى فى البعث والنشور ص ٢٦١ رقم ٤٤٦ من حديث صهيب ﷺ وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢ / ٢٥٥ وما بعدها، وحادى الأرواح ص ٢١٤ - ٢١٥، والجامع لأحكام القرآن ٨ / ٣٣٠، وتفسير القرآن العظيم ٢ / ٤١٤ وشرح العقيدة الطحاوية ١ / ٢٤٠ .

(٧) الآية ٢٠ من سورة الإنسان .

(٨) التفسير الكبير ١٣ / ١٣١، وانظر : ماهل العرفان ١ / ١٥٠ .

(٩) الآية ١٥ من سورة المطففين .

دليل على أن الله تعالى يرى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خصت منزلة الكفار بأنهم يحجبون.

قال الإمام الشافعي: "لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا"<sup>(١)</sup> وجمهور المفسرين ذهبوا إلى تفسير حجب الكفار عن ربهم، بالمنع من رؤيته يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

## ب- أدلة السنة :

أما الأحاديث الصحيحة التي تدل على رؤية الله في الآخرة فهي كثيرة متوافرة بلغت حد التواتر، في الصحاح، والسنن، والمسانيد، من تلك الأحاديث :

ما روى في الصحيحين من حديث جرير<sup>(٣)</sup> قال: "كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"<sup>(٤)</sup>، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا"<sup>(٥)</sup>، وفي رواية عنه ﷺ قال: قال النبي ﷺ، "إنكم سترون

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/ ٥٠٦، وانظر: مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤١٩، ومناقب الشافعي للرازي ص ١١١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٦١ . وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/ ٥٠٦ .

(٣) جرير هو: جرير بن عبد الله البجلي . صحابي جليل له ترجمة في: الإصابة ١/ ٢٢٢ رقم ١١٣٦، وأسد الغاية ١/ ٥٢٩ رقم ٧٣٠، والاستيعاب ١/ ٢٣٦ رقم ٣٢٢، وتاريخ الصحابة ص ٥٩، ٦٠ رقم ١٩٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ٥٦ رقم ٢٧٥ .

(٤) قوله ﷺ: "لا تضامون في رؤيته" فيه عدة وجه منها :

- أحدهما: "لا تضامون" بتشديد الميم، وضم الناء، وهو تفاعلون من الضم، أي لا ينضم بعضكم إلى بعض حال الرؤية لاشكاله وخفائه، كما يكون وقت الهلال، أي ترون الله عياناً ظاهراً لا يحتاج بعضكم أن ينضم إلى بعض في الاستعانة به لجلاله .

- والوجه الثاني والثالث: "لا تضارون بتشديد الراء، أصله "تضارون" أو تضارزون من الضر، أي لا يضركم أحد، ولا تضروا أحداً، منازعة ولا مجادلة، ولا مضايقة، لأن ذلك كله إنما يتصور في مرئي يرى في حين واحد، أو جهة مخصوصة، أو قدر مقدّر وذلك كله في حق الله تعالى محال .

- والوجه الرابع: "لا تضامون، أو لا تضاهون" في رؤيته أي لا يُشبهون ربكم بغيره، والمضاهاة المشابهة . وهذا غير ذلك من الوجود انظر: الابتهاج في أحاديث المعراج لابن دحية ص ٨٩، ٩٠، وفتح الباري ١١/ ٤٥٥ رقم ٦٥٧٤، ١٣/ ٤٤٦ أرقام ٧٤٣٤ - ٧٤٤٧ .

(٥) البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ ١٣/ ٤٢٩، ٤٣٠ رقم ٧٤٣٤، ومسلم (بشرح النووي) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ٣/ ١٤٣، ١٤٤ رقم ٦٣٣ واللفظ للبخاري .

ربكم عياناً" (١). وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً:  
جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما . وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين  
القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (٢).  
ج- أدلة العقل :

قال القاضي الباقلاني (٣) : يدل على الرؤية من جهة العقل : أنه تعالى موجود،  
والموجود لا يستحيل رؤيته، وإنما يستحيل رؤية المعلوم . وأيضاً فإنه تعالى يرى جميع  
المرئيات، وقد قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿الَّذِي يَرَاكَ  
حِينَ تَقُومُ﴾ (٥) وكل راء يجوز أن يرى .

ولا يجوز أن تحمل الرؤية منه تعالى على العلم - كما تزعم المعتزلة لأنه تعالى فصل  
بين الأمرين، فلا حاجة بنا أن نحمل أحدهما على الآخر، ألا ترى أنه سمي نفسه عالماً،  
وسمي نفسه مريداً، ولا يجوز أن نحمل الإرادة على العلم، كذلك لا نحمل الرؤية  
على العلم . فاعلمه .

وجواب آخر : وهو أن الصحابة سألوا الرسول ﷺ : هل نرى ربنا؟ فقال : "نعم"  
ولا يجوز أن يكون سؤالهم : هل نعلم ربنا أو يعلمنا ربنا .

فبطل قول من يحمل الرؤية على العلم، ولهذا أجاب ﷺ : "سترونه كما يرى  
القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب وكما ترى الشمس ليس دونها سحاب" (٦)  
يعنى لا تشكون في رؤيته كما لا يشك من رأى القمر والشمس فيها، فشبه الرؤية

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿وَجُودَةٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا  
نَاطِرَةٌ﴾ ٤٣٠/ ١٣ رقم ٧٤٣٥ .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿وَجُودَةٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا  
نَاطِرَةٌ﴾ ٤٣٣/ ١٣ رقم ٧٤٤٤، ومسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة  
ربهم سبحانه وتعالى ١٩/ ٢ رقم ١٨٠ واللفظ للمسلم .

(٣) الباقلاني : هو محمد بن الطيب بن محمد، القاضي أبو بكر الباقلاني، البصري المالكي الأشعري الأصولي  
المتكلم، صاحب المصنفات الكثيرة في علم الكلام وغيره توفي سنة ٤٠٣ هـ . له ترجمة في : الديباج المذهب ٣٦٣  
رقم ٤٩٠، وشذرات الذهب ٣/ ١٦٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠٠ رقم ٥٨٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٣ رقم  
٣٧٣٤، وشجرة النور الزكية ١/ ٩٢ رقم ٢٠٩ .

(٤) الآية ١٤ من سورة العلق .

(٥) الآية ٢١٨ من سورة الشعراء .

(٦) البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قوله تعالى : ﴿وَجُودَةٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ ١٣  
٤٣٠/ رقم ٧٤٣٧، ومسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ٢/ ٢١، ٢٢ رقم ١٨٢ من  
حديث أبي هريرة ؓ .

بالرؤية فى نفى الشك عن الرأى، ولم يشبه المرئى بالمرئى . فاعلم ذلك" (١) أ.هـ .

#### د- آثار السلف :

وأما الآثار التى وردت عن سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - فى إثبات رؤية الله ﷻ فى الآخرة للمؤمنين، فهى أكثر من أن تذكر سبق منها قول الإمام الشافعى .

ويقول فى ذلك الإمام أحمد - رحمه الله - : "من كذب بالرؤية فهو زنديق" وقال: "تؤمن بها أى الرؤية وأحاديثها، ونعلم أنها حق، فنؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة، لا نشك فيه ولا نرتاب".

وقال أيضاً : "من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر بالله، وكذب بالقرآن ورد على الله أمره، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل" (٢) .

وسئل الإمام على بن المدينى (٣) الإمام عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال: ما حجب الله ﷻ أحداً إلا عذبه، ثم قرأ : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٤) قال : الرؤية . فقلت له يا أبا عبد الله : إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث : "إن الله ينزل إلى سماء الدنيا، وأهل الجنة يرون ربهم، فحدثنى بنحو عشرة أحاديث فى هذا، وقال : أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين، والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوه!؟ (٥) أ.هـ .

أما ما تعلق به المعتزلة من قوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (٦) وزعمهم بتعارض الآية مع الحديث (٧) .

(١) الانصاف للباقلانى ص ١٨١، ١٨٢ وانظر: الانتهاج فى أحاديث المعراج لابن دحية ص ٧٨، ٧٩ .

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفارىنى ٢ / ٢٤٦ .

(٣) على بن المدينى هو : على بن عبد الله بن معمر بن نجيح، أبو الحسن، ابن المدينى البصرى، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلمه . توفى سنة ٢٣٤هـ . له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٢ / ٦٩٧، ٦٩٨ رقم ٤٧٧٦، والإرشاد للخليلى ص ١٨٨، والنقات للعجلي ص ٣٤٩ رقم ١١٩٨، والكاشف ٢ / ٤٢ رقم ٣٩٣٧، وطبقات الحفاظ ١٨٧ رقم ٤١٤، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ١ / ١٤٦ رقم ٤٠ .

(٤) الآيات ١٥ - ١٧ من سورة المطففين .

(٥) لوامع الأنوار ٢ / ٢٤٥، وانظر: حادى الأرواح ص ٢٥٢، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢ / ٥٠٤ .

(٦) جزء من الآية ١٠٣ من سورة الأنعام .

(٧) شرح الأصول ص ٢٣٣ - ٢٤٢ .

قال الإمام الباقلاني: "الآية لا حجة لهم فيها وهي حجة عليهم. لأنه قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ولم يقل لا تراه الأبصار، والإدراك بمعنى يزيد على الرؤية، لأن الإدراك: الإحاطة بالشئ من جميع الجهات، والله تعالى لا يوصف بالجهات، ولا أنه في جهة، فجاز أن يرى وإن لم يدرك<sup>(١)</sup>.

وجواب آخر: أن معنى الآية لا تدركه الأبصار في الدنيا، وإن جاز أن تدركه في الآخرة، ليجمع بين قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾<sup>(٢)</sup> وبين قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وجواب آخر على دعوى التناقض: "لا تدركه الأبصار" يعني أبصار الكفار دون المؤمنين، ليجمع بين قوله تعالى: ﴿وَأُجُودَةُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>(٣)</sup> وبين قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَخْجُوتُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. وهذا صحيح، لأن الحجاب لما كان للكفار دون المؤمنين، كذلك الرؤية للمؤمنين دون الكفار<sup>(٥)</sup> أ. هـ.

أما ما احتجوا به من خبر عائشة - رضى الله عنها - لما قال لها ابن الزبير - وهو ابن أختها - يا أمه: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: يا ابن أختي لقد وقف شعر بدنّي، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>. وفي رواية قالت: "من زعم أن محمداً ﷺ، رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية... قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٧)</sup>.

قالوا: فموضع الدليل من الخبر أنها أكبرت ذلك ونفت الرؤية عن الله تعالى، فدل أن ذلك مستحيل في حقه سبحانه وتعالى، كما قالوا بتعارض الخبرين<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: الإسراء والمعراج للدكتور محمد أبو شهبة ص ٦٧.

(٢) جزء من الآية ١٠٣ من سورة الأنعام.

(٣) الآيتان ٢٢، ٢٣ من سورة القيامة.

(٤) الآية ١٥ من سورة المطففين.

(٥) الانصاف للباقلاني ص ١٨٤، وانظر: فتح الباري ٨/ ٤٧٣ وما بعدها رقم ٤٨٥٥.

(٦) الآية ٥١ من سورة الشورى.

(٧) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام، والحديث أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب في سورة النجم ٨/ ٤٧٢ رقم ٤٨٥٥، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، وهل رأى النبي ربه ليلة الإسراء ٢/ ٨، ٩ رقم ١٧٧.

(٨) انظر: الإنصاف ص ١٨٦، وشرح الأصول ص ٢٦٧-٢٧٠.

قال القاضى الباقلانى والجواب على ذلك من أوجه :

**أولهما :** أن ابن عباس رضي الله عنه وغيره من الصحابة قد صرحوا بأن محمداً صلى الله عليه وسلم، رأى ربه ليلة أسرى به يعينى رأسه، ولو كان ذلك مستحيلاً لم يقع الخلاف فيه بين الصحابة، كما لم يقع بينهم الخلاف فى ما هو مستحيل على الله تعالى من الولد والزوجة، والشريك، ونحو ذلك . فلما وقع بينهم الخلاف فى ذلك وانقرض عصرهم على ذلك، دل على أن الرؤية جائزة غير مستحيلة . فبطل ما ذكر .

**ثانيهما :** أن عائشة - رضى الله عنها - إنما أنكرت رؤية البارى بأبصار العيون فى دار الدنيا، لا على الإطلاق، ولهذا روى عن أبيها وعنهما - رضى الله عنهما - وعن جميع الصحابة أنهم فسروا قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ <sup>(١)</sup> قالوا : الزيادة النظر إلى الله تعالى فى الجنة <sup>(٢)</sup>، وقد روى هذا مرفوعاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما سبق فى الأدلة القرآنية على الرؤية <sup>(٣)</sup> .

فصح مذهب أهل السنة والجماعة بحمد الله تعالى، وبطلت شبه المخالف واندحض مكره . والله المنّة والحجة البالغة" <sup>(٤)</sup> أ.هـ .

ونسأله تعالى أن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم

(١) انظر : فتح البارى ٨ / ٤٧٤، ٤٧٥ رقم ٤٨٥٥، والابتهاج فى أحاديث المعراج لابن دحية ٧٤-٧٦، وزاد المعاد ٣ / ٣٦ - ٣٨، والإسراء والمعراج للدكتور محمد أبو شعبة ٦٧، ٦٩ .

(٢) انظر : البعث والنشور لليهقى ص ٢٦٢، ٢٦٣ رقمى ٤٤٧، ٤٤٨ .

(٣) راجع : ص ٢٢٤ .

(٤) الإنصاف ١٨٦-١٨٧ وللاستعادة فى الرد على شبه المعتزلة حول حديث الرؤى، انظر : الإنصاف، والإبانة ص ٣٥ - ٤٧، وموقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ٢١٣-٢٨٤، وشرح العقيدة الطحاوية ١ / ٢٣٧-٢٥٧ .

## المبحث الثالث موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث القدر والرد عليهم

الأحاديث التي تثبت ركناً من أركان الإيمان وهو : الإيمان بقدر الله ﷻ خيره، وشره، حلوه ومره، طعن فيها المعتزلة؛ لأنها تتعارض مع أصل من أصولهم الخمسة وهو العدل الذي يعد مع أصلهم، الأول "التوحيد" أهم أصولهم لذا فهم يسمون أنفسهم أهل العدل وأهل التوحيد، وتمدحوا بهذه التسمية .

وقد عرفوا العدل : بأنه تعالى لا يفعل القبيح ولا يختاره، ولا يخل بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حسنة<sup>(١)</sup>، وبنوا على هذا الأصل "العدل" أموراً عدة منها :  
أ- وجوب الصلاح والأصلح على الله ﷻ<sup>(٢)</sup>، عصمنا الله وإياكم من إساءة الأدب مع الله .

ب- الحسن والقبح العقليان، فالحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل، والشرع في تحسينه وتقييده للأشياء مخبر عنها لا مثبت لها ، والعقل مدرك لها لا منشئ<sup>(٣)</sup> .

ج- إن الله ﷻ لم يخلق أفعال العباد، وإنما الإنسان هو الخالق لأفعاله كلها خيراً وشرها<sup>(٤)</sup> . وقد أفضى بهم هذا إلى إنكار القدر .

قال القاضي عبد الجبار "والذين يشبّون القدر هم المجبرة"<sup>(٥)</sup>، فأما نحن فإننا ننفيه وننزه الله تعالى . عن أن تكون الأفعال بقضائه وقدره<sup>(٦)</sup> .

وحجة المعتزلة في نفى القدر أو نفى خلق الله لأفعال العباد طاعات كانت أم

(١) انظر : شرح الأصول ص ١٣٢، ٣٠١ .

(٢) شرح الأصول ص ١٣٣، ١٣٤، ٣٠٧ وما بعدها، وانظر : الفصل في الملل والنحل ٣ / ١٦٤ .

(٣) شرح الأصول ١٣٢، ٣٠١-٣٢٣، وانظر : الكشف للزحشرى ٢ / ٤٤١ .

(٤) شرح الأصول ص ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٤٥، ٧٧٦ .

(٥) المجبرة أو الجبرية: مشتقة من الجبر، وهو نفى الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى: وهم أصناف : فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والمتوسطة : هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . انظر : الملل والنحل ١ / ٨٥، والتعريفات ص ١٠١ .

(٦) شرح الأصول ص ٧٧٦ .

معاصي؛ أن الله لا يفعل القبيح، وأفعال العباد وإن كانت طاعة، فقد يصح وجودها على وجه فتقبح، وعلى وجه آخر فتحسن" (١)، وبناءً على أصلهم هذا "العدل" تأولوا الآيات القرآنية التي تثبت قدر الله ﷻ وخلق له لأفعال عباده خيرها وشرها، وطعنوا في الأحاديث التي تثبت القدر وعدوها ضرباً من الخطأ، وأن من رواها قد ارتكب عظيماً.

قال القاضي عبد الجبار: "وما ورد من أخبار الآحاد دالاً على ذلك، ضرب من ضروب الخطأ الذي يعلم بروايته أنه ارتكب عظيماً" (٢)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما كفروا من خالفهم في هذا الأصل "العدل".

قال عبد الجبار: "وأما من خالف في العدل، وأضاف إلى الله تعالى القبايح كلها من الظلم، والكذب، وإظهار المعجزات على الكذابين، وتعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم والإخلال بالواجب فإنه يكفر أيضاً" (٣)، وقد تأثر بموقف المعتزلة بالطعن في أحاديث القدر، دعاة اللادينية (٤)، كما تأثر بعض رواد المدرسة العقلية الحديثة وقد فصل ذلك الدكتور فهد الرومي في رسالته للدكتوراه "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير" (٥).

(١) المجموع المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ص ٣٦٦، ٣٦٧، نقلاً عن موقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ٢٨٨٠.

(٢) فضل الاعتزال ص ١٩٤.

(٣) شرح الأصول ص ١٢٥.

(٤) انظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ١٣١، ١٣٥، ٣٩٤، ودين السلطان ص ٣٢٣، ٣٢٤.

(٥) انظر: منهج المدرسة العقلية ص ٥٣٣-٥٤٤.

## وجوب الإيمان بقدر الله تعالى والجواب عن شبه المعتزلة ومن قال بقولهم أو تأثر بهم

الإيمان بقدر الله واجب، وهو أحد أركان الإيمان الستة؛ التي لا يتصف المؤمن بالإيمان إلا بتحقيقها، كما قال ﷺ: "الإيمان أن تؤمن بالله، ملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره"<sup>(١)</sup>. ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على إثبات قدر الله تعالى، وهي تؤيد ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من ذلك: قوله تعالى: ﴿وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وسئل ابن عمر - رضى الله عنهما - عن أناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم (أى يبحثون عن غامضه وخفائيه) وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف (أى مستأنف لم يسبق به قدر، ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلم بعد وقوعه)؟ فيجيب ابن عمر - رضى الله عنهما - فيقول للسائل: "فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برئ منهم وأنهم براء منى، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"<sup>(٥)</sup>، ثم ساق حديث عمر ﷺ السابق.

وعن طاووس قال: "أدركت ثلثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ، يقولون: كل شيء بقدر، وسمعت عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس"<sup>(٦)</sup>، والأحاديث فى إثبات القدر كثيرة جداً فى الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة<sup>(٧)</sup> والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:

(١) أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ ١/ ١٧٧ رقم ٨ من حديث عمر بن الخطاب ﷻ.

(٢) الآية ٢ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ٤٩ من سورة القمر.

(٤) الآية ٣٨ من سورة الأحزاب.

(٥) أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ ١/ ١٧٨ رقم ٨.

(٦) الكيس "يفتح الكاف" ضد العجز، ومعناه الخلق فى الأمور ومعناه: أن العاجز قد قدر عجزه، والكيس قد قدر كيسه. أ.هـ. المنهاج شرح مسلم ٨/ ٤٥٦، وفتح البارى ١/ ٤٨٧، والحديث أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب القدر، باب كل شيء بقدر ٤٥٦، ٤٥٥ رقم ٢٦٥٥.

(٧) انظر: كتاب القدر فى الصحيحين، البخارى (بشرح فتح البارى) ١١/ ٤٨٦ - ٥٢٤ أرقام ٦٥٩٤ - ٦٦٢٠، ومسلم (شرح النووى) ٨/ ٤٤٠ - ٤٦٨ أرقام ٢٦٤٣ - ٢٦٦٣.

الأول : الإيمان بأن الله عالم بكل ما يكون جملة وتفصيلاً يعلم سابق لقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١) .

الثاني : إن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء لقوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢) ولقوله ﷺ : "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال : وعرشه على الماء" (٣) .

الثالث : إنه لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته، الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته، وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك فهو مطابق لعلم الله السابق ولما كتبه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (٥) "فأثبت جل جلاله وقوع الهداية والضلال بإرادته .

الرابع : إن كل شيء في السموات والأرض مخلوق لله تعالى لا خالق غيره، ولا رب سواه، لقوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (٦) وقال على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٧) .

وبدل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة من أدلة العقل : أن الملك إذا جرى في ملكه ما لا يريد، دل ذلك على نقصه أو ضعفه أو عجزه، والله تعالى موصوف بصفات الكمال، لا يجوز عليه في ملكه نقص، ولا ضعف، ولا عجز، فكيف يكون في ملكه ما لا يريد، ويريده أضعف خلقه فيكون. كلا سبحانه وتعالى أن يأمر بالفحشاء أو يكون في ملكه إلا ما يشاء .

(١) الآية ٧٠ من سورة الحج .

(٢) الآية ٢٢ من سورة الحديد .

(٣) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٨ / ٤٥٢ رقم ٢٦٥٣ من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) الآية ٤٩ من سورة القمر .

(٥) الآية ١٢٥ من سورة الأنعام .

(٦) الآية ٢ من سورة الفرقان .

(٧) الآية ٩٦ من سورة الصافات، وانظر : فتح الباري ١ / ١٤٥ رقم ٥٠ .

ونقول : إن مذهب أهل السنة والجماعة الذى ندين لله تعالى به أنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن ولا يطيع طائع، ولا يعصى عاص، من أعلى العلى إلى ما تحت الثرى؛ إلا بإرادة الله تعالى، وقضائه ومشيئته. وقد دل على صحة ذلك الكتاب، والسنة، والعقل، وإجماع الأمة<sup>(١)</sup>.

وقد تناول العلماء من أهل السنة شبه المعتزلة فى موضوع القدر، وأفعال العباد ففندوها وأوضحوا بطلانها؛ لأنها لم تبين على نصوص الشرع، وإنما بنيت على العقول القاصرة العاجزة، فجاءت مخالفة للنصوص مناهضة لها.

وصفوة القول فى الرد على المعتزلة : "إن المعتزلة لما خاضوا بعقولهم فى شرع الله تعالى بعيداً عن هدى النصوص، قذفت لهم تلك العقول بما يسمى بالتحسين والتقبيح العقلى، ووجوب الأصلح على الله؛ الذى كان علته وسببه قياسهم لأفعال الله سبحانه على أفعال العباد، فحسنوا منه ما يحسن منهم، وقبحوا منه ما يقبح منهم، وأوجبوا عليه ما يجب عليهم، وحرّموا عليه ما يحرم عليهم، وسمّوا ذلك عدلاً، وما ذلك إلا تشبيه الله بخلقه فى أفعاله فهم فى الحقيقة مشبهة الأفعال. والله سبحانه لا يقاس بنا فى أفعاله، فليس ما وجب أو حرم علينا، يجب ويحرم عليه، وليس ما حسن أو قبح منا يحسن أو يقبح منه<sup>(٢)</sup>."

فهو سبحانه منزّه عن فعل القبائح، لا يفعل السوء والسيئات، مع أنه سبحانه خالق كل شيء، أفعال العباد وغيرها.

والعبد إذا فعل القبيح المنهى عنه كان قد فعل سوءاً، وظلماً، وقبيحاً وشرّاً، والرب قد جعله فاعلاً لذلك، وذلك منه سبحانه عدل، وحكمة، وصواب، ووضع للأشياء فى مواضعها، فخلقه سبحانه لما فيه نقص أو عيب للحكمة التى خلقه لها هو محمود عليه، وهو منه عدل، وحكمة، وصواب، وإن كان فى المخلوق عيباً، ومثل ذلك فى المخلوقين، فإن الصانع إذا أخذ الخشبة المعوجة، والحجر الرديء، واللينة الناقصة، فوضعها فى موضع يليق بها ويناسبها كان ذلك منه عدلاً، واستقامة وصواباً وهو محمود، وإن كان فى تلك عوج وعيب هى به مذمومة، ومن أخذ الخبثات فوضعها فى المحل الذى يليق بها كان ذلك حكمة وعدلاً، وإنما السفه والظلم أن يضعها فى غير

(١) الإنصاف للباقلانى ص ١٥٧، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢ بتقديم وتأخير.

(٢) انظر : المتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨، ومفتاح دار السعادة ص ٤٩-٥٢.

موضعها، فهو سبحانه لا يضع شيئاً إلا في موضعه، فلا يكون إلا عدلاً، ولا يفعل إلا خيراً، فلا يكون إلا محسناً جواداً رحيماً، وهو سبحانه له الخلق والأمر<sup>(١)</sup>.

والله يختص بحكمة لا يشاركه فيها غيره، ولهذا يحسن منه ما يقبح من المخلوقين لانتفاء تلك الحكمة في حقهم، مثال لذلك يحسن منه مدح نفسه والثناء عليها، ويقبح من أكثر خلقه ذلك. كما يحسن منه إمامة خلقه وابتلاؤهم وامتحانهم بأنواع المحن، ويقبح ذلك من الخلق، فليس بين الله وخلقه جامع يوجب أن يحسن منه، ما يحسن منهم، ويقبح منه ما قبح منهم<sup>(٢)</sup>.

وكون الله سبحانه خالقاً لأفعال العباد، لا ينفي ذلك أن يكونوا فاعلين لها حقيقة، فقد أخبر سبحانه أن العباد يفعلون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويصدقون ويكذبون في مواضع جمّة. فأفعالهم مستندة إليهم، وهم الفاعلون لها حقيقة، وأنها تنسب إليهم وتضاف لهم وهي مفعولة لله حقيقة ومخلوقة له، وليست فعلاً له، ولا يتصف بأنه فاعلها؛ لأن هنالك فرقاً بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق، فهي فعل العباد ومفعوله له سبحانه<sup>(٣)</sup>.

وإلى هذا أشار الإمام الطحاوي<sup>(٤)</sup> - رحمه الله - بقوله: "وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد"<sup>(٥)</sup>.

وأما إيجاب شيء على الله أو تحريمه عليه، فإن جمهور العلماء ذهبوا إلى أنه سبحانه إنما أمر عباده بما فيه صلاحهم، ونهاهم وحذرهم عما فيه فسادهم، وأرسل لهم الرسل للمصلحة العامة، وإن كان في إرسالهم ضرر على بعض الناس، ففيه حكم، وإن كان في بعض ما يخلقه ضرر كالذنوب، فلا بد من وجود الحكمة في ذلك، والمصلحة التي لأجلها خلقه سبحانه<sup>(٦)</sup>، والله سبحانه قد يوجب على نفسه ويحرم بعض الأمور

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة ١/ ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٣٣٣.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٤٢، ١٤٣، ١٥٣، وشفاء العليل في مسائل القدر ص ١١٥، وشرح الطحاوية ٢/ ١٨٨.

(٤) الطحاوي هو: أبو جعفر، أحمد بن محمد الأزدي المصري الطحاوي الحنفي. كان ثقة، ثباتاً، فقيهاً، لم يخلف بعده مثله، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة، بمصر من مصنفاته (شرح معاني الآثار) و"أحكام القرآن" و"العقيدة" مات سنة ٣٢١ هـ. له ترجمة في: طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٣٩ رقم ٧٦٧، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٠٨ رقم ٧٩٧، وطبقات المفسرين للداردي ١/ ٧٤ رقم ٦٩، والبداية والنهاية ١١/ ١٣٢، والتقييد لمعرفة رواة السنن لابن نقطة ص ١٧٤ رقم ١٩٥، ولسان الميزان ١/ ٤١٥ رقم ٨٤٥.

(٥) شرح الطحاوية ٢/ ١٧٩.

(٦) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٥٣.

كقوله سبحانه : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾<sup>(١٨)</sup> وفى الحديث : "يا عبادى  
إنى حرمت الظلم على نفسى"<sup>(١٩)</sup> وهو لا يخل بما أوجبه أو حرمه على نفسه .  
أما أن يوجب أو يحرم عليه الخلق بعقولهم فلا<sup>(٢٠)</sup> .

إن قول المعتزلة يجب على الله فعل الصلاح والأصلح لعباده يلزم منه لوازم فاسدة  
مثل : عدم خلق إبليس وجنوده، فعدم خلقه وجنوده أصلح للخلق وانفع، وقد خلقه  
البارى ! والأمثلة على ذلك كثيرة<sup>(٢١)</sup> .

إذا عرفت صحة مذهب أهل السنة فى عقيدة الإيمان بالقدر، وعرفت فساد مذهب  
المعتزلة، عرفت أن طعون المعتزلة ومن قال بقولهم من المستشرقين، ودعاة الإلحاد<sup>(٢٢)</sup>  
فى الأحاديث الصحيحة المثبتة للقدر، طعون واهية لا حجة لهم فيها، وهاك مثالا على  
ذلك، حديث محاجة آدم موسى عليهما السلام، نذكر شبه الطاعنين فيه والدفاع عنه  
فى المبحث التالى فى بيان ذلك .

(١) الآية ٥٤ من سورة الأنعام .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ٨ / ٣٧٥ رقم ٢٥٧٧  
من حديث أبى ذر رضي الله عنه .

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٩، ٥٠، وشرح الطحاوية ٢ / ١٩٣ - ١٩٥ .

(٤) انظر : لوامع الأنوار البهية ١ / ٣٢٩ - ٣٣٢ . وللاستزادة من الرد على شبهات المعتزلة فى عقيدة القدر،  
انظر : الإنصاف للباقلانى ص ١٥٧-١٦٨، والشريعة للأجرى ص ١٤٩-٢٥٠، وموقف المدرسة العقلية من السنة  
١ / ٢٨٥ - ٢٤٣ .

(٥) كنيازى عز الدين الذى طعن فى حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : "إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين  
يوماً... الحديث" سبق ذكره وتحريجه ص ٦٥٥، وانظر : دين السلطان ص ٦٥٠، ٦٥١، وانظر : دراسة الكتب  
المقدسة للدكتور موريس بوكاى ص ٢٩٧، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالى أحمد حجازى ص ١٥٨، ١٦٠،  
والأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر ٢ / ٣٠٣ وغيرهم .

## المبحث الرابع

### شبه الطاعنين في حديث محاكاة آدم

#### موسى عليهما السلام والرد عليها

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال : "احتج آدم وموسى، فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم : أنت موسى . اصطفاك الله بكلامه، وخط لك يده، أتلو مني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ : "فحج آدم موسى ثلاثاً"<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : قد أنكر القدرية هذا الحديث لأنه صريح في إثبات القدر السابق، وتقرير النبي ﷺ لآدم على الاحتجاج به، وشهادته بأنه غلب موسى فقالوا :

أولاً : لا يصح لأن موسى لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه، وقد قتل هو نفساً لم يؤمر بقتلها، ثم قال رب اغفر لي، فغفر له، فكيف يلوم آدم على أمر قد غفر له؟  
ثانياً : لو ساغ اللوم على الذنب بالقدر الذي فرغ من كتابته على العبد، لكان من عوتب على معصية قد ارتكبها، يحتج بالقدر السابق، ولو ساغ ذلك لانسد باب القصاص، والحدود، ولاحتج به كل أحد على ما يرتكبه من الفواحش، وهذا يفضي إلى لوازم قطعية، فدل ذلك على أن هذا الحديث لا أصل له<sup>(٢)</sup> . أ. هـ .  
وبنحو ذلك طعن السيد صالح أبو بكر<sup>(٣)</sup>، ونيازي عز الدين<sup>(٤)</sup>، وغيرهما في الحديث . ويجاب عليهم بالآتي :

أولاً : هذا الحديث صحيح ثابت في كتب السنة بالاتفاق . رواه عن النبي ﷺ أبو هريرة وغيره، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أنه من طريق أبي هريرة رواه عشرة من التابعين ثم ذكرهم، وذكر من خرج لهم من الأئمة<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب القدر، باب نوح آدم وموسى عند الله ﷻ ١١ / ٥١٣، ٥١٤ رقم ٦٦١٤، ومسلم (بشرح التورى) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٨ / ٤٥٠ رقم ٢٦٥٢ .

(٢) فتح الباري ١١ / ٥١٨ رقم ٦٦١٤ .

(٣) الأضواء القرآنية ٢ / ٢٣٩ .

(٤) دين السلطان ص ٦٥٥ وما بعدها، وانظر : دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص ٢٩٧ .

(٥) فتح الباري ١١ / ٥١٤ .

ثانياً : قد ذكر في احتجاج آدم بالقدر عدة أقوال، المتجه منها قولان :  
 الأول : إنما لام موسى عليه السلام آدم عليه السلام على المصيبة التي أخرجته لا على المعصية،  
 لأن العبد مأمور أن يحتج بالقدر عند المصائب كما قال عليه السلام "وإن أصابك شيء فلا  
 تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل. فإن لو  
 تفتح عمل الشيطان"<sup>(١)</sup>. وقال تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
 أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup> واستحسن  
 هذا القول الإمام الطحاوي<sup>(٣)</sup>.

الثاني : إن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضر في موضع، فينفع  
 إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه، وترك معاودته كما فعل آدم، ويضر الاحتجاج به  
 في الحال والمستقبل، بأن يرتكب فعلاً محرماً، أو يترك واجباً فيلومه عليه لائم، فيحتج  
 بالقدر عليه ويصر، فيبطل الاحتجاج به حقاً، ويرتكب باطلاً، كما احتج به المصرون  
 على شركهم وعبادتهم لغير الله، فقالوا كما حكى رب العزة عنهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا  
 أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

وخلاصة ذلك أن اللوم إذا ارتفع، صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعاً  
 فالاحتجاج بالقدر باطل<sup>(٥)</sup>.

وقال القرطبي : "إنما غلبه بالحجة؛ لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه"<sup>(٦)</sup>، فكان  
 لومه على ذلك، نوع جفاء، كما يقال ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء، ولأن  
 أثر المخالفة بعد الصفاء ينمحي حتى كأنه لم يكن، فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ  
 محلاً.

قال الحافظ ابن حجر : "وهو محصل ما أجاب به المازري، وغيره من المحققين، وهو  
 المعتمد"<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، وتفويض المقادير  
 لله ٨ / ٤٦٦، ٤٦٧ رقم ٢٦٦٤ .

(٢) الآية ٢٢ من سورة الحديد .

(٣) شرح الطحاوية ١ / ١٧٠ وما بعدها وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٦٨ .

(٤) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام .

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر ص ٣٨، ٣٩ بتصرف .

(٦) كما جاء في حديث عمر "قال آدم لموسى إنما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال نعم"

أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في القدر ٤ / ٢٢٦ رقم ٤٧٠٢ .

(٧) فتح الباري ١١ / ٥١٨، وقول القرطبي موجود بمعناه في الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٥٦ .

ثالثاً : ليس في الحديث احتجاج بالقدر على المعاصي كما يزعم المعتزلة. وآدم ﷺ لم يحتج بالقدر؛ لأن أنبياء الله - عليهم السلام - من أعلم الناس بالله وبأمره ونهيه، فلا يسوغ لأحدهم أن يعصى الله بالقدر، ثم يحتج على ذلك (١) أ.هـ.

وبعد

فالحديث كما قال الحافظ ابن عبد البر : "هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر، وأن الله تعالى قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله" (٢).

وعن النهي عن المجادلة في القدر روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما فقي في وجهه حب الرمان من الغضب. فقال : "بهذا أمرتم أو لهذا خلقتهم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض. بهذا هلكتم قبلكم" (٣) أ.هـ.

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦٩، وشفاء العليل ص ٣٨، وشرح الطحاوية ١ / ١٧٠ .

(٢) انظر : فتح الباري ١١ / ٥١٧، وللاستزادة في الرد على هذا الحديث انظر : نصوص من السنة ودفاع عنها للدكتور رفعت فوزي، ص ١٨-٢٤، وضلالات منكري السنة للدكتور طه حبيشي ص ٤٦٣ - ٤٧٥، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ٣٤٣ - ٣٤٧ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الإيمان، باب في القدر ١ / ٤٥ رقم ٨٥، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ١ / ٥٨ : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات أ.هـ .

## المبحث الخامس

### موقف المبتدعة قديماً وحديثاً من أحاديث المغفرة لمرتكب الكبيرة والرد عليهم

طعن المبتدعة من المعتزلة وغيرهم في أحاديث المغفرة لأهل الكبائر يوم القيامة، لتعارضه مع أصلهم السابق "العدل"، وقولهم بوجوب الصلاح والأصلح على الله، ولتعارضه مع أحد أصولهم الخمسة وهو "الوعد والوعيد" ومرادهم به: أنه يجب على الله إثابة الطائع الذي وعده بالثواب، وعقاب العاصي الذي أوعده بالعقاب، ولا يخلف الله وعيده؛ لأنه ذم وقبح<sup>(١)</sup>.

ولتعارضه أيضاً مع قولهم في مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين المنزلتين، وهو أيضاً أحد أصولهم الخمسة، ومرادهم به أن مرتكب الكبيرة منزلته "الفسق" بين المنزلتين الإيمان، والكفر" وهو بهذه المنزلة خالد مخلد في النار إذا لم يتب من كبيرته، وحاله في العقاب دون الكافر، فعقابه أخف ولكنه مع ذلك مؤبد فيها"<sup>(٢)</sup>.

ومن أصولهم السابقة طعنوا في أحاديث الشفاعة، كما طعنوا في الأحاديث التي تصف مرتكب الكبيرة - وإن لم يتب - بأنه تحت المشيئة "إن شاء غفر الله له، وإن شاء عذبه" لتعارضها مع قولهم: "وجوب تنفيذ الله وعيده على العاصي". وقولهم: إن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في النار إن لم يتب من كبيرته.

واعتبروا مثل هذه الأحاديث فيها خلف للوعد من الله ﷻ وهو عندهم ذم وقبح. قال القاضي عبد الجبار: "من زعم أن خلف الوعد كرم، وأن الله يمكن أن يخلف في وعيده، كفر، لأنه أضاف القبيح إلى الله تعالى"<sup>(٣)</sup> أ.هـ.

#### والجواب:

إن إنفاذ الوعد، والوجوب على الله، الذي دندن به المعتزلة، وقال به أعداء السنة<sup>(٤)</sup>، وخلدوا به صاحب الكبيرة في النار، إنما هو أمر عقلي محض لا سند له من

(١) انظر: شرح الأصول ص ١٢٥، ٦١١ وما بعدها، والملل والنحل ١/ ٤٢، وآراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويم للدكتور علي بن سعد بن صالح ص ١٢٣.

(٢) انظر: فضل الاعتزال ٢١٠، ٣٥٠، ومقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٤، والملل والنحل ١/ ٤٥.

(٣) انظر: شرح الأصول ص ١٢٥، ١٣٢، ٦٦٦، ٦٦٧.

(٤) انظر: المسلم العاصي لأحمد صبحي منصور ص ١٤ - ٣٠.

النصوص، ولا من العقول السليمة .

فمن أين للعقول أن توجب وتحرم عليه سبحانه، وكيف علمت أنه يجب عليه أن يمدح ويذم، ويثيب ويعاقب على الفعل، وأنه رضى عن فاعل، وسخط على فاعل؟ وهل ذلك إلا غيب عنا، وإقحام للعقل فيما لا علم له، وتجنّي على نصوص الشرع، وقياس لله بخلقه فى أفعاله .

وهل كل ما حسن من الخلق حسن منه، وما قبح منهم قبح منه؟ أم هو القياس الفاسد أيضاً؟<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن الله وعد الطائعين بالثواب، وأوعد العصاة بالعقاب، وما وعد به عباده الطائعين لا بد من تحقيقه، كرماء منه سبحانه وفضلاً، لأنه لا يخلف الميعاد كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ»<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: «وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ»<sup>(٣)</sup> وليس معنى ذلك أن العباد يستحقون دخول الجنة على ربهم بأعمالهم كما يزعم أهل الاعتزال، بل إنما يدخلهم الجنة برحمته وفضله، كما قال ﷺ: "لن يدخل أحداً عمله الجنة"، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة...فسددوا وقاربوا" الحديث<sup>(٤)</sup>، وذلك بخلاف الوعيد، فإن خلفه مدح لا ذم، ويجوز عليه سبحانه أن يخلف وعيده، لأنه حقه، فإخلافه له عفو وكرم، وجود، وإحسان، ولهذا مدح به كعب بن زهير رسول الله ﷺ، حيث قال :

نبئت أن رسول الله أوعدنى \*\*\* والعفو عند رسول الله مأمول<sup>(٥)</sup>  
والعرب لا تعد عاراً ولا خلفاً، أن تعد شراً ثم لا تفعل، ترى ذلك كرماء وفضلاً، إنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعل، ومن ذلك قول القائل :

لا يرهب ابن العم منى صولة \*\*\* ولا أختنى<sup>(٦)</sup> من صولة المتهدد

(١) مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ص ٥١، ٥٢، وراجع ما سبق فى الجواب عن طعن المعتزلة فى أحاديث القدر ص ٧٦٧-٧٧٤ .

(٢) الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٣) الآية ١٩٤ من سورة آل عمران .

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب، باب تمنى المريض الموت ١٠/ ١٣٣، رقم ٥٦٧٣، ومسلم (بشرح النووي) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى ٩/ ١٧٤ رقم ٢٨١٦ من حديث أبى هريرة ؓ واللفظ للبخارى .

(٥) انظر: لوامع الأنوار البهية ١/ ٣٧٠، وانظر : شرح ديوان كعب بن زهير للحسن السكرى ص ١٩ .

(٦) أختنى : أى اتصاغر وأنكسر، انظر : لسان العرب ٢/ ٢٨٠ .

وإني أن أوعده أو وعدته \*\*\* لأخلف إيعادى وأنجز موعدى<sup>(١)</sup>

وفى الحديث عن زيد بن ثابت مرفوعاً: "لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم"<sup>(٢)</sup>. أما ما ذهب إليه المعتزلة والخوارج من أن الكبيرة الواحدة تسقط جميع ما لصاحب الكبيرة من ثواب، لأنه لا ثواب البتة يستحقه الإنسان مع وجود الكبيرة<sup>(٣)</sup>، ويستلزم على هذا حبط إيمانه حيث حكموا عليه بالخلود فى النار، وإن لم يحكم عليه المعتزلة بالكفر فى الدنيا فقد صرح بذلك الخوارج فأصبح الخلاف بينهم لفظى<sup>(٤)</sup>.

هذا الذى ذهبوا إليه نوع من الظلم الذى نزه الله نفسه عنه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وهو مخالف لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، فى أن مرتكب الكبيرة مسلم عاصى، غير خالد مخلد فى النار، وهو تحت المشيئة "إن شاء غفر الله له وإن شاء عذبه" يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٦)</sup> فالآية صريحة فى أن الغفران المعلق بالمشيئة شامل لجميع الذنوب، كبائر كانت أو صفائر، ولم يستثن المولى ﷻ سوى كبيرة الشرك به تعالى<sup>(٧)</sup>.

وفى هذا رد على قولهم المراد بالمغفرة صفائر المعاصى<sup>(٨)</sup>.

وقال ﷺ: "ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة" قال أبو ذر ﷺ، قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال "وإن زنى وإن سرق" - ثلاثاً - ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر" قال فخرج أبو ذر وهو يقول: "وإن رغم أنف

(١) انظر: أخبار عمرو بن عبيد للدارقطنى ص ١٤، وموقف المدرسة العقلية من السنة ١/ ٣٦٨، ٣٦٩.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب فى القدر ٤/ ٢٢٥ رقم ٤٦٩٩، وابن ماجه فى سننه كتاب القدر، باب فى القدر ١/ ٤٢، ٤١ رقم ٧٧.

(٣) انظر شرح الأصول ص ٦٩١، ومقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٢.

(٤) شرح الطحاوية ٢/ ٩٩، ١٠٠.

(٥) الآية ٤٠ من سورة النساء، وانظر: مسلم (شرح النووى) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ٢/ ٢٦ رقم ١٨٣.

(٦) الآية ١١٦ من سورة النساء.

(٧) انظر: جامع البيان ٥/ ١٢٦، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٤٥، وقرن معاصرة تنسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها ٢/ ٨٣٩.

(٨) انظر: فضل الاعتزال ص ١٥٤.

أبي ذر" (١).

وفى حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : أنه ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه :  
بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم،  
ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى  
منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له،  
ومن أصاب من ذلك شيئاً، ثم سره الله؛ فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء  
عاقبه". فبايعناه على ذلك (٢).

والأدلة على أن صاحب الكبيرة "مسلم عاصي" ونحت المشيئة وغير خالد مخلد في  
النار كثيرة جداً. والأحاديث في ذلك متواترة (٣).

وأقوال أهل العلم في ذلك كثيرة نقتصر على قول جامع للإمام النووي - رحمه الله  
- إذ يقول : "واعلم أن مذهب أهل السنة، وما عليه أهل الحق من السلف والخلف،  
أن من مات موحداً، دخل الجنة قطعاً على كل حال، فإن كان سالماً من المعاصي،  
كالصغير، والمجنون، والذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو  
غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً،  
فكل هذا الصنف يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار أصلاً ... وأما من كانت له معصية  
كبيرة، ومات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة  
أولاً، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى، ثم  
يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل،  
كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل".

هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب،  
والسنة، وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة، وتواترت بذلك نصوص  
تحصل العلم القطعي (٤) أ. هـ.

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ٣ / ١٢٣٧ رقم ٣٣٢، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار ١ / ٣٧٠، ٣٧١ رقم ٩٤ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الإيمان ١ / ٨١ رقم ١٨ واللفظ له، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجنود، باب الجنود كفارات لأهلها ٦ / ٢٣٨، ٢٣٩ رقم ١٧٠٩.

(٣) انظر : الشفاعة لمقبل بن هادي، وموقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ٣٦٠ - ٣٦٢.

(٤) المنهاج شرح مسلم ١ / ٢٥٥، ٢٥٦ أرقام ٢٦-٣٣.

أما ما استدلل به المعتزلة وغيرهم من الكتاب والسنة على تخليد صاحب الكبيرة في النار كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup> وقوله ﷺ: "لا يدخل الجنة مومن همر، ولا نمام، ولا عاق"<sup>(٢)</sup>. وقوله ﷺ: "من قتل نفسه بحديده، فحديده في يده يتوَجَّأُ بها بطنه في نار جهنم خالداً أبداً"<sup>(٣)</sup> أ.هـ. إلى غير ذلك من الأخبار المروية في هذا الباب، واستدلوا بها على تخليد صاحب الكبيرة<sup>(٤)</sup>.

هذه الأخبار التي استدللوا بها على تخليد مرتكب الكبيرة في النار؛ لا حجة لهم فيها فهي من نصوص الوعيد التي وجهها السلف توجيهاً يتفق ونصوص الوعد الأخرى التي غض عنها المعتزلة الطرف، وهذا من شأن أهل البدع فإنهم يأخذون من النصوص ما يظنون أنه يوافق بدعهم، ويتركون غيرها مما يخالف تلك البدع. وهكذا فعل أهل الاعتزال في هذا المقام.

وقد ذكر العلماء توجيهات عديدة في هذه النصوص وأمثالها والمختار منها قولان: أحدهما: أنها محمولة على من يستحل الكبيرة مع علمه بالتحريم، فهذا كافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة أصلاً.

والثاني: أنها محمولة على أن مرتكب الكبيرة جزاؤه أن لا يدخل الجنة وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخر، ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولاً<sup>(٥)</sup>. والمراد بالخلود إذا عوقب، طول المدة والإقامة المتطاولة، لا حقيقة الدوام، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾<sup>(٦)</sup> والعرب تقول: لأخلدن فلاناً في السجن، والسجن ينقطع ويزول، وكذلك من سجن، ومثله قولهم في الدعاء: خلد الله ملكه، وأبد أيامه<sup>(٧)</sup>.

(١) الآية ٩٣ من سورة النساء.

(٢) أخرجه النسائي في سننه كتاب الزكاة، باب المنان، بما أعطى ٥ / ٨٠ رقم ٢٥٦٢، وأحمد في المسند وذكر بدل المنان: الديوث الذي يقر في أهله الخبث ٢ / ٦٩، ١٢٨، ١٣٤ من حديث ابن عمر ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الطب، باب شرب السم والبراء به ... إلخ ٨ / ٢٥٨ رقم ٥٧٧٨ ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ١ / ٣٩٥ رقم ١٠٩ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) انظر: شرح الأصول ص ٦٥٧، ٦٦٣.

(٥) المنهاج شرح مسلم ١ / ٣٦٩ رقم ٩١ بتصرف.

(٦) الآية ٣٤ من سورة الأنبياء.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣٣٥. وانظر: المنهاج شرح مسلم ١٠ / ٤٠٢، ٤٠٣ رقم ١٠٩.

وهناك قول ثالث : وهو أن نصوص الوعيد الواردة فى الآيات، والأخبار فى حق مرتكب الكبيرة، هذا الوعيد جزاؤه، ولكن تكرم سبحانه وتعالى فأخبر أنه لا يخلد فى النار من مات مسلماً<sup>(١)</sup>، وقد دلت الأحاديث على ذلك منها قوله ﷺ : "إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار يقول الله : من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا<sup>(٢)</sup>، وعادوا همماً<sup>(٣)</sup>، فيلقون فى نهر الحياة، فينبتون كما تُنبت الحبة فى حميل السيل، أو قال : حمية السيل" وقال النبى ﷺ : "ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية؟"<sup>(٤)</sup>.

وقد دلت الأحاديث أيضاً أن قاتل نفسه لا يخلد فى النار، روى الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله هل لك فى حصن حصين ومنعة؟ (قال : حصن كان لدوس فى الجاهلية) فأبى ذلك النبى ﷺ للذى ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه . فاجتروا المدينة . فمرض، فجزع، فأخذ مشاقص<sup>(٥)</sup> له فقطع بها برأجمه فشجبت<sup>(٦)</sup> يده حتى مات، فرأه الطفيل بن عمرو فى منامه . فرأه وهيئته حسنة، ورأه مغطياً يديه، فقال له : ما صنع بك ربك؟ فقال : غفر لى بهجرتى إلى نبيه ﷺ، فقال : ما لى أراك مغطياً يديك؟ قال : قيل لى لن نصلح منك ما أفسدت، فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : "اللهم وليديه فاغفر"<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام النووى -رحمه الله- : "ففيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة، أن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها، ومات من غير توبة فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار، بل هو فى حكم المشيئة، وقد تقدم بيان القاعدة وتقريرها، وهذا الحديث شرح

(١) انظر : المنهاج شرح مسلم ١/ ٣٦٩ رقم ١/ ٣٩١ رقم ١٠٥ .

(٢) امتحشوا : أى احترقوا . والمحش : احتراق الجلد، وظهور العظم . انظر : النهاية فى غريب الحديث ٤/ ٣٠٢ .

(٣) همماً : أى صاروا سود الأجساد كالخم وهو الفحم انظر : النهاية فى غريب الحديث ١/ ٤٤٤ .

(٤) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ١١/ ٤٢٤ رقم ٦٥٦٠ .

(٥) مشاقص : جمع مشقص وهو نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض . انظر : النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٤٩٠ .

(٦) شجبت : أى سألت من الشخب، وهو السيلان انظر : النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٤٥٠ .

(٧) مسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر ١/ ٤٠٧ رقم ١١٦ .

للأحاديث التي قبله، الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس، وغيره من أصحاب الكبائر في النار، وفيه إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصي، فإن هذا عوقب في يديه، ففيه رد على المرجئة<sup>(١)</sup>، القائلين بأن المعاصي لا تضر مع الإيمان، كما لا ينفع مع الكفر طاعة<sup>(٢)</sup> أ.هـ.

وإذا تقرر أن مرتكب الكبيرة، مسلم عاصي، تحت مشيئة ربه ﷻ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، فلا وجه لإنكار أعداء السنة لشفاعاة النبي ﷺ، لأهل الكبائر من أمته.

فإلى بيان شبههم حول الحديث والرد عليها في المبحث التالي.

(١) المرجئة : من الإرجاء وهو التأخير، والمرجئة لقب أطلق على طائفة تؤخر العمل عن الإيمان، بمعنى أنهم لا يدخلون العمل في مسمى الإيمان، وقصروا الإيمان على المعرفة . وأكثرهم يرى أن الإيمان لا يتبعض، ولا يزيد ولا ينقص، وزعم بعضهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة أ.هـ انظر : مقالات الإسلاميين ١/ ١٣٢، الملل والنحل ١/ ١٣٧، وانظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ٢/ ٧٤٣ .

(٢) المنهاج شرح مسلم ١/ ٤٠٩ رقم ١١٦ بتصرف يسير، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ١/ ٣٧٤ - ٣٧٨ .

## المبحث السادس شبه الطلوعين في حديث الشفاعة والرد عليهم

إن تشبث المعتزلة بأصلهم الوعد والوعيد، ووجوب تحقيق الوعيد في حق مرتكب الكبيرة بتخليده في النار، أدى بهم إلى نفى الشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة .  
قال عبد الجبار : "الشفاعة للفساق الذين ماتوا على فسوقهم، ولم يتوبوا لا تجوز، بل مثلها مثال الشفاعة لمن قتل ولد الغير، وظل يترصد للآخر حتى يقتله، فكما أن هذا قبيح فهي قبيحة أيضاً ... والنبى ﷺ، لا يشفع لصاحب كبيرة، ولا يجوز له ذلك لأن إثابة من لا يستحق الثواب قبيحة ... والفساق إنما يستحق العقوبة على الدوام، فكيف يخرج من النار بشفاعته ﷺ" (١) .

وقد رد المعتزلة أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر بدعوى تعارضها مع القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبدعوى أنها خبر آحاد، ومسألة الشفاعة طريقها العلم، فلا يصح الاحتجاج به (٢) .

وما صح من أحاديث الشفاعة أطلق عليها عبد الجبار حكماً عاماً وهو أن أكثرها مضطرب (٣) .

ومما استدلوا به في إنكار الشفاعة قوله تعالى : ﴿وَأَنفُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (٥) . ونحو ذلك من الآيات، واستدلوا على دعوى التعارض مع السنة المطهرة بما سبق من حديث "لا يدخل الجنة نمام ... الحديث" وحديث "من قتل نفسه بحديدة ... الحديث" (٦) .

وبشبهات المعتزلة استدل دعاة اللادينية في عصرنا (٧) .

(١) انظر : شرح الأصول ص ٦٨٨ ، ٦٨٩ بتصرف سير وانظر : فضل الاعتزال ص ٢٠٩ .

(٢) انظر : شرح الأصول ص ٦٩٠ .

(٣) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٩٨ .

(٤) الآية ٤٨ من سورة البقرة .

(٥) جزء من الآية ١٨ من سورة غافر، وانظر : شرح الأصول ص ٦٨٩ .

(٦) الحديثان سبق تفريجهما ص ٢٤٤ . وانظر : شرح الأصول ص ٦٩١ .

(٧) انظر : مذاهب التفسير الإسلامى ص ١٩٠ ، والمسلم العاصى لأحمد صبحى ١٠-٣٠ ، والأنبياء في القرآن ص ٦٥ وما بعدها، والأضواء القرآنية ص ٢٥٨ - ٢٦٤ ، والقرآن والحديث والإسلام ص ١٥-١٧ ، وإنذار من السماء ١٨٤-١٨٨ ، ودين السلطان ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٦١١ ، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، وانظر : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادهم حسين بخش ص ٣٤٣ .

ويجيب عن شبههم بما يلي :

أولاً : الأحاديث في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر ثابتة صحيحة في الصحيحين، والسنن، والمسانيد وغيرها . وقد نص جماعة من العلماء على أنها تبلغ حد التواتر المعنوي<sup>(١)</sup> فزعمهم بأن الأحاديث أكثرها مضطرب . حجة واهية، وزعم عار عن الصحة، لا يتفوه به إلا من جهل حديث النبي ﷺ، أو أغمض عينيه عنه<sup>(٢)</sup>.

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في الشفاعة قوله ﷺ : "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"<sup>(٣)</sup>، وزعمهم أن هذا الحديث لم تثبت صحته<sup>(٤)</sup>، زعم مردود، لأن الحديث قد ثبتت صحته، وأيدته الأحاديث الثابتة كقوله ﷺ : "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة . فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً"<sup>(٥)</sup> وقوله ﷺ : "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه"<sup>(٦)</sup>.

تقول الدكتور عائشة يوسف المناعي : "اضطر المعتزلة إلى اللجوء إلى نقد الأخبار المعارضة التي تثبت الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين مثل قوله ﷺ : "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" فبرغم أن هذا الحديث ينص صراحة على أن الشفاعة لأهل الكبائر، وبرغم صحته فإن المعتزلة لا يتورعون أن يقفوا موقف التكذيب من هذا الخبر ويقولون: "إن هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً ، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن

(١) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٢٣٤ رقم ٣٠٤، وشرح الطحاوية ١/ ٣١٢، ولوامع الأنوار البهية ٢ / ٢٠٨، ٢١٨، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص ٢٢٦

(٢) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ٣٨٧ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في الشفاعة ٤ / ٢٢٦ رقم ٤٧٣٩، والترمذي في سننه كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة ٤ / ٥٣٩، ٥٤٠ رقم ٢٤٣٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن جابر، وأخرجه الحاكم في المستدرک كتاب الإيمان ١ / ١٣٩ رقم ٢٢٨، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي . والحديث من رواية أنس بن مالك، وأخرج الحاكم للحديث متابعات وشواهد من حديث جابر، وصححها على شرط مسلم، ووافقه الذهبي . قال الحاكم: "هذا الحديث فيه قمع المبتدعة المفرقة بين الشفاعة لأهل الصغائر والكبائر، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٥٥ رقم ١ من حديث جابر، وانظر: استدراكات البعث والنشور ص ١٧٣-١٧٧ أرقام ٢٦٨-٢٧٧، وشعب الإيمان ٢ / ١١٠-١٤٤ .

(٤) انظر : شرح الأصول ص ٦٩٠ .

(٥) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة ١١ / ٩٩ رقم ٦٣٠٤، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ٢ / ٧٦ رقم ١٩٩، من حديث أبي هريرة ؓ، واللفظ لمسلم .

(٦) سبق تخريجه ص ١١١ . وانظر : ما قاله الإمام البيهقي في البعث والنشور ص ٥٦ وما بعدها .

النبي، ومسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج به" (١).

ولسنا في حاجة إلى أن نقول إن إجابة المعتزلة هذه تنبني على التحكم البحث، وفيها من عدم الدقة شيء كثير، فهم يفترضون مرة أن هذا الحديث غير صحيح، ويفترضون مرة أخرى أنه صحيح ولكنه آحاد وأن رأيهم في هذه المسألة مبني على العلم، مع أن قولهم في هذه المسألة قول لا برهان عليه، بل إن الأقرب إلى العقل أن الشفاعة إذا لم تكن لأهل الكبائر بحيث تخرجهم من النار فإنها لا معنى لها ولا فائدة منها، والمكلف التائب مغفور له، وليس في حاجة إلى الشفاعة، والنصوص صريحة في أن التائب يبدل الله سيئاته حسنات، فكيف يحتاج إلى شفيع بعد ذلك؟

وإذا كانت معتزلة البصرة قد اعترفوا بجواز إسقاط العقاب ابتداء من الله تعالى؛ لأنه حقه، وهو يشبه الدين، فله أن يسقطه، وله أن يستوفيه، فالأولى أن يقال بإسقاط العقوبة ابتداء.

فكيف يقرر المعتزلة بعد ذلك أن أصلهم في الشفاعة مسألة علم لا يصح أن تعارضها أخبار الآحاد؟

ومن غريب تفسيرات المعتزلة أنهم يقولون أن التائب من الكبيرة تسقط عنه العقوبة بالنوبة، لكن الكبيرة قد أحبطت ما تحصل عنده من الثواب من قبل، فالشفاعة هنا تنفعه في إعادة هذا الثواب (٢).

ولا شك أن كل هذه التأويلات إنما هي في المقام الأول هروب من مواجهة النصوص الصريحة في أن الشفاعة، إنما تكون لأهل الكبائر من المؤمنين، وتؤكد أن القضية مع المعتزلة وسائر أهل البدع ليست قضية متواتر وآحاد، وإنما قضية أصولهم التي طوعوا النصوص قرآناً وسنة لأجلها.

ومن الغريب أيضاً: "أن يقول أبو الهذيل: "إن الشفاعة إنما تثبت لأصحاب الصغائر" (٣).

والمعتزلة أنفسهم قد سخروا من هذا القول؛ لأنهم قرروا من قبل أن الصغائر تكفرها الطاعات، فلا وجه للشفاعة في هذا القول" (٤).

(١) شرح الأصول ص ٦٩٠ .

(٢) شرح الأصول ص ٦٩١ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٩١ .

(٤) أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية للدكتورة عائشة يوسف المناعي ص ٣٤٥، ٣٤٦ .

أما ما زعم المعتزلة ومن قال بقولهم أن أحاديث الشفاعة متعارضة مع القرآن الكريم.

فدعوى مرفوضة؛ لأن ما استدلوا به على نفى الشفاعة، من الآيات القرآنية محمول على الشفاعة للمشركون، والكفار، وهؤلاء لا تنفعهم الشفاعة أصلاً كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيُّومَ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (١).

والمراد بذلك الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك وأهل البدع، الذين يعتقدون أن الخلق يشفعون عند الله بغير إذن، كما يشفع بعضهم لبعض في الدنيا (٢).

والشفاعة إنما تطلب من الله تعالى؛ لأنه هو المالك لها سبحانه كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ (٣).

وأما الشفاعة المثبتة فهي لا تثبت عند السلف إلا بشروط وهي:

١- الإذن للشافع بالشفاعة كما قال ﷺ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنٍ﴾ (٥).

٢- الرضا عن المشفوع فيه. كما قال سبحانه: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٦) وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ (٧) وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ قال: "الذين ارتضاهم بشهادة أن لا إله إلا الله" (٨).

(١) الآيات ٤٢-٤٨ من سورة المدثر.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ١٤٩-١٥٠ بتصرف، وللإستزادة: في الرد على استدلالات المعتزلة انظر: لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢١٧، والإنصاف للبيهقي ص ١٦٨-١٧٦، والأربعين في أصول الدين للرازي ص ٢٤٥، وشرح المقاصد للفتازاني ٢/ ١٧٥، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص ٢٣٥.

(٣) جزء من الآية ٤٤ من سورة الزمر.

(٤) جزء من الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٥) جزء من الآية ٣ من سورة يونس.

(٦) الآية ٢٦ من سورة النجم.

(٧) جزء من الآية ٢٨ من سورة الأنبياء، وانظر: موقف المدرسة العقلية من السنة ١/ ٣٩٥-٣٩٦.

(٨) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٥٥ رقم ٢.

وأما زعمهم دعوى تعارض أحاديث الشفاعة بحديث : "لا يدخل الجنة نمام ... الحديث" وبحديث "من قتل نفسه بحديدة ..." الحديث .

فقد سبق الجواب، بما يرفع التعارض، ويوفق بين النصوص<sup>(١)</sup> .

وأما حملهم للحديث على أن المراد به شفاعة النبي ﷺ، لأهل الكبائر إذا تابوا<sup>(٢)</sup>؛ فلا دليل لهم على ذلك . وهو مع أنه تأويل مناهض للنصوص الثابتة، ولا يدل عليه لفظ الحديث، فهو أيضاً معنى فاسد؛ لأن الذي يتوب من الذنب لا يوصف به بعد ذلك، بل يبدل الله سيئاته حسنات فضلاً منه وكرماً قال تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٣)</sup> . فصاحب الكبيرة إذا تاب عن كبريته وصحت توبته زال عنه هذا الاسم<sup>(٤)</sup> .

قال الصحابي الجليل جابر بن عبد الله ﷺ : "من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة"<sup>(٥)</sup> .

وما ذهب إليه بعضهم من حصر شفاعته ﷺ، على زيادة الثواب، ورفع الدرجات لأهل الثواب<sup>(٦)</sup> .

مردود عليهم بما صرح به الأحاديث الصحيحة من شفاعات أخرى له ﷺ من ذلك :

أ- الشفاعة العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ، دون سائر خلق الله ﷻ والواردة في قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾<sup>(٧)</sup> وفي ذلك يقول ﷺ : "أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ... إلى أن يقول : فيأتون محمد ﷺ فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي ﷻ ثم يفتح الله على

(١) راجع : ص ٢٤٤-٢٤٦ .

(٢) انظر : شرح الأصول ص ٦٩١ .

(٣) الآية ٧٠ من سورة الفرقان .

(٤) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ٣٩٠ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب الإيمان ١ / ١٤٠ رقم ٢٣٢ .

(٦) انظر : الكشف للزحشرى ٣ / ٣٦٦ .

(٧) الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

من محامده، وحسن الثناء عليه، شيئاً لم يفتحته على أحد قبلي، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفعُ تُشفع... الحديث<sup>(١)</sup>.

ب- شفاعته ﷺ لأمته في دخول الجنة: كما جاء في حديث الشفاعة العظمى السابق، وفيه قال ﷺ : فأقول أمتي يا رب، أمتي يا رب، فقال : يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب<sup>(٢)</sup>.

ج- شفاعته ﷺ للمؤمنين من أهل الكبائر : وقد سبقت بعض النصوص التي تدل عليها. وهي لا تختص به ﷺ وإنما يشاركه فيها الملائكة، والنبيون، والمؤمنون، كما روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : نعم قال : هل تُصَارُّونَ في رؤية الشمس بالظهرة صَحْواً ليس معها سَحَابٌ؟ فذكر الحديث وفيه : "فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضه من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط..." الحديث<sup>(٣)</sup>.

وله ﷺ شفاعات أخرى، منها ما يشاركه فيها غيره، ومنها ما يختص به<sup>(٤)</sup> أ.هـ.

اللهم إني أسألك شفاعات نبيك ﷺ  
وأبرأ إليك من جهل الجاهلين وإلحاد الملحدين  
المنكرين لشفاعة سيد المرسلين ﷺ

(١) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب التفسير، باب "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً" ٨/٢٤٧، ٢٤٨ رقم ٤٧١٢، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ٥٧-٥٥/٢ رقم ١٩٤ واللفظ للبخاري.

(٢) انظر : تفريغ الحديث السابق.

(٣) أخرجه مسلم "بشرح النووي" كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ٢/٢٥، ٢٦ رقم ١٨٣، وانظر : استدراقات البعث والنشور للإمام البيهقي جمع الشيخ عامر حيدر ص ١٣١-١٣٥ أرقام ٢٠٧-٢١٣، والتذكرة للقرطبي ١/٤٧٧-٤٨٣ أرقام ٧٨٠-٧٩٠.

(٤) انظر : استدراقات البعث والنشور ص ١٤٤-١٤٩ أرقام ٢٣٠-٢٣٨، وشرح العقيدة الطحاوية ١/٣٠٧-٣١٥، ولوامع الأنوار البهية ٢/٢١١-٢١٢، والشفاعة لمقبل بن هادي ص ١٨، ٣١، ٦١، والتذكرة ١/٤٨٣-٤٨٣، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ١/٣٩٠-٣٩٤، وللإستزادة في الرد على شبهات المعتزلة راجع موقف المدرسة العقلية من السنة ١/٣٧٩-٣٩٦. وضلالات منكري السنة ص ٥١٢، والسنة في مواجهة أعدائها ص ١٦٥-١٨٧.

إِلْفَضْلُ الْإِلْرَآجِ  
أَحَادِيثُ ظَهْوَ "المهْدَى" وَخَرْوَ "الدَّجَالِ"  
وَ"نَزْوَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ"

وَتَحْتَهُ مَبْحَثَانِ :

المَبْحَثُ الْأَوَّلُ : شَبَهَةُ الطَّاعَتَيْنِ فِي أَحَادِيثِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ "المُسْتَقْبَلِيَّةِ" وَ"الْأَخْرُويَّةِ"  
وَالرَّدُ عَلَيْهَا .

المَبْحَثُ الثَّانِي : شَبَهَاتُ الْمُنْكَرِينَ لظَهْوَ "المهْدَى" وَ"خَرْوَ الدَّجَالِ" وَ"نَزْوَ الْمَسِيحِ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ" وَالرَّدُ عَلَيْهَا .



## المبحث الأول شبهة الطعنين في أحاديث الأمور الغيبية "المستقبلية" و"الأخوية" والرد عليها

أحاديث الأمور الغيبية التي أخرج بها المعصوم عليه السلام، والتي تعد من الأدلة على صدق نبوته عليه السلام، طعن فيها أعداء الإسلام بحجة أنه عليه السلام، لا يعلم الغيب، فطعنوا في أحاديث الفتن وأشراط الساعة، والأمور السمعية، من عذاب القبر ونعيمه، وما في يوم القيامة من حوض وميزان، وصراط ...، بل وطعنوا في الأحاديث الصحيحة التي تصف نعيم الجنة، وعذاب النار ... إلخ.

يقول جمال البنا : "عرض الأحاديث على القرآن، سيؤدي إلى التوقف أمام الأحاديث التي جاءت عن المغيبات بدءاً من الموت حتى يوم القيامة، والجنة والنار، فهذه هي ما استأثر الله تعالى بعلمها ... ويدخل في الغيب التنبؤ بما سيحدث قبيل الساعة، مما يسمونه "الفتن" ويدخل فيها المهدي، والدجال، وما إلى هذا كله. والأحاديث التي تتحدث عن الفتن، والمهدي، والدجال، ثم الموت، وعذاب القبر، فالحشر، والنشر، والجنة والنار، تجاوزت المئات إلى الألوف، ونحن نطويها دون حساسية أو أسي" (١) أ.هـ.

### والجواب على شبهتهم فيما يلي :

دعوى أعداء السنة بأن أحاديث الأمور الغيبية تتعارض مع القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَيَشِيرُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

هذا الزعم بالتعارض مردود عليهم بأن الغيب المنفي في الآية السابقة، ونحوها من الآيات كقوله تعالى : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٣).

(١) السنة ودورها في الفقه الجديد ص ٢٤٩-٢٥١، وانظر : عذاب القبر لأحمد صبحي منصور ص ١١-١٧، ولماذا القرآن ص ٥٣، ١٢٠، والمسلم العاصي ص ١٢ وما بعدها، والقرآن والحديث والإسلام ص ١٤ وما بعدها، وإنذار من السماء ص ١٩١، ٦٩٩، ودين السلطان ص ٢٨٠، ٤٦٠، كلاهما لتيازي عز الدين، وانظر : القرآنيون وموقفهم من السنة للدكتور عادم بخش ص ٣٢١، ٣٢٣ .

(٢) الآية ١٨٨ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ٦٥ من سورة النمل .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾<sup>(١)</sup>، هذا الغيب المنفى هو المذكور في آية لقمان، والوارد في قوله ﷺ : "مفاتيح الغيب خمس ثم تلا : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾"<sup>(٢)</sup>.

وما عدا ذلك الغيب أطلع عليه من شاء من أنبيائه ورسله كما قال ﷺ : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) أى لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى أى اصطفى للنبوّة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالاً على نبوته<sup>(٤)</sup> وينص على ذلك رب العزة في حق سيدنا عيسى عليه السلام قال تعالى : ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> وفي حق سيدنا يوسف عليه السلام قال تعالى : ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾<sup>(٦)</sup>.

وفي حق سيدنا رسول الله ﷺ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلَقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(٧)</sup>، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : "أعطى نبيكم ﷺ مفاتيح الغيب إلا الخمس ثم تلا قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾"<sup>(٨)</sup>.

(١) الآية ١٧٩ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٣٤ من سورة لقمان، والحديث أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب التفسير، باب وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ٨ / ١٤١ رقم ٤٦٢٧ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) الآيات ٢٦، ٢٨ من سورة الجن.

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٢٨٨.

(٥) جزء من الآية ٤٩ من سورة آل عمران.

(٦) الآية ٣٧ من سورة يوسف.

(٧) الآية ٢٧ من سورة الفتح.

(٨) الآية ٣٤ من سورة لقمان، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ١ / ٣٨٦، والطحاوي في مسنده ص ٥١ رقم ٣٨٥، والحميدي في مسنده ١ / ٦٨ رقم ١٢٤. واللفظ للطحاوي، وصحح إسناده أحمد الحافظ الميثقي في مجمع الزوائد ٨ / ٢٦٣، وانظر : فتح الباري ٨ / ٣٧٤ رقم ٤٧٧٧، ١٣ / ٣٧٧-٣٧٤ رقمي ٧٣٧٩، ٧٣٨٠، والمواقف للشاطبي ٤ / ٤٥٦-٤٥٩، والوحي الحميدي لمحمد رشيد رضا ص ٢٠٨، والغيبات في ضوء السنة للدكتور محمد أحمد همام، والغيب في ضوء القرآن الكريم للأستاذ صدقي عبد الحميد عبد ربه.

ومن هنا فإن الأحاديث التي تدل على الغيب من أقوى الأدلة على نبوة رسول الله ﷺ، وأنه نبي من عند الله يوحى إليه.

ومن هنا ندرك هدف أعداء الإسلام من المستشرقين وذيوهم من دعاة اللادينية - في طعنهم في ذلك النوع من الأحاديث، وزعمهم أنها مكذوبة؛ لأنه يلزم من صحتها صدق النبوة<sup>(١)</sup>.

إن الساعة جعل الله ﷻ لها أشراطاً وعلامات لا تتعارض مع إتيان الساعة بغتة قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وأكدت السنة المطهرة ما جاء في القرآن الكريم من أن للساعة أشراطاً. من ذلك قوله ﷺ لجبريل عليه السلام لما سأله عن الساعة فقال ﷺ ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال - أى جبريل عليه السلام فأخبرني عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربته، وأن ترى الحفاة العراة، رعاء الشاة يتطاولون في البنيان ... الحديث<sup>(٦)</sup>. وقد ورد عنه ﷺ، أحاديث كثيرة في الإخبار عن علامات وأشراط الساعة لهذا اليوم، وهي من أنباء الغيب المنقولة عن النبي ﷺ، بالأسانيد الصحيحة الثابتة، وهي كثيرة تفوق درجة التواتر في جملتها، ويبلغ عدد كثير منها التواتر بمفرده، كالأحاديث الواردة في ظهور المهدي، والمسيح الدجال، وفي نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٣٣ .

(٢) الآية ١٨ من سورة محمد .

(٣) الآية ١٥٨ من سورة الأنعام .

(٤) الآية ٨٢ من سورة النمل .

(٥) الآية ٩٦ من سورة الأنبياء، وانظر: الغيب في ضوء القرآن الكريم للأستاذ صدقي عبد الحميد عبدربه .

(٦) أخرجه مسلم "بشرح النووي" كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... إلخ ١ / ١٧٧ رقم ٨ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

إنكاره إلا أن ينكر عقله وحسه<sup>(١)</sup>.

وسوف نتناول الجواب عن شبهات ثلاث آيات غيبية أنكروها وهي ظهور المهدي، وخروج الدجال، ونزول المسيح<sup>(٢)</sup> عيسى عليه السلام. فإلى بيان ذلك في المبحث التالي.

---

(١) انظر: منهج النقد في علوم الحديث ص ٤٧٦، والفتايات في ضوء السنة للدكتور محمد أحمد همام ص ٥٢ .  
(٢) انظر : العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢١٨ ، ٢٤٠ ، ودراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلا عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد ٨ ص ٥٦٣ ، وأضواء على السنة ص ١٨٢ ، ١٩١ ، ٢٤١ ، ٢٣٢ ، والبيان بالقرآن ٢/٨٠٥ ، ودين السلطان ١٨٠ ، ١٨١ ، ٣٠٤ ، والسلطة في الإسلام ص ٢٩٢ ، ٣١٧ ، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص ٢٤٩ - ٢٥١ ، وانظر : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خدام بخش ص ٣٢٥ ، ومن تأثر بذلك من علماء المسلمين الأستاذ محمد رشيد رضا والشيخ شلتوت وغيرهم . انظر : تفسير المنار ١٩ / ٤٥٠ ، ٤٥٩ - ٤٦٠ ، ومجلة المنار المجلد ١٠ / ٢٤٥ - ٢٤٦ ، والمجلد ١٩ / ٩٩ ، والمجلد ٢٨ / ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، والفتاوى للشيخ شلتوت ص ٥٩ - ٨٢ . وانظر السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ص ١٥٠ - ١٥١ ، وموازين القرآن والسنة عز الدين بليق ص ٨١ ، ٩٥ ، ١٠١ .

## المبحث الثانى شبهات المنكرين "لظهور المهدي" و "خروج الدجال" و "نزول المسيح عليه السلام" والرد عليها

أولاً : "ظهور المهدي" :

بلغت الأخبار فى ظهور المهدي حد التواتر المعنوى، وحكى هذا التواتر غير واحد من أئمة الحديث .

قال ابن قيم الجوزية : "وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ، بذكر المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الأمة ، ويصلى عيسى خلفه" (١) .  
وقال الإمام الشوكاني : "والأحاديث الواردة فى المهدي التى أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح، والحسن، والضعيف، المنجبر، وهى متواترة بلا شك ولا شبهة" (٢) ١٠ هـ .

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة فى "المهدي" :

حديث عبد الله بن مسعود ؓ عن النبي ﷺ، قال : "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً منى - أو من أهل بيتى - يواطئ اسمه اسمى، واسم أبيه اسم أبى، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً" (٣) .  
وعن أبى سعيد الخدرى ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : "المهدي منى أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك

(١) المنار المنيف فى الصحيح والضعيف ص ١٤٢ .

(٢) التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر، والدجال، والمسيح، للشوكاني . نقلاً عن الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة ص ١١٣، وانظر : فتح الباري ٦ / ٥٦٩ رقم ٣٤٤٩، والحاوى للفتاوى للسيوطى ٢ / ١٦٥ - ١٦٦، والتصريح بما تواتر فى نزول المسيح للكشميرى، والإشاعة لأشراط الساعة للشرىف الحسينى ص ٨٧، ١١٢، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة لعبد العزيز الغمارى ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص ٢٢٤، ونظم المتأثر من الحديث المتواتر ص ٢٢٥ رقم ٢٨٩، وعقد الدرر فى أخبار المنتظر للإمام يوسف بن يحيى المقدسى ص ١٧١-١٥ .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب المهدي ٤ / ١٠٦، ١٠٧ رقم ٤٢٨٢، واللفظ له، والترمذى فى سننه كتاب الفتن، باب ما جاء فى المهدي ٤ / ٤٣٨ رقم ٢٢٣٠، ٢٢٣١، وقال : حديث حسن صحيح قال : وفى الباب عن على، وأبى سعيد، وأم سلمة، وأبى هريرة ؓ .

سبع سنين" (١). وفي هذه الأحاديث الصحيحة بيان أن المهدي اسمه "محمد بن عبد الله"، وينتهي نسبه إلى الحسن (٢) لا إلى الحسين -رضي الله عنهما-.

وفي هذا رد على الشيعة الجعفرية في زعمهم أن أمامهم "الإثنى عشر" هو المهدي الذي بشر به النبي ﷺ؛ لأن إمامهم المزعوم يسمى "محمد بن الحسن العسكري" من ولد الحسين بن علي، لا من ولد الحسن. والذي أخرج به النبي ﷺ اسمه محمد بن عبد الله، وينتهي نسبه إلى الحسن لا إلى الحسين -رضي الله عنهما- (٣).

وفي صحة الروايات السابقة، وما نص عليه غير واحد من علماء المسلمين بتواتر أحاديث المهدي تواتراً معنوياً رُدَّ على الأستاذ محمد رشيد رضا - رحمه الله - في تضعيفه للحديث، ووصفه بالاضطراب (٤).

واتهامه لكعب الأخبار بوضعه حيث قال: "ولأجل ذلك كثر الاختلاف في اسم المهدي، ونسبه، وصفاته، وأعماله، وكان لكعب الأخبار جولة واسعة في تليف تلك الأخبار" (٥).

وقال في موضع آخر: "وإذا تذكرت مع هذا أن أحاديث الفتن والساعة عامة، وأحاديث المهدي خاصة، وأنها كانت مهب رياح الأهواء والبدع وميدان فرسان

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المهدي ٤ / ١٠٧ رقم ٢٤٨٥ واللفظ له. والترمذي في سننه كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي ٤ / ٤٣٩ رقم ٢٢٣٢، وقال: حديث حسن. وقال ابن قيم الجوزية في سند أبي داود جيد. انظر: المنار المنيف ص ١٤٤.

(٢) في كون المهدي المنتظر من ولد الحسن ﷺ سر لطيف ذكره ابن قيم الجوزية في المنار المنيف، فانظره إن شئت ص ١٥١.

(٣) انظر: المنار المنيف ص ١٥٢ وما بعدها. وانظر: مع الشيعة الإثنى عشرية في الأصول والفروع للدكتور علي السالوس ١ / ١٦٠ - ١٦٢. ومما هو جدير بالذكر أن الإمام ابن خلدون في طعنه لأحاديث المهدي في مقدمته إنما أنكر مهدي الرافضة، وليس المهدي الذي صحت به الأحاديث عند أهل السنة، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "وما أورده أهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جمعه بمبلغ طاقتنا، والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره، وتدافع عنه من يرفعه حتى يتم أمر الله فيه، وعصبية الفاطميين، بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الأفاق ... إلا ما بقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين من بني حسن، وبني حسين، وبني جعفر، وهم متشرون في تلك البلاد وغالبون عليها، وهم عصاب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم وآرائهم يلبغون ألقا من الكثرة، فإن صح ظهور هذا المهدي، فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم، وتم له شوكة وعصبية، أما أن يدعو فاطمي منهم من غير عصبية، ولا شوكة فلا يتم ذلك" هـ. انظر: المقدمة فصل في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس، في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك ص ٣٤٤-٣٦٢، وانظر: الغيبيات في ضوء السنة للدكتور محمد همام ص ١٤٥-١٤٩.

(٤) مجلة المنار المجلد ٢٨ / ٧٥٦.

(٥) انظر: تفسير المنار ٩ / ٤٦١.

الأحزاب، والشيع، تبين لك أين تضع هذه الرواية منها" (١).

ويقول أيضاً: "وقد كانت أى روايات المهدي - أكبر مشاركات الفساد والفتن في الشعوب الإسلامية إذ تصدى كثير من محبي الملك والسلطان، ومن أدعياء الولاية، وأولياء الشيطان لدعوى المهديوية في الشرق والغرب أو تأييد دعواهم بالقتال والحرب والبدع، والإفساد في الأرض، حتى خرج ألوف الألوف عن هداية السنة النبوية، ومرق بعضهم من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية" (٢) أ.هـ.

ويجيب على ما سبق بالآتي :

أولاً : اتهم الأستاذ "محمد رشيد رضا" لكعب الأحبار بأنه هو، ووهب بن منبه بطلي الإسرائيليات وينبوعى الخرافات" (٣)، واتهامه للصحابة، وللتابعين، وللأئمة المسلمين بالغفلة عن حقيقة أمرهم؛ إذ يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ (٤): "وأما تلك الروايات الكثيرة في جوهرها ومقدارها ... كلها من الإسرائيليات الباطلة التي بثها في المسلمين أمثال "كعب الأحبار"، "وهب بن منبه" فاغتر بها بعض الصحابة، والتابعين إن صحت الرواية عنهم" (٥). وقال : "ثم ليعلم أن شر رواة هذه الإسرائيليات أو أشدهم تليساً وخداعاً للمسلمين هذان الرجلان : كعب الأحبار، ووهب بن منبه" (٦)، وقال : "لو فطن الحافظ ابن حجر لدسائسهما، وخطأ من عدلهما من رجال الجرح والتعديل؛ لخفاء تلييسهم عليهم، لكان تحقيقه لهذا البحث أتم وأكمل" (٧).

إن طعن الأستاذ رشيد رضا (٨) - غفر الله له - في كعب الأحبار، ووهب بن منبه

(١) المصدر السابق ٩ / ٤٦٣ - ٤٦٤ وانظر : مجلة المنار المجلد ٢٨ / ٧٥٦ .

(٢) تفسير المنار ٩ / ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٣) تفسير المنار ٩ / ٤٣٨ .

(٤) جزء من الآية ١٤٥ من سورة الأعراف .

(٥) تفسير المنار ٩ / ١٨٤ .

(٦) مجلة المنار المجلد ٢٧ / ٧٨٣ .

(٧) تفسير المنار ٩ / ٤٤٢ وانظر : مجلة المنار المجلد ٢٧ / ٦١٠ - ٦١٩ مقال السيد رشيد رضا "بطلان الدفاع عن جرح كعب الأحبار، ووهب بن منبه".

(٨) تبع الأستاذ محمد رشيد رضا فيما قال بعض رواد المدرسة العقلية الحديثة ذكرهم الدكتور فهد الرومي في كتابه منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص ٣١٢-٣٢٤، ويقول الأستاذ محمد رشيد رضا قال محمود أبو ريه، واتخذ كلام رشيد رضا ستاراً للطعن في السنة وروايتها من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة الثقات الأعلام . انظر : أضواء على السنة ص ١٤٥-١٨١، والأضواء القرآنية ١ / ٥٢ - ٦٦، وفجر الإسلام ص ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ٢٠١، ٢٠٢ والصلاة محمد نجيب ص ٣٢-٣٧، وأصول الحديث للدكتور عبد المسادي الفضلي ص ١٤١ .

مردود عليه بما ذكره هو نفسه من أن الجمهور عدلوهما ووثقوهما، واعترافه أيضاً بأن أبا هريرة، وابن عباس<sup>(١)</sup> وغيرهما من أعلام الصحابة؛ كعبد الله بن عمر، وعبد الله ابن الزبير روى عنه، ولم يكن هؤلاء، ولا كل من روى عنه سذجاً، ولا مخدوعين فيه، وإنما أيقنوا أنه ثقة فيما يروى فرووا عنه.

والإلا فكيف يعقل أن صحابياً يأخذ علمه عن كذاب وضاع، بعدما عرف عن الصحابة من التحري والتثبت في تحمل الأخبار؟<sup>(٢)</sup>.

ثم إن الإمام مسلم قد أخرج له في صحيحه، وكذا أخرج له أبو داود، والترمذى، والنسائي، فهذا دليل على أن كعباً كان ثقة غير متهم عند هؤلاء جميعاً، وتلك شهادة كافية، لرد كل تهمة تلصق بهذا الخير الجليل<sup>(٣)</sup>.

والجمهور على توثيق كعب لذا لا تجد له ذكراً في كتب الضعفاء والمتروكين، وقد اتفقت كلمة نقاد الحديث على توثيقه<sup>(٤)</sup>.

أما "وَهَبُ بْنُ مُنْبَهٍ" فقد روى له البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائي. قال الذهبي في الميزان: كان ثقة، صادقاً، كثير النقل من كتب الإسرائيليات. قال العجلي: ثقة تابعي، كان على قضاء صنعاء، وقد ضعفه الفلاس وحده، ووثقه جماعة<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو زرعة، والنسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات<sup>(٦)</sup>، والبخارى نفسه يعتمد عليه ويوثقه<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: تفسير المنار ٩/ ٤٦٦.

(٢) انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث لفضية الدكتور الذهبي ص ٧٧، ٧٨، ٨٣.

(٣) التفسير والمفسرون ١/ ١٨٩، والإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٧٧-٧٨ كلاهما لفضية الدكتور الذهبي - رحمه الله -.

(٤) انظر: تقريب التهذيب ٢/ ٤٣، رقم ٥٦٦٦، والكاشف ٢/ ١٤٨، رقم ٤٦٦٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٢، رقم ٣٣، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٩-٤٩٤، رقم ٣٣٣، ومشاهير علماء الأمصار ١٤٥، رقم ٩١١. وانظر: مقالات الكوثري ص ٣٢، ٣٣.

(٥) انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٥٢-٣٥٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٥٠، رقم ٩٥٦، والثقات للعجلي ٤٦٧، رقم ١٧٨٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٠٠، رقم ٩٣، وتقريب التهذيب ص ٢/ ٢٩٣، رقم ٧٥١٢، وانظر: الإسرائيليات للدكتور الذهبي ص ٧٧.

(٦) تهذيب التهذيب ١١/ ١٦٧، رقم ٨٦٥٤، وانظر: معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للذهبي ص ١٨٦، رقم ٣٦٢.

(٧) التفسير والمفسرون ١/ ١٩٧، والإسرائيليات ص ٨٦.

وبعد : هذا بعض ما قاله علماء الحديث في توثيق هذين الرجلين، فهل يحق لأحد أن يخالف هؤلاء الأعلام في نقد الرجال، وأن يشكك في سلامة أسلوبهم في ذلك، أو أن يتهمهم بالغفلة، والاعترار، وهم أهل هذا الفن الذي لا يصلح له إلا القليل من الناس<sup>(١)</sup>؟

ليس معنى هذا أن كل ما رواه هذان العالمان الفاضلان حق لا كذب فيه، بل إن فيه من الكذب ما يخالف شرعنا ولا يقره العقل ولكن لا يعنى هذا أن ننسب الكذب إليهما، فقد يكون الكذب من غيرهما، أو أنهما نقلاه على أنه مما في كتبهم، وهما يعتقدان صحته، ولم يعلموا كذبه لخفاء الثابت والمحرف في كتب أهل الكتاب.

قال ابن الجوزى - رحمه الله تعالى - : "إن بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأخيار"<sup>(٢)</sup>.

قلت : ومثل هذا يقال فى وهب بن منبه<sup>(٣)</sup> أ.هـ. "أما قول رشيد رضا : إن روايات المهدي كانت أكبر مشاركات الفساد والفتن فى الشعوب الإسلامية باستغلال أعداء الإسلام لها.

فيقول رداً على ذلك الدكتور فهد الرومى : "وإننا لنكتفى هنا بسؤال السيد رشيد، ومن نحا نحوه متى كان استغلال أعداء الإسلام لعقيدة من عقائد المسلمين مبرراً لطمسها والتشكيك فى ثبوتها؟

إن أعداء الإسلام لم يستغلوا المهلوية فحسب، بل استغلوا ما هو أكبر وأعظم وأوضح عند المسلمين - أعنى عقيدة النبوة - استغلوا هذا وخرج أدعياء النبوة، ولا زلنا فى هذا العصر نعانى من أولئك كالبهائية، والبابية، والقاديانية، وغيرهم مع أن المسلمين كلهم يؤمنون بمحتم النبوة، ولم يكن هذا مانعاً لهم من استغلالها، ولن يكون هذا ولا ذاك مانعاً لنا نحن المسلمين من الإيمان بعقيدة النبوة وختمها، والإيمان بمحتم المهدي.

(١) التفسير والمفسرون ١/ ١٩٢ .

(٢) فتح البارى ١٣/ ٣٤٦ رقم ٧٣٦١ .

(٣) انظر : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير ص ٣٢٥ . وللاستزادة فى الرد على السيد رشيد رضا فى ترجمته لكعب الأحبار، وهب ابن منبه انظر : الإسرائيليات فى التفسير والحديث للدكتور الذهبى ٧٦ - ٨٧، وانظر : مجلة المنار المجلد ٢٧/ ٣٧٧ وما بعدها.

ولو شككنا في كل عقيدة للمسلمين يستغلها أعداء الإسلام لخشينا أن لا يبقى لنا من الإسلام شيء حتى اسمه؟<sup>(١)</sup>.

### ثانياً : خروج الدجال :

بلغت الأخبار عن مجيئ الدجال حد التواتر المعنوي، وحكى هذا التواتر غير واحد من أئمة الحديث<sup>(٢)</sup>.

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في خروج الدجال حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور. وإن ربكم ليس بأعور. ومكتوب بين عينيه كفر"<sup>(٣)</sup> أ. هـ.

وقد رد أئمة المسلمين قديماً على طعون المبتدعة من الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة - في إنكارهم للدجال - وطعون المبتدعة قديماً ردها - أهل الزيغ والإلحاد في عصرنا<sup>(٤)</sup> - كما تأثر بذلك بعض علماء المسلمين<sup>(٥)</sup>.

فدعوى رد أحاديث الدجال بحجة تعارضها مع القرآن الكريم بعدم وروده فيه، قال رداً على ذلك الحافظ ابن حجر : أجيب بأجوبة :

أحدها : أنه ذكر في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾<sup>(٦)</sup> فقد أخرج الترمذى وصححه عن أبي هريرة مرفوعاً : "ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، الدجال، والدابة وطلوع الشمس من مغربها"<sup>(٧)</sup>.

الثاني : قد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى بن مريم في قوله تعالى :

(١) منهج المدرسة العقلية في التفسير ص ٥١٨، ٥١٩ .

(٢) انظر : النهاية في الفن والملاحم ١ / ١٦٨، ونظم المتأثر من الحديث المتواتر ص ٢٢٨ رقم ٢٩٠، وغير ذلك من المصادر السابقة في تواتر المهدي ص ٧٩٧ .

(٣) أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب الفن، باب ذكر الدجال ١٣ / ٩٧ رقم ٧١٣١ . ومسلم بشرح النووي "كتاب الفن وإشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٩ / ٢٨٦ رقم ٢٩٣٣ واللفظ له .

(٤) راجع المصادر السابقة ص ٢٥٨ .

(٥) راجع المصادر السابقة ص ٢٥٨ .

(٦) جزء من الآية ١٥٨ من سورة الأنعام .

(٧) الترمذى في سننه كتاب التفسير، باب من سورة الأنعام ٥ / ٢٤٧ رقم ٣٠٧٢ وقال : حديث حسن صحيح . والحديث في صحيح مسلم "بشرح النووي" كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١ / ٤٧٢ رقم ١٥٨ .

﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ﴾<sup>(١)</sup> وضح أنه الذى يقتل الدجال فاكفى بذكر أحد الضدين عن الآخر، ولكونه يلقب المسيح كعيسى، لكن الدجال مسيح الضلالة، وعيسى مسيح الهدى.

الثالث : أنه ترك ذكره احتقاراً، وتعقب بذكر يأجوج ومأجوج، وليست الفتنة بهم دون الفتنة بالدجال والذى قبله ... وقد وقع فى تفسير البغوى : أن الدجال مذكور فى قوله تعالى : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup> وأن المراد بالناس هنا الدجال من إطلاق الكل على البعض، وهذا إن ثبت أحسن الأجوبة فيكون من جملة ما تكفل النبى ﷺ ببيانه<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام النووى - رحمه الله - فى بيان مذهب أهل السنة فى ذلك : "قال القاضى هذه الأحاديث التى ذكرها مسلم، وغيره فى قصة الدجال، حجة لمذهب أهل الحق فى صحة وجوده، وأنه شخص بعينه، ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره ونهره، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتُمْطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيتته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل، ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين، والفقهاء، والنظار خلافاً لمن أنكره، وأبطل أمره من الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة، وخلافاً للبخارى المعتزلى، وموافقيه من الجهمية، وغيرهم فى أنه صحيح الوجود، ولكن الذى يدعى مخاريق وخيالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - .

وهذا غلط من جميعهم؛ لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعى الإلهية، وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره

(١) جزء من الآية ٦١ من سورة الزخرف .

(٢) الآية ٥٧ من سورة غافر .

(٣) فتح البارى ١٣ / ٩٨ رقم ٧١٢٢، وانظر : النهاية فى الفن والملاحم ١ / ١٦٦ - ١٦٩ .

المكتوب بين عينيه<sup>(١)</sup> أ.هـ.

وبعد

فإن صحة الأحاديث في بحى الدجال، وتواترها تواتراً معنوياً ردّ على من ضعف الحديث وزعم اضطرابه، أو أنه آحاد لا يحتج به فى العقائد<sup>(٢)</sup> فدخل فى ميدان ليس من أهله، كما أن تقرير أئمة المسلمين بأن الدجال شخص بعينه . ردّ على من تأول فزعم بأنه "رمز للخرافات، والدجل، والقبائح، وظهور الشر والفساد"<sup>(٣)</sup>، أو غير ذلك من التأويلات الباطلة .

كما أن فى إدعاء الدجال للألوهية وصورة حاله من العور، والعجز، والشاهد المكتوب بين عينيه "كفر" يظل زعم الزاعمين قديماً وحديثاً أن ما يظهر على يديه من الخوارق يعد شبهة فى نبوته<sup>(٤)</sup> . وهو غلط من جميعهم كما قال الإمام النووى ردّاً على ذلك<sup>(٥)</sup> أ.هـ .

ثالثاً : نزول المسيح عيسى عليه السلام :

أما أحاديث نزول عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان فقد نص العلماء على تواترها . قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد ذكره الأحاديث الدالة على نزوله قال : "فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبى هريرة، وابن مسعود، وعثمان بن أبى العاص، وأبى أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع ابن حارثة، وأبى شريح، وحذيفة بن أسيد ؓ وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح<sup>(٦)</sup> أ.هـ .

وقال الأستاذ عبد الله الغمارى بعد أن استوعب كل ما ورد من أحاديث وآثار، وذكرها بطرقها وأسانيدھا : "فهذه ستون حديثاً يروى عنها النبى ﷺ ثمانية وعشرون

(١) المنهاج شرح مسلم ٩ / ٢٩٣ رقم ٢٩٣٢-٢٩٣٨، وانظر : فتح البارى ١٣ / ١١٠ أرقام ٧١٣٢-٧١٣٤ .

(٢) انظر : تفسير المنار ٩ / ٤٥١-٤٥٨ بمجلة المنار المجلد ٢٨ / ٧٥٦، والفتاوى للشيخ شلتوت ص ٧٧ .

(٣) انظر : تفسير المنار ٩ / ٣١٧، والفتاوى ص ٧٨ .

(٤) انظر : تفسير المنار ٩ / ٤٥٠-٤٥١ .

(٥) انظر : الغييات فى ضوء السنة للدكتور محمد همام ص ١٤٩ وما بعدها .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ١ / ٥٨٢/٥٧٧، وزاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ١ / ٣٣٠، ٣٣١، ومسنند أحمد بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر، ١٢ / ٢٥٧، الخامس، ١٥ / ٢٨، الخامس، وانظر : المراجع السابقة فى تواتر المهدي ص ٧٩٧ .

صحابياً، وثلاثة تابعين بألفاظ مختلفة، وأسانيد متعددة كلها تصرح بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام تصريحاً لا يحتمل تأويلاً ولا روغافاً<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد<sup>(٢)</sup> أ.د.  
ويمكن أن نحمل ما أثاره المحدثون<sup>(٣)</sup> من شبه حول نزوله عليه السلام والتي قال بها أعداء السنة واتخذوا منها ستاراً للطعن في السنة المطهرة ورواتها<sup>(٤)</sup> في النقاط التالية:

١- ليس في القرآن نص صريح في رفعه إلى السماء بروحه وجسده ليحيا حياة دنيوية يحتاج معها إلى غذاء.

٢- ليس فيه نص صريح على نزوله، وإنما تلك عقيدة النصارى.

٣- أحاديث لم تبلغ درجة التواتر حتى يؤخذ منها عقيدة بنزوله، بل هي أحاديث آحاد مضطربة في متونها، منكرة في معانيها، في معظمها يشتد ضعف الرواة، وليست بمحكمات الدلالة، ولذا أولها العلماء قديماً وحديثاً.

٤- لا يجب على المسلم أن يعتقد أنه حي بروحه وجسده ومن خالف لا يعد كافراً.

٥- نزول عيسى ابن مريم عليه السلام يتناقض مع حديث "لا نبي بعدى"<sup>(٥)</sup> أ.د.

ويجاب على الشبهات السابقة بما يلي :

١- لقد جاءت آيات في كتاب الله ﷻ تدل على رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وقد بين العلماء أنه رفع بروحه وجسده. قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي

---

(١) مشكلات الأحاديث لجماعة من نوابغ العلماء ص ١٧٧-١٧٨، وانظر : عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام لعبد الله الغماري ص ٥ - ١١، ونزول عيسى ابن مريم آخر الزمان للحافظ السيوطي ص ٦١-٦٨ .

(٢) البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ٦ / ٥٦٦ رقم ٣٤٤٨، ٣٤٤٩، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشرية نبينا ﷺ ١/٤٦٦، ٤٦٧ رقم ١٥٥ واللفظ له.

(٣) راجع : المصادر السابقة ص ٢٥٨ .

(٤) راجع : المصادر السابقة ص ٢٥٨ .

(٥) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري "بشرح فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦ / ٥٧١ رقم ٣٤٥٥، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ٦ / ٤٧٢ رقم ١٨٤٢ .

مُتَوَفِّكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ» (١).

وقد لخص الدكتور محمد خليل هراس آراء المفسرين في بيان معنى هذه الآية فقال:

١- رأى الجمهور : الذى اختاره ابن كثير، ورواه عن الحسن، وهو رأى الذى يفسر التوفى بالإنامة.

٢- رأى قتادة : وهو أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً والتقدير "إنى رافعك ومتوفيك أى بعد النزول".

٣- رأى ابن جرير : فى أن المراد بالتوفى هو نفس الرفع، والمعنى أنى قابضك من الأرض ومستوفيك بيدنك وروحك (٢)، وينسب هذا التفسير إلى ابن زيد (٣)، وهو الذى حكاه ابن كثير عن مطر الوراق (٤).

وهذه الأقوال الثلاثة متفقة على أنه رفع حياً، وإن كان بعضها أصح، وأولى بالقبول من بعض، فأصحها الأول وهو قول الجمهور، يليه قول قتادة، يليه قول ابن جرير (٥).

وكلمة "الوفاة" كما تطلق على الموت تطلق على النوم أيضاً، لأن معناها فى اللغة من استيفاء الحق وافية أى كاملاً لا نقص فيه. ولذا قال صاحب القاموس : "أوفى فلاناً حقه : أعطاه وافية، كوفاه ووافاه فاستوفاه وتوفاه" (٦).

وقد جاءت فى القرآن الكريم بمعنى النوم فى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ (٧) كما جاءت على المعنيين فى قوله تعالى : ﴿اللَّهُ

(١) الآية ٥٥ من سورة آل عمران.

(٢) جامع البيان ٣ / ٢٩١.

(٣) ابن زيد هو : أحمد بن محمد بن زيد، أبو العباس، فاضل دمشقى، من علماء الحنابلة عارفاً بالفقه والعربية، من مصنفاته "محاسن المساعي فى مناقب الأوزاعي" و"اختصار سيرة ابن هشام" وغير ذلك مات سنة ٨٧٠ هـ. له ترجمة فى الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى ٢ / ٧١-٧٢، والأعلام ١ / ٢٣٠.

(٤) هو : مطر بن طهيمان الوراق، أبو رجاء، السلمى مولاهم، الحرساني. سكن البصرة صنوق كثير الخطأ، وحديثه عن عطاء ضعيف. روى عن شهر، والحسن، وعنه الحمادان، وهمام مات سنة ١٢٥ هـ ويقال ١٢٩ هـ. له ترجمة فى تقريب التهذيب ٢ / ١٨٧ رقم ٦٧٢١ والكاشف ٢ / ٢٦٨ رقم ٥٤٧١، والجرح والتعديل ٨ / ٢٨٧ رقم ١٣١٩، والثقات للعلجلى ص ٤٣٠ رقم ١٥٨٤، والثقات لابن حبان ٥ / ٤٣٤، ومشاهير علماء الأمصار ١٢٠ رقم ٦٩٩.

(٥) مشكلات الأحاديث ص ١٦٧، وانظر : تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٦٦.

(٦) القاموس المحيط ٤ / ٣٩٣.

(٧) الآية ٦٠ من سورة الأنعام.

يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾.

فالمراد بالوفاة في الآية الواردة في حق سيدنا عيسى عليه السلام النوم وليس الموت قال ابن كثير - رحمه الله - : "فأخبر تعالى أنه رفعه - أى عيسى عليه السلام - بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان" (٢).

وقال تعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٣).

قال الدكتور محمد هراس : "فالآية صريحة في أنه رفعه حياً؛ لأنه ذكر الرفع وأثبتته مكان الذى نفيه من القتل والصلب . ولو كان عيسى عليه السلام قد مات في الأرض ودفن، وأن المراد بالرفع رفع روحه أو منزلته كما يزعم المنكرون لما حسن ذكر الرفع فى مقابل نفي القتل والصلب، لأن الذى يناسب نفي القتل والصلب عنه هو رفعه حياً لا موته، وإلا لقال وما قتلوه وما صلبوه بل الله هو الذى قتله .

وكيف يتوهم متوهم أن المراد بقوله تعالى : ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (٤) هو رفع روحه، وهو إنما ذكر لإبطال ما زعموه من قتله وصلبه، ورفع الروح، لا يبطل القتل والصلب بل يجامعهما، فإنهم لو قتلوه فرضاً لرفعت روحه إلى الله، على أن فى إخباره عليه السلام بأنه رفعه إليه، ما يشعر باختصاصه بذلك، والذى يمكن أن يختص به عيسى هو رفعه حياً بجسده وروحه؛ لأن أرواح جميع الأنبياء، بل المؤمنين ترفع إلى الله بعد الموت لا فرق بين عيسى وغيره فلا تظهر فيه الخصوصية (٥).

وحياته عليه السلام ليست كحياة من على الأرض يحتاج إلى الطعام والشراب ويخضع

(١) الآية ٤٢ من سورة الزمر وانظر: تفسير القرآن العظيم ٣٣٦/ ١، ومشكلات الأحاديث ص ١٧٥ .

(٢) البداية والنهاية ٢/ ٨٥ .

(٣) الآيتان ١٥٧-١٥٨ من سورة النساء .

(٤) الآية ١٥٨ من سورة النساء .

(٥) مشكلات الأحاديث ص ١٦٧، ١٦٨ .

للسنن والنواميس الكونية، كسائر الأحياء، وإنما حياته حياة خاصة عند الله ﷻ لا يشعر بالضرورات الجسدية من طعام أو شراب أو نحوهما<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت آيات أيضاً تدل على نزوله إلى الأرض في آخر الزمان من ذلك :

أ- قوله تعالى : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup> نقل الشيخ المراس عن ابن جرير : أن عيسى ﷺ كلم الناس في المهد، وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل<sup>(٣)</sup>. ثم قال : "وهذا الذي نقلناه عن ابن جرير هو قول عامة أهل التفسير كلهم يفسرون الآية به ويجعلونها دليلاً على نزول عيسى ﷺ وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه، فإن قوله سبحانه "وكهلاً" معطوف على متعلق الظرف قبله، داخل معه في حكمه، والتقدير : ويكلم الناس طفلاً في المهد ويكلمهم كهلاً، فإذا كان كلامه في حال الطفولة عقب الولادة مباشرة آية فلا بد أن المعطوف عليه وهو كلامه في حال الكهولة كذلك، وإلا لم يحتج إلى التنصيص عليه؛ لأن الكلام من الكهل أمر مألوف معتاد؛ فلا يحسن الإخبار به لا سيما في مقام البشارة بل لابد أن يكون المراد بهذا الخبر أن كلامه كهلاً سيكون آية ككلامه طفلاً بمعنى أنه سيرفع إلى السماء قبل أن يكهّل، ثم ينزل فيبقى في الأرض إلى أن يكهّل، ويكلم الناس كهلاً.

وقد ذهب جمهور المحدثين والمؤرخين إلى أنه ﷺ رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وأنه سيمكث في الأرض إذا نزل أربعين سنة كما جاء في الحديث الصحيح<sup>(٤)</sup>. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : "ليس بيني وبينه نبي" - يعني عيسى ﷺ - وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربع إلى الحمرة والبياض، بين ممرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلى عليه المسلمون"<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ١٨١، ١٨٢.

(٢) الآية ٤٦ من سورة آل عمران.

(٣) جامع البيان ٣/ ٢٧٣.

(٤) مشكلات الأحاديث ص ١٧٠.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب خروج الدجال ٤/ ١١٧، ١١٨ رقم ٤٣٢٤، واللفظ له، والحاكم في المستدرک کتاب التاريخ، باب ذکر نبی الله وروحه عيسى ابن مريم ﷺ ٢/ ٦٥١ رقم ٤١٦٣ وقال : صحيح الإسناد ورافقه الذهبي.

مُسْتَقِيمٌ<sup>(١)</sup> الصحيح أن الضمير في قوله : "إنه" يعود على عيسى عليه السلام أى أن خروجه من أعلام الساعة وأماراتها لأنه ينزل قبيل قيامها<sup>(٢)</sup>.

والذى يدل على ذلك أن سياق الآيات في ذكره، وصرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره بغير حجة غير جائز، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ﴾ أى أماره ودليل على وقوع الساعة<sup>(٣)</sup>.

ج- قال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٤)</sup>، قوله ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ذكر العلماء فيها وجهين فى عود الضمير :

الأول : قبل موت عيسى عليه السلام وهو قول أبى هريرة عليه السلام<sup>(٥)</sup>.

الثانى : قبل موت الكتابى . قال ابن جرير : "وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى<sup>(٦)</sup>، وهو قول ابن كثير قال : "ولا أشك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح"<sup>(٧)</sup>.

قال الأستاذ عبد الله الغمارى : "إن احتمال عود الضمير فى "موته" على الكتابى ضعيف، واحتمال عوده فى "به" على غير عيسى باطل، والاحتمالات الضعيفة والباطلة لا تنهض للحججة، ولا تقوى للاستمساك، فتكون الآية الكرعة نصاً فى حياة عيسى ونزوله بمعونة ما ذكر.

واللفظ يكون نصاً بنفسه تارةً، وبما ينضم إليه من القرائن تارةً أخرى، وليس كل احتمال فى اللفظ يؤثر فى ناصيته، كما يتوهم كثير ممن لم يحكموا قواعد علم الأصول"<sup>(٨)</sup>.

(١) الآية ٦١ من سورة الزخرف .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٠٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٣٢ .

(٤) الآية ١٥٩ من سورة النساء .

(٥) انظر : المنهاج شرح مسلم ١ / ٤٧٠ رقم ١٥٥، وفتح البارى ٦ / ٥٦٨ - ٥٦٩ رقم ٣٤٤٨ .

(٦) جامع البيان ٦ / ٢١١ .

(٧) تفسير القرآن العظيم ١ / ٥٧٧ وانظر : البداية والنهاية ٢ / ٨٥ - ٨٩، ومسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ١٥ /

٢٨، ٢٧ هامش، وفتح البارى ٦ / ٥٦٨ رقم ٣٤٤٨، ومشكلات الأحاديث ص ١٧٠، ١٧١

(٨) مشكلات الأحاديث ص ١٦٩، وانظر : المسيح عليه السلام فى القرآن الكريم للدكتور رمضان مصطفى دياب .

أما ما زعموه من أن الأحاديث في نزول المسيح عليه السلام لم تبلغ درجة التواتر حتى يؤخذ منها عقيدة بنزوله، بل هي أحاديث آحاد مضطربة في متونها ... إلخ.

فقد سبق ذكر من نص من علماء الحديث على تواترها تواتراً معنوياً. ويكفي تخريجها في الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول، وأجمعت على إفادة أحاديثهما العلم اليقيني. وحتى لو كانت آحاداً لوجب علينا التسليم لها والإيمان بمضمونها متى ثبتت صحتها عن رسول الله ﷺ. وإن دلت على عقيدة خلافاً لمن أبي ذلك.

وأما زعم الأستاذ رشيد رضا وفضيلة الشيخ شلتوت "بأنها أحاديث مضطربة في متونها منكراً في معانيها.

أجاب عن ذلك الأستاذ عبد الله الغماري في رده على الشيخ شلتوت - رحمه الله - فقال: "وهذا غير صحيح فإن تلك الأحاديث أو الروايات - على حد تعبيره - كلها متفقة على الإخبار بنزول عيسى وأنه يقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب... إلخ ما جاء فيها، غاية ما في الأمر أن بعضاً منها يفصل، وآخر يجمل، وبعضاً يوحز، وآخر يطب، وهذا كما يفعل القرآن العظيم إذ يورد القصة الواحدة في سور متعددة بأساليب مختلفة، يزيد بعضها على بعض بحيث لا يمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة السور التي ذكرت فيها.

فلعل صاحب الفتوى ظن مثل هذا التخالف الذي يقوى شأن الحديث، ويدل على تعدد مخارجه، تعارضاً فأخطأ، وأضعف خطأه حيث ادعى أنه لا مجال معه للجمع بينها.

وذلك أنه على فرض وجود تعارض فالجمع ممكن لو أمعن فكره، وأمضى نظره، وأخلص في بحثه، لكنه أرسل قوله بتعذر الجمع دعوى تتعثر في أذيال الخجل<sup>(١)</sup>.

والزعم بأنها ليست محكمة الدلالة، ولذا أولها العلماء قديماً. زعم لا أساس له من الصحة. ودعوى باطلة ليس لها ما يستلها، كيف وقد نصت الأحاديث صراحة على نزوله عليه السلام، ولم يأت ما يعارض ذلك تصريحاً أو تلميحاً، وأجمعت الأمة على ما دلت عليه وتأويل من أولها إنما هو تحريف وتبديل، ورد للنصوص الثابتة الصريحة، ولا حجة في قوله.

(١) مشكلات الأحاديث ص ١٧٨.

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر : "وقد لعب المجددون، أو المجردون في عصرنا الذي نحيا فيه، بهذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، قبل انقضاء الحياة الدنيا بالتأويل المنطوي على الإنكار تارة، وبالإنكار الصريح أخرى، ذلك أنهم - في حقيقة أمرهم - لا يؤمنون بالغيب أو لا يكادون يؤمنون . وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها، يعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة، فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل (١) . هـ .

٤ - لا شك أن النصوص من القرآن والسنة دلت على رفعه إلى السماء، وأنه حي بروحه وجسده، وأنه سينزل في آخر الزمان، وانعقد الإجماع على ذلك فوجب على كل مسلم أن يؤمن بما دلت عليه تلك النصوص، وأن يجمع قلبه على اعتقاد ما جاء فيها، ومن المعلوم أن إنكار ما ثبت من الدين بالضرورة يعد كفراً .

قال الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - : "يجب شرعاً اعتقاد أن عيسى عليه السلام لا زال حياً إلى الآن وأنه لابد أن ينزل في آخر الزمان حاكماً بشرع نبينا ﷺ ومجاهداً في سبيل الله تعالى، كما تواتر عن الصادق المصدوق، وإنما وجب اعتقاد ذلك لأن الله تعالى أخبر في كتابه العزيز : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (٢) . وقد وردت الأحاديث المتواترة كما سبق ... ولم يصح حديث بموته، تمكن معارضته لما صح بالتواتر من نزوله في آخر الزمان، وإذا أخبر القرآن أنه رفع، ولم يقتل، وبين النبي ﷺ لنا أنه سينزل في آخر الزمان، وفصل لنا أحواله بعد نزوله تفصيلاً رافعاً لكل احتمال، وجب اعتقاد ذلك على كل مسلم، ومن شك فيه فيكون كافراً بإجماع الأمة؛ لأنه مما علم من الدين ضرورة بلا نزاع، وكل إيراد عليه من الملاحدة، والجهلة، باطل لا ينبغي لكل من اتصف بالعلم أن يلتفت إليه (٣) .

أما ما زعمه بعض المعتزلة، والجهمية ومن قال بقولهم من أن نزول المسيح عليه السلام يتناقض مع ختم النبوة .

فنقول : في الحديث ما ينقض تلك الدعوى وهو قوله ﷺ : "حكماً مقسطاً" ولم يقل "نبياً مقسطاً" فعيسى عليه السلام ينزل حاكماً بهذه الشريعة لا ينزل نبياً برسالة مستقلة،

(١) مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢ / ٢٥٧ الهامش .

(٢) جزء من الآيتين ١٥٧ ، ١٥٨ من سورة النساء .

(٣) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري، ومسلم ١ / ٣٣١ - ٣٣٢ .

وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة" (١).

ويؤيد ذلك ما جاء فى صحيح الإمام مسلم من صلاته خلف رجل من هذه الأمة .  
عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لا تزال طائفة من أمتي  
يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول  
أميرهم : تعال صل لنا، فيقول : لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه  
الأمة" (٢).

قال الحافظ ابن حجر : " قال ابن الجوزي، لو تقدم عيسى إماماً لوقع فى النفس  
إشكال، ولقيل : أترأه تقدم نائباً أو مبتدئاً شرعاً، فضلى مأموماً لئلا يتدنس بغبار  
الشبهة فى قوله ﷺ : " لا نبي بعدى" (٣) أ. هـ .

قال الأستاذ عبد الله الغماري : " وبعد : فإننى أرى أن كل من يمارى فى هذا الأمر  
بعد هذا البيان، فإنه مبتدع ضال، إن لم يكن كافراً، والعياذ بالله، فالواجب أن يهجر  
ويجتنب، وليست المسألة مسألة خلاف يعذر فيها المخالف، بل هى مسألة إجماع،  
أجمعت عليه الأمة، وتواترت به النصوص، كما أنها من جنس الأخبار التى لا مجال  
فيها للرأى والاجتهاد" (٤) أ. هـ .

ونختم هنا بما رواه الإمام أحمد فى مسنده بسند صحيح، عن أبى هريرة ؓ؛ أن  
رسول الله ﷺ قال : " إنى لأرجو إن طال بى عمر أن ألقى عيسى ابن مريم  
عليه السلام، فإن عجل بى موت، فمن لقيه منكم؛ فليقرئه منى السلام" (٥).

يقول فضيلة الدكتور سعيد صوابي : " وفى هذا إشارة إلى تمام الثقة بحدوث الأمر،  
وكمال التحقيق بنزول عيسى ابن مريم فى هذه الأمة حكماً عادلاً بدين الإسلام  
ومبطلاً لسائر ما سواه من الأديان" (٦).

(١) المنهاج شرح مسلم ١ / ٤٦٩ رقم ١٥٥ .

(٢) مسلم " بشرح النووي" كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ ١ / ٤٦٨  
رقم ١٥٦ .

(٣) سبق ترجمته ص ٢٦٧ . وانظر : فتح البارى ٦ / ٥٧٠ رقم ٣٤٤٩، ونزول عيسى ابن مريم آخر الزمان  
للحافظ السيوطى ص ٢١ - ٥٨ .

(٤) مشكلات الأحاديث ص ١٨٢، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ٢ / ٢١٤ - ٢٣٠ .

(٥) المسند ٢ / ٢٩٨، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الفتن، باب نزول عيسى ابن مريم ٨ / ٥٠، وقال :  
رواه أحمد بإسنادين : مرفوع وهو هذا، وموقوف، ورجاهما رجال الصحيح .

(٦) المعين الرائق فى سيرة سيد الخلائق ص ٢٨ .

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه: "أى بنى أخى إن رأيتموه فقولوا : أبو هريرة يقرئك السلام" (١).

وفى هذا أعظم دليل على تجاوب الأمة مع نبيها فى إيمانها بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

ونحن نوصى من يأتون بعدنا إن أدركوا عيسى ابن مريم أن يقرئوه منا السلام" (٢).

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک کتاب التاريخ، باب ذکر نبى الله وروحه عيسى ابن مريم عليه السلام ٢ / ٦٥١ رقم ٤٦٦٢ وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى .

(٢) المعين الرائق ص ٢٩، وانظر : الغييات فى ضوء السنة للدكتور محمد همام ص ١٦٥ وما بعدها .



# الفصل الخامس

## حديث "عذاب القبر ونعيمه"

وتحته مبحثان :

- المبحث الأول : شبهة الطاعنين في أحاديث الأمور الغيبية "الأخروية" من أحوال البرزخ، وأحوال يوم القيامة، والرد عليها .
- المبحث الثاني : شبهات المنكرين لعذاب القبر ونعيمه والرد عليها .



## المبحث الأول شبهة الطاعنين في أحاديث الأمور الغيبية "الأخروية" من أحوال البرزخ وأحوال يوم القيامة والرد عليها

أحاديث الأمور الغيبية السمعية (الأخروية) من عذاب القبر ونعيمه، والحوض والميزان، والصراط ... إلخ، طعن فيها المبتدعة من الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة وتأولوها على حسب أصولهم.

وتغالى أذيال المبتدعة من دعاة اللادينية في عصرنا الذي نحيأ فيه . وزادوا على أسلافهم بالطعن في الأحاديث التي تتحدث عن الحشر، والنشر، والنفخ في الصور، وأوصاف نعيم الجنة، وأوصاف عذاب جهنم، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي تتحدث عن أحوال يوم القيامة . وقد سبق قول جمال البنا في ذلك، ومن قال بقوله<sup>(١)</sup> . كما سبق الرد على شبهتهم في ذلك، وهي أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب<sup>(٢)</sup> .

**ونزيد هنا في الإجابة على شبهة الطاعنين في أحاديث السمعية :**

أنه لا حجة للمبتدعة قديماً وحديثاً في إنكارهم للأمور السمعية؛ سوى عبادتهم لهوى عقولهم، وقياسهم عالم ما وراء الطبيعة على العالم المحسوس .

يقول الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام باب بيان معنى الصراط المستقيم، الذي انخرفت عنه سبيل أهل الابتداع فضلت عن الهدى بعد البيان قال : "لأنهم قوم استعملوا قياسهم وآراءهم في رد الأحاديث مع تواترها، فقالوا : لا يجوز أن يرى الله في الآخرة لأنه تعالى يقول : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾" (٣) .

فردوا قوله ﷺ : "إنكم ترون ربكم يوم القيامة"<sup>(٤)</sup> . وتأولوا قول الله تعالى : ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ<sup>(٥)</sup> وقالوا : لا يجوز أن يسأل الميت في

(١) راجع : ص ٢٥٥ .

(٢) راجع : ص ٢٥٥-٢٥٨ .

(٣) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٢٥ .

(٥) الآيتان ٢٢، ٢٣ من سورة القيامة . وقد سبق تفصيل ذلك والرد عليه ص ٢١٩-٢٢٩ .

قبره لقول الله تعالى : ﴿أَمَّا أَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَتْنَيْنِ﴾ (١) فردوا الأحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته (٢)، وردوا الأحاديث في الشفاعة على تواترها (٣)، وقالوا : لن يخرج من النار من أدخل فيها، وقالوا : لا نعرف حوضاً (٤) ولا ميزاناً (٥)، ولا نعقل ما هذا، وردوا السنن في ذلك كله برأيهم، وقياسهم، مع تواتر الأحاديث في ذلك - إلى أشياء يطول ذكرها من كلامهم في صفة الباري (٦) وسبق تفصيل ذلك والرد عليه (٧).

والحقيقة : أن تحكيم الرأي أمر يسير لا عناء فيه ولا ينبغي لأهل الابتداع والإلحاد قديماً وحديثاً أن يفخروا، وإنما الفخر باتباع الوحي وإن خفيت علينا حكمته، ولم نستطع إدراك حقيقته لا سيما في الغيبات؛ لأن العقل يقف عاجزاً عن إدراك عالم ما وراء الطبيعة. وتحكيم العقل في هذا العالم تجاوز لحدود العقل، وسفه من صاحبه، وتناول على خالقه - والعياذ بالله -

ونقتصر هنا في الرد إجمالاً (٨) على من يحكمون عقولهم في أحاديث أحوال يوم القيامة بكلمة جامعة للإمام ابن خلدون في تقويم البحث في المغيبات وتسفيه العقل في ذلك. قال : "ولا تتقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه في ذلك، واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه ولا يعدوها، والأمر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه، ألا ترى الأوصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات، وكذلك الأعمى أيضاً يسقط عنده صنف المرئيات، ولولا ما يردهم إلى ذلك تقليد الآباء والمشيخة من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به، لكنهم يتبعون الكافة في إثبات هذه

(١) جزء من الآية ١١ من سورة غافر .

(٢) سيأتي بيان تواتره في الرد على منكبيه في المبحث التالي ص ٢٩١ .

(٣) سبق الدفاع عنه ص ٢٤٨ .

(٤) انظر : في تواتره الأزهري المتأثر ص ٧٤ رقم ١٠٨، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص ٢٢٦ .

(٥) انظر : في تواتره إتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص ٢٢٥ .

(٦) الاعتصام ٢ / ٥٧٣، ٥٧٤ بتصريف يسير، وانظر : أصول الدين للبغدادي ص ٢٤٥، ٢٤٦ .

(٧) راجع : إن شئت ١ / ٢٥١-٢٥٤ .

(٨) راجع : ما سبق تفصيله في بطلان قاعدة عرض السنة على العقل ١ / ٢٥٠-٢٥٤ .

الأصناف، لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم، ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكراً للمعقولات وساقطة لديه بالكلية، فإذا علمت هذا فلفعل هناك ضرباً من الإدراك غير مدركاتنا، لأن إدراكاتنا مخلوقة محدثة، وخلق الله أكبر من خلق الناس، والحصر مجهول، والوجود أوسع نطاقاً من ذلك والله من ورائهم محيط، فاتهم إدراكك ومدركاتك فى الحصر، واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك، فهو أحصر على سعادتك، وأعلم بما ينفعك لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك.

وليس بقادح فى العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية، لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع فى محال.

ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك على أن الميزان فى أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يمكن له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه، وتفطن فى هذا الغلط، ومن يقدم العقل على السمع فى أمثال هذه القضايا؛ فمن قصور فهمه، واضمحلال رأيه، وقد تبين لك الحق من ذلك" (١).

وعلى هذا سلم أهل السنة بما جاء فى الأمور الغيبية، ولم يحكموا عقولهم. قال الإمام الأشعرى فى الإبانة: "نؤمن بعذاب القبر، ومنكر ونكير، وبالخوض، وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله تعالى يوقف العباد فى الموقف، ويحاسب المؤمنين، وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ التى رواه الثقات عدل عن عدل حتى تنتهى إلى رسول الله ﷺ" (٢).

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٥٠٨، ٥٠٩.

(٢) الإبانة ص ٢٧ رقمى ٤٧، ٥٨.

## المبحث الثاني شبهات المنكرين لعذاب القبر ونعيمه والرد عليها

أحاديث عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلاً لذلك، وسؤال الملكين، نص جماعة من العلماء على تواترها تواتراً معنوياً منهم الحافظ السيوطي<sup>(١)</sup>، والكتاني<sup>(٢)</sup>، وابن قيم الجوزية<sup>(٣)</sup>، وابن أبي العز<sup>(٤)</sup> وغيرهم<sup>(٥)</sup>. وسوف نورد طرفاً من هذه الأحاديث عند الحديث عن كشف شبهات المعتزلة، ومن قال بقولهم من أهل الكلام والرافضة قديماً وحديثاً.

ويمكن أن نعرض شبهات المعتزلة حول عذاب القبر فيما يأتي :

لقد زعم المعتزلة أن الأخبار الدالة على عذاب القبر مجملة :

ولذلك انقسموا حوله إلى ثلاث فرق :

١- أنكره ضرار بن عمرو<sup>(٦)</sup>، والخوارج، ومعظم المعتزلة، وبعض المرجئة، والرافضة<sup>(٧)</sup>.

٢- قطع به بعضهم في الجملة<sup>(٨)</sup>.

٣- جوزه آخرون<sup>(٩)</sup>.

وبالقول الأول قال دعاة اللادينية في عصرنا<sup>(١٠)</sup>.

(١) الأزهار المتناثرة ص ٤١ رقمي ٤٣، ١٠٧ .

(٢) نظم المتناثر ص ١٢٥، ١٢٦ رقمي ١١٣، ١١٤ .

(٣) الروح ص ٧٤، ومفتاح دار السعادة ١/ ٤٣ .

(٤) شرح الطحاوية ٢/ ١٣٦ .

(٥) انظر : إتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية للأستاذ عبد العزيز الغماري ص ٢٠٠ .

(٦) ضرار بن عمرو : هو ضرار بن عمرو الغطفاني، قاضي، من كبار المعتزلة، وهو زعيم الفرقة الضاررية، له مقالات خبيثة، كفره المعتزلة من أهلها وطردوه . انظر : فضل الاعتزال ص ٣٩١، وميزان الاعتدال ٢٢٨ رقم ٣٩٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٤ رقم ١٧٥، ولسان الميزان ٣/ ٦٠٧ رقم ٤٣١٢، والضعفاء لأبي نعيم ص ٩٥ رقم ١٥١، والضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٢٢ رقم ٧٦٥، والفهرست ص ٢٩٩ .

(٧) الروح لابن قيم الجوزية ص ٨١، وعذاب القبر في الميزان للأستاذ عكاشة عبد المنان ص ١٠١، ١٣١، والإبانة ص ١٥، والمنهاج شرح مسلم للنووي ٩/ ٢٢٤ رقم ٢٨٦٦ .

(٨) انظر : شرح الأصول ص ٧٣، والروح ص ٨٠، ٨١، وعذاب القبر في الميزان ص ١٠١، ١٠٣ .

(٩) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٠١، ٢٠٢، وشرح الأصول ص ٧٣٠، والفصل في الملل والنحل ٤/ ٦٧، وأصول الدين للبيضاوي ص ٢٤٥، ٢٤٦ .

(١٠) انظر : شفاء الصدر بنفى عذاب القبر لإسماعيل منصور، وعذاب القبر والتعبان الأقرع لأحمد صبحي-

وتدور شبه المنكرين لعذاب القبر وما فيه من سؤال، وضمة، وعذاب، بأنه معارض للقرآن، وللسنة، وللعقل.

أما القرآن ففي قوله تعالى : ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾<sup>(١)</sup> قالوا فلو كان يحيا في قبره للزم أن يحيا ثلاث مرات، ويموت ثلاثاً، وهو خلاف النص<sup>(٢)</sup>.

أما السنة فقالوا : الأخبار فيها متعارضة، وقد ردت عائشة -رضي الله عنها- حديث ابن عمر مرفوعاً ﷺ إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله عليه فقالت : وهل إنما قال رسول الله ﷺ : "إنه ليُعذب بخطيئته أو بذنبه، وإن أهله ليكون عليه الآن" وذلك مثل قوله : إن رسول الله ﷺ قام على القلب يوم بدر، وبه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال : "إنهم ليسمعون ما أقول" وقد وهل . إنما قال : "إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق" ثم قرأت قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾<sup>(٤)</sup> . يقول : حين تبوءوا مقاعدهم من النار، وفي رواية قالت (رضي الله عنها) يغفر الله لأبي عبد الرحمن . أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يكي عليها . فقال : "إنهم ليكون عليها . وإنها لتعذب في قبرها"<sup>(٥)</sup>.

قالوا فدل ذلك على أن الموتى لا يسمعون، وما يروى من سماعهم خفق النعال لا يصح أيضاً . وأن عذاب القبر خاص بالكفار من اليهود . وقوله تعالى : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾<sup>(٦)</sup>.

=منصور، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة لمحمد شحرور ص ٣٨١، ودفع الشبهات لأحمد حجازي ص ١٠٤، ٢٠٤، ٢٠٨، والسنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص ٢٤٤ وما بعدها، وإنذار من السماء ص ٢٤٤ وما بعدها، ودين السلطان ٩٢٨-٩٤٨ كلاهما لنيازي عز الدين، وأضواء على السنة لمحمود أبو ربه ص ٧٤، والأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر ٢ / ٣١٨، ٣٢٠، ٣٥٦، وغيرهم.

(١) الآية ١١ من سورة غافر .

(٢) انظر : فتح الباري ٣ / ٢٨٤ رقم ١٣٦٩، وشرح الأصول ص ٧٣٠، ٧٣١ .

(٣) الآية ٨٠ من سورة النمل .

(٤) الآية ٢٢ من سورة فاطر .

(٥) أخرجه مسلم "بشرح النووي" كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ٣ / ٥٠٣، ٥٠٤ رقم ٩٣٢ .

(٦) الآية ٤٦ من سورة غافر .

قالوا : هذه فى آل فرعون خاصة، فلا يقاس عليهم غيرهم .

وما صح من أحاديث فى عذاب القبر؛ فهو آحاد يفيد الظن، لا يحتج به هنا فى باب العقائد<sup>(١)</sup>، وهو يصح لبعض الناس دون بعض ممن فقدت أجسادهم، أو تعذر وصول الحياة إليها<sup>(٢)</sup>.

أما دليلهم العقلى فقالوا : لو كان لعذاب القبر أصل؛ لكان يجب فى النباش أن يرى العقوبة أو المثوبة للمعاقب والمثاب، فكان يشاهد عليه أثر الضرب وغيره، وفى علمنا العقلى بخلافه، دليل على أن ذلك مما لا أصل له، ولا مدخل للسمع فيه<sup>(٣)</sup>.

ويجاب على هذه الشبهة بما يلى :

إن زعمهم أن الأخبار بمجملتها فى إثبات عذاب القبر، ثم انقسامهم حوله إلى ما ذكرنا، يتبين منه : أن المعتزلة، وإن زعم بعضهم بأنه يقطع بوقوعه لدلالة الأخبار عليه، إلا إنهم لم يسلموا للنصوص فى ذلك تسليماً كاملاً، ولم يسلم هذا الأمر من إقحام عقولهم فى جزئيات منه .

نعم : إن من أثبتته منهم أثبتته فى الجملة، ولكنهم خاضوا فى ثبوته لعصاة المؤمنين، وفى كيفيته، ووقته مما دفعهم إلى رد بعض النصوص، وتأويل بعضها<sup>(٤)</sup>، فما زعموه من تعارض عذاب القبر ونعيمه بقوله تعالى : ﴿أَمْتَنَّا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَيْنِ﴾<sup>(٥)</sup> فلا حياة ثالثة .

فالجواب : أنه لا تعارض، إنما التعارض نشأ من عدم إدراكهم المراد بالحياة فى القبر فهى ليست الحياة المستقرة المعهودة فى الدنيا، التى تقوم فيها الروح بالبدن وتديره وتصرفه، وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، بل هى مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذى وردت به الأحاديث الصحيحة، فهى إعادة عارضة، كما حى خلق، لكثير من الأنبياء، لمسألتهم لهم عن أشياء، ثم عادوا موتى<sup>(٦)</sup>.

فحياة القبور، وما فيها من نعيم أو عذاب؛ تختلف عن حياة الدنيا، وحياة الآخرة؛

(١) انظر : شرح الأصول ص ٧٣٠ - ٧٣٢ .

(٢) فضل الاعتزال ص ٢٠٣ .

(٣) شرح الأصول ص ٧٣١ - ٧٣٢، وفضل الاعتزال ٢٠١ - ٢٠٣ .

(٤) شرح الأصول ص ٧٣ وما بعدها .

(٥) جزء من الآية ١١ من سورة غافر .

(٦) فتح البارى ٣ / ٢٨٤ رقم ١٣٧٤، وانظر : شرح المقاصد للتفتازانى ٢ / ١٦٢ .

فهي حياة برزخية لا طاقة للعقل في إدراكها، ولا يمكنه أن يصل إلى كقيمتها، وإنما يتوقف الإيمان بهذه الحياة على النصوص الواردة قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُنْعَثُونَ﴾ (١).

أما دعواهم تعارض الأحاديث : فيجاب عن ذلك بأنه لا تعارض مع إمكان الجمع وهو ممكن. وما ورد من رد أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لخبر ابن عمر رضي الله عنهما في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه. فلا حجة لهم فيه على نفى عذاب القبر لأن عائشة -رضي الله عنها- إنما أنكرت عذاب الميت بما لم تكسبه يدها، يدل على ذلك احتجاجها بقوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ (٢) ومع ذلك فإنكارها ذلك وحكمها على الراوي بالتخطئة أو النسيان أو على أنه سمع بعضاً ولم يسمع بعضاً بعيد؛ لأن الرواة لما أنكرته من رواية عمر وابنه -رضي الله عنهما- رواه من الصحابة كثيرون وهم جازمون. فلا وجه للنفي منها مع إمكان حمله على عمل صحيح (٣).

والحامل كثيرة جمع بينها الحافظ ابن حجر فقال : "من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته أو بالغ فأوصاهم بذلك عذب بصنعه، ومن كان ظالماً فندب بأفعاله الجائرة عذب بما ندب به، ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيهم عنها، فإن كان راضياً بذلك التحق بالأول، وإن كان غير راض عذب بالتوبيخ، كيف أهمل النهي، ومن سلم من ذلك كله واحتاط فنهى أهله من المعصية ثم خالفوه وفعلوا ذلك، كان تعذيبه تألم بما يراه منهم من مخالفة أمره، وإقدامهم على معصية ربهم".

وحكى الكرماني تفصيلاً آخر، وحسنه، وهو التفرقة بين حال البرزخ، وحال يوم القيامة، فيحمل قوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ (٤) على يوم القيامة، وهذا الحديث وما أشبهه على البرزخ. ويؤيد ذلك أن مثل ذلك يقع في الدنيا، والإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (٥). فإنها دالة على جواز وقوع التعذيب على الإنسان بما ليس له فيه تسبب، فكذلك يمكن أن يكون

(١) الآية ١٠٠ من سورة المؤمنون.

(٢) الآية ٣٨ من سورة النجم.

(٣) فتح الباري ٣ / ١٨٤ رقم ١٢٨٧.

(٤) الآية ٣٨ من سورة النجم.

(٥) الآية ٢٥ من سورة الأنفال.

الحال في البرزخ بخلاف يوم القيامة والله أعلم<sup>(١)</sup> .أ.هـ.

أما ردها - رضى الله عنها - لخبر ابن عمر - رضى الله عنهما - في سماع الموتى لكلام النبي ﷺ ومعارضتها ذلك بقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾<sup>(٢)</sup> ونحوها من الآيات فالجمهور في ذلك على خلافها فيما اجتهدت فيه، وقبلوا حديث ابن عمر لموافقة من رواة غيره عليه .

وأما استدلالها بقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ فقالوا معناها لا تسمعهم سماعاً ينفعهم، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله ... والآية كقوله تعالى : ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup> أى أن الله هو الذى يسمع ويهdy<sup>(٤)</sup> .

وصحت الأحاديث بسماع الموتى حتى قرع النعال خلافاً لمن رد ذلك من المعتزلة عن أنس بن مالك ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : "إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم ..." الحديث<sup>(٥)</sup> .

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : "اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال : وجدتم ما وعد ربكم حقاً فقليل له : تدعوا أمواتاً؟ فقال : ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون"<sup>(٦)</sup> . ولا دليل على خصوصية ذلك بأهل بدر، كما يزعم بعض المعتزلة<sup>(٧)</sup> .

قال القاضي عياض - رحمه الله - : "يحتمل سماعهم، على ما يحتمل عليه سماع الموتى، فى أحاديث عذاب القبر، وفتنته، التى لا مدفع لها . وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون فى الوقت الذى يريد الله تعالى ."

(١) انظر : فتح البارى ٣ / ١٨٥ رقم ١٢٩٠، والمنهاج شرح مسلم للنووى ٣ / ٥٠٥ رقم ٩٣٢ .

(٢) جزء من الآية ٨٠ من سورة النمل .

(٣) الآية ٤٠ من سورة الزحرف .

(٤) فتح البارى ٣ / ٢٧٧ رقم ١٣٧٠ .

(٥) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الجنائز، باب ما جاء فى عذاب القبر ٣ / ٢٧٥ رقم ١٣٧٤، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الجنة وصفة تعليمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ٩ / ٢٢٠ رقم ٢٨٧٠ واللفظ للبخارى .

(٦) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الجنائز، باب ما جاء فى عذاب القبر ٣ / ٢٧٤ رقم ١٣٧٠، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ٣ / ٥٠٣ رقم ٩٣٢ واللفظ للبخارى .

(٧) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٠٣ .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - بعد نقله لكلام القاضي عياض السابق : "وهو الظاهر المختار الذي تقتضيه أحاديث السلام على القبور" (١) .  
أما ما زعموه من تعارض الأحاديث المثبتة لعذاب القبر والنافية له ، فيجيب عن ذلك بأنه لا تعارض .

ففى الأحاديث التى زعموا أنها تنفى عذاب القبر فى عجزها ما يثبتها ، وهو ما تعملوا بتره ، فلا تعارض بين أول الحديث وآخره كما جاء فى رواية مسلم عن عائشة -رضى الله عنهما- قالت : دخل على رسول الله ﷺ وعندى امرأة من اليهود ، وهى تقول هل شعرت أنكم تفتنون فى القبور؟ قالت : فارتأى رسول الله ﷺ وقال : "إنما تفتن يهود" قالت عائشة : فلبثنا ليلاً . ثم قال رسول الله ﷺ : "هل شعرت أنه أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور؟" قالت عائشة : فسمعت رسول الله ﷺ ، بعد ، يستعيذ من عذاب القبر" (٢) .

قال الحافظ ابن حجر : وحاصل الحديث أنه ﷺ لم يكن أوحى إليه أن المؤمنين يفتنون فى القبور فقال : "إنما يفتن يهود" فجرى على ما كان عنده من علم ذلك ، ثم لما علم بأن ذلك يقع لغير اليهود استعاذ منه ، وعلمه ، وأمر بإيقاعه فى الصلاة ، ليكون أجمع فى الإجابة" (٣) .

وفى رواية أخرى عنها -رضى الله عنها- قالت : دخلت على عَجُوزَانِ من عَجُزِ يهود المدينة . فقالتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قالت : فكذبتهما . ولم أنعم أن أصدقهما . فخرجنا . ودخل على رسول الله ﷺ ، فقلت له : يا رسول الله ! إن عَجُوزَيْنِ من عَجُزِ يهود المدينة دخلتا على أهل القبور يُعذبون فى قبورهم . فقال : "صدقنا . إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم" قالت : فما رأيته ، بعد ، فى صلاة ، إلا يتعوذ من عذاب القبر" (٤) .

(١) المنهاج شرح مسلم للنووى ٩ / ٢٢٥ رقم ٢٨٧٤ .

(٢) أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ... إلخ ٣ / ٩١ ، ٩٢ رقم ٥٨٤ .

(٣) فتح البارى ١١ / ١٨٠ رقم ٦٣٦٦ .

(٤) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الدعوات ، باب التعوذ من عذاب القبر ١١ / ١٧٨ رقم ٦٣٦٦ ، ومسلم "بشرح النووى" كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ... إلخ ٣ / ٩٢ رقم ٥٨٦ واللفظ له .

قال الحافظ ابن حجر : "وبين هاتين الروایتين مخالفة، لأن في هذه أنه ﷺ، أنكر على اليهودية، وفي الأول أنه أقرها.

قال النووي تبعاً للطحاوي وغيره : هما قصتان، فأنكر النبي ﷺ، قول اليهودية في القصة الأولى، ثم أعلم النبي ﷺ بذلك، ولم يعلم عائشة، فجاءت اليهودية مرة أخرى، فذكرت لها ذلك، فأنكرت عليها مستندة إلى الإنكار الأول، فأعلمها النبي ﷺ بأن الوحي نزل بإثباته، ويدل على ذلك صراحة، ما رواه أحمد في مسنده بإسناد على شرط البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- : "أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية : وقاك الله عذاب القبر قالت : فقلت : يا رسول الله هل للقبر عذاب؟ قال : كذبت يهود، لا عذاب دون يوم القيامة. ثم مكث بعد ذلك ما شاء أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار، وهو ينادى بأعلى صوته : "أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر؛ فإن عذاب القبر حق" (١).

وفي هذا كله أنه ﷺ، إنما علم بحكم عذاب القبر، إذ هو بالمدينة في آخر الأمر، وهذا لا يستشكل مع ما نزل بمكة من قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٣). لأن الآيتين بظاهر منطوقهما في حق الكفار.

والذي أنكره النبي ﷺ، إنما هو وقوع عذاب القبر على الموحدين، ثم أعلم ﷺ، أن ذلك قد يقع على من يشاء منهم، فجزم به، وحذر منه، وبالع في الاستعاذة منه تعليمًا لأئمة وإرشادًا، فانتفى التعارض بحمد الله تعالى (٤) أ. هـ.

(١) المسند ٦ / ٨١، ٨٩، ١٧٤، وعزاه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ / ٥٥ إلى أحمد، وقال : رجاله رجال الصحيح، انظر دفع الشبهات لأحمد حجازي السقا ص ٢٠٨، ٢٠٩ حيث يتر هذه الرواية مكتفياً في سردها إلى قوله ﷺ لا عذاب دون يوم القيامة، موهما أن هذه الرواية تنفي عذاب القبر. فتأمل كيف يحرفون الكلم عن مواضعه.

(٢) الآية ٢٧ من سورة إبراهيم.

(٣) الآية ٤٦ من سورة غافر.

(٤) انظر : فتح الباري ٣ / ٢٧٨، ٢٧٩، وانظر : تصريح البراء بن عازب ﷺ بأن آية ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ قال نزلت في عذاب القبر "أ. هـ" أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه ٩ / ٢٢١ رقم ٢٨٧١، والنسائي في سننه كتاب الجنائز، باب عذاب القبر ٤ / ١٠١ رقم ٢٠٥٦.

أما دعوى القاضي عبد الجبار ومن قال بقوله : إن قوله تعالى : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (١) في آل فرعون خاصة (٢) .

فيجاب على ذلك : بأن دعوى الخصوصية ممتنعة، ولا دليل عليها، ومما يؤيد ذلك ما يلي : أولاً : لقد احتج أهل العلم بهذه الآية على عذاب القبر، وما زالوا يستشهدون بها على إثباته (٣)، حتى قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : "وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور" (٤) .

ثانياً : لقد فهم الصحابة والتابعون ؓ عدم الخصوصية في الآية، ولذلك جعلوها مستنداً لهم في إثبات عذاب القبر (٥) .

ثالثاً : روى البخارى بسنده إلى ابن عمر أن رسول الله ﷺ، قال : "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة؛ فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار؛ فمن أهل النار يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة" (٦) وهذا في معنى الآية (٧) .

أما زعمهم بأن أحاديث عذاب القبر آحاد لا يحتج بها هنا في العقائد، فقد سبق أن جماعة من الأئمة نصوا على أن الأحاديث الواردة في عذاب القبر، وسؤاله، ونعيمه، متواترة بمجموعها تواتراً معنوياً، وإن لم يبلغ آحادها حد التواتر . وحتى لو كانت آحاداً لوجب علينا التسليم لها، والإيمان بمضمونها، متى ثبتت صحتها عن رسول الله ﷺ، وإن دلت على عقيدة خلافاً لمن أبى ذلك .

(١) الآية ٤٦ من سورة غافر .

(٢) شرح الأصول ص ٧٣٠، ودفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي لأحمد حجازي السقا ص ٢٠٩، وراجع : المصادر السابقة ص ٢٨٢، ٢٨٣ .

(٣) انظر : المنهاج شرح مسلم ٩/ ٢٢٣ رقم ٢٨٦٦، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣١٨، ٣١٩، وفتح الباري ٣/ ٢٧٦، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٨١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨١ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣١٩، وانظر : استدلال جرير بن عبد الله ﷺ على ذلك في رواية البراء بن عازب عند أبي داود وستأتي بعد قليل ص ٢٩٠ .

(٦) أخرجه البخارى "بشرح فتح الباري" كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ٣/ ٢٨٦ رقم ١٣٧٩، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه... إلخ ٩/ ٢١٨ رقم ٢٨٦٦، واللفظ لمسلم .

(٧) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ١/ ٤١٤ - ٤١٥ .

فخبر الآحاد حجة في العقائد كما سبق تفصيله في غير موضع من البحث<sup>(١)</sup>.

وأما دليلهم العقلي فيجواب عنه بالآتي :

أولاً : هذا إقحام منهم للعقل في أمر لا طاقة له به، ولا مدخل له فيه؛ لأن عذاب القبر ونعيمه أمر غيبي لا عهد للعقول به في هذه الدار، ولا يمكنها أن تصل إلى كيفيته، وإنما يتوقف الإيمان فيه على النصوص الواردة، وإن كان العقل لا يمنع وقوعه، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول<sup>(٢)</sup>.

ثانياً : إن الحياة التي يحياها الميت في قبره والتي دل عليها حديث النبي ﷺ، في قوله : "فتعاد روحه إلى جسده"<sup>(٣)</sup> حياة أخرى غير هذه الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن، وتصرفه، وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، وهذا أمر لا يكذبه العقل ولا ينفيه<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله - "إن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها : تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث : تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع : تعلقها به في البرزخ<sup>(٥)</sup>؛ فإنها وإن فارقت وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفتات إليه البتة.

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً، ولا نوماً، ولا فساداً.

وإذا كان النائم روحه في جسده وهو حي، وحياته غير حياة المستيقظ، فإن النوم

(١) راجع : إن شئت ١/ ٤٩٩، ١٨-٣٢، ٢١٧-٢٢٠، ٢٢١، ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) انظر : شرح الطحاوية ٢/ ١٣٦ بتصرف.

(٣) جزء من حديث البراء بن عازب الطويل في شأن عذاب القبر، والحديث أخرجه أبو داود في سننه بطوله. في كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ٤/ ٢٣٩، ٢٤٠ رقم ٤٧٥٣، وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨، وأورده الميمني في مجمع الزوائد وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ٣/ ٥٢ - ٥٣.

(٤) انظر : الروح ص ٦٢، وفتح الباري ٣/ ٢٤١.

(٥) البرزخ : هو الحاجز بين الشيتين، والمراد به الفترة ما بين الموت إلى القيامة. انظر : القاموس المحيط ١/ ٢٥٥.

شقيق الموت، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده، كانت له حال متوسطة بين الحى وبين الميت الذى لم ترد روحه إلى بدنه، كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة" (١).

واعلم : أن الرسل "صلوات الله وسلامه عليهم" لا يخبرون بما تحيله العقول وتنافيه، ولكن إخبارهم إما أن يشهد به العقل والفطرة، وإما أن لا يدركه العقل لعجزه عن الوصول إلى حقيقته وكنهه، ولا يكون الخبر بذلك محالاً فى العقل، وبالتالي كل خبر يظن أن العقل يحيله فإما أن يكون كذباً أو يكون ذلك العقل فاسداً (٢).

وبعد

فإن عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظواهر القرآن، وصريح السنة المطهرة وعلى ذلك إجماع أهل السنة (٣).

فإن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى، أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين (٤).

أدلة عذاب القبر ونيعمه :

الذى يلقي نظرة فى القرآن الكريم، والسنة المطهرة يجد أن عذاب من يستحق العذاب، ونيعم من يستحق النعيم يبدأ منذ قنوم الملائكة لأخذ روحه عند الموت قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ﴾ (٥).

فقوله تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ أى بالضرب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، وهو كقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

(١) الروح ص ٦٢، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ١٣٦/ ٢ .

(٢) الروح ص ٨٦، ٨٧ بتصرف، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ٤٠٣-٤٠٥ .

(٣) شرح لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسى ص ٦٩، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ٣٩٧/ ١ .

(٤) الروح ص ٧٤، ولوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٥ .

(٥) الآية ٩٣ من سورة الأنعام .

وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ»<sup>(١)</sup> وفى حق أهل النعيم قال تعالى : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> مع قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> . وغير ذلك من الآيات .

وهذا وإن كان قبل الدفن، فهو من جملة العذاب أو النعيم الواقع قبل يوم القيامة . وإنما أضيف العذاب أو النعيم إلى القبر لكون معظمة يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته، ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا ما شاء الله<sup>(٤)</sup> .

وهذا خلافاً لمن أنكر ذلك من المعتزلة، وقال بعذاب القبر لمن قبر فقط<sup>(٥)</sup> . كما دلت الأدلة على وقوع النعيم أو العذاب عقب الدفن، وبعد سؤال الملكين، وامتحانهما له .

فقد جاء فى حديث البراء بن عازب فى شأن المؤمن : "فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من ربيها، وطيبها ويفسح له فى قبره" وقال فى الكافر : "فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه ..." الحديث<sup>(٦)</sup> .

فهذا نص صريح على وقوع النعيم أو العذاب بعد الدفن . وفى الحديث عن زيد بن ثابت مرفوعاً : "إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها. فلولا أن لا تدافقوا للدعوات الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع ...، الحديث<sup>(٧)</sup> .

(١) الآية ٥٠ من سورة الأنفال .

(٢) الآية ٣٢ من سورة النحل .

(٣) الآية ٣٠ من سورة فصلت .

(٤) الفصل فى الملل والنحل ٤ / ٦٧، وفتح البارى ٣ / ٢٧٥، ٢٧٦ .

(٥) انظر : شرح الأصول ص ٧٢٣ .

(٦) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب فى المسئلة فى القبر وعذاب القبر ٤ / ٢٣٩ رقم ٤٧٥٣ .

(٧) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر ... إلخ ٩ / ٢١٨، ٢١٩ رقم ٢٨٦٧ .

فقد دلت هذه الأحاديث وغيرها فى الصحيح كثير، على وقوع عذاب القبر بعد الدفن.

وهل يدوم ذلك إلى يوم القيامة أم ينقطع؟ الظاهر من النصوص، أن منه ما هو دائم إلى يوم القيامة، وهو عذاب الكفار، كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (٢).

قال الحافظ ابن حجر قال الطبرى: "الأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتل الجوع أو السبى أو القتل أو الإذلال أو غير ذلك" (٣).

وفى حديث أبى هريرة فى شأن المنافقين "يقال للأرض: التسمى عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك" (٤).

ومنه الذى يدوم مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة، فإنهم يعذبون على قدر جرائمهم، ثم يخفف عنهم (٥).

وبالتالى زعم القاضى عبد الجبار ومن قال بقوله: إن العذاب يؤخر إلى ما بين النفختين (٦)؛ زعم لا حقيقة له؛ لأن الأدلة السابقة تخالفه، والآية التى استدلوا بها دليل عليهم لا لهم، لأن المراد بالبرزخ هو الحاجز الذى بين الدنيا والآخرة، وهى فترة بقاء الناس فى قبورهم (٧).

إن الله ﷻ جعل أمر الآخرة وما يتصل بها من حياة البرزخ أمراً غيبياً محجوباً عن المكلفين فى هذه الدار، لكمال حكمته سبحانه وتعالى، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم (٨).

(١) الآية ٤٦ من سورة غافر.

(٢) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

(٣) فتح البارى ٣/ ٢٧٦ رقم ١٣٦٩ بتصرف يسير.

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الجنائز، باب ما جاء فى عذاب القبر ٣/ ٣٨٢، ٣٨٤ رقم ١٠٧١ وقال: حديث حسن غريب.

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ١٣٩.

(٦) انظر: شرح الأصول ص ٧٣٢.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٥٦.

(٨) انظر: الروح ص ٨٩.

ولو أطلع الله العباد على عذاب القبر؛ لزال حكمة التكليف، والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما ثبت في صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال : "فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه" (١).

ولما كانت هذه الحكمة منفية فى البهائم، سمعت ذلك وأدركته كما سبق فى الحديث (٢). إن الله ﷻ حجب بنى آدم، من رؤية كثير مما يحدث فى هذه الدنيا، فجبريل عليه السلام كان ينزل بالوحى على النبى ﷺ ويخاطبه على كتب من الصحابة عليه السلام وهم لا يرونه، والجن يعيشون بيننا، ويتكلمون فيما بينهم، ونحن لا نراهم، ولا نسمع كلامهم، والنائم يجد ألماً ولذة فى نومه، ولا يحس بذلك جلسه، بل يقظان يحس بالألم، ويشعر باللذة ولا يجد ذلك من يجالسه (٣).

والمحتضر يشعر بالألم عند احتضاره، وتضربه الملائكة، والحاضرون لا يرون ذلك. كذلك عذاب القبر، ونعيمه، يقع على الميت، حتى لو دفن رجلان أحدهما إلى جنب الآخر، وكان أحدهما متعماً، والآخر معذباً، فإن نعيم الأول لا يصل إلى الثانى، وكذا عذاب الثانى لا يصل إلى الأول. وقدرة رب العزة أعجب، وأوسع من ذلك (٤). فقياس أحوال الآخرة، وحياة البرزخ بأحوال الدنيا، قياس للغائب، على الشاهد، وهو محض الضلال، والجهل، وتكذيب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم (٥) أ.هـ.

اللهم إننى أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة الحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، اللهم إنى أسألك حسن الخاتمة .

(١) سبق تخريجه ص ٢٩٢ .

(٢) راجع : ص ٢٨٧ .

(٣) انظر : المنهاج شرح مسلم للنووى ٩ / ٢٢٤ رقم ٢٨٦٦-٢٨٧٥، وفتح البارى ٣ / ٢٧٨ رقم ١٣٧٤، والروح ص ٩٠، ٩١ .

(٤) انظر : شرح الطحاوية ٢ / ١٣٨، والروح ص ٩٢، ٩٣، والاعتصام ٢ / ٥٦٩ .

(٥) انظر : فتح البارى ٣ / ٢٧٨ رقم ١٣٧٤، الروح ص ١٠٠، وللاستزادة انظر : إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين للإمام البيهقي، والغيبات فى ضوء السنة للدكتور محمد همام، وموقف المدرسة العقلية من السنة ١ / ٣٩٧-٤١٥ .

# إِفْضَالُ السَّالِسِ

## أَحَادِيث

"خلوة النبي ﷺ بامرأة من الأنصار" و"نوم النبي ﷺ عند أم سليم وأم حرام" وحديث "سحر النبي ﷺ"

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : شبهة مخالفة سيرة النبي ﷺ في السنة المطهرة، عن سيرته في القرآن الكريم . والرد عليها .

المبحث الثاني : شبه الطاعنين في حديث "أنس بن مالك في خلوة النبي ﷺ بامرأة من الأنصار" والرد عليها .

المبحث الثالث : شبه الطاعنين في حديثي نوم النبي ﷺ عند أم سليم وأم حرام والرد عليها .

المبحث الرابع : شبه الطاعنين في حديث سحر النبي ﷺ والرد عليها .



## المبحث الأول

### شبهة مخالفة سيرة النبي ﷺ في السنة المطهرة عن سيرته في القرآن الكريم والرد عليها

سيرة النبي ﷺ بين حقائق القرآن الكريم وروايات الإمام البخارى :

حرص أعداء السنة الشريفة، وهم يطعنون في صحيح الإمام البخارى، لإيهام الناس أجمعين بأن شخصية النبي ﷺ، كما رسمها القرآن تختلف عن شخصية النبي ﷺ، كما رسمها البخارى، وغيره من أصحاب كتب السنة المطهرة، والنتيجة كما يزعمون الإساءة المتعمدة لشخص النبي ﷺ، من الإمام البخارى<sup>(١)</sup> وحاشاه من ذلك.

وهم قد لبسوا لهذه النتيجة لباس العلماء لإيهام القارئ أنهم على صواب؛ فساروا خلف بعض الأحاديث انتزعوها انتزاعاً من بين سطور الإمام البخارى، وعمدوا إلى بتر هذه الأحاديث تارة، وإلى إعادة صيغتها بأسلوبهم، وتحميل ألفاظها مالا تحتل من المعانى تارة ثانية، وعمدوا إلى الأمرين معاً تارة ثالثة.

ومن هذه الأحاديث التى استدلو بها على زعمهم فى مخالفة سيرة النبي ﷺ، كما رسمها القرآن، عن السيرة التى رسمها الإمام البخارى فى صحيحه .

أ- أحاديث جاء فيها لفظ (الخلوة) كحديث أنس بن مالك ؓ، أنه ؓ؛ خلا بإمرأة من الأنصار فى بعض طرق المدينة تستفيه فى أمر من أمور دينها، وحديثه عن أمه أم سليم، وخالته أم حرام -رضى الله عنهما- فى زيارته ؓ، لهما، ونومه عندهما فى وقت القيلولة .

بهذه الروايات التى جاء فيها لفظ الخلوة، حملوها على الخلوة المحرمة، وساقوا روايات هذه الأحاديث بأسلوب يهيج الغرائز عند الشباب، ويطيح بكل تقدير للنبي ، وللأسلاف والأجداد، مع بُعد سياق هذه الروايات فى صحيح البخارى، عن أسلوب سياقهم لها ويُعدها أيضاً عن الهدف الذى يرمون إليه من الطعن فى عدالة الإمام

(١) انظر : لماذا القرآن ص ٨٥، وقراءة فى صحيح البخارى ص ٤١-٤٦، كلاهما لأحمد صبحى منصور، ودين السلطان ص ٤١٨، ٤٢٥، ٤٥٠، ٥٨٨، ٦٠٤، ٦١٤، وراجع من نفس الكتاب ص ٦٤، ٦٧، ٩٢، وانظر : إنذار من السماء ص ١٣٥، ١٩١، ٦٩٩ . كلاهما لنيازى عز الدين، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٦٦، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٤٥-٣٢٦ كلاهما لصالح الوردانى .

البخارى<sup>(١)</sup>، وصحيحه الجامع، وزعمهم برسمه صورة لسيرة النبي ﷺ، مخالفة لصورته في القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

ب- حديث سحر النبي ﷺ وزعمهم بأنه يحط من مقام النبوة، ويطعن في عصمته ﷺ، ويخالف القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَبْعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْخُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وسوف نذكر شبه الطاعنين في الأحاديث السابقة، والرد عليها في المباحث التالية. وذلك بعد الجواب عن زعمهم مخالفة سيرة النبي ﷺ في السنة المطهرة، عن سيرته في القرآن الكريم.

### الجواب :

أقول كما قال فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى : "البخارى ليس له، ولا لغيره، أن يرسم شخصية النبي ﷺ؛ لأن شخصية النبي ﷺ، بكل بساطة ترجع إلى عناصر ومقومات قد وضعها الله فيه، فالأنبياء جميعاً قد اصطنعهم الله ﷻ لنفسه، وهو قد صنعهم على عينه، فهو وحده الذى يستطيع أن يرسم لنا صورة فيما اصطنعه لنفسه، وصنعه على عينه، ثم يحدد لنا بعد رسم شخصيته، مستوى العلاقة التى ستكون بيننا وبينه ﷺ".

هذا كله لله وحده، وليس لأحد أن يتدخل فى شئ منه. والله ﷻ قد حدد لنا شخصية النبي ﷺ فى القرآن الكريم وحياً يوحى، وحددها لنا النبي ﷺ عن طريق أقواله وأفعاله، وصفاته، وجلها أمور محكومة بالوحي.

ودور الإمام البخارى، وغيره من أصحاب المصنفات الحديثية، هو تسجيل تلك الأمور كلها وما فيها من وقائع تاريخية.

(١) البخارى هو: أمير المؤمنين فى الحديث، الإمام أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بَرْزُوتِه، كان جده بَرْزُوتِه مجوسياً على دين قومه، ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفى، والى بخارى. فى هذا الوقت، فنسب إليه بالولاء، فمن ثم قيل فى نسبه (الجعفى)، وهو الحافظ العلم، صاحب (الجامع الصحيح)، (التاريخ الكبير) و(الأدب المفرد) و(القراءة خلف الإمام) وغير ذلك. مات سنة ٢٥٦هـ. له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٥٥ رقم ٥٧٨، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٢٥٢ رقم ٥٦٠، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسائيد لابن نقطة ص ٣٠ رقم ٦، والإرشاد للخليلى ص ٣٧٧-٣٨٠، وطبقات المفسرين للداودى ٢ / ١٠٤ رقم ٤٦٣، والإمام البخارى أمير المؤمنين فى الحديث للأستاذ الدكتور يوسف الكتانى ص ٥-٢٠، ومقدمة فتح البارى ص ٥٠١-٥١٨.

(٢) انظر : السنة فى مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص ١٩٠-٢٠٧.

(٣) الآية ٨ من سورة الفرقان.

والتأكد منها سهل ميسور، فنحن بإمكاننا أن نحلل الواقعة التاريخية التي يتحدث عنها البخارى أو غيره، وندرسها دراسة وافية على أساس من المنهج المنضبط، ثم نحن نستطيع أن ندرس هؤلاء النقلة الذين نقلوا هذه الواقعة فى جيل أو جيلين إلى أن وصلوا إلى البخارى، أو إلى غيره من الرواة.

وهذا ما قام به أئمة أعلام من سلفنا الصالح، وأسفرت نتيجة جهودهم فى النقد والتمحيص، إلى صحة الكتاب، سوى أحرف يسيرة، والقول فيها ما قاله البخارى، وبعض تلك الأحرف لا تصل إلى درجة الوضع، بل ولا حتى إلى درجة الضعف الذى لا يحتمل، وقد سبق تفصيل ذلك<sup>(١)</sup>.

ومن هنا ينبغى أن نتفق من البداية؛ أنه ليس لأحد أن يرسم من خياله صورة لنبي مرسل، سواء كان هذا النبي هو النبي الخاتم ﷺ، أو غيره من الأنبياء<sup>(٢)</sup>.  
وهنا نأتى للجواب عما استدلوا به من أحاديث تخالف فى زعمهم حقائق القرآن الكريم. فإلى بيان ذلك.

---

(١) راجع : ١٥٦-١٦٢ .

(٢) انظر : السنة فى مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص ١٩٠ بتصرف.

## المبحث الثاني

### شبهة الطلعين في حديث أنس بن مالك في خلوة النبي ﷺ بامرأة من الأنصار والرد عليها

روى الإمام البخارى في صحيحه بسنده عن أنس ﷺ قال : "جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها، فكلما رسول الله ﷺ فقال : "والذى نفسى بيده، إنكم أحب الناس إلىّ مرتين" (١).

بهذه الرواية طعن أعداء السنة في صحيح الإمام البخارى، وأوهموا القارئ بأن الحديث يطعن في شخص النبي ﷺ، حيث جاء في الرواية أنه ﷺ، خلا بها، ثم قال إنكم أحب الناس إلىّ".

يقول أحمد صبحي منصور : "والرواية تريد للقارئ أن يتخيل ما حدث في تلك الخلوة التي انتهت بكلمات الحب تلك، وذلك ما يريده البخارى بالطبع" (٢).

#### والجواب :

نقول لهؤلاء النابتة الضالة التي تريد الطعن والتشكيك في صحيح الإمام البخارى لتسقط مكانته كأصح كتاب بعد كتاب الله ﷻ، ولتسقط بسقوطه كل كتب السنة التي تليه، إذ هو بمثابة الرأس، لكعب السنة، وبسقوط الرأس يسقط كل الجسد.

نقول لهم إن كنتم صادقين في دعواكم تنزيه الرسول ﷺ، مما يشكك في سيرته العطرة، وأخلاقه العظيمة، وتزعمون أن البخارى بإخراجه لهذه الرواية في صحيحه، قد افترى كذباً على الرسول ﷺ، وشكك في أخلاقه ﷺ، وحاشا للإمام البخارى من ذلك. وإن كنتم حقاً أهل علم، وبحث عن الحقيقة،

فلماذا تعمدتم عدم ذكر اسم عنوان الباب الذى ذكر تحته الإمام البخارى هذا الحديث؟ وهو باب "ما يجوز أن يخلوا الرجل بالمرأة عند الناس".

(١) أخرجه البخارى "بشرح فتح الباري" كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إلىّ ١٤٢/ ٧ رقم ٣٧٨٦، وكتاب النكاح، باب ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس ٩/ ٢٤٤ رقم ٥٢٣٤ وكتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت بين النبي ﷺ ١١/ ٥٣٤ رقم ٦٦٤٥، ومسلم "بشرح النووي" كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار ﷺ ٨/ ٣٠٦ رقم ٢٥٠٩.

(٢) لماذا القرآن ص ٩١، ٩٢، وقراءة في صحيح البخارى ص ٢٢، كلاهما لأحمد صبحي منصور، وانظر : دين السلطان لنيازي عز الدين ص ٣٩، ٦٤، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي لأحمد حجازي السقا ص ٢١٠.

ولماذا تجاهلتم ما قاله شراح الحديث في بيانهم للمراد من الخلوة، وكيف كانت تلك الخلوة، ولماذا اختلى بها النبي ﷺ؟

نعم تعمدتم عدم ذكر ذلك تلييساً منكم وتضليلاً للقارئ، ولأنكم تعلمون كما تعلم الدنيا بأسرها، أن فقه الإمام البخاري في تراجم أبوابه، وتعلمون أنكم بذكركم عنوان الباب، ينكشف كذبكم وتضليلكم.

كما أنكم تجاهلتم ما قاله شراح الحديث من أئمة المسلمين، والذين تحرصون على وصفهم بأنهم يقدسون البخاري، ويعيدونه من دون الله "وحاشاهم من ذلك". تجاهلتم ما فسروه وبينوه من معنى "خلوة الرجل بالمرأة عند الناس" وكيف كانت تلك الخلوة؟!

والنتيجة من تجاهلكم كل ذلك أنكم سفهتم عقول أئمة المسلمين، واستخففتهم بعقول القارئ لكم.

وتعالوا بنا لنظهر للقارئ ما حرصتم على كتمانها، ولنترك له الحكم بعد ذلك، من الصادق، البخاري أم أنتم؟ ومن الطاعن والمشكك في سيرة النبي ﷺ، البخاري أم أنتم؟

ومن المحترم لعقل القارئ، البخاري أم أنتم؟ يقول الحافظ "ابن حجر" - رحمه الله - شارحاً المراء من عنوان الباب الذي ذكر الإمام البخاري تحته حديث أنس قال : قوله : "باب ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس" أى لا يخلو بها بحيث تحتجب أشخاصهما عنهم، بحيث لا يسمعون كلامهما، إذا كان بما يخاف به، كالشيء الذى تستحي المرأة من ذكره بين الناس، وأخذ المصنف قوله فى الترجمة "عند الناس" من قوله فى بعض طرق الحديث "فخلا بها فى بعض الطرق أو فى بعض السكك" وهى الطرق المسلوكة التى لا تنفك عن مرور الناس غالباً.

وقوله "فخلا بها رسول الله ﷺ" أى فى بعض الطرق، قال المهلب : لم يرد أنس أنه خلا بها، بحيث غاب عن أبصار من كان معه، وإنما خلا بها، بحيث لا يسمع من حضر شكواها، ولا ما دار بينهما من الكلام، ولهذا سمع أنس آخر الكلام فنقله، ولم ينقل ما دار بينهما؛ لأنه لم يسمعه.

وفى رواية مسلم عن أنس "أن امرأة كان فى عقلها شيء فقالت : يا رسول الله !

إن لى إليك حاجة، فقال : يا أم فلان! أى السكك شئت، حتى أقضى لك حاجتك، فخلا معها فى بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها" (١).

قال الإمام النووى قوله : "خلا معها فى بعض الطرق" أى وقف معها فى طريق مسلوكة، ليقضى حاجتها ويفتيها فى الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان فى ممر الناس، ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسائلتها مما لا يظهره" (٢).

قال الحافظ ابن حجر : وفى هذه الرواية بيان "أن مفاوضة الأجنبية سرّاً لا يقدح فى الدين عند أمن الفتنة، ولكن الأمر كما قالت عائشة : "وأياكم يملك أربه كما كان ﷺ يملك أربه" (٣).

أما قوله "والذى نفسى بيده"، إنكم أحب الناس إلى -مرتين- وفى رواية ثلاث مرات، هو على طريق الإجمال، أى مجموعكم أحب إلى من مجموع غيركم". وفى هذه الجملة منقبة للأنصار حيث جعل المصطفى ﷺ، حبهم من علامات الإيمان وبغضهم من علامات النفاق، فقال ﷺ : "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق ومن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله" (٤).

وعن أنس بن مالك ؓ عن النبي ﷺ، قال : "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار" (٥) ومن هنا كرر الإمام البخارى، حديث أنس فى كتاب مناقب الأنصار.

(١) أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ، من الناس وتبركهم به ٨ / ٩٠ رقم ٢٣٢٦، وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأدب، باب الجلوس فى الطرقات ٤ / ٢٥٧ رقمى ٤٨١٨، ٤٨١٩ .  
(٢) المنهاج شرح مسلم للنووى ٨ / ٩١ .

(٣) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض ١ / ٤٨١ رقم ٣٠٢، وكتاب الصوم، باب مباشرة للصائم ٤ / ١٧٦ رقم ١٩٢٧، وأخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض فوق الإزار ٢ / ٢٠٧ رقم ٢٩٣، وكتاب الصيام باب بيان أن القبلة فى الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ٤ / ٢٣١ رقم ١١٠٦، وانظر : فتح البارى ٩ / ٢٤٥ رقم ٥٢٣٤ .

(٤) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان ٧ / ١٤١ رقم ٣٧٨٣، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى ﷺ من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق ١ / ٣٤٠ رقم ٧٥ .

(٥) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار ١ / ٨٠ رقم ١٧، وكتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان ٧ / ١٤١ رقم ٣٧٨٤، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى ﷺ من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق ١ / ٣٤٠ رقم ١٢٨ .

قال الحافظ ابن حجر : "وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل، من إيواء النبي ﷺ، ومن معه، والقيام بأمرهم، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم، وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوة تجر البغض، ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد، والحسد يجر البغض، فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق، تنوياً بعضيهم فضيلهم، وتنبيهاً على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركاً لهم في الفضل المذكور كل بقسطه . وقد ثبت في صحيح مسلم عن عليّ أن النبي ﷺ ، قال له "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" (١)، وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة، لتحقيق مشترك الإكرام، لما لهم من حسن العناء في الدين" (٢) .

وبعد

فقد ظهر واضحاً جلياً لكل ذى عقل، وقلب سليم، أن الحديث صحيح رواية ودراية، وأن ما زعمه أهل الزيغ من أن لفظ الخلوة في الحديث - محمول على الخلوة المحرمة، مردود عليهم بما جاء في بعض طرق الحديث "فتخلأ بها في بعض الطرق أو بعض السكك، وهي الطرق التي لا يخلو منها المارة من الناس" .

كما اتضح جلياً أن تلك المرأة التي خلى بها النبي ﷺ، كانت لها مسألة أرادت أن تستفتي فيها النبي ﷺ، وتلك المسألة مما تستحى من ذكره النساء بحضرة الناس، وكانت إجابة النبي ﷺ، لها أن تلتمس بعض الطرق أى تلتمس أى جانب من الأماكن العامة التي لا تخلو من مرور الناس غالباً حتى يسمع حاجتها، ويقضيها لها، ومن هنا جاء التعبير بلفظ الخلوة، وكل هذا صرحت به رواية الإمام مسلم .

وما ختم به النبي ﷺ، حديثه مع المرأة من قوله "والذى نفسى بيده إنكم أحب الناس إلى" هذا منه ﷺ، تأكيداً لما قاله مراراً من جعله علامات الإيمان حب الأنصار، ومن علامات النفاق بغضهم، ثم إن هذه الكلمة قالها النبي ﷺ، جهاراً على ملأ من الناس - لنساء وصبيان من الأنصار كانوا مقبلين من عرس .

(١) أخرجه مسلم "شرح النووي" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى ﷺ من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق ١ / ٣٤١ رقم ٧٨ .

(٢) فتح الباري ١ / ٨١ رقم ١٧ .

ففى رواية البخارى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : "أبصر النبى ﷺ، نساءً وصبياناً مقبلين من عرس فقام ممتناً فقال "أنتم من أحب الناس إلي" (١).  
فهل بقى بعد كل هذا حجة فى الحديث لمن أرادوا أن يشوشوا به على سيرة النبى ﷺ، وهم يوهمون البسطاء أنهم من المحبين للنبى ﷺ، المدافعين عنه، فى الوقت الذى يمحذون فيه سنته العطرة، ويطعنون فى عدالة الإمام البخارى، وفى صحيحه الجامع، ويسفهون عقول المسلمين القائلين بقول سلفهم الصالح ﷺ ويستخفون بعقول القارئ لهم؟ أ.هـ.

والله تبارك وتعالى  
أعلى وأعلم

---

(١) أخرجه البخارى "شرح فتح البارى" كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبى ﷺ للأنصار : أنتم أحب الناس إلى ١٤٢/ ٧ رقم ٣٧٨٥، وكتاب النكاح، باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس ١٥٦/ ٩ رقم ٥١٨٠.

## المبحث الثالث شبهة الطاعنين في حديثي نوسم النبي ﷺ عند أم سليم، وأم حرام والرد عليها

أولاً : حديث أم سليم - رضى الله عنها - :

روى البخارى ومسلم - رحمهما الله - عن أنس بن مالك ﷺ قال : "إن أم سليم<sup>(١)</sup> كان تبسط للنبي ﷺ، نَطْعاً فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النَطْعِ، قال : فإذا نام ﷺ، أخذت من عَرَقِهِ وشعره فجمعتُهُ فى قارورة، ثم جمعتُهُ فى سُلْكٍ وهو نائم. قال : فلما حضرَ أنسَ بن مالك الوفاة أوصى إلى أن يُجعلَ فى حَنَوطِهِ من ذلك السُلْكِ، قال فجُعِلَ فى حَنَوطِهِ"<sup>(٢)</sup>.

ثانياً : حديث أم حرام - رضى الله عنها - :

روى البخارى ومسلم - رحمهما الله - عن أنس بن مالك ﷺ قال : " كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان<sup>(٣)</sup>، فطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ، فأطعمته، وجعلت تَقْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟

(١) أم سليم : هى أم سليم بنت ملحان، واسم ملحان : مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الأنصارى الخزرجية النخارية، أم أنس بن مالك، اختلف فى اسمها فقيل : سلهة، وقيل : ربيعة، وقيل رميثة، وقيل مليكة، والغيصاء، والرميصاء. كانت تحت مالك بن النضر، والد أنس بن مالك فى الجاهلية، فغضب عليها وخرج إلى الشام، ومات هناك. فخطبها أبو طلحة الأنصارى وهو مشرك، فقالت : أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يرء، ولكنك كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فلك مهري، ولا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها وحسن إسلامه، فولدت له غلاماً مات صغيراً، وهو أبو عمير، وكان معجبا به، فأسف عليه ثم ولدت له عبد الله بن أبى طلحة، وهو والد إسحاق، فبارك الله فى إسحاق وأخوته، وكانوا عشرة، كلهم حمل عنه العلم، وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ، وروت عنه أحاديث، وروى عنها ابنها أنس ﷺ، وكانت من عقلاء النساء، ماتت فى خلافة سيدنا عثمان ﷺ. انظر فى ترجمتها : اسد الغابة ٧ / ٣٣٣، رقم ٧٤٧٩، والاستيعاب ٤ / ١٩٤٠، رقم ٤١٦٣، والإصابة ٤ / ٤٤١، رقم ١٢٠٧٧، وتاريخ الصحابة ص ٢٧٦، رقم ١٥٧٣، وتجرید أسماء الصحابة ٢ / ٣٣٣.

(٢) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فَقَالَ عندهم ١١ / ٧٣، رقم ٦٢٨١، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي ﷺ، والتبرك به ٨ / ٩٦، رقم ٢٣٣٢.

(٣) أم حرام : هى أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الأنصارى الخزرجية - زوج عبادة بن الصامت، وأخت أم سليم، وحالة أنس ابن مالك، ولا يصح لها اسم، وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويزورها فى بيتها، ويقبل عندها، ودعا لها بالشهادة، ماتت فى خلافة سيدنا عثمان ﷺ. انظر فى ترجمتها : اسد الغابة ٧ / ٣٠٤، رقم ٣٠٥، رقم ٧٤١١، والإصابة ٤ / ٤٤١، رقم ١١٩٧١، والاستيعاب ٤ / ١٩٣١، رقم ٤١٣٧، وتجرید أسماء الصحابة ٢ / ٣١٦، وتاريخ الصحابة ص ٢٧٦، رقم ١٥٧٣.

قال : ناس من أمتي عُرضوا على غُزاة في سبيل الله، يركبون تَبَجَ هذا البحر مُلوكاً على الأسيرة أو مثلَ الملوك على الأسيرة، شكَّ -إسحاق- قالت فقلتُ : يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك . فقلتُ : وما يضحكك يا رسول الله؟ قال : ناسٌ من أمتي عُرضوا على غُزاة في سبيل الله - كما قال في الأول - قالتُ فقلتُ : يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال : أنت من الأولين . فركبتُ البحرَ في زمن معاوية بن أبي سفيان فُصِرْتُ عن دأبها حين خرجتُ من البحرَ فهَلَكْتُ" (١) .

بالحديثان السابقان طعن أعداء السنة المطهرة، في عدالة الإمام البخارى، وفي صحيحه الجامع، وزعموا أن الروايات السابقة يلزم منها أن تكون هناك علاقات خاصة مع النبي ﷺ، وهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه .

يقول أحمد صبحي منصور : يريدنا البخارى أن نصدق أن بيوت النبي التي كانت مقصدا للضيوف، كانت لا تكفيه، وأنه كان يترك نسائه بعد الطواف عليهن ليذهب للقيلولة عند امرأة أخرى، وأثناء نومه كانت تقوم تلك المرأة بجمع عرقه وشعره، وكيف كان يحدث ذلك ... يريدنا البخارى أن تتخيل الإجابة ... ونعوذ بالله من هذا الإفك ثم يؤكد البخارى على هذا الزعم الباطل بحديث أم حرام القائل، كان رسول الله يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله فأطعمته، وجعلت تغلى رأسه، فنام رسول الله ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت وما يضحكك يا رسول الله؟ إلخ . . فالنبي على هذه الرواية المزعومة تعود الدخول على هذه المرأة المتزوجة، وليس في مضمون الرواية وجود للزوج، أى تشير الرواية إلى أنه كان يدخل عليها فى غيبة زوجها، وبصور البخارى كيف زالت الكلفة والاحتشام بين النبي وتلك المرأة المزعومة، إذ كان ينام بين يديها وتغلى له رأسه وبالطبع لا بد أن يتخيل القارئ موضع رأس النبي بينما تغليها

(١) أخرجه البخارى "بشرح فتح الباري" كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء ٦ / ١٣ رقمى ٢٧٨٨، ٢٧٨٩، وباب فضل من يصرع فى سبيل الله فمات فهو منهم ٦ / ٢٢ رقمى ٢٧٩٩، ٢٨٠٠، وباب غزو المرأة فى البحر ٦ / ٨٩ رقمى ٢٨٧٧، ٢٨٧٨، وباب ركوب البحر ٦ / ١٠٣ رقمى ٢٨٩٤، ٢٨٩٥، وباب ما قيل فى قتال الروم ٦ / ١٢٠ رقمى ٢٩٢٤، وكتاب الاستئذان، باب من زار قومًا فقالَ عندهم ١١ / ٧٣ رقمى ٦٢٨٢، ٦٢٨٣، وكتاب التعبير، باب رؤيا النهار ١٢ / ٤٠٨ رقمى ٧٠٠١، ٧٠٠٢، ومسلم "شرح النووي" كتاب الإمارة، باب فضل الغزو فى البحر ٧ / ٦٥ رقم ١٨١٢ .

له تلك المرأة فى هذه الرواية الخيالية، ثم بعد الأكل والنوم يستيقظ النبى من نومه، وهو يضحك ويدور حديث طويل بينه وبين تلك المرأة نعرف منه أن زوجها لم يكن موجوداً وإلا شارك فى الحديث. وصيغة الرواية تضمنت كثيراً من الإيحاءات والإشارات المقصودة، لتجعل القارئ يتشكك فى أخلاق النبى. فتقول الرواية "كان رسول الله يدخل على أم حرام فتطمعه..." والبخارى هنا ينزل بالنبى الى درك التشبيه بالحيوانات الأليفة التى تدخل البيوت، فيعطف عليها حريم البيت ويطعمونها. ولاحظ اختيار لفظ الدخول على المرأة، ولم يقل كان يزور، ثم يقول عن المرأة وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت "فهنا تنبيه على أنها متزوجة، ولكن ليس لزوجها ذكر فى الرواية ليفهم القارئ أنه كان يدخل على تلك المرأة المتزوجة فى غيبة زوجها، ثم اختيار اسم المرأة "أم حرام" ليتبادر إلى ذهن القارئ أن ما يفعله النبى حرام وليس حلالاً. ثم يضع الراوى - بكل وقاحة - أفعالاً ينسبها للنبى ﷺ لا يمكن أن تصدر من أى إنسان على مستوى متوسط من الأخلاق الحميدة، فكيف بالذى كان على خلق عظيم ... عليه الصلاة والسلام، فيفتزى الراوى كيف كانت تلك المرأة تطعمه، وتغلى له رأسه، وينام عندها، ثم يستيقظ ضاحكاً ويتحادثان ... نعوذ بالله من الافتراء على رسول الله ... ويتزكنا البخارى بعد هذه الإيحاءات المكشوفة، تتخيل ما معنى أن يخلو رجل بامرأة متزوجة فى بيتها، وفى غيبة زوجها، وأنها تطعمه وتغلى له رأسه، أى أن الكلفة قد زالت بينهما تماماً، وأنها تعامله، كما تعامل زوجها ... ثم يقول "وجعلت تغلى له رأسه فنام رسول الله ثم استيقظ ... ولا بد أن القارئ سيسأل براءة ... وأين نام النبى، وكيف نام، وتلك المرأة تغلى له رأسه، وآلاف الأسئلة تدور حول هدف واحد هو ما قصده البخارى بالضبط<sup>(١)</sup>.

### والجواب :

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى رداً على أحمد صبحى منصور، وعلى من قال بقوله قال : "إن قصة أم سليم، وأم حرام، والتى لم يتورع أحمد صبحى منصور أن يتخذ منها تكةاً للتشويش على شخصية النبى ﷺ، وهو يوهم البسطاء أنه من المحبين له

(١) لماذا القرآن ص ٩٢-٩٤، وقراءة فى صحيح البخارى ص ٤١-٤٦ كلاهما لأحمد صبحى منصور، وانظر : دين السلطان ليناى عز الدين ص ٥٣٠، والخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص ٧٣، ٧٥، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٢٧٢، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٦١-١٢٤، ثلاثتهم لصالح الوردانى.

المدافعين عنه، وهو لا يعلم أن التفصيل فى نفي النقص عن الكاملين نقص، خصوصاً إذا دخل فى شيء من التفصيل الممل، أو لعل صاحبنا يعلم هذه الجزئية، ويستغلها فى تشويه صورة النبى ﷺ، والتقليل من هيئته فى نفوس أتباعه، وهذا مطمع قد طمع فيه من هم أكثر من صاحبنا بصرًا بالمنهج، ومن هم أكثر منه حيطة بأساليب البحث والدرس، ومن هم أشد منه قوة وأعز نفراً، فما استطاعوا أن يظهروا به وما استطاعوا أن ينالوا من جدار العز للنبى ﷺ نقباً.

والشيء الذى لم يعرفه هؤلاء، أن الروايات مجمعة تقريباً على أن النبى كان يكثر من التردد، والأكل والشرب، عند أم سليم، وأم حرام.

والباحث الحصيف يسأل هل هناك شيء من العلاقة بين هاتين المرأتين الجليلتين؟ والروايات تجيب أن أم سليم، وأم حرام أختان، يقال لأحدهما الرميضاء، وللأخرى الغميضاء، لا بعينها، فمنهم من يقول: إن الرميضاء بالراء هى أم حرام، والغميضاء بالعين هى أم سليم، ومنهم من يعكس (١).

والرميضاء، والغميضاء: لفظان يدلان على حالتين فى العين متشابهتين، وهما حالتان خلقيتان ليس بالعين معهما من بأس.

وأم سليم هى أم أنس بن مالك ﷺ، وأم حرام خالته، وأنس بن مالك كان فى صباه يخدم النبى عشر سنين وكان النبى يعامله معاملة تناسب أخلاق النبوة يقول أنس: خدمت النبى عشر سنين، فما قال لى لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء تركته لما تركته (٢).

هؤلاء ثلاثة ليسوا من المجاهيل فى الصحابة والصحابيات، وما الذى جعل علاقة النبى بهم على هذا المستوى من الاهتمام، وكثرة السؤال عنهم.

إن هذا لا يكون إلا فى حالة واحدة، وهى أن تكون هناك درجة من القرابة تجعل المرأتين من محارم النبى ﷺ، سواء أكان ذلك من جهة النسب كما قال بعض المؤرخين، أو كان من جهة الرضاعة كما قال البعض الآخر (٣).

(١) انظر: فتح البارى ١١ / ٧٥ رقمى ٦٢٨٢، ٦٢٨٣.

(٢) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" فى عدة أماكن منها كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسجاء وما يكوه من البخل ١٠ / ٤٧١ رقم ٦٠٣٨، ومسلم "بشرح النورى" كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ٨ / ٧٦، ٧٧ رقم ٢٣٠٩.

(٣) انظر: فتح البارى ١١ / ٨٠، ٨١ رقمى ٦٢٨٢، ٦٢٨٣، والمنهاج شرح مسلم للنووى ٧ / ٦٧.

وإلا فهل يمكن عقلاً للنبي ﷺ، أن يخالف الناس إلى ما ينهاهم عنه؟ وهل يمكن عقلاً أو اتفاقاً أن تقوم علاقة غير مشروعة وحاشاه بينه وبين أختين في وقت واحد؟

وهل يجيز المنطق أو العادة أن يسمح النبي لغير قريبه من الصبيان أن يخدمه في بيته عشر سنوات كاملات؟

وهل يعقل أن يترك أهل الكفر والنفاق - زمن النبوة - مثل هذا الموقف دون استغلاله في الطعن في النبي ﷺ، وفي نبوته؟

أمور كلها تعد من قبيل الشواهد التي لا تخطئ، والدلالات التي تورث اليقين بأن النبي ﷺ، كان قريباً قرابة محرمة لأم سليم، وأختها أم حرام.

وخصوصاً وأن بعض الروايات تقول كان النبي ﷺ، يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه<sup>(١)</sup>، ورواية تقول: "نام النبي ﷺ، فاستيقظ وكانت تغسل رأسها، فاستيقظ وهو يضحك"، فقالت: يا رسول الله أتضحك من رأسي قال لا<sup>(٢)</sup>.

وقد يقول قائل قريبات النبي ﷺ معروفات، وليس منهن أم سليم ولا أم حرام. والجواب أننا نتحدث عن مجتمع لم يكن يمسك سجلات للقرابات، وخاصة إذا كانت القرابة في النساء، فهناك قريبات كثيرات أغفلهن التاريخ في هذا المجتمع وأهملهن الرواة<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام النووي - رحمه الله - قوله: "أن النبي ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان، فطعمه، وتغلى رأسه، وينام عندها".

اتفق العلماء على أنها كانت محرماً له ﷺ، واختلفوا في كيفية ذلك. فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجدته، لأن عبد المطلب كانت أمه من بنى النجار.

وقوله: "تغلى" بفتح التاء وإسكان الفاء وكسر اللام أى تفتش ما فى الرأس، وتقتل القمل منه، ولا يعنى وجود ذلك فى رأس النبي ﷺ.

وأخذ من ذلك الحديث جواز فلى الرأس، وقتل القمل منه، وجواز ملامسة المحرم

(١) أخرجه مسلم "بشرح النووي" كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي ﷺ ٨ / ٩٥ رقم ٢٣٣١ .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد باب فضل الغزو فى البحر ٣ / ٧ رقم ٢٤٩٢ .

(٣) انظر : السنة فى مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه عبيشى ص ٢٠٤ هامش .

فى الرأس وغيره مما ليس بعورة، وجواز الخلوة بالمحرم والنوم عندها، وهذا كله مجمع عليه<sup>(١)</sup>.

يقول فضيلة الدكتور طه حبيشى : "بقى أن يتشدد صاحبنا فيقول : هب أن ذلك صحيح "وهو صحيح قطعاً" فكيف يدخل النبى بيتاً محرمة، وهى أم حرام من غير إذن زوجها عبادة بن الصامت؟

والجواب أن أم حرام كانت قد تزوجت مرتين، تزوجت مرة قبل عبادة بن الصامت وأنجبت، ثم قتل ابنها شهيداً فى إحدى معارك الإسلام، وبقيت بغير زواج لكبر سننها، ثم شاء الله أن تتزوج بعبادة بن الصامت، ويبقى معها بعد انتقال النبى ﷺ، وقد وقع ذلك فى كلام أنس بن مالك نفسه، وهو يحدث عن حالته بالحديث الذى هو موضوع كلامنا الآن، ففى بعض روايات الحديث قال : ثم تزوجت بعد ذلك بعبادة بن الصامت .

أما هذه الجملة التى وقع عليها صاحبنا وهى الواردة فى بعض روايات هذا الحديث وهى - كانت تحت عبادة بن الصامت - فقد أجمع العلماء أن هذه الجملة معترضة، وهى من كلام الراوى يشرح بها حال أم حرام حين ذهبت إلى بلاد الشام، أو إلى جزيرة قبرص، وماتت بها . قال الحافظ ابن حجر : والمراد بقوله هنا "وكانت تحت عبادة" الإخبار عما آل إليه الحال بعد ذلك، وهو الذى اعتمده النووى، وغيره تبعاً لعياض<sup>(٢)</sup>.

أما ما زعمه أحمد صبحى، وحاول إيهام القارئ به من أن روايات الحديث فيها أن النبى ﷺ، كان يبادل أم حرام كلمات غير مقبولة، وحاشاه .

فيقول رداً على ذلك فضيلة الدكتور طه حبيشى : "نعم، النبى ﷺ، كان عند أم حرام، ونام عندها، واستيقظ يضحك، وسأله أم حرام عن الأمر الذى يضحك منه، فأخبرها أن أناساً من أمته سيركبون البحر ظهره، ووسطه، ويكونون فيه، وهو أمر فيه أمثال الملوك على الأسرة، وهذا أمر يسعد النبى ﷺ، ويرضيه، لما فيه من المخاطر ما فيه، إن فيه خطر ركوب البحر، وفيه الجهاد وما فى الجهاد من أهوال، وفيه احتمال الموت والشهادة، وأم حرام تعرف ذلك وتدركه، ثم تطمع فيه وتبتغيه، وتسأل

(١) المنهاج شرح مسلم للنووى ٧ / ٦٧ .

(٢) فتح البارى ١١ / ٧٥، وانظر : المنهاج شرح مسلم للنووى ٧ / ٦٩ رقم ١٨١٢ .

النبي الذي لا ترد دعوته وتقول له: سل الله أن يجعلني منهم، والنبي سأل ربه، واستجاب له ربه ﷺ، فسأله أم حرام بعد أن نام المرة الثانية في الوقت نفسه وقام يضحك، مم تضحك يا رسول الله؟ فقال كما قال في الأولى : إن أناساً من أمتي سيركبون البحر مثل الملوك على الأسرة، قالت : يا رسول الله أأنا منهم قال، لا، أنت من الأولين.

ومرت الأيام وركبت أم حرام مع زوجها، وعلى ساحل البحر ركبت دابة فسقطت من على دابتها فماتت، وقيرها على رأى البعض ما يزال ظاهراً، يعرفه الناس في قبرص باسم قبر المرأة الصالحة .

أى حديث هذا الحديث الذى جرى بين النبي وبين أم حرام، إنه حديث عن المخاطر والأهوال، وهو حديث عن الموت والشهادة، وهو حديث عن استكمال الذات إلى ساعة الممات، وهو حديث فرح النبي ﷺ، بأمته حين ينتشرون بالدين ويحملون لواء الجهاد. إن مثل هذا الحديث : هو حديث الرجولة والكمال، وهو حديث الطمع فى رحمة الله ورضوانه. فما علاقة مثل هذا الحديث الشاق بأحاديث الرضا ومتابعة هوى النفس .

إن المرء ليسمع الحديث المستقيم، فيدركه على وجهه، إن كان سليم النفس، حسن الطوية وهو ينحرف به إذا كان إنساناً مريض النفس معوجاً، وهل ينضح البئر إلا بما فيه، وهل يمكن أن نتطلب من الماء جذوة نار؟ أو نغترف من النار ماء؟  
وقديماً قالوا : إن كل إناء بما فيه ينضح.

أشهد أن الله ﷻ قد قال فى نبيه ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

والله تبارك وتعالى

أعلى وأعلم

(١) الآية ٤ من سورة القلم، وانظر : السنة فى مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص ٢٠٢ - ٢٠٦ .

## المبحث الرابع

### شبه الطلعين في حديث سحر النبی ﷺ

#### والرد عليهما

روى البخارى ومسلم : عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : "سحر رسول الله ﷺ، يهودى من يهود بنى زريق يقال له : لبيد بن الأعصم . قالت : حتى كان رسول الله ﷺ، يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله ﷺ . ثم دعا . ثم دعا . ثم قال : يا عائشة! أشعرت أن الله أفثنى فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعداً إحداهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذى عند رأسي، للذى عند رجلي، للذى عند رأسي : ما وجع الرجل؟ قال : مطبوب قال : من طبه؟ قال : لبيد بن الأعصم . قال فى أى شيء؟ قال فى مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ . قال وَجِبْ طَلْعَةَ ذَكَرٍ . قال فأين هو؟ قال : فى بئر ذى أروان . قالت : فاتأما رسول الله ﷺ فى أناس من أصحابه . ثم قال : "يا عائشة! والله! لكان ماءها نُقَاعَةُ الحِنَاءِ وَلَكِنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ".

قالت : فقلت : يا رسول الله! أفلا أحرقتَه؟ قال "لا . أما أنا فقد عافاني الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً . فَأَمَرْتُ بِهَا فُذِّفَتْ" (١) .

أنكر هذا الحديث بعض المبتدعة قديماً على ما حكاه عنهم غير واحد من الأئمة . قال الإمام النووى "وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب أنه يحط من مقام النبوة وشرفها ويشكك فيها، وأن تجوزيه يمنع الثقة بالشرع" (٢) وتابع المبتدعة طعناً فى الحديث أذياهم من الرافضة، ودعاة اللادينية (٣) .

(١) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر ١٠ / ٢٤٣ رقم ٥٧٦٥، وباب السحر ١٠ / ٢٤٦ رقم ٥٧٦٦، وفى كتاب الأدب، باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ١٠ / ٤٩٤ رقم ٦٠٦٣ وفى كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٦ / ٣٨٥ رقم ٣٢٦٨، وفى كتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء ١١ / ١٩٦ رقم ٦٣٩١، ومسلم "بشرح النووى" كتاب السلام، باب السحر ٧ / ٤٢٩ رقم ٢١٨٩ .

(٢) المنهاج شرح مسلم ٧ / ٤٣٠، وانظر : تأويل مختلف الحديث ص ١٦٤ .

(٣) انظر : لماذا القرآن ص ١٠٩-١١١، وقراءة فى صحيح البخارى ص ٣٦، كلاهما لأحمد صبحى منصور، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٦٨، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٢٥٨، ٢٦٨ وما بعدها، كلاهما لصالح الوردانى، وأضواء على السنة لمحمود أبو رية ص ٣٧٨، والأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر ص ٢٨٧، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ١٩٤، ١٩٥، وعلم السحر بين المسلمين وأهل الكتاب ص ١٠٦ وما بعدها كلاهما لأحمد حمزاوى السقا، والسنة ودورها فى الفقه الجديد لجمال البنا ص ٢٣٧، وغيرهم .

وتأثر بتلك الطعون من علماء المسلمين الإمام محمد عبده<sup>(١)</sup> - رحمه الله - وتابعه على ذلك من سار على طريقته من علماء المسلمين، وقال بقولهم بعض أدياء العلم . قال الإمام محمد عبده رحمه الله : "نعلم أن البخارى أصدق كتاب بعد كتاب الله ، وأنا لا أشك أن البخارى سمع هذا من أساتذته، والبخارى يشترط فى أحاديثه المعاصرة واللقاء، إلا أننى أرى أن هذا لم يحدث مع النبى ﷺ، وإن كان قد دس من الإسرائيليات إلى مشايخ البخارى الذين أخذ منهم، وإلا فإننا إن قد صدقنا أن النبى ﷺ، قد سحر فقد صدقنا كلام الظالمين، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾<sup>(٢)</sup>. وإن صدقنا أن النبى ﷺ، قد سحر فقد كذبنا الله سبحانه وتعالى القائل فى كتابه الحكيم : ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال ﷺ : ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا﴾<sup>(٤)</sup> وقال ﷺ : ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾<sup>(٥)</sup> قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلَ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦).

ثم قال : وأما الحديث على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد، وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد، لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن المظنون على أى حال فلنا، بل علينا أن

(١) محمد عبده : هو محمد بن عبده بن حسن بن خير الله، إمام فقيه، مفسر، متكلم، أديب لغوى، كاتب صحافى سياسى، له باع الطويل فى مجال الإصلاح العلمى، والاجتماعى، ولكنه مع هذا كان قليل البضاعة فى الحديث، وكان يرى فى الاعتماد على المنطق والبرهان العقليين خير سلاح للدفاع عن الإسلام، ومن هذين العاملين، وقعت له آراء فى السنة وروايتها، وفى العمل بالحديث، والاعتداد به، ما صبح أن يتخذه مثل "أبى ربه"، "وأحمد صبحى منصور"، "والسيد صالح أبو بكر"، وغيرهم من أعداء السنة، تكأة يتكون عليها، فى تشكيكهم وطعنهم فى السنة المطهرة . من مؤلفاته "رسالة التوحيد" و"الإسلام والنصرانية العلم والمدينة"، "شرح نهج البلاغة"، وغير ذلك مات سنة ١٣٢٣هـ ١٩٠٥م، انظر : فى ترجمته السنة بين دعاة الفتنة وأدياء العلم للدكتور عبد الموجود ص ٢٣٦، والسنة ومكانتها فى التشريع للدكتور السباعى ص ٣٠، والمجددون فى الإسلام للأستاذ عبد المتعال الصعدي ص ٥٣٤-٥٣٥، وتاريخ الأستاذ الإمام رشيد رضا ١/ ١٦، ومجلة المنار المجلد ٩/ ٢٧٦ - ٢٨١، والإمام محمد عبده ومنهجه فى التفسير للدكتور عبد الغفار عبد الرحيم ص ١١-١١٤، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير للدكتور فهد الرومى ١٢٤-١٨٧ .

(٢) الآية ٨ من سورة الفرقان .

(٣) الآية ٢١٢ من سورة الشعراء .

(٤) الآية ٩ من سورة الجن .

(٥) الآية ٨ من سورة الصافات .

(٦) الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٦ من سورة الحاقة .

نفوض الأمر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا، وتأخذ بنص الكتاب، وبدليل العقل، فإنه إذا خولط النبي في عقله - كما زعموا - جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً، وهو لم يبلغه أو أن شيئاً نزل عليه، وهو لم ينزل عليه، والأمر هنا ظاهر لا يحتاج إلى بيان. ثم ختم كلامه قائلاً: "أحب أن أكذب البخاري، من أن أنسب إلى رسول الله ﷺ، أنه سحر"<sup>(١)</sup>.

### والجواب على شبه السابقة فيما يلي :

أولاً : إن الحديث صحيح، وثابت، بأصح الأسانيد في أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ فقد رواه الشيخان في صحيحيهما، ولا يصح لنا أن نقول بصدق البخاري ثم نكذب شيوخه فإن ما يجري على شيوخه، يجري عليه، ولا يصح لنا أن نكذب البخاري وروايته، اعتماداً على رأى ليس له من حظ في توثيق الأخبار، وإقرار الحقائق من قريب أو بعيد، ولو أننا سلمنا جدلاً بصدق معطيات العقل لأتينا على كثير من السنة، بل وعلى كثير من آيات القرآن الكريم نفسه<sup>(٢)</sup>.

يقول فضيلة الدكتور محمد الذهبي - رحمه الله - : "إن حديث سحر رسول الله ﷺ راويه البخاري، وغيره من كتب الصحيح، ولكن الأستاذ الإمام، ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره، فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعرف أن يكون خبر آحاد لا يثبت به إلا الظن"<sup>(٣)</sup>.

وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة التي هي بالنسبة للكتاب بمنزلة المبين. وقد قالوا : إن البيان يلتصق بالمبين<sup>(٤)</sup>.

يقول الدكتور عبد الغفار عبد الرحيم : "وأما قول الأستاذ الإمام عن حديث السحر، وعلى أى حال فلنا بل علينا أن نفوض الأمر في الحديث، ولا نحكمه في عقيدتنا، وتأخذ بنص الكتاب، وبدليل العقل".

فهذا كلام خطير جداً يفتح ثغرة ضد الثابت الصحيح من السنة كما يفتح مجالاً

(١) تفسير جزء عم ص ١٨٠-١٨٣، وانظر : مجلة المنار المجلد ١٢ / ٦٩٧، والمجلد ٢٩ / ١٠٤، وغيرهم من ذكرهم عبد المجيد محمد صالح في كتابه "صواعق الحق المرسل على الجنيين والكهان والسحرة" ص ١٢٠-١٦٥ .

(٢) السنة بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم للأستاذ الدكتور عبد الموجود ص ٢٣٩ .

(٣) راجع إن شئت ما سبق في مبحث (ما يفيد خبر الآحاد من العلم عند الجمهور) ص ١٣-١٨ .

(٤) التفسير والمفسرون ٣ / ٢٤١ .

لقالة السوء فى الصدام بين الكتاب والسنة، بينما حدد لنا الرسول فى حديثه الصحيح "تركتم فيكم ما أن تمسكتكم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى" (١).

كما أن الأستاذ الإمام قد ترك للحاقدين فرصة الهجوم عليه بهذا السبب، ويجعله الأخذ بالكتاب، وبديل العقل فقط، هذا أمر دفع تلميذه محمد رشيد رضا إلى القول : بأن الأستاذ الإمام كان ضعيفاً فى الحديث، كما أنه وحتى الآن محل نقد من رجال السنة، مما جرهم إلى التهجم عليه، وعلى أفكاره، بينما أبان هو عن هدفه من ذلك وجعله محمداً فى قوله: "وقد قال الكثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هى النبوة، ولا ما يجب لها، أن الخير بتأثير السحر فى النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به".

ويبدو أن الأستاذ الإمام قد أبدى بعض التراجع عن هذه الفكرة عندما قال : "ثم إن نفى السحر عنه لا يستلزم نفى السحر مطلقاً" مع أنه قد أقر سابقاً بأن السحر إما حيلة وشعوذة وإما صناعة علمية خفية، يعرفها بعض الناس، ويجهلها الآخرون ... إلى أن قال : "أن السحر يتلقى بالتعليم، ويتكرر بالعمل فهو أمر عادى قطعاً بخلاف المعجزة".

ثم يجعل بعد ذلك نفى السحر بالمرّة ليس بدعة، لأن الله تعالى لم يذكره ضمن آية ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢) ويجعل سحر سحرة فرعون ضرباً من الحيلة ويستدل بقوله تعالى : ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (٣) "وما قال أنها تسعى بسحرهم" مع أن أقوى دليل يمكن أن يرد به على الأستاذ الإمام قوله تعالى : ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (٤).

فكيف غاب عن الأستاذ الإمام النظر فى هذه الآية، وكيف كان يمكن له أن يفسرها على خلاف ما هى عليه من إثبات حقيقة السحر لا كونه تخيلاً أو وهماً.

أما الحديث فقد ثبت فى صحيح البخارى، وهو مرجع أساسى للسنة، فلو شككنا

(١) سبق تخريجه ٥٣ / ١ .

(٢) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٦٦ من سورة طه .

(٤) الآية ١١٦ من سورة الأعراف .

فى حجية الثابت فى البخارى، فكيف يقبل الناس بعد ذلك حديثاً ورد فى كتب الصحاح أو فى رواية عن غير طريق البخارى؟!

وما دفع الأستاذ الإمام من عاطفة تنزيه مقام النبوة أو محاولة إظهار الإسلام بمظهر لا يكون فيه موضع اتهام من أعداء الإسلام، أو محاربة السحر كخرافة بعد أن توسع الناس فى عمل أشياء تتنافى مع عظمة الإسلام، وإنكاره لمظاهر الكهانة والسحر، والشعوذة .

وهذه إن جاز أن تكون دوافع الأستاذ الإمام فلا يجوز أن تكون بحيث تصادم الثابت الصحيح، وهو الذى كثيراً ما وقف عند الثابت عن المعصوم لا يتعداه، ولا يحاول تأويله، ويسلم به تسليم معتقد لما جاء به، حيث لا مجال للعقل فيه .

ثم ما هو الدافع؛ لأن يتأثر الأستاذ الإمام بالمعتزلة فى ذلك ويحاكى رأيهم وهو الذى كثيراً ما نعى على التقليد والمقلدين وكان أولى به أن يأخذ برأى الإمام "ابن قيم الجوزية" عندما قال فى هذا الشأن : "وأما قولكم أن سحر الأنبياء ينافى حماية الله لهم فإنه سبحانه كما يحميهم، ويصونهم، ويحفظهم، ويتولاهم، يبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم، ليستوجبوا كمال كرامته، وليتأسى بهم من بعدهم من أمهم، إذا أودوا من الناس، فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء، صبروا، ورضوا، وتأسوا بهم" (١) . ومن أجل ذلك أثبت علماء الإسلام هذا الحديث، وأوجدوا له مخرجاً يتفق مع سلامة النسبة إليه ومع مكانة النبوة، فقالوا :

أولاً : الزعم بأن الحديث يحط من منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، هذا الذى ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل؛ لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته، وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجوز ما قام الدليل بخلافه باطل (٢) .

ثانياً : أن سحر الرسول ﷺ، يرفع من مقام النبوة وشرفها ولا يحط من شأنها؛ فالرسول ﷺ، لم يكن معصوماً من الأمراض فلقد كان يأكل، ويشرب، ويمرض، وتجرى عليه كل النواميس المعتادة التى أودعها الله فى ولد آدم، وليس فى السحر على

(١) تفسير المعوذتين لابن قيم الجوزية ص ٤١، وانظر : الإمام محمد عبده ومنهجه فى التفسير للدكتور عبد الغفار عبد الرحيم ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

(٢) المنهاج شرح مسلم النورى ٧ / ٤٢٩ .

الهيئة الواردة ما ينقص من قدره كإمام لسائر الأنبياء والمرسلين<sup>(١)</sup>.  
 قال القاضي عياض : "وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده، وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده. ويكون معنى قوله فى الحديث : "حتى يظن أنه يأتى أهله ولا يأتينهم" ويروى : "يخيل إليه" بالمضارع كلها : أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتينهم، ولم يتمكن من ذلك كما يعتزى المسحور.  
 بل وكما يعتزى الرجل السليم قوى البدن، المحطم للأرقام القياسية فى رفع الأثقال، يظن تحطيم رقم قياسى أعلى، وعند محاولة الرفع لا يستطيع، ومثل ذلك أيضاً الإنسان فى حالة النقاهة من المرض، يظن أن به قدرة على الحركة، وعندما يهم بذلك لا تحتمله قدماه.

قال القاضي عياض : وكل ما جاء فى الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء ولم يفعله ونحوه، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس فى ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الضلالة"<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً : أن عصمة الرسول ﷺ، الواردة فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup> العصمة هنا المراد بها عصمته ﷺ، من القتل، والاعتقال، والمكائد المهلكة، وحمل بعض العلماء العصمة هنا على أنها عصمة من الغواية، والهووى، والضلال، وعدم الوقوع فى المعاصى والمنكرات، وليست العصمة من الأمراض كما سبق أن ذكرنا، بل الأنبياء جميعاً غير معصومين من المرض غير المنفرد. فهم جميعاً تجرى عليهم كل النواميس المعتادة التى أودعها الله فى ولد آدم<sup>(٤)</sup>.

رابعاً : إن القول بأن الحديث معارض للقرآن الكريم، ويصدق المشركين فى قولهم:

(١) انظر : السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم لفضيحة الدكتور عبد الموجود ص ٢٣٩، والسحر والسحرة والوقاية من الفجرة للأستاذ تاج الدين نوفل ص ٢٩، ٦٣، ٦٤ .

(٢) المنهاج شرح مسلم للنووى ٧ / ٤٣٦، بتصرف، وانظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض ٢ / ١٨٣-١٨٠ .

(٣) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٧٧-٧٩، والإمام محمد عبده ومنهجه فى التفسير للدكتور عبد الغفار عبد الرحيم ص ٢٥٩ .

﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾<sup>(١)</sup> مردود بأن المشركين كانوا يقولون إن محمداً بشراً، وأنه فقير، وأنه لا يعلم الغيب، فهل نكذبهم فى ذلك؟!!

ثم إننا نعلم يقيناً، أن الكفار لا يريدون بقولهم هذا، أن يثبتوا لرسول الله ﷺ، ما أثبتته هذا الحديث، وهو أن فلاناً من اليهود سحره بضعة أيام، فأدركه شيء من التغير، وخيل إليه أنه يفعل بعض الشيء، وهو لا يفعله، ثم أن الله شفاه من ذلك، هم لا يريدون هذا، بل يريدون أن رسول الله ﷺ إنما يصدر عن خيال وجنون، وأنه لم يوح إليه شيء، فإذا آمنّا بما دل عليه الحديث لم نكن مصدقين للمشركين فى دعواهم، فمفهوم الحديث شيء، ودعواهم شيء آخر.

خامساً : زعمهم أن السحر من عمل الشياطين، وصنع النفوس الشريرة الخبيثة، أما من تحصن بعبادة الله كالأنبياء، فليس للشيطان، ولا للشريرين عليهم من سلطان، قال تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. هذا الزعم مردود عليهم بقوله تعالى عن أيوب عليه السلام : ﴿وَإِذْ كُرِيَ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ وَعَذَابٌ﴾<sup>(٣)</sup> وأخبر ﷺ عن سيدنا موسى عليه السلام أنه لما قتل القبطى قال : ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

والاستدلال بقوله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ على أن جميع عباد الله الصالحين ناجون من أذى الشيطان، خلاف الإجماع، والمشاهد، والنصوص السالفة، والآية تفيد بلا شك أن العباد الصالحين سالمون من إغوائه وإضلاله، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٥)</sup> (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ<sup>(٥)</sup>.

وبعد فإن الحجة على جواز السحر للأنبياء ثابتة بقول رب العزة : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾<sup>(٦٥)</sup> قَالَ بَلَى أَفَلَا تَأْمَنُونَ فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى<sup>(٦٦)</sup> فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى<sup>(٦٧)</sup> قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى<sup>(٦٨)</sup> وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ

(١) الآية ٨ من سورة الفرقان.

(٢) الآية ٤٢ من سورة الحجر.

(٣) الآية ٤١ من سورة ص.

(٤) الآية ١٥ من سورة القصص.

(٥) الأيتان ٤٠، ٣٩ من سورة الحجر.

سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى<sup>(١)</sup> فقد صرحت الآية بأن سحر أولئك السحار، قد أوقع نبي الله موسى في التخييل، حتى تغيرت أمامه الحقائق، فحسب الخيال حيات، والساكنات متحركات....

إذا فالحديث صحيح الإسناد والمعنى ولا يعارضه القرآن الكريم ولا المعقول، فوجب قبوله والإيمان به<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام المازري رحمه الله: "مذهب أهل السنة، وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة، كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكر ذلك، ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له.

وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كل يبطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق محال<sup>(٣)</sup> أ.هـ. والله أعلم.

---

(١) الآيات ٦٥-٦٨ من سورة طه.

(٢) مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها للأستاذ عبد الله بن علي النجدي القصيمي ص ٤٨-٥٨ بتصرف، وانظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٨.

(٣) المنهاج شرح مسلم للنووي ٧/ ٤٣٠، ومقدمة ابن خلدون ص ٥٥١، وللإستزادة في الجواب عن الحديث انظر: كتاب السحر بين الحقيقة والخيال للدكتور أحمد ناصر الحمد، ففي الكتاب بحث قيم في موضوع سحر النبي ﷺ، أجاب فيه عن شبهات المعتزلة، وغيرهم حول موضوع هذا الحديث انظر: ص ١١٢-١٢٦ من الكتاب المذكور، وانظر: ضلالات منكري السنة للأستاذ الدكتور طه حيشي ص ٤٠٠ - ٤١١.



# الفصل السَّابِع

## حديث رضاعة الكبير

### شبهات الطاعنين فيه والرد عليها

عن عائشة -رضي الله عنها- أن سالمًا<sup>(١)</sup> مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة<sup>(٢)</sup>

(١) سالم هو : سالم بن معقل، مولى أبي حذيفة، كان من أهل فارس، أعتقه مولاه زوج أبي حذيفة، واسمها بنية، أعتقه سائبة دون ولاء لها، فتولى أبا حذيفة، فكان ينسب إليه، فيقال : سالم بن أبي حذيفة حتى نزلت ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (٤) ادعواهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الذين ومواليكم﴾ جزء من الآيتين ٥، ٤ من سورة الأحزاب. وعقد في المهاجرين وروى أنه هاجر مع عمر، وكان يوم المهاجرين بقاء وفيهم عمر قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان إذا سافر مع أصحابه يومهم، لأنه كان أكثرهم قرأنا، وكان قد جاوز البلوغ في بدر، فشدها، والظاهر أن ملابسات حديثنا كانت في هذه السن، وشهد اليمامة وكان معه لواء المهاجرين فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت، فاعتقه إلى أن صرع، هو ومولاه أبو حذيفة، فوجد رأس أحدهما عند رجلى الآخر، وذلك سنة اثنتى عشرة من الهجرة، وكان عمر يحبه ويقدره، حتى قال ﷺ بعد أن طعن : لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى. وهو من القراء الذين قال رسول الله ﷺ، عنهم "خذوا القرآن من أربعة من أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وابن مسعود" أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة ﷺ ١٢٧/ ٧ رقم ٣٧٥٨، ومسلم "بشرح التسوى" كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه -رضى الله عنهما ٢٥٣/ ٨ رقم ٢٤٦٤، وفي الحديث أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أبطأت علي النبي ﷺ فقال: ما حبسك يا عائشة! قالت : يا رسول الله إن في المسجد رجلا ما رأيت أحدا أحسن قواء منه قال فذهب رسول الله ﷺ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك". أخرجه أحمد في مسنده جزء ٦ ص ١٦٥، والحاكم في المستدرک کتاب الصحابة، باب ذكر مناقب سالم مولى أبي حذيفة ٢٥٠/ ٣ رقم ٥٠٠١، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ٣٠٠/ ٩، وفي الحديث أيضا عن عمرو بن العاص، قال : "كان فرع بالمدينة فأتيت على سالم مولى أبي حذيفة وهو محتب بعمائل سيفه فأخذت سيفاً فاحتببت بعمائله فقال رسول الله ﷺ، "يا أيها الناس ألا كان مفزعكم إلى الله وإلى رسوله، ثم قال ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان" رواه أحمد في المسند ٢٠٣/ ٤ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٠/ ٩ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. "رضي الله عن سالم، وعن الصحابة أجمعين". انظر في ترجمته : اسد الغابة ٢/ ٣٨٢ رقم ١٨٩٢، والاستيعاب ٢/ ٥٦٧ رقم ٨٨١، والإصابة ٦/ ٢ رقم ٣٠٥٩، وتاريخ الصحابة ص ١١٧ رقم ٥٣٧، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣١ رقم ١٠١.

(٢) أبو حذيفة هو : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، وهو من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة، وإلى المدينة. وكان من فضلاء الصحابة، جمع الله له الشرف والفضل. وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم. ولما هاجر إلى الحبشة عاد منها إلى مكة، فأقام مع رسول الله ﷺ حتى هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقتل يوم اليمامة شهيدا، وهو مولى سالم الذي أرضعته زوجته سهلة كبرا، وكان سالم أيضا من سادات المسلمين. انظر في ترجمته : اسد الغابة ٦/ ٦٨، رقم ٥٨٠٧، والاستيعاب ٤/ ١٦٣٣ رقم ٢٩١٤، والإصابة ٤/ ٤٢ رقم ٩٧٦٠، وتاريخ الصحابة ص ٨١ رقم ٣٢٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٣ رقم ١١٧.

وأهله في بيتهم. فأتت (تعنى ابنة سهيل) <sup>(١)</sup> النبي ﷺ. فقالت : إن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً. فقال لها النبي ﷺ : "ارضعيه تحرمي عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة" فرجعت، فقالت : إني قد أرضعته، فذهب الذي في نفس أبي حذيفة" <sup>(٢)</sup>.

بهذا الحديث طعن بعض الرافضة، وأدعياء العلم، في صحيح الإمام البخاري، وزعموا أن الحديث يتعارض مع القرآن الكريم والعقل.

يقول ابن الخطيب <sup>(٣)</sup> : "هل يجوز لعاقل يؤمن بالله واليوم الآخر، بعد أن قرأ قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> أن يصدق هذا الحديث، أو أن يعيره بالآ؟! ولكن رواية هذا الحديث في المسانيد معنعناً مطولاً : دعت كثيراً من الفقهاء إلى تصديقه وبحته، والأخذ منه بجواز إرضاع الكبير!

ولنفرض أن هذه المرأة : أتت لأحد ما، وشكت له ما شكت للرسول ﷺ، أكان يقول لها : أرضعيه، أم كان يقول لها : احتجبي عنه؟! <sup>(٥)</sup>.

ويقول في كتابه الفرقان "إن هذا الحديث وأمثاله مما دسه الدساسون الأفاكون، لينهب ببهاء ذلك الدين القويم! وحاشا أن يقول الرسول ﷺ ما لم يقله الله ﷻ، بل ويتناقض كل التناقض مع ما ورد في الكتاب المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" <sup>(٦)</sup>.

(١) ابنة سهيل هي : سهيلة بنت سهيل بن عمرو القرشية، من بني عامر بن لؤي، وهي امرأة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وهاجرت معه إلى الحبشة، وهي من السابقين إلى الإسلام، وولدت له بالحبيشة محمد بن أبي حذيفة، ولا عقب له، وهي أيضاً أم سليل بن عبد الله بن الأسود القرشي العامري، وأم بكير بن شماس بن سعيد بن قائف، وأم سالم بن عبد الرحمن بن عوف، وهي التي أرضعت سالماً مولى أبي حذيفة وهو رجل. انظر : في ترجمتها اسد الغاية ٧ / ١٥٥ رقم ٧٠٢٧، والاستيعاب ٤ / ١٨٦٥ رقم ٣٣٨٩، والإصابة ٤ / ٣٣٦ رقم ١١٣٥٢، وتاريخ الصحابة ص ١٣٠ رقم ٦٢٨، وتبجريد أسماء الصحابة ٢ / ٢٧٩.

(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) مختصراً في كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ٩ / ٣٤ رقم ٥٠٨٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير ٥ / ٢٨٦ رقم ١٤٥٣.

(٣) ابن الخطيب : هو محمد بن محمد عبد اللطيف، يعرف بابن الخطيب، كاتب مصري، من مؤلفاته : الفرقان، وحقائق ثابتة في الإسلام.

(٤) الآية ٣٠ من سورة النور.

(٥) انظر : حقائق ثابتة في الإسلام لابن الخطيب ص ١٠١، ١٠٢.

(٦) انظر : الفرقان لابن الخطيب ص ١٦٠.

ويقول صالح الورداني : "والذى نقوله نحن إن هذه الرواية هراء، وتبرير الفقهاء لها أكثر من هراء . إذ أن المعلوم شرعاً أن حرمة الرضاع إنما تنبني على سني الرضاعة، وهما حولين كاملين أى السنة الأولى والثانية من عمر المولود، بعد ذلك لا عبرة برضاعة من أى ثدى، لأن اللبن لن يكون له دور فى تكوينه . فهل كان الرسول يجهل هذه الحقيقة . أم كان يمزج مع السائلة ... وهل مثل هذه الأمور محل للمزاح؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات، هى أن هذه الرواية لا تخرج عن كونها هو مصطنع على لسان أصحاب الأهواء والأغراض من الحكام، وغيرهم ونسبوها إلى الرسول، ويكفى القول إن أم سلمة وسائر أزواج النبي ﷺ رفضن أن يدخل عليهن أحد بتلك الرضاعة عدا عائشة ... ومثل هذا الموقف من قبل نساء النبي إنما يعكس عدم الرضا عن هذا الأمر وعدم قناعتهم به . وهو يشير إلى جهة أخرى إلى الشك فى الرواية . إذ لو كانت صحيحة ثابتة عن الرسول ما اعترض عليها نسوته" (١) .

والجواب :

إن هذا الحديث الذى طعن فيه بعض دعاة الفتنة، وأدعياء العلم، مما تلقته الأمة بالقبول رواية ودراية .

أما الرواية فقد بلغت طرق هذا الحديث نصاب التواتر كما قال الإمام الشوكاني (٢) .

وأما الدراية فقد تلقى الحديث بالقبول، الجمهور من الصحابة، والتابعين فمن بعدهم من علماء المسلمين إلى يومنا هذا .

تلقوه بالقبول على أنه واقعة عين بسالم ﷺ لا تتعداه إلى غيره، ولا تصلح للاحتجاج بها، وبدل على ذلك ما جاء فى بعض الروايات عند مسلم عن ابن أبي مليكة أنه سمع هذا الحديث من القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة -رضى الله عنها- قال ابن أبي مليكة : فمكثت سنة أو قريباً منها لا أحدث به وهبته (٣) . ثم

(١) دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين لصالح الورداني ص ٢٥٩-٢٦٠، وانظر : أحاديث أم المؤمنين عائشة، أدوار من حياتها لمقتضى العسكرى ص ٣٧٩-٣٨٣، وفتح الوهاب لا حزية على أهل الكتاب لإسماعيل منصور ص ٥١٧-٥٢٩ .

(٢) انظر : نيل الأوطار ٦ / ٣١٤ .

(٣) "وهبته" قال الإمام النووي : (هكذا هو فى بعض النسخ "وهبته" من الهيبة وهى الإجلال، والواو حرف عطف، وفى بعضها "رهبته" بالراء من الرهبة، وهى الخوف، وهى بكسر الهماء، وإسكان الياء، وضم التاء، وضبطه القاضى عن بعضهم "رهبته" بإسكان الهماء وفتح الياء، ونصب التاء قال القاضى : وهو منصوب بإسقاط حرف الجر، والضبط الأول أحسن، وهو الموافق للنسخ الآخر (وهبته) بالواو . انظر : المنهاج شرح مسلم للنووى ٥ / ٢٨٩ .

لقيت القاسم فقلت له : لقد حدثتني حديثاً ما حدثته بعد . قال : فما هو؟ فأخبرته .  
قال : فحدثه عني، أن عائشة أخبرته<sup>(١)</sup>، وفي رواية للنسائي، فقال القاسم : حدث به ولا تهابه<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن عبد البر : "هذا يدل على أنه حديث ترك قديماً ولم يعمل به، ولا تلقاه الجمهور بالقبول على عمومهم، بل تلقوه على أنه خصوص"<sup>(٣)</sup>.

وبذلك صرحت بعض الروايات، ففي صحيح مسلم عن أم سلمة زوج النبي ﷺ كانت تقول : "أبى سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة، وقلن لعائشة: والله! ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصة فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة . ولا رائينا"<sup>(٤)</sup>.

إن قصة رضاعة سالم ﷺ قضية عين لم تأت في غيره، واحتفت بها قرينة التبنّي، وصفات لا توجد في غيره كما سبق في ترجمته، فلا يقاس عليه<sup>(٥)</sup>.

فأصل قصة سالم ما وقع له من التبنّي الذي أدى إلى اختلاطه بسهولة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة، وكانت تراه ابناً لها، ويدخل عليها فلا تحتشم منه، ويراه وهي منكشف بعضها، فلما نزل الاحتجاب، ومنعوا من التبنّي، شق ذلك على أبي حذيفة، وسهلة، فوقع الترخيص لهما في ذلك، لرفع ما حصل لهما من المشقة<sup>(٦)</sup>. وهذا ما جاء في رواية الإمامين أبو داود ومالك.

عن عائشة زوج النبي ﷺ، وأم سلمة -رضي الله عنهما- أن أبا حذيفة بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس، كان تبنى سالمًا، وأنكحه ابنة أخيه، هند بنت الوليد بن عتبة ابن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار، كما تبنى رسول الله ﷺ زيداً، وكان من تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث ميراثه، حتى أنزل الله ﷻ : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير ٥ / ٢٨٧، ٢٨٩ رقم ١٤٥٣ .

(٢) أخرجه النسائي في سننه كتاب النكاح باب رضاع الكبير ٦ / ١٠٥ رقم ٣٣٢٢ .

(٣) انظر : شرح الزرقاني على الموطأ ٣ / ٢٩٢، وقال الحافظ الدارمي عقب ذكره الحديث في سننه "هذا لسالم خاصة" انظر : سنن الدارمي كتاب النكاح، باب رضاعة الكبير ٢ / ٢١١، ٢١٠ رقم ٢٢٥٧ .

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير ٥ / ٢٨٨، ٢٨٩ رقم ١٤٥٤ .

(٥) انظر : شرح الزرقاني على الموطأ ٣ / ٢٩٢، وتأويل مختلف الحديث ص ٢٧٦-٢٧٩ .

(٦) انظر : فتح الباري ٩ / ٥٣ رقم ٥١٠٢ .

وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ كُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) اذْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ (١)، فردوا إلى آبائهم، فمن لم يعلم له أب كان مولى، وأخا فى الدين، فجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشى ثم العامرى، وهى امرأة أبى حذيفة. فقالت : يا رسول الله، إنا كنا نرى سالماً ولداً، وكان يأوى معى، ومع أبى حذيفة فى بيت واحد، ويرانى فضلاً، وقد أنزل الله ﷻ فيهم ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟ فقال لها النبى ﷺ "أرضعيه" فأرضعته خمس رضعات، فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة.

فبذلك كانت عائشة -رضى الله عنها- تأمر بنات أخواتها، وبنات إخوتها، أن يرضعن من أحببت عائشة أن يراها ويدخل عليها، وإن كان كبيراً، خمس رضعات، ثم يدخل عليها.

وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبى ﷺ أن يدخلن عليهن بتلك الرضاعة أحداً من الناس حتى يرضع فى المهد، وقلن لعائشة : والله ما ندرى لعلها كانت رخصة من النبى ﷺ لسالم دون الناس (٢).

قال الإمام الزرقانى (٣) : "قول سهلة : يا رسول الله إنا كنا نرى"، أى نعتقد "سالماً ولداً" بالتبني "وكان يدخل على وأنا فضل" بضم الفاء والضاد المعجمة قال ابن وهب: مكشوفة الرأس والصدر، وقيل : على ثوب واحد لا إزار تحته، وقيل متوشحة بثوب على عاتقها، خالفت بين طرفيه (٤).

قال ابن عبد البر : أصحها الثانى لأن كشف الحرة الصدر لا يجوز عند محرم ولا غيره (٥).

قال الحافظ ابن حجر: "فعلى هذا فمعنى الحديث أنه كان يدخل عليها وهى منكشف

(١) جزء من الآيتين ٥٤، من سورة الأحزاب.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب النكاح، باب فىمن حرم به ٢٢٣/ ٢ رقم ٢٠٦١.

(٣) الإمام الزرقانى هو: محمد بن الشيخ عبد الباقي الزرقانى، أبو عبد الله، الإمام الفقيه الفهامة المتقن، المحدث الرواية المسند المؤلف المتقن، من مؤلفاته "شرح الموطأ" و"شرح المواهب اللدنية للزرقانى" وغير ذلك مات سنة ١١٢٢هـ. له ترجمة فى: شجرة النور الزكية ١/ ٣١٨، ٣١٩ رقم ١٢٣٧.

(٤) انظر : النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٤٥٥، ٤٥٦، والقاموس المحيط ٣/ ٣٠، ٣١، وفتح البارى ٩/ ٣٦ رقم ٥٠٨٨.

(٥) انظر : شرح الزرقانى على الموطأ ٣/ ٢٩٠.

بعضها<sup>(١)</sup> وفي رواية أحمد قالت : "يدخل على كيف شاء لا تحتشم منه"<sup>(٢)</sup>، وقولها ليس لنا إلا بيت واحد" أى فلا يمكن الاحتجاب منه، وقد أنزل الله ﷻ فيه ما علمت أى من الاحتجاب، ومنع التبنّي، فماذا ترى فى شأنه؟

ولمسلم عن القاسم عن عائشة فقالت : إني أرى فى وجه أبى حذيفة من دخول سالم وهو حليفه . وله من وجه آخر عن القاسم عنها فقالت : إن سالمًا قد بلغ ما يبلغ الرجال، وعقل ما عقلوه، وإنه يدخل علينا، وإني أظن أن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئاً .

ولا منافاة فإن سهولة ذكرت السؤالين للنبي ﷺ، واقتصر كل راو على واحد "فقال لها رسول الله ﷺ : أرضعيه خمس رضعات .

قال ابن عبد البر : وفى رواية (عشر رضعات)، والصواب رواية (خمس رضعات فيحرم بلينها) زاد فى مسلم فقالت : كيف أرضعه وهو رجل كبير<sup>(٣)</sup>؟ فتبسم ﷺ وقال: قد علمت أنه رجل كبير، وكان قد شهد بدرًا. وفى لفظ له أرضعيه تحرمى عليه، وينهب الذى فى نفس أبى حذيفة فرجعت إليه فقالت: إني قد أرضعته فذهب الذى فى نفس أبى حذيفة .

قال ابن عبد البر : صفة رضاع الكبير أن يحلب له اللبن ويسقاه، فأما أن تلقمه المرأة ثديها، فلا ينبغي عند أحد من العلماء .

وقال عياض : ولعل سهولة حلبت لبنها فشربه من غير أن يمس ثديها، ولا التقت بشرتهما، إذ لا يجوز رؤية الثدي، ولا مسه ببعض الأعضاء<sup>(٤)</sup> .

(١) فتح البارى ٩ / ٣٦ رقم ٥٠٨٨ .

(٢) المسند ٦ / ٢٦٩ .

(٣) قال فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "الظاهر أن استفهامها عن كيفية إرضاعه، أتخلب له من لبنها؟ أم تعطيه ثديها؟ ويحتمل أن الاستفهام تعجبى من إرضاع الكبير، وتأثير رضاعه حرمة" انظر : فتح المنعم بشرح صحيح مسلم ٩ / ١٦٩ .

(٤) قال فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين "استدلال ابن حزم بقصة سالم على جواز مس الأجنبي ثدى الأجنبية، وإلتقام ثديها، إذا أراد أن يرتضع منها مطلقاً. استدلال خطأ، دعاه إليه أن الرضاعة المحرمة عنده إنما تكون بالنقام الثدي، ومس اللبن منه" انظر : فتح المنعم بشرح صحيح مسلم ٩ / ١٧٨، والجمهور من العلماء على أن التغذية بلبن المرضعة يحرم، سواء كان يشرب أم أكل بأى صفة كان، حتى الحقنة، والسعوط، والثرد، والطبخ وغير ذلك، وإذا وقع بالشروط المطلوبة، فإن طرد الجوع موجود فى كل ذلك، واستثنى الحنفية الحقنة، ودليل الجمهور فيما ذهبوا إليه حديث عائشة -رضى الله عنها- مرفوعاً : "إنما الرضاعة من المجاعة". انظر : فتح البارى ٩ / ٥٢ رقم ٥١٠٢، ونيل الأوطار ٦ / ٣١٦، ٣١٧، وسبل السلام ٣ / ١١٥٢ .

قال النووي : وهو حسن، ويحتمل أنه عفى عن مسه للحاجة كما خص بالرضاعة مع الكبير<sup>(١)</sup>، وأيده بعضهم بأن ظاهر الحديث أنه رضع من ثديها لأنه تبسم وقال : قد علمت أنه رجل كبير، ولم يأمرها بالخلب، وهو موضع بيان، ومطلق الرضاع يقتضى مص الثدي، فكأنه أباح لها ذلك لما تقرر في نفسيهما، أنه ابنها، وهى أمه فهو خاص بهما لهذا المعنى<sup>(٢)</sup>.

وكشف العورة فى هذه الحالة جائز للضرورة، فلا معارضة بين الحديث وبين قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup> كما زعم بعض أدياء العلم.

قال الإمام الزرقانى : "وكان القائلين بأن ظاهر الحديث أنه رضع من ثديها، لم يقفوا فى ذلك على شيء. فقد روى ابن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري عن أبيه قال : كانت سهلة تحلب فى إناء قدر رضعته، فيشربه سالم فى كل يوم، حتى مضت خمسة أيام، فكان بعد ذلك يدخل عليها وهى حاسر، رخصة من رسول الله ﷺ لسهلة<sup>(٤)</sup>."

وما استشكل من عدم تفريق عائشة -رضى الله عنها- بين رضاع الصغير، والكبير مع روايتها لحديث "فإنما الرضاعة من الجماعة"<sup>(٥)</sup> مما يفيد أن رضاعة الكبير لا تحرم. فقد أجاب الحافظ ابن حجر على هذا الإشكال بقوله : "لعلها فهمت من قوله : إنما الرضاعة من الجماعة" أنه يخص مقدار ما يسد الجوعة من اللبن، فهو فى عدد الرضعات، أعم من أن يكون المرتضع صغيراً أو كبيراً، فلا يكون الحديث نصاً فى منع اعتبار رضاعة الكبير، وحديث ابن عباس -رضى الله عنهما-، "لا رضاع إلا ما كان فى الحولين"<sup>(٦)</sup> -مع تقدير ثبوته - ليس نصاً فى ذلك أيضاً، وحديث أم سلمة -

(١) المنهاج شرح مسلم للنوى ٥ / ٢٨٩

(٢) شرح الزرقانى على الموطأ ٣ / ٢٩١ .

(٣) الآية ٣٠ من سورة النور .

(٤) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ / ٨٥، وشرح الزرقانى على الموطأ ٣ / ٢٩١ .

(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب النكاح، باب من قال لا رضاع بعد الحولين ٩ / ٥٠ رقم

٥١٠٢، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الرضاع، باب إنما الرضاعة من الجماعة ٥ / ٢٨٩، ٢٩٠ رقم ١٤٥٥ .

(٦) أخرجه الدارقطنى فى سننه كتاب الرضاع ٤ / ١٧٤ رقم ١٠، وقال الدارقطنى : لم يستدنه عن ابن عيينة غير

الميثم بن جميل، وهو ثقة حافظ . وصححه وقفه على ابن عباس، العظيم آبادى، فى التعليق المغنى على الدارقطنى ٩

/ ٥٢، وانظر : الدراية فى تخريج أحاديث الهداية ٢ / ٦٨ رقم ٥٦١، ونصب الراية ٣ / ٢١٩، وسيل السلام ٣ /

١١٥٣، ونيل الأوطار ٦ / ٣١٥ .

رضى الله عنها-، "لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتح الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام"<sup>(١)</sup> يجوز أن يكون المراد منه أنه لا رضاع بعد الفطام ممنوع، ثم لو وقع رتب عليه حكم التحريم، فما في الأحاديث المذكورة ما يدفع هذا الاحتمال، فلهذا عملت عائشة بذلك"<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا فلا عبرة بما زعمه بعض الرافضة من استنكاره رضاعة سالم ﷺ وهو كبير.

لأن قصة سالم كانت في أول الهجرة، وكانت رضاعة الكبير وقتئذ مشروعة ثم نسخت، وبذلك صرحت عائشة -رضى الله عنها- قالت: "كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرم من. ثم نسخن: بخمس معلومات. فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن"<sup>(٣)</sup> وفي رواية لابن ماجه، وأحمد، عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: "لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كانت في صحيفة تحت سريري. فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته، دخل داجن<sup>(٤)</sup> فأكلها"<sup>(٥)</sup>.

أما الأحاديث الدالة على اعتبار الحولين فهي من رواية أحداث الصحابة فدل على تأخيرها.

قال الحافظ ابن حجر: وهو مستند ضعيف، إذ لا يلزم من تأخر إسلام الراوى، ولا صغره أن لا يكون ما رواه متقدماً، وأيضاً ففي سياق قصة سالم ما يشعر بسبق الحكم باعتبار الحولين، لقول امرأة أبي حذيفة في بعض طرقه: "وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟" فهذا يشعر بأنها كانت تعرف أن الصغر معتبر في الرضاع المحرم"<sup>(٦)</sup> أ.هـ.

(١) أخرجه الترمذى في سننه كتاب الرضاع، باب ما جاء أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر دون الحولين ٣ / ٤٥٨ رقم ١١٥٢، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) فتح البارى ٩ / ٥٢، وانظر: مبدل السلام ٣ / ١١٥٤.

(٣) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات ٥ / ٢٨٥ رقم ١٤٥٢.

(٤) داجن هـ: الشاة التى يعلقها الناس فى منازلهم، وقد يقع على غير الشاة من كل ما يآلف البيوت من الطير وغيرها، انظر: النهاية فى غريب الحديث ٢ / ١٠٢، ولسان العرب ١٣ / ١٤٨، والمعجم الوسيط ١ / ٢٧٢.

(٥) أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب النكاح، باب رضاع الكبير ١ / ٦٠٩ رقم ١٩٤٤، وأحمد فى مسنده ٦ / ٢٦٩، وانظر: جواب ابن قتيبة على من أنكر هذا الحديث ص ٢٨٠-٢٨٣.

(٦) فتح البارى ٩ / ٥٣ رقم ٥١٠٢.

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين : "وفى تعقيب ابن حجر نظر؛ لأن قصة سالم كانت في أول الهجرة، بلا نقاش، كما هو واضح من ترجمته، ورواية اعتبار الحولين تؤكد تأخر الحكم عن قصة سالم، وقول امرأة أبي حذيفة، وإن أشعر بتقدم الحكم على سبيل الاحتمال، لكنه لا يفيد تقدم الحكم .  
فقد يكون سؤالها عن الطريقة التي ترضعه بها، أتحلب اللبن؟ أم تلقمه ثديها؟ وقد يكون سؤالها تعجباً من الأمر بإرضاعه المنافى لما جبلت عليه البشرية من إرضاع الصغير دون الكبير .

فالقول بنسخ رضاعة الكبير، ومنها قصة سالم ﷺ ظاهر ومقبول، لا يعارضه سوى موقف عائشة -رضي الله عنها- الذي انفردت به مع قلة من الفقهاء" (١) .  
قال الإمام النووي : وقول عائشة -رضي الله عنها- : "فتوفى رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ" معناه أن النسخ بخمس رضعات، تأخر إنزاله جداً، حتى أنه ﷺ توفى وبعض الناس يقرأ خمس رضعات، ويجعلها قرآناً متلو، لكونه لم يبلغه النسخ، لقرب عهده، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك، وأجمعوا على أن هذا لا يتلى .  
وفي الرواية ما يدل على وقوع النسخ في القرآن . قال النووي : والنسخ ثلاثة أنواع:

أحدها : ما نسخ حكمه وتلاوته كعشر رضعات .

والثاني: ما نسخت تلاوته دون حكمه كخمس رضعات، والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما .

والثالث : ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته، وهذا هو الأكثر، ومنه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ

(١) فتح المنعم بشرح صحيح مسلم ٩/ ١٧٦، ١٧٧، وقال الأمير الصنعاني في سبل السلام : لا تعارض بين حديث سهلة، وآية الحولين، وحديث "إنما الرضاعة من الجماعة" لأن الرضاعة لغة إنما تصدق على من كان في سن الصغر، وعلى اللغة وردت آية الحولين، وحديث إنما الرضاعة من الجماعة، والقول بأن الآية لبيان الرضاعة الموجبة للنفقة لا ينافي أيضاً أنها لبيان زمان الرضاعة، بل جعله الله تعالى زمان من أراد تمام الرضاعة، وليس بعد التمام ما يدخل في حكم ما حكم الشارع بأنه قد تم . والأحسن في الجمع بين حديث سهلة وما عارضه : كلام ابن تيمية فإنه قال : إنه يعتبر الصغر في الرضاعة، إلا إذا دعت إليه الحاجة كرضاع الكبير الذي لا يستغنى عن دخوله على المرأة، وشق احتجاجها عنه كحال سالم مع امرأة أبي حذيفة، فمثل هذا الكبير إذا أرضعته للحاجة أثر رضاعه، وأما من عداه فلا بد من الصغر . سبل السلام ٣/ ١١٥٤ وما بعدها ويقول ابن تيمية قال الشوكاني ورجحه . انظر : نيل الأوطار ٦/ ٣١٥، ٣١٧ .

## إخراج (١). وبعد

فقد ظهر واضحاً جلياً أن قصة سالم ﷺ صحيحة رواية ودراية، تلقاها علماء الأمة منذ عصر الصحابة إلى يومنا هذا - وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - بالقبول بصرف النظر عن كونها واقعة خاصة أو عامة، ويشهد لهذا التلقي للحديث بالصحة أن جميع الصحابة ﷺ أجمعين لم ينقل لنا عن أحدٍ منهم استنكار أو حتى استغراب للقصة!، وإنما نقل لنا اختلافهم في حكمها الفقهي.

فجمهور الصحابة على أن قصة سالم واقعة عين خاصة به، ولا يصح الاحتجاج بها لغيره، وتابع على ذلك جمهور علماء الأمة من التابعين فمن بعدهم، وانفردت عائشة -رضي الله عنها- مع قلة من الفقهاء منهم: عروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح، والليث بن سعد، وابن عليه، وغيرهم رأوا أن قصة سالم عامة، وأن إرضاع الكبير يثبت به التحريم (٢) وللكل وجهة نظر ودليل.

فالجمهور على أن قصة سالم ﷺ خاصة به لما وقع له من التبنّي الذي أدى إلى اختلاطه بسهولة فلما نزل الاحتجاب، ومنع التبنّي شق ذلك على أبي حذيفة وسهلة لما تقرر في نفسيهما أنه ابنيهما، وحيث كان يدخل على سهلة كيف شاء ولا تحتشم منه كما جاء من قولها في رواية أحمد. وليس لهم إلا بيت واحد.

فمن أجل رفع المشقة، ولما اجتمع في سالم من صفات لا توجد في غيره، وقع له الترخيص في الرضاعة مع بلوغه لما تقرر في نفوسهم جميعاً من صفات الأبوة من سالم تجاه أبي حذيفة وسهلة، وصفات البنوة من أبي حذيفة وسهلة تجاه سالم. ومما يؤكد ذلك ذهاب ما في نفس أبي حذيفة نتيجة لهذا الرضاع.

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين "ولا أظنه يذهب ما في نفس غير أبي حذيفة مع غير سالم" (٣).

وذهب الجمهور أيضاً بنسخ قصة سالم بما جاء من الأحاديث الدالة على اعتبار

(١) الآية ٢٤٠ من سورة البقرة، وانظر: المنهاج شرح مسلم للنووي ٥/ ٢٨٥، وحاشية السندی على النسائي ٦/ ١٠١ رقم ٣٣٠٧.

(٢) انظر: فتح الباري ٩/ ٥٢، ٥٣ رقم ٥١٠٢، والمنهاج شرح مسلم للنووي ٥/ ٢٨٩، وشرح الزرقاني ٣/ ٢٩١، ٢٩٢، ونيل الأوطار ٦/ ٣١٥، وسبل السلام ٣/ ١١٥٣، وتأويل مختلف الحديث ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٣) فتح المنعم بشرح مسلم ٩/ ١٧٧.

الحوالين .

أما عائشة -رضي الله عنها- ومن قال بقولها من الفقهاء فراءوا أن قصة سالم ﷺ عامة للمسلمين، لمن حصل له ضرورة : وللكل في هذا الخلاف وجهة نظر ودليل، ولم يكن لهذا الاختلاف بينهم أى أثر فى اعتقادهم صحة الحديث، الذى يحاول دعاة الفتنة وأدعياء العلم تضعيفه أو النيل من عدالة رواته، ومن أخرجهم من الأئمة الأعلام فى كتبهم .

ويؤخذ من قصة سالم صدق إيمان سهلة، وأبى حذيفة، وسرعة امتثالهما للوحي الإلهي؛ لأن الغيرة منهما، وقعت نتيجة لما نزل فى كتاب الله ﷻ من النهي عن التبني، والأمر بالاحتجاب . فتغيرت نظرة البتوة نحوه، امتثالاً لما نزل .

ولو كانت الغيرة لشيء غير ذلك، لما كان هناك معنى لذهاب ما فى نفس أبى حذيفة بتلك الرضاعة، التى ما كانت إلا أمراً إلهياً، امتثل له الجميع، ورفعت عنهما به المشقة والخرج أ.هـ.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم



## الفصل الثامن

### حديث "وقوع الذباب في الإناء"

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : شبه الطاعنين في أحاديث الطب النبوي والرد عليها.

المبحث الثاني : شبه الطاعنين في حديث "وقوع الذباب في الإناء" والرد عليها.



## المبحث الأول شبه الطالعنين فى أحاديث الطب النبوى والرد عليها

الأحاديث الطبية التى أخرج عنها المعصوم عليه السلام، طعن فيها المبتدعة قديماً بقولهم .  
وتأثر بذلك بعض علماءنا الأجلاء وتوسعوا فى ذلك بحجة أن الأحاديث الطبية لم  
يقلها النبى عليه السلام، بوحي، وإنما بالتجربة والعادة بصفته البشرية فهو لم يبعث ليعلم الناس  
الطب .

واتخذ أعداء السنة من هذا الكلام سلاحاً قوياً يطعنون به فى حجية السنة، وأنها  
كلها ليست وحياً . كما سبق تفصيل ذلك فى اجتهاد النبى عليه السلام <sup>(١)</sup> .

يقول الإمام ابن خلدون - رحمه الله - : "الطب المنقول فى الشرعيات ... ليس  
من الوحي فى شيء وإنما هو أمر كان عادياً للعرب ووقع فى ذكر أحوال النبى عليه السلام من  
نوع ذكر أحواله التى هى عادة وجبلة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو  
من العمل، فإنه عليه السلام إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من  
العاديات، وقد وقع له فى شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : "انتم أعلم بأمور  
دنياكم" <sup>(٢)</sup> فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذى وقع فى الأحاديث المنقولة على  
أنه مشروع؛ فليس هناك ما يدل عليه، اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك، وصدق  
العقد الإيماني، فيكون له أثر عظيم فى النفع، وليس ذلك فى الطب المزاجي، وإنما هو  
من آثار الكلمة الإيمانية كما وقع فى مداواة المبطلون بالعسل <sup>(٣)</sup> . هـ .

وأيد الإمام ابن خلدون فى ذلك بعض علمائنا الأجلاء منهم فضيلة الأستاذ  
الدكتور يوسف القرضاوى وغيره ممن قسموا السنة النبوية إلى سنة تشريعية، وغير  
تشريعية <sup>(٤)</sup> .

يقول فضيلة الدكتور القرضاوى: "وفى رأى أن جل الأحاديث المتعلقة بـ

(١) راجع : إن شئت ١/ ٤٥٧-٤٦٢ .

(٢) سبق تخريجه ١/ ٤٥٧ .

(٣) المقدمة، فصل فى علم الطب ص ٥٤٦ .

(٤) راجع : إن شئت ١/ ٤٥٩ .

"الوصفات الطبية" وما فى معناها ... كوصف الرسول ﷺ للمصاب بعرق النسا : أَلِيَّةُ شاة أعرابية... إلخ ما جاء فى الحديث<sup>(١)</sup>، فهذا ليس من أمور الدين التى يثاب فاعلها، أو يلام تاركها، بل هو إرشاد لأمر دنيوى نابع من تجربة البيئة العربية ...، ولم يبعث عليه الصلاة والسلام ليقوم بطب الأجسام، فذلك له أهله، وإنما بعث بطب القلوب، والعقول، والأنفس، ومهما يكن اعتزازنا بما سماه العلماء "الطب النبوى" فمن المتفق عليه : أن النبى ﷺ، لم يدَّع العلم بالطب، ولا بعث لذلك<sup>(٢)</sup> . أ. هـ .

**والنتيجة :** أن خرج علينا أحد أعداء السنة "نيازى عز الدين" يقول : "الأحاديث التى تحاول أن تنسب للرسول ﷺ، علوماً مثل الطب، كلها أحاديث موضوعة، غايتها حرف الناس عن الحقائق، والعقلية العلمية التى فى آيات القرآن، إلى عقلية تؤمن بالأوهام والخرافات والأباطيل"<sup>(٣)</sup>.

ثم ضرب أمثلة على تلك الأحاديث الموضوعة تعتمد اختيارها من صحيح الإمام البخارى - رحمه الله - وذلك كأحاديث الرقية "اللهم، رب الناس مذهب الياس، اشف أنت الشافى، لا شافى إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً"، وحديث "علاج المبطون بالعسل"، وحديث "لا عدوى ولا صفر"، و"الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام"، و"الكأمة من المن، وماؤها شفاء للعين"، و"من تصبغ بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر" وغير ذلك من الأحاديث التى نقلها من صحيح الإمام البخارى فى كتاب الطب<sup>(٤)</sup>.

وطعن كثير من دعاة الفتنة، وأدعياء العلم فى بعض الأحاديث الطبية، واتخذوا من تقسيم بعض علماء المسلمين "السنة تشريع، وغير تشريع" متكاً قوياً وهم يطعنون فى حجية السنة المطهرة، ورواتها الثقات الأعلام.

وإذا كنا قد بينا سابقاً بالبرهان الواضح أن السنة النبوية كلها وحى، وبيننا بطلان

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه، كتاب الطب، باب دواء عرق النسا ٢ / ٣٣٧، ٣٣٨ رقم ٣٤٦٣، وقال البوصيرى فى (مصباح الرجاجة) : هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات ٣ / ١٢٤ رقم ١٢٠٧ .

(٢) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص ٦٦، ٦٧ باختصار، وانظر : السنة والتشريع لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر ص ١١٠ .

(٣) دين السلطان لنيازى عز الدين ص ٥٢٣ .

(٤) انظر : صحيح البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الطب ١٠ / ١٤١ - ٢٦٣، وانظر : دين السلطان لنيازى عز الدين ص ٥٢٣ - ٥٢٧ .

تقسيم السنة الشريفة إلى سنة تشريعية، وغير تشريعية بما يغنى عن إعادته هنا<sup>(١)</sup>، فسوف نكتفى هنا في الدفاع عن أحاديث "الطب النبوي" إجمالاً بالرد على ابن خلدون فيما ذهب إليه .

يقول الدكتور محمد أحمد السنهوري : أما قول ابن خلدون : "والطب المنقول في الشرعيات ليس من الوحي في شيء وأنه ﷺ، لم يبعث لتعريف الطب"، هذا الكلام يناقض الواقع، والحقيقة؛ لأنه من المعلوم والبدهي أن الرسول ﷺ، كان أمياً ولم يدرى ما الكتاب، والإيمان .

ومن أين له أن يعرف طبائع الدواء أو خصائصه سواء كان هذا الدواء نباتاً أو غذاء إلا إذا كان ربه قد أطلععه عليه؟!

والله ﷻ يقول عن الغسل : ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup> ولم يبين في القرآن الأمراض التي يشفيها هذا الغسل .

ولكن الرسول عالج به المبطون أو صاحب الإسهال .  
فما الذي جعل الرسول ﷺ، يحدد هذا الدواء بالذات لعلاج هذا المرض؟ وما الذي جعله يصر على أن يتناوله المبطون أكثر من مرة؟ لابد أن يكون هذا عن طريق الوحي .

ثم ما الذي جعل الرسول يفضل في دواء الإمساك "السنا" على "الشُّبْرُم" وهما نباتان يستعملان لهذا الغرض<sup>(٣)</sup> . وقد فضّل الأطباء بعد ذلك ما اختاره الرسول ﷺ وتركوا "الشُّبْرُم" وبينوا ضرره وقالوا أنه غير مأمون .  
فهل كان الرسول ﷺ يملك معماً للتحليلات؟ كلا إن هذا الأمر لابد أن يكون قد عرف خصائصه من الوحي .

ثم إن كل قانون طبي وضعه الرسول ﷺ وكل دواء نوه عليه لم يستطع طبيب إلى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أن يثبت عكس كلامه فيه . أو يخرم له قاعده، بل كل يوم يظهر الطب، والعلم، صحة ما ذهب إليه المصطفى ﷺ، وصدق الله ﷻ إذ يقول : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) راجع : إن شئت ١ / ٤٥٧ - ٤٧٢ .

(٢) جزء من الآية ٦٩ من سورة النحل .

(٣) انظر : زاد المعاد ٤ / ٣٢٠ ، ٣٢٨ .

(٤) الآيتان ٤٣ ، من سورة النجم .

أما كون ابن خلدون يريد أن يقيس طب النبي ﷺ، على قصة تأبير النخل، مدعيًا أن طبه كان أمرًا عاديًا ورأيًا شخصيًا له.

فهذا قياس خاطئ ومن الواضح أن هناك فرقاً بين هذا وذاك. فلم يتكلم النبي ﷺ، عن خصيصة دواء من الأدوية أو غذاء من الأغذية ورجع عنه، بخلاف الأشياء التي كانت اجتهداً منه، والتي لا تخرج عن الوحي أيضاً، على ما سبق تفصيله<sup>(١)</sup>.

وأما ادعاؤه بأن الطب النبوي لا يأتي بثمره ولا نتيجة إلا إذا استعمل على جهة التبرك. ويستشهد على هذا بقصة دواء المبطون بالعسل.

فالرد على هذا بأن أى دواء يستلزم من المريض ثقة منه فى مفعوله، وثقة فى طبيبه الذى يداويه. وهذا الكلام معلوم عند الأطباء مسلمهم، وغير مسلمهم قديمهم وحديثهم؛ لأن القوى النفسية لها تأثير عجيب فى القوى الجسدية وهذا عام فى كل مريض وكل دواء<sup>(٢)</sup>.

والقصة التى وردت عن الرجل الذى شرب العسل بعد أربع جرعات لم تبين لنا حال المريض، وإنما تكلمت عن أخيه الذى كان واسطة بينه وبين النبي ﷺ، ولا نستطيع أن نحكم هل كان الرجل يشرب العسل تبركاً أو كان يشربه على أنه دواء، ولا مانع من البركة أيضاً.

وأيما ما كان هذا الأمر : فإن الرجل قد شفى على كل حال، ولو لم تكن فى العسل خاصية ضد مرض الرجل لما شفى من مرضه، وقد ثبت طبياً احتواء العسل على مواد قاتلة للميكروبات، وثبت كونه دواء لهذا المرض.

هذا وقد تناول الرسول ﷺ، فى طبه أدواء كثيرة، وبين خصائص كثير من الأدوية، النباتى منها وغير النباتى<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن قيم الجوزية ميمراً طبه ﷺ، عن طب الأطباء : "وليس طبه ﷺ، كطب الأطباء، فإن طبه ﷺ، متيقن قطعى إلهى صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطب غيره أكثره حلس وظنون وتجارب"<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع : ٤٦١-٤٦٧ .

(٢) انظر : زاد المعاد ٤ / ٧١ .

(٣) انظر : الطب فى السنة للدكتور محمد أحمد السنهورى ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

(٤) زاد المعاد ٤ / ١١ .

ويقول الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة - رحمه الله - فى معرض دفاعه عن حديث الذباب قال : "وقبل أن أذكر رأى الطب الحديث فى حديث الذباب أحب أن أقول : "إننى لست مع النابتة التى نبتت - وبعضهم من أهل العلم، فزعمت أن الطب النبوى، من قبيل الأمور الدنيوية التى يجوز على النبى ﷺ، فيها الخطأ، ويجعلونه من قبيل تأبير النخل، وقوله ﷺ: " أنتم أعلم بأمور دنياكم" (١).

ولا أدرى كيف يقال ذلك فى حديث الذباب مع قوله ﷺ، فيه : "فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر دواء"؟ وقد أتى رسول الله "بأن" التى هى للتأكيد!!

وكيف يكون هذا الأسلوب المؤكد من قبيل الظن والتخمين فى أمر دنيوى؟! بل كيف يكون قوله ﷺ : "من تصبّح بسبع قرات عبوة، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر" (٢) من قبل الظن والتخمين فى أمر دنيوى؟! إن معظم أحاديث الطب - إن لم تكن كلها - إنما ساقها ﷺ، مساق القطع واليقين مما يدل على أنها بوحي من الله - سبحانه وتعالى - .

**والطب طبان :** طب القلوب والأديان، وبه جاء الأنبياء والمرسلون - عليهم الصلاة والسلام - وطب الأبدان، وهذا نوعان : نوع روحانى كالرقى والدعوات، ونوع مادى جسمانى كالاستشفاء بالعسل، والتمر والحبة السوداء، والكمأة ونحو ذلك (٣).  
ورؤية النبى ﷺ، أولاً وبالذات هو طب القلوب والأديان، ولكن شريعته وسنته قد اشتملت على الكثير من طب الأبدان سواء أكان روحانياً أم جسمانياً (٤)، وليس أدل على ذلك من الآيات القرآنية العديدة التى تتحدث عن ذلك كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥).

والآيات القرآنية التى تتحدث عن تطور الجنين فى بطن أمه فى سورة المؤمنون

(١) سبق تحريجه ١/ ٤٥٧ .

(٢) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الطب، باب النواء بالعجوة للسحر ١٠ / ٢٤٩ رقم ٥٧٦٨ - ٥٧٦٩، ومسلم "بشرح النووي" كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة ٧ / ٢٥٠ رقم ٢٠٤٧، من حديث سعد بن أبى وقاص ﷺ واللفظ لمسلم .

(٣) انظر : الطب فى السنة للدكتور محمد السنهورى الفصل السادس (مشكلات أثرت حول بعض الأحاديث والرد عليها) ص ٣٣٠-٣٣٥ .

(٤) دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص ٣٤١ - ٣٤٣ بتصرف .

(٥) الآية ٥٧ من سورة يونس .

وغيرها<sup>(١)</sup> .

والآيات العديدة التى تتحدث عن الطهارة، وخطورة إتيان الرجل زوجته الحائض حتى تطهر . قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله تعالى فى طب غسل النحل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup> .

وبالجملة : فقد جمع رب العزة الطب كله فى نصف آية : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾<sup>(٤)</sup> وقال ﷺ "ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ... " الحديث<sup>(٥)</sup> وقال بعض الحكماء : "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء"<sup>(٦)</sup> .

يقول الدكتور أبو شهبة : وليس أدل على اشتغال السنة المطهرة على طب الأبدان سواء كان روحانياً أم جسمانياً مما اشتمل عليه الصحيحان : صحيح البخارى، وصحيح مسلم وغيرهما من كتب الصحاح، والسنن، والجوامع من "كتاب الطب" ضمن كتبها، وقد جمع بعض العلماء المحدثين فى ذلك كتباً مستقلة، ككتاب "الطب النبوى" لأبى نعيم، وكتاب "الطب النبوى" للسيوطى، وكتاب "الطب النبوى" لابن قيم الجوزية .

والذى يهمنى من كل هذا، أن أنزع من نفوس النابتة التى نبتت، فزعمت أن الطب النبوى من قبيل الأمور الدنيوية التى تحتل الخطأ والصواب - هذا الزعم الباطل الذى لم يقم عليه دليل، بل قامت ضده كثير من الأدلة .

ففى حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ : "أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال : "أخى

(١) انظر : الآيات ١٢-١٤ من سورة المؤمنون .

(٢) الآية ٢٢٢ من سورة البقرة، وانظر : الطب فى السنة للدكتور محمد السنهورى فصل "القواعد الطبية العامة المستنبطة" ص ١٥٤ - ١٩٦، وفصل "الطب الوقائى فى السنة" ص ١٩٧، وفصل "سبق السنة إلى مفاهيم طبية سبقت بها العصر" ص ١٩٧ - ٢٥٠٠ .

(٣) جزء من الآية ٦٩ من سورة النحل .

(٤) جزء من الآية ٣١ من سورة الأعراف .

(٥) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الزهد، باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل ٤/ ٥١٠، ٥٠٩/ رقم ٢٣٨٠ وقال حديث حسن صحيح .

(٦) انظر : الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية للأستاذ غنار سالم ص ٣٦، والطب الوقائى فى الإسلام للعميد الصيدلى عمر محمود عبد الله، والطب الإسلامى للدكتور أحمد طه .

يشتكى بطنه فقال : اسقه عسلاً، ثم أتى الثانية فقال : اسقه عسلاً، ثم أتاه الثالثة فقال : اسقه عسلاً، ثم أتاه الرابعة، فقال فعلت - يعنى فلم يبرأ - فقال ﷺ : "صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً فسقاه - يعنى فى المرة الرابعة - فبرأ"(١).

ويعجبني فى هذا المقام ما قاله الإمام ابن قيم الجوزية قال : "ونحن نقول : إن هاهنا أمراً آخر، نسبة طب الأطباء إليه؛ كنسبة طب الطريقة"(٢) والعجائز إلى طبهم، وقد اعترف به بعض حذاقهم وأئمتهم، فإن ما عندهم من العلم، منهم من يقول : هو قياس، ومنهم من يقول : هو تجربة، ومنهم من يقول : هو إلهامات ومنامات، وحس صائب ومنهم من يقول : أخذ كثير منه من الحيوانات البهيمة ... إلى أن قال : وأين وقع هذا وأمثاله من الوحي الذى يوحى الله إلى رسوله بما ينفعه ويضره، فنسبة ما عندهم من الطب إلى هذا الوحي، كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء، بل هاهنا من الأدوية التى تشفى من الأمراض ما لم يهتد إليه عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم، وأقيستهم من الأدوية القلبية، والروحانية، من قوة القلب والاعتماد على الله والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والانكسار بين يديه والتذلل له، والصدقة، والدعاء، والتوبة والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف، والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها، فوجدوا لها من التأثير فى الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء، ولا تجربته، ولا قياسه. وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية، بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة أدوية الطريقة عند الأطباء"(٣).

يقول الدكتور نور الدين عتر : "ولقد أقر كبار الأطباء الذين اطلعوا على أحاديث "الطب النبوى" بما أتت به هذه الأحاديث، بل قال لى أستاذ فى كلية الطب بجامعة دمشق : "إن النبى ﷺ لم يأت بوصفات طبية سابقة لعصرها فحسب، بل إنه فوق ذلك جاء مقنناً للطب والأطباء"(٤) أ.هـ.

### والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(١) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، وقول الله تعالى "فَبِهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" ١٠/ ١٤٦ رقم ٥٦٨٤، ومسلم "بشرح النووى" كتاب السلام، باب التداوى بعسل النحل ٧/ ٤٦٠ رقم ٢٢١٧، واللفظ للبخارى.

(٢) يريد بعض المتصوفة الذين لا علم لهم بالطب.

(٣) زاد المعاد ٤/ ١٢، ١١ بتصرف، وانظر : دفاع عن السنة للدكتور أبو شهبة ٣٤١-٣٤٥ بتصرف.

(٤) انظر : السنة المطهرة والتحديات للدكتور نور الدين عتر ص ٧٦.

## المبحث الثاني شبه الطلعين في حديث "وقوع الذباب في الإناء" والرد عليها

روى الإمام البخارى في صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:  
"إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في إحدى جناحيه  
شفاء، وفي الآخر داء"<sup>(١)</sup>.

هذا حديث صحيح ثابت عن النبي ﷺ وقد تلقته الأمة بالقبول، وأمنت بمضمون  
ما جاء فيه، وهو معجزة من معجزات نبينا ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ  
إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد طعن أهل البدع والضلال قديماً في صحته بحجة أنه مخالف للعقل، والواقع،  
وأثاروا الشبه من حوله فانبرى للرد عليهم، وكشف شبههم، ودحضها علماء أجلاء،  
فواجهوهم بالحجج الدامغة، والأدلة البينة، فأزالوا تلك الشبه، وبينوا فسادها.

من أولئك العلماء الأفاضل الإمام ابن قتيبة قال في كتابه "تأويل مختلف الحديث"  
أن هذا الحديث صحيح ومن حمل أمر الدين على ما شاهد، فجعل البهيمة لا تقول،  
والطائر لا يسبح... والذباب لا يعلم موضع السم، وموضع الشفاء، واعترض على ما  
جاء في الحديث، مما لا يفهمه، فإنه منسلخ من الإسلام، معطل... مخالف لما جاء به  
الرسول ﷺ، ولما درج عليه الخيار من صحابته، والتابعين لهم بإحسان.

ومن كذب ببعض ما جاء به رسول الله ﷺ، كان كمن كذب به كله... وما  
علمت أحداً ينكر هذا إلا قوم من اللّهيّة<sup>(٣)</sup>، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل  
الكلام، والجهمية<sup>(٤)</sup>.

ومن دافع عن الحديث الإمام الطحاوى - رحمه الله - في كتابه (مشكل الآثار)  
فقال بعد ذكره للحديث، ومن رواه في الصحابة ﷺ: "قائل من أهل الجهل بآثار

(١) البخارى "شرح فتح البارى" كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب في الإناء ١٠ / ٢٦١، ٢٦٠ / رقم ٥٧٨٢،  
وأخرج نحوه في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم ٦ / ٤١٤ / رقم ٣٣٢٠.

(٢) الآية ٤ من سورة النجم.

(٣) قال في اللسان: ورجل دهري: ملحد لا يؤمن بالآخرة، يقول ببقاء الدهر. انظر: لسان العرب ٤ / ٢٩٣.

(٤) تأويل مختلف الحديث ص ٢١٠.

رسول الله ﷺ وبوجوهها : وهل للذباب من اختيار؟ حتى يقدم أحد جناحيه لمعنى فيه، ويؤخر الآخر لمعنى فيه خلاف ذلك المعنى؟

فكان جوابنا في ذلك له بتوفيق الله ﷻ وعونه أنه لو قرأ كتاب الله ﷻ قراءة متفهم لما يقرأ منه، لو جد فيه ما يدل على صدق قول رسول الله ﷺ، هذا وهو قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّمْرَاتِ فَاסْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (١). وكان وحى الله إليها هو إلهامه إياها أن تفعل ما أمرها به .

فمثل ذلك : الذباب ألهمه ﷻ ما ألهمه، مما يكون سبباً لإتيانه لما أراده منه، من غمس أحد جناحيه فيما يقع فيه مما فيه الداء ، والتوقى بجناحه الآخر الذى فيه الشفاء (٢) أ.هـ .

وجاء المحدثون وأعداء السنة فطعنوا في هذا الحديث (٣)، كما طعن فيه أسلافهم، أهل الابتداع من قبل، لم ينزجروا برودود العلماء السابقين، فزادوا على شبه أولئك شبهاً أخرى أنتجت عقولهم التى جهلت حرمة النصوص، وران عليها ظلام قائم فلم تستوعب، ولم تع معانى تلك النصوص فسارعت إلى الإنكار والرد والطعن، كما هو ديدنها، ومنهجها بكل نص جهلت معناه .

وهذا ملخص شبه هؤلاء المحدثين حول هذا الحديث، والتى ردها أعداء السنة (٤):  
أولاً : الحديث من رواية أبى هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة، وقد انفرد به ابن حنن (٥)، ثم طعن فيه بأوجه (٦) .

(١) الآيتان ٦٨، ٦٩ من سورة النحل .

(٢) مشكل الآثار ٤ / ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٣) انظر : مجلة المنار المجلد ١٩ / ٩٧-٩٩، والمجلد ٢٩ / ٤٨-٥١، والسنة والتشريع للدكتور النمر ص ١١٠ .

(٤) انظر : أضواء على السنة ص ٢٢٣، وشيخ المضيرة ص ٢٦٩، ٢٧٧، والأضواء القرآنية ٢ / ٢٣٠، وشبهات حول الشيعة لعباس الموسوى ص ١٤٥-١٤٦، ودفع الشبهات لأحمد حجازى السقا ص ١٦٧، ودراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص ٢٩٥، وقراءة في صحيح البخارى لأحمد صبحى منصور ص ٣٩، وحقيقة الحجاب وحجة الحديث لسعيد العشماوى ص ٩٢ وغيرهم .

(٥) ابن حنن هو : عتيق بن حنين، أبو عبد الله المدنى، روى عن أبى موسى، وزيد بن ثابت، وطائفة، وعنه أبو الزناد، ويحيى بن سعيد، ثقة قليل الحديث مات سنة ١٠٥ هـ . له ترجمة فى : تقريب التهذيب ١ / ٦٤٣ رقم ٤٣٨٤، والكاشف ١ / ٦٨٩ رقم ٣٦١٣ والجرح والتعديل ٥ / ٤٠٤ رقم ١٨٧٢، وطبقات ابن سعد ٥ / ٣٨٥ . ولم أقف على أحد اتهمه أو رماه بما رماه به السيد رشيد رضا، أو أعل هذا الحديث أو غيره بسببه . انظر : مجلة المنار والمجلد ٢٩ / ٤٨-٥٠ .

(٦) انظر : مجلة المنار المجلد ٤٨ / ٢٩-٥٠ .

ثانياً : أنه حديث آحاد يفيد الظن، فلا إشكال في رده، وهو غريب عن التشريع، لأنه يناهض قاعدة تحرير الضار، واجتناب النجاسة، وغريب عن الرأي لأنه يفرق بين جناحي الذباب، فيدعى أن أحدهما به سم ضار، والآخر ترياق نافع.

ثالثاً : أثبت العلم بطلانه، لأن العلم يقطع بمضار الذباب.

رابعاً : موضوع متنه ليس من عقائد الإسلام، ولا من عباداته، ولا من شرائعه، ولم يعمل به أحد من المسلمين وهو في أمر من أمور الدنيا كحديث "تأبير النحل" وبالتالي من ارتاب فيه لم يضع من دينه شيئاً.

خامساً : تصحيحه من المطاعن التي تنفر عن الإسلام، ويفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام.

سادساً : البحث فيه عقيم، لا يجب أن يشغل الناس به، وقد وصلوا إلى مخترعات ومكتشفات من العلوم. ولذا يجب ترك البحث فيه إلى ما وصل إليه العلم من أحكام لا تنقض ولا ترد<sup>(١)</sup>.

**ويجاء على هذه الشبه بما يلي :**

أولاً : لم ينفرد البخاري - رحمه الله - بإخراج هذا الحديث، كما أن أبا هريرة لم ينفرد بروايته عن النبي ﷺ، وعبيد بن حنن، لم ينفرد بروايته عن أبي هريرة أيضاً. فقد أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والدارمي، وأحمد، والبيهقي، وابن خزيمة، وابن حبان، والبقوي، وابن الجارود، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢).

وأخرجه النسائي، وابن ماجه، وأحمد، والبيهقي، وابن حبان، والبقوي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه البزار، والطبراني من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (٣)،

(١) انظر : مجلة المنار المجلد ٤٨/ ٢٩-٥٠، والمصادر السابقة ص ٣٤٣. وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ٢ / ٢٦٠.

(٢) أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب في الذباب يقع في الطعام ٣ / ٣٦٥، رقم ٣٨٤٤، وابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب يقع الذباب في الإناء ٢ / ٣٤٩، رقم ٣٥٠٥، والدارمي في سننه، كتاب الأطعمة، باب الذباب يقع في الطعام ٢ / ١٣٥، رقم ٢٠٣٩، وأحمد في مسنده ٢ / ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٦، ٤٤٣، والبيهقي في سننه كتاب الطهارة، باب ما لا نفس له تسيل ٤ / ٥٣، والبقوي في شرح السنة كتاب الصيد، باب الذباب يقع في الشراب ١١ / ٢٥٩، ٢٦١، رقم ٢٨١٣، ٢٨١٤، وابن الجارود في المنتقى، باب في طهارة الماء والقدر الذي ينحس ولا ينحس ص ٢٦ رقم ٥٥.

(٣) النسائي في سننه كتاب الفرع والعنبر، باب الذباب يقع في الإناء ٧ / ١٧٨، ١٧٩، رقم ٤٢٦٢، وابن ماجه في الأماكن السابقة ٢ / ٣٤٩، رقم ٣٥٠٤، وأحمد في المسند ٣ / ٢٤٦، ٢٤٧، والبيهقي في الأماكن السابقة والصفحات، وابن حبان في الأماكن السابقة ٤ / ٥٥ - ٥٦، والبقوي في الأماكن السابقة رقم ٢٨١٥، والطبراني في الأوسط ٥ / ٤١، وعزاه الميثمي في مجمع الزوائد إلى البزار وقال : رجاله رجال الصحيح.

ورواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين<sup>(١)</sup>.

ولو لم يرد هذا الحديث إلا في صحيح البخارى، لكان صحيحاً مقبولاً، إذ البخارى هو أصح الكتب بعد كتاب الله وأحاديثه في أعلى درجات الصحة. يقول فضيلة الدكتور أبو شهبة: "ولم أجد لأحد من النقاد، وأئمة الحديث طعناً في سنده؛ فهو في درجة عالية من الصحة، وكل ما وقع فيه من الطعن من بعض المتساهلين، والجهلاء، والمبتدعة، إنما هو من جهة متنه<sup>(٢)</sup>."

ولو تفرد به أبو هريرة رضي الله عنه لما وجدوا إلى الطعن في صحته سبيلاً. خلافاً لبعض غلاة الشيعة الجعفرية، ومن تبعهم من الزائغين، حين طعنوا في الصحابي الجليل لأن الحديث من روايته واتهموه بأنه يكذب فيه على رسول الله ﷺ، وحاشاه من ذلك. فهذا هو التحقيق العلمي يثبت صدق أبي هريرة، وأنه برئ من طعن الطاعنين، وأن الطاعن فيه هو الحقيق بالطعن فيه، لأنهم رموا صحابياً بالبهت، وردوا حديث رسول الله ﷺ مجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة! وقد رواه غيره من الصحابة كما علمت.

وليت شعري هل علم هؤلاء بعدم تفرد أبي هريرة بالحديث، وهو حجة لو تفرد، أم جهلوا ذلك؟

فإن كان الأول فلماذا يتعللون برواية أبي هريرة إياه، ويوهمون الناس أنه لم يتابعه أحد من الصحابة الأجلاء؟!

وإن كان الآخر فهلا سألوا أهل الاختصاص والعلم بالحديث الشريف؟ وما أصدق القائل:

فإن كنت تدري فتلك مصيبة \*\*\* وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم<sup>(٣)</sup>  
وعُبَيْد بن حُنَيْن ثقة لا مطعن فيه، ولم يذكره الحافظ فيمن تكلم فيهم من رجال البخارى في هدى السارى، ولم أقف على من طعن في توثيقه من العلماء، ولعمري لو تفرد برواية الحديث عن أبي هريرة لقبول تفرده، فإن تفرد مثله لا يقدر في صحة الحديث. كما هو مقرر في علم مصطلح الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) وهم: عُبيد بن حُنَيْن، وسعيد المقبري، وثمامة بن عبد الله بن أنس، وأبو صالح، وعبد بن سيرين.

(٢) دفاع عن السنة ص ٣٣٨، وانظر: مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢/ ١٢٤ الهامش.

(٣) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني ١/ ٦٠.

(٤) وانظر: موقف المدرسة العقلية من السنة ٢/ ٢٦١ - ٢٦٣.

ثانياً : وكون الحديث آحاداً ومن أجل ذلك سهل رده، قول مردود، وحجة داحضة، وقد سبق الكلام عن ذلك فلا إعادة ههنا<sup>(١)</sup>.

وقول السيد رشيد رضا بأنه : غريب عن التشريع؛ لأنه يناهض قاعدة تحريم الضرر، واجتناب النجاسة .

يرد عليه : بأن الحديث لم ينف ضرر الذباب بل أثبت ذلك، فذكر أن في أحد جناحيه داء، ولكنه زاد ببيان أن في الآخر شفاء، وأن ذلك الضرر يزول إذا غمس الذباب كله<sup>(٢)</sup>.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : "وأعلم أن في الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم، والحكمة العارضة عن لسعة، وهي بمنزلة السلاح، فإذا أسقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه، فأمر النبي ﷺ أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه في جناحه الآخر من الشفاء، فيغمس كله في الماء والطعام، فيقابل المادة السمية المادة النافعة، فيزول ضررها، وهذا طب لا يهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج، ويقر لمن جاء به، بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحي إلهي خارج عن القوة البشرية<sup>(٣)</sup>.

وقال الشوكاني - رحمه الله - : "والفائدة في الأمر بغمسه جميعاً هي أن يتصل ما فيه من الدواء بالطعام أو الشراب كما اتصل به الداء، فيتعادل الضرر والنافع فيندفع الضرر"<sup>(٤)</sup>.

والقول بنجاسة الذباب لا دليل عليه؛ لأنه لا ملازمة بين الضرر والنجاسة، ولذا كان هذا الحديث من أدلة العلماء على أن الماء القليل لا يتنجس بموت ما لا نفس له سائلة فيه، إذ لم يفصل الحديث بين موت الذباب، وحياته عند غمسه<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام الخطابي - رحمه الله - : "فيه من الفقه: أن أجسام الحيوان طاهرة، إلا ما دلت عليه السنة من الكلب وما لحق به في معناه، وفيه دليل: على أن ما لا نفس له

(١) راجع إن شئت ١/ ٤٩٩، ٤٩٨، ٢/ ١٨-٣٢، ٢١٥-٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٤٨، ٢٤٩ .

(٢) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني المجلد ١ / ٦١ .

(٣) زاد المعاد ٤ / ١١٢ .

(٤) نيل الأوطار ١ / ٥٦، وانظر : سبل السلام ١ / ٣٧ .

(٥) انظر : فتح الباري ١٠ / ٢٦٢ رقم ٥٧٨٢، ونيل الأوطار ١ / ٥٦، وسبل السلام ١ / ٣٧ .

سائلة إذا مات فى الماء القليل لم ينجسه، وذلك أن غمس الذباب فى الإناء قد يأتى عليه . فلو كان نجسه إذا مات فيه، لم يأمر بذلك . لما فيه من تنجس الطعام، وتضييع المال، وهذا قول عامة العلماء<sup>(١)</sup> .

والقول بأنه لا فرق بين جناحى الذباب بأن يحمل أحدهما سماً، والآخر شفاء . قول يناهض الحديث، بل ويخالف الواقع من اجتماع كثير من المتضادات فى الجسم الواحد كما هو مشاهد معروف . وقد أجاب عن ذلك العلماء فى السابق . ولا أدرى أجهل ذلك الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - مع سعة إطلاعه ونصرتة للسنّة - أم تجاهله؟ وكلا الأمرين ذميم فى حقه، وقد ذكر ذلك معاصروه<sup>(٢)</sup> . قال الحافظ ابن حجر : "وقال الخطابى : تكلم على هذا الحديث من لا خلاق له فقال كيف يجتمع الشفاء والداء فى جناحى الذباب؟ وكيف يعلم ذلك من نفسه حتى يقدم جناح الداء، ويؤخر جناح الشفاء، وما ألجأه إلى ذلك؟ قلت : وهذا سؤال جاهل، أو متجاهل، فإن كثيراً من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة . وقد ألف الله بينها وقهرها على الاجتماع، وجعل منها قوى الحيوان .

وإن الذى ألهم النحلة اتخاذ البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه، وألهم النملة أن تدخر قوتها أو أن حاجتها، وأن تكسر الحبة نصفين لثلاث تستنبت، لقادر على إلهام الذبابة أن تقدم جناحاً، وتؤخر آخر .

وقال ابن الجوزى : ما نقل عن هذا القائل ليس بعجيب، فإن النحلة تعسل من أعلاها، وتلقى السم من أسفلها، والحية القاتل سمها تدخل لحومها فى الترياق الذى يعالج به السم، والذبابة تسحق مع الإثمد لجلاء البصر"<sup>(٣)</sup> أ.هـ .

ثالثاً : والقول بأن العلم يثبت بطلانه لأنه قطع بمضار الذباب، قول من جهل معنى الحديث، وعجز عن فهمه . والحديث كما أسلفت لم ينف ضرر الذباب بل نص على ذلك صراحة . وهل علماء الطب وغيرهم أحاطوا بكل شيء علماً؟! حتى يصبح قولهم هو الفصل الذى لا يجوز مخالفته . بل هم معترفون كل الاعتراف

(١) معالم السنن ٥ / ٣٤٠-٣٤١، وانظر: زاد المعاد ٤ / ١١١-١١٢، وشرح السنة للبغوي ١١ / ٢٦٠ .

(٢) انظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢ / ١٢٨ فى الهامش، ودفاع عن السنّة للدكتور محمد أبو شهبة ص ٣٣٨ .

(٣) انظر : فتح الباري ١٠ / ٢٦٣ رقم ٥٧٨٢ وانظر : معالم السنن ٥ / ٣٤١-٣٤٢، وتأويل مختلف الحديث ص ٢١٠، ٢١٢ .

بأنهم عاجزون عن الإحاطة بكثير من الأمور<sup>(١)</sup>، وهنالك نظريات كانت تؤخذ على وجه التسليم تبين فسادها فيما بعد، إذ علومهم خاضعة للتجارب والاختبارات .  
بينما الذى نطق به رسول الله ﷺ وحي من عند الله تعالى، العلم بخفاء ما غاب عن الخلق جميعاً، ولا زال علماء الطب يطلّون على العالم فى كل يوم باكتشافات جديدة لعقاقير طبية وأدوية وافية لم تكن عُرفت من قبل .

ثم هل يتوقف إيماننا بصدق كل حديث ورد فيه أمر طبى عن النبى ﷺ، حتى يكشف لنا الأطباء بتجاربيهم صدقة أو بطلانه؟

وأيّن إيماننا إذن بصدق نبوة رسول الله ﷺ، ووحى الله إليه!؟

إن حديث رسول الله ﷺ، برهان قائم بنفسه لا يحتاج إلى دعم خارج عنه، فعلى الأطباء بل والناس جميعاً التسليم بما جاء فى هذا الحديث والتصديق به إن كانوا مسلمين، وإن لم يكونوا كذلك فليزعمهم التوقف إن كانوا عقلاء .

والمسلم لا يهمه كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب ما دام ثبت عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> .

هذا كله يقال على فرض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث بالصحة .  
ومع ذلك فقد وجد من الأطباء المعاصرين من أيد مضمون ما جاء فى هذا الحديث من الناحية الطبية، وهنالك كثير من البحوث والمقالات فى هذا الجانب، منها المطول ومنها المختصر .

اختار منها ما ذكره أحد الأطباء المصريين العصريين بجمعية "الهداية الإسلامية" بالقاهرة قال - رحمه الله - : "يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تنشأ منها الأمراض المختلفة، فينقل بعضها بأطرافه، ويأكل بعضاً، فيتكون فى جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ "مبعد البكتريا" وهى تقتل كثيراً من جراثيم الأمراض، ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير فى جسم الإنسان فى حال وجود مبعد البكتريا . وأن هناك خاصية فى أحد جناحي الذباب، هى أنه يحول البكتريا إلى ناحيته، وعلى هذا فإذا سقط الذباب فى شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه فى ذلك الشراب، فإن أقرب ميّد لتلك الجراثيم وأول واق منها هو مبعد البكتريا الذى يحمله الذباب فى جوفه قريباً من أحد جناحيه . فإن

(١) انظر: مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢ / ١٢٤ فى الهامش، والأنوار الكاشفة ص ٢٢١ .

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد ١ / ٦١، وموقف المدرسة العقلية من السنة ٢ / ٢٦٩، ٢٦٨ .

كان هناك داء فدواؤه قريب منه، وغمس الذباب كله وطرحه كاف لقتل الجراثيم التي كانت عالقة، وكاف في إبطال عملها. وقد كتب بعض الأطباء الغربيين نحو ذلك. وبذلك ظهر أن هذا الحديث صحيح السند والمتن، فهل بقي للمنكرين من حجة يحتجون بها؟ اللهم إلا الهوى<sup>(١)</sup>.

رابعاً: الزعم بأن موضوعه ليس من عقائد الإسلام ولا من عباداته... إلخ. زعم قصيد من وراءه، تحقير الحديث وتهوين لأمره، وتنفير الناس عنه، وهي دعوى تتكرر كلما عجزوا عن إقامة الدليل على عدم صحة حديث ما، ولذلك يكترون من ذكر هذه العبارات التي لا تدل إلا على تنصل صاحبها من اتباع سنة رسول الله ﷺ والعمل بها.

والإسلام دين كامل، بعقائده، وعباداته، ومعاملاته، وأخلاقه، لا يحقر جزء من جزئياته، ولا فرع من فروعه، ولا يستهان به.

وقد أمر الله المؤمنين بالتمسك بكل شعب الإيمان وشرايع الإسلام من غير تفريط في جانب منها مع القدرة على ذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير في معنى هذه الآية: "يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرايعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره، ما استطاعوا من ذلك"<sup>(٣)</sup>.

والقول بأنه لم يعمل به أحد من المسلمين، قول عار عن الصحة، ودعوى جريئة جاء الحق بخلافها.

روى عبد الله بن المثنى<sup>(٤)</sup>، عن عمه ثمامه<sup>(٥)</sup>؛ أنه حدثه قال: كنا عند أنس، فوقع

(١) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٤/ ٥٥، الهامش، ودفاع عن السنة ٣٤٥، ٣٤٦، وسلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد ١/ ٦١، وموقف المدرسة العقلية من السنة ٢/ ٢٦٩، ٢٧٠، والسنة المطهرة والتحديات للدكتور نور الدين عزّ ص ٨٠-٨١.

(٢) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٤٧.

(٤) هو: عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري، أبو المثنى البصري، روى عن عمومه، والحسن، وعنه ابنه عماد، ومسدد، وعبد الواحد بن قيس. قال ابن معين وأبو زرعة: صالح. وقال الحافظ ابن حجر: صدوق كثير الغلط. له ترجمة في: تقريب التهذيب ١/ ٢٧٠ رقم ٣٥٨٢، والكاشف ١/ ٥٩٢ رقم ٢٩٤٢، والجرح والتعديل ٥/ ١٧٧ رقم ٨٣٠.

(٥) هو: ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك، الأنصاري، البصري، قاضيهما. روى عن جده، والبراء وعن أبي هريرة مرسلًا. وعنه عبد الله بن المثنى، وعمر. قال أبو حاتم والذهبي ثقة. وقال الحافظ ابن حجر: صدوق. له ترجمة في: تقريب التهذيب ١/ ١٥٠ رقم ٨٥٥، والكاشف ١/ ٢٨٥ رقم ٧١٦. والجرح والتعديل ٢/ ٤٦٦ رقم ١٨٩٣.

ذباب فى إناء فقال أنس<sup>(١)</sup> بأصبغه فغمسه فى ذلك الإناء ثلاثاً ثم قال : بسم الله .  
وقال : إن رسول الله ﷺ أمرهم أن يفعلوا ذلك<sup>(٢)</sup> .

وروى أحمد من طريق سعيد بن خالد<sup>(٣)</sup> قال : "دخلت على أبى سلمة فأتانا يزيد  
وكتلة<sup>(٤)</sup>، فأسقط ذباب فى الطعام، فجعل أبو سلمة<sup>(٥)</sup> يحمله بأصبغه فيه فقلت : يا  
خال ! ما تصنع؟ فقال : إن أبا سعيد الخدرى حدثنى عن رسول الله ﷺ : "إن أحد  
جناحي الذباب سم، والآخر شفاء، فإن وقع فى الطعام، فامقلوه<sup>(٦)</sup>، فإنه يقدم  
السم، ويؤخر الشفاء"<sup>(٧)</sup> .

فأنس صحابى، وأبو سلمة تابعى، وقد عملاً بمضمون هذا الحديث، فكيف يزعم  
بأن أحداً من المسلمين لم يعمل به؟<sup>(٨)</sup> .

هذه دعوى، وغيرها كثير، يطلقها أولئك القوم من غير علم ولا تحقيق؛ ليخدعوا  
بها السذج من الناس، ويحدث من جرائمها شر وفساد عريض<sup>(٩)</sup> .

والقول بأن الحديث لا دخل له فى التشريع، وأنه من أمور الدنيا .

قول يحتاج إلى ما يدل عليه، فالحديث فيه أمر إرشادى من النبى ﷺ، لعلاج حالة

---

(١) قوله "فقال أنس" : يراد به الفعل . لأن العرب تجعل القول عبارة لجميع الأفعال، وتطلقه على غير اللسان  
والكلام فتقول : قال بيده : أى أخذ . وقال برجله : أى مشى ... إلخ . انظر : النهاية ٤ / ١٢٤ ، والقاموس المحيط  
٤ / ٤١ ، ٤٢ .

(٢) ذكره الحافظ فى الفتح : وقال أخرجه البزار ورجاله ثقات، ورواه حماد بن سلمة، عن ثمامة فقال "عن أبى  
هريرة" ورجحها أبو حاتم، وأما الداقطنى : فقال : "الطريقان محتملان" انظر : فتح البارى ١٠ / ٢٦١ ، ٢٦٢ رقم  
٥٧٨٢ .

(٣) سعيد بن خالد هو : ابن عبد الله بن قارظ، الكتانى، المدنى، حليف بنى زهرة، روى عن ربيعة بن عباد وابن  
المسيب، وعنه ابن أبى ذئب، وابن إسحاق . صلوق له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ٤ / ٢٠ رقم ٢٦٦٠ ،  
وتقريب التهذيب ١ / ٣٥١ رقم ٢٢٩٨ ، والكاشف ١ / ٤٣٤ رقم ١٨٧٣ ، والجرح والتعديل ٤ / ١٦ رقم ٦٢ .

(٤) الكتلة : هو ما جمع من التمر والطين واللحم وغير ذلك انظر : النهاية ٤ / ١٥٠ ، والقاموس المحيط ٤ / ٤٣ .

(٥) أبو سلمة : هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى، المدنى قبل اسمه عبد الله، وقيل إسماعيل . أحد الأئمة  
الثقات المكثرين . روى عن أبيه، وعافشة، وأبى هريرة، وعنه ابنه عمر، والزهرى محمد بن عمرو مات سنة ٩٤ هـ .  
له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٢ / ٤٠٩ رقم ٨١٧٧ ، والكاشف ٢ / ٤٣١ رقم ٦٦٦١ ، وطبقات الحفاظ  
للسيوطى ص ٣٠ رقم ٥٠ ، ومشاهير علماء الأمصار ص ٨٣ رقم ٤٣٠ ، والثقات للعجلي ص ٤٩٩ رقم ١٩٦٠ .  
(٦) فامقلوه أى اغمسوه فى الماء ونحوه . انظر النهاية ٤ / ٣٤٧ .

(٧) المسند ٣ / ٦٧ .

(٨) انظر : السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين حيث ضرب أمثلة عملية على عمل كثير من  
المسلمين بهذا الحديث . وإن لم يشعروا بأنهم يعملون بالحديث ص ٥٥-٥٨ .

(٩) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ٢ / ٢٧١-٢٧٣ .

إذا وقعت ولا حيلة للمرء في دفعها، وهى "إذا وقع الذباب" أى رغماً عنكم، ولم يكن لكم حيلة فى دفعه، وأردتم الانتفاع بما وقع فيه من طعام أو شراب، فعليكم بغمسه كله .

فالأمر بالغمس أمر إرشاد لا أمر إيجاب، يأتى تاركه، إذ لم يقل بذلك أحد<sup>(١)</sup> .

أما قياس حديث الذباب بحديث تأبير النخل فغير صحيح .

فحديث الذباب حديث تشريعى، وأفاد حكماً شرعياً، بأن ما لا نفس له سائلة إذا مات فى الماء القليل لم ينجسه<sup>(٢)</sup> .

كما أفاد جواز أكل أو شرب ما وقع فيه الذباب بعد غمسه كله لمن شاء ورغب فى ذلك . ولا شك أن كل ذلك حكم شرعى<sup>(٣)</sup> .

خامساً: أما القول بأن تصحيح الحديث من المطاعن التى تنفر عن الإسلام... إلخ ما ذكره . فقول ساقط يحمل بين طياته استدراكاً على النبى ﷺ، الذى كان أحرص الناس على دين الله ﷻ، وسد كل منافذ الطعن والقدح فيه .

وكيف يكون فى شريعة الله ما ينفر وهو القائل ﷺ : "بشروا ولا تنفروا . ويسروا ولا تعسروا"<sup>(٤)</sup> .

وهل يعقل أن تكون أقواله التى نطق بها، وأفعاله التى فعلها منفرة للناس؟! وأين موضع التنفير فى هذا الحديث؟ إلا أنه أثبت أن فى جناح الذباب شفاء؟ أياكون هذا تنفيراً؟ بالخفة العقول!

وأين هذه الشبهة التى يفتحها على الدين حتى يستغلها أعداء الإسلام؟ وهل وقف أعداء الإسلام فيما يثيرونه من شبه عند حديث الذباب وحده؟ بل قد أثاروا شبهاً لا حصر لها فى أمور لا تخفى على أحد، بل حتى القرآن الذى نقل بالتواتر جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر؛ هل سلمت أحكامه من شبه أعداء الإسلام؟

---

(١) انظر : السنة والتشريع لفضيلة الدكتور موسى شاهين ص ٥٤، ٥٥، ودفاع عن السنة لفضيلة الدكتور محمد أبو شعبة ص ٣٥٢ .

(٢) راجع : ص ٣٤٦، ٣٤٧ .

(٣) راجع : نقض دليل تقسيم السنة إلى سنة تشريعية، وغير تشريعية ١/ ٤٦٨-٤٧٢ .

(٤) أخرجه مسلم "شرح النورى" كتاب الجهاد والسير، باب فى الأمر بالتيسير وترك التنفير ٦/ ٢٨٣ رقم ١٧٣٢ من حديث أبى موسى الأشعرى ﷺ .

وهل إذا رددنا حديث الذباب، بل ورددنا السنة كلها، يكف ذلك شبههم عنا؟  
ويستحيون بعد ذلك لديننا ويلتزمون بشريعتنا؟  
بل لو تتبعنا شبههم - قاتلهم الله - ورددنا كل أمر اشتبهوا فيه ما بقى لنا من ديننا ما نتمسك به .

ولماذا هذه المجاملة، وهذا التنازل لأعداء الإسلام على حساب ديننا؟  
وما الذى يضرنا من شبههم، ونحن موقنون بأن ما جاءنا به رسول الله ﷺ هو الحق الذى لا مريه فيه، وما يقذف به أعداء الإسلام شبه باطلة داحضة لا قيمة لها من الصحة . وهل بعد ظهور ما يؤيد صدق الحديث من الناحية الطبية، تظل شبههم عالقة به؟ (١) .

سادساً : أما القول بأن البحث فى الحديث عقيم ... إلخ .  
فهو قول من جهل مقام النصوص، وضعف احترامه لها، إن لم يكن قد عدم تماماً .  
إن ما بذله بعض الأطباء الأفاضل من جهود حول تأييد هذا الحديث من الناحية الطبية، يجب أن يشكروا عليه ولا يذموا بما قدموا، إذا كانوا يهدفون من وراء ذلك دفع الشبه التى ألصقت بهذا الحديث، وبيان أن العلم الحديث لا ينافيه .  
والحقيقة إن هذه البحوث وإن كانت تزيد الإنسان إيماناً بصدق الحديث، إلا أن الإيمان لا يتوقف عليها، إذ الحديث حجة قائمة بنفسه .

ويكفى فى فصل هذه البحوث أنها نقضت الذى طبل من أجله أعداء السنن وزمروا، من أمثال النظام، وأتباعه من المستشرقين، وغلاة الشيعة، وأتباعهم أمثال محمود أبو ريه، الذى ذهب إلى وجوب ترك البحث فى هذا الحديث إلى ما وصل إليه العلم بأبحاثه الدقيقة، وتجاربه الصحيحة التى لا يمكن نقضها، ولا يرد حكمها .

والذى يعجب منه الإنسان أن نظريات الغرب المتناقضة المختلفة التى لا تستقر على حال، تصبح عند هؤلاء أحكاماً مسلمة لا تنقض، ولا ترد، وحديث النبى ﷺ الصادق الذى لا ينطق عن الهوى، يطعن فيه، ويرد بغير حجة، ولا دليل .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر : "والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث، لما وقر فى نفوسهم من أنه ينافى المكتشفات الحديثة، من الميكروبات ونحوها، وعصمهم إيمانهم عن أن يجرؤوا على المقام الأسمى، فاستضعفوا أبا هريرة .

(١) موقف المدرسة العقلية من السنة ٢ / ٢٧٧، ٢٧٨ .

والحق أيضاً أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ولكنهم لا يصرحون! ثم اختطوا لأنفسهم خطة عجيبة : أن يقدموها على كل شيء، وأن يؤولوا القرآن بما يخرجه عن معنى الكلام العربى ، إذا ما خالف ما يسمونه "الحقائق العلمية" وأن يردوا من السنة الصحيحة ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه! افتراء على الله، وحباً فى التجديد" (١) أ.هـ.

وبعد

فهذه نماذج قليلة من الأحاديث الصحيحة التى وجهت إليها نقود من أعداء السنة قديماً وحديثاً، لا يهام المسلمون أنها غير صحيحة، وأنها تتعارض مع عقولهم الزائفة، أو مع كتاب الله ﷻ، أو مع العلم أو غير ذلك من أصولهم الفاسدة التى حكموا بها على الأحاديث صحة أو ضعفاً.

والحق أن هؤلاء الجاهلين من الغباء بحيث لا ينبغى أن يعاب بهم أو يكثرث بما يقولون.

فالتصدى للأحاديث الصحيحة ، ومحاولة تضعيفها يكشف عن أن أصحابها لا يعرفون شيئاً أو يتجاهلون ليثبتوا كيدهم للسنة بل للإسلام" (٢).

وحقيق بكل مسلم أن يعلم أن للحديث الصحيح ثمرات طيبات ونتائج باهرات نذكر بعضها فى الفصل التالى.

(١) مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢ / ١٢٥، الهامش، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة ٢ / ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٢) انظر : نصوص من السنة ودفاع عنها للدكتور رفعت فوزى المقدمة، والسنة النبوية الشريفة للدكتور أحمد كريمة ص ٧٠، وطلاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها للدكتور صالح أحمد رضا ص ٦٩ ، ٧٠ .



## الفصل التاسع

### ثمرات ونتائج الحديث الصحيح

للحديث الصحيح ثمرات طيبات ونتائج باهرات منها :

١- إذا صح الحديث وجب العمل به، حتى ولو لم يخرج به الشيخان ما دامت قد ثبتت صحة الحديث، وعلى ذلك اتفاق العلماء<sup>(١)</sup>.

يقول فضيلة الدكتور مروان شاهين : "ودع عنك يا أخى ترهات المعاندين فى هذه المسألة، فإن القضية متعلقة بالإيمان وعدمه، والمؤمنون لا يقدمون أبداً أى قول على قول الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يمكن لمسلم أبداً أن يتوقف فى العمل بحديث ثبتت صحته عند العلماء، وحاشاه أن يكون من المعاندين، إن المؤمن يسارع إلى تنفيذ حكم الله تعالى، وتنفيذ ما ثبت صحته من حكم رسول الله ﷺ، وهكذا شأن أئمة الإسلام جميعاً، الأئمة الأربعة وغيرهم، وتواترات على ذلك أقوالهم، والإمام الشافعى وغيره قد قال : "إذا صح الحديث فهو مذهبي"<sup>(٢)</sup>.

٢- العمل بالحديث الصحيح واجب، حتى ولو كان عمل أكثر الأمة بخلافه، لأن الأصل المقدم دائماً هو قول الله تعالى، وقول رسوله ﷺ، ومعنى وجوب العمل بالحديث الصحيح هنا، الاحتجاج والعمل به بوجه عام، باعتباره وحياً أوحى الله ﷻ به إلى رسوله ﷺ، أو أقره عليه<sup>(٣)</sup>.

٣- لزوم العمل بالصحيح متى علمنا به بدون إبطاء، وقد تراجع كثير من الصحابة عن القول بأرائهم متى بلغهم حديث رسول الله ﷺ.

٤- متى صح الحديث صار أصلاً من الأصول، ولا يحتاج إلى عرضه على أصل آخر والأصول تتوافق، وما يبدوا من ظاهرها من التعارض أحياناً، فإن العلماء قد بينوا

(١) نزهة النظر ص ٢٦، وانظر : قواعد التحديث للقاسمى ص ٨٧ .

(٢) انظر : الفقيه والمتفقه ١/٣٨٨ رقمى ٤٠٥، ٤٠٦، ومناقب الشافعى للرازى ص ٣١٧-٣١٩، وتيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير ص ١٧٢، ١٧٣ .

(٣) انظر : الفقه الإسلامى مروته وتطوره للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ص ٦١، ٦٢ .

وجوه الجمع بينها بحيث يندفع التعارض فى النهاية بإذن الله<sup>(١)</sup>.

هـ - ينبغى أن يفهم عن الرسول ﷺ، مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده، وما قصده من الهدى والبيان .  
وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال عن الصواب، ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، بل سوء الفهم عن الله ﷻ ورسوله ﷺ أصل كل بدعة، وضلالة، نشأت فى الإسلام .

وهل أوقع القدرية، والمرجئة، والخوارج، والمعتزلة، والجهمية، والروافض، وسائر طوائف أهل البدع والإلحاد قديماً وحديثاً فى زيغهم؛ إلا سوء الفهم عن الله ﷻ ورسوله ﷺ؟!<sup>(٢)</sup>.

هذا وللعلامة القاسمى فى قواعد التحديث، كلام طيب ورائع، حول ثمرات الحديث الصحيح، فليراجعها من يشاء؛ فإنها مفيدة"<sup>(٣)</sup>.

(١) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير ص ١٧٣ .

(٢) الروح لابن قيم الجوزية ص ٨٧، ٨٨ بتصرف .

(٣) انظر : قواعد التحديث ص ٨٥ - ١٠٢ .

## الفصل العاشر

### "مضار رد الأحاديث النبوية الصحيحة"

التشكيك والظعن في الأحاديث النبوية الصحيحة، وردها، له مضاره الخطيرة على ديننا، وعلى وحدة أمتنا الإسلامية، ومن تلك المضار :

أولاً : إخراج ما هو من الدين : فكما أن وضع الأحاديث بالاختلاق والكذب يدخل في الدين ما ليس منه، فإن رد صحيحها يخرج من الدين ما هو منه، وهذا عين الابتداع؛ لأنه يكون بالزيادة والنقص .

ثانياً : إشاعة البلبلة الفكرية، وتلك مصيبة كبرى لا يدرك أخطارها الحالية والمستقبلية هؤلاء اللاعبون بالنار؛ لأنها تفتح الباب على مصراعيه لفقد النصوص قداستها وحرمتها وتمهد السبل لأذنان العلمانية ومن يشاطرهم الكيد للإسلام، والتطاول على النصوص، والاستخفاف بها، وأخذ ما يتفق مع الأمزجة وهجر ما عداها<sup>(١)</sup> .

وسيتحمل هؤلاء إثم تفرقة الأمة الإسلامية، وإثارة البلبلة بين صفوفها . أهـ

وفي الختام ... نسأله -جلا جلاله- أن يجعلنا ممن يكون هواه تبعاً لما جاء به المصطفى ﷺ قلوبنا في حياتنا كلها، الشخصية، والاجتماعية، وأن ينفع بهذا البحث أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وأن يكون سهاماً مسمومة في نحر أعداء الإسلام في كل زمان ومكان .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ...

(١) السنة النبوية للدكتور أحمد محمد كريمة ص ٧٧ ، وانظر : الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد ص ٩٧ - ٩٨ .



الخاتمة  
في  
نتائج هذه الدراسة  
ومقترحات  
وتوصيات



## الخاتمة

وفي نهاية المطاف نلخص أهم ما وصلت إليه هذا الكتاب من نتائج ومقترحات وتوصيات :

١- أن مؤامرة التشكيك في حجية السنة المطهرة ومكانتها التشريعية أخذت طريقها إلى عقول بعض الفرق في الماضي، كما أخذت طريقها إلى عقول المستشرقين، ومن استمالوهم من أبناء المسلمين في الحاضر .

٢- أن معركة أعداء الإسلام مع السنة المطهرة تتسم من جهة أعدائها بالدقة، والتنظيم، والكيد المحكم، كما تتسم من جهة المسلمين بالبراءة، والغفلة، والدفاع العفوى، دون إعداد سابق أو هجوم مضاد .

٣- أن القواعد التي ينطلق منها أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد لها واحدة فشبهاة القدماء هي نفسها شبهاة المعاصرين . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال ﷺ : ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

٤- تأثر الفرق الكلامية بالفلسفة اليونانية، وأعطوها صبغة إسلامية ليستعينوا بها على نظرياتهم وجدلهم، فكان ذلك ذا أثر بالغ في رد النصوص بالعقل، وفتح باب شر عظيم على أمة الإسلام، دخل منه كثيرون من أعداء الإسلام، وتأثر بذلك بعض أبناء المسلمين .

٥- مخالفة الفرق الكلامية منهج السلف في فهم النصوص، وعجز عقولهم عن الفهم الصحيح لها، أدى بهم إلى الاضطراب، وعدم الاستقرار المنهجي .

٦- أن أهل السنة والجماعة هي الفرقة الوحيدة التي حالفها الصواب والسداد في فهم النصوص من الكتاب والسنة، حيث لم يقدموا العقل على نصوص الوحي، ولم يلغوا عمله، بل وقفوا به عند حده الذي حده الله له، فأعملوه حيث جاز له أن

(١) جزء من الآية ١١٨ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٥٣ من سورة الذاريات .

يعمل، ووقفوا به حيث حق له أن يقف.

٧- فساد منهج المستشرقين في دراستهم للإسلام، مهما حاولوا إدعاء المنهجية العلمية التي يزعمونها، وسبب ذلك عدم تخلصهم من العصبية والعداء للإسلام وأهله.

٨- نجاح الاستشراق في استقطاب كثير من أبناء الإسلام الذين انخدعوا بأفكاره وآرائه وتأثروا بثقافته ومناهجه، وكثير منهم يمثلون رموزاً بارزة في بلدانهم، فكان لذلك أثر بالغ في نشر تلك الأفكار بين المسلمين، وانخداع السذج منهم بها، وتفلت كثير منهم بسببها من التمسك بالشرع، فكان خطرهم أعظم، وفسادهم أكبر؛ لأنهم يهدمون السنة من داخلها.

٩- أظهر البحث بما لا يدع مجالاً للشك، أنه لو سلمنا جدلاً أنه يكفي الاستناد على القرآن وحده في تحليل، الحلال وتحريم الحرام... ولم نعبأ بالسنة أبداً، وتركنا القرآن يخطئ فيه المخطئون، ويعتمد فيه الكذّابون، ويتلاعب فيه الملحدون، ويخوض فيه المنافقون. بما تسوله لهم نفوسهم، وتغليه عليهم رؤسائهم وشياطينهم، فإن الخلاف بين الناس لا يزول كما هو معلوم بالضرورة، وإنما سيزيد ويستفحل، ويصل بهم إلى مدارك الهاوية، ويتفرق بهم في دروب التيه.

١٠- أكد البحث أن عدم الأخذ بالسنة دعوة إلحادية، يريد أصحابها لنا الإعراض عن هدى النبوة، وينسون أنهم يتمسكون بتشريعات واهية، لا أساس لها تقوم عليه، ولو سلمنا لهم جدلاً أنه يجب إبطال السنة، مع صحة نقلها بالإسناد المتصل؛ الذي هو منة عظيمة خص الله بها الأمة الإسلامية دون سائر الأمم، لكان لزاماً علينا من باب أولى أن نبطل جميع التشريعات المتداولة في الدنيا مهما كان مصدرها سماوياً أو وضعياً لأن من المسلم أن البقاء للأصح سنداً، والأصدق رواية.

١١- إن منكرى السنة بجمليتها تسول لهم نفوسهم المريضة وتصور لهم عقولهم المتحجرة، ادعاء العلم بدين الله وأسرار شريعته أكثر من رسوله ﷺ - والعياذ بالله - وإلا فكيف يتجرؤون أن ينكروا سنته، وإذا كان ذلك كذلك فمن الذي يطاع: رسول الله ﷺ، أم الخارجين عن دين الله؟!

١٢- قرر البحث أن السنة ضرورة دينية، وأن كثيراً من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها الفقهاء؛ متوقفة على حجيتها، فلو لم تكن حجة،

كيف يتوقف الضروري - وهو الإجماع - على ما ليس بضروري - وهي السنة؟!

١٣- إن الأدلة الشرعية جميعها متوافقة متألّفة متلائمة، لا اختلاف، ولا تنافر، ولا تضارب بينها، كما يشهد لذلك قول الحق تبارك وتعالى : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup> ومن هنا فالشرعية خالية البتة من كل تناقض، وتعارض حقيقيين لاستلزامهما العجز والجهل المحالين على الله تعالى، هذا وإن أى تعارض يراه الباحث إنما يكون بحسب الظاهر فقط بالنسبة إليه، أو لكونه يتوهم ما ليس بدليل دليلاً، أو لتصوره أن نصين من النصوص يدلان على حكمين متعارضين مختلفين، بينما النصان فى واقع الأمر لا تعارض، ولا اختلاف فى حكمهما، بل لكل واحد منهما جهة غير جهة الآخر، فالتعارض حيثئذ يكون سببه عجز الباحث وعدم درايته، لكونه غير معصوم من الخطأ، لا فى النص ولا فى مدلوله على الحكم.

١٤- إن دعوى وجود عقليات مخالفة للشرع، لا حقيقة لها عند الاعتبار الصحيح، بل هى أوهام وخيالات، وشبه عارية عن الصواب، إضافة إلى أنه لا ضابط عند من يرد النصوص بالقرآن والعقل يفرق به بين ما يرد، وما لا يرد.

١٥- رد النصوص عقلاً أوجد أثراً بالغاً فى زعزعة كثير من العقائد، وعدم احترام نصوص الوحى الاحترام اللائق، والتهوين من شأنها.

١٦- أن جميع ما يتناقله الشيعة الرافضة، وأهل البدع فى كتبهم من المطاعن العامة والخاصة فى أصحاب رسول الله ﷺ، لا يعرج عليها ولا كرامة، فهى أباطيل وأكاذيب مفتراه إذ دأب الرافضة، وأهل البدعة رواية الأباطيل، ورد ما صح من السنة المطهرة، والتاريخ.

١٧- وجدت من خلال صحبتى لبعض خصوم السنة، أنهم جميعاً من أصحاب الترف، والكبر، الذين لزموا البيوت، ولم يطلبوا العلم من مظانه، ومن أهله، فهم كما تنبأ بهم المصطفى ﷺ بقوله "لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه"<sup>(٢)</sup>.

(١) الآية ٨٢ من سورة النساء.

(٢) سبق تخريجه ١ / ٢٣٨ .

هذه أهم نتائج الدراسة في موضوع : "السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام في الكتابات العربية" وإذا كان لي أن اقترح أو أوصي بشيء في هذا المقام؛ فإني اقترح وأوصي بما يلي :

١- دراسة شبهات أعداء السنة قديماً وحديثاً، وبيان بطلانها من خلال تدريس تاريخ السنة وعلومها .

٢- اخضاع الكتابات المتعلقة بما يحس السنة النبوية للتدقيق والتمحيص، وسد منافذ الاجتزاء على السنة النبوية بديار المسلمين، وتجرىم ذلك في جميع الوسائل .

٣- الحكم بالارتداد على منكرى السنة النبوية، وتنفيذ أحكام الله فيهم بمعرفة القضاء؛ لأن منكر السنة منكر للقرآن .

٤ - الحكم بالابتداع على رادى الأحاديث النبوية الصحيحة، وإقامة عقوبة التعزير عليهم وإرشادهم إلى الحق .

قال نعيم بن حماد - رحمه الله - : "من ترك حديثاً معروفاً، فلم يعمل به، وأراد له علة، أن يطرحه، فهو مبتدع"<sup>(١)</sup> .

٥- العمل على أن يكون للمحدثين رابطة على مستوى العالم الإسلامى؛ تجمع شملهم، وتقنن أعمالهم، وتلم شعث جهودهم .

٦- مواصلة العمل الجاد، وتضافر الجهود، وتشابك الأيدي، وإخلاص النية، كى نبين ما ينطوى عليه الغرض الخبيث الذى يلتقى عليه أعداء الله للنيل من سنة رسوله ﷺ، ومن رواتها الثقافات الأعلام، ومن ثم وقف هذه الحملة الشرسة المسعورة التى تستهدف هدم القرآن وكل ما يتصل به من سنة، وتاريخ، وأمة تنداعى عليها الأمم كما تنداعى الأكلة على قصعتها .

#### وبعد

فهذا آخر ما فتح الله على به، ووفقنى لكتابته فى هذا الموضوع الجليل، والبحث الخطير، الذى اعترف فيه بالعجز والتقصير .

ولعلنى أكون قد أصبت فى بعض مسائله، وشفيت الغليل فى شيء من مباحثه .

(١) أخرجه الخطيب فى الفقيه والمتفقه ١ / ٣٨٦ رقم ٣٩٩ .

فإن يكن ذلك حقاً : فبفضل الله، وهدايته، وحسن توفيقه، وعنايته .  
وفى الختام . أسأل الله ﷻ الصفح والغفران، فيما زلت فيه قدمي، وانحرف فيه  
عن جادة الحق قلبي .

اللهم تقبل هذا الجهد الضئيل خالصاً لوجهك الكريم  
وانفع به المستفيدين، وارزقني دعوة صالحة منهم، ينالني بها عفوك ورضاك  
وآخر دعوانا : "أن الحمد لله رب العالمين"  
وصلّى الله على نبينا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين  
وعلى آله، وصحبه، والمتمسكين بستته أجمعين.



## الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية الكريمة
- ثانياً : فهرس الأحاديث، والآثار، والأقوال
- ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم
- رابعاً : فهرس الأشعار
- خامساً : فهرس البلدان والقبائل والفرق
- سادساً : فهرس المصادر والمراجع
- سابعاً : فهرس الموضوعات



## أولاً فهرس الآيات القوانية

الآية	الرقم	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤	١٩٧، ١٩٣ / ٢
سورة البقرة		
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ...﴾	٧٤٦	٣٨١ / ١
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾	٤٣	٢٤ / ١
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَحْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾	٤٨	٢٤٧ / ٢، ١٠٨ / ١
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...﴾	٨٥	٢٩٩ / ١
﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾	١٠٥	١٣٤، ١٣٢ / ١
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾	١٠٩	١٣٤، ١٣٢ / ١
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١١١	٢٠٧ / ١
﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ...﴾	١١٨	٣٦٠ / ٢، ٧٢ / ١
﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾	١٢٠	١٣٥، ٦٤ / ١
﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ...﴾	١٣٢	٢٠٥ / ٢
﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ...﴾	١٤٤-١٤٢	٤٥٤ / ١
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾	١٤٣	٧٧، ٧٤ / ٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ...﴾	١٦٠، ١٥٩	١٠٩، ١٠٦ / ٢
﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ...﴾	١٧٨	٥٣٢ / ١
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾	١٨٣	٥٣٣ / ١
﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ...﴾	١٩١	٤٤٣ / ١

الآية	الرقم	الصفحة
﴿نَسِ عَلَىكُمْ جُنَاحَ أَنْ تَبْغُوا...﴾	١٩٨	٢٨٨ / ١
﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ...﴾	٢٠٥	٩١ / ١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ...﴾	٢٠٨	٣٤٩ / ٢
﴿فَهَذَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	٢١٣	٢٠٨ / ١
﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ...﴾	٢١٧	١٤ / ١
﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ...﴾	٢١٧	١٤ / ١
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ...﴾	٢٢٢	٣٤٠ / ٢
﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾	٢٣١	٤٥٣، ٤٥٢ / ١
﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ...﴾	٢٤٠، ٢٣٤	٣٣٠، ٢٠٥ / ٢
﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ...﴾	٢٤٩	٢٩ / ٢
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ...﴾	٢٥٥	٢٥٠ / ٢
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ...﴾	٢٥٧، ٢٥٦	٩١ / ١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ...﴾	٢٨٢	٤٧٠، ٤٦٠ / ١
﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ...﴾	٢٨٥	٣١٥ / ٢
سورة آل عمران		
﴿وَمَا يَذْكُرْ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ...﴾	٧	٧٠، ٦٤ / ١
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٩	٢٠٧، ١٨٥ / ١
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ...﴾	٢٦	١٩٣ / ٢
﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ...﴾	٢٨	٢١٥ / ٢
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ...﴾	٣٨	٤٩٥ / ١
﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا...﴾	٤٦	٢٧٠ / ٢

الآية	الرقم	الصفحة
﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ...﴾	٤٩	٢٥٦/٢
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْثُوكَ﴾	٥٥	٢٦٨/٢
﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ...﴾	٥٨	٢١٣/١
﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ...﴾	٧٣	١٤٥/١
﴿مَا كَانَ لِيَبْشُرَ أَنْ يُرْسِلَهُ...﴾	٧٩	٢٨/١
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...﴾	٨١	٤٩٢، ٤٥٢/١
﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا...﴾	٨٥	٢٠٧، ١٨٥/١
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا...﴾	١٠٣	٤٤٥، ٦٣/١
﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ...﴾	١٠٤	١٠٩/١
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا...﴾	١٠٥	٤٤٥/١
﴿يَوْمَ نَبْضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ...﴾	١٠٦	٦٤/١
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾	١١٠	٨٠، ٧٧/٢
﴿أَعَدْتُ لِلْمُتَّقِينَ...﴾	١٣٣	٦٠/٢
﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	١٤٥	١٩٣/١
﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ...﴾	١٥٥	٨٥/٢
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾	١٦٤	٤٥٢/١
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ...﴾	١٧٩	٢٥٦/٢
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ...﴾	١٨٧	١٩٦/١
﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾	١٩٤	٢٤١/٢
سورة النساء		
﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...﴾	١١	٥٠٧/١

الآية	الرقم	الصفحة
﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾	١٢	٢٨٩ / ١
﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾	١٤	٤٧٨ / ١
﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا...﴾	١٥	٢٢٧ / ١
﴿وَعَاتَيْنَهُنَّ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا...﴾	٢٠	٤٠٤ / ١
﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ...﴾	٢٣	٢٣٣ / ١
﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ...﴾	٢٤	٥٣١ / ١
﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾	٢٤	٥٣٣ / ١
﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا...﴾	٢٥	٥٣٤ / ١
﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ...﴾	٣٥	٧٧ / ١
﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ...﴾	٤٣	٤٩٠ / ١
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾	٤٨	١٠٨ / ١
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾	٤٠	٢٤٢ / ٢٠٤٧٨ / ١
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ...﴾	٤١	٤٧٨ / ١
﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ...﴾	٥٤	٤٥٢ / ١
﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾	٥٩	٢٠٥٠٧٧ / ١
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا...﴾	٦١	٤٧٧ / ١
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ...﴾	٦٤	٤٧٦ / ١
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى﴾	٦٥	٣٠٨٠٣ / ١
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا...﴾	٧٧	٥٣٣ / ١
﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ...﴾	٧٨	٥٦ / ١
﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ...﴾	٨٠	٢٢٥ / ١

الآية	الرقم	الصفحة
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ...﴾	٨٢	٣٦٢ / ٢
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾	٨٧	٣٩ / ١
﴿وَكُذُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا...﴾	٨٩	١٧٦ / ٢، ١٣٥ / ١
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا...﴾	٩٣	٢٤٤ / ٢
﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى...﴾	٩٥	١٩٣ / ٢
﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا...﴾	١٠١	٢٣٤ / ١
﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا...﴾	١٠١	٦٤ / ١
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾	١٠٣	٥٠٥، ١٩٥ / ١
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	١٠٥	٥٠٠، ٢٢٥ / ١
﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	١١٣	٤٥٣، ٢٥٢ / ١
﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ...﴾	١١٥	٤٨٣ / ١
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾	١١٦	٢٤٢ / ٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا...﴾	١٣٦	٤٧٣ / ١
﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ...﴾	١٤١	٥٣٢ / ١
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ...﴾	١٤٢	٦٥ / ١
﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا...﴾	١٥٨، ١٥٧	٢٧٣، ٢٦٩ / ٢
﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	١٥٩	٢٧١ / ٢
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾	١٦٣	٣٦ / ٢
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾	١٦٥	٢٥٠ / ١
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ...﴾	١٧٤	٢٥٢ / ١

الآية	الرقم	الصفحة
سورة المائدة		
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾	٣	١٩٧، ١٩٢ / ١
﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ...﴾	٦	١٠١ / ٢، ٤٩١ / ١
﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ...﴾	٣٣	٤٩٤، ٢٣٢ / ١
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾	٣٨	٥٠٧ / ١
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا...﴾	٤٥	٥٣٣ / ١
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	٤٨	٥٧ / ٢
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا...﴾	٥٠	٢٤٩ / ٢
﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ...﴾	٦٠	١٩٧ / ٢
﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ...﴾	٦٤	٦٤ / ١
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾	٦٧	٢١٤، ١١٩٩ / ١
﴿فَمَنْ لَمْ يَحْذَ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ...﴾	٨٩	٢٨٩ / ١
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ...﴾	٩٢	٤٧٥ / ١
﴿الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَّانِ...﴾	١٠٧	٤٣٥ / ١
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي...﴾	١١٠	٤٥٤ / ١
﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ...﴾	١١٦، ١١٧	٢١٦، ٨٥ / ٢
سورة الأنعام		
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ...﴾	٢	١٩٦ / ١
﴿لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾	١٩	٢٠١، ١٩١ / ١
﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ...﴾	٣٨	١٩٣، ١٩٠ / ١
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾	٥٤	٢٣٦ / ٢

الآية	الرقم	الصفحة
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ...﴾	٥٩	١٩٤ / ١
﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم...﴾	٦٠	٢٣٦ / ٢
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ...﴾	٩٣	٢٩١ / ٢
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾	١٠٣	٢٢٨، ٢٢٧ / ٢
﴿فَيَسْئَلُوا اللَّهَ عَنَّا...﴾	١٠٨	٦٣ / ١
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ...﴾	١١٢	١٦٥ / ١
﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا...﴾	١١٤	١٩٧، ١٩١ / ١
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ...﴾	١١٥	٢٠٢، ١٩٠ / ١
﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ...﴾	١١٩	٦٥ / ١
﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ...﴾	١٢٥	٢٣٣ / ٢
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ...﴾	١٤٤	٤١٠ / ١
﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ...﴾	١٤٥	٥٣٢، ٤٩٦ / ١
﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا...﴾	١٤٨	٢٣٨ / ٢
﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ...﴾	١٤٩	٢٥٣ / ١
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾	١٥٨	٢٦٤، ٢٥٦ / ٢
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ...﴾	١٥٩	٨٩، ٦٩ / ١
<b>سورة الأعراف</b>		
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...﴾	٣١	٣٤٠ / ٢
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ...﴾	٣٢	٧٧ / ١
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾	٦٥	٣٦ / ٢
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾	٧٢	٣٦ / ٢

الآية	الرقم	الصفحة
﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيْنَ النَّاسِ...﴾	١١٦	٣١٥ / ٢
﴿فَلَمَّا تَحَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ...﴾	١٤٣	٢٢٢ / ٢
﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ...﴾	١٤٣	٢٢٣ / ٢
﴿وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَابِحِ...﴾	١٤٥	٢٦١ / ٢
﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ...﴾	١٥٧	٢٣٨ / ١
﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾	١٥٨	٤٧٣، ٤٦٧ / ١
﴿وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ...﴾	١٥٨	٤٦٩، ٤٦٧ / ١
﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ...﴾	١٧٠	٢٠٢، ١٩٢ / ١
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾	١٨٠	٢١٣ / ٢
﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ...﴾	١٨٤	٨٩ / ٢
﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي...﴾	١٨٨	٢٥٥ / ٢

### سورة الأنفال

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ...﴾	٢١، ٢٠	٢٠٦ / ١
﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ...﴾	٢٥	٢٨٥ / ٢، ٤٤٣ / ١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ...﴾	٢٩	٢٦٢ / ١
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ...﴾	٣٦	١٤٥ / ١
﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّهَمُوا...﴾	٣٨	٢٩ / ١
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	٥٠	٢٩٢ / ٢
﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ...﴾	٦٥	١١٣ / ١
﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى...﴾	٦٩-٦٧	٧٩ / ٢، ٤٦٣ / ١
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾	٧٣	١٣٥ / ١

## سورة التوبة

٦٤ / ١	١	﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾
٨٥ / ٢	٢٥	﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ...﴾
٩٢ / ٢	٢٦	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ...﴾
١٤ / ١	٣٣، ٣٢	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾
٧٣ / ٢	٤٠	﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ...﴾
٨٩ / ٢	٥٦	﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ...﴾
٤٧٨ / ١	٦٣	﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ...﴾
٣٢٠ / ١	٨٠	﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴾
٣٢٠ / ١	٨٤	﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ...﴾
٧٧ / ١	٩٧	﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا...﴾
٢٩٣، ٨٤ / ٢	١٠١	﴿سُعَذَّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ...﴾
٧٩ / ٢	١١٨	﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا...﴾
٧٨ / ٢	١١٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾

## سورة يونس

٢٤٩ / ٢	٣	﴿مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ...﴾
٢٠٠ / ٢	١٥	﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ...﴾
٢٠٠، ١٩٨ / ٢	١٦، ١٥	﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا...﴾
٢٢٤ / ٢	٢٦	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ...﴾
٣٣٩ / ٢	٥٧	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ...﴾
٢٠٨ / ١	٦٤	﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...﴾

الآية	الرقم	الصفحة
﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ...﴾	٦٩	٤٠٤، ٤٠٣ / ١
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ...﴾	٨٧	٤٩٠ / ١
سورة هود		
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ...﴾	٦	١٩٤ / ١
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...﴾	١٦، ١٥	١٨٠ / ٢
﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا...﴾	٤١	١٩٤ / ٢
﴿سَأَوِي إِلَىٰ جَبَلٍ...﴾	٤٣	٤٤٩ / ١
﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِاسْحَاقَ...﴾	٧١	٤٩٥ / ١
﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ...﴾	١٠٢	٥٠٤ / ١
سورة يوسف		
﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ...﴾	٣-١	٢٩٤ / ١
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ...﴾	٣	٢٧٥ / ١
﴿وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ...﴾	٣٢	٤٤٩ / ١
﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ...﴾	٣٧	٢٥٦ / ٢
﴿يَا صَاحِبِي السُّخْنُ...﴾	٣٩	٨٩ / ٢
﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	٧٦	٥٠٢ / ١
سورة الرعد		
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾	٨	١٠٧ / ١
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	٣١	٢٤١ / ٢
﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعْتَبَرَ لِحُكْمِهِ﴾	٤١	٢٥٣ / ١

الآية	الرقم	الصفحة
سورة إبراهيم		
﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ...﴾	١	١٩٥ / ١
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ...﴾	٤	١٩٧ / ١
﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	٢٧	٢٨٨ / ٢
﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي...﴾	٣٧	٤٩٥ / ١
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ...﴾	٣٩	٤٩٤ / ١
سورة الحجر		
﴿الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ...﴾	١	٢١٠ / ١
﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ...﴾	٦-٩	١٩٨ / ٢، ٢١٠ / ١
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ...﴾	٩	٣٧٠، ٢٠٤، ٢٠٣ / ١
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ...﴾	١٠-١٣	٢١١ / ١
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا...﴾	٢١	١٠٧ / ١
﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَرَيْنَّ لَهُمْ...﴾	٣٩-٤٠	٣١٨ / ٢
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾	٤٢	٣١٨ / ٢
سورة النحل		
﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾	٣٢	٢٩٢ / ٢
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ...﴾	٣٨، ٣٩	١٩٧ / ١
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ...﴾	٤٣	٥٠٢ / ١
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ...﴾	٤٤	٣٧٠، ١٩٦، ١٠ / ١
﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ...﴾	٦٤	١٩٥، ١٠ / ١
﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...﴾	٦٨	٣٤٣ / ٢

الآية	الرقم	الصفحة
﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ...﴾	٦٩	٣٤٠، ٣٣٧ / ٢
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ...﴾	٨٩	١٩٦، ١٩٠ / ١
سورة الإسراء		
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي...﴾	٩	٢١٠، ٢٠١ / ١
﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَف...﴾	٢٣	١٩٧ / ٢
﴿وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾	٣٦	٢٧٠، ٢٤ / ٢
﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ...﴾	٣٩	٤٥٤ / ١
﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا...﴾	٤٨	١١٩ / ٢
﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا...﴾	٧٧	٣٤ / ١
﴿عَسَى أَنْ يَتَعَنَّكَ رَبُّكَ...﴾	٧٩	٢٥١ / ٢
﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...﴾	٨٥	٩٢ / ١
سورة الكهف		
﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ...﴾	٥	٣٢٥ / ١
﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا...﴾	٥٥	٣٤ / ١
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ...﴾	١١٠	١٨٦، ١٨٠ / ٢
سورة مريم		
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا...﴾	٥٣	٤٩٤ / ١
﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ...﴾	٦٩	٨٨ / ١
﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾	٧١	٣٢١ / ١
﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا...﴾	٧٢	٣٢٢ / ١

## سورة طه

٢٧٩ / ١	١٠	﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى...﴾
٣١٩ / ٢	٦٨-٦٥	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا...﴾
٣١٣ / ٢	٦٦	﴿يُخِيلُ إِلَهُهُ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى...﴾

## سورة الأنبياء

١٨١ / ١	١٨	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ...﴾
٢٥٣ / ١	٢٣	﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾
٢٥٠ / ٢	٢٨	﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى...﴾
٢٤٤ / ٢	٣٤	﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾
٢١٣ / ١	٥٠	﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ...﴾
٢٥٧ / ٢	٩٦	﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ...﴾

## سورة الحج

٤٩٢ / ١	٢٧، ٢٦	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ...﴾
١٣٤ / ١	٥٥	﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ...﴾
٢٣٣ / ٢	٧٠	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ...﴾

## سورة المؤمنون

٨٨ / ٢	٢	﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾
٥٠٥ / ١	٩	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾
٥٩ / ٢	١٨	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾
٦ / ٢	٤٤	﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى...﴾
٢٨٥ / ٢	١٠٠	﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ...﴾

الآية	الرقم	الصفحة
سورة النور		
﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١١	٤٣٧ / ١
﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾	٣٠	٣٢٧، ٣٢٢ / ٢
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ		
الظَّمَانُ مَاءً...﴾	٤٠، ٣٩	٥٣ / ٢، ٤٩٧ / ١
﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ...﴾	٥٢-٤٧	٤٧٧ / ١
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾	٥٦	٥٠٥، ٤٧٥ / ١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَ تَأْذِنُكُمْ...﴾	٥٨	٤٨٩ / ١
﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾	٦٣	٣٧٠، ٣٠٨ / ١
سورة الفرقان		
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾	٢	٢٣٣، ٢٣٢ / ٢
﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا...﴾	٨	٣١٣، ٢٩٨ / ٢
﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ...﴾	٢٤	٣٩٣ / ١
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا...﴾	٣١	١٦٥ / ١
﴿أَوَلَيْكَ شَرٌّ مَكَانًا...﴾	٣٤	٣٩٣ / ١
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ...﴾	٧٠	٢٥١ / ٢
سورة الشعراء		
﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾	٢١٢	٣١٣ / ٢
﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾	٢١٨	٢٢٦ / ٢
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	١٤ / ١

الآية	الرقم	الصفحة
سورة النمل		
﴿بَشِيرًا قَبْسٍ...﴾	٧	٣٧٩ / ١
﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ...﴾	٦٥	٢٥٥ / ٢
﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى...﴾	٨٠	٢٨٦، ٢٨٣ / ٢
﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ...﴾	٨٢	٢٥٧ / ٢
سورة القصص		
﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ...﴾	١٥	٨٩ / ١
﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...﴾	١٥	٣١٨ / ٢
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ...﴾	٨٨	٢١٦ / ٢
سورة العنكبوت		
﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ...﴾	٤١	١٧٢ / ٢
﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	٥١	٢٠٢، ١٩٢ / ١
سورة الروم		
﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى...﴾	٥٢	٢٨٥ / ١
﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى...﴾	٥٣	٢٨٥ / ١
سورة لقمان		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ...﴾	٦	٣٠ / ١
﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾	٣٤	٢٥٦ / ٢
سورة الأحزاب		
﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ...﴾	٤	٣٢٥ / ٢
﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ...﴾	٥	٣٢٥ / ٢، ٥٠٢ / ١

الآية	الرقم	الصفحة
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ...﴾	٢١	٤٦٦، ٢٣٥ / ١
﴿وَإِذْ كُنَّا مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾	٣٤	٤٥٤ / ١
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ...﴾	٣٦	٤٧٧، ٣٥ / ١
﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾	٣٨	٢٣٢ / ٢
﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ...﴾	٦٤-٦٦	٤٧٨ / ١
سورة سبأ		
﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ...﴾	٣	١٩٤ / ١
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ...﴾	٢٨	١٥١ / ١
سورة فاطر		
﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ...﴾	١١	١٩٤ / ١
﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ...﴾	٢٢	٢٨٣ / ٢
﴿إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾	٤١	٢١٣ / ١
﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا...﴾	٤٣	٢٠٨ / ١
﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ...﴾	٤٢-٤٣	٢٨ / ١
سورة يس		
﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا...﴾	١٣، ١٤	٣٦ / ٢
﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ...﴾	٢٠	٣٦ / ٢
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا...﴾	٨٢	٢١٣ / ٢
سورة الصافات		
﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى...﴾	٨	٣١٣ / ٢
﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾	٨٩	٥٠٤ / ١

الآية	الرقم	الصفحة
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٦	٢٣٣ / ٢
﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١٠٠-١٠٢	٤٩٥ / ١
﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ...﴾	١٨٠	٢١٣ / ٢
سورة ص		
﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ...﴾	٢٤	٢٩ / ٢
﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ...﴾	٣٢	٢١٣ / ١
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ...﴾	٤١	٣١٨ / ٢
﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾	٧٥	٢١٦ / ٢
سورة الزمر		
﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ...﴾	٢٣	٣٩، ٢٩ / ١
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ...﴾	٣٢	٤٠٣ / ١
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾	٦٧	٢١٦ / ٢
﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ...﴾	٤٢	٢٦٩ / ٢
﴿قُلْ لِلَّهِ الشِّفَاعَةُ جَمِيعًا...﴾	٤٤	٢٥٠ / ٢
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾	٥٣	١٠٨ / ١
سورة غافر		
﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَلْتَنِينِ...﴾	١١	٢٨٣، ٢٨٠ / ٢
﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ...﴾	١٨	٢٤٧ / ٢، ١٠٨ / ١
﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا...﴾	٤٦	٢٨٩، ٢٨٨ / ٢
﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ...﴾	٥٧	٢٦٥ / ٢

## سورة فصلت

٦٣ / ١	١٩	﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ...﴾
٢٩٢ / ٢	٣٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ...﴾
٩ / ١	٤٢، ٤١	﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ...﴾

## سورة الشورى

٢١٤ / ٢	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾
٥٧ / ٢	١٣	﴿وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ...﴾
٣٣٩ / ١	٣٨	﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾
٢٢٨ / ٢	٥١	﴿وَمَا كَانَ لِيُبَشِّرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ...﴾
١٠ / ١	٥٢	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾
٥٣٤ / ١	٥٣، ٥٢	﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ...﴾

## سورة الزخرف

٢١١ / ١	٣١	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ...﴾
٢٨٦ / ٢	٤٠	﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ...﴾
٢١١ / ١	٤٣	﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ...﴾
٢١١ / ١	٤٤	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ...﴾
٢٧١، ٢٦٥ / ٢	٦١	﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ...﴾
١٨١ / ٢	٧٢	﴿وَتِلْكَ الْحَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا...﴾

## سورة الدخان

١٩٩ / ٢	٤٤، ٤٣	﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ...﴾
---------	--------	---------------------------------

الآية	الرقم	الصفحة
سورة الجاثية		
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...﴾	٢٣	٢١٥ / ٢
سورة الأحقاف		
﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾	٩	٢٩ / ١
﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾	١٥	٤٠٥ / ١
سورة محمد		
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ...﴾	١٥	٦١ / ٢
﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ...﴾	١٨	٢٥٧ / ٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا...﴾	٣٢	٨٨ / ٢ ، ٤٧٨ / ١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ...﴾	٣٣	٨٧ / ٢
سورة الفتح		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾	٤	٩٢ / ٢
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ...﴾	١٨	٣٢١ / ١
﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ...﴾	٢٣	٢٩ / ١
﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ...﴾	٢٦	٩٣ / ٢
﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا...﴾	٢٧	٢٥٦ / ٢
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ...﴾	٢٩	٨٠ / ٢
سورة الحجرات		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ...﴾	٦	٤١٨ ، ١٤٥ / ١
﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾	١٠ ، ٩	٩٦ / ٢

الآية	الرقم	الصفحة
سورة ق		
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى...﴾	٣٧	٣٠٨ / ١
سورة الذاريات		
﴿آتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾	٥٣	٣٦٠ / ٢
سورة الطور		
﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	١١	١٢٢ / ٢
﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ...﴾	٣٤	٣٧ / ١
سورة النجم		
﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾	٢٤١	٨٩ / ٢ ، ٤٦٢ / ١
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى...﴾	٤٤٣	٢٠٦ ، ١٠ / ١
﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾	١٥	٦٠ / ٢
﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ...﴾	٢٨ ، ٢٣	٢٨٠ ، ٢٤ / ٢
﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ...﴾	٢٦	٢٥٠ / ٢
﴿أَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزَرَ أُخْرَى﴾	٣٨	٤٨٠ ، ٢٧ / ٢
سورة القمر		
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ...﴾	١٧	٢١٠ / ١
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ...﴾	٤٩	٢٣٢ / ٢ ، ١٠٨ / ١
﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ...﴾	٥١	٨٩ / ١
سورة الواقعة		
﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً...﴾	٣٧-٣٥	٢١٢ / ١

الآية	الرقم	الصفحة
سورة الحديد		
﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى...﴾	١٠	٤٢٧ / ١
﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ...﴾	٢٢	٢٣٨، ٢٣٣ / ٢
سورة المجادلة		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾	٢٠، ٥	٤٧٨ / ١
﴿يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا...﴾	١٨	٩٠ / ٢
سورة الحشر		
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾	٧	٣٧٠، ٢٢٥، ٢٠١ / ١
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا...﴾	٩، ٨	٧٨ / ٢
﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾	٢٤	٢١٣ / ٢
سورة الممتحنة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي		
وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾	١	٦٤ / ١
﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ...﴾	١٠	٢٩٠، ١٥ / ٢
سورة الجمعة		
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا...﴾	١١	٨٧، ٨٤ / ٢
سورة الطلاق		
﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ...﴾	١	٢٧ / ٢
﴿وَأَشْهِدُوا ذُوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾	٢	٧٤، ٤٧ / ٢
سورة التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾	٢، ١	٤٦٢، ٤٦١ / ١

الآية	الرقم	الصفحة
﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ...﴾	٣	٣٩ / ١
سورة الملك		
﴿لَيُنَلَّوْكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾	٢	١٨٥ / ٢
سورة القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٣١١ / ٢
سورة الحاقة		
﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ...﴾	٤٤-٤٦	٣١٣ / ٢
سورة نوح		
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...﴾	١	٣٦ / ٢
سورة الجن		
﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا﴾	٩	٣١٣ / ٢
﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ...﴾	١٨	٤٩١ / ١
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى﴾	٢٦-٢٨	٢٥٦ / ٢
سورة المدثر		
﴿مَّا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ...﴾	٤٢-٤٨	٢٥٠ / ٢
سورة القيامة		
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ...﴾	١٨-١٩	٢٠٤، ١٠ / ١
﴿وَجُودُهُ يُومِئُذٍ نَاصِرَةٌ﴾	٢٢، ٢٣	٢٢٨، ٢٢٤ / ٢
سورة الإنسان		
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾	٢٠	٢٢٤ / ٢

الآية	الرقم	الصفحة
سورة المرسلات		
﴿فَبَآئِيَ حَذِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾	٥٠	٣٩ / ١
سورة النازعات		
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾	١٥	٣٨ / ١
سورة المطففين		
﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ...﴾	١٥-١٧	٢٢٧، ٢٢٤ / ٢
سورة الانشقاق		
﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾	٨	٥٠٨ / ١
سورة البروج		
﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ﴾	٢٢، ٢١	٢١٠ / ١
سورة الغاشية		
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾	١	٣٩ / ١
سورة الليل		
﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾	٣	٩٩ / ٢
سورة العلق		
﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾	١٤	٢٢٦ / ٢
سورة البينة		
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ...﴾	٥	١٨٠ / ٢
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	٣-١	١٨٢ / ٢

الآية	الرقم	الصفحة
سورة الناس ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾	٢	١٩٣ / ٢

\*\*\* \*\*

## ثانيًا

### فهرس الأحاديث ، والآثار ، والأقوال

الصفحة	القاتل	الحديث أو الأثر
		(أ)
٢٧٤ / ١	أبو سعيد الخدرى	"أتريدون أن تجعلوها مصاحف ..."
٢٧٧ / ١	أبو موسى الأشعري	"أكتبان ما سمعنا منى ..."
٥٠٧ / ١		"أتى بسارق إلى النبي ﷺ"
٣٨٢ / ١		"اجعل صيام رمضان أخرهن ..."
٢٣٧ / ٢		"احتج آدم وموسى ..."
١٣٤ / ٢		"احتجر النبي ﷺ فى المسجد ..."
٢٧٧ / ١	عمرو بن دينار	"أخرج على من يكتب عنى ..."
٢٨٣ / ١		"احفظوه وأخبروا به ..."
٤٦٣ / ١		"أحلت لكم ميتتان ودمان ..."
٣١٢ / ١	ابن سيرين	"أحدثك عن النبي وتقول فلان وفلان ..."
٢٧٨ / ١	عبيدة السلماني	"أخشى أن يليها أحد بعدى ..."
٥٢ / ٢		"ادرعوا الحدود بالشبهات ..."
٢٠٥ / ٢	عثمان بن عفان	"إذا اختلفتم أنتم وزيد ..."
٢٤١ / ١		"إذا حدثتم عنى بحديث ..."
٤٣١ / ١		"إذا حكم الحاكم فاجتهد ..."
٢٢٤ / ٢		"إذا دخل أهل الجنة الجنة ..."
٣١٢ / ١	ابن عمر	"إذا استأذنت أحدكم امرأته ..."
٢٤٤ / ١		"إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه ..."

٣٤٢ / ٢		"إذا وقع الذباب ..."
٢٧٤ / ١	أبو سعيد الخدرى	"أردتم أن تجعلوه قرآناً ..."
٣٢٢ / ٢		"ارضع به تحرمى عليه ..."
٢٧١ / ١	أبو سعيد الخدرى	"استئذنا النبى ﷺ فى الكتابة ..."
٢٦٨ / ١		"استعن على ذلك بيمينك ..."
٢٨٦ / ١	أبو أمامة	"اسمعوا واعقلوا وبلغوا عنا ..."
١٤٨ / ٢	سفيان الثورى	"الإسناد سلاح المؤمن ..."
١٤٨ / ٢	عبد الله بن المبارك	"الإسناد من الدين ..."
٧١ / ١	عمر بن الخطاب	"أصحاب الرأى أعداء السنن ..."
٢٧٤ / ١	على بن أبى طالب	"أعزم على كل من كان عنده كتاب ..."
٢٨٦ / ١	أبو أمامة	"أعقلتم بلغوا كما بلغتم ..."
١١٢ / ٢	عبد الله بن عمر	"أعيذك بالله أن تكون فى شك ..."
٢٣٤ / ١		"أفلمح إن صدق ..."
٣٢٢ / ١		"أقتدوا باللذين من بعدى ..."
١٩١ / ٢		"أقرأنى جبريل على حروف ..."
٣٥٢ / ١		"أكتبوا له ..."
٤٦٣ / ١		"أكل الضب على مائدة رسول الله ..."
٤٥١ / ١		"ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ..."
٢٨٢ / ١		"ألا ليبلغ الشاهد الغائب ..."
٢٨٣ / ١		"ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث ..."
٨٦، ٨٥ / ٢		"ألا وإنه سيجاء برجال من أمتى ..."

٣٣٦ / ١	عائشة	"ألا يعجبك أبو هريرة ..."
٤٣٠ / ١		"اللهم اجعله هادياً مهدياً ..."
١١٥ / ٢		"اللهم حب عبيدك هذا ..."
٢٤٥ / ٢		"اللهم وليديه فاغفر ..."
٢٤٥ / ٢		"ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية ..."
٢٧٥ / ١	أبو هريرة	"أما إنكم قد حفظتم وإن تطعنى ..."
٢٧٦ / ١	مرة الحمداني	"أما إنه لو كان من القرآن أو السنة ..."
٣٤٤ / ١	عمر بن الخطاب	"إما أنى لم أتهمك ..."
٢٧٨ / ١	علقمة	"أما علمت أن الكتاب يكره ..."
٣١٨ / ١		"الحُّه ..."
٤٠٥ / ١		"أمرت أن أقاتل الناس ..."
٢٨٩ / ٢		"إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده ..."
٩٦ / ٢		"إن ابني هذا سيد ..."
٦٥ / ١		"أن أخوف ما أخاف على أمتي ..."
٣٠٥ / ٢	أنس بن مالك	"إن أم سليم كانت تبسط للنبي ﷺ ..."
٤٠١ / ١		"إن أنت وجدته ميتاً فأحرقه ..."
٢٥٢، ٢٥١ / ٢		"أنا سيد الناس يوم القيامة ..."
٤٣٥ / ١	أبي بن كعب	"أنا أشد تعظيماً لحق أمير المؤمنين منك ..."
٣٠٢ / ٢		"الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ..."
٣٣٤ / ١	ابن عباس	"إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً نقول ..."
٢٨٦ / ١	ابن عباس	"إنا كنا نحفظ الحديث والحديث يحفظ ..."

الحديث أو الأثر	القاتل	الصفحة
"إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه..."	ابن عباس	٢٧٥ / ١
"إنا لا نكتب إلا الرسائل والقرآن..."	ابن عباس	٢٧٥ / ١
"إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد خطوا..."	يحيى بن معين	٤٢٠ / ١
"إن أهل الكتاب تفرقوا في دينهم على..."		١٢٥ / ٢
"إن أهل مكة ليكفرون بالله..."	أبو عبد الله	٩١ / ١
"إن بنى إسرائيل تفرقت..."		١٢٦ / ٢، ٤٤ / ١
"إن بين أيديكم فتناً..."		٤٢٤ / ١
"أنتم أعلم بأمر دنياكم..."		٤٥٧ / ١
"أنتم من أحب الناس إلى..."		٣٠٤ / ٢
"أنت من الأولين..."		٤٢٩ / ١
"أنتم اليوم خير أهل الأرض..."		٣٢١ / ١
"إن جبريل هبط عليه وقال له خيرهم..."		٤٦٢ / ١
"إن جاءك شئ في كتاب الله..."		٣١٠ / ١
"إن الحديث سيفشوا عني..."		٢٢٣ / ١
"إن حوضي لأبعد من أيلة..."		٩٣ / ٢
"إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه..."	ابن مسعود	١٢٠ / ٢
"إن ربي قال لي قم في قریش فأنذرهم..."		٣٦٥ / ١
"إن الروم كفروا ولم يعاندوا، وإن أهل الشام كفروا. أبو عبد الله		٩٢ / ١
"إن شئت فصم وإن شئت فأفطر..."		٢٣٤ / ١
"إن العبد إذا وضع في قبره..."		٢٨٦ / ٢
"انظر ما كان من حديث رسول الله فاكته..."	عمر بن عبد العزيز	٣٤٦ / ١
"انظروا هذا الخبيث يخطب قاعدًا..."	كعب بن عجرة	٤٠٥ / ١

٤٨٥ / ١	عمران بن حصين	"إنك امرء أحق أن تجد في كتاب الله الظاهر أربعاً"
٣٥٠٣٤ / ٢		"إنك تقدم على قوم أهل كتاب ..."
٧٧ / ٢		"إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها ..."
٥٢ / ٢		"إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ..."
٣٢٨٠٣٢٧ / ١	عمر بن الخطاب	"إنكم تأتون الكوفة ..."
٢٨٤ / ١		"إن كذباً على ليس ككذباً على أحد ..."
٢٢٦٠٢٢٥ / ٢		"إنكم سترون ربكم عياناً ..."
٢٢٥ / ٢		"إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ..."
٤٠٨ / ١		"إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ..."
٣٥٧ / ١	أبو هريرة	"إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي ..."
٨٠ / ٢		"إن الله اختار أصحابي على العالمين ..."
٥٠٤ / ١		"إن الله <small>ﻻ</small> يعلى للظالم ..."
٣٦٧ / ١		"إن الله إذا ذكر شيئاً ..."
٨١ / ٢	ابن مسعود	"إن الله نظر في قلوب العباد ..."
٤٨٤ / ١		"إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة ..."
١٨٢ / ٢		"إن الله لا ينظر إلى صوركم ..."
١٨٠ / ٢		"إنما الأعمال بالنيات ..."
٤٢٨ / ١		"إنما أنا بشر، فأى المسلمين لعنته ..."
٢٠٦ / ٢		"إنما أهلك من قبلكم الاختلاف ..."
٢٨٧ / ٢		"إنما تفتن يهود ..."
٢٧٦ / ١	عبد الله بن مسعود	"إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب ..."

- ٤٥٥ / ١ "إن مما أخاف عليكم بعدى ما يفتح عليكم..."
- ٤٤٦ / ١ "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل..."
- ٢٩٢ / ٢ "إن هذه الأمة تبلى فى قبورها..."
- ٤١٥ / ١ ابن سيرين "إن هذا العلم دين..."
- ١٩٢ / ٢ "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف..."
- ٢٣٦ / ١ "إنه سيأتىكم منى أحاديث..."
- ٣١٩ / ١ عمر بن الخطاب "إنه سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات..."
- ٤٢٩ / ١ ابن عباس "إنه فقيه..."
- ٦٩ / ١ "إنه لم يكن نبي قبلى..."
- ٤٢٤ / ١ "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون..."
- ٨٦، ٨٥ / ٢ "إن هؤلاء لا يزالون مرتدين..."
- ٢٨٣ / ٢، ٤٠٩ / ١ "إنهم ليكون عليها، وإنها لتعذب فى قبرها..."
- ٤٣٠، ٤٢٩ / ١ "أول جيش من أمتى يغزون..."
- ٢٧٩ / ١ عبد الله بن عون "إنى أرى هذه الكتب يا أبا إسماعيل ستضل الناس"
- ٣١٩ / ١ عمر بن الخطاب "إنى أعلم أنك حجر لا تضر..."
- ٤٢ / ٢ "إنى خلقت عبادى حنفاء..."
- ٤٤٠ / ١ عبد الله بن عمر "إنى أقر بالسمع والطاعة..."
- ٨٩ / ١ حكيم بن أفلح "أنى قد نهيتها..."
- ٢٧٣ / ١ "إنى كنت أردت أن أكتب السنن..."
- ٢٢٧ / ١ "إنى لا أحل إلا ما أحل الله..."
- ٢٧٤ / ٢ "إنى لأرجو إن طال بى عمر أن ألقى عيسى..."

٤١٥ / ١	سفيان الثوري	"إني لأروى الحديث على ثلاثة أوجه..."
٣٦ / ١		"إني لأنسى أو أنسى لأسن..."
٣٦٧ / ١	أبو هريرة	"إني لأجزئ الليل ثلاثة أجزاء..."
٤٠٥، ٤٠٤ / ١	عمر بن الخطاب	"إني نهيتكم أن تغالوا في صدق النساء..."
٤٤ / ١		"أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة..."
١٩٥ / ٢		"أو قد وجدتموه؟"
٤٢٩ / ١		"أول جيش من أمتي يركبون البحر..."
٢٧٥ / ٢	أبو هريرة	"أى بنى أحمى أن رأيتموه فقولوا..."
٢٧٢ / ١	أبو بكر الصديق	"أى بنيه هلمى الأحاديث التى عندك..."
٣٦٨ / ١		"أى الخلق أعجب إليكم إيماناً..."
٢٨ / ٢		"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث..."
١٠٩ / ٢		"أيكم ييسط ثوبه فيأخذ من حديثي..."
٢٣٢ / ٢		"الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه..."
٤٢٢، ٤٢١ / ١	هارون الرشيد	"أين أنت يا عدو الله من أبى إسحاق..."
٣٠٢ / ٢		"آية الإيمان حب الأنصار..."
٣٣٣، ٣٣٢ / ١	معاوية بن أبى سفيان	"أيها الناس إياكم وأحاديث رسول الله..."

## (ب)

٤٤٧ / ١	عبادة بن الصامت	"يابعنا الرسول ﷺ على السمع والطاعة..."
٢٤٣ / ٢		"يايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً..."
٣٥٠ / ٢	أنس بن مالك	"بسم الله وقال إن رسول الله ﷺ أمرهم أن يفعلوا" أنس بن مالك
٣٥١ / ٢		"بشروا ولا تنفروا..."

- "بعثت أنا والساعة كهاتين..." ٣٩ / ١
- "بعثنى إليكم عمر أعلمكم..." ٣٣٥ / ١ أبو موسى الأشعري
- "بقية صدوق اللسان، ولكنه يأخذ عن..." ٤٢٠ / ١ عبد الله بن المبارك
- "بلغنى أن تلك السبعة فى الأمر..." ١٩١ / ٢ ابن شهاب الزهري
- "بهذا أمرتم أو لهذا خلقتهم؟..." ٢٣٩ / ٢
- "بيننا وبين القوم القوائم..." ١٤٨ / ٢ عبد الله بن المبارك

(ت)

- "تذكروا الحديث فإن مذاكرة..." ٣٦٨ / ١ أبو سعيد الخدرى
- "تذكروا الحديث فإنكم إلا تفعلوا..." ٣٢١ / ١ علي بن أبي طالب
- "ترانى أَرْضى، وتأبى أنت..." ٣٦٨ / ١
- "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما..." ٢٠١ / ١
- "تسمعون، ويسمع منكم..." ٢٨٢ / ١
- "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه..." ٢٢٢ / ٢
- "تعلموا الفرائض واللعن والسنن..." ٣٤١ / ١ عمر بن الخطاب
- "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين..." ١٢٥ / ٢

(ث)

- "ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها..." ٢٦٥ / ٢

(ج)

- "جتكم من عند أصحاب رسول الله..." ٧٧ / ١ ابن عباس
- "الجدال فى القرآن كفر..." ٦٠٦ / ٢
- "جتان من فضة آنيتهما وما فيهما..." ٢٢٦ / ٢

## (ح)

- "حدث به ولا تهابه..." القاسم بن محمد ٣٢٤ / ٢  
 "حدثوا الناس بما يعرفون..." علي بن أبي طالب ٣٣٧ / ١  
 "حفظت من رسول الله وعاءين..." أبو هريرة ٣٣٧ / ١  
 "الحلال بين والحرام بين..." ١٨٥ / ٢  
 "الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك..." ٣٢١ / ٢  
 "الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ..." أبو بكر الصديق ٣٠٩ / ١  
 "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ..." ٣١٦ / ١

## (خ)

- "خبئة من الخبائث..." ٥٣٢ / ١  
 "خذ عنا كما أخذنا..." أبو موسى الأشعري ٢٧٦ / ١  
 "خدمت النبي عشر سنين..." أنس بن مالك ٣٠٨ / ٢  
 "خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً" ٢٢٨ / ١  
 "خذوا القرآن من أربعة..." ٣٢١ / ٢  
 "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم..." ٨٠ / ٢

## (د)

- "دعه فإن له أصحاباً يحقر..." ٧١ / ١  
 "الدية للعاقلة ولا ترث..." ٣٢٤، ٣٢٣ / ١ عمر بن الخطاب

## (ذ)

- "ذاك أشعر أو أحبث..." ٣٩٣ / ١ أنس بن مالك  
 "الذين ارتضاهم بشهادة..." ٢٥٢ / ٢ ابن عباس

(ر)

"رحمك الله يا أبا عبد الله أكتب ..."

يحيى بن معين ٤١٦ / ١

(ز)

"زنادقة لأنهم ما استطاعوا أن يصرحوا ..."

عبد الله بن مصعب ٦٨ / ٢

(س)

"سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ..."

٤٣ / ٢

"سبحان الله إنما سمعت شيئاً فأحببت أن أثبت .."

عمر بن الخطاب ٣٤٤ / ١

"سترونه كما يرى القمر ليلة البدر ..."

٢٢٦ / ٢

"سن رسول الله، وولاة الأمر ..."

عمر بن عبد العزيز ٤٤ / ١

"سنوا بهم سنة أهل الكتاب ..."

٣٤٤ / ١

"السنة ستان، سنة في فريضة ..."

٢٣٠ / ١

"السنة قاضية على الكتاب ..."

يحيى بن كثير ٤٨٦ / ١

"سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات ..."

٣٤١ / ١

"سيحان وجيحان ..."

٥٨ / ٢

"سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ..."

٣٣٤ / ١

(ش)

"شفاء عرق النساء ..."

٢٠٦ / ١

"شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ..."

٢٤٨ / ٢

"شفعت الملائكة وشفع النبيون ..."

٢٥١ / ٢

(ص)

"صدق الله وكذب بطن أخيك ..."

٣٤١ / ٢

- "صدقنا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم..." ٢٨٧ / ٢
- "صلوا كما رأيتموني أصلي..." ٥٠٥ / ١
- "الصلاة في أول وقتها..." ١٣٤ / ٢
- (ط)
- طوبى لمن رآنى وآمن بى ٧٢ / ٢
- (ع)
- "عليك بالصعيد فإنه يكفيك..." ٢٣١ / ١
- "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة..." ٤٨٤ / ١
- "عليكم بستى وسنة الخلفاء الراشدين..." ٣٢٣ / ١
- "عودوا للذى كنتم فيه..." ١٠٩ / ٢
- "على المرء المسلم السمع والطاعة..." ٤٤٨، ٤٤٦ / ١
- (ف)
- "فإذا لقيت أولئك..." ٢٣٢ / ٢ ابن عمر
- "فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه..." ٧٠ / ١
- "فإنما الرضاعة من المجاعة..." ٣٢٧ / ٢
- "فتعاد روحه إلى جسده..." ٢٨٩ / ٢
- "فسنوا على التراب سنأ..." ٣٤ / ١ عمرو بن العاص
- "فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله ﷺ" محمد بن عمرو بن حزم ١١٣ / ٢
- "فوالذى نفسى بيده إنهم لأخير منهم..." ٣٩٣ / ١
- "فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق" ٣٥٦ / ١
- "فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك..." ٢٦ / ٢ عمر بن الخطاب

- "فلم نعطي الدنيا في ديننا..." ٣١٨ / ١ عمر بن الخطاب  
 "في أمتي اثنا عشر منافقاً..." ٩٠ / ٢  
 "في ثلاثة أثواب بيض..." ٣٣ / ٢ عائشة  
 "فيقال للأرض التمتي عليه فتلتم عليه..." ٢٩٣ / ٢

## (ق)

- "قد ترككم على البيضاء ليلها كنهارها..." ٣٠٧ / ١  
 "قد حكمت فيهم بحكم الله ﷻ..." ٣١٧ / ١  
 "قدر الله وما شاء فعل..." ٢٣٨ / ٢  
 "قد يس الشيطان بأن يعبد بأرضكم..." ٥٣ / ١  
 "قضى رسول الله ﷺ في بروع بنت واشق..." ٤٨ / ٢ معقل بن سنان الأشجعي  
 "قل آمنت بنبيك..." ٣٦٧ / ١  
 "القلوب أوعية فأشغوها بالقرآن..." ٢٧٥ / ١ ابن مسعود  
 "قيدوا العلم بالكتاب..." ٣٥٥ / ١ عمر بن الخطاب

## (ك)

- "كان أبو هريرة جريئاً على النبي ﷺ يسأله عن أشياء" ١١٢ / ٢ أبي بن كعب  
 "كان الناس أهل ردة بعد موت النبي ﷺ إلا ثلاثة..." ٩١ / ١ أبو جعفر  
 "كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها. أنس بن مالك" ٣٠٩ / ٢  
 "كان فيما أنزل من القرآن : عشر رضعات..." ٣٢٨ / ٢ عائشة  
 "كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة..." ٤٥٥ / ١ حسان بن عطية  
 "كان هذا العلم شريفاً..." ٢٩٨ / ١ الأوزاعي

- "كان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله ﷺ... "عبد الله بن عمر ١١٣ / ٢
- "كذب الله مقادير الخلائق ... " ٢٣٢ / ٢، ١٩٣ / ١
- "كذبت الحديث ثم محوته، فودت أنى فديته ... " عروة بن الزبير ٣٥٧ / ١
- "كذب أبو السنابل، ليس كما قال ... " أسيد بن حضير ٤٠٧ / ١
- "كذبت لعمر الله : لنقتلنه فإنك منافق تجادل ... " ٩٠ / ٢
- "كذب من قال ذلك ... " ٤٠٧ / ١
- "كذب والذي أنزل على أبي القاسم ... " عائشة بنت أبي بكر ٤٠٧ / ١
- "كذبت يهود، لا عذاب دون يوم القيامة ... " ٢٨٨ / ٢
- "كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب ... " عائشة ٧٢ / ١
- "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ... " ٣٣٩ / ١
- "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ... " ٤٨٠ / ١
- "كل مولود يولد على الفطرة ... " ٣٨٩، ٣٨٨ / ١
- "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بنى أمية ... " عمر بن الخطاب ٣٤٣ / ١
- "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا ... " الأوزاعي ٤١٥ / ١
- "كنا نكون عند النبي ﷺ وربما كنا نحواً من ستين" أنس بن مالك ٣٦٧ / ١
- "كل شيء بقدر حتى ... " ٢٣٢ / ٢
- "كلا والله لا يخزيك الله أبداً ... " ٤٧ / ١
- (ل)
- "لتبعن سنن من كان قبلكم ... " ٣٤ / ١
- "لتزكن الحديث عن الأول ... " عمر بن الخطاب ٣٢٧ / ١
- "لقد أدركت قوماً لو لم يتركوا الكذب ... " الأعمش ٣٤٣ / ١

- "لقد حكمت فيهم بحكم الله ... " ٣١٧ / ١
- "لقد ظننت ي أبا هريرة ... " ١١١ / ٢
- "لقد نزلت آية الرحم، ورضاعة الكبير عشر " عائشة ٣٢٨ / ٢
- "لكل نبي دعوة مستجابة ... " ٢٤٨ / ٢
- "لن يدخل أحداً عمله الجنة ... " ٢٤١ / ٢
- "لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ... " ٥٠٤ / ١
- "لم يكونوا يسألون عن الإسناد ... " محمد بن سيرين ١٢٥ / ١
- "لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه ... " ٢٤٢ / ٢
- "لو حدثتكم بكل ما في جوفى ... " أبو هريرة ٣٣٨، ٣٣٧ / ١
- "لكل دين فرسان ... " يزيد بن زريع ١٢٩ / ٢
- "لولا أن فيه كتاب الله لأحرقته ... " أبو موسى الأشعري ٢٧٧ / ١
- "لولا هذه العصاة لاندرس الإسلام ... " أبو داود الطيالسي ١٢٩ / ٢
- "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم ... " ٢٥٩ / ٢
- "لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى " عمر بن الخطاب ٣٢١ / ٢
- "لو كان فريضة لوجدته ... " ٢٢٩ / ١
- "لو كان واجباً لوجدته ... " ٢٢٩ / ١
- "لو وضعت الصمصامة ... " أبو ذر الغفاري ٣٣٨ / ١
- "ليردن على الخوض رجال ممن صاحبنى .. " ٤٣ / ٢
- "لم يكن في أمة من الأمم ... " أبو حاتم الرازي ١٢٩ / ٢
- "لما خلق الله الخلق ... " ٢١٦ / ٢
- "ليس بيني وبينه نبي وإنه نازل ... " ٢٧٠ / ٢

٤٠٥ / ١	علي بن أبي طالب	"ليس ذاك لك ... "
٨٤ / ١	أبو داود	"ليس في أصحاب الأهواء ... "
٥٠٧ / ١		"ليس لقاتل شيء ... "
٣٤٣ / ١	البراء بن عازب	"ليس كلنا سمع حديث رسول الله ﷺ ... "
٣٨٣ / ١		"ليس الكاذب من أصلح بين الناس ... "
٢٤٦ / ١		"ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ... "
(م)		
٣٣٧ / ١	ابن مسعود	"ما أنت بمحدث قوماً حديثاً ... "
٢٢٤ / ١		"ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ... "
٢٧٣ / ١		"ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض ... "
٣٤٣ / ١	عائشة	"ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله من ... "
٢٥٧ / ٢		"ما المسئول عنها بأعلم من السائل ... "
٣٤٠ / ٢		"ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطن ... "
٣٥٧، ٣٥٦ / ١	أبو هريرة	"ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديث عنه منى ... أبو هريرة
٣٣٨ / ١		"ما من رجل يحفظ علماً ... "
٢٤٣، ٢٤٢، ٤٢ / ٢		"ما من عبد قال لا إله إلا إله ثم مات على ذلك ... "
٤٢ / ٢		"ما من مولد إلا يولد على الفطرة ... "
٢٦٤ / ٢		"ما من نبي إلا وقد أُنذر أمته الأعور الكذاب ... "
٤٨٠ / ١		"ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ... "
٢٧١ / ١		"ما هذا تكتبون ؟ ... "
٣٢٦ / ١	عمر بن الخطاب	"ما هذا الحديث الذي تكترون ... "

٢٩٤ / ١		"ما هذا الذى فى يدك يا عمر؟ ..."
٥٨ / ٢		"ما هذان يا جبريل ..."
٢٥ / ٢		"ما يقول ذو اليمين؟ ..."
٢٦،٢٥ / ٢	عمر بن الخطاب	"ما لك فى كتاب الله شيء ..."
٣٨٢ / ١		"مثل المنافق مثل الشاة بين الغنمين ..."
٢٥٥ / ٢		"مفاتيح الغيب خمس ..."
٢٦٠،٢٥٩ / ٢		"المهدى منى أجلى الجبهة ..."
٣٦٧ / ١		"ما يقعدكم ..."
٢٤٣ / ١		"المؤمن القوى خير وأفضل ..."
١٢٩ / ٢	سفيان الثوري	"الملاحكة حراس السماء ..."
١٨٥ / ٢،٤٦ / ١		"من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه ..."
٤٠ / ١		"من حدث عني بحديث يرى أنه كذب ..."
٤٦٠ / ١		"من أسلف فى تمر، فليسلف فى كيل معلوم ..."
١١٢،١١١ / ٢		"من تبع جنازة ..."
٣٣٩ / ٢		"من تصبح بسبع تمرات عجوة ..."
٣٣٠ / ١		"من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار ..."
٢٣٢ / ١		"من حمل علينا السلاح ..."
٥٠٨ / ١		"من حوسب يوم القيامة، عذب ..."
٢٣٣ / ١		"من خرج على الطاعة ..."
٤٤٦،١٠٩ / ١		"من رأى منكم منكراً فليغيره ..."
٢٢٨ / ٢	عائشة	"من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه ..."

- "من رأى من أميره شيئاً ..."
- ٤٢٤ / ١
- "من سن سنة حسنة فله أجرها ..."
- ٣٤ / ١
- "من قال على فقد تبوأ مقعده من النار ..."
- ٣٢٨ / ١
- "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ..."
- ١٨١ / ٢
- "من قتل نفسه بحديدة ..."
- ٢٤٤ / ٢
- "من كان مستناً فليستن بأصحاب محمد ﷺ ..."
- ١٠٠ / ٢
- "من كذب على ليضل به الناس ..."
- ٤١٠ / ١
- "من كذب على فهو في النار ..."
- ٣٣١ / ١
- "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ..."
- ٣٣٠، ٢٨٤ / ١
- "من لم يكن من أهل الكبائر فماله ..."
- ٢٥١ / ٢
- جابر بن عبد الله
- "من المذى الوضوء ..."
- ٢٣١ / ١
- "من نسي وهو صائم أكل أو شرب ..."
- ٥٠٢ / ١
- "من ترك حديثاً معروفاً ..."
- ٣٦٣ / ٢
- نعيم بن حماد
- (ن)
- "نام النبي ﷺ فاستيقظ وكانت تغسل رأسها ..."
- ٣٠٩ / ٢
- "ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله ..."
- ٣٠٦، ٣٠٥ / ٢
- "النجوم أمانة للسماء ..."
- ٨٠ / ٢
- "نحن لا نكتب ولا نكتب ..."
- ٢٧٤ / ١
- أبو هريرة
- "نرى أن نجلده ثمانين ..."
- ٤٣ / ١
- علي بن أبي طالب
- "نضر الله امرء سمع منا حديثاً ..."
- ٣٩ / ١
- "نعم هل تضارون ..."
- ٢٥٢ / ٢

- ٢٦٨ / ١ "نعم، فإنني لا أقول في الغضب ... "
- ٦٣ / ١ "نقركم ما أقركم الله ﷻ ... "
- ٢٢٢ / ٢ "نور أني أراه ... "
- ١٧٤ / ١ "نهى رسول الله ﷺ أن نستقبل ... "
- ٢٩٧ / ١ "نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن ... "
- ٤٦٤ / ١ "نهى رسول الله ﷺ أن يتنفس في الإناء ... "
- ٣١١ / ١ "نهى رسول الله ﷺ عن الخزف ... "
- ٣١٢ / ١ "نهى رسول الله ﷺ عن درهمين بدرهم ... "
- ٣٥٣ / ١ "نهى رسول الله ﷺ عن الحرير ... "
- ٥٣٢ / ١ "نهى رسول الله ﷺ عن أكل الخمر الأهلية ... "
- ٥٣٠ / ١ "نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة ... "
- ٣٥٤ / ١ "نهى رسول الله ﷺ عن الحرير ... "
- ١١٢ / ٢ أنس بن مالك "نهينا أن نسأل رسول ﷺ عن شيء ... "

(هـ)

- ٦٩ / ١ "هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ... "
- ٧٠ / ١ "هم الخوارج ... "
- ٦٤ / ١ عمر بن الخطاب "هم عدونا وتهمتنا ... "
- ٩٦ / ١ "هذا وصي وأخي ... "
- ٢٠١ / ١ "هلم أكتب لكم كتاباً ... "

(و)

- ٢٣٨ / ٢ "وإن أصابك شيء ... "

- "وأياكم يملك أربه كما كان ﷺ يملك أربه..." عائشة ٣٠٢/٢
- "وإني والله لا ألبس..." عمر بن الخطاب ٢٩٢/١
- "والذى نفسى بيده، إنكم أحب الناس إلى..." ٣٠٢/٢
- "والذى نفسى بيده لأقضى بينكما..." ٤٥٥، ٢٢٧/١
- "والذى نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى..." ٢٩٣/١
- "والذى نفسى بيده، ليوشكن..." ٢٦٧/٢
- "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة..." أبو بكر الصديق ٤٠٦/١
- "والله لمشهد شهدة رجل..." سعيد بن زيد ٨١/٢
- "والله ما قضى بهذا على..." ابن عباس ٤١٥/١
- "والله ما ندرى لعلها كانت رخصة من النبى..." أم سلمة ٣٢٥/٢
- "والله ما نريد بالقرآن بدلاً ولكن..." مطرف بن عبد الله ٤٨٥/١
- "والله ما كل ما نحدثكم عن رسول الله سمعناه منه..." أنس بن مالك ٣٤٣/١
- "والله ما نرى هذا إلا رخصة..." ٣٢٤/٢
- "والله ما يشك أنه سمع..." طلحة بن عبيد الله ١١٣، ١١٢/٢
- "والله لا أشهد لك جنازة..." عبد الله بن المغفل ٣١١/١
- "وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا..." ٣٨٥/١
- "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا..." ٢٠١/١
- "ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟..." ٨٥/٢
- "وجدتم ما وعد ربكم..." ٢٨٦/٢
- "ويلكم ألا تتقون الله..." عبد الله بن عمر ٤٥/١

(لا)

- "لأسلم وغفار، وشيء من مزينة وجهينة ... "
- ٣٨٣ / ١
- "لا أما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن ... "
- ٣١٢ / ٢
- "لا أستطيع، أخاف أن أزيد أو أن انقص ... " دجين بن أبي الغصن
- ٣٣٠ / ١
- "لا أشبع الله بطنه ... "
- ٤٢٨ / ١
- "لا أعلم إلا ما قال علي عليه السلام ... "
- ٣١٨ / ١
- "لا أغير شيئاً منه من مكانه ... " عثمان بن عفان
- ٢٠٦، ٢٠٥ / ٢
- "لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ... "
- ٢٣٨ / ١
- "لا تتخذوا للحديث كرايس ... " الضحاك
- ٢٧٧ / ١
- "لا تجالسوا أهل الأهواء ... "
- ٦٥ / ١
- "لا تزال طائفة من أمتي ... "
- ٢٧٤ / ٢
- "لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان ... " شعبة بن الحجاج
- ٤١٧ / ١
- "لا ترجعوا بعدى كفاراً ... "
- ٨٦ / ٢
- "لا تسبوا أصحابي ... "
- ٨١ / ٢
- "لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث ... "
- ٢٣١ / ١
- "لا تكتبوا عني ... "
- ٢٧١ / ١
- "لا رضاع إلا ما كان في الحولين ... "
- ٣٢٧ / ٢
- "لا رأى لأحد مع سنة ... " عمر بن عبد العزيز
- ٣٢٤ / ١
- "لا عليك فإنه ما طلب إنسان علماً ... " إبراهيم النخعي
- ٢٧٨ / ١
- "لا نبى بعدى ... "
- ٢٧٤، ٢٦٧ / ٢
- "لا ندع كتاب ربنا لقول أعرابي ... " علي بن أبي طالب
- ٤٨ / ٢

- "لا نورث ما تركنا صدقة..." ٥٠٧ / ١
- "لا ونيلك الذي أرسلت..." ٣٦٧ / ١
- "لا نكتبكم، خذوا عنا كما أخذنا..." أبو سعيد الخدري ٢٧٤ / ١
- "لا يجمع بين المرأة وعمتها..." ٢٣٣ / ١
- "لا يحبك إلا مؤمن، ولا ييغضبك إلا منافق..." ٣٠٣ / ٢
- "لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء..." ٣٢٨ / ٢
- "لا يحل دم أمرى مسلم..." ٢٣٢ / ١
- "لا يدخل الجنة قتات..." ١٣٤ / ٢
- "لا يدخل الجنة مدمن همر..." ٢٤٤ / ٢
- "لا يرث المسلم الكافر..." ٥٠٧ / ١
- "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..." ٤٣ / ٢
- "لا يستبطن أحد منكم رزقه..." ٤٥٥ / ١
- "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة..." ٣١٧ / ١
- "لا يقتل مسلم بكافر..." ٥٣٠ / ١
- "لا يحسكن الناس على بشيء..." ٢٢٨ / ١
- "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه..." ٣٠٨ / ١

(٥)

- "يأتى على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث..." الضحاك ٢٧٧ / ١
- "يا أبا هريرة كنت ألزمتنا لرسول الله ﷺ..." عبد الله بن عمر ١١٣ / ٢
- "يا ابن أختي لقد وقف شعر بدني..." عائشة ٢٢٨ / ٢
- "يا ابن الخطاب، وما يدريك؟ لعل الله..." ٩٢ / ٢

- ١٩٢ / ٢ "يا أباي، أرسل إلى أن أقرأ القرآن ..."
- ٣٠٢ / ٢ "يا أم فلان أي السكك شئت، حتى أقضى لك حاجتك"
- ٣٢٠ / ١ "يا أيها الناس : اتهموا الرأي على الدين ... " عمر بن الخطاب
- ٣٢١ / ٢ "يا أيها الناس ألا كان مفزعكم إلى الله وإلى رسوله"
- ٣٣٢ / ١ "يا أيها الناس : إياكم وكثرة الحديث عني ..."
- ٣١٣ / ١ "يا أيها الناس إن الله لم يعث بعد نبيكم نبياً ... " عمر بن عبد العزيز
- ١٩٥ / ٢ "يا جبريل إني بعثت إلى أمه أميين ..."
- ٥٨ / ٢ "يا جبريل ما هذه الأنهار ..."
- ٢٣٦ / ٢ "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ..."
- ٦٩ / ١ "يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم ..."
- ٣١٢ / ٢ "يا عائشة إن الله أفتاني ..."
- ٤٦٣ / ١ "يا غلام سم الله وكل يمينك ..."
- ١٤٥ / ٢ "يا محمد أتانا رسولك فزعم كذا ... " أنس بن مالك
- ٦٣ / ١ "يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي ..."
- ٩١ / ٢ "يا معشر المسلمين من يعذرني ..."
- ٥٣٠ / ١ "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ..."
- ١٨١، ١٨٠ / ٢ "يغزو جيش الكعبة ..."
- ٢٨٤ / ١ "يكون في آخر الزمان دجالون ..."
- ٢٢٨ / ١ "يوشك الرجل متكاً على أريكته ..."
- ٢٩٣ / ١ "يشبه بالمصاحف ... " إبراهيم النخعي

\*\*\* \*\*

## ثالثاً فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة

الأعلام المترجم لهم

(أ)

٤١٦ / ١	أبان بن أبى عيشاش .
٣٢٧ / ١	ابن مائع الحميرى . (كعب الأخبار)
٢٧٦ / ١	أبو بردة بن أبى موسى .
٢٧٢ / ١	أبو بكر الصديق .
٣٤٦ / ١	أبو بكر بن محمد بن حزم .
٣٢١ / ٢	أبو حذيفة بن عتبة .
٣١٢ / ١	أبو جندل (ابن سهيل بن عمرو) .
١١٠ / ٢	أبو الزعيزعة .
٣٥٠ / ٢	أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف .
١٠٣ / ٢	أبو هريرة .
٢٦ / ٢	أبى بن كعب .
٢٧٨ / ١	إبراهيم بن سويد النخعى .
٣٢٦ / ١	إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف .
١٩٧ / ١	إبراهيم بن موسى "الشاطبى" .
٤٢٠ / ١	إبراهيم بن محمد "الفزارى" .
١١٢ / ١	إبراهيم بن سار "النظام" .
١٩٨ / ١	إبراهيم بن موسى (الشاطبى) .
٢٧١ / ١	أحمد أمين .

٨٤ / ١	أحمد بن إبراهيم (الخطابي) .
١٤٠ / ٢	أحمد بن إسحاق بن أيوب .
٧٨ / ١	أحمد حجازي السقا .
١٢٠ / ٢	أحمد بن الحسن بن جنيد .
١٦٨ / ١	أحمد خان بن أحمد .
٢٢٥ / ١	أحمد بن الحسين (البيهقي) .
١٢١ / ٢	أحمد بن سنان بن أسد .
٢٢٤ / ١	أحمد شاكر .
٢٩ / ١	أحمد صبحي منصور .
٨٥ / ١	أحمد عبد الحلیم "ابن تيمية" .
٢٥٩ / ١	أحمد بن عبد الله "بن أبي الخوارى" .
٢٩٦ / ١	أحمد بن علي "الخطيب البغدادي" .
٥١ / ٢	أحمد بن علي الرازي "الخصاص" .
٢٣٥ / ٢	أحمد بن محمد الأزدي "الطحاوي" .
٤١٦ / ١	أحمد بن محمد بن حنبل .
٢٦٨ / ٢	أحمد بن محمد بن زيد .
٣٣ / ١	أحمد بن يحيى (ثعلب) .
٤٢٦ / ١	إدريس الحسيني .
٥٨ / ١	أسد رستم .
٣٣١ / ١	أسلم العدوي .
١١٦ / ١	إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم .

- إسماعيل بن حماد "الجوهري" . ٣٤ / ١
- إسماعيل بن عبد الرحمن "السدي الكبير" . ١٠٢ / ١
- إسماعيل بن عمر (ابن كثير) . ٧٠ / ١
- إسماعيل منصور جودة . ١٩١ / ١
- أسيد بن حضير . ٩١ / ٢
- أم حرام بنت ملحان . ٣٠٥ / ٢
- أم سليم بنت ملحان . ٣٠٥ / ٢
- أم كلثوم بنت عقبة . ٣٨٣ / ١
- (ب)
- بشير العدوي ابن كعب . ٤١٤ / ١
- البراء بن عازب . ٣١٨ / ١
- بريدة بن الحصيب . ٤٠١ / ١
- بلال بن عبد الله . ٣١٢ / ١
- (ت)
- توفيق صدقي . ٢٧ / ١
- (ث)
- ثابت بن أسلم . ٤١٦ / ١
- ثمالة بن عبد الله . ٣٤٩ / ٢
- ثوبان بن بجدر . ٢٢٩ / ١
- (ج)
- جابر بن زيد . ٣٠٩ / ١

٣٩ / ١	جابر بن عبد الله .
٢٢٥ / ٢	حرير بن عبد الله .
٢٠٩ / ٢	الجعد بن درهم .
١٩١ / ١	جمال البناء .
٢٠٩ / ٢	الجهم بن صفوان .
٣٤٨ / ١	جوزيف شاخت .
٢٥ / ١	جولد تسيهر .
٣٢٦ / ١	جندب بن جناده "أبو ذر الغفاري" .

## (ح)

٤٦٢ / ١	حباب بن المنذر .
٤٠٧ / ١	حبة بن بعكك "أبو السنايل" .
٢٥٦ / ١	حجاج بن ارطأة .
٤٠٦ / ١	الحجاج بن يوسف الثقفي .
٣٢١ / ٢	أبو حذيفة بن عتبة .
٤٥٥ / ١	حسان بن عطية .
١٠٤ / ١	الحسن بن أبي الحسن "الحسن البصري" .
٢٣ / ١	الحسن بن عبد الله "أبو هلال العسكري" .
٩٦ / ٢	الحسن بن علي بن أبي طالب .
٢٧١ / ١	حسين أحمد أمين .
٢٨٧ / ١	حسين الحاج حسن .
٤١ / ٢	الحسين بن علي البصري .

- ٣٣٥ / ١ حفص بن غياث بن طلق .  
 ٣٢١ / ١ حفصة بنت عمر .  
 ٨٩ / ١ حكيم بن أفلح المدني .  
 ٢٧٨ / ١ حماد بن زيد بن درهم .  
 ٩٨ / ١ حماد بن سلمة بن دينار .  
 ٢٠٢ / ٢ حمزة بن حبيب .  
 ٢٣٤ / ١ حمزة بن عمرو الأسلمي .

## (خ)

- ٧١ / ١ خالد بن الوليد .  
 ٢٥ / ٢ الخرياق بن عمرو (ذو اليدين) .  
 ٨٦ / ٢ خليل عبد الكريم .  
 ١٠٠ / ١ الخليل بن عبد الله بن أحمد .

## (د)

- ٢٩٤ / ١ دانيال عليه السلام .  
 ٣٣١ / ١ دجين بن ثابت .  
 ٣٥ / ٢ دحية الكلبي .

## (ذ)

- ١١٤ / ٢ ذكوان أبو صالح السمان .

## (ر)

- ٤٥٧ / ١ رافع بن خديج .  
 ٢٤٧ / ١ الربيع بن خثيم .

- ١٩١ / ١ رشاد خليفة .
- (ز)
- ٢٠٢ / ٢ زيان بن العلاء البصرى .
- ٣٣٠ / ١ الزبير بن العوام .
- ٢٦٦ / ١ زكريا عباس داود .
- ٣١٧ / ١ زيد بن أرقم .
- ٣٩ / ١ زيد بن ثابت .
- (س)
- ٣٢٧ / ١ السائب بن يزيد .
- ٤٥ / ١ سالم بن عبد الله بن عمر .
- ٣٢١ / ٢ سالم بن معقل .
- ٤٠٧ / ١ سبيعة بنت الحارث .
- ٧٠ / ١ سعد بن مالك (أبو سعيد الخدرى) .
- ٣١٧ / ١ سعد بن معاذ .
- ٩١ / ٢ سعد بن عبادة .
- ١٤٦ / ٢ سعد الدين على (ابن عراق) .
- ٢٧٥ / ١ سعيد بن أبي الحسن البصرى .
- ٣٥٠ / ٢ سعيد بن خالد بن عبد الله .
- ٢٩٠ / ١ سعيد بن المسيب .
- ٢٧٧ / ١ سفيان الثورى .
- ٤٦ / ١ سفيان بن عيينه .

- سلمة بن دينار . ١٠١ / ٢  
 سلمان الفارسي . ١٧٤ / ١  
 سليمان بن الأشعث . ٨٥ / ١  
 سليمان بن حيان (أبو خالد الأحمر) . ٢٩٢ / ١  
 سليمان بن داود . ١٢٩ / ٢  
 سليم بن عامر الكلاعي . ٢٨٦ / ١  
 سهلة بنت سهيل . ٣٢٢ / ٢  
 السيد صالح أبو بكر . ٤٢٦ / ١

(ش)

- شريح بن الحارس . ٣٠٩ / ١  
 شعبة بن الحجاج . ٤١٧ / ١

(ص)

- صدي بن عجلان (أبو أمانة الباهلي) ٧٠ / ١

(ض)

- الضحاك بن سفيان . ٣٢٤ / ١  
 الضحاك بن مزاحم . ٢٧٧ / ١  
 ضرار بن عمرو الغطفاني . ٢٨٢ / ٢  
 ضمام بن ثعلبة . ١٤٥ / ٢

(ط)

- طاووس بن كيسان . ٢٧٧ / ١  
 الطفيل بن عمرو . ١٠٥ / ٢

- طلحة بن عبيد الله . ٤٥٧ / ١  
 طه حسين . ١٩٠ / ٢  
 (ط)  
 ظفر إسحاق الأنصارى . ٣٥٩ / ١  
 (ع)  
 عائشة بنت أبي بكر . ٦٩ / ١  
 عاصم بن أبي النجود . ٢٠٢ / ٢  
 عامر بن شراحيل . ٢٨٩ / ١  
 عامر بن الأكوع . ٤٠٦ / ١  
 عبادة بن الصامت . ٢٢٧ / ١  
 عبد الله بن أحمد "الكعبي البلخي" . ١١٤ / ١  
 عبد الله أحمد النعيم . ٤٩٣ / ١  
 عبد الله بن أبي أوفى . ٢٢١ / ١  
 عبد الله بن حبيب السلمى . ٥١٢ / ١  
 عبد الله بن حذيفة . ٣٢٦ / ١  
 عبد الله بن الرومى . ٢٣٠ / ١  
 عبد الله بن الزبير . ٣٣٠ / ١  
 عبد الله بن الزبير (الحميدى) . ٣١٢ / ١  
 عبد الله بن زيد . ٦٥ / ١  
 عبد الله بن عامر . ٢٠٢ / ٢  
 عبد الله بن عباس . ٧٦ / ١

- عبد الله بن عبد الله بن أبي . ٣١٩ / ١
- عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة . ٣٢٥ / ١
- عبد الله بن عمر . ٤٥ / ١
- عبد الله بن عمرو . ٤٤ / ١
- عبد الله بن عون بن أرطبان . ٢٧٨ / ١
- عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري) . ٢٧٦ / ١
- عبد الله بن كثير الداري . ٢٠٢ / ٢
- عبد الله بن المثني بن عبد الله . ٣٤٩ / ٢
- عبد الله بن محرر الجزري . ٢٥٧ / ١
- عبد الله بن مسعود . ١٩٦ / ١
- عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) . ١٢١ / ١
- عبد الله بن المغفل . ٣١١ / ١
- عبد الله بن مصعب بن ثابت . ٦٨ / ٢
- عبد الله بن المبارك . ٢٥٧ / ١
- عبد الله "فيلبي" . ١٤٩ / ١
- عبد الجبار بن أحمد (القاضي) . ١١٨ / ١
- عبد الجواد ياسين . ٢٧١ / ١
- عبد الحسين شرف الدين . ٤٢٦ / ١
- عبد الحميد بن هبة الله (ابن أبي الحديد) . ٩٩ / ١
- عبد الرعوف المناوي . ١٧١ / ٢
- عبد الرازق بن همام بن نافع . ٤١٦ / ١

- عبد الرحمن بن أبي بكر "السيوطي". ٢٧٣ / ١
- عبد الرحمن بن إسماعيل "أبو شامة". ٢٠٣ / ٢
- عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. ٢٧٢ / ١
- عبد الرحمن بن عوف. ٤٣ / ١
- عبد الرحمن بن عمرو "الأوزاعي". ٤٦ / ١
- عبد الرحمن بن محمد "ابن خلدون". ٢٤٩ / ١
- عبد الرحمن بن مل "أبو عثمان النهدي". ١٠٦ / ٢
- عبد الرحمن بن مهدي. ٤٦ / ١
- عبد الرحيم بن الحسين (العراقي). ٣٨ / ٢
- عبد الرحيم بن محمد (الخطاط). ١٠٥ / ١
- عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب "الجبائي". ٣١٦ / ١
- عبد العزيز بن عبد السلام. (ابن أبي العز). ٢٤٠ / ١
- عبد الغني محمد عبد الخالق. ٢١٤ / ١
- عبد القادر البغدادي. ٥٨ / ١
- عبد الملك بن عبد الله "الجويني". ١١٥ / ١
- عبد الملك بن قريب "الأصمعي". ٣٨٨ / ١
- عبد الواحد يحيى "رنيه جينو". ١٤٩ / ١
- عبيد بن حنين. ٣٤٣ / ٢
- عبيد بن عمير بن قتادة. ٣٨٢ / ١
- عبيد الله بن الحسين (الكرخي). ٤١ / ٢
- عبيد الله بن عبد الكريم (أبو زعة الرازي). ٦٧ / ٢

٢٧٨ / ١	عبدة بن عمرو السلماني .
٣٥٣ / ١	عتبة بن فرقد .
٢٥٥ / ١	عثمان بن عبد الرحمن "ابن الصلاح" .
٣٢٨ / ١	عثمان بن عفان .
٢٧٣ / ١	عروة بن الزبير .
٤٣ / ١	العرباض بن سارية .
٣٢٦ / ١	عقبة بن عامر الجهني .
٣٢٦ / ١	عقبة بن عمرو "أبو مسعود الأنصاري" .
٢٧٥ / ١	علقمة بن قيس بن عبد الله .
١٧٩ / ٢	علقمة بن وقاص الليثي .
١٠٦ / ٢	العلاء بن الحضرمي .
٢٤٣ / ١	علي بن أبي بكر "الهيثمي" .
٤٣ / ١	علي بن أبي طالب .
١١٥ / ١	علي بن أبي علي "الأمدي" .
٧٨ / ١	علي بن أحمد "ابن حزم" .
٧٦ / ٢	علي بن إسماعيل بن عطية "الإبياري" .
٢٥ / ١	علي حسن عبد القادر .
١٦٥ / ٢	علي بن الحسين بن الهيثم .
٣٧ / ١	علي بن حمزة الكوفي (الكسائي) .
٢٦٦ / ١	علي الشهرستاني .
٢٢٧ / ٢	علي بن عبد الله "ابن المديني" .

- ٥١١ / ١ علي بن عبد الكافي "السبكي".  
 ١١٥ / ١ علي بن محمد "بن الأثير".  
 ١٤٦ / ٢ علي بن محمد الكنانى "ابن عراق".  
 ٤٢٦ / ١ علي الوردي.  
 ١٩ / ٢ عمر بن الحسن أبو الخطاب (ابن دحية).  
 ٤٤ / ١ عمر بن عبد العزيز.  
 ١١٧ / ١ عمرو بن بحر "الجاحظ".  
 ٣٥٣ / ١ عمرو بن حزم بن عبد عوف.  
 ٤٣ / ١ عمر بن الخطاب.  
 ٢٧٧ / ١ عمرو بن دينار.  
 ٣٤ / ١ عمرو بن العاص.  
 ٦٣ / ١ عمرو بن عثمان "سيوبه".  
 ٢٣١ / ١ عمران بن حصين.  
 ٨١ / ١ عمران بن حطان.  
 ٣٢٦ / ١ عويمر بن عامر "أبو الدرداء".  
 (غ)  
 ٤٤٢ / ١ غياث بن إبراهيم النخعى.  
 ٣٣ / ١ غيلان بن بهيس (ذو الرُّمة).  
 (ف)  
 ٤٧ / ٢ فاطمة بنت قيس.  
 ٣٥٧ / ١ الفضل بن الحسن بن عمرو.

٢٧٨ / ١	فضيل بن عمرو الفقيمي .
	(ق)
٢٩ / ١	قاسم أحمد .
٢٧٦ / ١	القاسم بن سلام .
٤٠٨ / ١	القاسم بن محمد بن أبي بكر .
٢٥ / ٢	قبيصة بن ذؤيب الخزاعي .
٣١٢ / ١	قتادة بن دعامة السدوسي .
٣٢٧ / ١	قرظ بن كعب .
	(ك)
١٤٧ / ١	كارل بروكلمان .
	(ل)
٣٦ / ١	لبيد بن ربيعة .
١٤٩ / ١	ليوبولد فايس (محمد أسد) .
	(م)
٤٤ / ١	مالك بن أنس .
١٩٦ / ١	مجاهد بن جبر .
٤٢٨ / ١	محب الدين الخطيب .
٢٤٨ / ١	محب الله بن عبد الشكور .
٥٢ / ١	محمد بن أبي بكر "ابن قيم الجوزية" .
٣٦ / ١	محمد بن أحمد "القرطبي" .
٩٨ / ١	محمد بن إدريس "الشافعي" .

- محمد بن إسحاق "ابن خزيمه". ١٠٤ / ٢
- محمد أسد (ليوبولد فايس). ١٤٩ / ١
- محمد بن بهادر بن عبد الله "الزركشى". ٤٢ / ٢
- محمد بن إسحاق "القاسانى". ٢٣ / ٢
- محمد بن إسحاق بن يسار. ٣١٩ / ١
- محمد بن إسماعيل البخارى. ٢٩٨ / ٢
- محمد بن بحر "أبو مسلم الأصبهاني". ٥١٠ / ١
- محمد بن جرير الطبرى. ٣٦ / ١
- محمد بن حبان بن أحمد. ١١٣ / ١
- محمد بن الحسن الشيبانى. ٣٦٢ / ١
- محمد حسين هيكل. ٢٧١ / ١
- محمد بن الحسين "الآجرى". ٥٣٦ / ١
- محمد بن داود على. ٢٣ / ٢
- محمد رشيد رضا. ٣٠٣ / ١
- محمد بن سيرين. ١٢٥ / ١
- محمد بن سعيد بن حسان. ١٤٦ / ٢
- محمد شحرور. ٢٧ / ١
- محمد بن الطيب "الباقلانى". ٢٢٦ / ٢
- محمد بن عبد الباقي "الزرقانى". ٣٢٥ / ٢
- محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة. ٢٤٢ / ١
- محمد بن عبد الكريم بن أحمد "الشهرستانى". ١٢٠ / ١

٣١٣ / ٢	محمد عبده .
١١٥ / ١	محمد بن عبد الله "الحاكم" .
٣١٦ / ١	محمد بن عبد الوهاب "الجبائي" .
٢٤٥ / ١	محمد بن علي بن الحسن "الزمذى" .
١١٤ / ١	محمد بن علي بن الطيب "أبو الحسين المعتزلى" .
٢٢٧ / ١	محمد بن علي بن وهب "ابن دقيق العيد" .
٣٢٠ / ١	محمد بن عمر بن واقد "الواقدى" .
١١٣ / ٢	محمد بن عمرو بن حزم .
٢٠ / ٢	محمد بن عفيفى "الخضرى" .
١٩٨ / ٢	محمد بن علي بن عمر "المازرى" .
٣٧ / ١	محمد بن علي بن محمد "الشوكانى" .
٥١٣ / ٢	محمد بن قطن التميمى "يحيى بن أكرم" .
٤٩٥ / ١	محمد بن كعب بن سليم .
١١٤ / ١	محمد بن محمد بن جعفر "الدقاق" .
٣٦٥ / ١	محمد بن محمد بن علي "ابن الجزرى" .
١١١ / ١	محمد بن محمد بن محمود "البلخى" .
١٠٢ / ١	محمد بن محمد الغزالى .
٣٢٢ / ٢	محمد بن محمد بن عبد اللطيف (الخطيب) .
١٠٢ / ١	محمد بن مروان بن عبد الله "السدى الصغير" .
٣٥١ / ١	محمد بن مسلم "ابن شهاب الزهرى" .
٢٥ / ٢	محمد بن مسلمة .

١١١ / ١	محمد بن الهذيل "العلاف" .
١١٢ / ١	محمد بن موسى بن عثمان "الحازمي" .
١٣٦ / ١	محمد بن موسى "الدميري" .
٢٨ / ١	محمد نجيب .
٨٤ / ١	محمد بن يزيد "الميرد" .
٣٨ / ١	محمد بن يوسف بن علي "أبو حيان" .
٢٧ / ١	عمود أبو رية .
٣٨ / ١	عمود بن عمر "الزخشرى" .
١٠١ / ١	عمود شكرى "الألوسى" .
٤٩٣ / ١	عمود محمد طه .
٢٦٦ / ١	مرتضى العسكرى .
٢٧٦ / ١	مرة بن شراحيل .
١٤٦ / ١	مرجليوث .
٢٦٧ / ١	مروان خليفات .
٢٨٩ / ١	مروان بن الحكم .
٢٧٨ / ١	مسروق بن الأجدع .
٤١٥ / ١	مسعر بن كدام بن ظهير .
١٣٧ / ١	مصطفى حسنى السباعى .
١٩٠ / ١	مصطفى كمال المهدوى .
٢٦٨ / ٢	مطر بن طهمان الوراق .
٤٨٥ / ١	مطرف بن عبد الله بن الشخير .

- معاذ بن جبل . ٣١٦ / ١  
 معاوية بن أبي سفيان . ٤٢٧ / ١  
 معقل بن سنان الأشجعي . ٤٨ / ٢  
 معمر بن راشد . ٤١٦ / ١  
 المغيرة بن شعبة . ٤٠ / ١  
 المفضل بن سلمة بن عاصم . ٣٦ / ١  
 مقاتل بن حيان "أبو بسطام البلخي" . ٨٨ / ٢  
 مقاتل بن سليمان بن كثير . ٢١١ / ٢  
 المقدام بن معد يكرب . ٢٢٨ / ١  
 مكحول الشامي . ٢٣٠ / ١  
 مكى بن أبى طالب . ٢٠٢ / ٢  
 منصور بن محمد بن عبد الجبار "أبو المظفر السمعاني" ٤٢٣ / ١  
 المنذر بن مالك "أبو نضرة" . ٢٧٤ / ١  
 ميمون بن قيس . ٣٣ / ١  
 ميمون بن مهران . ٣٠٩ / ١

## (ن)

- ناصر الدين دينية . ١٤٩ / ١  
 نافع بن عبد الرحمن . ٢٠٢ / ٢  
 نيازى عز الدين . ٢٧ / ١  
 النعمان بن بشير . ١٨٥ / ٢  
 نفيح بن مسروح . ٩٦ / ٢  
 نوف البكالى . ٤٠٧ / ١

## (هـ)

- هدلى الفاروق . ١٤٩ / ١  
 هشام بن حكيم . ١٩١ / ٢  
 همام بن منبه . ٣٥٧ / ١

## (و)

- الوليد الكرايسى . ١٢٦ / ١

## (ى)

- يحيى بن أبى كثير . ٨١ / ١  
 يحيى بن آدم بن سليمان . ٢٤٢ / ١  
 يحيى بن أكثم . ٥١٢ / ١  
 يحيى بن زياد بن عبد الله "الفراء" . ٦٣ / ١  
 يحيى بن سعيد القطان . ٢٨٩ / ١  
 يحيى بن شرف "أبو زكريا النووى" . ٣٣٢ / ١  
 يحيى بن معين بن عون . ٨٤ / ١  
 يحيى بن يحيى بن كثير "القرطبى" . ٣٦٢ / ١  
 يعقوب بن إبراهيم "أبو يوسف صاحب أبى حنيفة" . ٥١ / ٢  
 يزيد بن زريع . ١٢٩ / ٢  
 يوسف بن عبد الله "ابن عبد البر" . ٢٢٥ / ١

\*\*\* \*\*

## رابعاً فهرس الأشعار

الصفحة

(أ)

- وكل ما وافق وجهه النحو وكان للرسم احتمالاً يحوى ١٣٩ / ٢  
وصح إسناداً، هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان ١٣٩ / ٢  
وحيثما يحتل ركن أثبت شذوذه لو أنه فى السبعة ١٣٩ / ٢  
قصدت مساتى فاجتلبت مسرتى وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدرى ١٤٢٢ / ١  
١٤٩ / ٢

(ب)

- تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس لها خال ولا ندب ٣٣ / ١

(ح)

- هيهات لا يأتى الزمان بمثله إن الزمان بمثله لشحيح ٤١٩ / ١

(د)

- كأنتى سنت الحب أول عاشق من الناس إذا أحييت من بينهم وحدى ٣٥ / ١  
لا يرهب بن العم منى صولة ولا أختى من صولة التهدد ٢٤١ / ٢  
وإنسى أن أوعده أو وعدته لأخلف إيعادى وأنجز موعدى ٢٤٢ / ٢

(ر)

- فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من سيرها ٣٤ / ١  
سبع من الصحب فوق الألف قد نقلو من الحديث عن المختار خير مضر ١٠٣ / ٢  
أبو هريرة، سعد، جابر، أنس صديقة، وابن عباس، كذ ابن عمر ١٠٣ / ٢

(س)

بيضاء فى المرأة سنتها فى البيت تحت مواضع اللمس ٣٣ / ١

(ع)

أولئك آبائى فجننى بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع ٨٣ / ٢

(ل)

مقالة ما وصلت بواصل بل قطع الله به أوصالها ١١٩ / ١

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل ١٤ / ١

نبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول ٢٤١ / ٢

(م)

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها ٣٦ / ١

فإن كنت تدري فتلك مصيبة وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم ٣٤٥ / ٢

(ن)

ما عاين الناس من فضل كفضلهم ولا رأوا مثلهم فى سالف السنن ٣٧ / ١

كريعاً شمائله من بنى معاوية الأكرمين السنن ٣٣ / ١

\*\*\* \*\*

## خامساً فهرس البلدان والقبائل والفرق

الصفحة

(أ)

٩٣ / ٢	آيلة .
٧٨ / ١	الإباضية .
١٧٧ / ١	إفريقيا .
١٢٠ / ١	أهل الجمل .
١٧٧ / ١	أوربا .
٢٧٢، ٢٧١ / ١	بنو إسرائيل .

(ب)

٥٢ / ١	البابليين .
١٠٧ / ٢	البحرين .
١٦٥ / ٢	الباطنية .
٢٠٣، ١١ / ١	باكستان .
٨ / ٢	البراهمة .
١٧٧ / ١	بريطانيا .
٧٦ / ١	البصرة .
١٤٦ / ١	بغداد .
١٥٥، ١١ / ١	البهائية .
١٧٧، ١١ / ١	البلاشفة الشيوعيون .
١٤٦ / ١	بيروت .

١٤٦ / ١	(ت)	بنو نميم .
٧٥ / ١	(ث)	ثمود .
١٢٤ / ٢ ، ١١٦ / ١	(ج)	الجزيرة .
١١٦ / ١		الجهمية .
١٠٧ / ٢	(ح)	الحجاز .
٣٢٠ ، ٣١٩ / ١		الحديبية .
٧٧ / ١		الحرورية .
١٦٥ ، ٧٥ ، ١١ / ١	(خ)	الخوارج .
٢٩٤ / ١		خوستان .
٦٤ / ١		خيبر .
٢٦٧ / ٢	(د)	دمشق .
٣٢٨ ، ٣٢٧ / ١		دوس .
١٦٥ / ٢	(ر)	الرافضة .
٩٢ / ١		الروم .

	(ز)	
٨٤،٨٣ / ١		الزنادقة.
١٠٢ / ١		الزيدية.
٨٧ / ١		زردشتيه.
	(س)	
٨ / ٢		السمنية.
٢٩٤ / ١		السوس.
	(ش)	
٨٥،٧٨ / ١		الشام.
٧٣،٧١،١١ / ١		الشيعة.
	(ص)	
٨٦ / ٢ ، ١٢٦، ١٢٤ / ١		صفين.
	(ع)	
٢٩٤ / ١		عبد القيس.
٩٣ / ٢		عدن.
١٥٥، ١١ / ١		العلمانية.
١٨٠ / ١		عمان.
	(غ)	
٤٧ / ١		غار حراء.
٩٦ / ١		غدير خم.
	(ف)	
١٠٠، ٨٨، ٨٢، ٥٢ / ١		الفرس.

(ق)

٢١ / ٢ ، ١٠٨ ، ١٠٧ / ١	القديرية .
١٥٦ ، ١١ / ١	القديانية .
٧٢ / ١	القرآنيون .
١٩٦ / ٢	قريش .
٣١٧ / ١	بنو قريظة .

(ك)

١٢٤ / ٢	الكرامية .
٣٢٨ ، ٣٢٧ / ١	الكوفة .

(ل)

١٧٦ ، ١٤٠ / ١	لبنان .
---------------	---------

(م)

٣٣١ ، ٣٢٧ ، ٩١ / ١	المدينة المنورة .
٢٤٧ ، ١٢٤ / ٢	المرجئة .
١٤٦ ، ١٢ / ١	مصر .
٣٣ / ١	بنو معاوية .
١٦٥ / ٢ ، ١١٦ / ١١ / ١	المعتزلة .
١٢٥ ، ١٠٧ / ١	المجوس .
٩١ / ١	مكة .
٢٦٧ / ٢	المنارة الشرقية .
١٤٣ / ١	ميلانو .

	(ن)	
٨٧٤١١ / ١		النصارى .
٢٧٥ / ١		النهروان .
	(هـ)	
٢٠٣ / ١		الهند .
	(و)	
٥٢ / ١		الوثنيين .
	(ى)	
٣١٧٤٣١٦ / ١		اليمن .
٥١١٤٨٧ / ١		اليهود .
١٠٣٤٥٢ / ١		اليونان .

\*\*\* \*\*



## سادساً فهرس المصادر والمراجع

أهمل فى الترتيب الألف واللام وأب وابن فى أول اسم الكتاب ، وكذلك كلمة (كتاب) .

١- القرآن الكريم .

أولاً : التفسير وعلومه :

٢- أثر القراءات فى الدراسات النحوية، للدكتور عبد العال سالم على، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م .

٣- الأحرف السبعة فى القرآن الكريم ومتزلة القراءات منها، للدكتور حسن ضياء الدين عتر، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم ٢٣٥ .

٤- الإسرائيليات فى التفسير والحديث، للدكتور محمد حسين الذهبى، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٥- الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، للدكتور محمد أبو شهبة، مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ .

٦- البرهان فى علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابى الحلبي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ .

٧- تأويل مشكل القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م .

٨- تفسير جزء عم، محمد عبده، المطبعة الأميرية، الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ .

٩- تفسير فرات الكوفى، لفرات بن إبراهيم الكوفى، المطبعة الحيدرية، النجف .

١٠- التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبى، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٦١هـ .

١١- تفسير القمى، لعلى بن إبراهيم القمى، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، قم،

إيران، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.

١٢- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مطبعة دار التراث بالقاهرة، بدون تاريخ.

١٣- التفسير القيم، لمحمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقى، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٤- التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر المشهور بفخر الرازي، دار إحياء التراث العربى، بيروت، بدون تاريخ.

١٥- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المنار بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٧م.

١٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تصحيح أحمد عبد العليم التردوني، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.

١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى، مطبعة مصطفى البابى الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

١٨- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٩- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، لشهاب الدين محمود الألوسى البغدادى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، بدون تاريخ.

٢٠- الصافى فى تفسير القرآن، لمحسن الفيض الكاشانى، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٦م.

٢١- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن على الشوكانى، مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

٢٢- القراءات فى نظر المستشرقين والمحدثين، للشيخ عبد الفتاح القاضى، طبعة مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٢٣- القرآن والقراءات والأحرف السبعة، الحقيقة، العلاقة، صحة النقل، للدكتور

- عبد الغفور محمود جعفر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الرخشي، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ.
- ٢٥- الكواكب النيرات في أثر السنة النبوية على القراءات، للدكتور علام بن محمد بن علام، مطبعة أولاد عثمان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٦- مجالس بن الجوزي في التشابه من الآيات القرآنية، لعبد الرحمن بن الجوزي، مطبعة دار الأنصار بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٢٧- محمد عبده ومنهجه في التفسير، للدكتور عبد الغفار عبد الرحيم، مطبعة دار الأنصار بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ٢٨- المصاحف، لابن أبي داود، مؤسسة قرطبة، بدون تاريخ.
- ٢٩- منهج المدرسة العقلانية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- ٣٠- النبأ العظيم، للدكتور محمد عبد الله دراز، مطبعة السعادة، ١٩٦٠م.
- ٣١- الناسخ والمنسوخ، لمحمد بن شهاب الزهري، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
- ٣٢- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير بن الجوزي، تحقيق محمد علي الصباغ، طبع في دمشق عام ١٣٤٥هـ، نشر وتصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

## ثانياً : الحديث النبوي وعلومه :

- ٣٣- الابتهاج في أحاديث المعراج، لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٤- أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، للدكتور سعدى الهاشمي، نشر مكتبة ابن القيم بالمدينة المنورة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٣٥- إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة، للأستاذ عبد العزيز الغماري، ضمن مجموعة

الحديث الصديقية، الناشر مكتبة القاهرة بمصر، بدون تاريخ.

٣٦- إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، للإمام أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق السيد مصطفى سعيد خالد قطاش، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧- الإجابة لإيراد ما استدركنه عائشة على الصحابة، لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد سعيد الأفغاني، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٣٨- الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، لأبي الحسنات محمد عبد الحى اللكنوى، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار السلام بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٩- أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية، للدكتور رفعت فوزى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤٠- الأحاديث المتواترة فى الأزهار المتناثر فى الأخبار المتواترة، لأبى الفضل عبد الرحمن ابن أبى بكر السيوطى، تحقيق أحمد حسن رجب، هدية مجلة الأزهر، العدد صفر ١٤٠٩هـ.

٤١- اختلافات المحدثين والفقهاء فى الحكم على الحديث، للدكتور عبد الله شعبان على، طبعة دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٢- الأدب المفرد، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، تحقيق فضل الله الجيلانى، ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

٤٣- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، لأبى زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٤٤- استدراكات البعث والنشر، لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقي، جمع عامر أحمد حيدر، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤٥- الإسراء والمعراج، للدكتور محمد أبو شهبة، مكتبة العلم بالقاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩٠.

- ٤٦- الإشاعة لأشراط الساعة، للسيد الشريف محمد بن رسول الحسيني، مكتبة المشهد الحسيني، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- ٤٧- أصول الحديث، للدكتور عبد الهادي الفضلي، دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- ٤٨- أصول الحديث، علومه، ومصطلحه، للدكتور محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ٤٩- أصول الرواية عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية، للدكتور عمر الفرماوي، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة.
- ٥٠- أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح، للدكتور أبو لبابة حسين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- ٥١- أعلام المحدثين، للدكتور محمد محمد أبو شهبه، طبعة مركز كتب الشرق الأوسط، بدون تاريخ.
- ٥٢- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية، وتقييد السماع، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ-١٩٨٠م.
- ٥٣- اللآلئ السنيات في شرح حديث (إنما الأعمال بالنيات)، للدكتور إبراهيم علي سعده، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم ٥٢.
- ٥٤- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق صلاح محمد عويضة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٥٥- الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، لأبي الفضل محمد بن طاهر، المعروف بابن القيسراني، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ٥٦- اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، للدكتور محمد لقمان السلفي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

- ٥٧- الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، لأبى الفداء إسماعيل بن كثير، تأليف أحمد محمد شاكر، دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ٥٨- البخارى أمير المؤمنين فى الحديث، للدكتور يوسف الكتانى، هدية مجلة الأزهر الشريف، عدد رجب ١٤١٨هـ.
- ٥٩- البعث والنشور للإمام أحمد بن الحسين البيهقى، تحقيق عامر أحمد حيدر، طبعة مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٦٠- تأويل مختلف الحديث، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ٦١- تخرىج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، لأبى الحسن على بن محمد المعروف بالخزاعى التلمسانى، تحقيق الشيخ أحمد محمد أبو سلامة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ٦٢- تدريب الراوى شرح تقريب النواوى، لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ٦٣- التصريح بما تواتر فى نزول المسيح، لمحمد أنور شاه الكشميرى، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٣٨٥هـ.
- ٦٤- تصحيح الكتب وضع الفهارس المعجمة، للأستاذ أحمد محمد شاكر، تحقيق الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- ٦٥- التعليق المغنى على الدارقطنى، لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى، تحقيق السيد عبد الله هاشم عمانى المدنى، دار المحاسن للطباعة بالقاهرة، ١٣٨٦هـ.
- ٦٦- تقييد العلم، لأبى بكر أحمد بن على، الشهير بالخطيب البغدادى، تحقيق يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.

- ٦٧- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لأبي الحسن على بن محمد بن عراق، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ٦٨- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٦٩- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ.
- ٧٠- توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر بن صالح الجزائري، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
- ٧١- تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير، للدكتور مروان محمد شاهين، مكتب فوزي الشيمي للطباعة، بطنطا، بدون تاريخ.
- ٧٢- جامع بيان العلم وفضله، لابن عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، الطبعة المنيرية ١٩٧٨م.
- ٧٣- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ٧٤- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأحمد بن علي بن ثابت، المشهور بالخطيب البغدادي، تحقيق محمد رأفت سعيد، طبعة الفلاح، بدون تاريخ.
- ٧٥- الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه، للدكتور محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٧٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م، نشر وتصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٧- خير الواحد في السنة وأثره في الفقه الإسلامي، للدكتورة سهير رشاد مهنا، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- ٧٨- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين

البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٧٩- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، للسيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق محمد المنتصر بن جعفر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٨٠- زاد المعاد في هدى خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٨١- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، لمحمد حبيب الله الشنقيطي، مطبعة مصر، ١٩٥٤م.

٨٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨٣- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م.

٨٤- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر وتصوير دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٨٥- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، طبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة، ١٣٨٥هـ، نشر وتصوير دار الحديث.

٨٦- سنن الدارقطني، لعلي بن عمر الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٨٧- سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٨٨- سنن سعيد بن منصور، حقق منه مجلدة الشيخ حبيب الأعظمي، طبعة الدار السلفية، بالهند، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م، وحقق مجلدة أخرى من السنن الدكتور سعد بن عبد الله ابن عبد العزيز آل حميد، طبعة دار الأسمعي بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٨٩- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ-١٩٢٥م، نشر وتصوير دار المعرفة، بيروت.

٩٠- السنن الكبرى للنسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٩١- سنن النسائي (المسمى المجتبى) لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي، تحقيق الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٩٢- السنة، لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٩٣- السنة والتشريع، للدكتور عبد المنعم النمر، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٩٤- سؤالات مسعود بن علي السجزي مع أسئلة البغداديين عن أحوال الرواة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٩٥- السيرة النبوية، لأبي محمد بن الملك بن هشام المعافري، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الإياري، وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة ١٩٥٥م، نشر وتصوير دار إحياء التراث العربي.

٩٦- شذرات من علوم السنة، للدكتور محمد الأحمد أبو النور، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٩٧- شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة، لأبي الفضل عبد الرحيم بن

الحسين العراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٩٨- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، للقسطلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

٩٩- شرح الزرقاني على الموطأ، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٠٠- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن محمد البغوي، تحقيق زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٠١- شرف أصحاب الحديث، ونصيحة أهل الحديث، كلاهما لأحمد بن علي بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٠٢- شروط الأئمة الخمسة، لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي، دار زاهد القدسي، بدون تاريخ.

١٠٣- الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسيني الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٠٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٠٥- صحيح ابن حبان، بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٠٦- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٠٧- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مع فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وقصى محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

- ١٠٨- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، مع المنهاج شرح مسلم للنووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وعصام الصباطي، وآخرون، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ١٠٩- الصمت وحفظ اللسان، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق الدكتور محمد أحمد عاشور، دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ١١٠- الطب في السنة، للدكتور محمد أحمد السنهوري، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم ١٨٥٥.
- ١١١- طرح الشريب في شرح التقريب، لعبد الرحيم بن الحسين العراقي، وولده أبي زرعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- ١١٢- طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ، للدكتور عبد المهدي عبد القادر، دار الاعتصام بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ١١٣- عقد الدرر في أخبار المنتظر، ليوسف بن يحيى المقدسي، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة عالم الفكر، الطبعة الأولى ١٢٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ١١٤- علل الحديث، لابن أبي حاتم الرازي تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ١١٥- علم الحديث، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق مسلم محمد علي، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ١١٦- علوم الحديث ومصطلحه، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم، بيروت، الطبعة الحادية والعشرون، ١٩٧٧م.
- ١١٧- علوم الحديث، لابن عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ١١٨- عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد العيني، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

١١٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.

١٢٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وقصى محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

١٢١- فتح الباقي على ألفية العراقي، لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق محمد بن الحسيني العراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بهامش شرح ألفية العراقي المسماه بالتبصرة والتذكرة.

١٢٢- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعمود ربيع، مكتبة السنة، بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٢٣- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٢٤- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للدكتور موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، بدون تاريخ.

١٢٥- الفكر المنهجي عند المحدثين، للدكتور همام عبد الرحيم سعيد، كتاب الأمة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٢٦- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني، وعبد الوهاب عبد اللطيف، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

١٢٧- في رحاب السنة، الكتب الصحاح الستة، للدكتور محمد أبو شهبه، طبعة مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

١٢٨- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوى، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م.

١٢٩- قاعدة فى الجرح والتعديل، وقاعدة فى المؤرخين، لأبى نصر عبد الوهاب بن على السبكى، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار الوعى، حلب، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٣٠- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد جمال الدين القاسمى، تحقيق محمد بهجة البيطار، عيسى البابى الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٣١- القول المسدد فى الذب عن المسند، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، اليمامة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٣٢- كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٣٣- كشف اللثام عن أسرار تخريج أحاديث سيد الأنعام ﷺ، للدكتور عبد الموجود عبداللطيف، الناشر مكتبة الأزهر، بالقاهرة، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٣٤- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين على المتقى الهندى، تحقيق الشيخ بكرى حياتى، والشيخ صفوة السقا، طبعة مؤسسة الرسالة، سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٣٥- الكفاية فى علم الرواية، لأبى بكر أحمد بن على، الشهير بالخطيب البغدادي، تحقيق محمد الحافظ التيجانى، وعبد الحليم محمد، وعبد الرحمن حسن، دار ابن تيمية، بالقاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٣٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ لعلى بن أبى بكر الهيثمى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٣٧- مجموعة الحديث الصديقية، لآل الصديق الغمارى، مكتبة القاهرة، مصر،

بدون تاريخ .

١٣٨- مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين، للدكتور نافذ حسين حماد، دار الوفاء،  
بالمقصورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٣٩- المراسيل، لأبي داود سليمان بن أشعث السجستاني، تحقيق كمال يوسف  
الحوت، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٤٠- المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق مصطفى عبد القاهر  
عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١٤١- مسند أبي داود الطيالسي، للحافظ سليمان بن داود بن الجارود، الشهير بأبي  
داود الطيالسي، مطبعة حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢١هـ-  
١٩٠٣م، تصوير دار المعرفة، بيروت .

١٤٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل،  
المطبعة الميمنية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣١٣هـ-١٨٩٥م، تصوير المكتب  
الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٤٣- مسند الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق سعيد  
محمد اللحام، وحياء شيجا، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-  
١٩٩٦م.

١٤٤- مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق صبيح البدرى السامرائي، مكتبة  
المعارف بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٤٥- مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، الناشر دار صادر، بيروت، مطبعة حيدر  
آباد الدكن، بالهند، الطبعة الأولى ١٣٣٣هـ.

١٤٦- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق  
موسى محمد علي، ودكتور عزت علي عطية، دار الكتب الحديثة بالقاهرة،  
بدون تاريخ .

١٤٧- معالم السنن، لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي، المكتبة العلمية، الطبعة  
الأولى، ١٣٥١هـ-١٩٨١م.

١٤٨- معرفة علوم الحديث، لأبى عبد الله الحاكم، تحقيق الدكتور السيد معظم حسين، حيدر آباد الدكن، بالهند، نشر مكتبة المتنبي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

١٤٩- المعين الرائق في سيرة سيد الخلائق، للدكتور سعيد محمد صوابي، والدكتور توفيق سلمان، والدكتور إسماعيل مخلوف، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٥٠- المعجم الأوسط، لأبى القاسم سليمان بن أحمد، الشهير بالطبراني، تحقيق الدكتور محمود الطحان، صدر منه ٣ أجزاء، مكتبة المعارف، بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٥١- المعجم الصغير، للطبراني، تحقيق محمد سليم سمارة، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

١٥٢- المعجم الكبير، للطبراني، صدر منه ٢٥ جزء، وناقص أجزاء ١٥، ١٦، ٢١، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

١٥٣- مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث، للأستاذ محمد عبد العزيز الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٥٤- مفتاح كنوز السنة، للدكتور أ.ى. فنسنك، إدارة ترجمان السنة، باكستان ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١٥٥- مقاصد الحديث في القديم والحديث، للدكتور مصطفى أمين إبراهيم التازي، مطبعة دار التأليف بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م.

١٥٦- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لأبى الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق عبد الله محمد الصديق، وعبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٥٧- مكارم الأخلاق، لأبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا، تحقيق الأستاذ محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-

- ١٥٨- المكتبة العلمية لعبد الرازق بن همام الصنعاني في الحديث النبوي، لأستاذنا الجليل الدكتور إسماعيل عبد الخالق الدفتار، مخطوط بكلية أصول الدين، بالقاهرة، رقم ٢٣٣٢، لسنة ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- ١٥٩- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، الشهير، بابن قيم الجوزية، تحقيق الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ١٦٠- منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقى الهندي، مطبعة الميمنية، بالقاهرة، تصوير المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، بهامش مسند الإمام أحمد.
- ١٦١- المتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ، لأبي محمد عبد الله بن الجارود، فهرسة عبد الله البارودي، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١٦٢- المنهاج شرح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وعصام الصبابطي وآخرون، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ١٦٣- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، للدكتور فاروق حمادة، مكتبة المعارف، المغرب، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ١٦٤- منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، للدكتور صلاح الدين الأدلبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ١٦٥- منهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ١٦٦- الموضوعات، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ١٦٧- موطأ الإمام مالك، لأبي عبد الله مالك بن أنس، برواية يحيى الليثي، تحقيق

محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ -  
١٩٩٣م. وبرواية محمد الشيباني، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف،  
دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.

١٦٨- نزول عيسى بن مريم، آخر الزمان، للإمام جلال الدين عبد الرحمن  
السيوطي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون  
تاريخ.

١٦٩- نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني،  
تحقيق إسحاق عزوز، مكتبة منارة العلماء، الإسماعيلية، القاهرة، ١٤٠٩هـ -  
١٩٨٩م.

١٧٠- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للسيد محمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب  
السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

١٧١- النكت البديعات على الموضوعات، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن  
السيوطي، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الجنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ -  
١٩٩١م.

١٧٢- نوافر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، لأبي عبد الله محمد الحكيم  
الترمذي، تحقيق الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، والدكتور السيد الجميلي،  
دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٧٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات، المبارك بن الأثير،  
تحقيق محمود محمد الطنحاحي، وطاهر أحمد الزاوي، مطبعة عيسى البابي  
الحلبي ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

١٧٤- هذا عهد نبينا ﷺ إلينا خبر الأحاد، لمصطفى محمد سلامة، مكتبة ابن حجر  
بمكة المكرمة، بدون تاريخ.

١٧٥- الوضع في الحديث، للدكتور عمر بن حسن عثمان فلاته، مخطوط بكلية  
أصول الدين بالقاهرة، رقم ٩٠١ لسنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

### ثالثاً: الفقه وأصوله :

١٧٦- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول، (للقاضى البيضاوى)، لعلى بن عبد الكافى السبكى، وولده عبد الوهاب السبكى، حققه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٧٧- الإحكام فى أصول الأحكام، لأبى محمد على بن أحمد، الشهير بابن حزم، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٧٨- الإحكام فى أصول الأحكام، لأبى الحسن على بن محمد الآمدى، مطبعة الخلبى بالقاهرة، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

١٧٩- الأدلة المختلف فيها وأثرها فى الفقه الإسلامى، للدكتور عبد الحميد أبو المكارم إسماعيل، مطبعة دار ماجد بالقاهرة، الناشر دار المسلم، بدون تاريخ.

١٨٠- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لأبى على محمد بن على الشوكانى، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، دار الكتب، القاهرة، بدون تاريخ.

١٨١- أصول السرخسى، لأبى بكر محمد بن أحمد السرخسى، تحقيق أبو الوفا الأفغانى، حيدر آباد الدكن بالهند، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٨٢- أصول الفقه، للشيخ محمد الخضرى، دار الحديث بالقاهرة، بدون تاريخ.

١٨٣- أصول الفقه الإسلامى، للدكتور طه جابر العلوانى، طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، هيرندن، الولايات المتحدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٨٤- أصول الفقه، تاريخه ورجاله، للدكتور شعبان إسماعيل، دار المريخ للنشر بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

١٨٥- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر، الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة

الأولى ١٣٧٤هـ.

١٨٦- إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد سيد كيلاي، النور الإسلامية، بيروت، بدون تاريخ.

١٨٧- الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق محمد زهدى النجار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

١٨٨- الإنصاف في بيان سبب الاختلاف في الأحكام الفقهية، لأحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، خال من تاريخ الطبع ومكانه.

١٨٩- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر، الشهير بالزركشي، تحقيق عبد القادر العاني، والدكتور عمر سليمان الأشقر، دار الصفوة بالغردقة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٩٠- البرهان في أصول الفقه، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٩١- تاريخ التشريع الإسلامي، للشيخ محمد الخضري، طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٩٢- التحرير في أصول الفقه، لكمال الدين محمد بن الهمام، طبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة، ١٣٥٠هـ.

١٩٣- التقرير والتحرير، لمحمد بن الحسن بن أمير الحاج، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، تصوير على طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة.

١٩٤- تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، للإمام السيوطي، تحقيق المستشار الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة بالإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٩٥- التلويع في كشف حقائق التقيح، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، مطبعة محمد علي صبيح، ميدان الأزهر بالقاهرة، بدون تاريخ.

١٩٦- تيسير التحرير شرح كتاب التحرير، (لكمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام) لمحمد أمين، المعروف بأمرير بادشاه الحنفى، مطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة ١٣٥٠هـ

١٩٧- الدراية فى تخريج أحاديث الهداية، للإمام ابن حجر العسقلانى، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليمانى، مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٩٨- الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعى، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت، ١٣٠٩هـ.

١٩٩- سبل السلام، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصناعى، تحقيق إبراهيم عصر، دار الحديث بالقاهرة، بدون تاريخ.

٢٠٠- شرح الفقه الأكبر، لأبى منصور الحنفى، طبعة الشئون الدينية بقطر، وللا على القارى، مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.

٢٠١- صحة أصول مذهب أهل المدينة، للإمام ابن تيمية، دار الندوة الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

٢٠٢- علم أصول الفقه، للشيخ عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة الإسلامية بالقاهرة، الطبعة الثامنة، بدون تاريخ.

٢٠٣- علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى، للشيخ أحمد إبراهيم، طبعة دار الأنصار بالقاهرة، بدون تاريخ.

٢٠٤- علم الفقه، للدكتور عبد المنعم النمر، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٩٠م.

٢٠٥- غاية الوصول شرح لب الأصول، لذكريا الأنصارى، مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة، الطبعة الأخيرة ١٣٦٠هـ.

٢٠٦- الفتاوى، للإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السابعة عشر ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٠٧- الفتح المبين فى طبقات الأصوليين، لعبد الله مصطفى المراغى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

- ٢٠٨- الفقيه والمتفقه، لأبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى، تحقيق عادل يوسف العزازى، دار ابن الجوزى بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، توزيع دار التوعية الإسلامية، مصر.
- ٢٠٩- الفقه الإسلامى، مرونته، وتطوره، للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق، طبعة الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، بدون تاريخ.
- ٢١٠- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، لعبد العلى محمد بن نظام الأنصارى، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٢٢هـ مطبوع بهامش المستصفى.
- ٢١١- قواعد الأحكام فى مصالح الأنام، للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٢١٢- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد النجدى، توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين ١٤٠٤هـ.
- ٢١٣- اخصول فى أصول الفقه، لفخر الدين محمد بن عمر الرازى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٢١٤- مختصر المنتهى الأصولى لعثمان بن عمر بن الحاجب، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٣٩٣هـ.
- ٢١٥- المستصفى من علم الأصول، لأبى حامد محمد الغزالى، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٢٢هـ.
- ٢١٦- المسودة فى أصول الفقه، لآل تيمية، جمع : أحمد عبد الغنى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربى، بيروت، بدون تاريخ.
- ٢١٧- مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية، للمستشار الدكتور على جريشة، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ٢١٨- المعتمد فى أصول الفقه، لأبى الحسين محمد بن على البصرى، قدم له خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- ٢١٩- الموافقات فى أصول الشريعة، لأبى إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى،

تحقيق عبدالله دارز، وإبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية  
١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٢٠- مناهج العقول شرح منهاج الأصول، لمحمد بن الحسن البدخشى، مطبعة  
محمد على صبيح بالقاهرة، بهامش نهاية السؤل.

٢٢١- الميزان للشعراني، مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٩هـ.

٢٢٢- نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية، للإمام عبد الله بن يوسف الزيلعي،  
دار المأمون بالقاهرة، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

٢٢٣- نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، للدكتور علي حسن عبد القادر، دار  
الكتب الحديثة، الطبعة الثالثة ١٩٦٥م.

٢٢٤- نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول على علم الأصول، لجمال الدين عبد  
الرحيم الأسنوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-

١٩٨٣م، تصوير على طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة، بهامش التقرير والتحبير.

٢٢٥- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الجليل،  
بيروت، ١٩٧٣م.

#### رابعاً : التوحيد والفرق والمذاهب :

٢٢٦- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق الدكتور فؤاد  
حسين محمود، دار الأنصار بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٢٢٧- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد  
القرطبي، تحقيق الدكتور فتحى أنوار الدابولي، ومجدي فتحى السيد، دار  
الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٢٨- الاتجاه الاعتزالي في الفكر الإسلامي الحديث، للدكتور أحمد محمد عبد  
العال، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم ١٦٥٠، سنة ١٤٠٦هـ-  
١٩٨٦م.

٢٢٩- أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله، للدكتور علي أحمد السالوس، الناشر

: المؤسسة الأفرو عربية للنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٣٠- أدب المعتزلة، للدكتور عبد الحليم بليغ، مطبعة الرسالة بمصر، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

٢٣١- آراء المعتزلة الأصولية، دراسة وتقويماً، للدكتور على بن سعد بن صالح، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٣٢- الأربعين في أصول الدين، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، بدون تاريخ.

٢٣٣- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للإمام الحرمين عبد الملك الجويني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٣٤- الأسماء والصفات، لأحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٣٥- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع عالم الكتب ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٣٦- أصل الشيعة وأصولها، لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٣٧- أصول الدين، لأبي منصور عبد القادر البغدادي، مطبعة الدولة، استنبول، الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

٢٣٨- أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية، للدكتورة عائشة يوسف المناعي، دار الثقافة، قطر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٣٩- الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق محمود طعمة حلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٤٠- إظهار الحق، لرحمت الله الهندي، تحقيق أحمد حجازي السقا، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٤١- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق صلاح عويضة، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- ٢٤٢- الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد، لأبى الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط، تحقيق محمد حجازى، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ٢٤٣- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لأبى بكر بن الطيب الباقلانى، تحقيق محمد زاهد الحسن الكوثرى، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٢٤٤- الباية والبهائية فى الميزان، لمجموعة من العلماء، مطبوعات الأزهر، بدون تاريخ.
- ٢٤٥- بيان تلبس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ.
- ٢٤٦- البهائية فى خدمة الاستعمار، نشر : منظمة الإعلام الإسلامى، طبعة : سهر-طهران، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٢٤٧- البهائية وسائل وغايات، لأستاذنا الدكتور طه الدسوقي حبشى، دار الهدى للطباعة بالقاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- ٢٤٨- تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربى، بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ٢٤٩- تطهير الجنان واللسان، لابن حجر الهيتمى، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ٢٥٠- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لمحمد بن أحمد الملطى، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، مكتبة المتنى، بغداد ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٢٥١- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لمحمد بن اسحاق بن خزيمة، تحقيق الدكتور عبد العزيز الشموان، دار الرشد، بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٢٥٢- جهنم بن صفوان ومكانته فى الفكر الإسلامى، لمحمد بن خالد العلى، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٥م.
- ٢٥٣- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، مطبعة المدنى، بالقاهرة، بدون تاريخ.

- ٢٥٤- الحقائق الجلية فى الرد على ابن تيمية فيما أورده فى الفتوى الحموية،  
للشيخ شهاب الدين أحمد بن جهيل الحلبي، تحقيق الدكتور طه الدسوقي  
حبشى، دار الفجر الجديد بالقاهرة، ١٩٨٧م.
- ٢٥٥- الخطوط العريضة، لمحّب الدين الخطيب، تحقيق محمد مال الله، المطبعة الفنية،  
بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ٢٥٦- الخلافة ونشأة الأحزاب السياسية، للدكتور محمد عمارة، مطبعة المؤسسة  
العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٧م.
- ٢٥٧- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، تحقيق  
حسن السقاف، دار الإمام النووى، بالأردن، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ -  
١٩٩٢م.
- ٢٥٨- رسائل الجاحظ من كتاب خلق القرآن، لعمر بن بحر الجاحظ، مكتبة  
الخانجي، بالقاهرة، ١٩٧٩م.
- ٢٥٩- رسائل العدل والتوحيد، للدكتور محمد عمارة، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ٢٦٠- رسائل العدل والتوحيد، ليحيى بن الحسين، مؤسسة دار الهلال، ١٩٧١م.
- ٢٦١- الروح، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد إسكندر يلداء، دار الكتب العلمية،  
بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٢٦٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع  
الصحابة والتابعين فمن بعدهم، لأبى القاسم بن الحسن الطبرى اللالكائي،  
تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر، بدون تاريخ.
- ٢٦٣- شرح الأصول الخمسة، للقاضى عبد الجبار الهمدانى، تحقيق الدكتور عبد  
الكريم عثمان، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٦٤- شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية، لعلى بن أبى العز الحنفى، تحقيق الدكتور  
عبد الرحمن عميرة، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ -  
١٩٨٦م.
- ٢٦٥- شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية،

مطبعة دار التراث، بالقاهرة، بدون تاريخ.

٢٦٦- شرح القصيدة النونية، المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن قيم الجوزية، تحقيق الدكتور محمد خليل هراس، دار الفاروق الحديثة بالقاهرة، بدون تاريخ.

٢٦٧- شرح لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد، لموفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسى، مكتبة الرشيد بالرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٦٨- الشيعة الإثني عشرية ومنهجهم فى تفسير القرآن الكريم، للدكتور محمد إبراهيم العسال، مخطوط بكلية أصول الدين، بالقاهرة، رقم ١١٦٠.

٢٦٩- الشيعة فى عقائدهم وأحكامهم، للسيد أمير محمد القزوينى، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٢٧٠- الشيعة هم أهل السنة، للدكتور محمد التيجانى السماوى، شمس المشرق ومؤسسة الفجر، لندن، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٧١- الشيعة والشيعة، محمد جواد مغنية، دار الكتاب البنانى، بدون تاريخ.

٢٧٢- الشيعة والتصحيح، الصراع بين الشيعة والتشيع، للدكتور موسى الموسوى، طبعة لوس أنجلوس ١٤٠٨هـ-١٩٧٨م.

٢٧٣- الشيعة والسنة، لإحسان إلهى ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان، بدون تاريخ.

٢٧٤- الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة، لأحمد بن حجر الهيتمى، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٢٧٥- العصريون معتزلة اليوم، للأستاذ يوسف كمال، دار الوفاء، بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٧٦- العقيدة الصحيحة فى الله وما ناز حولها من مشكلات، للحافظ عبد الغنى ابن إسماعيل النابلسى، دار مسلم، القاهرة، بدون تاريخ.

- ٢٧٧- العقيدة والشريعة فى الإسلام، تاريخ التطور العقدى والتشريعى فى الدين الإسلامى، لجولدتسهير، نقله إلى العربية الدكتور على حسن عبد القاهر، ومحمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، الناشر : دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- ٢٧٨- العلمانية : نشأتها، وتطورها، وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة، للدكتور سفر ابن عبد الرحمن الحوالى، دار مكة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- ٢٧٩- الغيب فى ضوء القرآن الكريم، للدكتور صدقى عبد الحميد عبد ربه، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم ١١١٣ .
- ٢٨٠- الغيبات فى ضوء السنة، للدكتور محمد أحمد همام، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم ١٨٦٤ .
- ٢٨١- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، لأبى محمد على بن حزم الظاهرى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ٢٨٢- الفرق بين الفرق، لعبد القادر بن طاهر البغدادى، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- ٢٨٣- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها، للدكتور غالب على عواجى، مكتبة لينة بدمهور، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- ٢٨٤- القاديانية، للإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين، طبعة مجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.
- ٢٨٥- القاديانية ومصرها فى التاريخ، للدكتور طه حبيشى، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- ٢٨٦- الكواشف الجلية عن معانى الوسطية، لعبد العزيز محمد السلطان، شركة الراجحى، الطبعة العاشرة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- ٢٨٧- المحيط بالتكليف، للقاضى عبد الجبار، جمع الحسن بن أحمد بن منتوية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف بالقاهرة.

٢٨٨- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية : شرح الدرر المضيئة في عقيدة الفرق المرضية، لمحمد أحمد السفاريني، مكتبة أسامة بالرياض، بدون تاريخ.

٢٨٩- مختصر التحفة الإثني عشرية، تأليف شاه عبد العزيز الإمام ولي الله أحمد الدهلوي، تعريب غلام محمد الأسلمي، وتهذيب السيد محمود شكرى الألوسى، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة الرئاسة العامة للإفتاء والإرشاد بالسعودية ١٤٠٤هـ.

٢٩٠- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٩١- مذاهب التفسير الإسلامى، لجولد تسهير، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٢٩٢- مع الدكتور موسى الموسوى فى كتابه الشيعة والتصحيح، للدكتور علاء الدين السيد أمير القزوينى، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، إيران، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٩٣- المعتزلة، زهدى حسن جاد الله، مطبعة مصر، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ-١٩٤٨م.

٢٩٤- المعتزلة واتجاههم العقلى وأثره فى تطور الفكر الإسلامى الحديث، للدكتور نشأت عبد الجواد، مخطوط بكلية أصول الدين، بالقاهرة، رقم ١٨٤١.

٢٩٥- المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها، للأستاذ عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٩٦- مع الشيعة الإثني عشرية فى الأصول والفروع، للدكتور على أحمد السالوس، دار التقوى، مصر، دار الثقافة، قطر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٩٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبى الحسن الأشعري، تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ-

٠١٩٨٤م

٢٩٨- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٢٩٩- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، لأبي العباس أحمد بن تيمية، المطبعة الأميرية، بيولا، الطبعة الأولى ١٣٢١هـ، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت

٣٠٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٣٠١- موقف المعتزلة من السنة ومواطن انحرافهم عنها، لأبي لبابة حسين، دار اللواء بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣٠٢- النبوات، لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٠٣- نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة، للدكتور مصطفى حلمي، دار الدعوة، بالإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٠٤- وجهة الإسلام، نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، لجماعة من المستشرقين، نقله عن الإنكليزية محمد عبد الهادي أبو ريدة، المكتبة التجارية بمصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

٣٠٥- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، لموسى جارا الله العراقي، دار الكتب السلفية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

#### خامساً : التاريخ والتراجم :

٣٠٦- أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، لبطرس البستاني، دار مأمون عبود ١٩٧٩م.

٣٠٧- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، للخليل بن عبد الله الخليلي القزويني، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٠٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر،

٣٠٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق على محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣١٠- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لأبي المحاسن عبد الباقي بن علي اليماني، تحقيق عبد المجيد دياب، شركة الطباعة العربية، الرياض، ١٤٠٦هـ.

٣١١- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، مطبعة دار السعادة بالقاهرة، ١٣٢٨هـ.

٣١٢- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

٣١٣- الإعلان بالتويخ لمن ذم التاريخ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا بالقاهرة، بدون تاريخ.

٣١٤- إنباه الرواه على أنباه النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٥٠.

٣١٥- البداية والنهاية في التاريخ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق الدكتور أحمد أبو ملحم، وآخرون، دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣١٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٣١٧- بغية الوعاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٣١٨- البيان والتوضيح، لمن أخرج له في الصحيح ومس بضرب من التجريح، لأبي زرعة عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣١٩- تاج التراجم في طبقات الحنفية، لأبي الفداء قاسم بن قطلوبغا، تحقيق محمد

- خير رمضان يوسف، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ٣٢٠- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ-١٩٣١م.
- ٣٢١- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تصحيح محمد سعيد العرفي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م، تصوير دار الكتب العلمية.
- ٣٢٢- تاريخ الثقات، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي، بترتيب الحافظ الهيثمي، وتضمنات الحافظ ابن حجر، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلجعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- ٣٢٣- تاريخ الشعوب الإسلامية، لكارل بروكلمان، دار العلم، بيروت، الطبعة السادسة، بدون تاريخ.
- ٣٢٤- تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق بوران الضناوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٣٢٥- تبصير المتبته بتحرير المشتبه، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد الجاوي، المؤسسة المصرية للتأليف، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.
- ٣٢٦- تجريد أسماء الصحابة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، نشر وتصوير دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
- ٣٢٧- تذكرة الحفاظ، للذهبي، تصحيح عبد الرحمن المعلمي اليماني، حيدر آباد الكن، الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ٣٢٨- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ٣٢٩- التعريف برواة مسند الشاميين، للدكتور علي محمد حجاز، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ودار الثقافة، قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٣٣٠- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٣١- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لأبى بكر محمد بن عبد الغنى بن نقطة،  
تصحيح كمال يوسف الخوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-  
١٩٨٨م.

٣٣٢- تهذيب الأسماء واللغات، لأبى زكريا يحيى بن شرف النووي، المطبعة المنيرية  
بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٣٦هـ-١٩٢٧م، تصوير دار الكتب العلمية.

٣٣٣- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، لأبى الحجاج جمال الدين المزي، تحقيق  
شعيب الأرناؤوط، والدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت،  
الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٤١٢هـ-١٩٨٠م-١٩٩٢م.

٣٣٤- تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم، لأبى حفص عمر بن أحمد بن  
شاهين، تحقيق الدكتور عبد المعطى أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت،  
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٣٥- الثقات، لمحمد بن حبان البستي، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى  
١٣٩٣هـ-١٤٠٤هـ/١٩٧٣م-١٩٨٤م، تصوير دار الكتب العلمية.

٣٣٦- الجرح والتعديل، لأبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى، حيدر آباد  
الدكن، الهند، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ-١٩٥١م، تصوير دار الكتب العلمية.

٣٣٧- الجمع بين رجال الصحيحين، لأبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى، المعروف  
بأبن القيسراتى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ-  
١٩٠٥م.

٣٣٨- الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد القرشى، تحقيق عبد  
الفتاح الحلو، دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٣٩- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، للإمام جلال الدين عبد الرحمن  
السيوطى، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة،  
الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.

٣٤٠- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، لأحمد بن عبد الله  
الخرزجى، تحقيق محمود عبد الوهاب فايد، مكتبة القاهرة. مصر ١٣٢٢هـ.

- ٣٤١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م، تصوير دار إحياء التراث العربي.
- ٣٤٢- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (المالكي)، لإبراهيم بن علي، المعروف بابن فرحون المالكي، تحقيق مأمون محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٣٤٣- ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، للعبادي، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٣٤٤- رجال صحيح البخاري، المسمى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه، لأبي نصر أحمد بن الحسين الكلاباذي، تحقيق عبدالله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٣٤٥- رجال الشيعة في الميزان، لعبد الرحمن الزرععي، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٣٤٦- رجال صحيح مسلم، لأبي بكر أحمد بن منجويه الأصبهاني، تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٣٤٧- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٣٤٨- الإمام الشافعي، ناصر السنة، وواضع الأصول، للأستاذ عبد الحلیم الجندی، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- ٣٤٩- شبهات حول العصر العباسي الأول، للدكتور مؤيد فاضل ملا رشيد، طبعة دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٣٥٠- شجرة النور الدكية في طبقات المالكية، للشيخ محمد محمد مخلوف، دار الفكر، بدون تاريخ.

- ٣٥١- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى، مكتبة القدسى بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ-١٣٧١هـ/ ١٩٥٠م-١٩٥١م، تصوير دار الكتب العلمية.
- ٣٥٢- الضعفاء، لأبى زرعة الرازى = أبو زرعة وجهوده فى السنة، للدكتور سعدى الهاشمى، نشر مكتبة ابن القيم بالمدينة المنورة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٣٥٣- الضعفاء، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهانى، تحقيق الدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة بالمغرب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- ٣٥٤- الضعفاء الكبير، لأبى جعفر محمد بن عمرو العقيلى، تحقيق الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ٣٥٥- الضعفاء والمتروكين، لأحمد بن على بن شعيب النسائى، تحقيق بوران الضناوى، وكمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٣٥٦- الضعفاء والمتروكين، لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى، تحقيق عبد الله القاضى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٤م.
- ٣٥٧- الضعفاء الصغير، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، تحقيق إبراهيم زايد، دار الوعى، حلب ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- ٣٥٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوى، نشر مكتبة القدسى بالقاهرة، ١٣٥٤هـ.
- ٣٥٩- طبقات الحفاظ، للسيوطى، تحقيق لجنة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٣٦٠- طبقات الحنابلة، لأبى الحسن محمد بن أبى يعلى الفراء، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م، تصوير دار المعرفة، بيروت.
- ٣٦١- الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، لأحمد بن عبد القادر الغزى التميمى، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة

الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٣٦٢- طبقات الشافعية، لأبي بكر بن هداية الله الحسيني، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٣٦٣- طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلوة، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

٣٦٤- طبقات علماء الحديث، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٦٥- طبقات الفقهاء الشافعيين، لإسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٦٦- طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٦٧- طبقات القراء، لمحمد بن الجزري، تحقيق براجستراسر وبريستل، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٢م.

٣٦٨- الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٦٩- طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداودي، تحقيق لجنة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٣٧٠- طبقات المفسرين، للسيوطي، تحقيق لجنة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٣٧١- طبقات النحاة واللغويين، لابن قاضي شهبة، نشرة الدكتور محسن غياض، النجف ١٩٧٤م.

٣٧٢- العبر في خبر من غير، للنهبي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار

الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٣٧٣- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، لأبي القاسم البلخي، والقاضي عبد الجبار،  
والحاكم الجششمي، تحقيق الأستاذ فؤاد سيد، الدار التونسية بوتنس ١٣٩٤هـ-  
١٩٧٤م.

٣٧٤- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لمحمد بن عبد الحى اللكنوى، عنى بتصحيحه  
السيد محمد بدر الدين أبو الفوارس النعساني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٢٤هـ.

٣٧٥- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن أبي يعوب، الشهير بابن النديم، تحقيق  
الدكتور يوسف على الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى  
١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣٧٦- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لأبي عبد الله محمد بن  
أحمد الذهبي، تحقيق محمد عوامة، وأحمد محمد الخطيب، دار القبلة للثقافة  
الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣٧٧- الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عدى الجرجاني، تحقيق الدكتور  
سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٣٧٨- اللباب في تهذيب الأنساب، على بن محمد بن الأثير الجزري، مكتبة حسام  
الدين القدسي، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، تصوير دار صادر، بيروت.

٣٧٩- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار  
إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٣٨٠- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر، لعبد المتعال  
الصعيدى، مكتبة الآداب ومطبعتها بالقاهرة.

٣٨١- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان البستي، تحقيق محمود  
إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

٣٨٢- مختصر تاريخ دمشق، لمحمد بن مكرم بن منظور، تحقيق روحية النحاس،  
ومحمد مطيع، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٣٨٣- مرآة الجناة وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لعبد الله

- بن أسعد اليافعي، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٣٨٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، ١٣٦٨هـ-١٩٤٨م.
- ٣٨٥- مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان البستي، تحقيق مجدى منصور الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ٣٨٦- المستشرقون الألمان تراجمهم، وما أسهموا به فى الدراسات العربية، جمع صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
- ٣٨٧- مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه، للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- ٣٨٨- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مطبعة الترقى بدمشق ١٩٥٧م-١٩٦١م.
- ٣٨٩- معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق إبراهيم سعيداي إدريس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٣٩٠- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٢م.
- ٣٩١- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.
- ٣٩٢- مناقب الإمام الشافعي، لفخر الدين الرازي، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٣٩٣- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغرى بردى الأتابكي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م.
- ٣٩٤- نزهة الألباب فى طبقات الأدباء، لأبى البركات بن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ٣٩٥- نهاية الاغتيال بمن رمى من الرواة بالاختلاط، لعلاء الدين علي رضا، دار

المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٩٦- النهاية في الفن والملاحم، للحافظ ابن كثير، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الحديث بالقاهرة، بدون تاريخ.

٣٩٧- الهجمات المفرضة على التاريخ الإسلامي، للدكتور محمد ياسين مظهر صديقي، ترجمة الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، دار الصحوة للنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٩٨- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك، نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ-١٤٠٥هـ/١٩٣١م-١٩٨٥م.

٣٩٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ.

#### سادساً : المعاجم، والموسوعات، والتعريفات :

٤٠٠- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٤٠١- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الريان للتراث، بدون تاريخ.

٤٠٢- دائرة المعارف الإسلامية، نقلها للعربية أحمد السنتناوي، وآخرون، نشر دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٤٠٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٠٤- الفروق في اللغة، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الآفاق الجديدة، بدون تاريخ.

٤٠٥- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المطبعة الأميرية، الطبعة الثالثة ١٣٠١هـ، تصوير الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧هـ-

١٩٧٧م.

٤٠٦- كشف اصطلاحات الفنون، للمولوى محمد بن على التهانوى، طبع بالهند ١٢٧٨هـ، تصوير دار صادر، بيروت.

٤٠٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى عبد الله حاجى خليفة، تقديم شهاب الدين النجفى المرعشلى، طبعة إسطنبول، مطبعة المعارف ١٩٢١م.

٤٠٨- لسان العرب، لأبى الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت ١٣٠٠هـ-١٨٨٢م.

٤٠٩- مختار الصحاح، لمحمد بن أبى بكر الرازى، عنى بترتيبه محمود خاطر، دار النهضة للطباعة.

٤١٠- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى، لأحمد بن محمد بن على الفيومى، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى، دار المعارف، بدون تاريخ.

٤١١- مصادر اللغة، للدكتور عبد الحميد الشلقانى، مطابع جامعة الرياض، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

٤١٢- معجم البلدان، لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى البغدادى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، بدون تاريخ.

٤١٣- المعجم الوسيط، للدكتور إبراهيم أنيس، وآخرون، دار الفكر، بدون تاريخ.

### سابعاً : الدفاع عن السنة ورواتها :

٤١٤- أبو هريرة راوية الإسلام، للدكتور محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤١٥- أبو هريرة فى ضوء مروياته، للدكتور محمد مصطفى الأعظمى، خال من مكان الطبع وتاريخه.

٤١٦- الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث فى القرن الثالث الهجرى، للدكتور عبد المجيد محمود، مكتبة الخانجى، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤١٧- الدفاع عن السنة، الجزء الأول من سلسلة (الإسلام واستمرار المؤامرة، الخداع

والتضليل) لشيخنا الجليل الدكتور طه الدسوقي حبيشى، مكتبة رشوان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤١٨- الأضواء الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الدلائل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليماني، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

٤١٩- تأويل مختلف الحديث، للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤٢٠- تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها، للسيد سليمان الندوى، ترجمها الشيخ عبد الوهاب الدهلوى بمكة المكرمة، المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

٤٢١- توثيق الأحاديث النبوية (نقد قاعدة شاخت) السكوت عن الاستدلال بالحديث فى موطن الاحتجاج دليل على عدم وجوده، بقلم ظفر إسحاق الأنصارى، ترجمة جمال محمد جابر، مجلة كلية الدعوة الإسلامية بليبيا، العدد الحادى عشر، ١٩٩٤م.

٤٢٢- توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى، أسسه واتجاهاته، للدكتور رفعت فوزى عبدالمطلب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨١م.

٤٢٣- حجية السنة، للدكتور عبد الغنى عبد الخالق، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤٢٤- الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام، لمحمد ناصر الدين الألبانى، مطبعة الدار السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

٤٢٥- الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة المحمدية، للدكتور محمد محمد أبو زهو، مطبعة مصر، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م.

٤٢٦- دراسات فى الحديث النبوي، وتاريخ تدوينه، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- ٤٢٧- دفاع عن أبي هريرة، لعبد المنعم صالح العلي العزى، مكتبة النهضة، ببغداد، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- ٤٢٨- دفاع عن أبي هريرة، للأستاذ عثمان موانى، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
- ٤٢٩- دفاع عن الحديث والمحدثين وتفنيدها شبهات خصومه لجماعة من نوابغ العلماء، تصحيح زكريا على يوسف، مطبعة الإمام، توزيع مكتبة المتنبي بالقاهرة ١٩٧٢م.
- ٤٣٠- دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتاب المعاصرين، للدكتور محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٤٣١- دراسات أصولية في السنة النبوية، للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- ٤٣٢- دراسات في السنة وعلوم الحديث، للدكتور محمد المنسى، الناشر مكتبة الشهاب بالقاهرة، ١٩٩٦م.
- ٤٣٣- دراسات في السنة ومناهج المحدثين، للدكتور رجب إبراهيم صقر، خال من مكان الطبع وتاريخه.
- ٤٣٤- دراسات في السيرة النبوية، للأستاذ محمد سرور بن نايف، دار الأرقم، برمنجهام، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٤٣٥- دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، للدكتور امتياز أحمد، نقله إلى العربية الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٤٣٦- الرد القويم على انجرام الأثيم، للشيخ محمود بن عبد الله التويجى، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ٤٣٧- السنة الإسلامية بين إثبات الفاسهين ورفض الجاهلين، للدكتور رعوف شلى، مطبعة السعادة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

- ٤٣٨- السنة بياناً للقرآن، للدكتور إبراهيم محمد عبد الله الخولى، نشر الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٩٣م.
- ٤٣٩- السنة النبوية بين دعاء الفتنة وأدعياء العلم، للدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٤٤٠- السنة تشريع لازم ودائم، للدكتور فتحى عبد الكريم، مكتبة وهبه بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٤٤١- السنة فى مواجهة أعدائها، الجزء الثانى من سلسلة (الإسلام واستمرار المؤامرة)، للدكتور طه الدسوقي حبيشى، مكتبة رشوان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ٤٤٢- السنة قبل التدوين، للدكتور محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبه بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٤٤٣- السنة المطهرة بين أصول الأئمة وشبهات صاحب فجر الإسلام وضحاها، للدكتور سيد أحمد رمضان المسير، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.
- ٤٤٤- السنة المطهرة والتحديات، للدكتور نور الدين عتر، مكتبة دار الفلاح، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٤٤٥- السنة مع القرآن، للدكتور سيد أحمد المسير، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٤٤٦- السنة المفترى عليها، للمستشار سالم على البهنساوى، دار الوفاء، بالمنصورة، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ٤٤٧- السنة النبوية بين أنصارها وخصومها، للدكتور سعد المرصفى، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم ٧٤٨، لسنة ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- ٤٤٨- السنة النبوية الشريفة، للدكتور أحمد محمود كريمة، هدية مجلة الأزهر الشريف، عدد ربيع الأول ١٤١٨هـ.
- ٤٤٩- السنة النبوية فى مواجهة التحدى، للدكتور أحمد عمر هاشم، طبعة مجمع

البحوث الإسلامية ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

٤٥٠- السنة النبوية المظهرة قسم من الوحي الإلهي المنزل، للدكتور محمد علي الصابوني، خال من مكان الطبع وتاريخه.

٤٥١- السنة النبوية، مكاتنها، عوامل بقائها، تدوينها، لشيخنا الجليل الدكتور عبد المهدي عبد القادر، دار الاعتصام بالقاهرة، بدون تاريخ.

٤٥٢- السنة والتشريع، لشيخنا الجليل الدكتور موسى شاهين لاشين، هدية مجلة الأزهر الشريف، عدد شعبان ١٤١١هـ.

٤٥٣- السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة، ندوة عقدت بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشتطن، نشر مؤسسة آل البيت، عمان، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٤٥٤- شفاء الصدور في تاريخ السنة ومنهج المحدثين، للدكتور السيد محمد نوح، طبعة دار الوفاء بالمنصورة، بدون تاريخ.

٤٥٥- الشفاعة، لمقبل بن هادي الوادعي، الناشر مكتبة دار الأرقم، مطبعة المدني، مصر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤٥٦- ضلالات منكرو السنة، الجزء الثالث من سلسلة (الإسلام واستمرار المؤامرة)، للدكتور طه الدسوقي حبيشي، مكتبة رشوان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٤٥٧- ضوابط الرواية عند المحدثين، للأستاذ الصديق بشير نصر، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، الجماهيرية العظمى، طرابلس، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٤٥٨- الضوء اللامع المين عن مناهج المحدثين، للدكتور أحمد محرم الشيخ، مطبعة الأمانة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٤٥٩- ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها، للدكتور صالح أحمد رضا، طبعة إدارة الثقافة والنشر بالسعودية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٦٠- ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية، للأستاذ محمد عبد الرازق حمزة،

المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٧٩هـ.

٤٦١- عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه الإسلام، وإرغام المبتدع الجهول  
باتباع سنة الرسول، لأبي الفضل عبد الله الصديق الغماري، مكتبة القاهرة  
مصر، بدون تاريخ.

٤٦٢- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، للدكتور ناصر علي الشيخ،  
مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤٦٣- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، لأبي  
بكر ابن العربي المالكي، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمود مهدي  
الإستانبول، مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة السادسة ١٤١٢هـ.

٤٦٤- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لمحمد بن إبراهيم الوزير،  
تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-  
١٩٨٥م.

٤٦٥- الفكر المنهجي عند المحدثين، للدكتور همام عبد الرحيم سعيد، كتاب الأمة،  
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٦٦- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، للدكتور خادام حسين إلهي بخش، الناشر  
مكتبة الصديق بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤٦٧- قصة الهجوم على السنة، للدكتور علي أحمد السالوس، دار السلام بالقاهرة،  
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٤٦٨- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، دار  
البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٤٦٩- المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية، للدكتور محمد أمان بن علي الجامي،  
دار الأصفهاني، رابطة العالم الإسلامية، بدون تاريخ.

٤٧٠- المدخل إلى السنة النبوية، بحوث في القضايا الأساسية عن السنة النبوية،  
للدكتور عبد المهدي عبد القادر، دار الاعتصام ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٧١- مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، للأستاذ عبد الله بن علي النجدي

القصيمي، مراجعة الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٧٢- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق الأستاذ مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤٧٣- المكانة العلمية، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني في الحديث النبوي، لشيخنا الجليل إسماعيل عبد الخالق الدفتار، الجزآن الأول والثاني في مكانة السنة ورد شبهات الطاعنين في حجيتها، والثالث والرابع في مكانة الصنعاني في الحديث، والرسالة مخطوطة بكلية الأصول بالقاهرة، رقم ٢٣٣٢ لسنة ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

٤٧٤- منزلة السنة في التشريع الإسلامي، للدكتور محمد أمان بن علي الجامي، دار حراء للكتاب بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٧٥- منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية، للأستاذ محمد سعيد منصور، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤٧٦- منهاج السنة في الحدود، وأثره في صلاح المجتمع، للدكتور عبد المنعم عطية عبد القوي سكران، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم ١٤٣٧ لسنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤٧٧- منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، دراسة مقارنة، للدكتورة عزيزة علي طه، مؤسسة الرسالة بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤٧٨- المؤتمر العلمي الرابع للسيرة، والسنة النبوية، والمؤتمر العاشر لجمع البحوث الإسلامية، مطابع الشروق، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٤٧٩- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، للأستاذ الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٨٠- نصوص من السنة ودفاع عنها، للدكتور رفعت فوزي، دار الثقافة العربية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤٨١- النفحات الشذية فيما يتعلق بالعصمة، والسنة النبوية، للشيخ محمد الطاهر الحامدي، قدم له وكتب حواشيه الطاهر محمد الطاهر، الناشر مكتبة الآداب بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٨٢- نقد كتاب نصر أبو زيد ودحض شبهاته، للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، مطبعة المدني، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤٨٣- نقض مطاعن نصر أبو زيد في القرآن، والسنة، والصحابة، وأئمة المسلمين، للدكتور إسماعيل سالم، دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

### ثامناً : مراجع عامة :

٤٨٤- ابن تيمية، حياته، وعقائده، لصائب عبد الحميد، الغدير للدراسات والنشر، بيروت.

٤٨٥- الإبداعات الطيبة لرسول الإنسانية، للأستاذ مختار سالم، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٨٦- البحث في مصادر التاريخ الديني، دراسة عملية، لأحمد صبحي منصور، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٤٨٧- البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، طبع بمصر، ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م.

٤٨٨- أبو هريرة، لعبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار الزهراء، بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤٨٩- البيان والتبيين، لأبي عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٤٩٠- الاتجاهات الفكرية المعاصرة، للمستشار الدكتور علي جريشة، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٤٩١- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، للأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار

- القلم، دمشق، الطبعة السابعة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٤٩٢- أحاديث أم المؤمنين عائشة، أدوار من حياتها، لمرتضى العسكري، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ٤٩٣- الحديث النبوي في النحو العربي، للدكتور محمود فجال، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٤٩٤- احدثوا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، للدكتور سعد الدين السيد صالح، دار التقوى، بلبس، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ٤٩٥- أخبار عمرو بن عبيد، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق الدكتور يوسف فان إس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٧م.
- ٤٩٦- أدب العرب في صدر الإسلام، لحسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٤٩٧- الدولة والمجتمع، لمحمد شحرور، الأهالي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م.
- ٤٩٨- الرسالة المحمدية، للسيد سليمان الندوي، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ٤٩٩- آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، للدكتور عمر إبراهيم رضوان، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ٥٠٠- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، للدكتور علي جريشة، ومحمد شريف الزبيق، دار الاعتصام، القاهرة.
- ٥٠١- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للدكتور محمود حمدي زقزوق، دار المنار بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٥٠٢- الاستشراق والمستشرقون ما هم وما عليهم، للدكتور مصطفى السباعي، دار السلام بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- ٥٠٣- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، لعبدنان محمد وزان، رابطة العالم الإسلامي، ضمن سلسلة دعوة الحق العدد ٢٤ السنة الثالثة.
- ٥٠٤- الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد، (ليبولد فايس)، ترجمة الدكتور عمر

- فروخ، دار العلم، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٥٠٥- الإسلام في تصورات الغرب، للدكتور محمود حمدي زقزوق، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٥٠٦- الإسلام والحضارة الغربية، للدكتور محمد عمر حسين، دار الرسالة، جدة، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٥٠٧- الإسلام والعقلانية، لجمال البناء، دار الفكر الإسلامى، القاهرة.
- ٥٠٨- الإسلام والمستشرقين، لنبذة من العلماء المسلمين، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٥٠٩- الإسلام والإيمان منظومة القيم، لمحمد شحرور، الأهالي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ٥١٠- السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربى، للدكتور محمود فجال، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٥١١- شرح ديوان كعب بن زهير، لأبى سعيد الحسن بن عبيد الله العسكرى، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.
- ٥١٢- شرح نهج البلاغة، لابن أبى الحديد، مطبعة عيسى البابى الحلبي بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ٥١٣- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.
- ٥١٤- أصالة الفكر الإسلامى فى مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربى، للأستاذ أنور الجندي، دار الفضيلة بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ٥١٥- الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى، للدكتور طه الدسوقي حبشى، دار على للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٥١٦- أصول التفكير النحوى، للدكتور على أبى المكارم، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م.
- ٥١٧- أصول الفقه المحمدى، لجوزيف شاخ، ترجمة الأستاذ الصديق بشير بن

- نصر، نشر مجلة كلية الدعوة، بليبيا، العدد ١١ لسنة ١٩٩٤م.
- ٥١٨- أصول النحو، لسعيد الأفغانى، مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٦هـ.
- ٥١٩- الأعلان العظيمان، الكتاب والسنة، رؤية جديدة، لجمال البناء، مطبعة حسان بالقاهرة.
- ٥٢٠- أضواء على السنة المحمدية، أو دفاع عن الحديث، لمحمود أبو ريه، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- ٥٢١- الأضواء القرآنية فى اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخارى منها، للسيد صالح أبو بكر، مطابع محرم الصناعية، ١٩٧٤م.
- ٥٢٢- إعادة تقييم الحديث، لقاسم أحمد، مكتبة مدبولى الصغير، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ٥٢٣- إعادة قراءة القرآن، لجاك بيرك، ترجمة وائل غالى شكرى، تقديم أحمد صبحى منصور، دار النديم للصحافة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ٥٢٤- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسى، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ٥٢٥- أعيان الشيعة، لحسن الأمين، طبعة دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
- ٥٢٦- الإفصاح فى إمامة على بن أبى طالب، لمحمد بن النعمان العكبرى، دار المنتصر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٥٢٧- الأنبياء فى القرآن، لأحمد صبحى منصور، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٥٢٨- إنذار من السماء (النظرية) لنيازى عز الدين، الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ٥٢٩- أهل السنة شعب الله المختار، لصالح الوردانى، كنوتة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٥٣٠- أوروبا والإسلام، للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، دار المعارف

مصر، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.

٥٣١- بلاغة الرسول، للدكتور على محمد حسن العمارى، دار الأنصار بالقاهرة.

٥٣٢- بحوث فى القرآن والسنة، اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر، الأمانة العامة، القاهرة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٥٣٣- بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين، لإسماعيل منصور جودة، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥٣٤- البيان بالقرآن، لمصطفى كمال المهدي، دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، ليبيا، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٥٣٥- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، للسيد حسن الصدر، طبعة شركة الطباعة والنشر العراقية ببغداد ١٩٥١م.

٥٣٦- تأملات فى الحديث عند السنة والشيعة، لزكريا عباس داود، دار النخيل للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٥٣٧- التبشير والاستعمار فى البلاد العربية، للدكتور مصطفى خالدى، والدكتور عمر فروخ، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى بدون تاريخ.

٥٣٨- تبصير الأمة بحقيقة السنة، لإسماعيل منصور جودة، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٥٣٩- تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل، للشيخ محمد الغزالى، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٥٤٠- تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة، لصفوت حسن لطفى، ومحمد عبد العظيم على، وجلال يحيى كامل، تقديم يحيى كامل أحمد، دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة.

٥٤١- الثورة الإيرانية فى ميزان الإسلام، للشيخ محمد منظور نعمانى، ترجمة الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، مطبعة عبير للكتاب والأشغال التجارية، القاهرة.

٥٤٢- ثم اهتديت، لمحمد التيجانى، مؤسسة الفجر، لندن، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ-

١٩٨٩م

٥٤٣- حد الردة، دراسة أصولية تاريخية، لأحمد صبحي منصور، دار طبية للدراسات والنشر، القاهرة.

٥٤٤- الحسبة، دراسة أصولية تاريخية، لأحمد صبحي منصور، الناشر مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٥٤٥- حصاد العقل، لمحمد سعيد العشماوى، مكتبة مديولى الصغير، ١٩٩٢م.

٥٤٦- حصوننا مهددة من داخلها، للدكتور محمد محمد حسين، دار الرسالة، جدة، الطبعة الثانية عشرة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٥٤٧- حقائق ثابتة فى الإسلام، لابن الخطيب، مطبعة الأفق، طهران، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٥٤٨- حقيقة الحجاب وحجية الحديث، لمحمد سعيد العشماوى، مكتبة مديولى الصغير، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥٤٩- حقيقة السنة النبوية، لأحمد حجازى السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٥٥٠- حوار ومناقشة كتاب عائشة أم المؤمنين، هشام آل قطيط، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٥٥١- حياة محمد، للدكتور محمد حسين هيكل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.

٥٥٢- الخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة، لصالح الوردانى، دار الخليج للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٥٥٣- خزانة الأدب ولب لباب العرب، لعبد القادر البغدادى، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

٥٥٤- همسون ومائة صحابي مختلق، لمرتضى العسكري، دار الزهراء، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥٥٥- الخلافة المغتصبة، أزمة تاريخ أم أزمة مؤرخ، لإدريس الحسينى، دار الخليج

- للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٥٥٦- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى ١٣٢١هـ، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، بهامش منهاج السنة.
- ٥٥٧- دراسات محمدية، لجولدتسيهر، ترجمة الأستاذ الصديق بشير نصر، نشر مجلة كلية الدعوة الإسلامية، بليبيا، العدد الثامن لسنة ١٩٩١م، والعدد العاشر لسنة ١٩٩٣م.
- ٥٥٨- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي، مكتبة مدبولي الكبير، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ٥٥٩- دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين، لصالح الورداني، الناشر تريدنكو للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٥٦٠- دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين، للشيخ محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٥٦١- دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي، لأحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٥٦٢- دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين، لحسين أحمد أمين، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٥٦٣- دين السلطان (البرهان) لنيازي عز الدين، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ٥٦٤- الربا والفائدة في الإسلام، لمحمد سعيد العشماوي، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٥٦٥- رجال اختلف فيهم الرأي، للأستاذ أنور الجندي، دار الأنصار، القاهرة.
- ٥٦٦- الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، لنذير حمدان، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، جدة.
- ٥٦٧- رشاد خليفة، صنيعة الصليبية العالمية، وأخطر من سلمان رشدي، للدكتور خالد نعيم، مطبعة المختار الإسلامي، بدون تاريخ.

٥٦٨- رؤية إسلامية للاستشراق، للأستاذ أحمد غراب، المنتدى الإسلامى، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

٥٦٩- زواج المتعة حلال عند أهل السنة، لصالح الوردانى، مكتبة مدبولى الصغير، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥٧٠- السحر والسحرة والوقاية من الفجرة، للأستاذ تاج الدين نوفل، مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة.

٥٧١- السلطة فى الإسلام، العقل الفقهي السلفى بين النص والتاريخ، لعبد الجواد ياسين، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٥٧٢- السنة مصدر للمعرفة والحضارة، للدكتور يوسف القرضاوى، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥٧٣- الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، لنصر أبو زيد، مكتبة مدبولى، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

٥٧٤- شفاء الصدر بنفى عذاب القبر، لإسماعيل منصور جودة، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٥٧٥- شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، لخليل عبد الكريم، دار سينا بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٥٧٦- شيخ المضيرة (أبو هريرة)، لمحمود أبو رية، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٥٧٧- الشيعة والمتعة، لمحمد مال الله، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٥٧٨- الصحابة فى نظر الشيعة الإمامية، لأسد حيدر، نشر مطبوعات النجاح بالقاهرة، بدون تاريخ.

٥٧٩- الصلاة، لمحمد نجيب، دائرة المعارف العلمية الإسلامية، القاهرة.

٥٨٠- الصلاة فى القرآن، لأحمد صبحى منصور، مخطوط.

٥٨١- صواعق الحق المرسله على الجنين والكهان والسحرة، لفريق من علماء أنصار السنة المحمدية، إعداد عبد المجيد محمد صالح، مطبعة العمرانية، القاهرة.

- ٥٨٢- صورتان متضادتان لنتائج الرسول الأعظم، بين السنة والشيعية الإمامية، لأبى الحسن، على الحسنى الندوى، مطبعة الكلمة بالجيزة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٥٨٣- ضحى الإسلام، للأستاذ أحمد أمين، نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة السادسة ١٩٦١م.
- ٥٨٤- الطب الإسلامى، للدكتور أحمد طه، دار الاعتصام بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ٥٨٥- الطب الوقائى فى الإسلام، للعميد الصيدلى، عمر محمود عبد الله، مطبعة الزهراء الحديثة المحدودة بالعراق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٥٨٦- عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، لمرتضى العسكري، دار الزهراء، بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- ٥٨٧- عذاب القبر فى الميزان، لعكاشة عبد المنان الطيبي، دار الاعتصام، القاهرة.
- ٥٨٨- عذاب القبر والتعبان الأقرع، لأحمد صبحى منصور، دار طيبة للدراسات والنشر، القاهرة.
- ٥٨٩- عقوبة الحد فى ضوء القرآن الكريم وأثرها فى إصلاح المجتمع، للدكتور محمد زواوى عبد الله، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم ١٧٤٨ سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٩م.
- ٥٩٠- العلمانية وموقفها من العقيدة والشريعة، للدكتور عبد العظيم المطعنى، مكتبة النور، ١٩٩٢م.
- ٥٩١- العلمانية وموقف الإسلام منها، للدكتور عزت عبد المجيد، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، رقم ١١٠٩.
- ٥٩٢- الغارة على التراث الإسلامى، للأستاذ جمال سلطان، مركز الدراسات الإسلامية بمرنجهام، بريطانيا، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٥٩٣- الغارة على العالم الإسلامى، أول شاتليه، نقلها إلى العربية محب الدين الخطيب، ومساعد اليافى، المطبعة السلفية ومكبتها، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ.
- ٥٩٤- الغدير فى الكتاب والسنة والأدب، لعبد الحسين أحمد الأمينى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثالثة.

- ٥٩٥- فتح الوهاب لا جزية على أهل الكتاب، لإسماعيل منصور جودة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ٥٩٦- الفتنة الخمينية حقيقة الثورة الإيرانية، للشيخ محمد عبد القادر آزار، مطبعة غير للكتاب، حلوان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٥٩٧- الفتنة الكبرى (عثمان)، لطف حسين، دار المعارف بمصر، الطبعة العاشرة.
- ٥٩٨- فجر الإسلام، لأحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة السابعة ١٩٥٩م.
- ٥٩٩- فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، لحسين بن محمد تقى النورى الطبرى، طبع حجر.
- ٦٠٠- الفرقان، لابن الخطيب، المطبعة المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.
- ٦٠١- الفصول المهمة في تأليف الأمة، لعبد الحسين شرف الدين الموسوى، مطبعة العرفان، صيدا سنة ١٣٣٠هـ.
- ٦٠٢- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، للدكتور محمد البهى، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية عشر ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ٦٠٣- الفكر الإسلامى نقد واجتهاد، لحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.
- ٦٠٤- فى الأدب الجاهلى، لطف حسين، دار المعارف، مصر، الطبعة السادسة عشر.
- ٦٠٥- الاقتراح فى علم أصول النحو، للسيوطى، تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- ٦٠٦- قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدو أهله، لعبد الودود يوسف، دار السلام بالقاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٤م.
- ٦٠٧- قراءة فى صحيح البخارى، لأحمد صبحى منصور، مخطوط.
- ٦٠٨- قرآن أم حديث، لرشاد خليفة، مسجد توسان، أمريكا.
- ٦٠٩- القرآن والحديث والإسلام، لرشاد خليفة، مخطوط.

- ٦١٠- قصة الحديث الحمدي، لمحمود أبو رية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.
- ٦١١- الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد بن الميرد تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٦١٢- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، لمحمد شحرور، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٦١٣- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، للحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، تحقيق حسين الدركاهي، دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- ٦١٤- كلا ثم كلا، كلا لفقهاء التقليد ثم كلا لأدعياء التنوير، لجمال البنا، طبعة دار الفكر الإسلامي، لسنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٦١٥- كيف نتعامل مع السنة النبوية، للدكتور يوسف القرضاوي، دار الوفاء، بالمنصورة، الطبعة السابعة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ٦١٦- لقد شيعني الحسين، الانتقال الصعب في رحاب المعتقد والمذهب، لإدريس الحسيني، دار النخيل العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ٦١٧- لماذا القرآن، لعبد الله الخليفة=أحمد صبحي منصور، خال من مكان الطبع وتاريخه.
- ٦١٨- مائة سؤال عن الإسلام، للشيخ محمد الغزالي، دار ثابت، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٦١٩- المتآمرون على المسلمين الشيعة، من معاوية إلى ولاية الفتنة، لموسى الموسوي، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.
- ٦٢٠- مجتمع يثرب العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين الحمدي والخلفي، لخليل عبد الكريم، دار سيناء، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.
- ٦٢١- المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، للدكتور شعبان محمد إسماعيل، دار الأنصار، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٦٢٢- المراجعيات، لعبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار الأندلس، بيروت، بدون

## تاريخ .

- ٦٢٣- مساحة للحوار من أجل الوفاق ومعرفة الحقيقة، لأحمد حسين يعقوب،  
الغدير، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- ٦٢٤- المسلم العاصي، هل يخرج من النار ليدخل الجنة، لأحمد صبحي منصور،  
القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
- ٦٢٥- المسيح عليه السلام في القرآن الكريم، للدكتور رمضان مصطفى دياب،  
مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم ٩٥٧ .
- ٦٢٦- مسيلمة في مسجد توسان، الظهور الجديد، وراء المحيطات، للدكتور طه  
الدسوقي حبيشى، مكتبة رشوان، القاهرة .
- ٦٢٧- المستشرقون والتراث، للدكتور عبد العظيم الديب، دار الوفاء بالمنصورة،  
الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
- ٦٢٨- مصباح الهداية في إثبات الولاية، لعلى الموسوى البهباني، الناشر : أصفهان  
كتابفروش دين ودانش، جاب دون - مطبعة رباني .
- ٦٢٩- مصطلح التاريخ، لأسد رستم، منشورات العصرية، بيروت، بدون تاريخ .
- ٦٣٠- معالم المدرستين، لمرتضى العسكري، الدار العالمية، بيروت، الطبعة الخامسة  
١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
- ٦٣١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية الله العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، دار  
الكتب العلمية، بيروت .
- ٦٣٢- مفهوم النص، للدكتور نصر أبو زيد، خال من مكان الطبع وتاريخه .
- ٦٣٣- مقدمات العلوم والمناهج، للأستاذ أنور الجندى، دار الأنصار، القاهرة .
- ٦٣٤- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، لجماعة من العلماء،  
مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- ٦٣٥- من التوجيهات النبوية للأسرة الإسلامية، للدكتور سعيد محمد صوابي،  
مطبعة الفجر الجديد، ١٤١١هـ-١٩٩٠م .
- ٦٣٦- منع تدوين الحديث أسباب ونتائج، لعلى الشهرستاني، مؤسسة الأعلمی

- للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٦٣٧- موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، لعز الدين بليق، دار الفتح، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٦٣٨- المؤامرة على الإسلام، للأستاذ أنور الجندى، دار الاعتصام، القاهرة.
- ٦٣٩- المؤتمر الحادى عشر لجمع البحوث الإسلامية، الدعوة والدعاة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٦٤٠- موقف الإسلام من المجتمع الجاهلى، للدكتور جعفر السقا، جمعية الوقف الإسلامى، هولندا، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٦٤١- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، للدكتورة خديجة الحديثى، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.
- ٦٤٢- الميزان فى تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائى، دار الكتب الإسلامية بطهران، الطبعة الثانية.
- ٦٤٣- نحو تطوير التشريع الإسلامى، لعبد الله أحمد النعيم، ترجمة وتقديم حسين أحمد أمين، دار سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ٦٤٤- نحو فقه جديد، لجمال البناء، دار الفكر الإسلامى، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٦٤٥- النسخ والبداء فى الكتاب والسنة، لمحمد حسين الحاج العاملى، دار الهادى، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٦٤٦- النص والاجتهاد، لعبد الحسين شرف الدين الموسوى، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- ٦٤٧- نظرة القرآن إلى الجريمة والعقاب، للدكتور محمد عبد المنعم القيعى، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٦٤٨- نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية فى الإسلام، لأحمد حسين يعقوب، مطبعة الخيام، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- ٦٤٩- نقد الحديث فى علم الرواية والدراية، للدكتور حسين الحاج حسن، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٦٥٠- نقد الخطاب الدينى، لنصر أبو زيد، دار سيناء، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

٦٥١- كتاب نصر أبو زيد ودحض شبهاته، للدكتور رفعت فوزى عبد المطلب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦٥٢- وركبت السفينة، لمروان خليفات، الغدير للدراسات والطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٦٥٣- وعاظ السلاطين، لعلى الوردى، دار كوفان، لندن، توزيع دار الكنوز الأدبية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

٦٥٤- لا ناسخ ولا منسوخ فى القرآن، لأحمد صبحى منصور مركز المحروسة بالمعادي، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٦٥٥- يوسف شاخت حياته وآثاره، لروبير برونشفيج، ترجمة الدكتور عبد الحكيم الأربد، نشر مجلة كلية الدعوة بليبيا، العدد ١١ لسنة ١٩٩٤م.

#### تاسعاً : الدوريات :

٦٥٦- مجلة الأزهر الشريف، تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية، العدد ربيع الأول لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، والعدد ربيع الآخر لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٥٧- جريدة آفاق عربية، ١٧، ربيع الآخر ١٤١٨م.

٦٥٨- مجلة كلية أصول الدين بالقاهرة، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، العدد الثانى لسنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٦٥٩- مجلة كلية الدعوة الإسلامية، تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى، طرابلس، الأعداد ٨ لسنة ١٩٩١م، و ١٠ لسنة ١٩٩٣م، و ١١ لسنة ١٩٩٤م.

٦٦٠- مجلة روز اليوسف، الأعداد : ٣٥٣٠، ٣٥٥٩، ٣٥٦٣، ٣٥٦٤، لسنة ١٤١١هـ-١٩٩٦م، والعدد ٣٥٨٦ لسنة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦٦١- مجلة العربي، العدد ٤٨٠، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦٦٢- جريدة مجمع اللغة العربية، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً،  
أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين، وإبراهيم التريزى، الهيئة العامة لشئون  
المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٤م.

٦٦٣- مجلة المنار، لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر الأعداد ٩، ١٠، ١١، ١٢،  
١٩، ٢١، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٣.

٦٦٤- مجلة الوعي الإسلامى، تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة  
الكويت، العدد ٣٧٥، لسنة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، والعدد ٣٩٦ لسنة  
١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

\*\*\* \*\*

# سابعاً فهرسُ الموضوعات

الصفحة

الموضوع

٣	الفصل الثاني : وسيلتهم في التشكيك في حجية خبر الآحاد .....
٥	تمهيد .....
٦	المبحث الأول : التعريف بالمتواتر، وبيان كثرة وجوده، ودرجة ما يفيد من العلم، وحكم العمل به، وحكم جاحده .....
١٢	المبحث الثاني : التعريف بالآحاد، وبيان درجة ما يفيد من العلم وحجيته ووجوب العمل به .....
٢١	المبحث الثالث : منكر حجية خبر الواحد قديماً وحديثاً .....
٢١	تمهيد .....
٢٤	استعراض شبهة منكرى حجية خبر الواحد قديماً وحديثاً والرد عليها .....
٣٤	أدلة حجية خبر الواحد .....
٣٨	المبحث الرابع : شروط حجية خبر الواحد ووجوب العمل به عند المحدثين والرد على شروط المعتزلة ومن قال بقولهم قديماً وحديثاً .....
٣٨	شروط حجية خبر الواحد عند المحدثين .....
٤٠	شروط المعتزلة لصحة خبر الواحد .....
٤٢	سر اشتراط الأحناف والمعتزلة شروط زائدة على شروط أصحاب الحديث .....
٤٦	الجواب عن شروط المعتزلة ومن قال بها قديماً وحديثاً ..... الجواب عن طعون أعداء السنة في حديث "سيحان، وجيحان، والفرات والتيل كلها من أنهار الجنة .....
٥٧	الفصل الثالث : وسيلتهم في الطعن في رواية السنة المطهرة .....
٦٣	المبحث الأول : طعنهم في عدالة الصحابة وفيه تمهيد وستة مطالب .....
٦٥	مطالب .....

	التمهيد ويتضمن : أولاً : هدف أعداء الإسلام من طعنهم
٦٧	..... فى الصحابة ﷺ
	ثانياً : حكم أئمة المسلمين فيمن ينتقص صحابة رسول
٦٧	..... الله ﷻ
٧٠	المطلب الأول : التعريف بالصحابة لغة واصطلاحاً .....
٧٢	..... السر فى التعميم فى تعريف الصحابى .....
٧٣	..... طريق معرفة الصحبة .....
٧٤	المطلب الثانى : التعريف بالعدالة لغة واصطلاحاً .....
٧٥	..... معنى عدالة الصحابة .....
٧٦	..... ليس معنى العدالة العصمة من المعاصى أو من السهو .....
٧٧	المطلب الثالث : أدلة عدالة الصحابة ﷺ .....
٨٤	المطلب الرابع : شبهات حول عدالة الصحابة والرد عليها ..
٩٩	المطلب الخامس : سنة الصحابة ﷺ حجة شرعية .....
١٠٢	..... سنة الصحابة مصدراً للأحكام الدستورية .....
	المطلب السادس : أبو هريرة ؓ راوية الإسلام رغم أنف
١٠٣	..... الخاقدين .....
	المبحث الثانى : طعنهم فى عدالة أهل السنة وفيه تمهيد وأربعة
١١٧	..... مطالب .....
	التمهيد ويتضمن : موقف أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً
	من أهل السنة وأئمة المسلمين، وأساليبهم فى الطعن فى
١١٩	..... أهل السنة .....
١٢٤	المطلب الأول : بيان المراد بأهل السنة .....
	المطلب الثانى : سلامة طريقة أهل السنة فى فهم الشريعة
١٢٥	..... الإسلامية وبيان تحقيق النجاة لهم .....
١٢٩	المطلب الثالث : شرف أصحاب الحديث .....
	المطلب الرابع : الجواب عن دعوى تقصير المحدثين فى
١٣١	..... تقديم المتن .....
	من نماذج سير المحدثين المتن فى تقديم للحديث خير

١٣٥	وضع الجزية عن يهود خيبر .....
	<b>الفصل الرابع : وسيلتهم في الطعن في الإسناد وعلوم الحديث وتحت</b>
١٣٧	تمهيد ومبحثان .....
	<b>التمهيد ويتضمن بيان : أن الإسناد دليلنا على صحة الكتاب</b>
١٣٩	والسنة، وهدف أعداء الإسلام من الطعن في الإسناد .....
١٤١	<b>المبحث الأول : شبه الطاعنين في الإسناد والرد عليها .....</b>
	<b>المبحث الثاني : أهمية الإسناد في الدين واختصاص الأمة</b>
١٤٨	الإسلامية به عن سائر الأمم .....
	<b>الفصل الخامس : وسيلتهم في الطعن والتشكيك في كتب السنة المطهرة،</b>
١٥١	وتحت مبحثان .....
	<b>المبحث الأول : أساليب أعداء السنة في الطعن في المصادر</b>
١٥٣	الحديثية .....
	<b>المبحث الثاني : الجواب عن زعم أعداء السنة أن استدراكات</b>
١٥٦	الأئمة على الصحيحين دليل على عدم صحتها .....
١٥٩	الجواب عن تكلم فيه من رجال الصحيحين .....
	<b>الفصل السادس : وسيلتهم في الاعتماد على مصادر غير معتبرة في</b>
١٦٣	التأريخ للسنة ورواتها .....
	<b>ويتضمن بيان : أساليب دعاة الفتنة وأدعياء العلم في الطعن</b>
١٦٣	في السنة النبوية من خلال ثلاثة أنواع من المصادر .....
	<b>النوع الأول : مصادر غير معتبرة، وعليها جل اعتمادهم في</b>
١٦٥	الحكم على السنة المطهرة .....
	<b>النوع الثاني : مصادر معتبرة حديثية، وهدفهم من ذلك</b>
١٦٨	تضليل القارئ .....
	<b>النوع الثالث : مصادر معتبرة غير حديثية، واعتمادهم ما</b>
١٧٠	ورد فيها من أحاديث مكنوبة .....
	<b>الباب الثالث</b>
	<b>نماذج من الأحاديث الصحيحة المطعون فيها والجواب عنها</b>
١٧٣	وتحت تمهيد وعشرة فصول .....

التمهيد ويتضمن بيان .....	١٧٥
أ- طبعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها .....	١٧٥
ب- طبعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها .....	١٧٦
الفصل الأول : حديث "إنما الأعمال بالنيات" .....	١٧٧
المبحث الأول : شبه الطاعنين في حديث "إنما الأعمال بالنيات" .....	١٧٩
والرد عليها .....	١٧٩
المبحث الثاني : مكانة حديث "إنما الأعمال بالنيات" .....	١٨٥
الفصل الثاني : حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف" .....	١٨٧
المبحث الأول : شبه الطاعنين في حديث أنزل القرآن على سبعة .....	١٨٩
أحرف والرد عليها .....	١٨٩
المبحث الثاني : معنى نزول القرآن على سبعة أحرف .....	١٩٧
المبحث الثالث : الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع .....	٢٠٢
المبحث الرابع : بقاء الأحرف السبعة في المصاحف .....	٢٠٤
الفصل الثالث : أحاديث "رؤية الله ﷻ"، و"محاكاة آدم موسى عليهما .....	٢٠٧
السلام"، و"الشفاعة" .....	٢٠٧
المبحث الأول : موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث .....	٢٠٩
الصفات .....	٢٠٩
موقف السلف الصالح من أحاديث الصفات والرد على .....	٢١٢
أهل البدع قديماً وحديثاً .....	٢١٢
المبحث الثاني : شبه الطاعنين في حديث "رؤية الله تعالى" والرد .....	٢١٩
عليها .....	٢١٩
الجواب عن شبهات المعتزلة ومن قال بقولهم في إنكار .....	٢٢٠
رؤية رب العزة جل جلاله .....	٢٢٠
المبحث الثالث : موقف أهل البدع قديماً وحديثاً من أحاديث .....	٢٣٠
القدر والرد عليهم .....	٢٣٠
وجوب الإيمان بقدر الله تعالى والجواب عن شبه المعتزلة .....	٢٣٢
ومن قال بقولهم أو تأثر بهم .....	٢٣٢
المبحث الرابع : شبه الطاعنين في حديث "محاكاة آدم موسى .....	

- ٢٣٧ ..... عليهما السلام" والرد عليها  
المبحث الخامس : موقف المبتدعة قديماً وحديثاً من أحاديث المغفرة
- ٢٤٠ ..... لمرتكب الكبيرة والرد عليهم
- ٢٤٧ ..... المبحث السادس : شبه الطاعنين في حديث الشفاعة والرد عليهم .  
الفصل الرابع : أحاديث ظهور المهدي، وخروج الدجال، ونزول المسيح
- ٢٥٣ ..... **الطائفة**  
المبحث الأول : شبهة الطاعنين في أحاديث الأمور الغيبية
- ٢٥٥ ..... المستقبلية" و"الأخروية" والرد عليها  
المبحث الثاني : شبهات المنكرين لظهور المهدي، وخروج
- ٢٥٩ ..... الدجال، ونزول المسيح **عليه السلام** والرد عليها
- ٢٥٩ ..... أولاً : ظهور المهدي
- ٢٦٤ ..... ثانياً : خروج الدجال
- ٢٦٦ ..... ثالثاً : نزول المسيح عيسى **عليه السلام**
- ٢٧٧ ..... الفصل الخامس : حديث عذاب القبر ونعيمه  
المبحث الأول : شبهة الطاعنين في أحاديث الأمور الغيبية
- ٢٧٩ ..... الأخروية" من أحوال البرزخ، وأحوال يوم القيامة والرد  
عليها
- ٢٨٢ ..... المبحث الثاني : شبهات المنكرين لعذاب القبر ونعيمه والرد عليها..
- ..... الفصل السادس : أحاديث "خلوة النبي ﷺ بامرأة من الأنصار، ونوم  
النبي ﷺ عند أم سليم وأم حرام، وحديث سحر النبي
- ٢٩٥ ..... **عليه السلام**
- ..... المبحث الأول : شبهة مخالفة سيرة النبي ﷺ في السنة المطهرة عن  
سيرته في القرآن الكريم والرد عليها
- ٢٩٧ ..... المبحث الثاني : شبه الطاعنين في حديث "أنس بن مالك في خلوة  
النبي ﷺ بامرأة من الأنصار" والرد عليها
- ٣٠٠ ..... المبحث الثالث : شبه الطاعنين في حديثي نوم النبي ﷺ عند أم  
سليم، وأم حرام والرد عليها
- ٣٠٥ .....

٣١٢	المبحث الرابع : شبه الطاعنين فى حديث سحر النبى ﷺ والرد عليها
٣٢١	الفصل السابع : حديث رضاعة الكبير شبهات الطاعنين فيه والرد عليها
٣٣٣	الفصل الثامن : حديث "وقوع الذباب فى الإناء"
٣٣٥	المبحث الأول : شبه الطاعنين فى أحاديث الطب النبوى والرد عليها
٣٤٢	المبحث الثانى : شبه الطاعنين فى حديث "وقوع الذباب فى الإناء" والرد عليها
٣٥٥	الفصل التاسع : ثمرات ونتائج الحديث الصحيح
٣٥٧	الفصل العاشر : مضار رد الأحاديث النبوية الصحيحة
٣٦١	الخاتمة : فى نتائج هذه الدراسة ومقترحات وتوصيات
	الفهارس
٣٦٩	أولاً : فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٣٩٣	ثانياً : فهرس الأحاديث، والآثار، والأقوال
٤١٥	ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم
٤٣٣	رابعاً : فهرس الأشعار
٤٣٥	خامساً : فهرس البلدان والقبائل والفرق
٤٤١	سادساً : فهرس المصادر والمراجع
٥٠١	سابعاً : فهرس الموضوعات

\*\*\* \*\*



